

مِنْهُ حَيْثُ كُنْتُ عَوْلَةَ الْمُلَاحِلَّةِ

وَإِنْطَالِهِ شَبَهَ لَهُمْ حَوْلَ الْإِسْلَامِ

جَمِيعُهُ أَعْلَمُ أَذْكُرُ جَوْنِيَا مِنْ بَأْمِنِ نَبِيِّ

ملخص البحث:

يستهدف هذا البحث وضع منهجية متكاملة لدعوة الملاحدة وإبطال شبهاتهم حول الإسلام، مع التركيز على تأهيل المحاور بمهارات علمية رصينة تمكنه من الرد على تلك الشبهات بكفاءة وبثقة. كما يثبت البحث بالأدلة العلمية المنطقية القاطعة صحة الإسلام وجود الله، ويكشف عن حقيقة الإلحاد ويفنده من صفة العلم. كما يتناول البحث السمات الأساسية التي يجب أن يتحلى بها المحاور المسلم الناجح، ويقدم نماذج حوارية توضيحية إلى جانب استعراض شامل لأسباب ظهور وانتشار الإلحاد عبر التاريخوصولاً إلى العصر الحديث. يوصي البحث المحاور بضرورة التسلح بالعلم الشرعي والعقيدة الصحيحة، وفهم خدع الشعارات البراقة والكلام الفضفاض الذي يستخدمه بعض الأشخاص الذين يظهرون في الإعلام كأنهم باحثون ومفكرون. ويؤكد البحث كذلك على أهمية اتباع قواعد علمية منهجية ودقيقة في الحوار، لضمان تحقيق نتائج إيجابية وفعالة..

مقدمة

"إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمُدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ أَنفُسِنَا، وَمِنْ سِيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهِيدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضَلٌّ لَهُ، وَمِنْ يَضْلِلُ فَلَا هَادِي لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ." قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 102]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَارٍ وَاحِدَةً وَخَلَقَ مِنْهُمَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1]، {يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 71]⁽¹⁾.

وأشهد أن نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة، تركنا على بيضاء نقية ليهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربى وسلمه عليه وعلى آل بيته وأصحابه وعلى كل من سار على هديه واستن بسناته إلى يوم الدين، وبعد:

فالمطلوب في الدعوة هو الحكمة، بل إن الداعي إلى الله مأمور بها مصداقاً لقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُوعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ} [النحل: 125]، قوله سبحانه: {قُلْ هُنَّدِهِ سَبِيلٌ أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: 108].

ومن الحكمة مخاطبة الأفراد والمجتمعات حسب عقولهم؛ فالناسُ طوائفُ شَتَّى، وثقافاتٌ متباينةٌ، وعقلياتٌ مُتفاوتة؛ ولذلك الداعية الذي يتهاون في مثل هذه الاعتبارات ويختزل دعوته في طريقة واحدة متغافلاً عن عقول الناس وطاقاتهم واستيعابهم وفهمهم، فقد جانبه الصواب، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم - وهو معلم البشرية جموعه - ينوع أسلوبه ويختار ما يناسب عقول الناس، بل ويأمر أتباعه من الدعاة إلى الله بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، مما يصلح لأحد them قد لا يصلح لآخر، ولذا على الداعية أن يكون حكيماً عاقلاً، يتعامل مع عقول الناس حسب مقدراتهم هم لا حسب مقدراته هو.

والداعية إلى الله لا ينجح في دعوته، ولا يكون موفقاً في تبليغه ولا مسدداً في قوله وفعله حتى يعرف من يدعوه، وهل هذا المجتمع من المسلمين العصاة؟ أو من المسلمين الذين انتشرت فيهم البدع والخرافات؟ هل هذا المجتمع من أهل الكتاب؟ فإذا كانوا منهم، فهل هم من النصارى؟ هل هذا المجتمع من الملحدين الطبيعيين والماديين والدهريين؟ أم من الوثنين المشركين؟

ومن ثم ما يصلح لإقناع نصراني بالإسلام، لا يصلح من ليس على النصرانية؛ فلا يأتي على سبيل المثال لنقنع ملحداً أننا نؤمن بعيسى وببقية أنبياء الله عليهم السلام، وهو لا يؤمن بأينبيٍ، بل إنه لا يؤمن بوجود الله عزوجل من الأساس.

ومن الحكمة أيضاً إدراك أن الإسلام دين عالمي خاتم، وليس ديناً قومياً أو محلياً، فرسالته للعالم أجمع، قال

(1) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمه أصحابه ويفتح بها كلامه وخطبته، وقد رواها ابن ماجة في سننه، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (1892)، وأبي داود، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (2120)، والترمذى، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (1105)، والنمسائى، كتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح (3277)، وصححة الألبانى فى كتابه خطبة الحاجة.

تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107]، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافِةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلِكُنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ: 28].

فلا يقتصر انشغال الدعاة إلى الله بالدعوة المحلية، متقاعسين عن الدعوة العالمية دون أن يخرج من بينهم دعاة متخصصون في مجال دعوة غير المسلمين، وفق منهجية مرتبة تحقق لهم أهدافهم في الوصول إلى القلوب قبل العقول؛ حتى يستطيع أمثال هؤلاء أن يعمّلوا عقولهم في كلامه إعمال القابل الراضي لا إعمال الرافض الساخط.

ومن بين تلك التخصصات في دعوة غير المسلمين والتي هي موضوع بحثنا هذا، هو دعوة الملحدين إلى الله جل في علاه.

فعندما كثر الطاعنون في الإسلام وانتشر الإلحاد والشذوذ والظلم وجيشه لها جيوش و مليارات وحكومات ومؤسسات إعلامية ضخمة لنشر الباطل انبرى لهم حرساً وحماية الجوهرة الثمينة: حماة العقيدة والغيورون على الإسلام وأمناء الدين ودعاة الخير فحاوروا بإخلاص وشراسة وحكمة وألفوا مؤلفات ووظفوا وسائل التواصل الاجتماعي وجاهدوا بجهاد الكلمة وأبطلوا الشبهات. ولا يخفى ما لهذا الموضوع من الأهمية، فهو متعلق بالذب عن الدين ومزاحمة أهل الباطل والحضور والتواجد في كل مكان يسأء إلى الدين. فيحاورون ويسعون إلى هداية الناس.

فها هنا بين أيديكم دراسة مختصرة تبحث عن وضع أسس للمبتدئين وهذا البحث يعد مدخلاً إلى: ((منهجية الحوار مع الملاحدة وإبطال شبهاتهم حول الإسلام))، جمعت وبيّنت فيه بایجاز المفاهيم والمنهجية والأساليب، وتناولت بعض الأمثلة الحوارية في كيفية دعوتهم إلى الله تعالى، وما هي إشكالات الإلحاد، وكيف أنه يتناقض مع بديهيّات العقل والفطرة، كما عرضت أهم براهين إثبات وجود الخالق سبحانه كمعرفتنا له عز وجل بالعقل والنقل والفطرة.

وتم مراعاة السهولة في الطرح ليتناسب مع الجميع، فالباحث بمثابة مدخل للبدء في ممارسة الحوار مع الملاحدة، دون التطرق إلى نقاشات فلسفية عميقه، ومن ثم لا يكتفى به بعد الانتهاء منه، وإنما لا بد من الاطلاع على مزيد من الكتب، والمحاضرات الأكثر عمقاً وتخصصاً في هذا الشأن.

ولابد أن ينتبه الدعاة في ردهم على شبهات وسفسيطات غير المسلمين إلى منهجيات مهمة سيعرف من خلالها مدى تفاهة تلك الشبهات وحماقتها، كما ينبغي أن يكون لدى الداعية ثقةً متناهيةً ويقين جازم بأنه لا يوجد في الإسلام نقطة ضعفٍ واحدةٍ تجعلنا نستحي أو نتخوف منها، وهذه الثقة وهذا اليقين لا يأتيان إلّا بالإخلاص إلى الله أولاً ثم بالاستعانة به، مع ضرورة التسلح بالعلم بجانب الدعوة والممارسة المستمرة. ولا شك أن للدعوة دور عظيم في حل المشكلات الكبرى، وعلى رأسها مشكلة الشرك والإلحاد والظلم واستغلال الشعوب وتدمير أخلاقها وتحطيم فطرة فلذة كبدها، فالشرك أعظم الظلم وأبغضه والذي قال الله عنه في كتابه العزيز: {إِنَّ الشَّرِكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13]، "ووجه كونه عظيماً، أنه لا أبغض وأبغض من سوئي المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسوئي الذي لا يملك من الأمر شيئاً، بمن له الأمر كلّه، وسوئي الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوئي من لم ينعم بمثقال ذرة [من النعم] بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم، ودنياهم وأخراهم، وقلوبيهم، وأبدانهم، إلّا منه، ولا يصرف السوء إلّا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟؟! وهل أعظم

ظلمًا ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة، [فجعلها في أحسن المراتب]؟ جعلها عابدة لمن لا يسوى شيئاً، فظلم نفسه ظلماً كبيراً!⁽²⁾

وبما أنَّ هداية الناس بيد الله عز وجل، فيجب علينا أن نعرف تمام المعرفة أنه ليس لنا أي قدرة في الحقيقة على هداية أحد أو الانتصار على أحد إلا بتوفيق الله عز وجل، فما علينا إلا البلاغ وإقامة الحجة وإظهارها للناس على أهل الباطل والضلال.

أما مسألة الهدایة تلك، فهي بيد الله تعالى وحده، يهدى من يشاء ويضل من يشاء بحسب علمه وحكمته واطلاعه على قلوب خلقه، وعلى من يستحق الخير فيهم، قال تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص: 56].

وهناك ولله الحمد مؤلفات كثيرة نافعة للحوار مع الملحدين عموماً، ولكن حسب معرفتي القاصرة لم أجده كتبًا منهاجيةً لتأهيل الدعوة على مهارات حوارية مع هذه الفئة، والانطلاق منها لخوض نقاشاتٍ احترافية. ولذلك جاءت فكرة هذا البحث كمحاولة متواضعة مني لسد هذا الثغر. وما زالت الحاجة ماسة إلى المزيد من العمل في تأسيس تلك المنهاج وإرساء أهم القواعد الوقائية للدعابة ضد الشبهات، وتكوين العقل الناقد عندهم، وفحص الحجج والبراهين والدلائل بعقل متنَّعٍ تورَّدُ عليه الشبهات؛ فيُفكِّرُها ويردُّها إلى مصادرها، وبيان تهاافت الافتراضات وتفاهتها.

كما أنها بحاجة ملحة - بجانب تعزيز تلك الأسس المنهجية في الرد على الشبهات - إلى بناء أخلاقي الداعية المتصدر للرد على تلك الشبهات و اختيار الأسلوب الأنسب في الرد على الافتراضات.

وتأتي أهمية هذا البحث في الآتي:

- 1- تأهيل معرفين بالإسلام محاورين قادرين على حوار فعال تفنّد شبهات الملاحدة.
- 2- أهمية معرفة المعرفين بالإسلام لمقدمات منهجيات وأساسيات الحوار مع الملاحدة؛ ليستوعبوا مواضيعه وحيله وأمراضهم وحكم الحوار، ومصادره التي يستقي منها.
- 3- حاجة المعرف بالإسلام إلى معرفة مصطلحات الالحاد ومفاهيمها، ومعرفة الفرق بين الالحاد القديم والحديث والالحاد في الغرب ووصول موجاتها إلى البلدان الإسلامية؛ حتى لا يختلط الحابل بالنابل، ويعرف الكل دوره وتخصصه.
- 4- معرفة ووعي عن أهمية، وفضل، وحكم تعلم فنون الحوار مع الملاحدة.
- 5- احتياج المعرف بالإسلام الشديدة إلى المنهجية التي تعينهم على رفع مستواهم، وتنمية قدراتهم، والارتقاء بهم.
- 6- حاجة الدعابة إلى تلك القضايا المنهجية التي تعين الدعابة على تنمية عقولهم وسلوكياتهم وسرعة البديهة عندهم، والارتقاء بهم، وبناء مهارات التفكير وقواعد الاستدلال.
- 7- حاجة الدعابة إلى التعامل الصحيح مع الشبهات، وإدارتها بطريقة سليمة، وحاجتهم إلى التفكير المنظم المنضبط في الخوض في هذا المضمار.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبد الرحمن السعدي رحمة الله

8 - حاجة الدعاة إلى ما يعصمهم من الهجمة الشرسة والفتن والشيمات والشهوات، التي تهدف إلى النيل منهم ومن دعوتهم، واصطياد المواقف واستعمالها في محاربة الدعوة.

إذن، فهذه الدراسة تشكل في مجموعها رؤية منهجية للمعرفين بالإسلام للحوار مع الملاحدة وتفنيده شيماتهم، وتمثل دعوة للدعاة عموماً إلى التلاقي على مجموعة من القضايا؛ التي تشكل في مجموعها رؤية منهجية لهم، ودستوراً للفكر والممارسة؛ بحيث تزداد مساحة الصواب والفاعلية، وتقلل مساحة الخطأ والإخفاق.

باعت الكتابة:

بعد الهجمات الشرسة على الإسلام وانتشار الإلحاد ونقله من الغرب إلى بلدان كثيرة ومضاعفة جهود واستثمار أموال ضخمة تصرف في نشر الإلحاد ومعادات الديانات والسعى اليومي لغزو الإعلامي وتأسيس مراكز بحثية ومنتديات وفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي والمدارس الحكومية والرويج العلني بات كل غيور على الدين حتى العوام يريد الذب عنه والرد على الشيمات والنزول إلى المناظرات من دون أن يتسلح بسلاح العلم والرسوخ فيه ومن دون منهجيات وقواعد تعينهم من دون أن نشك في نياتهم الصالحة، فإن لم نستطع إيقاف من ليس أهل للتصدي فلا أقل أن يتخصص عدد كبير من الباحثين في إعداد مناهج وأساليب ووسائل وقواعد يسهل عليهم لرفع مستواهم والتقليل من الأخطاء والبدء بكسب أعداد كبيرة من الأخصائيين ليلتلفوا حول هذا التخصص فيعودونه أكثر ويسهلونه للقاصي والداني يجعلون المنهجية السليمة منتشرة بين كل من يريد مضايقة الباطل وبيان قوة حجج الحق وتحذير الناس من الانخداع بافتراءات الملاحدة..

الاعذار إلى الله وأن جهاد الكلمة ضرب من ضروب الجهاد في سبيل الله
تعرينة الباطل

وبيان قوة حجج الحق
رد الناس إلى الحق أو فضح المناظر أمام أتباعه إذا كابر.

مشكلة البحث

ظهر لي في سنوات حياتي في ألمانيا وأنا أمارس الدعوة وأحاور الملاحدة وثم بدأت أدرِّب الدعاة أن الدعوة وتأهيل الدعوة لا تتوقف عند مجرد تأصيل شرعى ومعرفة الأدلة والرد الصحيح بل لا بد من معرفة مهارات وقواعد منهجية يلتزم بها المحاور المسلم لئلا يقع في دوامة من الأخطاء فيظهر كأن الإسلام ضعيف وليس هو.

منهجية البحث:

كان من المناسب أن أستخدم المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك للإحاطة بالموضوع من زواياه العديدة، وللخروج من الدراسة بأكبر فائدة إن شاء الله.

وقد قمت في هذا البحث بالآتي:

- اتبعت في دراستي المنهج الوصفي للتوصيف الظاهرية الإلحادية، حيث قمت بتحليل الاختلافات بين الإلحاد في العصور القديمة والحديثة. تناولت الدراسة أنواع الإلحاد المختلفة، ووضحت تاريخه

وأسبابه، مع التركيز على بيان خطره على البشرية. الهدف من هذا المنهج هو تقديم فهم شامل وشامل للإلحاد، وتحديد كيفية تأثيره على المجتمع والفرد، وتقديم الأدلة على ما يشكله من تهديدات للمعتقدات والقيم الإنسانية.

- حرصت أن يكون البحث ثريًا بآي القرآن الكريم وأحاديث النبي المصطفى ﷺ، وعمدت إلى الرجوع الدائم إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في استنباط القواعد والحكم.
- عزو الآيات المستشهد بها للسورة، وتخرج الآية برقمها عقب كل آية.
- الرجوع إلى كتب التفسير بالتأثير خاصة للبحث في معاني الآيات واستنباطاتها، والتعويل على كتب العلماء في صياغة البحث ومسائله.
- الاستشهاد بالأحاديث الصحيحة فقط، وتجنب الاستشهاد بأحاديث ضعيفة.
- تجنب ذكر الخلاف في المسائل الفقهية.
- الاستفادة من كتب، ومقالات، ودراسات معاصرة لأهل التخصص، مع مراعاة الأمانة العلمية والتوثيق في نسبة الفكرة، أو النص، أو البحث لأصحابه.
- استخدمت المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي والمنهج النقدي بشقيه السلي والإيجابي خصوصاً في نقد من تصدروا للمناظرات قبل النضوج (هل هذا ينطبق).
- كنت حريصاً على العثور على الإحصائيات التي تدعم استنتاجات البحث، وحرصت على الحصول عليها من مصادرها الأصلية. هذا الحرص كان جزءاً من منهجية البحث لضمان دقة المعلومات وصحتها، ولتعزيز مصداقية النتائج المستخلصة من الدراسة.
- حرصت على تبسيط الطرح ليكون مناسباً ومفهوماً لشريائح متعددة من الجمهور. كان الهدف من ذلك أن يكون البحث متاحاً ومفيداً لأكبر عدد من الأفراد، بغض النظر عن خلفياتهم أو مستوياتهم العلمية.

محتوى البحث

وها نحن قد وصلنا إلى محتوى البحث، والذي حسب ما اقتضاه المواضيع أن يتكون من احدى عشرة باباً مشتملة على عدة فصول ومباحث، وخاتمة.

أقسام البحث

- مقدمة البحث.
- أهداف البحث.
- أبواب البحث:

الباب الأول: الإلحاد في الغرب..

الفصل الأول: ويشتمل على المباحث التالية:

- أصول الديانات العالمية.
- مفهوم الإلحاد.

- مصطلحات تتشابه مع الإلحاد.

- مصطلحات لا بد منها: [اللادينية.. العلمانية.. التنوير.. الوجودية.. الماسونية].

الفصل الثاني: قضية الإلحاد: ويشتمل على المباحث التالية:

- الإلحاد في التاريخ.. وليس تاريخ الإلحاد.

- أقسام الإلحاد.

- الفرق بين الإلحاد القديم والجديد.

- أقسام الملاحدة في العصر الحاضر.

- رؤوس الإلحاد.

- ما المقصود بالإلحاد الذي نحن بصدده الآن؟

- أسباب الكفر بالخالق ودعواتي انتشاره.

- أسباب نشأة الإلحاد في الغرب.

الفصل الثالث: ويشتمل على المباحث التالية:

- نظريات أرست للإلحاد.

- الشيوعية ودورها في نشر الإلحاد.

- الإلحاد فكرة يهودية شيطانية.

- موت الإلحاد.. شارف على الاقتراب.

- بلدان أوروبا ليست نصرانية.

الباب الثاني: الإلحاد في العالم العربي والإسلامي..

الفصل الأول: ويشتمل على المباحث التالية:

- الملحدون العرب.

- هل أسباب انتشار الإلحاد في الغرب موجودة في العالم الإسلامي؟

- عنابة الإسلام بالعلم.

- حال الإلحاد في البلدان الإسلامية.

- الحركات الإلحادية بين المسلمين في القرن الماضي.

- أفلام خبيثة خطت للإلحاد.

- أهم وسائل الإلحاد الحديث، ومن يقف وراءها.

- لماذا يجب التحذير من وسائل الإلحاد الإلكترونية؟

- سبل التصدي لحركة الإلحاد.

الفصل الثاني: ويشتمل على المباحث التالية:

- أسباب ظهور الإلحاد في ديار المسلمين.
- أهمية معرف أسباب الإلحاد.
- سبل مواجهة الإلحاد.

الباب الثالث: ويكون من الفصول التالية:

- الفصل الأول: الشبهة.
- الفصل الثاني: الملاحظة.
- الفصل الثالث: الجدال بالتي هي أحسن.
- الفصل الرابع: أولويات الحوار.
- الفصل الخامس: قواعد الرد على المخالفين.

الفصل السادس: بعض القواعد التي تنفع المحاور مع الملاحدة ومع غيرهم.

الباب الرابع: ويشتمل على المباحث التالية:

- المعرف بالإسلام ومراحل كسب المهارات.
- من الذي ينبغي عليه التصدر للدعوة؟
- صفات المحاور المسلم.
- خاطب الناس على قدر عقولهم

الباب الخامس: ويكون من الفصول التالية:

الفصل الأول: أدلة وجود الله:

ويشتمل على المباحث التالية:

- المبحث الأول: دليل الفطرة.
- المبحث الثاني: دليل الخلق والإيجاد.
- المبحث الثالث: دليل الأحكام والإتقان.
- المبحث الرابع: دليل التخصص.
- المبحث الخامس: دليل التسوية.
- المبحث السادس: دليل التقدير.
- المبحث السابع: دليل دلائل النبوة.
- المبحث الثامن: دليل مكارم الأخلاق.

الفصل الثاني: توحيد الربوبية.

الفصل الثالث: بيان الأدلة العقلية على وجود الله.

الفصل الرابع: بيان الأدلة الحسية على وجود الله.

الفصل الخامس: بيان الأدلة الشرعية على وجود الله.
الفصل السادس: ويشتمل على المباحث التالية:

- لماذا لا يكون هناك أكثر من إله أذلي؟
- سقوط فرضية تعدد الآلهة.
- موقف المسلم من قضية الإلحاد.

الباب السادس: عرض النفيات الإلحادية:

- الشخصية القلقة.
- الشخصية الهوسية.
- الشخصية النرجسية.
- الشخصية المكبوتة.
- الشخصية الاستذهانية.
- الشخصية البارانورامية الموسوسة.
- الشخصية الإسقاطية.
- الشخصية الحدودية.
- الشخصية التابعة.
- الشخصية الفصامية المنعزلة.
- الشخصية المعتلة.

الباب السابع: ظاهرة الانتحار في صفوف الملاحدة.

ويشتمل على المباحث التالية:

- علاقة الانتحار بالفلسفة العدمية.
- التلازم بين الإلحاد والانتحار.
- ما الفرق بين الإلحاد: العبئي، والعدمي، والوجودي؟
- أكثر البلدان رُقياً مادياً، أكثرها انتحاراً.
- أشهر المنتحرين.
- الانبطهاد والانتحار بين المؤمنين والملحدين.
- الملاحدة أكثر انتحاراً وعدوانية.
- قائمة المنتحرين.. طويلة ومستمرة.
- قائمة البلدان الأكثر انتحاراً.
- ما قاله مشاهير الملاحدة لحظة موتهم.

- هل الملاحدة أكثر سعادة؟ إذن فلماذا ينتحر الشباب في اليابان وهي من أكثر الدول ازدهارا؟

الباب الثامن: الأخلاق عند الملاحدة

ويشتمل على المباحث التالية:

- من ادعاءات الملاحدة: نسبة الأخلاق.
- مفهوم الأخلاق في الإسلام.
- الانحطاط النفسي والأخلاقي وراء الإلحاد.
- الإلحاد والأخلاق الفاضلة.. طرفي نقيض.
- إذا كان الإله خرافه، فكل شيء مباح.

الباب التاسع: ويشتمل على المباحث التالية:

- نموذج من فظائع الإلحاد: أكل لحوم البشر.
- جرائم الملاحدة والعلمانيين.
- ثمانى حقائق لا تنفك عن الملحدين.
- مليون ونصف قتيل.
- الإلحاد والعنف! (كيف صنع الملحدون أشنع حروب ومجازر في العالم؟)
- فرنسا، وما أدرك ما فرنسا!
- هتلر وحربه وعلاقتها مع الداروينية.
- استخدام الأطفال في حروفهم القدرة
- الإلحاد.. وأشهر الحروب الدينية (لم يذكر الإسلام في أي منها).
- أمريكا أكبر دولة دموية على وجه التاريخ.
- مائة مليون قتيل حصيلة القرن العشرين

الباب العاشر: المرأة في الإسلام، وعند الملاحدة:

ويشتمل على المباحث التالية:

- مكانة المرأة عند الملاحدة
- المرأة بين الإسلام والإلحاد.
- حقيقة الرؤية الإسلامية.

الباب الحادي عشر: ويكون من الفصول التالية:

- مشروع GORAP
- نماذج حوارية ملخصة لدعوة الملاحدة.
- بيان بطلان وانحرافات الديانات الأخرى.

الفصل الثاني: ويشتمل على المباحث التالية:

- حقيقة الإسلام ومعناه، وإلى ماذا يدعوا؟
- القاعدة الأساسية لدين الإسلام (كلمة التوحيد).
- لماذا خلقنا الله؟
- ماذا سأجد في مصادر الإسلام؟

الفصل الثالث: ويشتمل على المباحث التالية:

- الإسلام وحرب المصطلحات.
- الرد على الشبهات المثارة حول الإسلام.
- الرد على شبهة أهل الكتاب ومشري العرب في القرآن.
- شبهة مشكلة الشر، والرد عليها.
- الرد على شبهة تقدم الدول العلمانية وتخلف الدول الإسلامية.
- تعريف الإرهاب، وحقيقة في الإسلام، وعنده الغرب.

الخاتمة التوصيات والمصادر.

وهكذا تشكلت خطة البحث. وسألتزم -بإذن الله- بالاختصار ووضوح العبارة وبالقواعد المتبعة في كتابة البحوث، من عزو الآيات وتخریج للأحاديث وتوثيق الأقوال إلى أصحابها ومصادرها الأصلية ما أمكن. والله تعالى أسائل أن يجعل هذا العمليسير مباركاً، نافعاً، خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في حياتي وبعد مماتي، وأن ينفع به كل من انتهى إليه؛ فإنه تعالى خير مسئول، وأكرم مأمول وهو حسينا ونعم الوكيل. سبحانك الله وبحمدك،أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

الفقير إلى رحمة رب

جوتياز بامرني

أهداف بحث منهجية الحوار مع الملاحدة وإبطال شبهاتهم:

إعداد منهجية علمية لتأهيل دعاة على أسس الحوار مع الملاحدة وترتيب الأولويات الحوارية للدعاة ووضع قواعد مهمة تسهل لهم البدء بالتدريب على تفنيد شبهات الملاحدة بدءً بتحقيق الأهداف الآتية:

- 1- أن يتعرف المحاور على مفهوم الإلحاد.
- 2- أن يتعرف المحاور على الأسباب والدوافع المؤدية للإلحاد.
- 3- أن يعرف المحاور أقسام الإلحاد.
- 4- أن يتعرف المحاور على أبرز مجازر الملحدين في العالم وحرفهم.
- 5- أن يكتسب المحاور مهارات تفنيد الشبهة وإبطالها.
- 6- أن يكتسب المحاور مهارة الرد على المخالفين في القضايا المختلفة.
- 7- أن يترسخ لدى المحاور هشاشة الشبهات.
- 8- أن يتعرف المحاور على الأسس المنهجية في الحوار مع الملاحدة.
- 9- أن يكتسب المحاور مهارات عرض براهين وجود الخالق سبحانه وبراهين صحة الإسلام.

باب الأول: الإلحاد في الغرب.

الفصل الأول: حقيقة الإلحاد والألفاظ ذات الصلة:

ويشتمل على المباحث التالية:

- المبحث الأول: أصول الديانات العالمية.

- المبحث الثاني: مفهوم الإلحاد.

- المبحث الثالث: الفرق بين الكفر والإلحاد والشرك

- المبحث الرابع: مصطلحات تتشابه مع الإلحاد:

- المبحث الخامس: مصطلحات لا بد منها:

الفصل الأول: حقيقة الإلحاد والألفاظ ذات الصلة

المبحث الأول: أصول الديانات العالمية:

هناك أصناف كثيرة جداً من غير المسلمين، وأدیانهم متفرعة، وفي كل دين انقسامات وفرق كثيرة، وهنا سنحاول أن نعرض أصول الديانات العالمية الموجودة، والتي هي ثلاثة:

1- أهل الكتاب (اليهود والنصارى).

2- الوثنيون (عبد الأصنام والأشجار، والأحجار، والأشخاص، والكواكب والنجوم، الحيوانات، والأزمان).

3- الملحدون.

مع التنبيه إلى أمور عامة في هذا الباب، وهي إجمالاً:

1- لا يلزم للداعية أن يتعلم معالم دعوة هؤلاء كلهم، ولكن على الدعاة أن يحصل بينهم تنوع وشمول وتكامل في دراسة هذه الأديان، ليكون لدى الدعوة متخصصون في دعوة أهل كل دين، مع أهمية المعرفة المجملة بباقي الأديان المخالفة للإسلام.

2- لا بد للدعاة أن يدرسوها كيفية دعوة أهل الأديان المنتشرة في بلادهم، أو التي توجد لها دعوات أو منظمات تدعوا لاعتناقها في منطقة عملهم الدعوي.

3- سيتُذكر معالِم عامة لدعوة الملاحدة، وكيفية الرد على شهادتهم دون التطرق إلى عقائد وشرائع بقية الأديان، حيث إن ذلك من مهام أهل التخصص في العقيدة والأديان.

4- سيتُتناول أساسيات الرد على الشهادات دون التصدي إلى تفصيلاتها، وإنما سنترك ذلك لمن يتخصص أكثر في الحوار مع الملاحدة حيث أن هناك مواد أخرى تفند تلك الشهادات بطريقة السؤال والجواب.

5- مراعاة أنه لا يصلح لدعوة أصحاب الأديان المختلفة إلا أهل الاختصاص، مع الإتقان والفهم الصحيح للدين الإسلامي أولاً، ثم للدين الذي سيتم دعوه أهله حتى لا تكون فتنة للداعي والمدعو، فهذا الأمر يحتاج إلى علم وخبرة وذريعة وشخصية مميزة قادرة على الإقناع والتأثير وحسن الحوار والجدال.⁽³⁾

(3) موسوعة ذليل الداعية، المدعون، أ.د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي ص 179.

المبحث الثاني: مفهوم الإلحاد لغة واصطلاحاً الإلحاد لغة:

في الأصل هو: "الميل والعدول والانحراف عن أصل الشيء، والظلم والجور، والجدال والمراء، يقال: لحد في الدين لحداً، وألحد إلحاداً لمن مال وعدل وماري وجادل وظلم"⁽⁵⁾، ومُلحد (جمع): ملاحدة أو ملحدون وكلاهما صحيح.

واللحد: الشق الذي يعمل في جانب القبر لموضع الميت؛ لأنَّه قد أُميلَ عن وسط القَبْر إلى جانبه.⁽⁶⁾

مفهوم الإلحاد في الاصطلاح:

يَئِن الإمام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- معنى الإلحاد بمثل معناه المعاصر، فقال: "فَإِنَّ إِلْهَادَ الْمُحْضَ، نَفِيَ الصَّانِعُ بِالْكُلِّيَّةِ، وَأَنَّ هَذَا الْعَالَمُ الْمُوْجَدُ لَيْسَ لَهُ صَانِعٌ".⁽⁷⁾

وقد عرفه ابن حَبَّنَكَةَ -رحمه الله تعالى- وهو من المعاصرين فقال: "الإلحاد هو إنكار وجود ربٍ خالقٍ لهذا الكون، متصرفٍ فيه يدبُّر أمره بعلمه وحكمته، ويُجري أحدهاته بإرادته وقدرته".⁽⁸⁾

والإلحاد هو مذهب فلسي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى، فيدعى المخدعون بأنَّ الكون وُجِدَ بلا خالقٍ وأنَّ المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت. ومما لا شك فيه أنَّ كثيراً من دول العالم الغربي والشرقي تعاني من نزعة إلحادية عارمة جسدها الشيوعية المنهارة والعلمانية المخادعة.⁽⁹⁾

والإلحاد في الشرع هو:

الكفر بالله تعالى، والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد، وتجدد الرسائلات السماوية، وتکذيب الأنبياء، وإنكار الحياة الآخرة والبعث والجنة والنار، وتکريس العمر للدنيا فقط. وقيل أنَّ الإلحاد هو الميل عن الحق، والانحراف عنه بشتى الاعتقادات، والتأويل الفاسد، والمنحرف عن صراط الله والمعاكس لحكمه يسمى ملحداً.⁽¹⁰⁾

و"الإلحاد، هو إيمان مبني على الفروض المتشوهة والخيالات الخاطئة، بعكس الإيمان الديني المبني على بديهييات فطرية وقطعيات نرصدها بأعيننا وأوليات عقلية وبراهين شرعية".⁽¹¹⁾

(4) تم تلخيص مادة هذا المبحث من كتاب كيفية دعوة الملحدين للشيخ سعيد بن وهف القحطاني، وينظر كتاب سbagat لأحمد السيد، وبرنامج صناعة المحاور وصفحته على اليوتيوب.

(5) انظر: القاموس المحيط ص104، المعجم الوسيط 2/817 ، ومختار الصحاح ص 247.

(6) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير 4/236.

(7) جامع المسائل-المجموعة الرابعة، شيخ الإسلام ابن تيمية، 1/425.

(8) كواشف زيف في المذاهب الفكرية المعاصرة، عبد الرحمن بن حسن حَبَّنَكَةَ، ص 433.

(9) المصدر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

(10) انظر: الأرجوحة المقيدة لمحاجات العقيدة للشيخ عبد الرحمن بن محمد الدسوقي، ص 40.

(11) الإسلام والإلحاد وجهًا لوجه، د. هيثم طلعت، ص 8.

المبحث الثالث: الفرق بين الكفر والإلحاد والشرك

- الكفر: هو نقيض الإيمان، ويكون بالقول: كَسَبَ اللَّهُ أَوْ سَبَّ رَسُولِهِ أَوْ سَبَّ الدِّينِ، ويكون بالفعل: كالسجود للصنم، أو الذبح لغير الله، أو رمي المصحف في القاذورات – عياذاً بالله -. ويكون أيضاً بالاعتقاد: كمن يعتقد أن بوسعيه الخروج على الشريعة الإسلامية، أو كمن يعتقد قدِم العالم.

قال أبو محمد بن حزم في الإحکام: "الکفر صفةٌ مَنْ جَحَدَ شَيْئاً مَا افْتَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِيمَانَ بِهِ بَعْدَ قِيَامِ الْحَجَةِ عَلَيْهِ بِبَلوغِ الْحَقِّ إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ دُونَ لِسَانِهِ أَوْ بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ أَوْ بِهِمَا مَعًا، أَوْ عَمَلَ عَمَلاً جَاءَ النَّصُّ بِأَنَّهُ مُخْرَجٌ لَهُ بِذَلِكَ عَنْ اسْمِ الْإِيمَانِ"¹²

- الشرك: يتضمن الإيمان بالله عز وجل والإقرار به، ولكن يشمل أيضاً الإيمان بشريك الله في خلقه يخلق، أو يرزق، أو بيده النفع أو الضر، وهذا شرك الربوبية، أو الإيمان بشريك يُصرف له شيء من العبادة محبةً وتعظيمًا، كما تُصرُفُ لله سبحانه وتعالى، وهذا شرك العبادة.

- الإلحاد: كما بینا سابقًا هو إنكار وجود الخالق، وعدم الاعتراف به سبحانه وتعالى، وأنَّ العالم بأسره قد جاء على حسب زعمهم بمحض الصدفة؛ وهو مذهب غريب مناف للفطرة والعقل والمنطق السليم، ومناقض لبدهيات العقل ومسلمات الفكر.

¹² الإحکام في أصول الأحكام لابن حزم.(1/49)

المبحث الرابع: مصطلحات تتشابه مع الإلحاد: أولاً: الردة:

هي أن يكفر المسلم البالغ العاقل باختياره - دون إكراه من أحد بعد ثبوت إسلامه، حتى وإن لم ينطق بالشهادتين، مع علمه بأركان الإسلام - بأن يصرح بكلمة الكفر لأن يقول: "كفرت بدين الإسلام"، أو يأتي فعلاً لا يتحمل غير إرادة الخروج عن الإسلام.

ثانياً: النفاق:

هو أن يُظهر الإنسان الإيمان بلسانه، فينطئ بالشهادتين، وربما يأتي بعض أفعال الإسلام الظاهرة كالصلوة والحج والزكاة ونحو ذلك، لكنه يكتم كفره بدين الله بقلبه، وهذا النفاق يختص بالعقيدة وحدها دون غيرها، فمن أخفى شيئاً وأظهر خلافه في غير العقيدة لا يسمى منافقاً.

ثالثاً: الزندقة: لفظ أعمجي مُعرَّب أخذَ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام، وكانت تُطلق على من يؤمن بعقيدة المجروس، ثم توسعوا في استعمالها على كل إنسان يشك في الدين أو يجد شيئاً مما ورد فيه، والفقهاء يطلقونه على المنافق الذي يُبْطِنُ الكفر، ويُؤْهِلُ الإسلام، وبعضهم يطلقه على الجهمية⁽¹³⁾، والإمام أحمد - رحمه الله - يطلقه على علماء المعتزلة⁽¹⁴⁾، وبعضهم يطلقه على الدهرية، وبعضهم يطلقه على الوثنية المجروس⁽¹⁵⁾.

رابعاً: الدَّهْرِيَّةُ:

هي فرقة تؤمن بقدِّم الدَّهْرِ، ولا يؤمنون بالبعث، وينكرون حشر الأجساد، ويقولون: {مَا هِيَ إِلَّا حَيَا ثُنْدِرًا تَمُوتُ وَنَخِيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية: 24]، ولا يعترفون بإسناد الحوادث إلى الخالق سبحانه وتعالى.

أهِمَّا أَشَدَّ كُفْرًا: المُلْحَدُ أمُ الزَّنْدِيقُ أمُ الدَّهْرِيُّ؟

إن المُلْحَدُ أوسُعُ فرق الكفر حداً، وهو أعمُّهم جميعاً، فهو الكافر مطلقاً، سواء تقدمه إسلامه أم لا، أظهر كفره أم أخفاه، فالمُلْحَدُ يشمل كل أوصاف السابقين.

المبحث الخامس: مصطلحات لا بد منها:

وهذه أيضا جملة من المصطلحات والقضايا التي قد تتشابك مع مفهوم الإلحاد في بعض النقاط، وتختلف معه في نقاط أخرى، وطرح تلك المصطلحات هنا ليس من باب الترف الفكري الذي يمكن الاستغناء عنه، وإنما هو أمر ضروري لطالب العلم كي تتشكل لديه صورة كلية عنها تمكنه من التمييز فيما بينها، وخاصة لمن يكن لديه خلفية مسبقة بشأنها، وهي: مصطلح اللادينية وما يندرج تحتها من فروع ثلاثة: (الإلحاد، واللادينية، والريبيون)، ومصطلح العلمانية، ومصطلح الماسونية، ومصطلح التنوير.

(13) الجهمية أو المغطلة هي فرق كلامية تتبع إلى الإسلام، وهي إحدى فرق غلاة المرجئة التي ظهرت ردًا على الخوارج الذين يُكْفِرُون بالذنب، ظهرت في الربع الأول من القرن الهجري الثاني على يد مؤسسها الجهم بن صفوان الترمذاني، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت دعوته بتزمر، وقتله سلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية.

(14) فرقة كلامية ظهرت في أواخر العصر الأموي (بداية القرن الثاني الهجري) في البصرة واذدهرت في العصر العباسي، أسسها وأوصل بن عطاء، وذلك عندما تكلم في حكم مُرتكب الكبيرة، فقال: إِنَّهُ فِي مَنْزِلَةِ بَيْنِ الْمَنْزَلَتَيْنِ، وكان في حُكْمِ الْحَسَنِ الْبَصَرِيِّ، ثُمَّ اعْتَذَلَهُ بِسَبِّ هَذِهِ الْمَسَالَةِ، وسُمِّمَ (المُعَتَلَةُ).

(15) هؤلاء هم أصحاب الاثنين الأذليين: يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجروس فإنهم قالوا بحدث الظلام، وذكروا سبب حدوثه.

أولاً: اللادينية

اللادينية: هو مصطلح يعني عدم اتخاذ أي دين كمرجع أخلاقي وشريعي.

ولقد قام البعض بتقسيم اللادينيين - من حيث نظرتهم إلى الإله - إلى ثلاثة فروع:

1- المحدون:

وهم من أنكروا وجود رب خالق لهذا الكون، ... واعتبار الكون أو مادته الأولى أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار الحياة - وما تستتبع من شعور وفكرة حتى قيمتها الإنسان - من أثر التطور الذاتي للمادة.⁽¹⁶⁾

2- اللاأدرية:

هي طائفة تعتقد بأنه لا يوجد دليل يستطيع إثبات وجود الله من عدم وجوده؛ فنحن لا ندري هل الله موجود أم غير موجود؟!، ولا ندري هل هناك عالم آخر غير الذي نعيش فيه أم لا؟!، ولا ندري هل هناك ثواب وعقاب أم لا؟!.

فاللادري يرى أن كل معرفة هي معرفةٌ نسبيةٌ، وليسَ يقينية، وأنه لا يمكن الجزم بأمر ما، فما أراه صائباً يراه غيري خطأً، والعكس قد يحدث، بل إن حكم الإنسان في أمر من الأمور قد يختلف من وقت إلى آخر، ومن ظروف إلى أخرى؛ ولذلك فالأفضل أن أقول إنني لا أدري".

وهكذا يتضح لنا أن اللادري شأنه في ذلك شأن الأعمى التائه الذي لا يدركُ أي سبِيلٍ يسلكه، فهو كريشه في مهبِ الريح، تحملها كييفما شاء، لا حيلة له ولا إرادة؛ فأكثريتهم ليس لديهم استعداد ولا رغبة في التعلم الجاد والاطلاع على أدلة المسلمين والتي فيها الحق المبين.

والتفكير اللادري لا يشبع حاجة الإنسان بأي حال من الأحوال، بل يجرّده من شخصيته ويتركه في متاهة، ولن يفيده ذلك ولن يعفيه من مواجهة المصير المحظوم، ومن العقوبة المستحقة عندما يُحاسب أمام الديان العادل، إنه يوم الحسنة حيث يندم الكافر على كفره، والظالم على ظلمه في يوم لا ينفع فيه الندم؛ قال تعالى {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمْ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غافر: 52].

3- الربوبيون:

أحد مذاهب اللادينية، وأحد أنواع الإلحاد المعاصر، وهي اعتقاد وجود خالق للكون، ولكنه لا يتدخل في شؤون خلقه، فلا يرسل رسلاً، ولا ينزل كتاباً، ولا يجمع الناس في يوم آخر ليجازيهم على أعمالهم! فهي إنكار للوحي، والنبوات، والأديان، واعتماد على العقل المجرد في تأسيس العلاقة بالخالق!

(16) انظر: كواشف زيف المذاهب المعاصرة، لعبد الرحمن الميداني، ص409

ثانياً: مصطلح العلمانية (Secularism)

العلمانية هي نتاج صراع ممرين، ومخلفات عقود من المعاناة عاشهما الغرب المسيحي في ظل أوضاع غایة في التخلف والقسوة ، وليس العجب في تلك الأوضاع من حيث هي، ولكن العجب في ارتباط تلك الأوضاع المأساوية بالدين ، فقد غدت الكنيسة في الغرب المسيحي مصدرًا للظلم ومُعيِّناً للظالمين، وهي في ذات الوقت مصدر للجهل، وانتشار الخرافية والدجل، وأصبح رجال الدين (الاكليروس) عبئاً ثقيلاً، وكابوساً مريعاً، يسومون الناس سوء العذاب فكريأً ومالياً وجسدياً، فقد كانت الكنيسة سنداً قوياً لرجال الإقطاع، بل كانت هي أعظم الإقطاعيين، الذين يستعبدون العامة فيستخدموهم وأولادهم في العمل في أراضيهم ويفرضون عليهم قيوداً وشروطًا وإتاوات، جعلت من حياتهم جحيناً لا يطاق، كحرمانهم وأولادهم من العلم، وأخذ جزء كبير من محصول الأرض التي يحرثونها، واستباحة الإقطاعي زوجة العami، فإذا ما انتقلنا إلى جانب الخرافية فنجد أن الكنيسة قد رسخت في الناس الخرافية باسم الدين، فهناك صكوك الغفران التي يشتريها العامة مرغمين في بعض الأحيان، والتي بمقتضاهما تزعم الكنيسة أنه يُغفر للإنسان ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهناك العشاء الرباني وهو عبارة عن وجبة خبز وخمراً يأكلها العامي، ليتجدد بالمسيح حسب زعم الكنيسة، فليس الخبز - حسب زعمهم- سوى لحم المسيح ، وليس الخمر سوى دمه، في خرافية يأبى العقلاء تصديقها.

تعريف العلمانية:

ولقد "كان معنى مصطلح العلمانية في البداية محدود الدلالـة ولا يتسم بأي نوع من أنواع الشمول أو الإبهام، إذ تمت الإشارة إلى "علمـنة" ممتلكات الكنيسة وحسب، بمعنى نقلها إلى سلطـات غير دينـية، أو إلى سلطة الدولة أو الدولـة التي لا تخـضع لسلطة الكنيسة.

ولكن المجال الدلالي لـلكلمة اتسـع، وبدأت تتجـه نحو مزيد من الإـبهام على يـد جـون هـوليـوك، وهو أول من صـك المصطلـح بـمعناـهـ الحديثـ وـحـولـهـ إـلـىـ أحدـ أـهـمـ المصـطلـحـاتـ فـيـ الخطـابـ السـيـاسـيـ وـالـاجـتمـاعـيـ وـالـفـلـسـفـيـ الغـرـبيـ. وقد حـاولـ هـوليـوكـ أـنـ يـأـتـيـ بـتـعرـيفـ تصـورـ أـنـ مـحاـيدـ تـمامـاـ لـيـسـ لـهـ عـلـاقـةـ بـمـصـطلـحـاتـ مـثـلـ مـلـحـدـ أـوـ لـأـدـريـ، فـعـرـفـ العـلـمـانـيـةـ بـأـنـهـاـ "الـإـيمـانـ بـإـمـكـانـيـةـ إـصـلاحـ حـالـ إـلـنـسـانـ مـنـ خـلـالـ الطـرـقـ المـادـيـ دونـ التـصـديـ لـقـضـيـةـ إـيمـانـ سـوـاءـ بـالـقـبـولـ أـوـ الرـفـضـ".

والتطور اللاحق لـمعنى المصـطلـحـ لمـ يـسـاعـدـ الـأـمـرـ كـثـيرـاـ فـقـدـ تـقـلـصـ عـنـ بـعـضـ المـفـكـرـينـ بـحـيثـ أـصـبـحـ يـعـنيـ (فصل الدين عن الدولة) Separation Of Church And State، وـهـيـ مـنـ أـكـثـرـ التـعـرـيفـاتـ شـيـوعـاـ لـلـعـلـمـانـيـةـ فـيـ الـعـالـمـ، سـوـاءـ فـيـ الغـرـبـ أـوـ فـيـ الشـرـقـ، وـهـيـ عـبـارـةـ تـعـنيـ حـرـفـيـاـ: فـصـلـ المؤـسـسـاتـ الـدـينـيـةـ (ـالـكـنـيـسـةـ) عـنـ المؤـسـسـاتـ السـيـاسـيـةـ (ـالـدـولـةـ)، وـالـعـبـارـةـ تـحـصـرـ عـمـلـيـاتـ الـعـلـمـنـةـ فـيـ المـجـالـ السـيـاسـيـ وـرـبـماـ الـاـقـتصـاديـ أـيـضاـ (ـرـقـعـةـ الـحـيـاةـ الـعـامـةـ) وـلـاـ تـشـيرـ مـنـ قـرـيبـ أـوـ بـعـيـدـ إـلـىـ شـتـىـ النـشـاطـاتـ إـلـنـسـانـيـةـ الـأـخـرىـ".⁽¹⁷⁾

ثم إن هذا المـفـهـومـ تـطـورـ فـيـماـ بـعـدـ، وـأـصـبـحـتـ الـعـلـمـانـيـةـ تـعـنيـ الـبـعـدـ عـنـ الـدـينـ وـاعـتـبارـهـ عـلـاقـةـ روـحـيـةـ مـحـصـورةـ فـيـ الـمـسـجـدـ أـوـ الـكـنـيـسـةـ، وـلـاـ عـلـاقـةـ لـهـ بـشـؤـونـ الـحـيـاةـ الـعـامـةـ وـالـخـاصـةـ.

(17) دكتور عبد الوهاب المسيري، كتاب العلمانية تحت المجهر ص 12

العلمانية والدين الإسلامي:

ونستطيع أن نخرج من تعريف العلمانية، وبيان أسباب نشأتها في أوروبا بأمرین غایة في الأهمية:

- الأمر الأول: فيما يتعلق بالتعريف، فتقول: "إن العلمانية تشكل تناقضًا صريحةً للدين، وتمثل منازعة حقيقة للسلطة الإلهية، فبينما تعطي الأديان السماوية السلطة خالصة لله سبحانه في تصريف الكون والإنسان، نجد في المقابل العلمانية تضع ذلك في يد الإنسان نفسه، فهو من يشرع لنفسه ويضع لها النظم والقوانين، وهو من يحدد لنفسه قيمَ الخير والشر، والمصالح والمضار، في غنى تام عن الدين، ونظرًا لهذا التناقض الصريح والتنافر الكبير بين الأديان عامة - والدين الإسلامي خاصة - وبين العلمانية، نص العلماء على أن العلماني بهذا المعنى خارج من الدين، مارق منه.

- الأمر الثاني: ما يتعلق بأسباب ظهور العلمانية في المجتمع الغربي، وهي وإن كانت أسباباً قد تكون موضوعية إلا أن تلك الأسباب كان ينبغي أن تدفع المسيحي إلى البحث عن الدين الحق، لا أن تدفعه إلى الإلحاد ومعاداة الدين.

الدين الإسلامي ليس كالنصرانية المحرفة:

ثمة أمر آخر ينبغي التذكير به، وهو أن تلك الأسباب التي أدت إلى بروز العلمانية في المجتمع الغربي، لم يكن لها وجود أبطة في الشرق الإسلامي، فالدين الإسلامي ليس كالنصرانية المحرفة، وعلماء الإسلام لم يكونوا إقطاعيين ظلمة كرجال الدين المسيحي، وموقف الإسلام من العلم ليس موقفاً مصادماً للعلم كموقف الكنيسة، بل موقف الإسلام من العلم موقف الحاث عليه، الداعي إلى الاستزادة منه، والبحث عنه، ما دام نافعاً للناس في دينهم ودنياهم، وهو في ذات الوقت دين ينكر الخرافية ويحاربها، ويعلي قيمة العقل على خلاف تعاليم الكنيسة.

فالإسلام دين عقيدة وشريعة استوعبت مجالات الحياة وحكمتها، في حين أن النصرانية المحرفة خالية إلى حد كبير من المجال التشريعي، فهي جانب روحي أخلاقي، وعليه فمن الطبيعي أن يبحث الناس على تشريعات تنظم حياتهم وسلوكهم، وهو ما لم يجدوه في النصرانية المحرفة، كل هذه الأسباب التي أدت إلى ظهور العلمانية في الغرب المسيحي، لا يوجد منها سبب في الشرق الإسلامي، والسؤال الذي يفرض نفسه هنا ما دام أن الأسباب التي أدت إلى ظهور العلمانية في الغرب لم يتوافر ولو بعضها في الشرق الإسلامي فلماذا تفرض علينا، ونساق إليها، وفي ديننا غنية وكفاية؟!

ثالثاً: مصطلح التنوير

إن التنوير هي قضية أوروبيةٌ محضر، ابنت في المحيط الأوروبي، نتيجة ظروف كانت تسود المجتمعات الأوروبية، وكرّ فعل لهايمنة الكنيسة الغربية على الحياة العقلية والفكريّة والثقافية في أوروبا؛ ولذلك فإن قيام مفهوم التنوير الأوروبي على إلغاء دور الدين في الحياة، مسألةٌ طبيعية، إذا نظرنا إليها من زاوية ما كانت تمارسه الكنيسة الغربية من ضروب الاستبداد وألوان القهر، وما كانت تُشيّعه من أباطيل وخرافات، وبحكم أن أوروبا كانت عندئذ، تعيش العصور المظلمة، في حين كان العالم العربي الإسلامي يعيش ازدهاراً حضارياً واسعاً الإشعاع.

التنوير والقرون الوسطى المظلمة لا تمثّلنا

إن التنوير في المفهوم الغربي، كان تنويراً للقرون الوسطى المظلمة التي عاشتها أوروبا، وهنا ينبغي أن ننبه إلى أن كلمة (القرون الوسطى المظلمة)، لا تمثلنا، ولكنها تمثل أوروبا والغرب، حين سقطت روما في القرن الرابع، وعادت النهضة في القرن الرابع عشر، أما نحن المسلمين فقد قدمنا الضياء للإنسانية والعالم كله منذ بزوغ الإسلام في القرن السادس خلال ألف سنة كاملة.

لقد قام المسلمون في القرون الوسطى المظلمة في أوروبا بإعادة نور الحضارة والمدنية الذي كان قد انطفأ في جميع بلاد الغرب والشرق حتى القسطنطينية.

لقد كانت حركة التنوير في أوروبا ردّ فعلٍ طبيعيٍ على الجبروت التي كانت السلطات الكنسية تمارسه ضد العقل والإرادة الإنسانية، وهو وضعٌ لم تعرفه الحضارة الإسلامية، وحاله لم يعشها المسلمون قط.⁽¹⁸⁾
يقول الدكتور محمد السيد الجليني: "إن مصطلح التنوير -كغيره من المصطلحات العلمانية- وفد إلينا من الغرب ضمن مجموعة المصطلحات التي غزت ثقافتنا المعاصرة خلال حركة الاتصال الحديثة بين مصر والعالم الغربي -خاصة فرنسا- خلال القرنين الأخيرين".⁽¹⁹⁾

ولقد نشأ هذا المصطلح في ظروف تاريخية عاشتها دول أوروبا شرقاً وغرباً، كانت ثقافة الشعوب في أوروبا خلالها قاصرة على ما تملّيه عليهم سدنة الكنيسة ورجالها، وكانت السيطرة الثقافية واللاهوتية وتفسير الظواهر الطبيعية خاضعة لرجال اللاهوت الكنسي، لا يجوز مخالفتها، باعتبار ذلك وحياً لا تجوز مخالفته، مما أسفر عن وجود صراع مميت بين الكنيسة والعلماء بدأت قصته منذ أيام "نيكولاوس كوبرنيكوس"، الذي أعلن عن آرائه في الطبيعيات والفلك ومركز الكون، وكلها على نقيس ما يدعوه رجال الكنيسة، وانسحب ذلك الموقف بكلمه على الدين بمفهومه العام.

ولا شك - أن هؤلاء العلماء الذين عاشوا تلك المعركة كان ينقصهم العلم بالدين الصحيح، الذي نزل على عيسى عليه السلام، فضلاً عن جهلهم التام بالإسلام واحتضانه للعلم، وتكريمه للعلماء، ولا شك أيضاً أن رجال الكنيسة الذين أعلنوا هذه الحرب التاريخية على العلم والعلماء قد أساءوا إلى المسيحية، وأفسدوا بموقفهم هذا حركة التاريخ المعاصر؛ فلا هم انتصروا لديهم، ولا هم حققوا النصر على عدوهم، بل كانوا بموقفهم هذا الباب الطبيعي الذي فتح على مصارعيه لدعاة الإلحاد والثورة على الكنيسة والدين معاً، حيث صوروا الموقف على أنه معركة بين الدين والعلم، وليس بين رجال الكنيسة والعلماء، وكان مفهوم التنوير يعني التحصن بمنطق

(18) موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، الدرر السنوية.

(19) كتاب: "فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغربي" (ص 12-17) / دكتور محمد السيد الجليني.

العلم والعلانية، ضد هذا الدين ورجاله.

انتقال المعركة إلى عالمنا العربي:

ولقد انتقلت المعركة بكل ملابساتها وظروفها إلى عالمنا العربي بدون أن يفطن دعاة التنوير إلى أن الإسلام ليس هو الكنيسة، ولا عالمنا العربي هو أوروبا، ولا الحضارة الإسلامية هي الحضارة الأوروبية في عصورها المظلمة، فليس الدين عندنا رافضاً للعلم، ولا محارباً للعقل، ومع ذلك أخذوا يصورون المعركة على أنها صراع بين الإسلام والعلم، وكان النموذج الغربي في نظرهم هو المثل والقدوة التي ينبغي أن نحنو حذوها، ونسير في ركابها، حتى لو دخلوا حجر ضب خرب لدخلناه معهم؛ فأعلنوا الحرب على الإسلام ورجاله، ولو أنصف هؤلاء لبدأوا دعوتهم من حيث بدأ الإسلام، الذي يجعل العلم ديناً وفيضة، يجعل حاكم العقل في عالم الشهادة ميزاناً لا يخطئ، ولو أنصفوا لفرقوا بين الإسلام والكنيسة، وبين الشرق والغرب⁽²⁰⁾.⁽²¹⁾

(20) ثقافة التلبيس، سليمان الخراشي، موقع صيد الفوائد نقلًا عن د. محمد السيد كتاب فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي، ص 12

(21) إبراهيم بن توفيق البخاري، موقع صيد الفوائد

رابعاً: الوجودية

الوجودية مذهب أدبي فلسي ظهر في الأدب الغربي في القرن العشرين، وهو مذهب إلحادي يركز على الوجود الإنساني، وأنه لا يوجد شيء سابق عليه ولا بعده، وأن الإنسان هو الذي يستطيع أن يتولى أمره دون ارتباط بخالقه، دون تقييد بقيم خارجة عن إرادته، بل هو الذي يختار القيم التي تنظم حياته.

ودخل المذهب الوجودي مجال الأدب على يد الفيلسوف الفرنسي (جبريل مارسيل) المولود عام 1889م، وقد أوجد ما أسماه الوجودية المسيحية، ثم الأديب الفرنسي جان بول سارتر المولود عام 1905م والذي يعد رأس الوجوديين الملحدين، والذي يقول: "إن الله خرافة ضارة" تعالى الله عما يقول هذا الملحد علواً كبيراً.

وهو مذهب يدعى الإنسان إلى التخلص من كل موروث عقدي، أو أخلاقي، وممارسة الإنسان لحياته بحرية مطلقة دون أي قيد.

وينتشر هذا المذهب في فرنسا بوجه خاص، وببلاد الغرب بوجه عام، ولا شك أن هذا المذهب في نظر الإسلام مذهب إلحادي من اعتنقه مرق من الإسلام، وكفر بالله العظيم.⁽²²⁾

خامساً: الماسونية

هي جمعية سرية سياسية تهدف إلى القضاء على الأديان والأخلاق الفاضلة، وإحلال القوانين الوضعية والنظم غير الدينية محلها، وتسعى جهدها في إحداث انقلابات مستمرة وإحلال سلطة مكان أخرى بدعوى حرية الفكر والرأي والعقيدة. ويؤيد ذلك ما أعلنه الماسوني ... في مؤتمر الطلاب الذي انعقد في 1865م في مدينة لييج التي تعتبر أحد المراكز الماسونية من قوله: "يجب أن يتغلب الإنسان على الإله، وأن يعلن الحرب عليه، وأن يخرق السماوات ويمزقها كالأوراق".

يؤيد ما ذكر في المحفوظ الماسوني الأكبر سنة 1922م صفحه 98 ونصه: "سوف نقوى حرية الضمير في الأفراد بكل ما أوتينا من طاقة، وسوف نعلنها حرباً شعواء على العدو الحقيقي للبشرية الذي هو الدين". ويؤيد أيضاً قول الماسونيين: "إن الماسونية تتخذ من النفس الإنسانية معبوداً لها"، وقولهم: "إنا لا نكتفي بالانتصار على المدينين ومعابدهم، إنما غايتنا الأساسية إبادتهم من الوجود".

مضابط المؤتمر الماسوني العالمي سنة 1903م صفحه 102، وقولهم: "ستحل الماسونية محل الأديان وأن محافلها ستحل محل المعابد...". إلى غير هذا مما فيه شدة عداوتهم للأديان وحرابهم لها حرباً شعواء لا هواة فيها. ولا تزال الجمعيات الماسونية من أقدم الجمعيات السرية، ولا يزال منشؤها غامضاً وغايتها غامضة على كثير من الناس، بل لا تزال غامضة على كثير من أعضائها؛ لاحكام رؤسائها ما بيتو من مكر سيء وخداع دفين ولشدة حرصهم على كتمان ما أبرموه من تخطيط، وما قصدوا إليه من نتائج وغيارات؛ ولذا يُدَبِّرُ أكثرُ أمورها شفوياً. وإن أريد كتابة فكرة أو إذاعتها عرضت قبل ذلك على الرقابة الماسونية لتقرها أو تمنعها.

وقد وُضِعَتْ أساسُ الماسونية وفقَ نظرياتٍ تمَّ أَحْذَهَا من مصادر عدَّة، أَكْثُرُهَا مِنَ التقاليد اليهودية، ويؤيد ذلك أن النُّظُمُ والتَّعَالِيمُ الْهُوَدِيَّةُ هي الَّتِي اتَّخَذَتْ أَسَاسًا لِإِنْشَاءِ الْمَحْفَلِ الْأَكْبَرِ سَنَةَ 1717م مَعَ وَضْعِ رَسُومِهِ وَرَموزِهِ. والماسونيون لا يزالون يقدسون حiram الْهُوَدِي⁽²³⁾، ويقدسون الهياكل والمعبد الذي شيده حتى اتخذوا منه

(22) أديان وفرق ومناهج. إسلام ويب.

(23) حiram أبيف Hiram Abif: هو رمز المهندس الأعظم الذي تجد أدواته الهندسية في كل رموز الماسون، يقولون إنه المهندس الذي كلفه سليمان بناء الهيكل، وأنه من بني

نماذج للمحافل الماسونية في العالم، وأن كبار الأساتذة من المهدود لا يزالون العمود الفقري للساسة، وهم الذين يمثلون الجمعيات اليهودية في المحافل الماسونية، وإليهم يرجع انتشار الماسونية والتعاون بين الماسونيّين في العالم، وهم القوة الكامنة وراء الماسونية، وإلى خواصهم تُسند قيادة خلاياها السرية، يدبرون أمرها، ويرسمون الخطط لها، ويوجهونها سرًا كما يشاؤن.

ويؤكد ذلك ما ذكر في سجلات الماسونية من قولهم: "لقد تيقن المهدود أن خير وسيلة لهدم الأديان هي الماسونية، وأن تاريخ الماسونية يشابه تاريخ اليهود في الاعتقاد..."، وأن شعارهم هو نجمة داود المسدسة، ويعتبر اليهود والماسونيّون أنفسهم معًا الأبناء الروحيين لبني هيكيل سليمان، وأن الماسونية التي تزيف الأديان الأخرى تفتح الباب على مصراعيه لإعلاء اليهودية وأنصارها.⁽²⁴⁾

الماسونية وتناقضها مع الإسلام:

- مفهوم الحرية:

مفهوم الحرية في الإسلام يعني التحرر من العبودية لغير الله تعالى، أما مفهوم الحرية في الماسونية فهو التحرر من الدين والقيم والأخلاق.

جاء في نشرة ماسونية صادرة في لندن سنة 1935 "إن أمنيتنا هي تنظيم جماعة من الناس يكونون أحراً جنسياً، نريد أن نخلق الناس الذين لا يخجلون من أعضائهم التناسلية"؛ ولذلك أسسوا نوادي للعراة في دول كثيرة، وسعوا بكل وسيلة؛ لتدمير مقومات الشعوب غير اليهودية والقضاء على القيم الأخلاقية.

اختلاف الماسونية في باطنها عن ظاهرها:

فهي تبدو للسطح كأنها جمعية أدبية تخدم الإنسانية، وتنور الأذهان وتنشر الإخاء، وتوطد الحب بين الأعضاء، وتحثّم على فعل الخير والإحسان لإخوتهم المحتاجين، أما في حقيقتها فهي مؤسسة يهودية، وليس تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها وشرحها إلا أفكاراً يهودية من البداية إلى النهاية.

وقد أسس الماسونيّون أول محفل ماسوني في بريطانيا، جعلوا شعاره "الحرية والإخاء والمساواة"، وأصدر في لندن القرار التالي الذي يبيّن حقيقة أغراضهم:

1- المحافظة على اليهودية.

2- محاربة الأديان عامة والكاثوليكية خاصة.

3- بث روح الإلحاد والإباحية بين الشعوب.

وبذلك يتبيّن لك أن مفاهيم الحرية والإخاء والمساواة في الإسلام، تختلف اختلافاً جوهرياً عن تلك المفاهيم في الماسونية، ومن ثم فلا تجوز الدعوة إلى تلك المفاهيم بطريقة عامة لا يتميّز فيها الفرق بين معنى هذه المفاهيم في الإسلام ومعناها في غيره.⁽²⁵⁾

الصرح المرد من قوارير، وهو الذي جلب عرش سيدتنا بلقيس، فهم يزعمون أنه هو (الذي عنده علم من الكتاب).

(24) مجموع فتاوى اللجنة الدائمة - المجلد الرابع والعشرون (العقيدة).

(25) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة - المجلد 27- الصفحة 162- جامع الكتب الإسلامية

الفصل الثاني: قضية الإلحاد

ويشتمل على المباحث التالية:

- المبحث الأول: الإلحاد في التاريخ.. وليس تاريخ الإلحاد.
- المبحث الثاني: أقسام الإلحاد.
- المبحث الثالث: الفرق بين الإلحاد القديم والجديد.
- المبحث الرابع: أقسام الملاحدة في العصر الحاضر.
- المبحث الخامس: رؤوس الإلحاد وأبرز شخصياته.
- المبحث السادس: ما المقصود بالإلحاد الذي نحن بصدده الآن؟
- المبحث السابع: أسباب الكفر بالخلق ودعاعي انتشاره.
- المبحث الثامن: أسباب نشأة الإلحاد في الغرب.

الفصل الثاني: قضية الإلحاد

المبحث الأول: الإلحاد في التاريخ.. وليس تاريخ الإلحاد.

من الخطأ حينما نتحدث عن الإلحاد في التاريخ أن نضعه تحت مسمى: "تاريخ الإلحاد"; لأن هذا القول يعني أن الإلحاد يضرب بجذوره في أعماق التاريخ وهذا بالطبع أمر غير صحيح؛ فالإلحاد ما هو إلا رد فعل لحالة من ضعف الدين في نفوس المسلمين، ومن ثم فإن الإلحاد عندما يجد أمامه صدراً منيعاً من الرجال المترسّين بالعلم، ولديهم من قوة الإيمان واليقين بالله عز وجل ما يمكنهم من الدُّوْدُ عن دينهم؛ فلن تسمع للإلحاد رُكزاً، أما أن تجد الروبيضة هم من يتصدرون المشهد في إفتاء الناس، وتلقينهم أموراً لا تمت إلى الدين بصلة؛ فاعلم أنَّ الباب أصبح مفتوحاً على مصراعيه أمام البلهاء، ضعافِ العقول، يخرجون علينا من كل حَدِّ وَصَوْبٍ، تستهويهم الشياطين، وأنفسهم الأمارة بالسوء، ظانين أنها فرصتهم للفتك بهذا الدين؛ فيرمونه بهم باطلة، وشبهات واهية كادعائهم بأنَّه المتسبِّب في التخلف عن ركب الحضارة، وبعدم قدرته على إيجاد أوجبة لما تدور في أذهانهم المريضة؛ ولذلك من المنطقي جدًا لا نستطيع تحديد تاريخ بعينه للإلحاد.

وهنا نقطة هامة وجب التنبيه إليها، وهي أن الإلحاد ليس هو الأصل في البشرية، وإنما الأصل هو الدين، ودليل ذلك أن أقدم إلحاد يتحدثون عنه إنما يرجع للعصر اليوناني، وهذا العصر تاريخه يعود إلى عام 500 قبل الميلاد أي منذ ألفين وخمسمائة عام على وجه التقرير، وهذا يستثير في أذهاننا سؤالاً، لا وهو: كم يساوي عمر الإلحاد بزعمهم في عمر البشرية منذ أن خلق الله الخلق؟! قال الله تعالى: {قُلْ أَرَءَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونَيْ مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شَرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اثْنَوْنِي بِكِتَبٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثْرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِينَ} [سورة الأحقاف: 4]. فهذا دليل على أن البشرية مر بها زمن كبير للغاية لا يعلمه إلا الله تعالى، بل والبشر أنفسهم، فقد مررت أزمنة عديدة على الكون لم يكن للبشر فيها ذكر، وما يؤكّد ذلك قول الله تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسِنِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً} [سورة الإنسان: 1]; ولذلك عجزوا حين طلب القرآن منهم أن يأتوا بأي ثرٍ من علم يثبتون به ما يزعمون أنَّ الله تعالى شريك في الملك أو أنَّه جل في علاه ليس موجوداً - تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً.

وهنا سؤال يطرح نفسه، وهو بما أن الإلحاد ليس له جذور في التاريخ، وأنه ليس أصلاً في البشرية، وإنما هو أمر طاريء علينا؛ فلماذا إذن كل هذا الخوف من خطره على مجتمعاتنا وشبابنا؟

والجواب باختصار شديد؛ لأنَّه طاريءٌ فهو مخيفٌ جدًا؛ فالإلحاد يريد أن يغتنم هذه الفترة التي أتيحت له، والتي لا يعْرِفُ مداها للوصول إلى مبتغاه؛ ولذا تجده ينشر أجنته في كل اتجاه، ولو أنَّه تمكَّن من الوصول إلى نخبة حاكمةٍ أو لها سيطرةٍ على الشعوب والأمم، فهنا ستكتمن الكارثة، وهذا ما يتمناه الملحدون ويعملون عليه ليلاً نهاراً، وهذا أيضاً ما يجعلنا في عمل دعوب للتحذير منهم، وتبين آثارهم، وأضرارهم على الأمة، وكشف مخطَّطاتهم، والعمل على إحباطها بكل ما نملك حتى لا يصلوا إلى مراديهم؛ ولذلك يجب على الجميع الوقوف بالمرصاد، لأهل الكفر والإلحاد؛ ولو أننا راجعنا التاريخ، فسنجد أنَّ إمبراطوريات انهارت حين اعتنق قادتها ومفكروها هذا الفكر العفن، وكان أعظم همهم القضاء على من يخالفهم مما كلفهم الأمر.⁽²⁶⁾

(26) بتصرف: الإلحاد. دكتور أحمد زيد

ينقسم الإلحاد إلى قسمين هما: الإلحاد القديم، والإلحاد الحديث.

أولاً: الإلحاد القديم:

قديماً، مشكلة الإلحاد لم تكن في "الإيجاد"

الإلحاد قديماً من حيث هو إنكار وجود الله لم يكن معروفاً في التاريخ، فما من أحد كان يُنكر وجود الخالق سبحانه وتعالى حتى الذين أطلق عليهم الدهريون؛ فلم تكن ثمة مشكلة لديهم في الإيجاد، وإنما كانت مشكلتهم في الإعادة، وفي هذا يقول الله تعالى: {وَقَالُوا مَا هِي إِلَّا حَيَاةٌ الدُّنْيَا تَمُوتُ وَخَلِيَّا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظْنُونَ} [سورة الجاثية: 24]، فهؤلاء قالوا: "ما حياتنا إِلَّا الحياة الدنيا التي نحن فيها، ولا حياة لنا سواها"؛ وذلك تكذيباً منهم بالبعث بعد الموت، وبالحساب والجزاء، ومع هذا فهم لا ينكرون وجود الخالق عز وجل، بدليل قول الله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقُهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنِّي يُؤْفَكُونَ} [سورة الزخرف: 87]، أي: أنهم مُقررون بأن الله خلقهم من عدم بعد أن كانوا لا شيء.

وحتى إن وُجدت بعض الإشارات التاريخية، فقد كانت الحالات معدودة ونادرة؛ ولذا عجز التاريخ المكتوب والمروي عن تزويدنا بأول ملحدٍ في تاريخ البشرية، وما وُجد فقط هو بعض الآراء والكتابات الإلحادية لبعض الشخصيات اليونانية والتي تنفي صراحة وجود الخالق، منهم:

(ثيودور الملحد) 320ميلاديًا، (ديوجين الكلبي) 412ميلاديًا، (كريستياس) 460ميلاديًا، (دياغوراس) 465 ميلاديًا، وغيرهم من الشخصيات التي يذكرها الملحدون المعاصرون، ويتكلّرون بها، ومع ذلك فإن هؤلاء لا ينطبق عليهم مسمى ملحدة، وإنما ينطبق عليهم وصف اللادينين، إذ أن أكثرهم يقررون بوجود خالق للكون. كما أن المصدر الأساسي للمعرفة في أوروبا منذ خمسمائة عام مضت كان هو الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، بالإضافة إلى أن رجال الكنيسة الكاثولوكية قد تبنوا آراء أرسطو وبطليموس العلمية حول الكون والأرض والفيزياء والكيمياء والتاريخ الطبيعي، وألحقوها بمفاهيمهم المقدسة، وغدا أرسطو مقدماً عندهم وكأنه من رجال الكنيسة الأوائل.

وبعد ظهور آراء كوبيرنيكوس بحساباته الرياضية لدوران الأفلاك وتأكيد جاليليو ذلك بتلسكوبه، وما تبع ذلك عند اكتشاف الميكروسkop الذي تم من خلاله رؤية الجراثيم التي تسبّبُ الأمراض، وما أعقبه من اكتشاف علاجاتٍ دوائيةٍ كانت لها أثرٌ بالغٌ في الشفاء، مما زعزع من أهمية القسيسين في علاجها بصلواتهم، وأضعف من مكانة الكنيسة.

وظهرت بعد ذلك نتائج علمية مهمة لمكتشفات نيوتن الذي وضع قوانين الحركة الثلاثة، وقانون الجاذبية، وما تلا ذلك من إضافات؛ فكانت النتيجة أن انهدمت جميع القواعد العلمية التي آمنت بها الكنيسة، وأجبت الناس على الإيمان بها، وتصديقها، وأضفت عليها صفة القداسة لقرونٍ طويلة، وتسببت تلك الاكتشافات في صراع بين العلم ورجاله من جهة، وبين الكنيسة ورجالها من جهة أخرى، وكان للثورة العلمية في أوروبا أثر مدمر للكنيسة إذ أعقبتها مباشرةً نزعةٌ شكيةٌ إلحادية كبيرةٌ ما زالت مُضطربةٌ حتى يومنا هذا، ولقد كانت ردود أفعال رجال الكنيسة واستبدادهم وسلوكياتهم الاضطهادي ضد مخالفتهم سبباً في حدوث ردة فعل نفسية شديدة لدى العلماء

ما انعكس على سلوكهم وعلى سلوك عامه الناس أيضًا، وألقت هذه الأزمة بظلالها على المفكرين والعلماء حتى قادت الناس في أوروبا في القرن السابع عشر إلى ما عُرف بحركة التنوير، وزاد الشقاق حتى غرق الأوروبيون في القرن الثامن عشر في مستنقع الشك الكامل في كل موروثهم الاعتقادي والعلمي الذي كانت تشرف عليه الكنيسة، وتُجبر الناس على الامتثال الكامل له، وتوالى هذا الصراع على أشدّه حتى انحسر دور الكنيسة، وترجعت إلى الزوايا البعيدة وخاصة بعد الثورة الفرنسية، والتي كان شعارها المشهور آنذاك والذي يُنسب لميرابو خطيب تلك الثورة: "اشنعوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس".

الإلحاد في العصور الحديثة

يتضح لنا من خلال ما سبق أن "الإلحاد قديمًا كان يطلق على منكري الرسائلات، ولو لم ينكروا الربوبية"⁽²⁷⁾، "ثم آل مصطلح الإلحاد في العصور الحديثة إلى الاختصاص بإنكار الغيب مطلقاً"⁽²⁸⁾، "إلغاء كل المعانى الدينية للحياة، وتجاهل الحاجة الروحية الفطرية إلى غذاء الإيمان والعقيدة، ما شكل أرضية خصبة لظهور نزعة الانتحار؛ انطلاقاً من عبئيّة الحياة وسقوط قيمتها، وعدم استحقاقها تحمل المعاناة والألم وقسوة الظروف، وهو ما لا يسلم منه أكثر الناس".⁽²⁹⁾

وينظر الملاحظ للتاريخ باعتباره صورة للجرائم والحمامة وخيبة الأمل وقصته لا تعني شيئاً، كما أنهم لا يعترفون بالمفاهيم الأخلاقية ولا بالحق والعدل ولا بالأهداف السامية، ولا بالروح والجمال، والمعرفة الدينية في رأيهما تختلف اختلافاً جذرياً وكلياً عن المعرفة بمعناها العقلي أو العلمي !!
والإنسان عندهم ما هو إلا مادة تنطبق عليه قوانين الطبيعة التي اكتشفتها العلوم كما تنطبق على غيره من الأشياء المادية.

(27) انظر: هاني نصري، نقض الإلحاد، تحديات وتنبهات وإيضاحات، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 1420هـ)، ص185.

(28) انظر: سوزان المشهراوي، الإلحاد المعاصر، سماته وأثاره وأسبابه وعلاجه، (القاهرة: بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية للبنين، 2018م)، العدد 35، المجلد 2، ص963، 964.

(29) كآبة الإلحاد، دراسة عقدية نقدية لعلاقة الانتحار بالإلحاد، بحث قدمه أ.د. سعود بن عبد العزيز العريفي بجامعة أم القرى – مكة المكرمة، قسم العقيدة – كلية الدعوة وأصول الدين.

ثانياً: الإلحاد الجديد (New Atheism)

هو موجة إلحادية جديدة ظهرت في أوروبا وأمريكا، لم يدعوا أصحابها إلى إنكار الإله فحسب؛ بل ويهاجمون الداعين لإثبات وجود الإله الخالق سبحانه لا سيما أتباع الدين الإسلامي، وما نراه اليوم من ظهور ما يسمى الإسلاموفوبيا، وشدة عداوتهم للمسلمين في بلاد الغرب والشرق لدليل واضح وصريح على تطور الإلحاد، وهو ما يُطلق عليه الآن بالإلحاد الجديد.

ومن الملاحظ أن هذه الموجة الجديدة حينما تدعو إلى الإنكار والنفي المضي للخالق تستخدم حيلاً فلسفيةً، ونظريات مصبوغة بصبغة علمية، ومغالطات منطقية؛ لإقناع الناس بفكthem الإلحادي؛ حيث تُنفق أموال طائلة على الإعلام والمدارس؛ ليترويج ونشر هذا الفكر؛ بغية السيطرة على شعوب العالم.

نشأة الإلحاد الجديد (New Atheism):

إن نشأة الإلحاد الجديد كانت متزامنة مع بدء موجة من الإلحاد المعادي لكل ما هو دين سماوي، ومع بروز ظاهرة العدائية على الإسلام والمسلمين، وقد رافق ذلك قيام الملاحدة بتأليف كتب في الإلحاد ونقد الدين؛ ولذلك أطلق عليهم الملاحدة الجدد.

ولقد استغل الغرب أحداث الحادي عشر من سبتمبر في عام (2001م) في تطوير هذا النوع من الإلحاد؛ ليكون معادياً للدين الإسلامي والمسلمين، بجانب استخفافه ومحاربتِه للدين المسيحي في الإعلام وتهميشه في المدارس؛ وذلك للاختلاف بين الطوائف النصرانية اختلافاً واسعاً بلغ حد التناقض، وكذلك الاختلاف والتناقض الكبير داخل كل طائفة على حِدَاء، مع كشف إساءات القساوسة لملايين من الراهبات والأطفال، والاغتصابات الكثيرة والتستر عليها، مما أسفر عن خروجًا جماعياً من الكنائس، وبأعدادٍ هائلة سيأتي ذكرها لاحقاً مع إحصائيات دقيقة.

ولقد ازدادت التزعزع العدائية بعد توسيع النصارى، ودولهم، وكأنهم مع أمريكا في جرائمها التي لا تخفي على أحد، بجانب مشاركة دول غربية أخرى لهم، خاصةً بعد إعلان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية جورج بوش (الابن) الحرب الصليبية على العالم الإسلامي، وغزوهم أفغانستان والعراق وفلسطين المحتجلة؛ وارتكابهم أبشع الجرائم، فانكشف أمام العالم نفاقهم، وازدواجية معايرهم، والكيل بمكيالين، الأمر الذي تسبب في خروج الكثير من النصرانية، وما أعقب ذلك من دعاوى تقول: "إن حروب الأديان صارت تشكل خطراً على حضارات العالم، وأنها ستؤدي إلى إبادة الجنس البشري بأكمله، ومن ثم لا خلاص للعالم إلا بخلاصه من الدين".

وفي الوقت نفسه ترى أن الإعلام والحكومات تسعى باستماتة لثلاثة تعرف شعوبها على جمال ومحاسن الإسلام وقيمه؛ حتى لا تفسد مخططاتهم؛ فتراهم يرمون كل الأديان في سلة واحدة.

"وهكذا تطور ونَى الإلحاد الجديد بالدعوة إليه من خلال وسائل الإعلام الغربي وبحماسة شديدة، وذلك بطرح مواضيع إلحادية على رأسها: الطعن في وجود الله عز وجل، بل وأصبح هناك رموز ونجوم لهذا الإلحاد الجديد أمثال: ريتشارد دوكينز، تخطاب المجتمعات الغربية بوسائل متنوعة".⁽³⁰⁾

ولقد صدرت عدة مقالات ومنشورات وكتب في الدعوة إلى الإلحاد الجديد ككتاب: (نهاية الإيمان)، لسام هارس،

(30) بتصرف: مليشيا الإلحاد مدخل لهم الإلحاد الجديد، عبد الله بن صالح العجيري، ص.23

و([وَهُمْ] الإله)، لريتشارد دوكينز⁽³¹⁾، وهو كتاب مليئ بالنظريات المفيدة، وبالمغالطات التي تناقض المنطق والعقل، ولا توجد فيها أي معلومة تمت إلى العلم بصلة، بل اقتصر الخطاب فيها على الأسلوب الفلسفى الساخر، والتجرؤ على الله بالكفر والإلحاد، وبالتعدي على ذاته الإلهية، مع ملاحظة عدم تطرقهم للمسيحية، ولا الصهيونية العالمية، أو ذكر المجازر البشعة التي يمارسها الاحتلال اليهودي ضد الشعب الفلسطينى، والذي له الحق الكامل في أرضه، والتي عاصمتها القدس المحتلة.

وفي سبيل إنجاز هدف الملاحدة الجدد في زعزعة الإيمان بوجود خالق لهذا الكون، نلاحظ تكثيفاً للكتابة والتأليف في مجال الإلحاد العلمي، لا سيما بين عامي (2004-2007م)، بل تجد هناك نظريات ودعوات ممزوجة بالطرح الكاذب المستر بالأسلوب العلمي، والاستعانة بأحدث وسائل التكنولوجيا؛ لأجل هدف أساسىٰ تكاد تكون كل الجهود منصبة عليه، ألا وهو إيصال فكرة عدم وجود الإله⁽³²⁾، تعالى الله عما يعلمون ويصفون.

ولا ريب أن هذه النزعة العدائية الجديدة المتمثلة بالإلحاد الجديد هي امتداد للإلحاد الذى تطور في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فقد اتفق المؤرخون عاماً على أن تناهى ظاهرة الإلحاد هو ظاهرة غربية حديثة، وأنها أولى المجتمعات التي جاهرت ونادت إلى الرفض العام للألوهية⁽³³⁾.

وقد أخذت هذه الدعوة أشكالاً متعددة، بتأليف الكتب والنشرات والمقالات، والمجلات ومواقع التواصل الاجتماعي، والموسيقى، والدورات الإلحادية في المدارس والأفلام الوثائقية، والسينمائية.

فالإلحاد المعاصر والجديد والمتمثل بإنكار وجود الله سبحانه وأن المادة هي أصل الكون، والاعتقاد بالعلم التجريبى المبني على الفرضيات لا الحقائق، لم يُعرف في تاريخ البشرية كظاهرة إلا في العصر الحديث في القرون الثلاثة الأخيرة، حيث ظهرت مذاهب وفلسفات تدعو إلى الإلحاد، وتجاهر في دعوتها بإنكار وجود الله سبحانه بل إن الإلحاد الجديد برع كظاهرة معادية للدين، وبكل ما يحمل من تعاليم ومبادئ، وأخذ الأمر يتسع لا سيما في زمن انتشار وسائل التواصل الاجتماعى.⁽³⁴⁾

ويتبين من خلال ما بيّنه عن الإلحاد الجديد وأبرز رموزه أن هؤلاء الملاحدة الجدد لهم أساليب مقرنة جداً في استدلالاتهم، وفيها جرأة على كل الثوابت والقيم التي يؤمن بها المسلم والمؤمن بالحق، ومن ناحية أخرى هم يتبعون أسلوباً نفسياً، مؤثراً أحياناً في عرض أفكارهم لمن لم يكن مسلحًا بالعلم الشرعي الصحيح، والخطورة تكون أكبر لمن نشأ بعيداً عن تعاليم الدين وثوابته، ومن هنا تكمن خطورة ترجمة كتهم وطرحها في الأسواق لعوام الناس فإن فيها خطراً كبيراً ينبغي التنبيه إليه.⁽³⁵⁾

وعلى الرغم من أن الإلحاد الجديد صناعة غربية بامتياز، إلا أنه ليس هناك إجماع بين الغربيين المتأخرین والمعاصرين على تعريف الإلحاد، ولكنهم عبروا عن الإلحاد بكلمات متباينة مشتقة من اللفظ اليوناني (ATHEOS)، وتكون هذه الكلمة من مقطعين (A) بمعنى فقدان أو غياب (THEOS) بمعنى الإله، ويكون معنى

(31) مليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد، عبد الله بن صالح العجيري، ص 24

(32) الإلحاد للمبتدئين دليل المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد، د. هشام عزمي، ص 359.

(33) نفسية الإلحاد، د. بول سى فيتر، ترجمة: مركز دلائل، ص 17، 112.

(34) الإلحاد الديني في المجتمعات المسلمين، د. صابر عبد الرحمن طعيمة، ص 10-11.

(35) بتصرف، وبعض الاختصار: الإلحاد الجديد في المجتمعات الغربية والعربية مفهومه ونشأته وأسباب ظهوره وسبل مواجهته، بحث نشره موقع مركز الأمة للدراسات والتطوير للدكتور فلاح الدليمي.

الكلمة (ATHEOS) نفي الإله أو نفي الله، وتطلق على الشخص الذي لا يعتقد بالإيمان بالله، سواء نفي وجوده، أم لا.⁽³⁶⁾

وينبغي أن تُنَبِّهَ على أن الإلحاد كموجةٍ فكريةٍ معاذيةٍ للدين ارتكزتْ على نقض الديانة المسيحية، حيث جنتِ الأخيرة على العالم الغربي أيمًا جنائية، عندما حكمت بالحديد والنار، وبمعتقداتٍ متناقضةٍ لا يستسيغها عقل ولا منطق، وقطعاً لا يولدُ التَّطْرُفُ إلا طرفاً مضاداً.

ومقوله كارل ماركس "الدين أفيون الشعوب" وهو كذوب ينطبقُ بحذافيرها على كل الأديان والفرق ما عدا الإسلام؛ فالذي يتعرف على عظمة الإسلام، وتقديره لقيمة العقل والعلم والأخلاق، وحرصه على الدليل في كل حُكْمٍ، سيكتشفُ بسهولةٍ أحقيَّةَ الإسلام على سائر الأديان، وهشاشةَ الإلحاد وبطانةه.

ونحن على يقين أن أوروبا لو كانت على معرفةٍ صحيحةٍ بالإسلام؛ لما انتشر فيها الإلحاد بتلك الصورة الفجة، والدليل على ذلك: أَنَّكَ إِذَا قَارَنْتَ بَيْنَ عَدْدِ الْمُلْحِدِينَ فِي عَالَمِنَا إِسْلَامِيٌّ، وَبَيْنَ عَدْدِهِمْ فِي الْغَرْبِ سَتَضْعُ لَكَ الرؤية؛ فَالْأَلْمَةُ إِلَسْلَامِيَّةُ مَعَ أَنَّهَا تُعَانِي مِنْ تَأَخُّرٍ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَجَالَاتِ، وَمِنْ تَبَعَّيَةٍ فَكَرِيَّةٍ كَبِيرَةٍ، وَغَرَوْ ثَقَافِيَّ، وَحَرَبٍ غَيْرِ عَادِلٍ عَلَى كَافَّةِ الْأَصْعَدَةِ، إِلَّا أَنَّ نَسْبَةَ الْمُلْحِدِينَ فِيهَا تَكَادُ لَا تُذَكِّرُ، فَمَا بِالْكَ لَوْ كَانَ الْعَكْسُ!

هُنَّاكَ بُونُ شاسعٌ بَيْنَ أُمَّةٍ تُؤْمِنُ بِعَقِيَّدَةِ نَقِيَّةٍ صَافِيَّةٍ مَحْفَوظَةٍ لَا اعوجاجَ فِيهَا وَلَا تَنَاقُضَ، سَهْلَةُ الْاسْتِيعَابِ، قَوْيَّةُ الْأَرْكَانِ، بَاهِرَةُ الْحَجَّ، وَبَيْنَ أُمَّةٍ عَقِيَّدَتُهَا مَتَنَاقِضَةٌ مَحْرَقَةٌ، طَالَهَا ظُلْمَةُ التَّشْوِيهِ، وَدَخَلَتْهَا الْعَقَائِدُ الْوَثِينِيَّةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَأَصْبَحَتْ "أَفْيُونَ الشَّعُوبَ"!

"وَشَتَانَ بَيْنَ شِيخِ تَقْيَّيٍ لَا يَدْعُى الْعَصْمَةَ لِنَفْسِهِ، يُبَيِّنُ لَكَ كَلَّ رَكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الإِيمَانِ بِالدَّلِيلِ وَالْبَرْهَانِ، وَبَيْنَ رَاهِبٍ يَدْعُى الْعَصْمَةَ، وَأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُّسَ يَتَحَدَّثُ مِنْ خَلَالِهِ، وَيَأْمُرُكَ بِالْإِيمَانِ دُونَ نَقَاشٍ، إِلَّا فَلَنْ تَرَثَ الْمَلْكُوتَ! يُجْلِسُكَ فِي جَلَسَاتِ اعْتِرَافٍ، وَيَدْعُي غَفَرَانَ خَطَايَاكَ مُقَابِلَ دُولَارَاتٍ مَعْدُودَةٍ!"⁽³⁷⁾، "فِي حِينَ مَلَأَتْ خَطَايَاهُ وَجَرَائِمُهُ - هُوَ وَغَيْرِهِ مَنْ هُمْ عَلَى شَاكِلَتِهِ - عَنَانَ السَّمَاءِ، وَلَقَدْ اتَّشَرَتْ أَخْبَارُ قَضَايَا التَّحْرِشِ الْجَنْسِيِّ بِأَطْفَالٍ وَرَاهِبَاتٍ بَعْدَمَا تَسْتَرُوا عَلَيْهَا السَّنَوَاتِ".⁽³⁸⁾

وعلى الرَّغْمِ مِنْ وُجُودِ عَدِّ كَبِيرٍ مِنْ أَعْلَنُوا إِلْحَادَهُمْ بَعْدَ تَرْكِهِمُ النَّصْرَانِيَّةَ؛ لِرَفْضِهِمْ مَا بِهَا مِنْ تَحْرِيفَاتٍ وَتَنَاقُضَاتٍ، لَكِنَّ هَذَا لَا يَعْنِي أَنَّهُمْ أَحْدَوْا بِلَا رَجْعَةٍ؛ فَلَا يَزَالُ بَابُ الْأَمْلِ فِي إِسْلَامِهِمْ عَلَى مِصْرَاعِيهِ، كُلُّ مَا هَنَالِكَ أَنَّا كَدُعَاةٍ وَمَعْرِفَيْنَ بِالْإِسْلَامِ بِحَاجَةٍ إِلَى مَضَاعِفَةِ جَهُودِنَا، وَتَطْوِيرِ أَسَالِيبِنَا، وَتَكْثِيفِ وَسَائِلِنَا لِلْوُصُولِ إِلَيْهِمْ، وَتَعْرِيفِهِمْ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْخَالِقِ وَبِدِينِهِ الْحَقِّ.

ولقد حاورتُ الكثيرَ مِنْهُمْ فِي أَمَانِيَا خِلَالِ السَّنَوَاتِ الْمَاضِيَّةِ، وأَكْدَوْا لِي أَنَّهُمْ رَغُمَ خروجِهِمْ مِنَ الْكَنِيسَةِ لَكِنْ مَا زَالُوا يُؤْمِنُونَ بِوْجُودِ إِلَهٍ، غَيْرَ أَنَّهُ إِيمَانٌ مَشْوُّهٌ؛ ولَذِلِكَ تَجِدُ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ، بَيْنَ إِسْلَامٍ قَابَ قَوْسِينِ أَوْ أَدْنَى،

(36) موسوعة الفلسفة: د. عبد الرحمن بدوي، 1/219.

(37) كيف تعاور ملحدًا، دليلك المنهجي لمهارات الحوار، أمين بن عبد الهادي خربوعي، ص 30-31.

(38) بتصنيف: عن دعوى قضائية ضد البابا أمام المحكمة الجنائية الدولية في قضية التحرش الجنسي بأطفال أعلن مسؤولون في جمعية "اس ان اي بي" الأمريكية بالتعاون مع محامي من منظمة "سنتر فور كونستيتوشن رايتس" غير الحكومية أئمهم رفعوا دعوى ضد البابا بنديكتونس السادس عشر ومسؤولون آخرين في الفاتيكان أمام المحكمة الجنائية الدولية بهمة ارتکاب "جرائم ضد الإنسانية"، متهمن إياهم بـ"السماح والتستر بشكل منهجي عن جرائم جنسية واغتصاب لأطفال في العالم أجمع". فقد أرفقت الشكوى بعشرة آلاف صفحة تدعى بالوثائق قضايا التحرش الجنسي بأطفال. موقع فرانس 24، وموقع قناة الجزيرة.

ولكن حملات التشهير ضده، وإمطارات الشعوب بأساطير ما أنزل الله بها من سلطانٍ بواسطة إعلامهم الكاذب، هي من توقف حجر عثرة في طريقهم للتعرّف عليه؛ ومن ثم اعتناقه.

المبحث الثالث: الفرق بين الإلحاد القديم والإلحاد الجديد

عرفنا مما سبق أن الإلحاد كان له وجود في أكثر من مكان في الأرض بعد الانحراف الذي أصاب البشرية، وأنه ينقسم إلى إلحاد قديم، وأخر جديد، ونحن الآن بصدق التحدث عن الفارق بينهما، من خلال ما يلي:

1- أنَّ الإلحاد بمعنى إنكار وجود الله تعالى أصلًا لم يكن ظاهرة منتشرة في القديم، وإنما كان شائعاً الشرك مع الله تعالى تحت حجج مختلفة مع اعترافهم بوجود الله تعالى وأنه الخالق المدبر، وقد أثبت الله تعالى ذلك في كتابه فقال عن إقرارهم بخلق الله للكون: {وَلَئِنْ سَأَلُوكُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّ يُؤْفَكُونَ} [العنكبوت: 61]

وقال تعالى عن إقرارهم بإنزال المطر من عند الله: {وَلَئِنْ سَأَلُوكُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيِي بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [العنكبوت: 63].

وقال تعالى عن إقرارهم بأن الرزق كله من الله، وأن أعضاء الإنسان هي من خلق الله، وأن الحياة والموت بيد الله، وأن التدبير كله لله: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضَ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيَّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَقَوَّنَ} [يونس: 31]، وقال تعالى: {قُلْ لَمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَقَوَّنَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلْكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِي وَلَا يُحْيِي عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ} [المؤمنون: 84-89]، وهكذا يتبيّن من تلك الآيات البينات أن الإلحاد في الزمن القديم إنما كان في إشراكهم مع الله آلة أخرى من صنعهم، يتقرّبون بها إلى الله بزعمهم، وهذا هو الشرك في توحيد الربوبية الذي لا يدخل الشخص به وحده في الإسلام والإيمان ما لم يضم إليه توحيد الألوهية.

وأما الذين أسندوا كل شيء إلى الدهر فهم قلة قليلة جدًا بالنسبة لغيرهم من يؤمنون بالله تعالى وقد أخبر الله عنهم في كتابه الكريم.

2- أنَّ الإلحاد المادي الحديث قد قام على إنكار وجود الله أصلًا وقد زعم أهله أنهم وصلوا إليه عن طريق العلم والبحث المحسوس وعن طريق التجربة والدراسة، وزعموا أن الدين لا يوصل إلى ذلك، وسند على هذه الكذبة وسخافتها لاحقاً، ونبين أنه لا تناقض بين العلم من جهة وبين الدين والإيمان بالله من جهة أخرى، حيث أن الدين يحث على العلم والذي بدوره يدعو إلى الإيمان بوجود الله تعالى في أكمل صوره.

المبحث الرابع: أقسام الملاحدة في العصر الحاضر

لقد توصل عدد من الخبراء في مجال الحوار مع الملاحدة إلى تقسيمات وتوزيعات مختلفة الأنواع، وحسب تجربتي الحوارية مع أعداد كبيرة من الملاحدة في ألمانيا، وصلت إلى نتيجة مفادها أنَّ كلَّ ملحدٍ يختلف عن غيره، كما يختلف هو مع نفسه بين الفينة والفينية، بل في الجلسة الواحدة قد يقع في التناقض أكثر من مرة؛ ولذلك هم بحاجة إلى من يصبر عليهم ويسعى إلى مراعاة مشاعرهم والتقارب منهم ليتألفُ قلوبهم، وأنْ يتعامل معهم معاملة الطبيب النفسي الذي يسعى إلى تقديم العلاج إلى مريضه رجاء شفائه.

وهنالك فئةٌ قليلة جدًا منهم تزعم أنَّ لديها نظرياتٌ تُثبتُ عدم وجود الله، وما هي إلَّا فرضياتٌ ونظرياتٌ غير منطقية حول قضية الخلق، كما أنهم يدعون إلى حياةٍ لا رحمةٍ فيها، ولا حقوق، ولا أخلاق، البقاءُ فيها يكون للأقوى؛ فلا حقوق عندهم للوالدين ولا المجتمع ولا الناس أجمعين، كما يدعون إلى الإباحية، والاغتصاب، وقتل الأطفال الأحياء بالإجهاض، وقتل الضعفاء، وكل هذه الدعوات تقع تحت مظلة الرأسمالية المتوجهة والداروينية الاجتماعية، التي تسببت في انهيار المبادئ الأخلاقية؛ حيث لا مكان للفقراء والمهمشين، وحيث لا يوجد عدالة اجتماعية، والمبرر لهذا هو قانونهم الظالم "البقاء للأقوى".

ويُسِيرُ أتباع هذا الفكر في اتجاهين:

1- اتجاه فلسي: قائم على مناقشات فلسفية.

2- اتجاه علمي: قائم على مناقشات فيزيائية ونحوها.

الإلحاد السليبي:

هنالك فئة أخرى تقول: "إن الأدلة لا تثبت وجود الله"، وأمثال هؤلاء يشكلون الغالبية من الملاحدة، وهم سكان، وأتباع هوى وشهوات، وقد يطلق على البعض منهم بالمالحة اللاأدبية، وأيضاً يطلق على عدد منهم بالربوبيين، وهم الذين يقررون بوجود الخالق لكنهم يزعمون بأنه فَيَّ بعد وجوده، أو لا علاقة له بخلقه، ولذلك هم ضد الأديان الموجودة.⁽³⁹⁾

ولقد ناقشت هذه الفئة ووجدت أن بعضهم يؤمن بالله تارة، ويفقد إيمانه تارةً أخرى، وذلك بحسب حالته المزاجية أو وضعه النفسي والاجتماعي. ولقد حدثني أحدهم بعدما تركتهُ صاحبتهُ وأمُّ أولاده لتذهب مع غيره، فقال لي: "أنه لم يعد يؤمن بالله"، ثم بعد فترة أخبرني: "أنه أصبح لديه صاحبة، وأن وضعه المادي قد تحسَّن، وأن إيمانه بالله قد عاد، إلا أنه الآن صار مشغولاً في معرك الحياة، وليس عنده وقت ليعرف المزيد"، ولكتَّي أعطيتُ له مطوياتٍ وترجمة القرآن الكريم، ووعدني بقراءتهم.

(39) مادة العقيدة الإسلامية، د. أبو زيد بن محمد مكي، عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى بكلية الدعوة وأصول الدين - قسم العقيدة، ص 67-68 دار الأوراق بتصرف.

المبحث الخامس: رؤوس الإلحاد وأبرز شخصياته.

من هم المؤسرون الحقيقيون للإلحاد؟

يتبيّن مما ذكرنا سابقاً أن الإلحاد بدعة جديدة لم يكن لها وجود قديماً إلا في النادر لدى بعض الأمم والأفراد، بدأت في الظهور بأوروبا ثم أمريكا ومنها إلى باقي دول العالم.

ويعد أتباع العلمانية هم المؤسرون الحقيقيون للإلحاد، ومن هؤلاء: أتباع الشيوعية والوجودية والداروينية. حيث أنَّ الحركة الصهيونية أرادت إفساد أمم الأرض بالإلحاد والعلمانية والمادية المفرطة والانسلاخ من كل الضوابط التشريعية والأخلاقية كي يسهُلَ علّها أن تهْدمَ تلك الأمم نفسها بذاتها، وحينها ستكون الظروف مواتية لِيحكِّمَ اليهودُ العالم.

رُؤوسُ الإلحادِ في العالم

أتباع الشيوعية:

يتقدّمهم "كارل ماركس" 1818 – 1883 م اليهودي الألماني، "إنجلز" عالم الاجتماع الألماني والفيلسوف السياسي الذي التقى بماركس في إنجلترا وأصدرا سوياً المаниفستو أو البيان الشيوعي سنة 1848 – 1850 م.

أتباع الوجودية:

ويتقّدمهم: جان بول سارتر، سيمون دوبوفوار، وألبير كامي.

أتباع الداروينية:

- تشارلز روبرت داروين / عالم الأحياء البريطاني، المؤسس لنظرية التطور.
- كارل هانريش ماركس / مؤرخ وعالم اجتماع ألماني.
- فرويد / طبيب نمساوي من أصل يهودي، اختص بدراسة طب الجهاز العصبي.
- دايفيد إميل دوركايم / فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي.

ومن الفلسفه والأدباء:

- نيتشه / فيلسوف ألماني.
- برتراند راسل / 1872 – 1970 م فيلسوف إنكليزي.
- هيجل / 1770 – 1831 م فيلسوف ألماني قامت فلسفته على دراسة التاريخ.
- هيربرت سبنسر / 1820 – 1903 م إنكليزي كتب في الفلسفة وعلم النفس والأخلاق.
- فولتير / 1694 – 1778 م أديب فرنسي.

ومن أتباع الشيوعية العرب:

إسماعيل مظہر: مفكّر مصرى، درس علم الأحياء ثم تحول إلى الأدب وصار أحد رواد الفكر والعلم والترجمة، أسس عام 1930 م حزب الفلاح؛ ليكون منبراً للشيوعية والاشتراكية، ثم تاب إلى الله بعد أن تعدى مرحلة الشباب وأصبح يكتب عن مزايا الإسلام.

ومن الشعراء الملاحدة الذين كانوا يُنشِّرون في مجلة العصور:

- الشاعر عبد اللطيف ثابت، والذي كان يشكك في الأديان في شعره، والشاعر الزهاوي، والذي يعد عميد الشعراء المشككين في عصره".⁽⁴⁰⁾

المبحث السادس: ما المراد بالإلحاد الذي نحن بصددِه الآن؟

هو كل فكر يتعلق بإنكار وجود خالق لهذا الكون سبحانه وتعالى، سواءً أكان عند المتقدمين من الدهرية، أو عند من جاء بعدهم من الشيوعيين الماركسيين، بمعنى أن وصف الإلحاد يشمل كُلَّ مَنْ لم يؤمن بالله تعالى، ويزعم أن الكون وُجِدَ بذاته في الأَرْضِ نتيجةً لتفاعلاتٍ جاءت عن طريق الصدفة دون تحديدٍ وقتٍ لها، واعتقادٍ أن ما وصل إليه الإنسان منذ أن وُجِدَ وعلى امتداد التاريخ من أحوالٍ في كل شئونه إنما وُجِدَ عن طريق التطور، لا عن وجود قوةٍ إلهيةٍ تدبّره وتتصرف فيه.

المبحث السابع: أسباب الكفر بالخالق، ودعواتي انتشار الإلحاد الغربي

لظهور الإلحاد أسباب كثيرةٌ كغيره من الظواهر الأخرى، ولا شك أن أكبر تلك الأسباب:

- هو إغواء إبليس لمن اتبّعه؛ فقد أقسام على أن يُبعَد الناس عن ربِّهم، ويغويهم عن اتباع أمره وشرعه عز وجل.
- ثم أضيف إلى ذلك أسبابٌ أخرى هي من صنع الإنسان، كالرغبة الجامحة عند البعض في الانفلات التام عن الدين وأوامره ونواهيه؛ لتحقيق رغباته الشهوانية المختلفة.
- وقد تعود بعض الأسباب إلى أمور سياسية، كحب اليهود السيطرة على العالم.

- وبعضاًها يعود إلى طغيان الديانات المحرفة وعلى رأسها النصرانية التي هي والوثنية وجهين لعملة واحدة، حيث جاءت بأفكار لا يقبلها عقل ولا يقرها منطق، وفوق ذلك طغيان الرهبان والبابوات الذين وصلوا إلى حد لا يطاق من إذلال الناس واستعبادهم مما جعلها أغللاً يتمنى أصحابها الخروج عنها إلى أي وجهة تكون؛ فتلقوهم الملاحدة؛ فأخرجوهم من الرمساء إلى النار.

- وبعض تلك الأسباب يعود إلى ظهور مذاهب فكرية كانت هي الأخرى كابوساً ثقيلاً جعل الناس يلمثون إلى التشبت بأي حركة أو فكر كالرأسمالية التي أشعلت في النفوس حب الأنانية، والجشع المادي، والحدق والبغضاء مما سهل الأمر على الملاحدة للوصول إلى قلوب الناس، والتضليل عليهم بأنَّ في النظام الإلحادي الجديد كل ما يتمنوه من السعادة والعيش الرغيد وقد قيل: "يُفْضِي عَلَى الْمَرءِ فِي أَيَّامٍ مِحْتَيْهِ". حتى يرى حسناً ما ليسَ **بِالْحَسَنِ**".

وكان هذا الحال في الوقت الذي عم الجهل بالله تعالى وبدينه القويم، وكان للأحوال الاقتصادية التي يمر بها الناس نصيبُ الأسد في تَقْبِيل الناس للإلحاد؛ حيث انعدمت في المذهب الرأسمالي ونظام الإقطاع وسيطرة البابوات والأباطرة صفة الرحمة والعطف على الفقراء؛ فازداد الأغنياء غنىً وازداد الفقراء فقرًا وذلاً.

فاستغل الملاحدة تلك الأوضاع للتأثير على الناس بأن الأمر موكول إلى تصرفات الناس وليس هناك إله مدبر له؛ فازداد نشاط دعوة الإلحاد وأظهروا أنفسهم بمظهر المنقذ للفقراء، والساهر على مصالحهم والمهتم بمشاكلهم والمتصدِّي للقضاء على كل الأنظمة الفاسدة، والطبقات المتاجرة وبعد أن قوي أمر الملاحدة، واستولوا على الحكم في روسيا وغيرها وجهوا مدافعين وبنادقهم إلى صدر كل من يأبى الدخول في ملَّتهم؛ فأثخنوا في الأرض، وأدخلوا شعوبهم في الإلحاد راغبين وراهبين.

- ومما ساعد على انتشار الإلحاد أيضاً ما وصل إليه الناس من اكتشافات علمية هائلة مكثُمَ الله منها استدراجاً لهم، وإقامة للحجج عليهم على ضوء قوله تعالى: {سَرِّيْهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحُقْوَقُ أَوَّلَمْ يَكُفِّرِ بِرِبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت: 53]، فكلما تم اكتشاف جديد فسروه على أنه من بركة تركه للإله وللدين وانطلاقهم أحراجاً من ذلك؛ فاغتر بهم كثير من الجهلاء وظنوا أنَّ ذلك صحيحاً، وأنَّ هذه الحياة التي يعيشها العالم اليوم من تقدم مادي وصناعات مختلفة وافتتاح تام على الشهوات والمعتقد المختلفة إنما هي دليل في نظر من لا يعرفون الدين الصحيح على أنَّ الإنسان هو مالك هذا الكون وحده وهو الذي ينظم حياته كما يريد.

ولم يترك دعوة الإلحاد أي فرصة لأتباعهم للتقطُّ أنفاسهم ومدارسة أوضاعهم والتفكير الصحيح في خلق هذا الكون وما فيه من العجائب التي تتطقُّ بوجود الخالق العظيم لهذا الكون، وقد قيل إنَّ أحد الملحدين تحدي أي مؤمن بالله يناظره؛ فانبرى له أحد المؤمنين، واتفقوا على تحديد موعد للمناظرة، وحينما جاء وقت المناظرة تأخر المؤمن من الوصول؛ ففرح الملحد وأخذ يصول ويتجول ويتحدى، وبعد وقت حضر المؤمن بعد أن انكسرت قلوب المؤمنين وملاها لهم والغم؛ فسألَه الملحد: لماذا تأخرت عن الوصول؟

فقال له: "إن بيقي وبينكم هذا البحر ولم أجده سفينه وبينما أنا كذلك إذ نبتَّ شجرة في البحر، وامتدَّت أغصانها وجذورها، وكَبَرَتْ ثُمَّ تَكَسَّرَتْ بعضُ أجزائها؛ لتصنع منها قارباً حملني إليكم".
فقال الملحد: "هذا كلام لا يعقل".

فقال له المؤمن: "إذا كنت لا تصدقون بوجود قارب صغير بدون مُوجِّدٍ، فكيف تصدقون بوجود هذا الكون وما فيه دون مُوجِّد؟!".

ثم قال المؤمن للملحد: "أنت بلا عقل".

فقال الملحد: "بلى إن لي عقلاً".

فقال له المؤمن: "أين هو منك؟".

قال: "لا أدرِّي".

فقال المؤمن: "شيء في جسمك تؤمن به ولا تراه ولا تريده أن تؤمن بالله حتى تراه"؛ فانقطع الملحد.
وعلى كل حال فقد ظهر الإلحاد بشكله الجديد المدروس المنظم كبديل لكل الأديان، وزعماؤه هم البديل الجديد عن الأنبياء والرسل، والمتمسكون بالإلحاد هم المتطورون المتقدمون، والتاركين له هم الرجعيون المتخلفون، وللباطل صولة ثم يضمحل، فبعد تلك السنوات العجاف التي قوي فيها شأن الإلحاد والملحدين ظهرت الحقيقة للعيان، وإذا بالإلحاد والملحدين ما هم إلا سماحة الصهيونية العالمية، وأنهم يهدفون إلى استئثار العالم، ومحو أخلاق "الجُويِّم" وتحطيم حضارتهم، وإبطال دياناتهم، وكشأن كل المذاهب الباطلة والأفكار الجاهلية بدأ الموت يدب في جسم هذا الإلحاد البغيض، وإذا بالناس يكتشفون زيف أقاويله وأفانيين خدعة؛ فبدؤوا يهربون منه

زرافات ووحدانا، وَعَرَفَ النَّاسُ أَنَّ الْإِلْحَادَ هُوَ الَّذِي سَبَبَ لَهُمُ الشَّقَاءَ وَالْفَقْرَ وَتَزَايُدَ الْأَحْقَادِ وَالْقُلْقَلِ وَالاضطِرَابِ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي سَهَّلَ لِلْمُجْرِمِينَ طَرْقَ الْإِجْرَامِ، وَظَهَورَ الْفَتْنَةِ وَالضَّلَالِ؛ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ ثَوَابٌ وَلَا عَقَابٌ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا رَبٌ يَجْازِي الْمُجْرِمِينَ بِعِذَابِهِ، وَالْمُطَبِّعُونَ بِثَوَابِهِ، فَمَا الَّذِي يَمْنَعُ الْمُجْرَمَ مِنْ تَنْفِيذِ جُرْمِهِ؟ وَمَا الَّذِي يَجْعَلُ قَلْبَ الْغُنَيِّ يَشْفَقُ عَلَى الْفَقِيرِ؟ وَمَا الَّذِي يَمْنَعُ السَّارِقَ وَالْغَشَاشَ وَالْخَائِنَ وَمَدْمَنَ الْمُخْدِرَاتِ؟ مَا الَّذِي يَمْنَعُ هُؤُلَاءِ مِنْ تَحْقيقِ رَغْبَاتِهِمْ؟

وللقارئ عظة مما يقع في العالم الملاحد من أنواع الجرائم والظلم في جو مشحون بالتورات والهموم قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: 124].

إِذَا كَانَتِ الْمُظَالَّمَ وَالْأَنَانِيَاتِ وَحُبِّ الشَّهَوَاتِ وَغَيْرِهَا تَحْصُلُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ تَعَالَى فَمَا هُوَ الظُّنُونُ بِالْمُجَمَّعَاتِ الَّتِي لَا تَؤْمِنُ بِاللَّهِ رَبِّا وَلَا بِالْإِسْلَامِ دِيَنًا وَلَا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا؟!، وَلَا ضَمِيرٌ حَيٌّ يَذْكُرُهَا بِمَا لِلآخِرِينَ مِنْ حَقُوقٍ، مَا هُوَ الظُّنُونُ بِتَلْكَ الْمُجَمَّعَاتِ الَّذِينَ هُمْ كَالْأَنْعَامِ أَوْ أَصْلَى؟ الَّذِينَ لَا يَعِيشُونَ فِي بَيْتَاتِ أَسْرِيَةٍ مُتَحَابِةٍ، يَعْرِفُ بَعْضُهُمْ لِلبعْضِ الْآخِرِ مَا لَهُ مِنْ حَقُوقٍ صَلَةُ الرَّحْمِ، وَحَفْظُ الْأَنْسَابِ، وَتَقوِيَّةُ الْمُوْدَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ. فَأَيْنَ الْأَوْلَادُ بَعْدَ أَنْ ابْتَلُوْهُمْ دُورَ الْحُضَانَاتِ الْحُكُومِيَّةِ؟، وَأَيْنَ الْأَزْوَاجُ بَعْدَ أَنْ تُفْرَقَ الْجَمِيعُ فِي كُلِّ اِتِّجَاهٍ تَلْبِيَّةً لِحَاجَاتِهِمُ الْمُعِيشِيَّةِ وَاللَّهُو أَيْضًا؟، وَأَيْنَ بَقِيَّةُ الْأَقْرَبِ وَقَدْ تَكْفُلَ الْإِلْحَادُ بِمُحَارَبَةِ أَيِّ وُجُودٍ لِذَلِكِ؟، وَأَيْنَ تَلَاحِمُ الْمُجَمَّعُ كُلُّهُ بَعْدَ أَنْ تَعْهِدَ الْمُلَاحِدَةُ بِتَفْرِيقِ الْمُجَمَّعَاتِ وَضَرْبِ بَعْضِهِمْ بِالبعْضِ الْآخِرِ عَنْ طَرِيقِ الْجَاسُوسِيَّةِ الْمَهَائِلَةِ إِلَى حدَّ أَنَّ أَيِّ شَخْصٍ لَا يَأْمُنُ الْآخِرَ بِأَيِّ حَالٍ؟ فَأَصَبَّحَتِ الْمُجَمَّعَاتِ الْإِلْحَادِيَّةُ تَعِيشُ فِيمَا بَيْنَهَا كَمَا تَعِيشُ قَطْعَانُ الذَّئَابِ أَوْ السَّمَكِ فِي الْبَحْرِ.

وَلَذِلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَأْخُذُوا الْعَظَةَ بِغَيْرِهِمْ وَأَنْ يَفْرُوا مِنْ تَلْكَ الْأَفْكَارِ، وَصَدَاقَاتِ زَعْمَاءِ تَلْكَ الْمُجَمَّعَاتِ كَمَا يَفْرُ الصَّحِيحُ مِنَ الْمَجْذُومِ، بَلْ وَأَشَدُ، وَأَنْ يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَبْتَهِلُوا إِلَيْهِ أَلَّا يَجْعَلَ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا. (41)

المبحث الثامن: أسباب نشأة الإلحاد الغربي

يذكر الباحث السويدي الدكتور جوهانز كلومنك (الملقب بـ عبد الله السويدي) عشرة أسبابٍ لظهور الإلحاد في الغرب، وهي كما يلي:

أولاً: العقائد الباطلة في الديانة النصرانية:

لابد من إدراك نقطة ذات أهمية بالغة، ألا وهي أن الإلحاد هو عدم الإيمان أو الإنكار المطلق، ولا يعتبر منظومة متكاملة الأركان، بل يتولد في الغالب كردة فعل مناهضة للعقيدة الدينية السائدة في البلد، والجدير بالذكر أن الإلحاد أول ما انتشر في أوروبا، كان في بيئه نصرانية، فظهر الإلحاد ليقاوم التمسك بهذه العقيدة، وهذا الأمر ليس بغربي؛ لأن العقيدة النصرانية المحرفة مشتملة على كثير من العقائد الباطلة المنافية للفطرة السليمة والعقل السوي، حيث النصارى يعتقدون أن الإله واحد وفي نفس الوقت ثلاثة أشخاص أو ثلاثة أقانيم: الآب، الابن، الروح القدس، فالآب هو الإله، والأب ليس هو الابن، والابن هو الإله، وليس هو الروح القدس! ويعتقدون أيضاً بما يسمى "الخطيئة"، ويعنون بها أن أول بشر هو نبي الله آدم عليه السلام أخطأ خطيئة -الأكل-

من الشجرة- ثم بقيت هذه الخطيئة موروثة في ذريته جيلاً بعد جيل، ولكي يُحَلِّصَ الإلهُ البشرية من هذه الخطيئة الموروثة والذنوب كلها، نزل أحد الأقانيم، وهو الابن متجمساً به إلى الأرض، يظنون أن هذا الإله الذي هو 100% إله و100% بشر، قد قبض عليه وعذّب وصلب وقتل!

فكانت هذه العقيدة وما تلحّق بها من العقائد الباطلة المنافية للفطرة السليمة والعقل السوي الشارة الأولى لأن يشكك المفكرون الغربيون في حقيقة وجود الإله، لا سيما أن النصرانية هي العقيدة السائدة حينئذٍ ولا يعرفون سواها.

ثانياً: الأخطاء الواردة في الكتاب المقدس:

يُعِظِّمُ النصارى الكتاب المقدس بعهديه: العهد القديم، والعهد الجديد، ويعتبرونه وحيّاً إلهياً، وأحد أهم مصادر المعرفة لديهم في تلقي العقائد؛ لكن ظهرت كتابات نقدية للكتاب المقدس في عصر التنوير، وازدادت هذه الكتابات النقدية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، واكتشفوا حجم الأغلاط والتناقضات العقلية والعلمية الواردة فيه، وأن جل المؤلفين للكتاب المقدس مجاهيل، وبدأوا يشككون في كونهم يكتبون بناء على الوحي الإلهي؛ فدخل إليهم الشك في العقيدة النصرانية بأكملها، وسقطت قيمته كمصدر للمعرفة؛ فأدى بعضهم إلى الإلحاد، وبعض الآخر إلى تبني مذهب الربوبيّة أو اللاذينية.

ثالثاً: طغيان الكنيسة:

لم تكن المشكلة في وجود أخطاء في الكتاب المقدس فحسب، أو اكتشاف أن عقائده باطلة منافية للعقل، بل مما ساهم في انتشار الإلحاد كون الكنيسة الكاثوليكية حينئذٍ مهيمنة على شؤون الحياة كلها في أوروبا، وألزموا الناس بها، ومن يعارض هذه المعتقدات والأراء العلمية والفلسفية يردونه من الزنادقة والهرطقة - كما كانوا يسمونهم- إضافة إلى التواطؤ الوثيق بين الكنيسة والملوك الجبارية، الذين ظلموا الناس وتجرروا عليهم بالقمع والاضطهاد وأخذ أموالهم بالباطل، وكانت الكنيسة كذلك يأكلون أموال الناس بالباطل، كما قال الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكُنُزُونَ الدَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [سورة الكهف: 34].

إن طبيعة الإنسان إذا شعر بالظلم والاضطهاد والطغيان والجور، فإنه يسعى إلى التخلص من ذلك كله، فسعت الشعوب الأوروبيّة للتخلص من ظلم الملوك، وكذلك من ظلم السلطة الكنيسة الوثيقة بهم، ومما دل على ذلك وقوع الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر، فإنها كانت ثورة على نظام الحكم في فرنسا، وقد اشتهر عن الثوار وقتها عبارة: "اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس"، ثم ظهرت العلمانية المتطرفة المعادية للدين في هذه الثورة كردة فعل طغيان الكنيسة، ومن ثم تسربت هذه الأفكار المعادية للدين إلى دول أخرى بعد ذلك.

رابعاً: نشوء الحروب الدينية والطائفية:

لم يكن العلمانيون وحدهم من عارض سُلطة الكنيسة الكاثوليكية، بل ظهرت حركات نصرانية إصلاحية - كما يسمونها- تُعارضها، وأشهر هذه الحركات هي حركات البروتستانت، كحركة مارتن لوثر وكالفين وغيرهم.

ثم أصبحت هذه الحركات بذاتها طوائف مستقلة، وقد استولوا على الحكم في العديد من البلدان؛ مما أدى إلى وقوع صدام وحروب طاحنة بين الدول البروتستانتية والدول الكاثوليكية، وأشهر هذه الحروب تسمى بحروب الثلاثين عاماً (1918-1948)م؛ وقد نتج عن تلك الحروب هلاك ما يعادل ثمانية مليون شخص، وبما أن تلك

الحروب حصلت بداعٍ عقدي نصراني، وكانت كل طائفةً منها تدعي أن الإله يؤيدهم؛ فهذا قد شُكِّل وجود نفسيات معادية للدين، وهذا ما ظهر جلياً في أوروبا في تلك الفترة بظهور المذهب الربوبي والإلحاد.

خامسًا: مشكلة الشر:

هي إشكالية التوافق بين وجود إله متصف بصفات الكمال: عليم، قدير، رحيم، ووجود مصائب ومشكلات وشروع في العالم، ظهرت هذه الشبهة قديماً قبل أكثر من ألف سنة في العهد اليوناني، وتُعد أكثر إشكالاً عند النصارى من بقية الطوائف؛ لأن النصارى قد بالغوا في وصف الإله وقالوا أنه بذاته المحبة، يحب جميع الناس مهما اقترفوا من الآثام أو ارتكبوا من الجرائم، فلما رأوا ازدياد الشرور وال المصائب والكوارث والآلام في العالم وجدوا صعوبة بالغة في الجمع بين الأمرين.

بينما المسلم يعتقد أن الله سبحانه وتعالى متصف بالمحبة والرحمة، وكذلك متصف بالحكمة والغضب، وأنه شديد العقاب، خلق الخير والشر في الحياة امتحاناً لعباده، قال الله عز وجل: {فَلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} [سورة الفلق: 1-2].

فلم يكن المسلمون يستشكّل عليهم مشكلة الشر لقول الله عز وجل: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرَجَّعُونَ} [سورة الأنبياء: 35].

الجدير بالذكر أن مشكلة الشر في الأصل تعتبر مشكلة نفسية وإن بدت بصورة منطقية؛ ولهذا نجد أن كلما زادت الحروب والصراعات، كلما تصحّم هذا الإشكال لدى النصارى، خاصة إثر حروب الثلاثين عاماً والحروب النابليونية وال الحرب العالمية الأولى والثانية.

سادساً: ظهور المذاهب الفكرية المعادية للدين:

في العصور الوسطى كانت القضايا الفكريّة والآراء الفلسفية محصورة لدى الكنيسة الكاثوليكية، أما في عصر المهمضة والتنوير ظهرت فلسفات خارج المنظومة الفكرية للكنيسة، ساهمت في نشأة عدد من المذاهب الفكرية المعادية للدين في القرنين التاسع عشر والعشرين، ومن أمثلة هذه المذاهب الفكرية: الشيوعية، أسست على يد "كارل ماركس"، فقد تبني عدة آراء مناهضة للدين، فهو يعتبر أن الدين أفيون الشعوب، والإيمان بال媿ية البحنة.

وظهر أيضاً مذهب الاشتراكية الديموقراطية المنتشرة في الدول الإسكندنافية، بالإضافة إلى مذاهب علمانية أخرى مثل الوجودية، وتيارات فلسفية كالوضعيّة المنطقية.

سابعاً: تمكّن الملاحدة من السلطة ونشر الإلحاد بقوّة:

تمكّن أصحاب هذه المذاهب الفكرية من استلام الحكم في القرن العشرين، ولا سيما المذهب الشيوعي، فقد تمكّن الشيوعيون من الحكم في بعض أكبر الدول في العالم مثل الاتحاد السوفيتي والصين، إضافة إلى بعض الدول في شرق أوروبا وأسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

وهؤلاء بنوا ما يعرف بـ"الحاد الدولة" State atheism وفرضوا الإلحاد على هذه المجتمعات بالسيف وال الحديد، فهدموا الآلاف من المساجد والكنائس وقتلوا عشرات الآلاف من أئمة المساجد وقساؤسة الكنائس، وكان ذلك

من أكبر أسباب انتشار الإلحاد في تلك الدول، وتبني بعض المؤثرين الشيوعية المُتَدَّرِّة بدعمِ من الدول الشيوعية مثل "كريستوفر هيتشنز" ثم ما لبث أن ترك الشيوعية، ولكن لم يزل من أكبر دعاة الإلحاد في هذه القرن إلى أن تُوفَّى قبل سنوات.

ثامنًا: ظهور نظريات علمية تتحدى الإيمان بالله:

كما أسلفنا سابقًا، في عصر القرون الوسطى، كان القيام بالبحث العلمي مقتصرًا على رجال الدين في الكنيسة، لكن في عصر النهضة وعصر التنوير ما لبث أن انتقلت هذه العلوم من أيديهم في الغالب إلى علماء لا يعتمدون على آراء الكنيسة، لأن العلم التجاري في صراع حتى مع الدين، ولهذا نلاحظ أن كثيرًا من المعتنين بالعلوم التجريبية الطبيعية يعادون الدين ويتبينون المذهب المادي الصرف، ويرفضون الحديث عن الخلق الإلهي أو التصميم الذكي، ولا يتطرقون إلى الغيبيات، بل يستميتون في الدفاع عن النظريات العلمية المبنية على المذهب المادي، كنظرية التطور لشارلز داروين، التي أراد من خلالها أن يربط بين الإتقان المحكم للخلق وبين الانتخاب الطبيعي "Natural selection" دون اللجوء لأي تفسير ديني، ومع انتشارها في الأوساط الأكاديمية الغربية؛ أدت إلى بروز الإلحاد بشكل قوي في المجتمع الغربي ككل.

تاسعًا: طغيان المادية في المجتمعات الإلحادية:

قد تقدمت التكنولوجيا بشكل هائل في العصور المتأخرة، ففي قرن واحد تطورت التكنولوجيا مما لم تتطور في 1000 سنة من قبل، ولا شك أن لهذا التقدم منافع كثيرة للبشرية، ولكنه أيضًا من أسباب ابتعاد كثير من الناس عن خالقهم، فقد قال الله عز وجل: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَنَ لَيَطْغَى * أَنَّ رَعَاهُ آسْتَغْفَى} [سورة العلق: 6-7].

هذا ما نجده عند كثير من المجتمعات التي فيها رفاهية زائدة، وأن بعض الناس يرون أنهم يمكنهم الاستغناء عن خالقهم، فكان ذلك من أكبر أسباب ظهور الاكتئاب والمشاكل النفسية واللجوء للإلحاد.

عاشرًا: نشاط الملاحدة في نشر إلحادهم:

نختم به كونه يعدُّ من أكبر الأسباب في بروز وانتشار الإلحاد، حيث أن الأفكار لا تنتشر بنفسها، وإنما تنتشر بواسطة أفراد وجماعات، فكان للملاحدة نشاط كبير وقوى في نشر أفكارهم في الغرب، ومن الأمثلة على ذلك في هذا العصر، ما يُعرف بـالملاحدة الجدد، الذين لديهم أنشطة متعددة: تأليف الكتب، وإلقاء المحاضرات، وعقد المنااظرات، وإنتاج الأفلام الوثائقية، وغير ذلك.

بسبب هذا النشاط نحتاج نحن المسلمين أن نقوم بعمل مضاعف لمكافحة الإلحاد وبناء عقيدة صحيحة تحصّن عقول المسلمين، بجانب دعوة غير المسلمين من الملاحدة وغيرهم وتعريفهم بالإسلام.

ويذكر الدكتور أبو زيد مكي في كتابه (دلائل الربوبية) عدة أسباب للإلحاد؛ إذ يقول: "إنَّ أبرز أسباب ظهور الإلحاد في أوروبا خمسة:

1- الديانة النصرانية المنفردة في عقيدتها وشريعتها؛ لأنَّها عقيدة غير مقبولة عقلاً وفطرة، كالقول بألوهية المسيح وعقيدة التثليث؛ ولأنَّها تشتمل على شريعة مليئة بالأسرار والرموز غير المقنعة ولا محقيقة لصلاح الدنيا والدين كسر التعميد وسر الاعتراف، ليس هذا فحسب بل فيها عبادة الصور والتماضيل وفيها نظام الرهبانية والعزوبة والتجرد والتعذيب الجنوني وتحريم الطيبات وغير ذلك.

2- طغيان رجال الكنيسة المبغض في مجالات شتى كالتعبدية والعلمية وفرض الوساطة بينهم وبين الله، وكذلك فرض العشور والسخرة والخضوع المذل.

3- حدوث الصراع بين الدين الكنسي والكشف العلمي، وذلك لأمرين:
أ) قولهم إنَّ خرافات الكنيسة هي وحي من الله، فإذا بطلت الوحي بطل الإيمان بالله.
ب) قولهم إنَّ التفسير الديني عموماً لظواهر الطبيعة قائم على التدخل المباشر من الله لها، فإذا عرفوا القانون قالوا إنَّ الطبيعة تحكم نفسها بنفسها.

4- دور اليهود في نشر الإلحاد؛ لأن العداوة بين اليهود والنصارى مزمنة، وكانت الكنيسة أيام سيطرتها تضطهد اليهود بسبب فسادهم وإفسادهم.

5- غياب الأمة الإسلامية عن بيان الدين الإسلامي.⁽⁴²⁾

وكذلك من الأسباب أيضًا:

- "المناداة بإطلاق الحريات للناس: الحريات الشخصية وحرية الكلمة وحرية التصوف وحرية الدين وحرية الاقتصاد وحرية الفكر وغير ذلك".

- تأليه الإنسان، واقتран الإلحادية بالقوة المادية، والتناقض الشديد بين الذي ورثوه وبين التعصب للعلم التجريبي، ولقد نشأت - بعد العديد من النظريات العلمية التجريبية العلمية- مرحلة تقدس العقل واستقلاله مع ظهور المذاهب الاقتصادية الإلحادية.

- هيمنة الغرب، واتباع طرقٍ خداعية، ووسائلٍ مغربية، وإنفاق مليارات الدولارات في الإعلام والمؤسسات التربوية؛ لغرس الإلحاد، وقد ركزوا على أهم الوسائل التي تكون عوناً لهم في نشر دعوتهم، كالكتب الإلحادية والروايات الماجنة؛ التي تعمق ثقافة الشك وتهدم العقيدة، وتثير في النفس الغرائز، وبرامج الأطفال؛ التي تُفسِّد فطرتهم في سن مبكر، وأيضاً نشر المقالات المزخرفة بالأقوال، وبث القنوات الفضائية، وإنشاء الواقع الإلكتروني، وكذلك اللقاءات المباشرة والجلسات الحوارية الخاصة، والأفلام والمسلسلات وجميع موقع التواصل الاجتماعي، وغير ذلك من الوسائل المستجدة التي تعرض مفاهيم الإلحاد بكل وضوح، وتمجد دعائهما، وتنشر الرذائل، وتحمِّل الفضائل؛ فنرى الانحطاط الأخلاقي في المجتمع؛ والسخرية من الدين وعلمائه، واحتقارهم، والاستخفاف بآرائهم، واتهامهم بالرجعية وتقبيده حرية الآخرين.

- ومن الأسباب أيضًا: الحروب الشرسة ضد العالم الإسلامي وتدميرهم وظلم الغرب لهم؛ حيث لم يعطوا فرصة حقيقة لنشر الإيمان والدين الحق بينهم، بل بالعكس، فقد روجو للفوبيا من الإسلام بنشرهم الأكاذيب تحت مسمى الإرهاب.

- ومن الأسباب كذلك: كثرة الحروب والماسي التي حدثت في التاريخ والإيادات الجماعية.

- وبما أنَّ التحريف الذي طرأ على التوراة والإنجيل، هو من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى التناقض بينهما وبين معطيات العلوم العلمية الصحيحة، فقد نتج عن هذا التناقض البذرة الأولى للإلحاد، لا سيما عند العلماء الغربيين.

(42) دلائل الريوبية، د. أبو زيد بن محمد مكي، ط 2 1439هـ/2018م مركز تكوين للدراسات والأبحاث

الفصل الثالث: نظريات الإلحاد وإرهادات إندثاره:

ويشتمل على المباحث التالية:

- **المبحث الأول: نظريات وضعٌ أسسَ الإلحاد.**
- **المبحث الثاني: الشيوعية ودورها في نشر الإلحاد.**
- **المبحث الثالث: الإلحاد فكرة شيطانية يهودية.**
- **المبحث الرابع: موت الإلحاد.. شارف على الاقتراب.**
- **المبحث الخامس: بلدان أوروبا ليست نصرانية.**

الفصل الثالث: نظريات الإلحاد وإرهادات إندثاره

المبحث الأول: نظرياتٌ وَضَعَتْ أُسُسَ الإلحادِ

تعتبر "نظريات ماركس" في الاقتصاد، والتفسير المادي للتاريخ، و"نظريّة فرويد" في علم النفس، و"نظريّة داروين" في أصل الأنواع، و"نظريّة دور كهaim" في علم الاجتماع، من أبرز النظريات التي أرست قواعد وأسس الإلحاد في العالم؛ ولقد أثبتت العلماء أن جميع تلك النظريات ما هي إلا حدسٌ وخيالٌ وأوهامٌ شخصية ولا صلة لها بالعلم.⁽⁴³⁾

نظريّة داروين، ومفهوم الداروينية الاجتماعيّة

سنطرح هنا نظرية داروين، وما ترتب عليها من نشأة الداروينية الاجتماعيّة كأنموذجٍ كان له أثراً لا يستهان به في انتشار الإلحاد، كانت شرار النار في الهشيم.

تنسب نظرية التطور الدارويني إلى الإنجلزي النصراني تشارلز داروين، صاحب كتاب "أصل الأنواع" سنة 1859م، الذي عرض فيه نظريته في النشوء والارتقاء، ونشأة الكائنات الحيّة وتطورها، واضعًا فرضية (وهمية): بأنَّ أصل الكائنات الحيّة كلها خلية، كانت في مستنقع آسن قبل ملايين السنين، ثم تطَوَّرت هذه الخلية عبر مراحل، إلى أن ظهرت الحيوانات، التي مسَّها التطور إلى مرحلة القرد، كأعلى مرحلة للكائن غير العاقل، ثم انتهاءً بالإنسان الذي سيتطور إلى مراحل أخرى.

يفترض داروين أنَّ أصل الكائنات العضوية كائنٌ حقير ذو خلية واحدة، تطَوَّر الكائن أحادي الخلية العضوية من السُّهولة وعدم التعقيد إلى الدِّقة والتعقيد، ومن الأحادية إلى ملايين الخلايا العُضوية، إلى أن ظهرت الأسماك ثم البرمائيات، ثم الزواحف، ثم ذوات الأربع، ثم ذوات الرِّجلين، ثم الطيور، إلى أنْ كان أرقى الأنواع غير العاقلة، وهو القرد الذي يقرب للنوع البشري ظاهريًا، كما شمل التطور النوع الواحد من الأحاطة إلى الأرق، بأنَّ وهبَ الطبيعة الأنواع القوية عوامل البقاء والنمو، والتكيُّف مع البيئة؛ لتصارُع الكوارث وتدرج في سُلم الرقي، مما يؤدي إلى تحسُّن نوعيٍّ مستمرٍ، ينبع عنَّه أنواعٌ راقية جديدة كالقرد، وأنواع أرقَّ تتجلى في "الإنسان".

وفي المقابل سلبت "الطبيعة" تلك القدرة من الأنواع الضعيفة، فتعزَّزت وسقطت وزالت.

وتقدُّم الأنواع البيولوجية الحيّة عند داروين يعتمد على الصِّراع من أجل البقاء "نظريّة الصدام الدائم، والعداوة المتأصِّلة"، التي تفرضها الطبيعة؛ لتمييز القوي الصالح للبقاء من الضعيف المعرقل للنمو؛ ففي القانون الطبيعي ينتصر فيه الأصلاح وهو الطرف الأقوى، وانتصار الأصلاح يتطلب منهًما، وهو الطرف الأضعف، الذي يتم التخلص منه طبيعياً؛ ليبقى الانتقاء الطبيعي؛ كما يحصل التطور والارتقاء لأنواع الحالية؛ نحو أنواع أكثر تعقيداً وتطوراً، وكل حلقة تؤدي إلى التي تليها، وهكذا تؤدي اليرقة إلى القرد، والقرد إلى الإنسان بطريقَة آلية.

وفرضيَّة الاستمرارية والواحدية عند داروين، ليس لها شواهد ماديَّة علميَّة، "تماماً كما تتحرَّك الأجسام تحت تأثير قانون الجاذبيَّة (في منظومة نيوتن)، وكما تحوَّل الأفكار الجزئيَّة إلى أفكار كُلية بطريقَة آلية في منظومة

وها هو ذا تصوّر داروين القائم على مجموعة فرضيات، بعضها أقرب إلى الأساطير منها إلى العلم، فوق عاجزاً تماماً من الناحية العلمية عن إثبات الكثير منها، كالحلقة المفقودة بين القرد والإنسان، كيف تم التحول؟ فعلّ ذلك من طرف أتباعه بالطفرة؛ بمعنى سدّ الثغرة في الزمان بدون سبب واضح، وهنا بدأ القول "بالصدفة"، ابتدع مصطلحاً يُوجّي بالعلمية "الطفرة"؛ إذ مفهوم الصدفة يُنبع عن العجز عن التبرير، ودليلٌ على الجهل بالعلة، أما "الطفرة" فهي العلم بالأصل مع جهلٍ علّة وجود الفرع، والتي في النهاية تعني: "الصدفة".
بل وجود الخلية الأولى كيف كان؟ وما كان؟ وما هو أول تحول؟ وكيف تم؟

وهنا تجد إجاباتٍ هي تحريف؛ تبعها تحريف لاكتشافات، ثم تزييف لحقائق علمية، هل سمعت بنظرية تحول الديناصورات من ماشية على قدمين إلى طائرة بجناحين؟! لقد لاحق ديناصور (محظوظ) ذبابة؛ فلما سبقته؛ رام أن يُدركها؛ فنبأَت له جناحان حين ركضه؛ بقدرة قادر (وهي الطبيعة)؛ فطار، ومنه نسل الطيور - والله هذه نظرية مُصنفة أنها علمية - ولا يظن القارئ أنها دعاية، ولكن السؤال، هل أدرك الديناصور الطائر الذبابة أم لا؟ لم تعلم الداروينية بعد، والتحقيقات جارية.⁽⁴⁵⁾

وليت نظرية التطور وقفت عند المسلمين؛ بل تعدّتها إلى السذاجة العمياء والخرافة البلياء، يقول البروفسور T.W. Beeb (عالم طبيعة) في كتابه "الطائر" ص79: "إنَّ التغييرات الإعجازيَّة التي نفترض أنها قاصرة على القصص الخرافية أمور عادية جداً في نظرية النشوء والارتقاء"، ويقول الدكتور ماكنيرولسن في منشورات أكسفورد الطبية: "إنَّ نظرية النشوء والارتقاء لا تقلُّ عن أيِّ قصة خرافية".⁽⁴⁶⁾

نصف نظرية داروين علمياً وبإنصاف

عدد كبير من علماء الغرب أبطلوا هذه النظرية ولكن دعاة المسلمين أثبتوا هشاشة نظرية "التطور" بعيداً عن أية مؤثرات غير معترفة وسنذكر مثالين منها باختصار:

في الحلقة 21 يُقيِّم أ. د. إبراد قنبي أهمَّ أركان ما يُعرف بنظرية التَّطور لداروين كالتالي:

"تشارلز داروين" Charles Darwin هو باحث إنجليزي في تاريخ الأحياء الطَّبيعيِّ، ذَكَر مشاهداتٍ كثيرةً جَمِعَها في رحلاته ونقلها عن آخرين؛ كالتشابه الشَّكليِّ والتَّشرعيِّ بين أنواعٍ مختلفةٍ من الكائنات، وأنماط توزُّعها الجغرافيِّ، وبنى عليها افتراضًا أنَّ كلَّ الكائنات الحيَّة أتت من أصلٍ مشتركٍ؛ مرَّ بعمليَّات تطُورٍ وتَنوُّعٍ، بحيث يتغيرُ الكائن تغييراتٍ بسيطةً متراكمةً، ثُمَّ الطَّبيعة تُغْرِي؛ فالتأثيرات المفيدة تُبقيها الطَّبيعة وينتج عنها نوعٌ جديدٌ من الكائنات بمرور آلاف السنين وملايينها! في حين قضتِ الطَّبيعة حسب داروين على عددٍ لا حصر له من الكائنات الانتقالية، التي حدثت فيها تغييراتٍ ضارَّةً أو غير نافعة.

(44) "موسوعة اليهود والمهدوية والصهيونية" عبد الوهاب المسيري، (2/72).

(45) "هدم نظرية التطور في عشرين سؤالاً" يحيى هارون / "الإنسان مخلوق لا مصادفة" باول لوثر.

(46) "مصرع الداروينية"، محمد علي يوسف، (58).

بالإضافة إلى دور الغربلة، افترض داروين أنَّ الطَّبِيعَةَ أَسْهَمَتْ فِي إِحْدَاثِ صَفَاتٍ جَدِيدَةٍ فِي الْكَائِنَاتِ؛ بِحِيثِ عِنْدَمَا يَكْتُسُ الْحَيْوَانُ صَفَاتٍ مُعِينَةً نَتْيَاجَةً بِيَنْتَهِي إِلَى أَوْلَادِهِ، مُتَفَقًا بِذَلِكَ مَعَ افْتَرَاضِ لَامَارِكَ "Lamarck" أَنَّ الْزَرَافَةَ الَّتِي تَمْتَازُ بِرَقْبَةٍ طَوِيلَةٍ جَدًّا كَانَتْ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ بِرَقْبَةٍ قَصِيرَةٍ، وَلَكِنْ مَعَ تَغْيِيرِ الظُّرُوفِ الطَّبِيعِيَّةِ مِنْ حَوْلِهَا وَاضْطِرَارِهَا لِمَدِ عَنْقَهَا حَتَّى تَأْكُلَ مِنْ أَعْلَى الشَّجَرِ ظَلَّ عَنْقَهَا يَسْتَطِيلُ جِيلًا مِنْ بَعْدِ جِيلٍ، حَتَّى صَارَتْ إِلَى مَا صَارَتْ إِلَيْهِ الْيَوْمَ.

أَهْمُّ مَا فِي الْمَوْضُوعِ أَنَّ دَاروِينَ افْتَرَضَ أَنَّ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ إِنَّمَا نَتَجَتْ عَنْ هَذِهِ التَّغْيِيرَاتِ بِمَجْمُوعِ الصُّدُفِ؛ أَيْ دَوْنَ قَصْدٍ، دَوْنَ قَصْدٍ! وَبِتَعْبِيرِهِ: "لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ خَطَّةً لِلخَلْقِ" *"plan of creation"* فِي إِيجَادِ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ الْكَثِيرَةِ، وَهُوَ مَا أَكَّدَهُ فِي مَوْاضِعَ عَدِيدَةٍ مِنْ كِتَابَاتِهِ.

نَشَرَ دَاروِينَ أَفْكَارَهُ هَذِهِ عَامَ 1859 مَ فِي كِتَابٍ بِعِنْوَانِ: (حَوْلَ أَصْلِ الْأَنْوَاعِ) (*On the Origin of Species*) ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يُعْطِيَ آلِيَّةً تَفَصِيلِيَّةً لِتَوَارِثِ الصِّفَاتِ الْمُكَتَسَّبَةِ فَنُشِرَ بَعْدَ أَعْوَامٍ مِنْ كِتَابِهِ (*أَصْلِ الْأَنْوَاعِ*) فَرَضِيَّتِهِ الَّتِي سَمَّاها شَمْوَلِيَّةُ التَّخْلُقِ "pangenesis"؛ وَالَّتِي افْتَرَضَ فِيهَا أَنَّ الطَّبِيعَةَ عِنْدَمَا تَؤَثِّرُ عَلَى خَلَايا الْكَائِنِ فَإِنَّ هَذِهِ الْخَلَايا الْجَسْمِيَّةَ تُفْرِزُ مَوَادَ صَغِيرَةً سَمَّاها دَاروِينَ جِيمِيُولَزَ "Gemmules" وَالَّتِي تَتَرَكَّزُ فِي الْأَعْضَاءِ التَّنَاسُليَّةِ لِلْكَائِنِ لِتَنْتَقِلُ إِلَى ذَرِيَّتِهِ.

وَمِنْ أَينْ جَاءَ الْأَصْلُ الْمُشَتَّرُ يَا دَاروِينَ؟! مِنْ أَينْ جَاءَ الْكَائِنُ الْأَوَّلُ؛ الَّذِي بَنَيَّتْ عَلَيْهِ أَفْكَارَكَ، وَنَسَبَتْ إِلَيْهِ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ كُلَّهَا؟!

لَمْ يُبَيِّنْ دَاروِينَ فِي كِتَابِهِ! لَكِنَّهُ نَصَّ فِي مَرَاسِلَاتِهِ مَعَ عَالِمِ النَّبَاتِ جُوزِيفِ دَالْتُونِ هُوكِرَ "Joseph Dalton Hooker" عَلَى أَنَّ رَوْيَتِهِ هِيَ: أَنَّ أَوَّلَ كَائِنٍ نَشَأَ فِي بِرْكَةٍ دَافِئَةٍ مِنْ عَوَامِلِ كَالْضُّوءِ وَالْحَرَارةِ وَالْكَهْرِباءِ، أَيْ أَنَّ دَاروِينَ اتَّفَقَ بِذَلِكَ مَعَ فَكْرَةِ "الْتَّوَالُدِ الذَّاتِيِّ" الَّتِي كَانَتْ شَائِعَةً فِي عَصْرِهِ؛ حِيثُ كَانَ يُظَنُّ أَنَّ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ يُمْكِنُ أَنْ تَتَشَكَّلَ تَلْقائِيًّا مِنَ الْجَمَادَاتِ، كَانَ يُظَنُّ مُثَلًا أَنَّ الْحَشَراتِ تَنْشَأُ مِنْ بَقَايَا الطَّعَامِ، وَأَنَّ يَرْقَاتِ الدُّبَابِ تَنْشَأُ مِنْ قِطْعَةِ اللَّحمِ الْمُتَعَفِّنةِ.

هَذِهِ بِالْخَصْصَارِ هِيَ أَرْكَانُ نَظَرِيَّةِ التَّطْوُرِ لِداروِينِ: كَائِنٌ حَيٌّ تَوَلَّدُ بِطَرِيقَةٍ مَا مِنَ الْجَمَادَاتِ، طَبِيعَةُ تُكَسِّبِ الْكَائِنَ صَفَاتٍ جَدِيدَةً يُمْكِنُ أَنْ تَحُولَهُ مِنْ نَوْعٍ لِآخَرِ، الصِّفَاتِ الْمُكَتَسَّبَةِ تُورَّثُ، وَالطَّبِيعَةُ تَنْتَخِبُ بِشَكْلٍ تِراكمِيٍّ؛ وَصَوْلًا إِلَى كَائِنَاتٍ أَرْقِيَّ، فَتُرْكِبُ نُظُمًا حَيَوَيَّةً مَعَقَدَةً مِنْ تَغْيِيرَاتٍ بِسِيَطَةٍ مَتَعَاقِبَةٍ، وَالْإِسْتِنْتَاجُ أَنَّ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ نَشَأتْ "evolved" دَوْنَ قَصْدٍ وَلَا إِرَادَةً مِنْ فَاعِلٍ مُرِيدٍ مُخْتَارٍ يَعْلَمُ مَا يَفْعُلُ.

وَالآن... مَا هُوَ التَّقْيِيمُ الْعَامُ لِتَلْكَ الأَرْكَانِ الَّتِي بَنَى عَلَيْهَا دَاروِينَ هَذِهِ النَّتْيَاجَةَ؟

أَمَّا تَوْلُدُ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ تَلْقائِيًّا مِنَ الْجَمَادَاتِ؛ فَخَرَافَةُ سَقطَتْ بِتَجَارِبِ أَشْهَرُهَا تَجْرِيَةُ فَرَانْسِيُسْكُو رِيدِي "Francesco Redi" قَبْلَ دَاروِينَ بِقَرْنِينِ، وَتَجْرِيَةُ لوِيسِ باسْتُورِ "Louis Pasteur" الَّتِي نُشِرتَ بَعْدَ كِتَابِ دَاروِينِ بِخَمْسِ سَنَوَاتٍ، الَّتِي أَثَبَتَ فِيهَا أَنَّ الْكَائِنَاتِ، الَّتِي كَانَ يُعْتَقِدُ أَنَّهَا تَوَلَّدَتْ ذَاتِيًّا مِنَ الْجَمَادَاتِ كَبَقَايَا الطَّعَامِ، إِنَّمَا

أنت من خارج المواد الغذائية مع الهواء الملوث بها، وإلى باستور هذا تُنسب عملية التعقيم "البسترة"، والحليب المبستر.

والحقيقة أنَّ التَّولُّد الذَّاتِي ساقطٌ عقلاً أصلًا؛ أن تتصوَّر كائناً حيَا ينشأ هكذا تلقائياً من الجمادات! ومع ذلك أصرُّوا أن يجريوا! جربوا، فسقطت الخرافية بالعلم التجاري، بالإضافة إلى العقل.

وأمّا إحداث الطبيعة لصفاتٍ جديدة في الكائن عن طريق الاستعمال والإهمال كمثال رقبة الزرافة، فخرافهُ سقطت أيضًا باكتشافات غريغور مендل "Gregor Mendel"، الذي أثبت بعد داروين بسنواتٍ أنَّ الصِّفات الوراثية للأبناء مهما تعددت فهي لن تخرج عن الموجود أصلًا في الآباء، وسقطت كذلك باكتشافات الوراثة فوق الجينيَّة "epigenetics"؛ التي بيَّنت أنَّ العوامل الخارجية والبيئيَّة يمكن أن تُغيِّر طريقة قراءة المادة الوراثيَّة في كائنٍ ما؛ لتفعيل صفةٍ كانت كامنةً أو إخماد صفةٍ كانت منشطةً، لكنَّها لا تُضيف مادةً وراثيَّةً لم تكن موجودةً أصلًا.

وأمّا توريث الصِّفات المكتسبة؛ فخرافهُ ساقطٌ بالمشاهدة العاديَّة؛ فغضلات الحدَّاد والنَّجار-مثلاً- التي اكتسبها في حياتهما لا تُورَّث إلى الأبناء، ومع ذلك أصرَّ أتباع داروين أن يجريوا! جربوا، وظلَّ فايزلن "Weismann" يقطع ذيول 19 جيلاً من الفئران ليُفاجأَ المسكين بعد طول تعبٍ، بولادة أبنائهما كلَّ مرَّةً بذيلٍ مقطوعٍ إلى الأبناء.⁽⁴⁷⁾

فرضية بيولوجية بعيدة عن أن تكون حقيقة علمية ثابتة

بعدما يذكر أ. د. سفر الحوالى بایجاز شديد لب النظرية التي طلع بها داروين في ذلك الكتاب، يقول: "وهي في جوهرها فرضية بيولوجية أبعد شيء عن أن تكون نظرية فلسفية عامة، كما أنها بعيدة عن أن تكون حقيقة علمية ثابتة.

ولقد قال عنها اثنان من أساطين علم الأحياء في القرن الماضي، وهما: أوين⁽⁴⁸⁾ في إنجلترا، وأغاسيز⁽⁴⁹⁾ في أمريكا: (إن الأفكار الداروينية مجرد خرافات علمية وأنها سوف تنسى بسرعة).

ولن نبحث الآن في السبب الذي لأجله خاب ما توقعه هذان العالمان، لكننا نستدل على حقيقة ما كان متوقعاً لها إبان ظهورها من قبل أصحاب الفن المعترف بهم.

(47) رحلة اليقين الحلقة 21، نظرية التطور، نظرية داروين ... بإنصاف، قناة اليوتيوب أ. د. إياد قنبي.

(48) روبرت أوين (1771-1858م) مفكِّر اشتراكى بريطاني وصناعي ثرى، أنشأ أولى التعاوينيات الاستهلاكية، وعالم أحياء إنجليزى، من أساطين علم الأحياء في القرن التاسع عشر، عارض الأفكار الداروينية واعتبرها مجرد خرافات.

(49) صاحب نظرية (التولُّد الذَّاتِي) التي اشتهرت في القرن التاسع عشر في أوروبا، وهو عالم أحياء أمريكي من أساطين علم الأحياء، عارض الأفكار الداروينية واعتبرها مجرد خرافات.

والواقع أن الجديد الذي جاء به داروين ليس فكرة التطوري ذاتها، ولكنه القانون الذي تسير عليه عملية التطور، بغض النظر عن قيمته العلمية.

فقد عرفت الفكرة سلفاً من قبل علماء اكتشفوا من استقرائهم للسجل الجيولوجي للحياة، أن الحياة لم توجد على الأرض دفعة واحدة -كما يتوهم الناس- بل وجدت تدريجياً في ترتيب تاريخي، ولاحظوا أن الأنواع المتأخرة في الظهور أكثر رقياً من الأنواع المتقدمة، ومن هؤلاء (راي، وباركنسون، ولينو).

أما السبب في إهمال النتائج التي توصلوا إليها فهو -على ما يبدو- التفسير الذي قدموه للتطور، فقد قال هؤلاء: (إن التطور خطة مرسومة فيها رحمة للعالمين). ولذلك وصفت نظريتهم بأنها (لاهوتية) وكان ذلك كافياً لإضفاء النسيان عليها حتى داخل معامل الأحياء.

ذلك أن الصراع بين العلم والدين آنذاك، كان في حالة من الهيجان لا تسمح بانتشار نظرية تشم منها رائحة إله الكنيسة السفاح الحقود!!

وقبل أن نبحث عن الآثار التي خلفتها النظريات في مختلف الحقول والميادين، يحسن بنا أن نقف لنرى مكانها من العلم والحقائق العلمية:

وأول ما ينبغي مراعاته بهذا الشأن هو التفرقة بين جوهر النظريات نفسها وبين الإيحاءات الفلسفية والتفسيرات المبنية عنها والتطبيقات التعسفية لها، وهي أمور ربما لم تخطر لداروين على بال، كما أنها ليست نظريات علمية، إذ كان الوضع الطبيعي للنظريات حتى في حالة ثبوتها كحقيقة علمية أن تظل محصورة داخل المعلم مجردة عن ذلك كله.

وأول من نقد هذه النظريات علمياً هم العلماء المعاصرون لداروين، وقد مرّ قول أغاسيز، وأوين قريباً، وانتقدوها كذلك العالم الفلكي الشهير هرشل (فلكي مشهور) ومعظم أساتذة الجامعات في القرن الماضي.

ولنضرب عن هؤلاء صفحات فربما قيل أنهم هاجموها لأسباب دينية أو عاطفية، ولننظر إلى ما نال هذه النظريات على يد أكثر الداروينيين حماسة وتعصباً.

لقد اضطر أصحاب (الداروينية الحديثة) إلى إجراء سلسلة من التعديلات على النظريات تستحق أن توصف علمياً -بأنها نظريات جديدة.

فأرغموا على الاعتراف بأن قانون (الانتقاء الطبيعي) قاصر عن تفسير عملية التطور، فأضافوا إليه واستبدلوا به -في الواقع- قانوناً جديداً أسموه (قانون التحولات المفاجئة) أو (الطفرات) وهو قانون لا سند له إلا المصادفة البحتة.

ثم أرغموا على القول بأنه ليس هنالك أصل واحد نشأت عنه الحياة كلها كما تخيل داروين، بل إن هناك أصولاً عددة تفرع عن كل منها أنواع مستقلة.

ثم أرغموه -كذلك- على الاعتراف بتفرد الإنسان (بيولوجيًّا) رغم التشابه الظاهري وهو المزلق الذي سقط منه داروين ومعاصروه.

يقول جولييان هكسلي⁽⁵⁰⁾، بعد أن سرد الكثير من خصائص الإنسان الفذة: (هكذا يضع علم الأحياء الإنسان في مركز مماثل لما أنعم عليه كسيد المخلوقات كما تقول الأديان). ومن الداروينيين المتعصبين -أرثر كيث- الذي اضطر إلى كتابة النظرية من جديد رغم اعترافه بأنها ما زالت حتى الآن بدون براهين كما سيأتي.

ومن أشهر التطوريين المحدثين ليكونت دي نوي، وهو في الحقيقة صاحب نظرية تطورية مستقلة، ومع ذلك فهو يقول:

(أما تطور الكائنات الحية بحملتها فإنه يناقض علم المادة الجامدة تناقضًاً تاماً، وهو يتنافي مع المبدأ الثاني من مبادئ علم القوة الحرارية، وهو حجر الزاوية في علمنا المرتكز على قوانين المصادفة، فلا سبب للتطور ولا حقيقته يدخلان في نطاق علمنا الحاضر، وليس من عالم يستطيع إنكار ذلك).

ذلك هو موقف أنصار النظرية فماذا قال العلماء المحايدون في هذا القرن؟

يقول كريسي موريسون⁽⁵¹⁾: (إن القائلين بنظرية التطور لم يكونوا يعلمون شيئاً عن وحدات الوراثة) (الجينات) وقد وقفوا في مكانهم حيث يبدأ التطور حقاً -أعني: عند الخلية-.

أما أنتوني ستاندن⁽⁵²⁾ في كتابه العلم بقرة مقدسة، فيناقش مشكلة الحلقة المفقودة، وهي ثغرة من ثغرات كثيرة عجز الداروينيون عن سدها بقوله:-

(إنه لأقرب من الحقيقة أن نقول: إن جزءاً كبيراً من السلسلة مفقود وليس حلقة واحدة، بل إننا لنشك في وجود السلسلة ذاتها).

ويقول ستيفوارت تشيس⁽⁵³⁾: "أيد علماء الأحياء جزئياً قصة آدم وحواء كما ترويها الأديان، وإذا كانت تواريخ سفر التكوين في التوراة خاطئة وحوى كثيراً من الحذف والتهذيب والبيان الشاعري، فإن الفكرة صحيحة في مجملها".

وليت شعرى ماذا سيقول هذا الرجل لو قرأ القصة كما وردت في القرآن؟! وتقول مجلة العلوم المصورة:

(إن العلم يؤيد قصة آدم وحواء إلى حد ما، إننا نعترف بحقيقة فكرة الأسرة البشرية ذات الأصل الواحد).

(50) الملحد الإنجليزي الشهير جولييان هكسلي، صاحب كتاب: الإنسان يقوم وحده.

(51) صاحب كتاب (العلم يدعو إلى الإيمان) رد فيه على الدارويني الملحد جولييان هكسلي.

(52) مؤلف كتاب "العلم بقرة مقدسة"، وهو من انتقد على داروين نظريته.

(53) من المعارضين لنظرية داروين.

ويقول أوستن كلارك⁽⁵⁴⁾: (لا توجد علامة واحدة تحمل على الاعتقاد بأن أيّاً من المراتب الحيوانية الكبرى ينحدر من غيره، إن كل مرحلة لها وجودها المتميز الناتج عن عملية خلق خاصة متميزة، لقد ظهر الإنسان على الأرض فجأة وفي نفس الشكل الذي نراه عليه الآن).

هذا من الوجهة العلمية، فما الحكم على النظرية من الوجهة المنطقية المجردة؟

إن نظرية التطور تقوم على أصلين كل منهما مستقل عن الآخر:

- 1- إن المخلوقات الحية وجدت على الأرض في مراحل تاريخية متدرجة ولم توجد دفعة واحدة.
- 2- إن هذه المخلوقات متسلسلة وراثياً نتج بعضها من بعض بطريق التعاقب خلال عملية التطور البطيئة الطويلة.

والذي عملته الداروينية: أنها دمجت بين الأصليين، وجمعت شواهد ودلائل الأصل الأول لتأييد بها الثاني. وهذا اللبس غير العلمي هو الذي أغري بعض العلماء بقبول النظرية وأضفى عليها المسحة (العلمية)، مع أن هذه المسحة يصح أن تضفي على الأصل الأول، ولكن إضافتها على الثاني خطأ محض، إذ من المعلوم بديهيًا أن الترتيب التاريخي للوجود لا يستلزم التسلسل الوراثي، بل إن العقل ليؤكد ما هو أبعد من ذلك، وهو أن الترتيب المنطقي لا يستلزم الترتيب التاريخي، فالترتيب المنطقي للكائنات الحية هو -تصاعدياً- النبات ثم الحيوان ثم الإنسان، وليس في هذا الترتيب ما يدل على أن الوجود التاريخي لهذه الأجناس وقع بهذا الترتيب، بل تحتاج في إثبات ذلك إلى دليل خارجي، وذلك يشبه تماماً الترتيب المنطقي للأعداد: (1، 2، 3، 4) وبديهي أنّها ليس لها ترتيب تاريخي ولا يوجد بينها علاقة وراثية.

ولن نفيض في مناقشة النظرية أكثر من هذا، لكن لا يحق لنا الآن أن نسأل: إذا كان هذا هو حكم العلم والعقل على النظرية، وإذا كانت تتعرض للطعون والاعتراضات من كل جهة؛ فلم يتثبت بها بعض علماء الغرب -بغض النظر عن غيرهم- ويصررون عليها إصراراً أعمى؟

والجواب على ذلك أقرب ما يكون إلينا: أنه الفحص النكد والعداوة الشرسة التي قامت بين العلم والدين في ظروف غير طبيعية، ولقد كفانا السير آرثر كيث⁽⁵⁵⁾ مئونة الجواب بقوله:-

(إن نظرية النشوء ما زالت حتى الآن بدون براهين -وستظل كذلك- والسبب الوحيد في أننا نؤمن بها، هو أن البديل الوحيد الممكن لها هو الإيمان بالخلق المباشر وهذا غير وارد على الإطلاق).

وإضافة إلى ذلك يقول واطسون: (إن علماء الحيوان يؤمنون بالنشوء لا كنتيجة للملاحظة أو الاختبار أو الاستدلال المنطقي، ولكن لأن فكرة الخلق المباشر بعيدة عن التصور).

(54) من المعارضين لنظرية داروين.

(55) من الداروينيين المتعصبين.

ويقول د.ه سكوت⁽⁵⁶⁾: (إن نظرية النشوء جاءت لتبقى، ولا يمكن أن تتخلى عنها حتى لو أصبحت عملاً من أعمال الاعتقاد).

موقف واضح صريح، أدنى ما يوصف به هو ما قاله ليكونت دي نوي⁽⁵⁷⁾ حين اعترض عليه بعض المتعالين بسبب استعماله كلمة (الله) في أحد كتبه قال: "إن عدم التسامح المنتشر في القرون الوسطى لم يمت مع أنه انتقل إلى العسكر الثاني"، وهذا حق؛ فإن الموقف غير العلي الذي يتخذه هؤلاء المسمون (علماء) هو بعينه موقف الكنيسة في عقيدتها القائلة بأن الله خلق آدم خلقاً مستقلاً سنة 4004ق.م وإذا كان هناك من فرق فهو أن الكنيسة لم تدع أنها (علمية) كما يفعل هؤلاء المتعصبون، وإن في هذه الاعترافات الصارخة لعبرة بالغة للبعاوات في الشرق لو كانوا يعتبرون!!"⁽⁵⁸⁾

الآثار التي تركتها النظرية:

قبل ظهور النظرية كان الناس يدعون إلى "حرية الاعتقاد" بسبب الثورة الفرنسية، ولكنهم بعدها؛ أعلنوا إلحادهم الذي استشرى كالجرب، وانتشر بطريقة عجيبة، وانتقل من أوروبا إلى بقاع العالم، فلم يَعُدْ هناك أئمّة مدعّون لمدلول كلمة: آدم، حواء، الجنة، الشجرة التي أكل منها آدم وحواء، الخطيئة (التي صُلبَ المسيح ليُكفر عنها ويخلص البشرية من أغلالها حسب اعتقاد النصارى)، وطفت على الحياة فوضى عقائدية، وأصبح هذا العصر عصر القلق والضياع، واستبدَّ الشعور باليأس والقنوط والضياع، وظهرت أجيالٌ حائرة مضطربة ذات خواص روحية.

فكون الإنسان نتاج الطبيعة وخاضعاً لها، فلا إله خالق، وإن كان فجده قرداً؛ وما قيمة الأخلاق إن لازمها التطور؟ فهي نسبية خاضعة للزمان والمكان والنوع، وكل ذلك خاضع للطبيعة، وتاريخياً الأمر لا خلاص منه؛ إذ هو انتخاب طبيعي حتمي، والأديان هي من بدع البشر لتنظيم عملية البقاء والارتقاء بين الأنواع، هذا لبُّ ما أفرزته الداروينية.

(56) من المتعصبين لنظرية داروين قال: إن نظرية النشوء جاءت لتبقى، ولا يمكن أن تتخلى عنها حتى لو أصبحت عملاً من أعمال الاعتقاد.

(57) من أشهر التطوريين المحدثين، صاحب نظرية تطورية مستقلة عن نظرية داروين، له كتاب (مصير الإنسان).

(58) العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، الفصل الرابع: نظرية التطور، موقع أ.د. سفر الحوالي.

تعريف الشيوعية:

"الشيوعية الحديثة (الماركسيّة)، هي حركةٌ فكريّةٌ واقتصاديّةٌ يهوديّة، إباحيّة، وضعّها كارل ماركس، وهو يهودي ألماني.

ويذكر الباحثون في شخصيته: أنه رجل فاصلٌ مُعَقدٌ، يحمل كلَّ خصائص اليهود: من الحقد، والكراهية لجميع البشر، إضافةً إلى أنه كسولٌ فقيرٌ معوزٌ؛ لذلك استغلَ اليهود أوضاعَه النفسية والمادية الصعبة، وطلبوا له، حتى أشبعوه بالعظمة وسدادِ الرأي، وكل ذلك جعلَ (ماركس) يُنادي بالنظريّة الشيوعيّة⁽⁵⁹⁾، والتي تقوم على الإلحاد، وإلغاء الملكية الفردية، وإلغاء التوارث، وإشراك الناس كلِّهم في الإنتاج على حدٍ سواء⁽⁶⁰⁾، وقد تغيّر وضع الماركسيّة، فلم تعدْ مذهبًا - فقط - يُعتقدُ فيه من قبل البعض، ويُدعى إليه من طرفِهم، وإنما أصبحت "دولة" تسير بمبادئ مستقاة منها، وبهدف توخيّ نتائج رصدها أو رصدها أقطاها - بتعبير أدق⁽⁶¹⁾.

ولقد أعلنَ ماركس بمعونة زميله (إنجلز) سنة 1848م الشيوعيّة الماركسيّة الحديثة على أنها ثورةٌ شيوعيّة ضدّ الرأسماليّة الغربيّة، ضدّ الكنيسة المتحكّمة في رقاب العباد، ولكنّها كانت ثورةً طاغيّةً عاتيّةً أيضًا. وبقيت الشيوعيّة دعوةً نظريةً، حتى قامَت الثورة الشيوعيّة الشهيرَة في روسيا سنة 1917م، بقيادة لينين (اليهودي)، وبتمويل وتنظيم العلمانيّة.

وعندما حكمَت الشيوعيّة الاتحاد السوفييتي قبل انهياره وتفككه، فرضَت الإلحاد فرضاً على شعوبه، وأنشأت له مدارس وجمعيات.

وهي الآن تَجْثُمُ على رقعةٍ كبيرةٍ من المعمورة، تشملُ أقصى شرق وشمال آسيا، وشمال شرق أوروبا، إضافةً إلى مناطق نفوذها التي تتَّسَعُ بالحديد والنار يوماً بعدَ يوماً! خاصةً في إفريقيا وجنوب شرق آسيا وأمريكا الجنوبيّة وغيرها.

ولقد دخلت الشيوعيّة بعضَ دول العالم الإسلامي؛ حيث استفاد الشيوعيون من جهٍل بعضِ الحكام، وحرّصُهم على تدعيمِ كراسيهم، ولو على حسابِ الدين.

فالشيوعيّة اكتسحتُ أفغانستان، وشَرَّدَت شعوبها المسلمَ، كما أنها تحكم بعضَ الدول الإسلاميّة بواسطة عمالئها، كما أنها أسّست أحزاباً لها في مصر، والعراق، وسوريا، ولبنان، وفلسطين، والأردن، وسوريا، والجزائر، واليمن، وغيرها.

ومواقف تلك الأحزاب العربيّة من قضايا العرب والمسلمين لا تخفي، فهي تعُجُّ بالخيانة، ويُصدِّقُ ذلك ويَشَهِّدُ له الحقائق الدامغة لدى الباحثين والمتابعين.⁽⁶²⁾

سرُّ قيامِ الشيوعيّة:

كما أنَّ السرَّ في قيام الشيوعيّة وظهورها هو الخداعُ الغريبُ الماكِرُ، الذي تراءى فيه للفقراء والمحرومِين

(59) الشيوعية والأديان، طارق حجي، ص: 90.

(60) د. ناصر القفارى، وناصر العقل، الموجز فى الأديان والمذاهب المعاصرة، ص: 90 دار الصميعى للنشر والتوزيع.

(61) طارق حجي، الشيوعية والأديان، ص: 29.

(62) رسائل في الأديان والفرق والمذاهب لمحمد الحمد، ص: 386 بتصرُّف شبكة طريق الإسلام.

والطبقات المظلومة في مظهر المنقذ المختار لنشر الغنى والسعادة بين الناس، وما تؤمن به الشيوعية من صراع الطبقات، وكذلك عملها في بيئة مهيأة لما تبنته من أفكار كانت المرتع الخصب لها، وأيضاً الظروف الدولية التي تحيط بالعالم عقب الحرب الكبرى، وطغيان زعماء الشيوعية طغياناً لم يعرف له نظير، مما ظهر في المجازر البشرية القاسية، وعدد الضحايا الهائل في روسيا، وسجون الاعتقال، والتشريد والتنفي إلى مجاهيل سيبيريا، والبطش بخصومها في الرأي، والتنكيل بمعارضها في الفكر، والقضاء على الطبقات المعارضة لها في بلادها... إلخ، كلها وسائل وأساليب لا يؤمن بها دين، ولا يقبلها ضمير، ولا يوافق عليها عقل، وما أضلَّ عقول الجماهير الجاهلة، التي تفهم أنَّ الشيوعية تدعو لنفسها بنفسها؛ لأنَّها حلم الساعة! متَّخذة من بعض الشِّعارات العارية عن الصِّحة سبيلاً لخداع مشاعر الشعوب، كالإخاء والحرية والمساواة، فعن أيِّ حرية وإباء ومساواة يتكلَّمون، وقد شهد العالم مجازر تلوِّ المجازر بنفس السيناريو، تُطبَّق على المسلمين في واقعنا المعاصر؟! تجري دماءُ الأبرياء على التُّرى نهراً، وَعَالَمُنَا الْمُخَدَّرُ يَشْهُدُ.

الشيوعية كفكرة وبدأ، موغلة في القدم:

فقد ظهرت في التاريخ أكثر من مرة، ففي عام 487م ظهر في بلاد فارس رجل اسمه (مزدك)، ودعى إلى الشيوعية وأشتراك الناس في الأموال والنساء، وتسمى حركته بالمذكية، وكانوا يقولون: إن الناس يتحاربون من أجل المال والنساء، فلنعمل على إشاعة النساء وإشاعة المال حتى يكون المال مشتركاً والنساء مشتركات فنتهي الحروب وينتهي الإشكال.

هذا ظنهم الخبيث، فقاموا بهذا وغلبوا على بعض ملوك الفرس واستضعفوهن، ودعوا إلى شيوعية النساء وشيوعية المال، وقالوا: هذا المال يكون مشترّكًا بين الناس لا يختص به أحد دون أحد، وهكذا النساء حتى تَعَدُوا على المصنونات من النساء وعلى نساء الحكام والأمراء واستعملوا معهن ما لا ينبغي من الفاحشة⁽⁶³⁾، وقد تَمَّت الثورة على مَزْدَك حتى قُتِل حين عَظُمَتْ فِتنَتُه.

اعتزاز اليهود بتأسيس الشيوعية:

ولا يزال اليهود في مؤتمراتهم ونشراتهم ومحافلهم وبروتوكولاتهم يعتزون مفتبطين بتأسيس الشيوعية، وقيامها وانتشارها؛ لأنّها مرحلةٌ من مراحل وصولهم إلى مأربهم على أكتاف الأمم والشعوب، وهو الآن سيعودون جادّين لاسقاطها، حيث انتهت مأربهم منها".⁽⁶⁴⁾

وَقَامَتِ الشِّيُوعِيَّةُ الْمَارْكُسِيَّةُ مِنْ أَوْلَى أَمْرَهَا مُنَاهِضَةً لِلأَدِيَانِ وَالْأَخْلَاقِ، وَالثِّقَافَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ، وَإِقَامَةِ دُولَةٍ شِيُوعِيَّةٍ عَالَمِيَّةٍ تَحْتَ زَعْمَةِ أَقْطَابِ الشِّيُوعِيَّةِ، وَمِنْ وَرَائِهِمِ الْأَطْمَاعُ الْيَهُودِيَّةُ فِي إِقَامَةِ الدُّولَةِ الْيَهُودِيَّةِ الْكُبْرَى الَّتِي يَرْتَقِبُهَا الْيَهُودُ بِفَارَغِ الصَّبَرِ، مُمَثَّلَةً فِي إِعَادَةِ بَنَاءِ هِيَكْلِ سَلِيمَانَ، وَتَوْيِيجِ مَلِكَهُمُ الَّذِي يَحْلُمُونَ بِأَنَّهُ سَيَحْكُمُ جَمِيعَ الْبَشَرَ مِنَ الْيَهُودِ، وَمِنْ سَائِرِ الْجُوَيْبِيمِ⁽⁶⁵⁾.

(63) الشيوعية أصولها ومبادئها. الشيخ ابن باز

(64) الموجز في الأديان للناصرتين؛ القفاري والعقل، ص: 92 بتصرف. شبكة طريق الإسلام

(65) معنى)**«الجويّم»**: هي المقابل العربي للكلمة العبرية «جوبيم»، وهذه هي صيغة الجمع للكلمة العبرية «جو» التي تعني «شعب» أو «قوم» وقد انتقلت إلى العربية بمعنى «غوغاء» و«دهماء». وقد كانت الكلمة تتنطبق في بادئ الأمر على اليهود وغير اليهود ولكنها بعد ذلك استخدمت للإشارة إلى الأمم غير اليهودية دون سواها، ومن هنا كان المصطلح العربي **«الأغيار»**. وقد اكتسبت الكلمة إيحاءات بالذم والتحقير، وأصبح معناها «الغربي» أو «الآخر». والأغيار درجات أدناها العکوم، أي عبادة الأوثان والأصنام بالعبرية: عبودي كوهافيم أو مزالوت أي «عبدة الكواكب والأفلاك السائرة»، وأعلاها أولئك الذين تركوا عبادة الأوثان، أي المسيحيون والمسلمون. وهناك أيضاً

وما الشيوعية إلا حلقة من جملة الحلقات التي يحيكها اليهود؛ للوصول إلى ما خطّطه حكمائهم من تدمير العالم دينياً وثقافياً واقتصادياً...، ولقد أسممت الشيوعية في كل تلك المؤامرات، وكان لها حظ الأسد في تحطيم الجويّم في تصفيات جسديّة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، وفي إشاعة الفواحش، وسائر المفاسد والشرور، حيث فاقوا فيها الشيطان، وأراحوه من مهمّة تحقيق كل تلك الرزایا، التي حلّت بسائر الأمم في دينهم وفي دُنیاهم على أيدي الملاحِدة.

المبحث الثالث: الإلحاد فكرة شيطانية يهودية

وهكذا يتضح لنا أن الإلحاد فكرة شيطانية باطلة لا يقبلها عقل ولا منطق، غَذَاها اليهود؛ لتحطيم حضارات وأديان العالم؛ لإقامة حكمهم في الأرض كُلِّها كما دونوه في كتبهم.

وقد يسأل سائلٌ فيقول: "وما مصلحة اليهود من وراء ظهور الإلحاد؟"، والجواب بالإضافة إلى ما سبق ذكره، هو أن اليهود يبغضون ديانات العالم، وكذلك العالم يبغض ديانة اليهود، فإذا تمكّن اليهود من إبعاد الناس عن حضارتهم ودياناتهم واستبدالهما بالإلحاد، فإنه سيُسهل التّقارب معهم، ومن ثمّ التمكّن من قيادتهم، وما يتربّ على ذلك من تحقيق مخططاتهم اليهودية التي تنتظر التنفيذ.

ولم يكن أحد من البشر منذ أن أوجدهم الله تعالى مستيقناً بحقيقة إنكار وجود الله تعالى، ولم يظهر في شكل مذهب أو دول، وإنما كان ظهوره في شكل نزعات لبعض الأشخاص الشواذ إلى أن ظهرت الفلسفة الإلحادية الحديثة المنحرفة على يدي "ماركس" ورفاقه من اليهود الماسون الذين كانوا وراء إشعال هذه الفتنة؛ لما ربّ سياسية، قال الله تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنْتُهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [النمل: 14].

وقد علا شأن الإلحاد في عهد "ماركس" وعهد من جاء بعده علواً كبيراً إلى عهد آخر رئيس للاتحاد السوفيتي، وهو "ميغائيل جورباتشوف" فأراد الله عز وجل أن يظهر كذب الملاحِدة فإذا بالشيوعية - التي تمثل قمة الإلحاد تموت في عقر دارها - وإذا بالشعوب المقهورة تعود إلى الاحتفاء بالدين، وتعلن ما كانت تخفيه فرجعوا إلى المساجد والكنائس وسائر المعابد، معلنين رفضهم الفكر المادي الإلحادي، مما يدل على أن فكرة الإلحاد فكرة طارئة سخيفة لا مكان لها إلا في قلوب فئة من شواد الناس ماتت نفوسهم وانحرفت فطرتهم وكابرها عقولهم.⁽⁶⁶⁾

مستوى وسيط من الأغيار «جيريم» أي «المجاوريين» أو «الساكنين في الجوار» (مثل الساميّين). مقال نشر في موقع رؤيا للبحوث والدراسات بعنوان: كيف يرانا اليهود؟ د. محمد هشام راغب.

(66) المصدر: المذاهب الفكرية المعاصرة لغالب عواجي / 1003

المبحث الرابع: موت الإلحاد.. قد شارفَ على الاقتراب

إن الشيوعية، برغم كل تلك الجهود المضنية؛ لنشرها في شتى أنحاء العالم عن طريق أحزابها، لكنها سقطت في النهاية، ونحن نؤمل أن ما أحده الغرب في عالمنا الإسلامي من دمارٍ، - وما يُحْدِثُه الآن في غزة وفي أهلها الأبراء العُزَلَ مَعَ تَوَاطُئِ قوى الشَّرِ معه، إذان باقتراب نهايته.

نساء وأطفال، شيوخ ورجال يتعرضون لمجازر بشعـة تُذهبُ العقول، وتأخذُ بالقلوبِ مِنْ هُولِ الخطوبِ، والكل صامتُ، حربُ ضروس تدور رحـاهـا بـقـلـبـ بـارـدـ، على مـرـئـ وـمـسـمـعـ منـ العـالـمـ أـجـمـعـ، وليسـ هـذـا فـحـسـبـ فهوـ فيـ الوقـتـ الـراـهنـ معـ كـلـ تـلـكـ الـجـرـائـمـ الـتيـ هوـ شـرـيكـ فـهـاـ معـ الصـهـيـونـيـةـ الـعـالـمـيـةـ بـكـيـانـهاـ المـحـتـلـ، وـيـدـهـ المـلـطـخـةـ بـدـمـاءـ الـمـظـلـومـينـ شـاهـدـ عـلـيـهـ - يـواـجهـ ضـغـوطـاـ مـتـلـاحـقـةـ، وـجـوـالـاتـ مـتـعـاقـبـةـ منـ الـصـرـاعـ ضـدـ الـرـوـسـ وـالـصـينـ، كـلـ ذـلـكـ يـنـيـعـ بـقـرـبـ سـقـوـطـهـ، وـمـنـ ثـمـ سـقـوـطـ الإـلـحـادـ بـإـذـنـ اللـهـ تـعـالـىـ.

المبحث الخامس: بلدان أوروبا ليست نصرانية!

لو سألنا أحداً في بلداننا الإسلامية عن ديانة الدول الأوروبية ربما الأكثريّة سيقول إنها نصرانية، والحقيقة غير ذلك، بل الأغلبية ملحدة، وليس ذلك فقط في البلدان الاسكندنافية كالسويد وإنما أيضاً في ألمانيا التي كانت فيها الكنيستان الكاثوليكيّة والإنجليزيّة قويتان.

ولقد قُمْتُ بالاطلاع على الإحصائيات الرسمية، وقارنتها مع أكثر من جهة إحصائية أخرى، وكذلك قارنتها مع أخبار كبار الصحف الألمانيّة؛ فوجدت أن الإحصائيات متفقة على هذا الجدول بناءً على بيانات الدوائر الرسمية التي تسجل شهادات الخروج من الكنائس وهي كالتالي:

عدد النصارى الذين غادروا الكنيستين في ألمانيا من عام 1990 إلى عام 2022:

عام	الكنيسة الكاثوليكيّة	الكنيسة الأنجلوبيزنية	المجموع
1990	143 530	144 143	287 673
1991	167 933	237 874	405 807
1992	192 766	361 256	554 022
1994	155 797	290 302	446 099
1995	168 244	296 782	465 026
1996	133 275	225 602	358 877
1997	123 813	196 602	320 415
1998	119 265	182 730	301 995
1999	129 013	192 880	321 893
2000	129 496	188 557	318 053
2001	113 724	171 789	285 513
2002	119 405	174 227	293 632
2003	129 598	177 162	306 760
2004	101 252	141 567	242 819
2005	89 565	119 561	209 126
2006	84 389	121 598	205 987
2007	93 667	131 000	224 667
2008	121 155	168 901	290 056
2009	123 681	148 450	272 131
2010	181 193	145 250	326 443
2011	126 488	141 497	267 985

256 530	138 195	118 335	2012
355 356	176 551	178 805	2013
487 719	270 003	217 716	2014
393 189	211 264	181 925	2015
352 377	190 284	162 093	2016
364 711	197 207	167 504	2017
436 078	221 338	216 078	2018
539 509	266 738	272 771	2019
440 660	219 270	221 390	2020
643 313	283 975	359 338	2021
902 821	380 000	522 821	2022

وآخر ما توصلتُ إليه، هو وجود تسهيلات للخروج من الكنيسة؛ حيث أصبح بإمكان أي نصراني مغادرتها، من خلال ملأ إستمارة أون لاين، ولن يكلفه الأمر سوى دفع 29.95 يورو فقط.

الباب الثاني: الإلحاد في العالم العربي والإسلامي.

ويشتمل على الفصول التالية:

الفصل الأول: مظاهر الإلحاد في العالم الإسلامي ومعالمه:

ويشتمل على المباحث التالية:

- **المبحث الأول: الملحدون العرب.**
- **المبحث الثاني: الفرق بين الإلحاد الغربي والإلحاد العربي**
- **المبحث الثالث: عناية الإسلام بالعلم مقارنةً بالكنيسة.**
- **المبحث الرابع: حال الإلحاد في البلدان الإسلامية.**
- **المبحث الخامس: الحركات الإلحادية بين المسلمين في القرن الماضي.**

الفصل الثاني: أسباب ظهور الإلحاد في العالم الإسلامي وسبل مواجهته:

ويشتمل على المباحث التالية:

- **المبحث الأول: أسباب ظهور الإلحاد في ديار المسلمين.**
- **المبحث الثاني: سبل مواجهة الإلحاد، وكيفية التصدي لها.**
- **المبحث الثالث: أقلام خبيثة خطت للإلحاد.**
- **المبحث الرابع: أهم وسائل الإلحاد الحديث، ومن يقف وراءها.**
- **المبحث الخامس: الإلحاد ذاك الباطل الهش.**

الفصل الأول: مظاهر الإلحاد في العالم الإسلامي ومعالمه:

المبحث الأول: الملحدون العرب

في ضوء استقراء الواقع، وتتبع الأقوال نلاحظ أنَّ الملحدين العرب والأتراء والأكراد ما هم إلا مقلدون لملحدة الغرب، فلم يضيفوا شيئاً غير ترجمتهم للكتب الغربية، ولكل فكرة هابطة، فليس لهم فكر خاص، وإنما هم مجرد أتباعٍ وعبيديْن للفكرة، والبعضُ منهم أبواقُ مُستأجرةٍ.

ومن العجيب أنَّ ترى أعداداً كبيرةً من ملحدة الغرب تحترم التعايش مع المسلمين، وتحترم تدينهم، بينما الملحد العربي تراه حقوداً، مُتسليطاً، لا يترك لأحد مساحةً يطرح فيها رأيه، ظلوماً يستمد قوَّته من حاكم بلده الدكتاتور العميل للغرب، بل حدث عنهم ولا حرج في تحريرضمُّ الأجهزة الأمنية لتنكيل والبطش بالمؤمنين تحت ذريعة ما أسموه الإرهاب، {وَمَا نَقْمُدُ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [البروج: 8].

المبحث الثاني: الفرق بين الإلحاد الغربي والإلحاد العربي

يفرق بعض الباحثين بين الإلحاد في نمطه الغربي، وبين نمطه العربي حيث أنَّ الملاحدة في النمط الغربي هم من المنكرين لوجود الخالق سبحانه وتعالى، بينما الملاحدة في السياق العربي والإسلامي بشكل عام ليسوا منكرين وجود الخالق سبحانه وتعالى، لكنَّ أكثرهم لديه تخبطات عقدية كبرى، مثل إنكار النبوة أو القول بالاتحاد، ومن هنا فإن فكرة إنكار وجود الخالق سبحانه وتعالى في نمط الإلحاد العربي المعاصر هي فكرة طارئة عليه، وليس قديمة كما هي في نمط الإلحاد الغربي.

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا: هل أسباب نشأة الإلحاد وانتشاره في الغرب موجودة في العالم الإسلامي والعرب؟

الإجابة بالنفي؛ ذلك أن الدين الإسلامي (قرآن وسنة صحيحة) لم يتطرق إلىهما تحريف، فعقيدة الإسلام واضحة قائمة على التوحيد، وأيضاً ليس هناك رجال دين في الإسلام يحللون ويحرمون ويزيدون في العقيدة أو ينقصون منها من تلقاء أنفسهم، وليس في الإسلام تناقض بين الدين والفطرة، وليس هناك تعارض بين الإسلام وبين العقل السليم، وليس هناك تصادم بين صحيح الدين وحقائق العلم، وبالتالي فإنَّ الإلحاد الغربي نشأ في بيئة غير البيئة العربية والإسلامية، فمن يستعيده بأسبابه كمن قلع شجرة نبتت وترعرعت في بيئة غير بيتها. هذا ولم يكن إنكار وجود الله هو الغالب على البشر قديماً إلا في فئة قليلة في كل عصر لوجود الفطرة الندية والعقل السليم وبعث الله الرسل في كل أمة.

لكن هناك من فسدت فطرته، وضل عقله، ولم يتبع الرسل؛ فأنكر وجود خالقه، وهذه الطائفة التي أنكرت وجوده تعالى ما هي إلا شرذمة قليلة وجدت في كل عصر، آثرت الضلال على الهدى، والظلم على النور، وسميت بأسماء متعددة فقد سموا بالماديين، كما سموا كذلك بالحسينين، وسموا كذلك بالطبعيين، وسموا كذلك بالملحدين، وقبل هذا كله أطلق القرآن عليهم اسم الدهريين؛ لقولهم بأن الدهر هو المحي والمميت قال تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاةُ الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظْلَمُونَ} [الجاثية: 24].

ويقول الغزالي في هذا الشأن: "إن الملحدين الذين أنكروا وجود الله وأنكروا البعث شرذمة يسيرة من ذوي العقول المنكوسة والآراء المعكوسة الذين لا يؤبه لهم، ولا يعبأ بهم فيما بين النظار".⁶⁷

"لقد كان الناس في العصور الماضية يعتقدون اعتقاداً جازماً بوجود خالق مدبّر للكون، وكانوا يَعْدُون هذا من البداءة العقلية، وكان الإلحاد بمعناه الحديث الذي هو إنكار وجود هذا الخالق أمراً شاداً لا يقول به الأفراد من الناس، وظل هكذا حتى القرن الثامن عشر الميلادي، ثم بدأ الإلحاد يحل محل الأديان عند كثير من قادة الفكر الأوروبي وصار الدين الرسمي للشيوعية".⁶⁸

إذا نظرنا إلى الإلحاد على أنه ظاهرة معاصرة، فقد بدأت بعد واقعة سبتمبر 2001م؛ حيث بدأ الاتجاه الغربي في محاربة فكرة التدين عامة وخاصة الإسلام:

- وفي عام 2004م صدر كتاب الملحد سام هاريس Sam Harris "نهاية الإيمان"، وكان من أكثر الكتب مبيعاً في أمريكا، وقد صب فيه الهجوم على الإسلام.

- وفي عام 2006م عرض ريتشارد دوكيز Richard Dawkins كتاب "وهم الإله"، الذي ظل شهوراً طويلة على قائمة الكتب الأكثر مبيعاً في العالم، وطبع منه ملايين النسخ وتُرجم إلى العديد من اللغات.

أدى ذلك إلى موجة إلحاد ضربت المجتمعات الغربية في الوقت الحاضر؛ وامتدت لقرع أبواب العالم الإسلامي وأخذت طابع العلانية والدعوة إليها لا سيما وقد ركزت معظم هذه الكتب على تشويه صورة الدين عامة والإسلام خاصة، وأنه العدو الأول لهم وظهر فيها عداوتهم الشديدة للإسلام.

وذكر: "بأن فكرة الحرب على الإرهاب لا معنى لها وأنه حان الوقت للاعتراف بأننا لسنا في حرب مع الإرهاب وإنما في حرب مع الإسلام".

والإسلام بعقيدته ومبادئه وتعاليمه لم يكن ليسلم من شبهات الحاذقين، وطعن الملحدين، وكيد أعداء الدين في كل زمان ومكان لهذا كان من الطبيعي أن يكون استهداف للعالم الإسلامي بغية الحد من انتشاره في العالم كله، فخططوا للحد من المد الإسلامي بداية من أرضه وعالمه العربي، وبالرغم من أن العالم العربي ما يزال يتمسك بالإسلام ويقر بالتوحيد إلا أنه لم يسلم من موجة الإلحاد والتي تستهدف تشكيك المسلم في دينه وعقيدته.⁽⁶⁹⁾

المبحث الثالث: عناية الإسلام بالعلم مقارنةً بالكنيسة

يقول إدوارد لايزر: "تمتّعت القدرة على القراءة والكتابة على نطاق واسع في بدايات الإمبراطورية الإسلامية في العصور الوسطى وفي القرن الرابع قبل الميلاد أكثر من أي ثقافات أخرى في عصرهم".⁽⁷⁰⁾

وعزّ المسلمين على محـو الأمـية والإهـتمـام بالعلم فيقول كلوديا هيبورن: "تمـتـع العـالـم الإـسـلامـي خـلـال عـصـرـه الـذـهـبـي فيـ القـرنـ الثـامـنـ إلىـ القـرنـ العـاشـرـ بـمـسـتـوىـ مـعـرـفـةـ الـقـرـاءـةـ وـالـكـتـابـةـ عـلـىـ الأـقـلـ حتـىـ بشـكـلـ مـتـسـاوـ لـمـ يـكـنـ قدـ سـبـقـ منـ قـبـلـ".⁽⁷¹⁾

⁶⁷ نهافت الفلاسفة، أبو حامد الغزالي ص 75.

⁶⁸ أول كتاب يصرح بالإلحاد ظهر في أوروبا عام 1770م، وفي بريطانيا في عام 1782م. (ATHEISM IN BRITAIN, P.3)

⁶⁹ ظاهرة الإلحاد المعاصر في العالم العربي، بحث منشور في موقع حصن، للدكتور عماد الدين عبده العجيلي.

⁷⁰ التعليم في القرن الحادى والعشرون، ادوارد لايزر، ص 117

⁷¹ كتاب: Can the Market Save our Schools, Claudia R. Hepborn (71) ص 64

وهذا على عكس الكنيسة التي أغلقت المدارس، وهرطقت العلوم، ونشرت الجهل والأمية، يقول "جوزيف مكيب": إن الإمبراطور الروماني شارلoman أجبر الأساقفة والرهبان على فتح مدارس، ولكن فور موته أغلق الأساقف والرهبان المدارس مرة أخرى، وانتشرت الأمية نتيجة لذلك، وبحلول عام 1100م كان نسبة 99% من المسيحيين أميين".⁽⁷²⁾

ويقول اللورد توماس ماوكلي، وبشكل مختصر لهذا: "كان هدف الكنيسة الرئيسي وقف نمو العقل، ونشر السبات الفكري، فهل كان الإسلام كذلك؟".⁽⁷³⁾

المبحث الرابع: حال الإلحاد في البلدان الإسلامية

إن حالة التقليد الأعمى التي عمّت ديار المسلمين، بعدما أشريت القلوبُ حبَّ الغربِ، مع غياب الوعي، وعدم الاستمساك بدين الله القويم، فضلاً عن التبعية التي فرضتها الأنظمة الحاكمة العميلة، كل ذلك أدى إلى ميل بعض المسلمين نحو الإلحاد.

وهناك عوامل عديدة لا يمكن إغفالها، قد ساهمت في ذلك بشكل كبير، منها:

- 1- ضحالة المعرفة وقصور الإمام بأصول الشريعة ولوازمها؛ التي من شأنها أن تحصنهم ضد الشبهات، وتُظْهِر عوار النظريات العلمية الإلحادية والأفكار الفلسفية الغربية.
- 2- اندفاع بعض الشباب المسلم غير الواعي للانضمام إلى "النُّجُب" الفاسدة منهجيًّا وعقديًّا، الداعية إلى الإلحاد المُبطن عن طريق دس السموم في أذهانهم باسم الحداة والتنوير، وبزعمهم الإصلاح وهم في حقيقة الأمر يدفعون الشباب إلى الانجراف نحو أهواءهم الخبيثة، بل إن هناك من النخب ذات الإلحاد الصريح، قد تبنت حملاتٍ شرسَةً عبر منصاتٍ إعلامية واسعة، بهدف نشر الأكاذيب والادعاءات الباطلة، كأكذوبة أن الدين هو السبب في تأخر المسلمين؛ والحقيقة أن المسلمين لا يملكون سلطة حكم إسلاميٍّ حاليًا، بل هم ضحايا الظلم السياسي والاجتماعي الذي لا تزال أمَّتنا تَرْزَحُ تحته وتعيشُ في ظلَّه.⁽⁷⁴⁾

3- التعرُّضُ المُكْثُف لشبهاتِ المستشرقين والمستأجرين دون أن يكون المتلقِّي قد حصل على مناعةٍ فكرية.

4- عجز التيار الإسلامي عن الاحتضان الروحي والعملي للشباب، والاكتفاء بدوره علمية جافة مع قصور الجانب العملي، أو العكس كالاهتمام بخطاب العاطفة وإهمال الجانب العقلي.

5- جمود مناهج التحصين العقدي المُتبعة، واجترارُها لنفس المواضيع التقليدية المتكررة دون القدرة على التجديد في الوسائل أو تحديتها؛ لتواكب المستجدات العقدية ضد التطور السريع للملف الإلحادي.

6- "عدم التقييد بالضوابط الشرعية التي ذكرها أهل العلم من يريد السفر لبلاد الكُفَّار، فينبهر بالحضارة الغربية الزائفة، ويختلط بالكافرة والملحدين من اليهود والنصارى وغيرهم، مع ضعف العلم الشرعي للرد على شبهاتهم وضلالتهم، فيبقى مُتشكِّكًا في دينه وعقيدته، وفي النهاية قد ينتهي به الأمر إلى الإلحاد والزندة، كما حصل لبعضهم عند عودته إلى بلاده، وتنگرَه لدينه، وعقيدته، ووطنه؛ بل إن بعضهم آثر البقاء في بلاد الكُفَّار،

(72) السجل الاجتماعي للمسيحية، جوزيف مك كيب، ص 31

(73) تاريخ إنجلترا، اللورد توماس ماوكلي، ص 54

(74) ترَزَحَ أي: تئن ويشتد بها الألم.

وعدم العودة إلى ديار المسلمين، قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: "السفر إلى البلاد التي فيها الكفر، والضلالة، والحرية، وانتشار الفساد من الزنا، وشرب الخمر وأنواع الكفر، والضلالة، فيه خطرٌ كبيرٌ وعظيمٌ على الرجل، والمرأة، وكم من صالح سافر ورجع فاسداً! وكم من مسلم رجع كافراً!"⁽⁷⁵⁾.

المبحث الخامس: الحركات الإلحادية بين المسلمين في القرن الماضي

لقد بدأت الحركات الإلحادية في الانتشار بين المسلمين في بداية القرن الماضي، مع بداية سقوط الخلافة الإسلامية، خصوصاً في المناطق التي كانت بعيدة عن مناهيل العقيدة الصحيحة، كما أنَّ كثيراً من الحكام التابعين للاستعمار دعموا الطرق الصوفية والجماعات المنحرفة من ذوي الخرافات والخزعبلات، فأنسَلَ الدين شيئاً فشيئاً، حيث لم يعد له حضور قوي في النفوس، بالشكل الذي يحافظ على الفرد من الوقوع في براثن الكفر؛ وساد الانحراف عن الدين الصحيح، كما أنَّ القلوب لم تعد متعلقة بالله وحده؛ فكانت النتيجة الحتمية لذلك هو ضعف وانهيار الإيمان، حيث أصبح الكثير عرضة لتيار الإلحاد الجارف، والأفكار المدama.

(75) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (2/195) للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

الفصل الثاني: أسباب ظهور الإلحاد في العالم الإسلامي وسبل مواجهته

المبحث الأول: أسباب ظهور الإلحاد في ديار المسلمين.

فإنه يعود إلى أسباب كثيرة على رأسها، حالة الانهيار بظهور هذه الماديات التي ظهرت على أيدي غير المؤمنين بالله تعالى وما أصاب قلوب ضعفاء الإيمان من الاندهاش برونق تلك الحضارة الزائفة التي أخبر الله عنها بقوله: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} [الروم: 7].

هذه الحالة من الانهيار قد جاءت بالتزامن مع ما أصاب الأمة من ضعفٍ ووهنٍ، حيث انساق ضعاف الإيمان والمهزمون المغromون بتلك الحضارة إلى التصديق بأنَّه لا وجود لإلهٍ مدبِّر للعالَم، خصوصاً وأنَّ المغلوب دائماً يقلد الغالب ويحاول أن يتبَّلسَ بصفاته؛ ليجبر النقص الذي يحس به أمامه، وكان الأحرى بهؤلاء أن يعتزوا بذينهم، مع مضاعفة الجهد والعمل؛ ليستغنوا عن منة الملاحدة عليهم، ولكنهم حينما رأوا ما هم عليه من الضعف أمام ما تنتجه المصانع الكافرة؛ ألقوا باللوم على الإسلام، وهذا فعل العاجز المنقطع أو الغريق الذي يَسْتَمِسُ بكل حبل إلا حبل الله المتيقن، فجهلوا أو تجاهلوا أنَّ الإسلام يأمر بالقوة والعمل بما لا يدانيه أي فكر أو مذهب، والآيات في كتاب الله تعالى، والأحاديث في سنة المصطفى صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذا أشهر من أن تُذكر⁽⁷⁶⁾، كما أنَّ التاريخ أثبت أنَّ المسلمين كانوا مصدر العلم والنور الذي أضاء العالم، عندما كانت لهم الغلبة والحكم، فكم من العلوم المعقدة التي طوَّرها المسلمون؟! وما زال خيرهم حتى الآن تنتفع به البشرية، حيث يقوم الغرب بالتطویر المستمر لما وصلوا إليه في الأزمنة المنصرمة.

أولاً: الأسباب العامة (أو المحورية) للإلحاد في البلدان الإسلامية:⁽⁷⁷⁾

1- الهزيمة الحضارية للعالم الإسلامي أمام الاستعمار الغربي:

فالهزيمة الحضارية التي سيطرت على كثيرٍ من الشباب أدَّت إلى انسلاخ بعض المسلمين عن عقيدتهم ودينهم، ولذلك يقال إن الاستعمار فاتح أبواب الإلحاد، أو هو أبو الإلحاد.⁽⁷⁸⁾

فظهرت هذه الهزيمة أَبَان الاستعمار الأوروبي للبلاد الإسلامية بعد سقوط الخلافة العثمانية، وما رافقه من ظهور الإلحاد في الغرب، وحملات التنصير، وَحَصْر الدين الإسلامي بالعبادة، ومن ثُمَّ فَرَضَ الاستعمار على الدول الإسلامية بالقوة نُظُم الحكم والقوانين الوضعية بإقرار القانون الفرنسي، أو البريطاني في العقوبات، والتدخل في رسم سياستها الخارجية ونظامها الاقتصادي، وإبعادها عن منهاجها الأصيل المستمد من القرآن الكريم وسنة النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.⁽⁷⁹⁾

2- ظهور الأحزاب الشيوعية واليسارية في العالم العربي بعد سقوط الخلافة العثمانية وانهيارها عَقب الحرب العالمية الأولى:

(76) بتصرف: المذاهب الفكرية المعاصرة لغالب عواجي /2011/

(77) الإلحاد الجديد في المجتمعات الغربية والعربية مفهومه ونشأته وأسباب ظهوره وسبل مواجهته، بحث نشره موقع مركز الأمة للدراسات والتطوير للدكتور فلاح عبد محمد الدليبي.

(78) الإلحاد الأسباب والعلاج: أ. د. خالد بن عبد الله المصلح، ص: 8؛ ومليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد، عبد الله بن صالح العجيري، ص: 23.

(79) الاستعمار والإسلام، أنور الجندي، ص: 5-6، 27.

كان إلغاء الخلافة في سنة: (1924م)، قد كسر الباب وسرع بولادة أحزاب شيوعية، مال معظمها إلى العمل السري؛ لتنسخ لنا الفكر الشيوعي بلباس عربي فلسي، فظهرت بأيدولوجية غريبة عن المجتمع الإسلامي العربي، ومن هذه الأحزاب: الحزب الشيوعي الفلسطيني (1919م)، المهيمن عليه من قبل اليهود، والحزب الشيوعي المصري، والحزب الشيوعي السوري، والحزب الشيوعي العراقي، وكان للحزب الشيوعي العراقي في سنة (1947م)، موقف خالف فيه كل توجهات المسلمين، وذلك بحشده لمظاهرة أعلنت فيها تأييده لقرار تقسيم فلسطين.⁽⁸⁰⁾

3- ظهور الأحزاب العلمانية التي تدعو للفصل بين الدين والحكم: وتزامن مع هذه الأحزاب الشيوعية ولادة أحزاب علمانية لا سيما في ستينات القرن العشرين، لتنقل لنا تجربة فصل الدين عن السياسة في الغرب، كي تصل إلى الحكم والسياسة بعيداً عن تشريعات الدين الإسلامي.⁽⁸¹⁾

4- بعض الملاحدة تستروا بالواجهات الوطنية والقومية وإظهار الغيرة على الوطن، وما أن يصل إلى مناصب عالية في السلطة حتى تراه يبث سمومه بالطعن في الدين.⁽⁸²⁾

5- بعض القوانين في الدول الإسلامية تصوغ موادها القانونية بعبارات فضفاضة، بحيث لا يجد الملاحد أي قيد فيها ليعلن إلحاده بحرية الدعوة إليه دون خوف أو رادع، كذلك لا نجد عقوبات لتارك الدين والمرتد عنه، أو من يتعدى على الذات الإلهية، أو الأنبياء، أو القرآن.⁽⁸³⁾

6- تخلي الدول الإسلامية وال العربية عن رؤية الأنظمة الإسلامية السياسية والاجتماعية، لا سيما النظام الاقتصادي الإسلامي المبني على الجوانب الأخلاقية والواقعية، واكتفائهم بالتنظيم السطحي الظاهري إسلامياً والذي هو في حقيقته مخالف لتعاليم الدين القويم، حيث فقد المسلمون التمسك الحقيقي به.⁽⁸⁴⁾ والهزيمة الاقتصادية في البلاد الإسلامية متنوعة، الأمر الذي كان سبباً في بروز فوارق بين أبناء المجتمع الإسلامي، وظهور الظلم الاقتصادي الذي وقع على الفقراء والمساكين، مما كان له أبلغ الأثر في انتشار الإلحاد، قال الله تعالى: {مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَى فَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُدُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر: 7].

7- ظهور حركات المستشرقين، والتي تعتبر المصنع الرئيسي للشبهات والطعون والتشكيك بثوابت الدين، وكانوا يستعملون لهذا الهدف أدوات كثيرة، فزادوا من الدس في الدين، وزيادة الطائفية بين المسلمين، وركزوا على المدارس والجامعات في شتى البلاد الإسلامية.⁽⁸⁵⁾

ثانياً: الأسباب الشخصية (المتعلقة بشخص الملاحد):

(80) الأحزاب الشيوعية واليسارية في العالم العربي: د. أحمد ماجد، مجلة البيان، ص.99، 115؛ والإلحاد الأسباب والعلاج: أ. د. خالد بن عبد الله المصلح، ص.7.

(81) الغزو المعرفي والفكري للبلاد الإسلامية: د. سامي عطا الجناوي، مجلة البيان 2014م، ص.117.

(82) الإلحاد أسبابه طبائعه مفاسدة: للإمام محمد الخضر حسين، ص.23.

(83) المصدر نفسه، ص.22.

(84) المسلمين وظاهرة الهزيمة النفسية: عبد الله بن حمد الشبانة، ص.108، 111.

(85) الاستعمار والإسلام: أنور الجندي، ص.20-21.

١- ثنائية القابلية للاستهواء والتّازم:

فالاستهواء عُرِفَ، بِأَنَّهُ: (استعداد الشخص لتقبل فكرة، مع عدم وجود الأسباب الكافية لتقبلها)⁽⁸⁶⁾، فالقابلية للاستهواء هو أن الشخص يتقبل المعلومة، أو الفكرة ويتحقق بها مع عدم وجود أدلة منطقية لتقبلها، بمعنى وجود قابلية في الشخص للشكوك والإلحاد، ثم يقع في أزمة، فيتأثر بهذه المعلومات والأفكار التي سمعها مسبقاً، وهذا الأسلوب هو ما يركز عليه الملحدون الجدد في طرح أفكارهم، فهم يروجون الأفكار بطريقة تدعى إلى الاستهواء.

٢- الجفاف الروحي:

عدم الشعور بالراحة مع العبادة، أو بلذة العبادة، فمع الغفلة، والبعد عن الله سبحانه، وعن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم؛ تجف الروح، ويقسو القلب، فلا يتأثر بالقرآن الكريم، ولا تؤثر فيه الأحاديث والمواعظ وال عبر، فيحصل نفور من الطاعات، ومن ثم الوقوع في المعاصي.⁽⁸⁷⁾

فبسبب هذا الجفاف أو الخواء الروحي، يكون المرء عرضةً للانحراف ومن ثم للإلحاد، قال الله تعالى: {الَّذِينَ كَانُواْ أَغْيَنُهُمْ فِي غَطَاءِ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِعُونَ سَمْعًا} [سورة الكهف: 101].

٣- السطحية الفكرية وغياب الهدف:

فاعتلال الفكر، وغياب العقل، وضبابية المنهج، [أي: عدم استيعاب المنهج الرباني الذي ارتضاه الله جل جلاله لنا]، هو ما يُعرف بالسطحية الفكرية وغياب الهدف.⁽⁸⁸⁾

واختلال الفكر يبدأ بالقراءة العشوائية، حيث يظن من يفعل ذلك أنه يفهم في كل شيء، فتراه يتاثر بكل ما يقرأ ويسمع من نظريات وشمئزات ومن ثم يقع فريسة للإلحاد.

٤- التسرع والاندفاع:

فالمتسرع، أو المندفع: (هو الذي يتخذ القرار في لحظة دون تمهيد مسبق)⁽⁸⁹⁾ ومن ذلك التعميم المتسرع، ولذلك تجد المندفع عندما يرى بعض المتدينين يفعلون شيئاً مخالفًا لتعاليم الشريعة الإسلامية، أو صدر عنهم فعلًا منحرفاً، قام بتعميم الحكم على كل متدين، ثم يندفع أكثر ليعمم على الدين الإسلامي كُلُّه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلُكُلُّهم".⁽⁹⁰⁾

٥- تسلط الشهوات وعدم كبحها ومحاولة الهروب من وخز الضمير:

إنَّ تسلط الشهوات مع قلة الخوف من الله جل جلاله وغياب الواقع الإيماني الذي يضبطها بالحلال والحرام، قد يكون سبباً في الانحراف والإلحاد للتخلص من التعاليم والضوابط التي جاءت في الشريعة الإسلامية، فنجد الملحد، ومن سار في خطوات الإلحاد يتباهى بالتلذذ بالشهوات والمعتن بالحرمة⁽⁹¹⁾، وهذا ما يُسمى بإلحاد الشهوة،

(86) المشكلات السلوكية لدى التلاميذ مرتفع ومنخفضي القابلية للاستهواء، ص 18.

(87) بتصرف: مقالة بعنوان: الخواء الروحي: د. مراد ياخريصة، موقع الألوكة الشرعية.

(88) مقالة بعنوان: السطحية وغياب الهدف: أ. د. سارة عبد المحسن جلوى، موقع لهاون لاين بتاريخ: 17/8/2003م، الرابط الإلكتروني: (<https://www.lahaonline.com/articles/view/6219.htm&ved>)

(89) التصلب وأسلوب الاندفاع التربوي المعرفيان وعلاقتهما بالسلوك الإجرامي للطالب: ياسين بلاح، ص 46.

(90) صحيح مسلم: (2623) - كتاب البر والأداب، باب: النهي عن قول هلك الناس، 4/2024.

(91) منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوات (رسالة ماجستير): أحمد عبد القادر حسن قطناني، ص 29-28؛ وأثار ونتائج الانحرافات الفكرية (الإلحاد نموذجاً): أنور الخضري، ص 19.

فصاحبها "يتبني الإلحاد ويدعو إليه رغم أنه قد يكون أئمّة بالدين، بل لا يهتم بالفكرة الدينية من الأصل، ولا ينافش الأفكار من أساسها، إنما هو صاحب هوى متبع".⁽⁹²⁾

وإذا تَمَعَنَّا في هذا السبب، فسنجد أن القرآن الكريم قد ذم أصحاب الشهوات غير المباحة في آيات كثيرة، منها قول الله عز وجل: {فَخَلَقَ مِنْ بَعْدِهِمْ حَلْفًّا أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَيْنًا} [سورة مريم: 59]، فكان الوعيد الشديد لمن أضاع الصلاة، فكيف بمن ألد وأنكر وجود الخالق سبحانه بقصد إشباع شهواته المحرمة لا غير؟

6- الاضطرابات والهزيمة النفسية والقلق والوسواس:

إن الإيمان بالله الخالق سبحانه هو الأمر الطبيعي الذي فطره الله عز وجل في هذه الحياة، وما عداه يعد أمراً غير طبيعي، ولذلك "فإن الفكر الإلحادي يمثل شذوذًا فكريًا، وخروجاً عن إجماع العقلاء"⁽⁹³⁾، وذلك لخروج صاحبه عن دائرة الإيمان، ولووجه إلى ضيق الحيرة والانعزاز واليأس، ثم تستمر معه تلك الحيرة واليأس حتى يدخل في موجة من التخيلات التشككية تصل به إلى الوساوس في العقيدة والتي تسمى بالاضطرابات المعرفية⁽⁹⁴⁾، تلك الاضطرابات وما يوازيها من هزيمة نفسية هي بداية الفشل والانحراف، فهي سهم مسموم، متى ما أصاب الإنسان، أرداه قتيلاً، "ولما كان الإلحاد هو اعتقاد جهلي قائم على عدم وجود الله خالق فإنه لا يُقدِّمُ للإنسان شيئاً يساعد على الخروج من تلك الحيرة والقلق والاضطرابات النفسية".⁽⁹⁵⁾

ثالثاً: الأسباب الاجتماعية للإلحاد:

1- العزلة الاجتماعية: ينظر المشكلات السلوكية سبباً للعزلة الاجتماعية، فكثير من الباحثين يرون أن العزلة والوحدة قد تؤدي إلى مشاكل واضطرابات نفسية أخرى حتى عدها بعض الباحثين أساساً لكل المشاكل والاضطرابات والانحرافات التي يقع فيها الشخص.⁽⁹⁶⁾

2- الطبيعة الحدية للمجتمع: فالحديبة في التعامل مع المخالف لها دور في التمرد والانحراف، فطبيعة المجتمع العربي التي لا تقبل الاختلاف، والتي تقوم على اللون الأبيض والأسود ولا وجود للرمادي بينهما يجعل الإنسان في بعض الأحيان يتوجه للإلحاد كتعبير منه عن التمرد على ذلك المجتمع.⁽⁹⁷⁾

3- انتشار النوادي الليلية: كنوادي الأنتراكت، والروتاركت، والروتواري التي هي غطاء لل MASONIYAH الإلحادية العالمية؛ لإنشاء جيل يخدم الصهيونية المعادية للإسلام والمسلمين.⁽⁹⁸⁾

فانتشار النوادي الليلية وما فيها من نشاطات مريبة، وانحرافات أخلاقية وإباحية؛ لإفساد جيل الشباب،

(92) بتصرف: مقالة بعنوان: (ظاهرة الإلحاد ومسؤولية علماء الأمة): مجاهد مأمون ديرانية، بتاريخ: 29 / 7 / 2019م موقع منتدى العلماء، الرابط الإلكتروني .(https://www.msf-online.com)

(93) العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث: د. سعد الدين السيد صالح، ص 84.

(94) تصنيف الاضطرابات النفسية والسلوكية: منظمة الصحة العالمية-المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ص 73.

(95) آثار ونتائج الانحرافات الفكرية (الإلحاد نموذجاً): أنور الخضري، ص 18.

(96) المشكلات السلوكية لدى التلاميذ مرفوعي ومنخفضي الفاقيلية للأسئلة: محمد مسعد عبد الواحد، ص 39.

(97) فيديو يوتوب، حلقة بعنوان: (سيكولوجية الملحد 1): طارق الحبيب، برنامج بيبي وبينكم، بتاريخ 2013م، الرابط الإلكتروني: .(https://www.youtube.com/watch?v=ml9hfuDwIDc&feature)

(98) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: د. مانع بن حماد الجبني، 550 / 1، 532 .553

واستدرجهم للتخلص من قيود الدين وتعاليمه، فمن أسباب الإلحاد هو رغبة ضعيف الدين والعلم إشباع رغباته وشهواته دون قيود الدين.

4- كبت الأسئلة: ففي القرون الوسطى كان البحث والسؤال عن ماهية الكون، وحركة الشمس والقمر والكواكب من البحوث والأسئلة التي يُعتبر الخوض فيها كفر وإلحاد.⁽⁹⁹⁾

5- اضطهاد المرأة: فيقال لها إذا أصبحت ملحقة ستكون لك الحرية التامة ولا أحد يعتدي عليك؛ فظهرت حركات للتمهيد لذلك باسم حركة تحرير المرأة، وكان أول ظهور لها في مصر، ثم انتشرت في باقي الدول العربية، حيث أخذت تلك الحركات تدعو إلى السفور، وتحرير المرأة من أحكام الشريعة الإسلامية وتقليل المرأة الغربية في كل شيء.⁽¹⁰⁰⁾

بينما يوجد بينهم من يشهد أن الإسلام هو من رفع وأعلى شأن المرأة، فلما تخلت المرأة عن الإسلام؛ أصبحت سلعة رخيصة، وأنّ تخلفها ونقصان شأنها ما حدث إلا لمخالفتها للإسلام، لا بسبب الإسلام. وتأمل ما يقوله المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبيون: "... ثم جاء الإسلام وحسن حال المرأة، وكان أول دين رفع شأنها، ومنحها حقوقاً إرثية لا تجد مثلاً في القوانين الأوروبية، وأمر بمعاملتها بأحسن مما في تلك القوانين".⁽¹⁰¹⁾

6- تخلف الأمة: إنّ الهزيمة الفكرية لدى الشباب، والإعجاب بالغرب والافتتان بتطورهم الفكري والعلمي، عوامل استغلها الملحدون؛ فبدأوا يبثون في الشباب شهادتهم بأنّ الأمة الإسلامية متخلفة، وأنّ التخلف هو بسبب الدين، فحاولوا قطع صلة الأمة بالقرآن الكريم والسنة، ونَعْتَ من يتمسك بهما بالرجوعية والتأخر.⁽¹⁰²⁾

7- تمزق الأمة وتفرقها: فتجد المسلمين مشتتين متناقرون لا يجمعهم منهج واحد، ولا فكر واحد، وهذا السبب نعيشه اليوم بوضوح.⁽¹⁰³⁾

فالآمة تمر بأخطر مرحلة في تاريخها، والأحزان تحيط بواقعها المعاصرة، فبعضها في اقتتال فيما بينها كما هو شأن اليمن والسعودية والإمارات، ولبيها ومصر، بل نجد التمزق والاقتتال في داخل البلد الواحد، وهذا واضح في سوريا ولبنان، وقبل ذلك في العراق وأفغانستان.

8- المشاكل الاجتماعية والنفسية قد تُنشئ الإلحاد النفسي: فالإلحاد النفسي، هو إلحاد ناتج في كثير من الأحيان بسبب الغضب، وردة الفعل لما يصيب الإنسان من مصائب وابتلاءات، فكلما زاد البلاء زادت قوة ردّة الفعل، كما هو مقرر في العلوم النفسية في أنّ الظروف الصعبة تولد استجابات متطرفة.⁽¹⁰⁴⁾

(99) الكتب تحليل نفسى: وليم شتيكل، وسيجموند فرويد، ترجمة: علي السيد حضارة، ص.7.

(100) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: د. مانع بن حماد الجبوري، 1/453.

(101) حضارة العرب: د. غوستاف لوبيون، ترجمة: عادل زعيتر، ص.10.

(102) من عوامل تخلف الأمة تحريف المصطلحات عن معناها الشرعي في السنة النبوية: د. محمد القضاة، ص.336.

(103) بتصرف: رسالة في الحث على اجتماع كلمة المسلمين وذم التفرق والاختلاف: الشيخ عبد الرحمن السعدي، ص.22؛ ومقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم: محمد العبد، وطارق عبد الحليم، ص.8.

(104) مقالة بعنوان: (ظاهرة الإلحاد ومسؤولية علماء الأمة): مجاهد مأمون ديرانية، بتاريخ: 29/7/2019م موقع منتدى العلماء، الرابط الإلكتروني (-./online.com

رابعاً: الأسباب المعرفية للإلحاد:

لم يكتف أعداء الإسلام بالغزو العسكري لبلاد الإسلام، بل انتهجوا غزواً فكريًا متسارين وراء واجهات مختلفة كالإنسانية، والمحبة، والحوار بين الأديان، وحوار الحضارات، ونشر كتبهم من خلال الترجمة، وهذه الكتب فيها كثير من دعوى الإلحاد.⁽¹⁰⁵⁾

على إثر هذا نلاحظ انحرافَ الهدف الأساسي للتربية والتعليم دينًا وعقيدةً وشريعةً ومنهج حياةً وعلمٍ، فإذا كان أول أهداف التعليم هو تحقيق العبودية للله عز وجل، ترى خللاً وفساداً في التصور، وإهاماً لواجب التميز، وقتلاً لروح الأصالة في بعض علوم التعليم في الدول العربية والإسلامية، حيث اتجهت الدول الإسلامية للأسف إلى علمنة مناهج التعليم، ولذلك من غير اللائق أن لا نجد في مناهجنا، وفي جميع الاختصاصات ما يدعو إلى الاهتمام بالتربية الإسلامية، بل إننا نجد في بعضها ما يدعو إلى نظريات إلحادية كنظرية التطور⁽¹⁰⁶⁾، في الوقت الذي كان ينبغي أن ينصبَّ اهتمامُ التعليم بترقية روح الإنسان، وتقوية صلته بخالقه؛ لأنَّه بدون هذه الصلة، سيخرج لنا أطباء ومهندسوْن وإداريون واقتصاديون ماديون لا صلة لهم بالله الخالق سبحانه أو بدينهم الذي ارتضاه لهم. وما نراه اليوم من الفساد الإداري والأخلاقي في المجتمع هو نتيجة حتمية للبعد عن الدين وتعاليمه العظيمة.

ومن الأسباب المعرفية لظهور الإلحاد، ما يأتي:

- 1- ضعف الجهد في نقد الإلحاد ومواجهة الملحدين: ففي ضوء اطلاعي وبحثي، وجدت كتباً كثيرة تُعرِّفُ بالإلحاد وتبين أسبابه وخطورته، لكنني لم أجده إلا القليل من الكتب من تواجهه أو تُناظر الملحدين وتحاججه.
- 2- عدم تجديد أساليب الخطاب الدعوي العقدي: ومن ذلك استخدام بعض الدعاة لعبارات كلامية قديمة للبرهنة على وجود الله، لا يفهمها العوام، لا سيما جيل الشباب المعاصر.
- 3- الخطباء والدعاة الأفضل رغم وفرتهم، لكن القليل منهم هو الذي يحاور ويواجه الملحدين: فنادرًا ما نجد خطيباً، أو داعيَّاً يتصدى ويواجه الملحدين ويجيب عن أسئلتهم بأسلوب مناسب.
- 4- انتشار النظريات الإلحادية والترويج لها في وسائل الإعلام والجامعات بأسلوب مؤثر: فالمُلحد اليوم يجادل وفق نظريات يؤمن بصحتها رغم التغرات العلمية الكثيرة فيها، وفي المقابل نجد قلةً من المتصدرين لهم، حتى هذه القلة تراها ضعيفة الاطلاع على تلك النظريات الإلحادية، والتي ينبغي الإمام بها؛ لمواجهتها بأسلوب علمي مقنع.
- 5- زيادة نسبة الجهل وضعف الوعي الديني العقدي: فبالرغم من زيادة عدد الجامعات والمعاهد والمدارس وفشو القلم إلا أن غالبية الشباب تجده يجهل كثيراً من ثوابت دينه وعقيدته، مما يجعله فريسة سهلة للوقوع في شبهات وانحرافات الإلحاد.⁽¹⁰⁷⁾
- 6- التبشير من قبل المستشرقين بواجهات علمية ومعرفية: فقد سعى المستشرقون في طمس كل ما هو من شأنه أن يُظهر الحضارة الإسلامية بالظاهر اللائق الذي تستحقه، وكل ما تميزت به من تشريع وحكم وعلوم

(105) الغزو المعرفي والفكري للبلاد الإسلامية: د. أحمد محمود السيد، مجلة البيان، ص.31.

(106) الاستعمار والإسلام: أنور الجندي، ص.215.

(107) مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم: محمد العبد، وطارق عبد الحليم، ص.8.

وتقدم وإدارة وفنون، وأرسوا في ذهن الإسلامي والعربي أنه لم يكن لهم نصيب في العلم بل كان التخلف والجمود والمجتمع البدوي.⁽¹⁰⁸⁾

خامسًا: الأسباب الدينية:

لقد ظهر الإلحاد المعاصر والجديد كرد فعل للانحرافات العقدية، وللمفاسد الكبيرة التي كانت موجودة في الديانة النصرانية ومنتشرة في أوروبا، فإذا طبقنا هذه الأسباب -والتي تقدم بيانها على عالمنا الإسلامي- نجد أن هناك ممهادات لظهور الإلحاد قد تكون موجودة في مجتمعاتنا؛ فالمعتقدات الفاسدة والمنحرفة، والمخالفة للفطرة، والمنطق السليم، لا سيما عند بعض الفرق الإسلامية التي بيننا بعضًا منها في مفهوم الإلحاد بشكل عام. فنقد هذه الانحرافات والأفكار الفاسدة، ونقد هذه المعتقدات المخالفة، -ونشر الدين الحق، والعقيدة الصحيحة المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وبفهم الآل والأصحاب رضي الله عنهم- يُعد محورًا مهمًا في معالجة الإلحاد ومواجهته قبل ظهوره.

ويمكن بيان أهم أسباب الإلحاد الدينية في العالمين العربي والإسلامي، بما يأتي:

1- انتشار الشرك بالله وعدم إفراد الله بالعبادة: فقد كان من أسباب الإلحاد الرئيسة في الغرب لا سيما في أوروبا هو انتشار الشرك، وظهور عقيدة التثليث، وهذا السبب انتقل إلينا لا سيما في العصر الحديث من ظهور بوادر الشرك والانحرافات العقدية الكبيرة بصرف أنواع كثيرة من العبادات لغير الله الخالق المتصرف بهذا الكون، وقد جاء التحذير من الشرك في القرآن الكريم وفي سنة النبي الهادي من هذه الآفة الخطيرة الماحقة للدين، ومن الآيات التي تحذر من الشرك قول الله تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيْحَبَطَ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [سورة الزمر: 65] وقوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كِلْمَةُ الْفَضْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الشورى: 21].
ومن الأحاديث: (عن أنس رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر-أو سُئل عن الكبائر- فقال: "الشرك بالله وقتل النفس وعقوب الوالدين، فقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قال: قول الزور أو قال شهادة الزور". قال شعبة: "وأكثر ظني أنه قال: شهادة الزور").⁽¹⁰⁹⁾

وأمّا الشرك الأكبر فلا نزاع في أنه كفر، وهو أعظم الذنوب والمعاصي على الإطلاق، وإنما قُرنت به بقية المعاصي المذكورة في الأحاديث على سبيل التشريع، ولفت الانتباه إلى عظم جرمها.⁽¹¹⁰⁾
وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- ما وقع في زمانه من الشرك بالله، قال: "وهذا هضم للريوبية وتنقص للإلهية، وسوء ظن برب العالمين، وذكر أنهم إنما ساوا وهم بالله في العبادة، كما قال تعالى عنهم وهم في النار: {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَالَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ}.".⁽¹¹¹⁾

(108) ينظر: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 2/21.

(109) صحيح البخاري: (كتاب الآداب، باب عقوب الوالدين من الكبائر)، 2230، 5/5، حديث رقم: (5632).

(110) الإيمان بين السلف والمتكلمين: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، ص.55.

(111) سورة الشعرا: 96-99.

2- الغلو الذي كان عند المهد والنصارى يتكرر عند بعض الفرق الإسلامية:

الغلو في اللغة مجازة الحد⁽¹¹²⁾، وقد عرّفه ابن حجر رحمة الله، فقال: "هو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد، وفيه معنى التعمق".⁽¹¹³⁾

ومن الشواهد على ذم الغلو والتنطع، ما ذكره القرآن عن أهل الكتاب، في قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُبُوا فِي دِينِكُمْ عَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَبَعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [سورة المائدة: الآية:77]، وهذا خطاب من الله سبحانه وتعالى موجّه للنصارى؛ لغلوهم في المسيح عليه السلام، حيث أنهم قالوا: (هو الله)، أو (هو ابنه)، فالله عز وجل ينهاهم أن "يتبعوا في عيسى ابن مريم أهواه قوم قد ضلوا من قبل، أي: المهد، فقد ضلوا، وأضلوا كثيراً من الناس".⁽¹¹⁴⁾

وإنما ينبغي أن يكون قولهم: "... وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أُمَّتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرِيمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ...".⁽¹¹⁵⁾

وقد جاء التحذير من الغلو أيضاً في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها ما رواه عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هَلَكَ الْمُتَّنَطِّعُونَ" ، قالها ثلاثاً⁽¹¹⁶⁾، وقد بين الإمام النووي -رحمه الله تعالى-، معنى هلك المتنطعون، فقال: (أي: المتعمدون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم)⁽¹¹⁷⁾، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غَدَةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى نَاقِتِهِ: "...أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوْ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوْ فِي الدِّينِ".⁽¹¹⁸⁾

ولا شك أنَّ الغلو هو أحد أسباب التوجه إلى الإلحاد؛ فالغلاة الزنادقة والخوارج أساءوا إلى الدين، وسفروا الدماء ونشروا الرعب بين الناس وصدوهم عن دين الله، وكذا الحال في كل الفرق المغالبة في الدين.

وتجدر بالذكر التنويه إلى أنَّ ظهور الخوارج -الذين غالوا في الدين، ولم يرَ الناس منهم إلا القتل والتعذيب للقراء والبساطاء، بل للملتزمين بالدين المعترض، تحت حُجج وأفهام معكوسه للشريعة الإسلامية السمحاء، فأهلكوا البلاد والعباد- كان له أثر كبير على عوام الناس ونظرتهم للدين والشريعة الإسلامية، بل كان لظهورهم سبباً لاتجاه بعض ضعيفي الإيمان إلى الإلحاد.

3- التفرق في الدين، وكثرة الفرق الإسلامية: فلو قرأتنا في الفرق الإسلامية - كالجهمية، والمعزلة والخوارج، والمرجئة، وكثير من فرق الزنادقة- لكان الأمر يحتاج إلى رسالة أو أطروحة؛ لأنَّ الدافع لهذا التفرق والاختلاف في فهم الدين، وفي تفسير النصوص لم يكن دافعاً نقيلاً بقدر ما هو دافع عقلي له آثار عكسية في ظهور التفرق والاختلاف بين طوائف الأمة؛ بل هو ينبوع الغواية الفكرية.⁽¹¹⁹⁾

(112) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري (باب: الواو والياء، فصل الغين، مادة: غالا)، 2448/6.

(113) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، 13/278.

(114) جامع البيان في تأويل آي القرآن: أبو جعفر الطبرى، 10/487.

(115) صحيح البخاري (كتاب الأبياء، باب قوله {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُبُوا فِي دِينِكُمْ}), 3/1267، جزء من حديث رقم: (3252).

(116) صحيح مسلم: (كتاب: العلم، باب هلك المتنطعون)، 4/2055، حديث رقم: (2670).

(117) المهاجر شرح صحيح مسلم بن الحجاج: يحيى بن شرف النووي، 16/220.

(118) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط: (أبواب المناسب)، باب: من أين ترمى جمرة العقبة)، 4/228، حديث رقم (3029)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح).

(119) ينبوع الغواية الفكرية: عبد الله بن صالح العجيري، ص 13.

4- دراسة عقائد كثيرة دون بيان العقيدة الإسلامية الصحيحة: فإنَّ المسلم في المراحل الجامعية الأولى يبدأ بدراسة فرق عقدية كثيرة، والتركيز عليها في أقسام العقائد في كليات العلوم الإسلامية، وكثير منها منقرضة في زماننا، أو أن تأثيرها ومخاطرها ضئيلة، دون بيان العقيدة الصحيحة والأساس الذي لا ينبغي أن يختلف عليه اثنان، حيث أنها عقيدة كل الأنبياء، وخاتمهم النبي محمد صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولقد أيدنَّ أعداء الإسلام أنَّ السبيل الوحيد للقضاء على الإسلام المتمثل بعقيدته الحية في قلوب المسلمين هو تشويه هذه العقيدة، ومحاولة تحريفها، والتشكك بها، والسعى الحثيث لقطع صلة المسلمين بربهم وبدينه؛ ولهذا نرى إصرارهم على نشر الإلحاد بين المسلمين.

5- دراسة الطالب للملل والنحل لا سيما في بعض الأقسام الشرعية دون أن تجد هناك منهاً واضحاً للدراسة العقيدة الإسلامية الربانية التي بُعثت الأنبياء والرسل لأجلها، فدراسة الطالب لبعض النَّحل كالبوذية والهندوسية دون أن تكون له عقيدة صلبة لمواجهة هذه النَّحل قد يؤدي به للانحراف والإلحاد.

فضلاً عن عدم وجود مقارنةٍ واضحةٍ؛ لتمييز الدين الإسلامي عن بقية الملل المحرفة والنحل الباطلة؛ لبيان عظمة الدين الإسلامي على سائر الملل والنحل، وأنقل هنا ما ذكره العالم غوستاف لوبيون، عن مقارنته للإسلام بالأديان السابقة، فيقول: "وتشتُّق سهولة الإسلام العظيمة من التوحيد المحمض، وهذه السهولة سرُّ قوة الإسلام، وإدراكه سهلٌ خالٍ ممَّا نراه في الأديان الأخرى، ويأبه الذوق السليم، غالباً من المتناقضات والغواصات...".⁽¹²⁰⁾

6- ضعف التربية الإسلامية: حيث أنَّ للإلحاد مُهيئات، فنشأة المسلم في بيئه بعيدة عن الالتزام، ومعرفة أصول دينه، وأركان إيمانه وإسلامه، لا ريب أنَّ هذا يجعله عرضة للتأثر بأي شهادة لا سيما شبهة الملحدين، فينحدر في هاوية الإلحاد.

7- غياب الوازع الديني، وقلة التفقه في تعاليم ومقاصد الشريعة الإسلامية، من تحريم جرائم القتل، والزنا، والسرقة، وأكل أموال الناس بالباطل، والربا مع ضعف الالتزام، فتتغلب الشهوات على النَّفس فيخرج إلى الإلحاد الذي يبيح له كل ما هو محرم دون قيود⁽¹²¹⁾، يقول دوكينز، وهو أبرز دعاة الإلحاد: "إنَّ الإلحاد يؤثُّ في نحوٍ منهجيٍّ بالنَّاس؛ لفعل الأمور السيئة، وهو بيان مُذهل وساذج ومُحزن بعض الشيء".⁽¹²²⁾
فإنَّ الشهوات واستباحتها أمرٌ خطير، وسببٌ لقيام جذور الشبهات والدعوة إليها، وصولاً لتبني الإلحاد.

8- ومن أسباب الإلحاد أيضاً: هجر القرآن الكريم، قال الله جل جلاله: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُو هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} [سورة الفرقان:30]، وكذلك الغفلة عن الأذكار -أذكار المسلم اليومية- وسائل الأدعية لا سيما أدعية الثبات، وإفراد الله سبحانه بالوحدانية، قال الله جل جلاله: {وَقَالَ رَبُّكُمْ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَآخِرِينَ} [سورة غافر:60].

(120) حضارة العرب: د. غوستاف لوبيون، ص.125.

(121) الإلحاد أسبابه طبائعه مفاسده: الإمام محمد الخضر حسين، ص.9.

(122) وهم دوكينز: ليستر إدغار ماكفرث، جوانا كوليكان ماكفرث، ص.80.

9- إهمال دراسة تاريخ الإلحاد، والتيارات الإلحادية المعاصرة، والتعریف بخطورتها والتحذير منها كونها خطر محدق بالفرد، والمجتمع والدول.⁽¹²³⁾

10- مطالعة الكتب الإلحادية: فاطلاع بعض الشباب لا سيما طلاب الجامعات على مؤلفات الملحدين -وفيها ما فيها من الدس والتشكيك والإلحاد العلني- يجعلهم يتأثرون بقراءتها؛ فيُجذّبون بعدها إلى الجحود والإلحاد.⁽¹²⁴⁾

أهمية معرفة أسباب الإلحاد

من خلال استعراضنا لأسباب الإلحاد في العالمين الغربي والعربي تظهر لنا بوضوح أهمية معرفة الأسباب في توصيف الحالة وتحديد المشكلة، فمعرفة الكم الكبير لأسباب الإلحاد:

1- يجعلنا نتعامل مع مشكلة الإلحاد وخطورتها بموضوعية وبجدية أكثر.

2- يبعدنا عن تسطيح الظاهرة الإلحادية، وعدم الاتكال في اضمحلالها على الظروف والوقت.

3- وكذلك سيؤدي بنا إلى معرفة السُّبُل والأساليب النافعة في مواجهتها.

المبحث الثاني: سُبُل مواجهة حركة الإلحاد، وكيفية التصدي لها:

إنه من الواجب أن نتصدى لحركة الإلحاد، وذلك بإيقاظ فطرة الله في النفوس، وبيان الأدلة النقلية والعقلية والعلمية، واستخدام الوسائل المتقدمة لمواجهة هذا الطوفان، مع بيان آثاره المدمرة سواء على مستوى الفرد أو الدولة.

وكذلك بيان مكانة العقل والعلم في الإسلام وتقديره لهما أيمًا تقدير، فالعقل السليم والحقائق العلمية لا يتصادمان مع الإسلام أبداً، بعكس ما يدعى به بعض الملاحدة كذباً وافتراءً على الإسلام، بغرض تزهيد الناس فيه. ولقد منح الله عز وجل الإنسان العقل لا ليُعطله، ولا ليُعمله فيما يعود عليه بالضرر، وإنما من أجل أن يفكر فيما يعود عليه بالنفع، فهو الذي يقوده إلى الاهتداء بإذن الله تعالى، إذا لم تتغلب عليه الشبهات، ولم تسيطر على نفسه الشهوات، ولكن ما إن تمكنت كلتاهما منه، تَكَبَّلْ؛ ليصبح العقل هنا وبالأ على صاحبه، ودماراً على مجتمعه وأمته؛ ولذلك على علماء الأمة الإسلامية ومؤسساتها، اتخاذ كافة الإجراءات العلاجية والوقائية؛ لمنع اختراق تلك الأفكار المُهلكة لمجتمعاتنا الإسلامية.

ويمكن أن تتم المواجهة الشاملة بسبيل عدة، وما هذا البحث إلا سبيلاً واحداً في هذه المواجهة الشاملة، وإليكم أهم هذه السبل لمواجهة الإلحاد:

السبيل الأول: ترسیخ الحضور القرآني بتدبر آياته:

إن القرآن الكريم أنزل لمهدى الصالين، ويُثبّت المؤمنين ويزيدهم إيماناً، قال جل جلاله: {كَتَابٌ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [سورة إبراهيم: 1]، والثبتت للنفوس لا يتحقق إلا حينما ينتقل القارئ من مجرد القراءة اللغوية إلى عوالم التدبُّر، فالقرآن أنزل للتدبُّر، قال الله تعالى: {كَتَابٌ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ مُبَارِكٌ لِّيَدَبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: 29].

(123) المخاطر التي تهدد الدين؛ الزندقة والإلحاد والغلو والجمود والتقليد، وازدراء الدين: مصطفى أحمد سيسى، ص.3.

(124) بتصرف: الإلحاد أسبابه طبائعه مفاسده: الإمام محمد الخضر حسين، ص.9.

وفن التدبر يكتسب باليقين التام في أنك مع القرآن الكريم حيٌّ وبدونه ميت، وبه مبصر وبخلافه أعمى، وبه مهتمي وبدونه ضال.⁽¹²⁵⁾

السبيل الثاني: بيان العقيدة الإسلامية الصحيحة، وترسيخها في نفوس المسلمين:
فالعقيدة الصحيحة تُعد قوة أساسية في مواجهة الإلحاد المعاصر والجديد، تلك العقيدة التي لا يتأثر من يعتنقها بالشبهات التي يثيرها أهل الإلحاد. ولقد فهم البعض من غير المسلمين أنَّ قوة عقيدة المسلم هي سبب انتشار الإسلام، فهذا جورج سارتون⁽¹²⁶⁾ يرى أن سبب انتشار الدين الإسلامي هو عقيدة التوحيد التي جمعت قلوب الناس.⁽¹²⁷⁾

السبيل الثالث: امتحان أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وتدبّرها، والالتزام بسننه اليومية:
إنَّ المراقبة على أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وامتثالها والمحافظة على أذكار المسلم اليومية، والتي منها هذا الذكر: "رضيت بالله ربِّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولًا"، فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أَنَّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربِّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا"⁽¹²⁸⁾، فهو بمثابة الرد الفعلي والعملي على الإلحاد والملحدين في إنكارهم للإله الخالق سبحانه.
وكذلك الاستمرار بالأدعية التي كان يدعو بها النبي صلى الله عليه وسلم نحو دعاءه اليومي بالثبات على دينه، فقد ورد في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: "اللَّهُمَّ ثِبْتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَحَافُ عَلَيْنَا وَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَقْنَاكَ بِمَا جِئْنَا بِهِ؟، فَقَالَ: إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَاعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَ يُقْبَلُهَا".⁽¹²⁹⁾

السبيل الرابع: تقديم رؤى نقدية صلبة للمواجهة، وعدم الاكتفاء بالرد أو النقد:
إنَّ المنتصر للموقف الديني والمواجه للإلحاد ينبغي أن لا يكون انهزاميًّا يكتفي بالدفاع فقط والرد على شبهاتهم، بل يجب أن يرتكز على عقيدة صلبة يستحضرها في مواجهته للملحدين، قال الله تعالى: {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمٍّ قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصْدُونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آباؤُنَا فَأَنْتُنَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ} [سورة إبراهيم: 10].

فالقضية تتعلق مع الملحدين بإنكارهم لألم اليقينيات وأصل الأصول، وهو إنكارهم لوجود الخالق سبحانه.⁽¹³⁰⁾

السبيل الخامس: التحذير من التيارات الضالة المنحرفة:

فهناك كثير من الفرق الضالة البائنة انحرافها كالدهريَّة⁽¹³¹⁾، والبابيَّة⁽¹³²⁾، والبهائيَّة⁽¹³³⁾، والقاديانية⁽¹³⁴⁾

(125) فن التدبر في القرآن الكريم: د. عصام بن صالح العويد، ص.23.

(126) جورج سارتون: George Sarton، واسمه الكامل جورج ألفريد ليون سارتون، ولد في بلدة جان في بلجيكا في سنة 1884م، وهو مؤرخ بلجيكي مؤسس علم تاريخ العلوم، ودرس الصيدلة فتخرج في عام 1906م، له كتاب منها: (حياة العلوم)، (العلم والأدب عند العرب)، توفي سنة 1956م، وينظر: المستشرون: نجيب العقيقي، ص 1006-1007.

(127) الإعلاء الإسلامي للعقل البشري: د. بليغ حمدي إسماعيل، ص 79.

(128) صحيح مسلم: (كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربِّا)، 62/1، حدث رقم: (34).

(129) سنن ابن ماجه: (أبواب الدعاء، باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم)، 9/5، حدث رقم: (3833)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: (حديث صحيح).

(130) ميليشيا الإلحاد: عبد الله صالح العجيري، ص 147.

(131) قال ابن رحمة الله في تفسيره: يخبر تعالى عن (دهرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد): {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاةُ الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا} [الجاثية: 24] ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامة. وهذا يقوله مشركون العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلسفه الإلحاديون منهم، وهم ينكرون البداية والرجوعة، وتقوله الفلسفه الدهرية (الدوريه) المنكرون للصانع، المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أن هذا قد

(الأحمدية)، وغيرها من الفرق الباطنية الهدامة، فهي فرق مبغضة للدين الإسلامي، ويمثلون قنوات بعضها في بريطانيا؛ لبث الفتنة منها، وهم يدعون للإلحاد في صفوف الناس؛ لتحقيق أهدافهم الخبيثة، وهي النيل من الإسلام والمسلمين⁽¹³⁵⁾.

السبيل السادس: نشر العلم لمواجهة الغلو والتطرف في الدين:
لا شك أنَّ العلم بالدين هو أفضل السُّبُل لمعالجة ومواجهة الغلو، فضلاً عن معالجة الأسباب الأخرى له؛ كالفقر، والتعصب، والظلم، وسوء التربية.⁽¹³⁶⁾

السبيل السابع: ضرورة متابعة الوالدين، أو أولياء الأمور لأبنائهم:
إنَّ أهمية المتابعة اليومية للأبناء، ليس فقط بمعرفة أصحابهم المستخدمين للإنترنت، بل ومتابعة ما يتصرفونه من موقع وبرامج باستمرار، فوسائل الإعلام المتنوعة، ووسائل التواصل السريعة، والانشغال بالحواسيب لها دور في توسيع الفارق والهوة بين فكر الوالدين وفكر المراهقين، فينبغي فهم الأبناء فهما عميقاً، وبناء علاقة صداقة معهم قوامها الثقة والحب، فلا يكون الأب استبدادياً ولا متساهلاً، أو غير مبالٍ، وإنما ينبغي أن يكون حازماً من دون قسوة، ولِيَنَا من دون ضعف، مع حرصه على تعليمهم المبادي الإسلامية التي يسيرون عليها في حياتهم مع استمرار المراقبة والمتابعة والنصائح.⁽¹³⁷⁾

السبيل الثامن: تجديد أساليب الخطاب الديني الإيجابي:
وما أعنيه هنا بالخطاب الديني الإيجابي، ذاك الخطاب الذي يحافظ على الثوابت، ولا يدعو للتغيير في الجوهر، بل التغيير في الطرح والأسلوب، لأنه هناك للأسف دعوات للابتعد عن الشريعة، وأنَّها غير صالحة، أو الاكتفاء بالقرآن الكريم دون السنة النبوية المطهرة، ولا شك أن هذه الدعوات ضالة مُضلة.
ولذلك أصبحت الحاجة إلى التجديد في أساليب الخطاب الديني أمراً ضرورياً ومُلحًا خاصة المتعلقة بالعقيدة؛ لكي تتناسب في استدلالاتها مع المرحلة التي نعاصرها، وكي يجد الباحث عن الحق جواباً لكل تساؤلاته المطروحة لا سيما في زمن انتشار الشبهات المثارة حول مسائل العقيدة، وإذا كان في السابق لا يوجد تركيز على مسائل إثبات وجود الخالق سبحانه باعتبارها مسألة فطرية، حيث أنَّ القرآن ناقشها وبرهن عليها بأيات كثيرة، منها قوله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} [سورة الطور: 35]، إلا أنَّ أهل هذا الزمان اختلفوا عن ساقفهم، وبعضهم تغيرت فطறتهم، وتأثروا بما عرضه الملحدون من نظريات عبر أجيال متلاحقة؛ فنشأ جيل

تكرر مرات لا تنتهي، فكابروا العقول وكذبوا المنقول، ولهذا قالوا: {وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ}، قال الله سبحانه: {وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَتَّلَقَّنُونَ} [الجاثية: 24]، أي يتوهمون ويتخيلون.

(132) البابية: هم أصحاب ميرزا علي محمد الملقب ببابا؛ المولود سنة 1235هـ، وقد أظهر شنائع كبيرة، فزعم ارتفاع فرضية الصلوات الخمس، وفرضية الحج، ثمَّ أدعى النبوة والرسالة، وأنَّ الله أوحى إليه بكتاب (البيان)، وقد هلك مؤسسه سنة 1265، ينظر: البابية والبابائية تاريخ ووثائق: ص 9، 12، 34؛ وتبسيط العقائد الإسلامية: ص 307.

(133) البابائية: نسبة إلى اليهود واسمها حسين على نوري المازندراني، ولد عام 1817م، ولقب بالباب لأنَّه يدعى حلول الله بنوره في أول أمره بخلافة الباب (البابية)، ثم تدرج إلى مرحلة المهدوية ثم النبوة والرسالة ثم الريوبدية والألوهية. وقد دان البابيون لكل خليفة بعد اليهود وعبدوه مثل عبادتهم للهاء، ينظر البابية والبابائية تاريخ ووثائق: د. عبد المنعم أحمد النمر، ص 75؛ وتبسيط العقائد الإسلامية: حسن محمد أيوب، ص 307.

(134) القاديانية: نسبة إلى: مرتضى غلام أحمد القادياني ولد في (قاديان) سنة 1252هـ، فرقه مرقت عن الإسلام بادعاء صاحبها النبوة، وقالوا بالحلول والتناسخ، وزعم أن مدينة قاديان ومسجدها تمثل مكة ومسجدها، وحرم الجهاد ضد الإنكليز، هلك مؤسسه سنة 1326هـ، ينظر: القاديانية: د. عامر النجار، ص 7؛ وتبسيط العقائد الإسلامية: حسن محمد، ص 310.

(135) الإعلاء الإسلامي للعقل البشري: د. بلية حمدي إسماعيل، ص 23 - 24.

(136) بحث بعنوان: الجهل بالدين والغلو: د. نور الدين مختار الخادمي، ص 25.

(137) بتصرف: هكذا ثُرِي! د. مصطفى أبو سعد، ص 37، 42.

متأثر بالفكرة التطورية الداروينية، ومن ثم فإن التركيز على مسائل توحيد الألوهية -دون توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات- يُحتاج إلى إعادة نظر، حيث ينبغي الاهتمام بأدلة وجود الله سبحانه وبيانها بياناً مصحوباً بالاستدلال بالبراهين الواضحة الجلية.⁽¹³⁸⁾

السبيل التاسع: تفعيل دور المشايخ والأئمة الفضلاء في المساجد وخارجها؛ وذلك بتفعيل دورهم في بيان أسباب الإلحاد وخطورته، وكيفية مواجهته، مع ضرورة مواكبة التطور الحاصل في وسائل التواصل الاجتماعي في مواجهة هذا الخطر، وتفعيل الدعوة الإلكترونية عبر الإنترن特.

السبيل العاشر: على المسؤولين في الدول الإسلامية تهيئة دعاة متخصصين ومتمنkin في الرد على الشبهات ومواجهة الإلحاد، وخير قدوة ومثال في نقد الإلحاد ومواجهته، هو الداعية الإسلامي الهندي الدكتور ذاكر نايك حيث يوجد له كثير من المنااظرات والمحاضرات في نقد وتفنيد ومواجهة الإلحاد، وفي إحدى مناظراته مع الملحدين في نهاية الثلث الأول من العام: (2017م)، بلغ عدد المشاهدات أكثر من 15 مليون مشاهدة.⁽¹³⁹⁾

ومن الدعاة المؤثرين أيضاً الدكتور إيمان قنبي، ففي ضوء حلقاته واسعة الانتشار، والتي كتب الله تعالى لها القبول، بدأ في التصدي للشبهات والانحرافات العقدية، فقام بتحرير حلقات لمواجهة الإلحاد، من بينها حلقات للرد على الدحيح المصري الذي يدعو إلى الإلحاد بطرح زائف مصوبٍ بصبغة علمية كوميدية، والتي مع الأسف لقت رواجاً وانتشاراً واسعاً لا سيما في صفوف الشباب.

السبيل الحادي عشر: عمل ورش وندوات في كافة الجامعات العلمية والإنسانية؛ وذلك لبيان خطورة الإلحاد المعاصر والجديد لطلبة العلم، على أن يتم عقد مثل هذه الندوات مرة على الأقل في كل عام؛ لمواكبة أي تطور في فكر الإلحاد؛ للتصدي له ومواجهته.

السبيل الثاني عشر: المبادرة بتأسيس منتديات وموقع إلكتروني للمواجهة والرد على المشككين: ينبغي على أقسام علوم القرآن في كليات الآداب والتربية، وأقسام العقيدة في كليات الشريعة، المبادرة في تأسيس منتديات وموقع إلكتروني؛ لمواجهة الإلحاد والرد على الأسئلة التشكيكية التي يطرحها أعداء الإسلام.

السبيل الثالث عشر: تضافر جهود مختلف الاختصاصات الشرعية والإنسانية والعلمية في مواجهة الإلحاد؛ وذلك بمناقشة ما تَقدَّمَ من أسباب نشوء الإلحاد، والبحث عن العلاج والمواجهة الشاملة. ولا ينبغي أن يقتصر الأمر فقط على المختصين بالعلوم الشرعية؛ لأنَّ الإلحاد له علاقة بالنظريات العلمية وبعلوم الأحياء والفيزياء، والفلسفة، وعلم النفس، وعلوم التربية والتعليم، وعلم الجيولوجيا، وغيرها من العلوم ذات العلاقة.⁽¹⁴⁰⁾

السبيل الرابع عشر: ضرورة إنشاء مراكز رسمية لمواجهة ونقد الإلحاد في كل بلد إسلامي؛ على أن تكون تابعة لوزاري التعليم العالي والبحث العلمي، والأوقاف الإسلامية؛ حيث تقوم هذه المراكز بإقامة دورات تدريبية لتخريج طلبة علم متخصصين في نقد ومواجهة الإلحاد.

(138) بتصرف: مليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد: عبد الله بن صالح العجيري، ص132.

(139) بتصرف: مناظرة بعنوان: أشرس مواجهة بين ملحد أمريكي عبقرى وأشهر شيخ في العالم: للدكتور ذاكر نايك بتاريخ: 24/4/2017م، الرابط الإلكتروني: (<https://www.youtube.com/watch?v=SmZlSlhNSH8>)

(140) بتصرف: مليشيا الإلحاد، مدخل لفهم الإلحاد الجديد: عبد الله بن صالح العجيري، ص131.

السبيل الخامس عشر: مطالبة وزارة التربية، والتعليم العالي والبحث العلمي في الدول الإسلامية بمراجعة الكتب المنهجية التي تُدرس في مناهج وزارة التربية، وفي قسمى علم الاجتماع وعلم النفس، وإلغاء الكتب التي تدعو إلى النظريات الدارونية وغيرها من النظريات التي تُشكك في وجود الله جل جلاله وتشكك في أصل خلق الإنسان.

فمثلاً في الكتاب المنهجي لمادة الأحياء للصف السادس بإحدى الدول العربية، ما نصه: (من الأمور المسلم بها أنَّ جميع الكائنات الحية قادرة على إنتاج كائنات جديدة تُشبهها...)⁽¹⁴¹⁾، فهذه العبارة ينبغي أن تصحح إلى عبارات تقرُّ بوجود الخالق سبحانه فما المانع لو كتبت بهذه العبارة: (إِنَّ اللَّهَ جَلَ جَلَالَهُ خَلَقَ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةَ، وَقَدْرَ فِيمَا بَيْنَهَا التَّكَاثُرُ بِالْتَّوَالِدِ لِيَسْتَمِرَ النَّوْعُ)، فلو تم تبع المناهج الدراسية لوجدنا كثيراً من هذه العبارات التي تستوجب التعديل أو التصحح أو الحذف.

السبيل السادس عشر: ينبغي على الوزارات في الدول الإسلامية الإعلامية والثقافية فضلاً عن الوزارات الأمنية متابعة الكتب والمنشورات والمطويات التي تدعو إلى الإلحاد ومحاولتها سحبها من المكتبات ومنع إصدارها، ومعاقبها من يروج لها كونها تتعارض مع الإسلام، وتدعوا إلى هدمه.

السبيل السابع عشر: التوجيه إلى تطبيق الدول الإسلامية للأحكام الشرعية التي استنبطها علماء الأمة من القرآن الكريم والسنة النبوية في القضاء على هذا الداء الخطير ومواجهة الإلحاد، وذلك بالرجوع إلى كلام فقهاء الأئمة في حكم الملحدين وسبل مواجهته، أو معاقبته؛ كونه ينكر أصل الأصول ومقدمة المقدمات وهو إنكاره لوجود الله ومعرفته سبحانه.

السبيل الثامن عشر: مواجهة نظريات الملحدين بالبرهان النظري والتجريبي الثابت والصحيح، والاستفادة من ردود علماء الغرب في ردهم على الملحدين؛ حيث يتم الاستدلال بالرد على نظرية داروين وغيرها من النظريات الإلحادية، ثم عرض وبيان أدلة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فمثلاً نظرية التطور تذكر العشوائية والصدفة والاحتمال والانتخاب الطبيعي؛ للهروب من إثبات وجود الخالق سبحانه، ولذلك اختاروا هذه الألفاظ للتضليل، ومن ثم يمكن الاستدلال بما أعلنه الملحد المشهور (أنتوني فلو) في آخر مناظراتٍ له، من تأكيده على ما صرح به (جييرالد شرويدر) بالاعتراض على نظرية الصدفة، أو العشوائية، أو القردة.⁽¹⁴²⁾

السبيل التاسع عشر: تشجيع وتحث الطلبة في الجامعات العلمية والإنسانية لا سيما الدراسات العليا على الكتابة في نقد الإلحاد وسبل مواجهته، وألا نكتفي فقط بالرد، بل لا بد من الانتقال للمواجهة الشاملة كأولاً بحسب تخصصه.

السبيل العشرون: التركيز على البحوث التي تتناول دلائل النبوة والإشارات العلمية في السنة النبوية الصحيحة في مواجهة الإلحاد، فهذا سبيل مهم في مواجهة الإلحاد كوننا في عصر العلم، وقد افتتن كثير من أبناء الأمة الإسلامية في هذا العصر بالعلم، فربط هذه العلوم وبيان أسبقية السنة النبوية في التحدث عنها يُعد من أنجع السبل في مواجهة الإلحاد.

(141) علم الأحياء: لجنة من المؤلفين، وزارة التربية العراقية، مطبعة النيزك، ط/7، 1440هـ-2019م، ص.88.

(142) مليشيا الإلحاد: عبد الله بن صالح العجيري، ص.134.

السبيل الحادي والعشرون: الاهتمام ببحوث الإعجاز القرآني في مواجهة النظريات الإلحادية:
فهذا هو سبيل النبي صلى الله عليه وسلم الذي انطلق من معجزة القرآن الكريم في مواجهة المشركين والكافرين والمنكرين والمعاندين، لقوله تعالى: {فَلَا تُطِعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدُهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا} [سورة الفرقان: 52]، فينبغي أن نتأسى به صلى الله عليه وسلم في الانطلاق من كل أوجه الإعجاز القرآني؛ اللغوي والبلاغي والتشريعي والإخباري والنفسي (التأثيري)، والعلمي في مواجهة الإلحاد.

المبحث الثالث: أقلام خبيثة خطّت للإلحاد

- 1- قابيل آدم: صدر له كتاب في تركيا عنوانه: (مصطفى كمال)، يتضمن مطاعن قبيحة في الأديان، وبخاصة الدين الإسلامي، وفيه دعوة صريحة للإلحاد بالدين وإشادة بالعقلية الأوروبية.
- 2- إسماعيل أحمد أدهم: حاول نشر الإلحاد في مصر، وألف رسالة بعنوان لماذا أنا ملحد؟ وطبعها بمطبعة التعاون بالإسكندرية حوالي سنة 1926م.
- 3- إسماعيل مظير: أصدر في سنة 1928م مجلة العصور في مصر، وكانت قبل توبته تدعو للإلحاد والطعن في العرب والعروبة طعناً قبيحاً. معيداً تاريخ الشعوبية⁽¹⁴³⁾، ومتهماً العقلية العربية بالجمود والانحطاط، ومشيداً بأمجاد بني إسرائيل ونشاطهم وتفوقهم واجتيازهم.
- 4- أُسست (رابطة الأدب الجديد) في مصر سنة 1928م؛ لنشر الإلحاد تحت شعار الأدب واتَّخذت دار العصور مقراً لها، وكان أمين سرها كامل كيلاني.. وقد تاب إلى الله بعد ذلك.⁽¹⁴⁴⁾

المبحث الرابع: أهم وسائل الإلحاد الحديث، ومن يقف وراءها

اشتهر الإلحاد في الدوائر الفكرية، والثقافية، والحوارية، وأضحى له سمات، ورموز، ودعاة لا يُألون جهداً في سبيل الدعوة إليه بكل وسيلة ممكنة، وبحماسة شديدة، وذلك باستخدام التأليف والكتابة من جهة، ومن جهة أخرى بات تواجههم أمراً جلياً ضمن البرامج الثقافية والإذاعية، وشبكات الإنترن特؛ لنشر أفكارهم الإلحادية. ولا شك أنَّ هناك مؤسسات إلحادية عالمية، يُدبرون مكرَّ هذا بِلَيْلٍ، هي مَنْ تقف مِنْ وراءهم.

لماذا يجب التحذير من وسائل الإلحاد الالكترونية؟

إن ما تقوم به مواقع الإلحاد الالكترونية من إحداث تأثير في الغرب بفرض السيطرة عليه، وكذلك إثارة الشك في نفوس المسلمين خاصة الشباب منهم، لإخراجهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر والإلحاد، هو ما يفرض علينا تسليط الضوء ملياً على تلك الواقع المحرفة، وذلك بفرض:

- 1- التحذير، وأخذ الحيطة من الواقع في حبائلهما.
- 2- دعوة غير المسلمين في شتى بقاع الأرض من مشارقها إلى مغاربها، فقد ميزنا الله عن سائر الأمم بأننا أمة دعوة، قال تعالى: {وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ} [آل عمران: 105]
- 3- حفاظاً على دين المسلمين من الواقع في براثن هؤلاء، من خلال عرض الحجج والأدلة التي تُقْوِي إيمانهم، وخاصة في هذا الجانب، مما يدفعُهم للتمسك أكثر بعقيدتهم عن اقتناع، ويقيِّنُوا جازم بأنها الحقُّ وما سواها هو الباطل.

(143) وفي "المعجم الوسيط" الصادر عن مجمع اللغة العربية (1/484): "الشعوبية نزعة في العصر العباسي تنكر تفضيل العرب على غيرهم، وتحاول الخطأ منهم، وأصحاب هذه النزعة الواحد شعوبى."

وفي "مجموع فتاوى ورسائل العثيمين": (7/183) "ذهب فرقه من الناس إلى أنه لا فضل لجنس العرب على جنس العجم، وهؤلاء يسمون الشعوبية: لانتصارهم للشعوب التي هي مغيرة للقبائل".

(144) كتاب الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ص: 803-804، المكتبة الشاملة

المبحث الخامس: الإلحاد: ذاك الباطل المُهش

وعلى الرغم من الهجمات الشرسة لجهات مشبوهة، مع تواطؤ بعض الحكام المشكوك بأمرهم في بلادنا، وبرغم الإمكانيات الهائلة التي تُصرف؛ لصد المسلمين عن دينهم إلا أن تأثير باطلهم لا زال هشاً.

في الماضي كان الملاحدة فرادي، مهزومين، ليس لهم شأن يُذكر؛ فلا حجة عندهم ولا دليل على ما يقولون، فبمجرد المواجهة مع أحد المسلمين الصادقين - حتى وإن لم يكن لديه العلم الكافي، لكنه يحمل في قلبه إيماناً جازماً ويقيناً راسخاً، فبمجرد ذلك يظهر عورتهم، ويتبين عجزهم.

وفي السابق لم يكن يُخشى من خطرهم على ذوي الدين، وظل الأمر كذلك إلى أن فُتح لهم الباب على مصراعيه خلف صفحاتهم المشبوهة على الإنترنت يَبْثُثُون فيها سموهم، ويستقطبون شباب الأمة من لم تتمكن العقيدة من قلوبهم، وأَهْمَلَ الآباء والمربّون متابعتهم؛ ليلاقوا في قلوبهم الشبهات، ويرّينوها لهم بالشهوات.

الباب الثالث: منهج الدعوة الإسلامية في الرد على المخالفين

ويتكون من الفصلين التاليين:

الفصل الأول: المجادلة والحوار والمناظرة:

وفيه مباحث:

المبحث الأول: الشبهة.

المبحث الثاني: المناظرة.

المبحث الثالث: الجدال.

المبحث الرابع: أولويات الحوار.

الفصل الثاني: قواعد المحاور في الرد على المخالفين:

وفيه مباحث:

المبحث الأول: أسسٌ منهجيةٌ في الحوار والرد على المخالفين

المبحث الثاني: قواعد عامة على الداعية المحاور أن يلزمها

المبحث الثالث: قواعد تنفع المحاور مع الملاحدة ومع غيرهم

الفصل الأول: المجادلة والحوار والمناظرة

المبحث الأول: الشيمية

فقه التعامل مع الشيميات:

إن قضية فقه التعامل مع الشيميات من القضايا المهمة والضرورية للداعي، فهو عندما يبدأ ب مهمته الدعوية لإبلاغ رسالة الإسلام -خصوصاً في هذا الزمن- تواجهه شيميات مختلفة الأنواع، موجهة إليه وإلى ما يدعوه إليه، تثير الشك والارتياح حول صدقه، وصدق ما يدعو إليه؛ لمنع المدعون من الاستجابة له.

وإثارة الشيميات سلاح ذو تأثير قوي، يستخدمه خصوم الدعوة الإسلامية وأعداؤها من قديم الزمان، وتاريخ دعوات الأنبياء وسير الدعاة خير شاهد على ذلك، فلا بد وأن يستعد الداعي لمواجهتها بالدليل والبرهان؛ وقائمة لنفسه، والإزالتها عن نفوس المدعون، وإفحام المخالفين المعاندين.

ويمكن إبراز هذا الموضوع من خلال المطالب التالية⁽¹⁴⁵⁾:

المطلب الأول : حقيقة الشيمية:

أولاً: معنى الشيمية في اللغة والاصطلاح:

نقول فلان شبه فلان، أي مثله، ونقول: اشتبه الأمر علىّ، أي: التبس واختلط، ونقول: أمور مشتبهة: أي مشكلة ومُلتبسة.⁽¹⁴⁶⁾

وجمع الشيمية: شبه، وهو اسم من الاشتباه، واشتبهت الأمور وتشابهت، أي: التبست لأشباء بعضها ببعضًا، ومن علوم القرآن المحكم والمتشابه، وشبّه عليه الأمر، أي: ليس عليه، وإياك والمشتبهات، أي: الأمور المشكلات⁽¹⁴⁷⁾.

- فمعنى الشيمية: هو أن المتلقى لها يفهمها على غير حقيقتها، أو يتربّد في استيعاب معناها، لما يتواهم فيها أو يجد فيها من التناقض والغموض والإبهام!

- قال الحلي: "الشيمية ما يُخيل للإنسان حقيقة شيء والأمر بخلافها".

- قال الراغب: "والشيمية أن لا يتميز أحد الشيئين عن الآخر لما بينهما من التشابه".⁽¹⁴⁸⁾

- وقال الجرجاني: "والشيمية نظير الحجاب فيما يدرك بالعقل؛ لأنها تمنع القلب رؤية ما هي شيمية فيه كما يمنع الحجاب العين أن ترى ما هو من ورائه؛ ولذلك توصف الشيمية بأنها اعترضت دون الذي يروم القلب إدراكه ويصرف فكره للوصول إليه من صحة حكم أو فساده، فإذا ارتفعت الشيمية وحصل العلم بمعنى الكلام الذي هو

(145) ينظر: مادة هذا المبحث تم تلخيصها وجمعها من: منهج الدعوة الإسلامية في الرد على الشيميات، رسالة دكتوراه، د. شميم بن أحمد عبدالكريم، في جامعة الإمام محمد بن سعود، بكلية أصول الدين، وقواعد ومنظفات في أصول الحوار ورد الشيميات. د. عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، وموسوعة بيان الإسلام الرد على الافتاءات والشيميات لنخبة من كبار العلماء، وخلاصة التحقيقات في الرد على الشيميات والتصورات. د. محمد عطا سعيد رمضان، وأصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، فقد خصص مبحثاً للحديث عن أسلوب إزالة الشيميات، ومنهجية التعامل مع الشيميات وقواعد دحضها، مقال منشور على موقع منتدى التوحيد، في قفص الاتهام منهجهية التعامل مع الشيميات وقواعد دحضها. د. علي الحمامي، ومنهج القرآن في التعامل مع الشيميات، د. سعيد عمر دحباج، وقواعد عامة في الرد على شيميات النصارى، د. رفاعي سرور، مقال منشور على موقع طريق الإسلام، ومدافعة الشيميات. د. عبد العزيز آل عبداللطيف، مقال منشور على موقع إسلام ويب، ومنهج السلف في التعامل مع الشيميات، محاضرة مفرغة للشيخ عبدالكريم الخصير منشورة على موقعه.

(146) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين ابن فارس ص: 526.

(147) ينظر: لسان العرب 505، أساس البلاغة 1/493، والقاموس المحيط ص 1247، وناتج العروس 36/411.

(148) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ج 2 ص: 250.

الحججة على صحة ما أدى من الحكم قيل هذا ظاهر كالشمس أي ليس هنا مانع عن العلم به ولا للتوقف".⁽¹⁴⁹⁾
 - والشهمة، هي: "(الظن المشتبه بالعلم) ذكره أبو البقاء، وقال بعضهم الشهمة: (مشابهة الحق للباطل، والباطل للحق من وجه، إذا حقق النظر فيه ذهب)".⁽¹⁵⁰⁾
 - وقيل أيضاً إنَّ الشهمة هي: "محاولة إحداث خلل في فهم وتناول النصوص، من خلال التأثير على النص الأصلي لاختلاق تناقض في المعنى بأساليب متعددة".⁽¹⁵¹⁾

(وعند التأمل في هذه الدلالات يمكن أن نفهم بأنَّ الشهمة لا تكون ذات قيمة معرفية إلا بوجود معطيات ومعلومات مُسبة عند الشخص حول القضية المشتبه لديه، وفي إطار تلك المعطيات والمعلومات يجد أو يتوهם شيئاً من الغموض والالتباس أو حتى التناقض بينها وبين معلوماته القبلية! ولهذا فبدون معلومات مُسبة حول الموضوع لا يكون للشهمة أدنى قيمة؛ لأنها لا تكون ناتجة عن علم بل عن جهل! بل، ولا يكفي المعلومات المُسبة ليكون لطرح الشهمة معنى وقيمة، بل لا بد من وجود مرجعية عُلياً يُحاكمُ إليها المرء صاحب الشهمة شهيته، وإلا صار الأمر عبثاً!).

وأبادرُ للقول هنا بأنه داخل المركبات الإلحادية، لا يحق للملحد أن يطرح أدنى شهمة، بل ولا يصح أن يتخد من شهاته أدلة على صحة موقفه وقناعته الإلحادية، وذلك بسبب عدم وجود مرجعية في الإلحاد، بل ليس هناك - كما يعتقد الملحد - إلا الحقيقة الهرامية بلا ثبات ولا أصول ولا معنى، وليس هناك إلا المادة الصماء بلا هدف ولا غاية ولا خير ولا شر، ولا صواب ولا خطأ".

ولهذا نقول بأنَّ الملحد بمجرد أن يفكر في وجود شهمة ما، يكون ضمنياً قد تخلى عن قناعته الإلحادية!
 ومن هنا فإنَّ ما يلمح به كثير من الشباب اليوم أو الملاحدة عموماً، بقولهم (عندني شهمة أو عندي شهادات)، ليس في واقع الأمر شهمة، بل هو فقط جهل منهم بالأحكام الشرعية أو القدريَّة أو غيرها في مبادئها ومنطلقاتها ومقدادها وغاياتها.

ومعلوم أن هؤلاء الشباب أو الملاحدة لما كانوا جهله بموارد الشرع والقدر، التَّبَسَّتْ عليهم الأمور واختلطت عليهم المعطيات، فظنوا أنَّ الأمر كذلك في نفسه، ثم تراهم يبحثون عن مزيد من الفروع والجزئيات والصور لهذه الشهادات، وذلك ما يزيد الفكرة رسوحاً في أذهانهم، فتشكل نفوسهم وعقولهم في قوالب الشهادات، فلا تزال تتولد شيئاً بعد شيء بلا حد ولا نهاية، لأنَّ "العقل إذا اهتم بأمر علقت به الشواهد المؤيدة لأمره كما يتعلّق الشوك في الصوف، فتَثْلُّ كفة أمره الذي اهتم به وتَثْقُّلْ كفة بقية الأمور الأخرى".⁽¹⁵²⁾
 ولهذا فإنَّ الشهمة معرفياً لا قيمة لها إلا إذا صدرت عن شخص له علم وفهم، ولكن لحيثيات معينة غمضت المسألة عنده، والتَّبَسَ فيها لديه الحق بالباطل.

وأما الجاهل فكما قلنا لا قيمة لما يختلط عليه ويلتبس لديه؛ لأنَّه جاهل، ألا ترى كيف قال سبحانه: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحَكَّمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَآخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} [آل عمران: 7]، فوضع المتشابه مقابل المحكم، أي مقابل معطيات واضحة وثابتة، فعندما يقول الشاب أو الملحد (عندني شهمة أو عندي شهادات) ينبغي

(149) أسرار البلاغة في علم البيان ص 71.

(150) التَّوْقِيفُ عَلَى مَهَمَّاتِ التَّعْلِيْفِ ص 201.

(151) قواعد عامة في الرد على شهادات النصارى، د. رفاعي سرور، مقال: منشور على موقع طريق الإسلام.

(152) العقلية الليبرالية - عبد العزيز الطريفي ص: 175

أن نرد عليه بالقول: لا تقل عندي شبهة، بل قل أنا جاهل بهذه المسألة، فما تفسيرها وبيانها؟، وإنما نقول له ذلك؛ لأن وجود الشبهة في الأحكام الشرعية والقدرة ليس لأن المسألة في نفسها من شأنها أن تثير الشبهة، إذ إنَّ الله تعالى بما أَنَّه الحق، فأحكامه التشريعية والقدرة يستحيل عليها الاختلاف والتناقض، ولذلك وصف الله سبحانه القرآن في الكثير من الآيات، بأنه نور، هدى، فرقان، رحمة، شفاء، برهان، كما وصف الإسلام بأنه الدين القيم وأنه يهدي إلى الاستقامة والحق والعدل والصدق، كما في قوله سبحانه وتعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوْجَانَا} [الكهف: 1]، قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰئِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} [الإسراء: 9]، قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتُكُمْ مَوْعِظَةً مِّنْ رَبِّكُمْ وَشَفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ} [يونس: 57]، إلى الكثير من الآيات الكاشفة عن هذا المعنى.

وإنما تكون المسألة مشتبهة ومشكلة في عقل الملتقي لها⁽¹⁵³⁾، وهذا يكون مرتبطاً بسعة العلم وحسن الفهم وطهارة القلب والبعد عن الأهواء والشهوات والتسليم لله ولرسوله، إذ لا شك أن كل هذه العناصر - وغيرها - تؤثر تأثيراً قوياً في المسألة، ولكن للأسف، فإن كثيرين يغفلون عن هذه الحقيقة!⁽¹⁵⁴⁾

ثانياً: نشأة الشبهات⁽¹⁵⁵⁾، وأسباب ظهورها:

الإنسان معرض للشبهات، سواء ما يلقيه الهوى والشيطان في نفسه أم ما يسمعه ويقرأه هنا وهناك، وما يتعرض له العبد من ذلك هو من باب الابتلاء الذي طبع الله سبحانه الدنيا عليه، كما قال سبحانه: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوْكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} [المالك: 2]، وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوْكُمْ فِي مَا آتَيْكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} [الأنعام: 165]. واليوم صارت لكلمة "شبهات" رواج واسع بين الشباب المعاصرين، فقد كثر حديثهم عنها، ولهجتهم بها، وخوضهم فيها، فصارت تسمع كل من هبَّ ودبَّ يقول لك عبر المنشورات أو التعليقات أو حتى عبر الرسائل الخاصة: عندي شبهة حول وجود الله أو الأحكام التشريعية، أو تفاصيل الأقدار، أو السيرة النبوية، وغير ذلك! حتى إنك ليختيل إليك بأن بعض الشباب اليوم يبحثون عن الشبهات ويفتشون عنها ويفكرن فيها؛ للظهور أمام أنفسهم وأمام الآخرين بمظهر الذكي اليقظ، والباحث المطلع!

هذه الحالة التي وصل إليها هؤلاء لم تأت من فراغ، ولم تنشأ من عدم، بل هناك عوامل وأسباب تقف وراء ذلك، فالأحوال الفكرية والنفسية - مثل الأحوال المادية - لا بد لها من أسباب تُسمِّم في نشأتها وشيوعها ورسوخها، فقد قضى الحق تبارك شأنه أن تكون شُئون عالم الدنيا - بكل ما فيه من أشخاص وأحداث - قائمة على قانون الأسباب، وأبرز هذه الأسباب:

1- حالة التخلف التي مر بها العالم الإسلامي في القرون الأخيرة قبل السقوط النهائي، فـيُفْعَل عوامل مختلفة، انتشر الجهل وعم الانحراف وشاعت البدع، حتى صار الإسلام غريباً بين أهله، لا يعرفون منه سوى القشور والدروشة الميتة!

(153) نحن هنا نتحدث عما يخص الإسلام فقط، في عقيدته وشرعيته، ولا يعنينا في شيء ما يتعلق بالأديان الأخرى، كالنصرانية أو اليهودية. (المصدر: كتاب الإلحاد.. الوهم المستحيل!).

(154) المصدر: الإلحاد.. الوهم المستحيل، نور الدين قطبيط، مؤسسة السبيل - الطبعة الأولى 1442/2020

(155) المصدر السابق.

2- المكر الاستشرافي الذي ما فتىء يضخ كميات هائلة من المغالطات والشمئزيات حول كل شيء يتعلق بالإسلام، من عقيدة وشريعة وقرآن وسنة وسيرة ولغة وتاريخ، وأحياناً بأساليب مكشوفة، وأحياناً بأساليب في غاية المكر والالتواء!

3- قيام العلمانيين العرب بمتابعة تنفيذ خطط الاحتلال الغربي الرامية لتحقيق التجهيل الفكري والتفسيق النفسي للمجتمعات المسلمة، وذلك من خلال الإعلام والصحافة والتعليم والقوانين، ولا يزال هؤلاء يتبعون تنفيذ المهمة بهمة ونشاط!

4- إهمال الآباء تربية أبنائهم التربية الإسلامية الصحيحة وانصرافهم عن تعليمهم مهارات الإسلام العقدية والأخلاقية، بل كثير منهم ليس لهم هم إلا حصول الأبناء على وظيفة جيدة بعد التخرج، بل هناك من يخيف أبناءه من العلم الشرعي لأنه يولد التطرف! ولقد روى أبو داود في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ".

وقال ابن القيم رحمه الله: "فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى، فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد، إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوه صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً".⁽¹⁵⁶⁾

5- مخالطة رفقاء السوء، والإنسان مجبر على التأثر ب أصحابه وجليلاته، والأرواح جنود مجندة؛ روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ تَنَاهَى
عَنِ الْجَلِيلِ الصَّالِحِ وَالسُّوءِ، كَحَالِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِبِيرِ، فَحَالِمُ الْمِسْكِ، إِمَّا أَنْ يُخْذِلَكَ (157)، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً؛ وَنَافِخُ الْكِبِيرِ، إِمَّا أَنْ يُخْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا حَبِيشَةً"، فجليلات السوء يؤثرون في صاحبه، ويدعوه إلى البعد عن الدين ومماطلته في الوقوع في المحرمات، قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: وَدَتِ الزانِيَةُ لَوْ زَنَى النِّسَاءَ كُلُّهُنَّ، وَصَدَقَ اللَّهُ الْقَاتِلُ: {وَدُولَا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءٌ} [النساء: 89]، وقال تعالى: {وَرَيْدِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا} [النساء: 27].

6- القراءة فيما يُسَعَى بكتُب الفكر والفلسفة، أو الحداثة التي تحوي الإلحاد والزندة، ورد الأحاديث الصحيحة بحجج أنها تُنافي العقل، وفي هذه الكتب أيضاً تمجيد لحضارة الغرب الراذفة، وأن سبب تخلف المسلمين هو تمسكهم بدينهم وأخلاقهم، والتعريض للذات الإلهية بالتنقص، فالقراءة في مثل هذه الكتب المسمومة تؤثّر في عقيدة القارئ، ومع كثرة القراءة، وتنوع الكتب، قد ينشأ عنده الفكر الإلحادي، كما صرّ بعضهم بأن سبب اعتناقـه لفـكرـ الإلـحادـ هو القراءـةـ في كـتبـ النـصـارـىـ الـمـسـتـشـرـقـينـ، وأـصـحـابـ الشـهـوـاتـ الـمـسـحـوبـينـ عـلـىـ الـمـسـلـمـينـ.

7- الانغماس في فضاءات الإنترنت، بسبب حالة الإحباط الشديد وضعف الهمم، حيث صار الشباب يرون السياحة في العالم الافتراضية أفضل حلٍ لتفریغ شحنات نفوسهم المتأزمة، وهذا ما يستنفذ أوقاتهم ويلهיהם عن معرفة الحق!

(156) "تحفة المودود بأحكام المولود" (ص 229، 242).

(157) يُخْذِلَكَ، يعني: يهلكك، يعطيك.

وقد يكون السبب -في تصفح المواقع الالكترونية أو الاطلاع على القنوات الفضائية اليهودية، أو النصرانية التي تدعو لعقيدة التثليث، أو الشيوعية الإباحية- هو الفضول في معرفة ما عند الغير، فيقع المحظور.

8- حب الشهوات والملذات، والتخلص من التكاليف الشرعية، والانطلاق في عالم الإباحية، والمجون؛ قال تعالى: {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي عَفُورٌ رَّحِيمٌ} [يوسف: 53].

9- النظرة الاحتقارية للعلوم الشرعية؛ فقد عمل المنافقون الصراخاء والمتخرون، على غرس احتقار العلم الشرعي في عقول الشباب المسلم، تارةً بالقول بأنه أداة تخلف وضياع الأمة، وتارةً بالقول بأنه لم يعد صالحًا لهذا العصر!

10- استغلال المناوئون للإسلام، من ملاحدة وعلمانيين وماركسيين ونسويات وصلبيين، لوسائل التواصل الاجتماعي المختلفة؛ ليث سموهم الفكرية في قوالب تحلب عقول الشباب الذين ليس عندهم أسس متينة، شرعياً ومعرفياً!

11- العجب والغرور بالنفس، واحتقار الناس، فهناك أشخاص كلما تقدموا في مسار القراءة والمطالعة ارتفع عندهم منسوب العجب بالذات، والإنسان عندما يزهو بذكائه فإنه لشعورياً يحرص على الغلو في النظر في مسائل إما تكون فوق مستوى علمه أو خارج متناول العقل! "كما حصل لأحدهم: كان يؤلف المؤلفات العظيمة في الدفاع عن العقيدة والدين، حتى أُعجب بنفسه، وأصابه الغرور، حتى استحرر الأنبياء، وقال: إن العلم الذي عنده والفضل، لو قُسِّم على الخلق، لأنّي عما عند الرسل، وألف كتابه المعروف: "هذه هي الأغالل": يعني بها: ثوابت الإسلام، وتكلّم في الأنبياء، وكذّب أشياء في القرآن، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون".⁽¹⁵⁸⁾

12- تعرض المسلم لضغوط مختلفة، من الإعلام العلماني حيث يقومون بضمخ موجات من الشبهات، إلى جانب التركيز على الظروف الاقتصادية والاجتماعية الخانقة، وغير ذلك، ولا شك أن الواقع تحت الضغط يفقد الشخص مقارنة التأثير بها، قليلاً أو كثيراً!

13- تعظيم النزعة الشكية، فالاليوم لم نعد نجد أهل الباطل والضلال، من مفكرين وفلاسفة، هم وحدهم من يعظم الشك ويرفع من شأنه بل حتى بعض المحسوبين على الإسلام والدعوة! ولا شك أن تبني المرء لهذه النزعة يدفعه دفعاً لتطبيقها عملياً!

هذه الأسباب تضافرت على الدفع بالشباب إلى ما هم عليه، ومن ثم أنشأت فيهم قابلية كبيرة وبيئة خصبة للتأثير بالخطاب المنحرف، سواء في نسخته العلمانية تمهدأ أم في نسخته الإلحادية هدفأ! ولهذا يجب إشاعة الثقافة والمفاهيم الإسلامية بين الصغار والشباب، بما يناسب العقلية المعاصرة.

ثالثاً: أقسام الشبهات:

تنقسم الشبه إلى قسمين:

- القسم الأول: ينشأ بسبب لبسٍ، أو خطأ، أو عدم فهمٍ أو فهمٍ غير سليم، ويهدف لإزالة الشبهة، فإذا وقف على الجواب، زال ما به، وانكشفت عنه الظلمة.
- القسم الثاني: يُورِّدُ المخالفون من الزنادقة، والملحدة، والنصارى واليهود، وأعواهم من أعداء الله تعالى، وهو

(158) خطر الإلحاد وانتشاره بين المسلمين لدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي.

في الأصل كَذِبٌ مُخْتَلِقٌ يصح أن يُطلَقُ عليه فِرْيَةً أو تَخْرُصًا أو إِفْكًا.

رابعًا: أساليب ووسائل صناعة الشيمات:

- 1- انتزاع النص وبتره من سياقه الأصلي.
- 2- الزيادة أو النقصان من ألفاظ النص.
- 3- إفقاد النص مقوماته الأساسية وتحويره واستباقه بمقومات مصطنعة لدفع الفهم باتجاه معين.
- 4- تحريف معنى النص وإخراجه من إطار الإحکام المنهجي الإسلامي.
- 5- حشد وتجميع النصوص المدسوسة، وتقديمها على أنها نصوص قطعية.
- 6- إلزام النص بما ليس من لوازمه.

خامسًا: فوائد الشيمات⁽¹⁵⁹⁾:

ما فائدة ما يثير الشيمات في العقول، في العقيدة والتشريع والقدر بما أن الإسلام – كما يقولون – هو دين الحق المنزل من عند الله تعالى، وأنه موافق للعقل ومنسجم مع الحق؟!

يقول الراغب الأصفهاني: "وأما شيمه من قال: لو كان الله دين لكان باهرا للعقول والأسماع والأبصار. فجوابه: إن ذلك باهر، ولكن من لم يُضيئْ نور الله الذي به يبصر، ولم يُفسِدْ بصيرته التي بها يدرك. وأما من ضيَّع ذلك فقد صار بمن وصفه الله تعالى بقوله: {صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}. وما أشبه قائل هذا فيما يقول برجل قال لشاعر: لم لا تقول ما نفهم؟ فقال: وأنت لم لا تفهم ما يقال؟، ويجب أن يعلم أن الله تعالى ركز في عقل كل ذي

عقل مرآة فكرٍ، فإذا زكاها وجلاها تبيَّن الحق من الباطل، والكذب من الصدق، والقبيح من الجميل".⁽¹⁶⁰⁾

إن وجود تلك الآيات المتعارضة ظاهريًا (المتشابهات) هي نفسها برهان ساطع على صحة النبوة المحمدية، ومن ثم دليل على صحة أن القرآن كلام الله تعالى العظيم وأنه الحق المبين؛ وذلك لأن البحث الموضوعي في آيات القرآن في مختلف المجالات يكشف عن دقة التناغم والتناسق بينها، وهو دليل على أن مصدره له الكمال المحيط. وإنما يجد بعض الناس التعارض والتناقض فيه على سبيل الوهم والقصور في العلم والإدراك، ويعضد هذا المعنى أن العرب الذين نزل فيهم القرآن، عجزوا عن أن يجدوا فيه أدنى ثغرة، رغم أنهم كانوا فرسان البلاغة، وكانت عقولهم في الطبقة العليا من السلامة الفطرية، ورغم حرصهم على معارضته والتنفير عنه!

وأما وجود بعض ما تعجز العقول عن إدراكه وفهم حقائقه في العقيدة والتشريع الذي جاء به الوحي، فذلك لا يطعن في النظم القرآني، وأنه في منتهى الدقة في معطياته؛ لأن هذا العجز نفسه دليل على أنه كلام الخالق العظيم؛ لأن الخالق له الكمال المطلق، أما المخلوق فهو محدود بالإدراك بحكم مخلوقيته، وهذه هي طبيعة النبوات دائمًا، فإن (الرسل لا يخبرون بمحاجات العقول بل بمحاجات العقول، فلا يُخبرون بما يعلم العقل انتقاءه، بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته).⁽¹⁶¹⁾

وقد أشار الإمام ابن الوزير إلى شيء شبيه بهذا المعنى، وذلك في قوله: "لَمَّا كَانَ التَّفَاقُوتُ بَيْنَ عِلْمِ الْمُخْلَقَيْنَ وَعِلْمِ خَالقِهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يُقْدَرُ بِمَقْدَارٍ، وَلَا يُتَوَهَّمُ بِقِيَاسٍ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمْ فِي التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ لِتَفَاصِيلِ الْأَحْکَامِ أَعْظَمُ مِنِ الْاِخْتِلَافِ وَجَوْبًا عَادِيًّا يَسْتَحِيلُ خَلَافَهُ، حَتَّى لَوْ قَدَرْنَا مَا لَا يَتَقَدَّرُ مِنْ موافقتِهِمْ لِجَمِيعِ أَحْکَامِ

(159) المصدر السابق.

(160) الاعتقادات ص 111

(161) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية ج 1 ص 146

الله تعالى على جهة التفصيل لكان هذا محاورة عظمى لعقل جميع العقلاة والأذكياء، بل محالاً ممتنعاً في معارف الفطناء والعلماء، ولكن ذلك الاتفاق أعظم شهادة قادحة في زيادة علم الله تعالى عليهم، ومن أدق المتشابه المحير لفطنة لهم. فلما جاء السمع بالتشابه عليهم جاء على القاعدة المألوفة والعادة المعروفة في أن الأعلم إذا تميّز شيئاً قليلاً عن أجناسه وأشباهه لم يكن بُدّ من أن يأتي بما لا يعرفون، ويفعل ما لا يألفون، ويستحسن بعض ما يستقبعون، حتى قيلت في هذا الأشعار وضُربت به الأمثال، وحتى قيل إن الاجتماع في الخفيات محال مثلما أن الاختلاف في الجليات محال).⁽¹⁶²⁾

خلاصة هذا الكلام: بما أن علم المخلوق لا يساوي علم الخالق، فطبعي أن يكون بين الخالق والمخلوق فروقاً واسعة في اعتبارات الحكم وموارد التحسين والتقبیح، ولو تساوى علم المخلوق في ذلك بعلم الخالق، لكان ذلك أمارة تثير الحيرة الشديدة عند العقلاة والعلماء، إذ الخالق يجب أن يكون علمه أعلى وأوسع من علم المخلوق. فلما جاء الوحي على قاعدة معروفة للعقلاة وهي أن كل من تميّز بعلم فوق أقرانه من العادي جداً أن يعرف ما لا يعرفون ويستحسن ما لا يستحبون ويستصبح ما لا يستقبعون، كان وجود ما لا يدرك العقلاة كنه في القرآن أمراً عادياً؛ لأنه كلام الخالق الدال على سعة علمه وحكمته.

ولهذا، نقول للشباب المسلم: من المفيد لكم من آية ناحية نظرنا، أن تعرفوا أقداركم، فالإنسان مهما اتسع في المعرفة، فما يغيب عنه أكثر بكثير جداً مما يطلع عليه ويدركه بعقله وعلمه، ولهذا لن يبلغ الإحاطة بعلم الله وحكمته. وأيضاً، فإن مقتضى الإيمان والانتساب إلى الإسلام يوجب على المسلم أن يكون يقينه بحكمة الله وعلمه وعدله ورحمته أعظم من أن تشکكه خاطرة عابرة أو شهادة سائرة أو حتى مجلدات كلها شهادات ومغالطات، فالإيمان يعني أنك تؤمن أن الله سبحانه له الكمال المطلق والعظمة اللامائية في ذاته وأسمائه وصفاته، كالعلم والحكمة والعدل والرحمة، وكذلك من المهم الواجب، نتيجة لهذين المعينين المذكورين أن تفهموا أن التوغل والتدقيق في غوامض الحكمة والإلهية التشريعية والقدرة موردة وخيماً ومآلها وبيلاً، ولهذا ما زال أهل العلم الربانيون يحذرون شديد التحذير من الانزلاق إلى تعليل الأحكام الشرعية والتدبرات القدرة، ورحم الله من عرف قدره ولم يحاول تجاوز طوره.

بعد هذه الإشارة، يمكننا تلخيص جواب السؤال المطروح في النقاط التالية:

الأول: الحرص على طلب العلم الصحيح؛ لأن العبد كلما اتسعت دائرة علمه بالقرآن والسنة وأقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم، وتبصر في معاني الحكمة الإلهية في الكون والحياة والتاريخ، وأسرار العلاقة الرابطة بين الدنيا والآخرة كان أبعد من الواقع في الشهادات، ولهذا ما زال الله تعالى ورسوله الأكرم عليه الصلاة والسلام يحثان المسلم على طلب العلم وتحصيل المعرفة واكتساب الحكمة، وتحقيق حسن الفهم لآيات القرآن وأحاديث السنة، وتقليل النظر في ملوكوت الكون.

الثاني: التسليم لله ولرسوله في الأحكام والأخبار:

فإن مقام التسليم العقلي والنفسي مقام عظيم، ولا يرتقي إليه ولا يرسخ فيه إلا ذو المعرفة الثابتة الواضحة واليقينية؛ وذلك لأن الله تعالى خلق الإنسان في هذا العالم الدنيوي؛ ليحقق الكمال الممكن له استعداداً لعالم الأبدية بعد الموت، وهذا قضت حكمة الله تعالى أن يكون مرتبطاً بالابتلاء، وهو أنواع ومراتب، وأعلاه وأسنه ما

.(162) إيثار الحق على الخلق ج 2 ص 174

تعلق بالأبعاد الكبرى في التشريع والقدر والكون.

الثالث: إقامة الحجة على المخالفين والمناوئين؛ لأن الله سبحانه وتعالى أنزل هذا الدين لإقامة الحجة على العباد؛ لقطع أعدائهم في الكفر والإلحاد، ولما كانت كثير من العقول والآراء تهوى الباطل لخفته عليها، وترفض اتباع الحق لثقله عليها، فتحرص على تبرير باطلها ودحض الحق من خالقها، عبر طرح الشبهات والاعتراضات والمغالطات، في الأحكام التشريعية والتصاريف القدريّة، لزم المسلم بمقتضى الإيمان أن ينبعي لبيان الحق وكشف الباطل، من أجل قطع عن المبطلين.

الرابع: تحقيق التمييز بين الناس؛ وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان في هذه الدنيا إعداداً له للأخرة الأبدية، ولما كان سبحانه قد وهب الإنسان الحرية والإرادة، فإن شاء آمن واستقام وإن شاء كفر وانحرف، كان لا بد من التمييز بين هؤلاء وهؤلاء عبر آلية الابتلاء، وهي تنقسم إلى شهوات وشهادات، فكما أن الإنسان مطالب بضبط شهواته العملية وفق منهج الله سبحانه وإلا ضل وهلك، فكذلك بخصوص الشبهات العلمية هو مطالب بضبطها بالشرع، فمهما يردد أو يرفض ويُتَّبع الهوى فيضل.

الخامس: تجديد الإسلام في النفوس؛ لأن أعداء الله تعالى بمختلف أشكالهم ومرجعياتهم حريصون شديد الحرص على محاربة دين الله سبحانه، وتشويه العقيدة وتقبيح الشريعة. والإسلام بما أنه دين مرتبط بالإنسان وحياته ومصيره، والإنسان لا يمكن أن يظل سائراً في الطريق، قوياً ثابتاً، بل قد يضعف وقد يتغير، فكان ضغط هؤلاء الأعداء وهجومهم المستمر على العقيدة والشريعة بأساليب شتى مستغلين عوامل مختلفة، من أعظم أسباب يقظة المسلمين وتنبههم لطبيعة المعركة التي يشنّها الأعداء.

قال محمد قطب: "إن الهجوم المستمر على الإسلام: قيمه ومبادئه وتاريخه ورجالياته وإنجازاته، قد أيقظ المسلمين إلى جوانب من عظمة الإسلام كانت - في فترة الركود - قد نسيت أو انطفأ بريقها وفقدت إشعاعها. فإن هجوم المستشرقين وأشياعهم من التنويريين الذين يترجمون أفكار المستشرقين وينشرونه بأسمائهم أو أسماء أصحابها الأصليين أحذثت رد فعل فيما يسمى حركة (الدفاع عن الإسلام)".⁽¹⁶³⁾

إن تأمل هذه المقاصد ووضعها تحت موازين الشريعة والحكمة يهدي إلى حقيقة مهمة، وهي أن العبد المسلم ينال بها الثواب العظيم والمنزلة السامية والمقام الراسخ؛ وذلك لأنها كلها تدخل في إطار قاعدة الابتلاء، وهي القاعدة التي بُنيت عليها الدنيا وأقيمت لها الحساب يوم القيمة، كما قال سبحانه: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوْكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّهُمْ إِلَّا سُحْرُ مُمِينٌ} [هود: 7]، وقال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوْكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} [الملك: 2].

ولهذا، فحين يأتي الملاحدة ويقولون: المسلمين لديهم هوس بالشبهات، بدليل أنك إذا كتبت كلمة شبهة في أحد محركات البحث في الإنترنت، ستخرج لك مئات ومئات منها، وذلك دليل على أن دينهم كله شبهات وليس فيه أي شيء واضح وحق وصحيح! حين يقال هذا، فهو دليل على الجهل المفرط أو العبث الماجن أو الخبث الماكر أو ثلاثة؛ وذلك لأنَّ كثرة ردود المسلمين على الشبهات المختلفة دليل صادق وبرهان ساطع وآية متلائمة على أن

ديهم هو الحق المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأمارة ذلك أنهم قادرون على الرد على كل شبّهات وأوهام الملاحدة والنصارى والعلمانيين والنسويات وغيرهم من أهل الباطل والضلال حتى وإن كانت في منتهى السخف والعبث، كما أنها أمارة على أن هؤلاء جميعاً ليس معهم سوى الباطل والوهن والجهل والزيف، وأنهم لا يقصدون الحق ولا يبحثون عنه، بل أقصى ما لديهم هو الاعتراض لمجرد الاعتراض؛ لينخدع بهم أهل الغفلة فيظنون أنهم على شيء! لكن، من مشاكل الملحد أنه لا يريد أن يفهم هذه الحقيقة بل تراه يركب رأسه ويُتبع نفسه هواها بلا أي دليل ولا أي منهج، ثم لا يتزدّد في إطلاق العنان للسانه!

ولهذا يجب على المسلم في هذا العصر لا تهوله الشبهات التي يثيرها هؤلاء المفسدون في الأرض، بل عليه أن يفخر بانتمائه للإسلام وأن يعتز بذلك، وأن يتذكر دائمًا بأن معركة الحق والباطل ما زالت منذ كان في الأرض حق وباطل، ولن تنتهي أبداً. فهذا الدين تنزيل من رب العالمين، وصراط الأنبياء والمرسلين، ومنهاج الحكماء والصالحين، لن يجد فيه ذو العقل والإنصاف والحكمة والعدل ثغرة واحدة يمكن أن تكون سبباً في الشك فيه؛ لأنّه تفصيل الذي يعلم سر الإنسان ومداخل عقله ومسارب نفسه وخفايا باطننه وما لات الأمور الاجتماعية في مستقبلها القريب والبعيد. ومن شك أو احتار بذلك لجهله وتقصيره أو لخبث طويته وسوء غايته.

وما أحرى بال المسلم أن يتأمل مقالة ابن الوزير اليماني وهي مناسبة جدًا لهذا السياق: "لا ينبغي أن يستوحش الظاهر بالحق من كثرة المخالفين له، كما لا يستوحش الزاهد من كثرة الراغبين، ولا المتقي من كثرة العاصين، ولا الذاكر من كثرة الغافلين، بل ينبغي منه أن يستعظم المنة باختصاصه بذلك مع كثرة الجاهلين له الغافلين عنه، وليوطن نفسه على ذلك، فقد صرّح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن هذا الدين بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطّوبي للغرباء".⁽¹⁶⁴⁾

ويجب التنبيه إلى أن أحد أهم مقاصد الملحدين، خصوصاً المتخفيين منهم، كالعلمانيين والليبراليين والنسويات، هو إضعاف النزعة الانتيمائية إلى الإسلام في عقل ووجدان المسلم؛ لأن ضعف هذه النزعة يؤدي إلى اعتبار أن الإسلام مثله مثل أي دين أو توجه أو مذهب، وهذا يؤدي بالضرورة لعدم الفخر والاعتزاز به، وهذا يجعله ممكناً المراجعة والتشكيك والنقد، فإذا وصل الشاب إلى هذا الحد، ولو بشكل ضمني، يكون قد وضع قدمه على طريق الإلحاد الصريح!

لأنّه لا ينجو العبد من الشبهات إلا بالله⁽¹⁶⁵⁾

الحقيقة أنه لا يمكن - بعد عصمة الله تعالى وتوفيقه - أن ينجو العبد من الشبهات، خصوصاً في مثل عصتنا، حيث يتم ضخ الكثير جداً منها وقصف عقول الشباب بها، لا يمكن النجاة ما لم تكن للمسلم أساس وقواعد يستطيع الاعتصام بها من فتن الشبهات التي يطرحها الملاحدة والنصارى وغيرهم، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم".⁽¹⁶⁶⁾

(164) إيثار الحق على الخلق ج 1 ص 401.

(165) المصدر السابق.

(166) منهاج السنة النبوية ج 5 ص 83

سادساً: ركائز ينبغي على المسلم استيعابها:

وأحب هنا التنبية على مجموعة من الركائز التي ينبغي أن يستوعبها المسلم وأن تكون واضحة في عقله، وهي إن شاء الله كفيلة بحراسة عقله وقلبه من الخضوع لمغالطات الملاحدة وتلبيسات شهادتهم، وهي:

الأول: الكمال الإلهي: والمقصود به، أن يعلم المسلم أن الله سبحانه متصف بالكمال اللامائي، كان بكماله وعظمته وغناه قبل خلق الخلق، وهو كذلك بعد خلق الخلق، ولم يزده خلق الخلق كملاً لم يكن له قبل خلقهم. ولهذا يستحيل استحالة مطلقة أن يكون في كلامه التشريعي أو تصاريفه القدري، أدنى تناقض أو ظلم أو عبث.

الثاني: القصور الإدراكي: والمقصود به أن يعلم المسلم أن المدارك العقلية محدودة وقادرة وعاجزة عن الإحاطة الشمولية بكل شيء، فالإنسان مخلوق، والمخلوق لا بد أن يكون محدوداً في كل شيء، وبحكم محدوديته الإدراكية يستحيل أن يحيط علمًا بالأبعاد والمقاصد النهاية للحكمة الإلهية، سواء الشرعية أو القدري، ونحن البشر "إنما أعطينا العقل لإقامة العبودية لا لإدراك الربوبية".⁽¹⁶⁷⁾

الثالث: طبيعة عالم الدنيا: والمقصود به، أن يعلم المسلم أنَّ الدنيا دار ممر، شاء الله سبحانه أن تكون مسرح التكليف الإلهي للإنسان للقيام بحقوق الألوهية وواجبات العبودية، وأساس التكليف هو الابتلاء، فكل عبد مبتلى بضرور من الابتلاء، وما دام العبد في الدنيا فالابتلاء لازم له، ولا هناء إلا من فاز بالجنة، جعلنا الله من أهلها.

الرابع: مسئولية الإنسان: والمقصود به، أن يعلم المسلم أنَّ الله سبحانه وهب الإنسان الحرية والإرادة؛ ليقيم الحجة عليه. فالإنسان له كامل الحرية للاختيار بين الإيمان/ الكفر، الاستقامة/ الانحراف، الطاعة/ المعصية. وشعور الإنسان بالحرية والإرادة في حياته اليومية ونشاطاته المختلفة برهان ساطع على أنه مكلف.

الخامس: حجة الوحي الإلهي: والمقصود به، أن يعلم المسلم أنَّ الله سبحانه قد قطع عنر الإنسان بإنزال الوحي، فهو منظومة شاملة ومتکاملة لمعرفة الحق. كما غرس فيه مبادئ العقل التي توجب عليه الإيمان وطلب الحق، فهما نور على نور. فللإنسان أن يفعل ما يشاء، لكن الحساب بعد الموت، إن خيراً فخير، وإن شرًّا فشر.

السادس: الهدف الوجودي: والمقصود به، أن يعلم المسلم أنَّ الخالق سبحانه قد خلق الإنسان لهدف معين ولغاية مقدسة، هي تلك "العبودية" بمفهومها الشامل لمختلف نشاطات الحياة: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} [الذاريات: 56]، وأنَّه على هذه المهمة والوظيفة سيكون الحساب يوم القيمة، ثواباً لمن آمن وأطاع، وعقاباً لمن كفر وعصى.

السابع: اليقين لا يزول بالشك: والمقصود به، أن يعلم المسلم أنَّ كل ما يُطرح من الشبهات والتشكيكات والمغالطات، وما قد يصادفه العبد من الهواجس والوساوس من الهوى والشيطان حول الوحي والقدر والواقع، شكوك يجب قطعها باليقين، الذي هو أنَّ الله له الكمال المطلق والإنسان محدود الإدراك.

الثامن: الحياة الأبدية بعد الموت: والمقصود به، أن يعلم المسلم أنَّ الإنسان مخلوق للأبديّة، وقد رَتَبَ الله سبحانه مصيره في الجنة أبداً أو النار أبداً على مدى قيامه بحقوق الألوهية وواجبات العبودية، والحساب

(167) الحجة في بيان المحجة، أبو القاسم الأصبهاني ج 1 ص 319

الكامل (تَوَابًا وَعِقَابًا) إنما يكون في الآخرة، كما قال تعالى: {وَإِنَّمَا تُوقَنُ أَجُورُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَعَنْ رُحْزَحِ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلْ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} [آل عمران: 185].

التاسع: الجهل المفصل لا ينفي العلم المجمل: والمقصود به، أن يعلم المسلم أن كون الإنسان يجهل تفاصيل الشريعة ومقدارها وأسسه، ويجهل أسرار القدر وتصاريفه وحكمه، وعلاقته بفعل الإنسان وحركة المجتمع، لا ينبغي أن ينفي علمه المجمل بعد الله وحكمته، وبحرية الإنسان ومسؤوليته.

العاشر: الصراع الفكري والثقافي: والمقصود به، أن يعلم أن الصراع بين الحق والباطل، بين التوحيد والجاهلية، بين الإيمان والكفر، سنة من سنن الله تعالى في حياة البشرية. واليوم يحرص المفسدون في الأرض على مصارعة الحق والتوحيد والإيمان، تحرّكُهُمْ لذلِكَ أَحَقَادُ وَأَطْمَاعُ وَأَهْوَاءً.

الحادي عشر: الاستشكال لا يدل على البطلان: والمقصود به، أن يفهم المسلم أن ما قد يستشكله في القرآن والسنة والقدر أو في الحياة والطبيعة والكون، لا يلزم عنه البطلان؛ لأن الاستشكال قد يكون بسبب الجهل، أو العناد، أو الهوى... إلخ، ولو ذهبنا نُبْطِل كل ما استشكنا؛ لتعذر المعرفة والحياة ولما تقدم العلم خطوة واحدة.

الثاني عشر: سؤال أهل العلم والمتخصصين: والمقصود به، أن بدئية العقل والفطرة السليمة يؤكdan على حقيقة جوهرية، وهي أن الجهل بشيء ما يفرض علينا سؤال المتخصصين الثقات في ذلك المجال، ومن الحماقة والسفاهة سؤال غيرهم، وهذا مبدأ قرآنـي أصيل، {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الأنبياء: 7].

الثالث عشر: المحكم والمتشابه: والمقصود به، أن يعلم المسلم أن طبيعة الدنيا ومقصود التكليف تقتضي أن تكون محكمات ومتشابهات. وفي كل مجال من المجالات الدينية والفكرية العلمية والبحثية، هناك أصول محكمة وهناك أمور متتشابهة، ومنهج أرباب هذه المجالات يرددونَ المتتشابهات إلى تلك المحكمات.

الرابع عشر: الحق لا يتبدل: والمقصود به، أن علم المسلم أنَّ الحق حق حتى وإن تمت زخرفة الباطل، وتزيينه، وحتى إن تبنَّاه المشاهير وروجوا له، وحتى إن ضخمـه الإعلام ونفحـه فيه لتتقبَّله النفوس وتنشرـه العقول؛ وذلك لأنَّ الحق قيمة مطلقة لم يُنشئها الإنسان وليس هو من قرر تبنِّها، بل هي جزء من تكوين الفطرة والوجود.

الخامس عشر: اللب قبل القشور: والمقصود به، ألا يخدع المسلم ألا تهوله كثرة تشكـيق الملاحـدة لـلـكلـمات ورفعـهم الدائم لـشعـارات بـراقةـ، مثل عـقلـ، دـليلـ، علمـ، لقد درـسـنا وبـحـثـناـ، وـعلمـاءـ العـالـمـ كلـهـمـ مـتفـقـونـ علىـ كـذاـ. فـهـمـ بـهـذـاـ يـنـشـدـونـ إـحـدـاثـ الصـدـمـةـ النـفـسـيـةـ عـنـ الـمـتـلـقـيـ الـمـسـلـمـ، لـكـيـ يـعـجـزـ عـقـلـهـ عـنـ التـفـكـيرـ وـمـنـ ثـمـ يـتـشـرـبـ أـطـرـوـحـاتـهـمـ وـشـبـهـاتـهـمـ، أـيـ أـنـهـمـ عـمـلـيـاـ يـمـارـسـونـ إـرـهـابـاـ نـفـسـيـاـ، -وـلـاـ شـكـ هـذـهـ الخـطـةـ قـدـيمـةـ، فـقـدـ مـارـسـهـاـ الـيهـودـ قـدـيمـاـ معـ الـمـسـلـمـينـ، لـكـيـ يـشـكـوـهـمـ فـيـ الـإـسـلـامـ، وـلـهـذـاـ خـلـدـ اللـهـ تـعـالـىـ هـذـهـ المـوـقـعـ فـيـ الـقـرـآنـ لـكـيـ يـعـتـبـرـ بـهـ الـمـؤـمـنـ، فـقـالـ حـكـاـيـةـ عـنـهـمـ: {وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَأَكْفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [آل عمران: 72].

السادس عشر: توافق العقل والوحي: والمقصود به، أن يكون المسلم على يقين تام بأن الوحي يستحيل أن يناقض عقلاً صريحاً أو علمـاـ ثابتـاـ. فالـوـحـيـ كـلـامـ اللـهـ، وـالـعـقـلـ وـالـكـوـنـ خـلـقـ اللـهـ، وـلـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـتـناـقـضـ كـلـامـ اللـهـ معـ

خلقه. وإذا صادف ما يوهم بالتناقض، فذلك يرجع إلى أن الوحي محتمل، أو أن النظر العقلي ليس صحيحاً في مقدماته، أو أن المعطى العلمي إذا كان له تعلق بمعطى الوحي ليس حقيقة علمية نهائية.

السابع عشر: أصالة المصادر: والمقصود به، ألا يفتر المسلم بالمصادر التي يذكرها الملحدين، ولا بالاقتباسات التي يعرضها، فالملحدة قومٌ بُهتَتْ، يفتررون الكذب وهم يعلمون، وبعضهم كحاطب ليل، فلا يهتمون بأصالة المصدر، هل هو معتمد عند المسلمين في الدليل أم لا؟ كما أنهم يمارسون لعبه الانتقاء، سواء في القرآن أم الحديث أم أقوال العلماء؛ لأن غرضهم تصفيه كلامهم للإيحاء بأنهم يعرفون الإسلام حق المعرفة، ولذلك أخذوا.

الثامن عشر: منهجية التسليم: والمقصود به، أن يتضمن المسلم إلى أنَّ مِنْ خُدُعِ الملحدين الماكرة أنه يتعمد طرح أسئلة هي في أساسها مبنية على أصول أخرى، وبدون التسليم بتلك الأصول والاقتناع بها، فإن تلك الأسئلة الملغومة تجر المسئول إلى بلبلة فكرية واضطراب معرفي مثل قولهم مثلاً: لماذا خلقنا الله بدون أن يأخذ رأينا؟ (أنت كنت عدماً فكيف يأخذ رأيك؟).

التاسع عشر: لا تبرر دينك: والمقصود به، أن يفهم المسلم بأنه غير ملزم بتبرير عقيدته وشريعته، بل دوره أن يبلغ رسالة الوحي إلى الملحدين، ثم له الخيار في القبول أو الرفض. بل يجب على المسلم أن يقلب على الملحدين كلامه بمطالبه بتبرير طرح ما يسميه شبهات؛ لأنَّه وفق المركبات الإلحادية لا يوجد أدنى مبرر لهذه الاعتراضات.

العشرون: هذا الدين علم: والمقصود به، أن يفهم المسلم بأن الإسلام في عقيدته وأحكامه، علم له أصول وقواعد وضوابط، وبدون الالتزام بها في عملية الفهم لا بد أن يضل العقل وتلتبس عليه المعطيات، ولهذا لا توجد أمة في تاريخ البشرية قدِّمَا وحدِيَّاً وضعَتْ ضوابط وقواعد لفهم دينها كما فعل المسلمون لتفسير نصوص دينهم، وفهمها بشكل صحيح، ولهذا لن تجد اعترافاً من اعترافات المناوئين للإسلام إلا وتتجده غير منضبط بضوابط الفهم وقواعد العلم الشرعي.

إن استيعاب هذه المنطلقات تحمي المسلم إن شاء الله من التأثر بالأباطيل الرائجة والشبهات الشائعة والوساوس الطارئة، بل حتى وإن لم يفهم مكامن المغالطة فيها، فلن يهتز إيمانه ويقيمه وثباته، بِحُكْمِ علمه الواضح والعميق بهذه الأصول العامة، ومن ثم، سيبادر لسؤال أهل الاختصاص أو البحث بنفسه، ليعرف أولاً مكامن المغالطة في طرح الملحدين والمناوئ للإسلام عموماً، ولتعرف ثانياً أصول المسألة في معناها الشرعي، ولماذا كانت كذلك وأي غاية تقصد.

سابعاً: منهج التعامل مع الشبهة⁽¹⁶⁸⁾:

من رحمة الله سبحانه أن وضع للمسلم منهج التعامل مع الشبهة المعروضة عليه، يقول جل شأنه: {هُوَ الَّذِي أَنَّرَ
عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحَكَّمَاتٍ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٍ فَمَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَنْتَعِّسُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ
الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلُّ مَنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَدْكُرُ إِلَّا أُولُو
الْأَلْبَابِ} [آل عمران: 7].

فهذه الآية تنص على أن هناك أصولاً محكمة وثابتة وواضحة في المعطويات القرآنية، وفي المقابل هناك آيات متتشابهة إلا أن نسبتها قليلة، ثم ذكرت الآية أن الناس في التعاطي مع القرآن، منهم الذين يتبعون الفتنة لإضلال

(168) الإلحاد.. الوهم المستحيل.

غيرهم، وذلك بضرب الآيات بعضها ببعض، ومهم أهل العلم والصلاح الذين يؤمنون بأن القرآن كلام الله، وكلام الله لا يمكن أن يأتيه التناقض والاختلاف من أية جهة نظرنا إليها.

فنخرج من هذا، أن الاشتباه الذي قد يحدث عند بعض الناس، يكون سببه:

أولاً: الغفلة عن كمال الله سبحانه فالواجب أن ينفي أن يكون في كلامه سبحانه أدنى اختلاف أو تناقض، بل اتهام النفس بالجهل والتقصير.

ثانياً: عدم النظرة الشمولية للآيات التي تتعلق بهذا الموضوع أو ذاك مع ربطها بالمرتكزات العامة للقرآن كله.

واعلم أن سر وجود الآيات المتشابهة في القرآن يرجع إلى أمور، منها:

أولاً: الكلام الإلهي في سياقاته له اعتبارات؛ لأن القرآن ليس يشبه نمط الخطاب البشري، بل هو نمط متفرد، سواء من حيث التركيب اللغوي أم من حيث الدلالة المعنوية؛ ولذلك فآياته غير منفصلة عن غيرها، بل متشابكة بنظامه كله.

ثانياً: فسح المجال لأهل العلم للتنافس في تحقيق معانيه واستنباط أبعاده؛ وذلك لأن القرآن نزل ليكون دستور الإنسانية إلى منتهى وجودها، سواء في مجالها المعرفي أم في مجالها السلوكي أم في مجالها التنظيمي، فيتنافس علماء كل زمان لاستخراج درره.

ثالثاً: الابتلاء العقلي والنفسي للمسلم، فلما كان المقصود الأعلى للنبوات هو أن يكون العبد عبداً لله اختياراً كما هو عبد له اضطراراً، لا جرم إن كان في القرآن ما لا يدرك بأول النظر، فيتحقق المسلم التسليم لله تعالى فيما لم تبلغه مداركه ومعرفته.

ثامناً: أسباب تكثيف الشيمات⁽¹⁶⁹⁾:

إن كثيرين من الشباب اليوم يغفلون عن أنهم يتعرضون لقصص عنيفة على مستوى الأفكار والقناعات والرؤى والأهداف ونمط الحياة، كما يتجلى ذلك في العلمانية والإلحاد والنسوية، وتزييف مضامين الإسلام وتشويه التراث الإسلامي! والمدفوع هو سلخهم عن عقيدتهم ودينه، وفصلهم عن هويتهم الإسلامية، مع ربطهم بالثقافة الجاهلية المعاصرة أي الثقافة الغربية. إنهم لا يدركون أنها حرب فكرية ونفسية وأخلاقية شرسة، تحركها أحقاد وأطماع! كما أشار إليه سبحانه بقوله: {وَلَا يَرَوْنَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يُرْدُوْكُمْ عَنِ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوْا} [البقرة: 217]، ومن بين خططهم للانتصار في المعركة ضد المسلم خطة بث كم هائل من الشيمات والأباطيل ليتشكل في إسلامه، فيفقد بذلك أهم أسلحته الوجودية!

ولو أن الشباب يدركون هذه الحقيقة - وهي حقيقة مرعبة لمن له اطلاع - فلا شك أنهم سيكونون بمنأى وبشكل كبير جداً عن التأثر بالخطاب الإلحادي بمختلف تحلياته، حتى وإن لم تكن لديهم المهارة المعرفية لإدراك مواطن الخلل والزيف والخداع في تلك الأطروحات، والرد عليهم بشكل مفصل وقاطع. ولكن للأسف، كثيرون ينخدعون بالشعارات البراقة والكلام الفضفاض، وييثرون بهؤلاء الروبيضات والدجاجلة الذين يُظهرون أنفسهم ويقدمهم الإعلام على أنهم باحثون ومتذمرون ومجاهدون ومجددون! وإنما يجهل الشباب اليوم الباطل في كلام المبطلين، بمختلف أشكالهم واتجاهاتهم؛ لجهلهم بالحق، إذ لو عرفوا الحق لعرفوا الباطل وأهله ودعاته، كما سيعرفون الحق وأهله ودعاته، ولهذا كان من أهم مقاصد النبوات بيان الحق وأصوله وأهله، وبيان الباطل وأصوله وأهله،

⁽¹⁶⁹⁾ المصدر السابق.

من أجل التفريق بين فسطاط الإيمان والطاعة والاستقامة، وفسطاط الكفر والنفاق والضلال، كما قال سبحانه وتعالى: {وَكَذَلِكَ تُفَصَّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام: 55]، أي أن الله سبحانه يقصد قصداً لكشف الباطل وأصوله وأثاره ودواجه، لماذا؟ لكي تنجي حقيقة المجرمين المبطلين أمام أهل الحق وأتباعه، ولذلك ما زال القرآن يجادل أهل الكفر والنفاق والشرك والإلحاد، ويكشف دوافعهم وخبثهم، ويبرهن على ضلالهم وسفه عقولهم، ويتوعدهم بالمصير الو悲يل بعد الموت في عالم الخلود؛ لأن الأمر جدًّا ليس بالهزل، وحق لا يحتمل العبث والمجون كما يريد أن يعيش فيه الذين لا يعقلون!

ومقصود بيان أنَّ على المسلم ألا يلعب بدينه وعقيدته، وقد رأينا الناس لا يخاطرون بشيء التافه من حطام الدنيا، فكيف يستقيم في ميزان العقل أن يخاطر المرء بمستقبله الأبدي! خصوصاً وأنَّ الأمر ليس بالصعب المتعسر ولا بالغامض المتعذر، بل يكفي أن يخلص المرء نيته في طلب الحق، ثم يشمر عن ساق الجد في البحث والسؤال والتحصيل، وما كان الله سبحانه ليرد طالب الحق بالحق أبداً.

غير أنه يجب التنبيه إلى أنَّ الملحظ يحرص دائمًا على تتبع الشبهات والاعتراضات، ويفتح لها أبواب نفسه وقلبه؛ لإقناع عقله الباطن بأن إلحاده قائم فعلاً على أدلة صحيحة، وأن وجود إله خالق عليه علامات استفهام قوية! وفي هذه الغمرة والسكنة والانفعال العاطفي ينسى بأن القضية ليست عدم وجود أدلة أو عدم كفايتها، بل كل ما في الأمر أنه هو شخصياً لا يريد أن يقتنع وأنَّ تشرُبَه للشبهات والمغالطات بالإضافة إلى انغماسه في أحوال المعاصي والشهوات أبرز أسباب مشكلته، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تُعرَضُ الفتنُ على القُلُوبِ عَرْضَ الْحَصِيرِ عُودًا" ، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَتْ فيه نُكْتَةُ سُوْدَاءُ ، وأيُّ قلبٍ أُنْكَرَهَا نُكِتَتْ فيه نُكْتَةُ بِيَضَاءُ ، حتى يصير القلب أبيض مثل الصَّفَا ، لا تَصُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، والآخرُ أسوَدُ مُرْبَدًا كَالْكُوزِ مُجَحَّيَا ، لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا ، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا ، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ".⁽¹⁷⁰⁾

القضية إذن ليس عدم وجود أدلة أو عدم كفايتها، بل بفعل الانغماس في أحوال المعاصي وشرب النفس للشبهات تتشكل على عين العقل والقلب غمامنة سوداء، فلا يعود يرى الحق حقاً ولا الباطل باطلًا، بل يرى الباطل حقاً والحق باطلًا، ومن ثم لا تستطيع روحه أن تتلقى إيحاءات ودلائل الكون والحياة، ولا يقدر بعد على تذوق الجمال في مساح الأرض وأفاق السماء. وهذا يرجع إلى العلاقة الوثيقة بين باطن الإنسان وظاهره، بين

فكرة وقناعاته وسلوكياته، فـ(الباطن أصل الاستقامة ومنبع الصلاح والفساد لجميع الأعمال).⁽¹⁷¹⁾

ولهذا تجد جمهور مفكري وفلسفه الغرب منحرفين في سلوكياتهم بسبب انحراف أفكارهم وعقائدهم وتصوراتهم، قال نايجل رودجرز: "إن تصرفات الفلسفه الخاصة السيئة حيناً والمحزنة حيناً آخر، والمجنونة في أحياناً أخرى، ربما لا تكون تماماً (مجموعه من الذكريات الشخصية اللاإرادية)، لكنها من النادر أن تكون مفصولة تماماً عن تفكيرهم. إن حياتهم تؤثر وتساهم بتشكيل أفكارهم بشكل مباشر أحياناً".⁽¹⁷²⁾

بل حتى في التاريخ الإسلامي وقع كثير من المتكلمين والفلسفه والصوفيه في الانحرافات العملية لما انحرفت بوطنهم بمعارضة الوحي والتعالي عليه وعدم استقرار الإيمان في قلوبهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولهذا

(170) الراوي: حذيفة بن اليمان، صحيح الجامع: الصفحة أو الرقم: 2960

(171) شفاء السائل: عبد الرحمن ابن خلدون ص 40

(172) جنون الفلسفه ص 18

تجد كثيراً من هؤلاء لما لم يتبن له الهدى في طريقه، نكص على عقبيه، فاشتغل باتباع شهوات الغي في بطنه وفريجه أو رياسته وماليه، ونحو ذلك؛ لعدم العلم واليقين الذي يطمئن إليه قلبه، وينشرح له صدره".⁽¹⁷³⁾

وقال الإمام أبو القاسم الأصبهاني: "وهل رأى أحد متكلماً أداه نظره وكلامه إلى تقوى في الدين أو ورع في المعاملات أو سداد في الطريقة أو زهد في الدنيا أو إمساك عن حرام وشيبة، أو خشوع في عبادة أو ازدياد في طاعة إلى الشاذ النادر؟ قل: لو قلبت القصة كنت صادقاً، تراهم أبداً متهمكين في كل فاحشة، ملتبيسين بكل قاذرة، لا يرعنون عن قبيح، ولا يرتدعون من باطل إلا من عصمه الله".⁽¹⁷⁴⁾

والغرض من الإشارة أن السلوكيات والأفكار تتفاعل فيما بينها، خيراً أو شرّاً، استقامة أو انحرافاً، ومن هنا وجوب مراعاة هذا المعنى والتعامل معه بالجدية التي يستحق.

غير أنه لا يلزم كل مسلم معرفة تفاصيل الردود على الشبهات المختلفة التي يروجها المناوئون للإسلام من ملاحدة وعلمانيين ونسويات وغيرهم؛ لأن ذلك يقتضي العلم المفصل بالشريعة ومعطيات الوحيين (القرآن والسنة)، وهذا أمر يحتاج لفراغ وهمة وزمان، ومعلوم أن ذلك ليس متاحاً لكل مسلم، خصوصاً في عصرنا الحاضر، ولذلك كان معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في العقيدة والأحكام مفصلاً فرضاً على الكفاية، أما عموم المسلمين فهم مأمورون بالعلم المجمل الذي يقيمون به دينهم، لكي لا يقعوا في نواقض الإيمان وأحوال البدع، ولكي يعبدوا الله تعالى على نور وبصيرة وبما جاءت به السنة، كما قال تعالى: {فَلَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكَّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [النساء: 65].

وهذا لا ينفي ضرورة وأهمية أن يحرص المسلم على اكتساب أصول معرفية كلية يستعين بها على رد الأباطيل والشبهات ردًا مجملًا، إذ ليس يعقل ولا يُقبل من المسلم أن يجعل عقله وقلبه مثل الإسفنجية التي تتشرب كل ما يقع عليها من السوائل صالحة أو فاسدة، مفيدة أو ضارة، فهذا يدل على الغفلة واللامبالاة، وأكثر الناس ضلوا عن الحق ووقعوا في الباطل، ليس لعجزهم عن معرفة الحق والباطل، بل لعدم مبالغتهم أصلًا وانصرافهم إلى اتباع أهوائهم وشهواتهم، كما قال الإمام ابن الوزير اليماني: "علمت بالتجربة الضرورية في نفسي وغيري، أن أكثر جهل الحقائق إنما سببه عدم الاهتمام بتعريفها على الإنفاق لا عدم الفهم، فإن الله -وله الحمد- قد أكمل الحجة بالتمكن من الفهم، وإنما أتي الأكثر من التقصير في الاهتمام".⁽¹⁷⁵⁾

ومن المؤسف جداً أن نتعرف بأنّ شريحة واسعة من الشباب المسلم اليوم هم كذلك، ولديهم استعداد للتأثير بشكل سريع ومفاجئ بكل ما يُطرح من الأباطيل والتلبيسات! وإنك مهما قلبت وجوه الرأي في هذه القضية فإنك لا محالة تجد صعوبة في استيعابها، إذ كيف للمرء أن يتخلّى عن إيمانه وينتقل إلى الضفة الأخرى بسرعة مجرد قراءة مجموعة من المنشورات أو مشاهدة مجموعة من الفيديوهات أو التعرّض لبعض المواقف دون التأمل والبحث ليؤسس لقناعته الجديدة تأسيساً متيناً! لو لا أنك تتذكر أن نفسية هذا الشخص تكون مهيأةً فعلاً للسقوط قبل السقوط! كما أشارت الآية في معرض دفاع إبليس لعنـه الله عن نفسه ضد أتباعه: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَهَا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَقْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُنِي وَلَوْمُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُضْرِبِحِكُمْ وَمَا أَنْتُ بِمُضْرِبِحِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلِ إِنَّ

(173) درء تعارض العقل والنقل ج 1 ص 165

(174) الحجة في بيان المحجة ج 2 ص 121

(175) إيثار الحق على الخلق ج 1 ص 399

الظالمينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [إبراهيم: 22]. فهو يخبر أنه لم يجبر أحداً على الكفر والضلالة، ولم يكن له أصلًا سلطان ذلك، وإنما فقط دعا إلى الكفر والضلالة بفنونٍ من القول والزخرفة والتزيين والشعارات، فاستجاب له مَنْ هو مستعد لتقبل ذلك منه!

ولذلك على الشباب أن يحذر دائمًا من التعرض للفتن الفكرية والشيمات العقدية التي يدأب الملاحدة والمفسدون في الأرض في نشرها وإشاعتها وترويجها بمختلف الوسائل والأساليب، في وسائل التواصل وقنوات اليوتيوب، فضلاً عن البرامج والوثائقيات والأفلام، وكذلك كتابات الملاحدة المتخفين.

فقد رأينا شباباً من الجنسين كانوا على خير، ثم استزلهم الشيطان فدخلوا مجموعات وصفحات وقنوات إلحادية، أو قرأوا لبعض رؤوس الإلحاد المتخفى بداعي معرفة ما عند الآخر، أو بداعي حب هداية الآخر، فإذا بهم يسقطون في الفخ الذي نصبه الشيطان لهم، فبدأت الشكوك تغزو عقولهم ونفوسهم، ثم كانت خاتمة القصة أنهم ارتدوا عن الإسلام وتحولوا إلى الإلحاد والكفر، أو في أحسن الأحوال لم يستطيعوا التحرر من ضغط الشكوك والتلبيسات التي تطاردهم من كل جانب!

تاسعاً: سبل التخلص من تأثير الشيمات:

سؤال بعض الشباب الذين عادوا إلى الإسلام بعد مدة قضوها في الإلحاد: كيف أتخلص من رواسب الشيمات الماضية، فرغم أنني صرت أدرك أنها مغالطات وأباطيل إلا أنني لا أستطيع التخلص من ملاحقتها باستمرار! والجواب بإذن الله هو:

الخطوة الأولى: من المهم جداً أن يستحضر العائد إلى الحق أن معركته لم ولن تنته، بل هو – باعتباره صار من أنصار الحق – في جهاد مستمر ضد إبليس اللعين، العدو الخفي.

لقد كشف القرآن الكريم بوضوح أن إبليس أقسم أنه لن يترك ابن آدم لشأنه ما دامت روحه في جسده، ولذلك سيبذل كل ما في وسعه لإضلالة وتزيين الباطل له وتنفيه من الحق، قال الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمَ كَافَةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} [البقرة: 208]، وقال سبحانه في بيان قسم إبليس وإصراره على إضلالة ابن آدم: {قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبَعْثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فِيمَا أَغْوَيْتِنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَأَتَيْنَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} [الأعراف: 14-17]، فلإبدليس حقد بالغ على العائد من الإلحاد إلى الإسلام؛ لأنَّه تحرر من زيفه وخداعه وأباطيله، فلا عجب أن يحرص على محاولة رده إلى حظيرة الكفر، عبر بث كثير من الشيمات في نفسه.

الخطوة الثانية: التي يحسن بالعائد إلى الإسلام أن يحرص عليها هي ضرورة الابتعاد عن مواطن الشيمات، من موقع، منتديات، فيديوهات، حسابات وصفحات، وكتب ومقالات؛ وذلك لأنَّبقاء الارتباط بهذه المواطن، لا شك أنه عنصر قوى في منع تحقيق البراءة الكاملة من زيف الباطل ومكر الإلحاد والملحدين، ومعلوم أن المريض يحتاج لفترة نقاهة. وهذا القول ليس لأنَّ ما يقوله هؤلاء وينشرونه له قيمة في ميزان الحق، فليس معهم سوى المغالطات والتخبيقات، كما يدرك ذلك الباحثون والمطلعون، وإنما لأنَّ الإنسان غير المطلع يكون عقله وقلبه أشبه بالبيت المفتوح الباب، يستطيع كل من هب ودب أن يدخله، فكذلك من ليس له زاد شرعياً ومعرفياً جيد لا جرم أن تتطلي عليه الشيمات والمغالطات حتى وإن كانت في نهاية السخف والسذاجة! وليس يعيَ المرء إن لم يكن عالماً أن يفر بدينه من الفتنة، ولهذا نقل الإمام الذهبي عن السلف شديد تحذيرهم من الاستماع للشيمات

والاسترسال معها، ودعوا لضرورة الإعراض عنها وعدم المبالغة بها؛ لأن "القلوب ضعيفة والشّبه خطافة".⁽¹⁷⁶⁾

الخطوة الثالثة: من الواجب على العائد إلى الإسلام – بل وكل مسلم عاقل – أن يحرص على الابتعاد عن رفقة السوء والتائهين الشاردين الذين لا يبالون لماذا خلقوا ولا يبالون بمصيرهم الأبدي! بل عليه – إن نصح لنفسه – أن يلزم صحبة صالحة، في عقلها وسلوكها والتزامها. وكل هذا؛ لأن الطبع سرّاق، والنفوس تتاثر ببعضٍ بشكلٍ خفيٍّ وغامضٍ، في الخير والشر، ولهذا ما زالت الحكماء والصالحون يوصون بالرفقة الصالحة وينصحون بها. أما حين يُبقي الشاب العائد إلى الإسلام على علاقته بأصدقاء الإلحاد والضلالة والشكوك، بدعوى (نحن أصدقاء ولكل واحد منا قناعاته الخاصة)، فلا شك أنه يكون بذلك على خطر عظيم من الردة مرة أخرى إلى ظلمات الإلحاد إذ لا بد من نقاشات – ولو أحياناً – حول الإسلام والإلحاد؛ لأنه الآن صارت له حماسة للدفاع عن عقidiته الجديدة، ورفقاوه بالضرورة سيحرصون على اختبار قناعته الجديدة، فإذا لم يكن لهذا الشاب زاد جيد من العلم الشرعي والمعرفي، تختلط عليه الأمور، وهنا يكون قد فتح على نفسه تارة أخرى أبواب عواصفٍ شكوكٍ وشمباتٍ عاتية!

الخطوة الرابعة: في عصر انفجرت فيه براكيين الشهابات من كل حدب وصوب، مثل عصرنا، حيث لم تعد تلك الشهابات دائرة في أروقة البحث العلمي والأكاديمي، بل بفعل أجنادات وعوامل متشابكة، صار القائمون على هذه الشهابات والشكوك ينشرونها بمختلف الوسائل حتى بين الأطفال والراهقين والأميين. كل هذا يستدعي ويفرض على المسلم – الذي ينشد الخير لنفسه ويحترم دينه وعقidiته – أن يحرص على تحصيل العلم الشرعي والعلمي والثقافي ما يساعدـه – بإذن الله – على الاعتصام من مفتريات وأباطيل الملحدـين وغيرـهم. فهو – شاء أم أبيـ يتعرّض لقصص متواصلـ وتُشنـ عليه معركة شرسـة؛ لتفـيـرـ القناعـاتـ، ولذلك لا حلـ له سـوىـ أنـ يجعلـ طلبـ العلمـ والاطلاـعـ علىـ مفاهـيمـ العـقـيدةـ الإـسـلامـيـةـ وأـسـسـ الـدـيـانـةـ الإـسـلامـيـةـ، وـشـيءـ مـاـ يـرـوجـ فيـ أـرـوـقـةـ الـفـكـرـ وـالـعـلـمـ وـالـثـقـافـةـ الـيـوـمـ – ضـمنـ برنـامـجهـ الـيـوـمـيـ، كـماـ يـحـسـنـ جـداـ الـالـتـحـاقـ بـالـدـوـرـاتـ التـكـوـينـيـةـ، الـقـصـيرـةـ وـالـطـوـيـلـةـ، سـوـاءـ فيـ قـضـائـاـ الإـلـحادـ أـمـ فيـ مـبـاحـثـ الـعـلـمـ الـشـرـعـيـةـ؛ ذـلـكـ لـأـنـ الـعـقـلـ الـجـاهـلـ لـأـحـصـانـةـ لـهـ، بلـ يـمـكـنـ التـلـاعـبـ بـهـ دونـ أـنـ يـنـتـبـهـ، بلـ وـيـمـكـنـ أـنـ تـغـرسـ فـيـهـ أـفـكـارـ مـغـلوـطـةـ وـمـعـلـومـاتـ مـزـيـفـةـ يـتـبـنـاـهاـ وـهـوـ يـحـسـبـ أـنـ ذـكـيـ نـبـيـهـ!

الخطوة الخامسة: من أهم الأمور التي يغفل عنه كثيرون – وليس فقط العائدون إلى الإسلام والإيمان – أن الإلتزام الصحيح والاستقامة الوعية من أعظم مؤيدات الإيمان في العقل والقلب. فالتطبيق العملي للأفكار والعقائد في واقع الحياة ونشاطاتها وعلاقتها وأهدافها، عنصر فعال في ترسـيخـ هذهـ الأـفـكـارـ وـالـعـقـائـدـ وـتـقوـيـتهاـ وـحـرـاسـتهاـ ضدـ مؤـثرـاتـ الـزـيـوـفـ وـالـمـفـتـرـيـاتـ وـالـأـبـاطـيلـ، ولـهـذاـ وجـدـناـ القرآنـ الـكـرـيمـ فيـ عـشـراتـ المـوـاضـعـ دـائـمـاـ يـقـرنـ بـيـنـ الإـيمـانـ وـالـعـلـمـ الـصـالـحـ، وـقـدـ كـانـ السـلـفـ الـصـالـحـ – علىـ نـبـاهـةـ عـقـولـهـمـ وـصـفـاءـ نـفـوسـهـمـ وـسـعـةـ عـلـوـمـهـمـ – أـشـدـ النـاسـ التـزـاماـ وـتـعبـداـ وـاسـتـقـاماـ، وـذـلـكـ لـإـدـرـاكـهـمـ أـنـ الـعـلـمـ وـالـتـطـبـيقـ يـمـثـلـ – ضـمنـ مـجـمـوعـ فـوـائـدـهـ – جـدارـ حـمـاـيةـ لـعـقـائـدـهـمـ وـدـيـنـهـمـ ضـدـ التـأـثـيرـ بـشـهـوـاتـ الدـنـيـاـ وـالـأـنـسـيـاقـ معـ دـعـوـاتـ الضـلـالـ وـالـشـهـابـاتـ، وـإـذـ كـانـ الـمـتـدـيـنـ بلاـ علمـ، يـسـيرـ فيـ طـرـيقـ السـقـوطـ، فـإـنـ الـمـتـعـلـمـ بلاـ تـدـيـنـ، عـلـىـ شـفـاـ السـقـوطـ!

الخطوة السادسة: أحد أهم وأعظم الأمور التي يجب على العائد إلى الإسلام والإيمان إدراكها مبدئياً – ليعمل على استيعابها تفصيلاً لاحقاً – والالتزام بها وتذكرها دائماً، هو أن الإسلام ليس كباقي الأديان ذات الأصل

السماوي أو الأديان الوضعية مجرد القاسم المشترك بينه وبينها، أعني أنه دين وهي دين. بل الإسلام منظومة متكاملة الأركان، متماسكة العناصر، متعدد الأبعاد. أي إنَّ الإسلام له أساس ومبادئ وكليات، منها انطلاق في تأسيس مختلف تعاليمه في العقيدة والقيم والعبادة والتشريع، وبدون فهم تلك المبادئ والكليات والأسس - بل يستصحب العائد إلى الإسلام مفاهيم إلحادية، علمانية، ماركسية، ويحاول فهم الإسلام تحت ضوئها. فمن العسير جدًا أن يفهم بناء العقدي والشعائري والقيمي والتشريعي. وهذا ما يجعل الإسلام متفرداً عن مختلف الأديان والمذاهب الكبرى، كالمسيحية والعلمانية والماركسيَّة.

الخطوة السابعة: على العائد إلى الإسلام - والشباب المسلم عموماً - أن يتعلم طريقة التفكير القرآنية، وهي إلا يتقبل وألا يُسلِّم بكل ما يقرأه أو يسمعه من الاعتراضات والشبهات والتشكيكات، حتى وإن كانت تتضمن اقتباسات قرآنية أو نبوية أو من تراث علماء الأمة، بل عليه أولاً أن يطالِب بالدليل، بعد أن يعرف مراتب الأدلة وكيفية بناء الدليل، كما أن عليه أن يتحقق دائمًا من اقتباسات الملاحدة والنصاري والعلمانيين، فكثير منهم لا يتورعون - وأنَّ لهم ذلك! - عن الكذب والاختلاق والبتر، أما العودة إلى المصادر فتكشف سياق الكلام، وهل هو حقاً موجود أم لا؟ فإذا كان هذا الأسلوب، أعني أسلوب البتر والكذب والتزوير، موجوداً بين شريحة من "الأكاديميين" مما بالك بملاحة وسائل التواصل والمنتديات والمواقع! مع الإشارة إلى أن بعضهم لا يعرف سوى عملية النسخ واللصق!

عاشرًا: وجوب الرد على الشبهات:

إن أعداء الدين لا يدخلون جهدًا في إثارة الافتاءات والشبهات حول الإسلام، وهم يعملون عملاً منظماً من خلال دراساتٍ وخططٍ وتجاربٍ وبحوث، حتى صار للافتاء على الإسلام مراكز أبحاث، وعلمٌ يُدرَّس في كليات اللاهوت ومراكز التنصير، ويحظى المنصرون بتدريب مدرسوس في كيفية طرح الافتاء وإثارة الشبهات.

لذلك فمن الواجب أن يكون الردُّ على افتاءات أولئك المرجفين علماً يدرُّسه المختصون وطلاب العلم والدعاة؛ لا سيما المهتمون منهم بمقارنة الأديان والفرق، بحيث تخرج الردود على قدر كبير من الإجاده والإتقان، وتحقق المقصود منها؛ وهو إجهاض الفرية والقضاء على كل أثر لها.

قال تعالى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثِيلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [الفرقان: 33].

قال الإمام أحمد: "لو تدبَّر إنسان القرآن، كان فيه ما يردُّ على كل مبتدع بدعته".⁽¹⁷⁷⁾

كما أن أهل السنة يجرمون أن أهل البدع لا يكادون يحتاجون بحججة سمعية أو عقلية إلا وهي عند التأمل حجة عليهم.⁽¹⁷⁸⁾

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفي بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين".⁽¹⁷⁹⁾

ومن هنا يدخلُ في واجب محاربة الشبهات: طرح الردود عليها بكثافة إعلامية عالية بحيث تزاحم الإثارة الإعلامية التي تحدُّثها تلك الشبهات، وتغلب عليها، فتُسَاعِد الردود بين المسلمين؛ لترجمتهم منها.

(177) السنة للخلال 1/547.

(178) مجموع الفتاوى 6/254.

(179) درء تعارض العقل والنقل 1/375.

المطلب الثاني: خطر الشهادات

قال ابن قيم: "قال لي شيخ الاسلام رضي الله عنه: لا تجعل قلبك للإيرادت والشهادات مثل الإسفنج، فيتشربها؛ فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة، تمر الشهادات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائها ويدفعها بصلابتها، وإنما إذا أشربت قلبك كل شهادة تمر عليها صار مقرًا للشهادات - أو كما - قال: فما أعلم أنني انتفعت بوصية في دفع الشهادات كانتفاعي بذلك، وإنما سُمِّيَت الشهادة شهادة؛ لاشتباه الحق بالباطل فيها، فإنها تُلْبِسُ ثوب الحق على جسم الباطل، وأكثر الناس أصحاب حسن ظاهر، فينظر الناظر فيما ألبسته من اللباس، فيعتقد صحتها، وأما صاحب العلم واليقين، فإنه لا يغتر بذلك، بل يجاوز نظره إلى باطنها وما تحت لباسها؛ فينكشف له حقيقتها".⁽¹⁸⁰⁾

قال تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْقَعُ مَالٌ وَلَا بُنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: 88، 89]. يقول الإمام ابن القيم: "وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم، والأمر الجامع لذلك: أنه الذي قد سَلِيمَ من كل شهوة تخالف أمر الله ونفيه، ومن كل شهادة تعارض خبره؛ ولهذا يُفْسَرُ المرضُ الذي يعرض له تارة بالشك والريب، كما قال مجاهد وقتادة في قوله تعالى: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَأَدُوهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْرِهُونَ} [البقرة: 10] أي: شك، وتارة بشهوة الزنا، كما فُسِّرَ به قوله تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتَنَ كَاحِدٌ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقِيَّنَ فَلَا تَخْصَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} [الأحزاب: 32]، فال الأول مرض الشهادة، والثاني مرض الشهوة.

ومرض القلب نوعان:

الأول: نوع لا يتآلم به صاحبه في الحال، وهو النوع المتقدم كمرض الجهل، ومرض الشهادات والشكوك، ومرض الشهوات.

والنوع الثاني: مرض مؤلم له في الحال، كالهم والغم والغيط.

وكما أن القلب قد يتآلم بما يتآلم به البدن، ويشقى بما يشقى به البدن، فكذلك البدن يتآلم كثيراً بما يتآلم به القلب، ويشقى ما يشقى، وكذلك الشاكُ في شيء المرتاب فيه، يتآلم قلبه حتى يحصل له العلم واليقين".⁽¹⁸¹⁾

ونقل الإمام الذهبي عن سفيان الثوري قوله: "من سمع ببدعة فلا يحکها لجلسائه، لا يلقها في قلوبهم"، فعلّق عليه بقوله: "أكثر أئمة السلف على هذا التحذير، يرثون أن القلوب ضعيفة، والشّبه خطأة".⁽¹⁸²⁾

ويمكن إجمال خطر الشهادات في النقاط التالية:

- تنفير الناس عامة والمسلمين خاصة من الإسلام.
- إلحاد العيب والنقص بدین الله.

(180) مفتاح دار السعادة 1/140.

(181) إغاثة اللهيفان 1/7-19 باختصار.

(182) سير أعلام النبلاء 7/261.

- 3- تهوين الدين في النفوس، واستخفاف الناس به، إذ القدسية من عظمة الدين عقيدة وشريعة، والشهادات تضرب العقيدة في مقتل وتؤدي إلى ازدراء الناس، وما خاب وخسر النصارى وابتعدوا عن الدين إلا لما وقفوا عليه من الفضائح في كتابهم الذي يقدسون، فهان ذلك الكتاب في أعينهم، وسقطت هيبته وقدسيته في قلوبهم.
- 4- الأعداء يعزون أنفسهم، ويحاولون مساواة عقائدهم المترنئة الوثنية بدين الإسلام.
- 5- الهمينة على الناس والتأثير عليهم، فترك الرد معناه غزو واستكانة وذل ومهانة ولا شك، أما الرد فيقطع دابر الكافرين.
- 6- الشهادات حرب فكرية، بل من أشد الحروب فتكاً ما تعلق بحروب الأفكار وهزيمة العقول؛ ولذا فالردد القاطعة تحصن الفكر والعقل من الهزيمة والذلة وتجعل المسلم فخوراً بدينه.
- 7- الشهادات افتراء على الله ورسوله ثم على التاريخ لما فيها من تشويه الحقائق، إنها نفايات سامة يجب تخلص العالم منها.
- 8- إن الشهادة تؤدي إلى الشك، والشك يُؤثِّر في درجة إيمان العبد؛ ولذلك علم الأعداء خطورة الشهادات والافتراط، فجندوا جنود الظلام الذين لا هم لهم سوى تَبَعُّ النصوص والتنقير بما عساهم يكون زلزلة شديدة لل المسلمين، وهذا نوع آخر من إعلان الحرب على المسلمين، والأنواع لا حصر لها، منها مثلاً تلك الحملة الشعواء من حملات الدس والوضع في الحديث.
- 9- إن الشهادات مُضِرَّةٌ؛ لأنها تجعل صورة الدين باهتة في القلوب، بل ويختجل المسلم ويتضعضع إيمانه ويضطرب من أمور في دينه قد صورها له أولئك الكفرة تصويراً شنيعاً.

المطلب الثالث : تنبیهات حول منهجية الرد على الشبهات

- لا بد أن ينتبه الدعاة في ردهم على شبهات غير المسلمين إلى منهجيات مهمة في ذلك ومنها:
- 1- لا يتصدى لرد الشبهات إلا من أصبح متمكنًا من معرفة الحق والباطل بالأدلة الشرعية، حتى يُحسِن ويُحِكِّم إغلاق هذه التغرات، ويسدَّ هذه الشبهات، ولذلك من لم يكن متاهلاً للرد على شبهات غير المسلمين، فليتجنب النظر فيما يوردونه، وليرجع إلى نفسه الفتنة؛ لأن القلوب ضعيفة، والفتنة خطافة كما قال بعض السلف.
 - 2- ينبغي لمن يرد على الشبهات بلغة غير اللغة العربية، أن يكون دقيقاً في نقل النص إلى اللغة الأجنبية، فلا يُترْجم شيئاً من نفسه، بل عليه أن يستعين بمترجمٍ أمينٍ، له باع في الترجمة، وفي كيفية استخدام الألفاظ بشكلٍ دقيقٍ.
 - 3- يجب على الداعية أن يتعرف على الشبهات المثارة أولاً، وعلى المناهج والأساليب المناسبة للرد عليها ثانياً؛ ليتمكن من إزالتها عن قلوب وأذهان غير المسلمين.
 - 4- الرفق واللين في إزالة الشبهات عن غير المسلمين هو الأصل، خصوصاً أنَّ كثيراً منهم لم يُثر تلك الشبهات وإنما كانت نتاج خطط شيطانية، حِيكَتْ وَصُنِعَتْ خصيصاً داخل مؤسساتٍ ومراكز أبحاثٍ وأكاديميات تم إنشاؤها بهدف إعطاء صورة سيئة عن الإسلام، ولذلك وجَب الترفق بصاحب الشبهة، وتوجيهه التوجيه المناسب بالحكمة، والجدال والتي هي أحسن. إلا أن هذا الأصل ليس أصلًا ثابتاً في كل الأحوال والقضايا ومع سائر المخالفين بل الضابط الكلي للأسلوب ولغة الرد هي المصلحة النهاية وثمة أحوال لا تكون المصلحة فيها مع اللين لذا يخطئ من يلتزم ويُلزم غيره بأسلوب ذو وتيرة واحدة من هذا الجانب. {فقولا له قوله قولاً لينا} طه: 44 {واغلظ عليهم} التوبة: 73 فاللين في محله والشدة في محلها ودين الله لا يتناقض، وإنما السلف القولي والعملي والمهجي كذلك، فللشدة أحوال تقتضيها، ويندم اللين فيها وللين أحوال يتاكد الرفق فيها، وتندم الشدة.
 - 5- ينبغي أن يكون لدى الداعية يقيناً جازماً بأنه ليس في الإسلام نقطة ضعفٍ واحدةٍ تجعلنا نستحي أو نتخوف منه، فالإسلام هو دين الله تعالى المحكم، يقول الله تعالى: {وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلًا} [الأنعام: 115]، قال بعض أهل العلم في معناها: أي: صدق في الأخبار، عدل في الأحكام.
- وقد امتن الله تعالى علينا بإكمال الدين، وإتمام النعمة، فقال: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيَنَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنًا} [المائدة: 3]، قال ابن عباس رضي الله عنه: "في قوله: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيَنَكُمْ): هو الإسلام، أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً، وقد رضيه الله فلا يُسْخَطُه أبداً".
- إذن، لا بد أن يكون لدينا ثقةً متناهيةً في هذا الدين، حيث إن كل منهج خصائصه تتبع خصائص من وضعه: وكل ما هو إنساني ليس بكافلاً، وذلك لأنعدام كمال الإنسان، فلا يوجد كمال مطلق إلا لله عز وجل، فإذا وصلنا لهذه الدرجة من اليقين، استطعنا الرد على أية شبهةٍ كانت.
- 6- لا يكتفي المحاور بالإجابة عن الأسئلة الموجهة إليه والدفاع فقط، وإنما عليه بين الفينة والفينة أن يأخذ زمام المبادرة بسؤال الطرف الآخر، خاصة السؤال عن جوابه تجاه ما يطرحه عليه من أدلة، لأن يقول له: ما

جوابك عن هذا الدليل الذي يُثبِّتُ عندي كذا كذا؟ وكذلك السؤال عن اللوازم والملاطات الفاسدة لما يقوله، والعمل على إحداث صَدْعٍ بينه وبين ما يعتقد.

من الضروري أن يقرن المحاور المسلم أثناء مناقشته مع الملحد بين الدفاع عن الإسلام والرد على اعترافاته الخصم، وبين اتخاذ موقف هجومي يُظهر بطلان الأسس التي يستند إليها المخالف. فلا يكتفي المحاور المسلم بتفنيد الشبهات والاعتراضات فحسب، بل يجب عليه أيضًا أن ينتقد مأخذ الملحد ويفسر ضعف أداته ومعتقداته. هذه الاستراتيجية المزدوجة، التي تجمع بين الدفاع والهجوم، تعزز من قوة الحجة الإسلامية وتكشف هشاشة المذهب المخالف، مما يسهم في دحض شبهاته بشكل أكثر فعالية.

7- ينبغي على المحاور أن يتتجنب القفز أو الانتقال السريع بين المسائل والأفكار قبل إتمامها من حيث التصور والحكم، وذلك لتجنب تشتيت الحوار. فالتمعق في كل فكرة على حدة، وتوضيحها بشكل كامل، يسهم في تقديم حوار متماسك ومنظم، ويساعد حدوث أي لبس أو سوء فهم. إن الانتقال غير المدروس بين المواضيع دون استيفاءها يضعف الحجة، ويشتت انتباه الملتقي، مما يقلل من فعالية الحوار.

قال الربيع بن سليمان: "كان الشافعي إذا ناظره إنسانٌ في مسألةٍ، فగְדָא אֵלַיְהָ, יֹכֹל: נִפְרַגּ מִן הַזָּהָרָה, ثִם נִסְרֵר אֵלֵי מָתִירָה.¹⁸³

8- من الواجب على المحاور المسلم أن يلتزم بالعدل والإنصاف عند مناقشة المخالف، فيُقر بما في كلام خصمه من صواب عند نقاده، ويبيّن درجة مخالفته للحق بدقة. فمن الضروري التمييز بين الأقوال المختلفة وعدم معاملة جميعها على قدم المساواة في الخطأ والذم. بل يجب عليه أن يعترف بما هو صحيح، ويبين مدى قرب أو بعد المخالف عن الحق، دون أن يُلصق به أقوالاً لم يقلها أو يُقوِّلها ما لم يرده. كما لا ينبغي له أن يعتبر لوازم كلام الخصم بمثابة أقوال تبنّاها فعلياً، لأن ذلك يعد ظلماً وعدواناً يتنافى مع أخلاقيات الإسلام.

¹⁸³ تذكره السامع والمتكلّم ص 40.

أولاً: قواعد وقائية للدعاة من الشبهات:

ما سُيِّقَ القلبُ قلباً إلا لكثرَةِ التقلبِ، فكيفَ به هذا القلبُ في غمارِ الحربِ دونَما درعٍ أو سيفٍ، تُعرضُ عليه الشبهاتُ، تحومُ حولَه الفتنةُ، يموجُ مُلْتَجِئاً إلى حصنِه؛ فيجده متهاوِياً! فما لنا سوي إقامةِ بنيانِ هذا القلبِ، وتعزيزِه بمصادرِ اليقينِ، ودلائلِ وبراهينِ صحةِ مسلكهِ وعقيدتهِ في قلوبِ الدعاةِ إلى اللهِ تعالى، وذلكَ من خلالِ النقاطِ التاليةِ:

1- ضرورة تعزيز اليقين بأصول الإسلام:

"من المؤكد أن المؤمن ليس يحتاج في أزمنة الفتنة وشيوخ الشبهات، مثل عصرنا الحاضر، ما يحتاج لتقوية اليقين وتعزيزه وترسيخه، فمن الناس من يرى نفسه قوي اليقين، فإذا ضغطَهُ بعض الضغوط، كمرض طويل أو فقدان وظيفة أو موت عزيز، وما كان بسببه هذا، اهتز يقينه وتضعضع إيمانه! ومنهم من يرى نفسه راسخ اليقين، حتى إنه يتوهّم أنه لو أقسم على الله لأبره، فإذا عرضت عليه شبهات وتلبيسات دهشَواهتار، واهتز واضطرب، ثم أسلم مقاد نفسه للشكوك، فلا يزال الشيطان يتلاعب به تلاعب الصبيان بالكرة حتى يخنقه في أحوال الكفر والإلحاد!"

ولقد بين الله تعالى في القرآن الكريم، أن الإنسان قد يبدو أنه مؤمن بالله تعالى وملتزم طريق الحق والاستقامة، ولكن بمجرد أن ينزل به قدر غالب أو يقع له حدث ضاغط أو تعرض له شبهات خالبة، يأخذ الشك بخناقه وتضرره الحيرة بسياطها، فقال سبحانه وتعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَانَ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِيرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْحُسْرَانُ الْمُبِينُ} [الحج: 11]. أي من الناس من هو ضعيف اليقين، قليل الإيمان، لا يصله بالله تعالى إلا خيط رقيق، يدعى العبودية لله تعالى ما دامت شؤونه الدنيوية صالحة كما يريد، أما إن أصابته فتنة من المكاره المختلفة أو شبهة من الشبهات، انخلع من رقيقة الإيمان فخسر الدنيا والآخرة!

ولهذا نجد أن قراءة الفاتحة واجبة في الصلوات الخمس؛ لأن من أعظم ما تتضمنه هو طلب المهدية والثبات على خط الاستقامة: {اَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: 6-7]، والمهدية المقصودة هنا قسمان، هداية البيان والتفهيم، وهداية التثبت والتأييد، فكلما هما ضروري للعبد ما دامت روحه في جسده، إذ لو لا هداية التفهيم؛ لسقط في الابتداع بدون أن يشعر، ولو لا هداية التثبت والحفظ؛ لزللت قدمه وضللت سوء السبيل.

إذن لا بد أن يعتني المسلم المعاصر بتعزيز اليقين في عقله وقلبه؛ ليحفظ على نفسه دينه وعقيدته وعلاقته بخالقه سبحانه إذ إن زوال اليقين من العقل والقلب له أضرار ونتائج وخيمة، وليتها كانت تقتصر على الدنيا، إذن لهان الأمر، بل إنها تمتد لتشمل مصير العبد في عالم الآخرة الأبدي! من أجل ذلك كان اليقين مطلباً شرعاً أصيلاً، فإذا نظرنا في تعاليم البيان القرآني والنبوى، وفي تفاصيل الإبداع التكويني في الوجود، سنكتشف أن من أبرز المقاصد المنشودة من ذلك، هي ترسيخ اليقين في كيان المسلم، إدراكاً وشعوراً، يقول الحق تبارك شأنه: {قد

بَيْنَتَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ [البقرة: 118]، وقال تعالى: {وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبْثُثُ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [الجاثية: 4]. بل إن الله تعالى كشف لإبراهيم عليه السلام أسرار ملوكوت السماوات: للترقي في مراتب اليقين: {وَكَذَلِكَ تُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوْقِنِينَ} [الأنعام: 75]. وطرق تعزيز اليقين متنوعة نجملها باختصار في التالي:

أولاً: الإكثار من تقليب النظر والفكر في ملوكوت الكون والحياة مباشرة أو عبر مشاهدة البرامج الخاصة بذلك أو القراءة في الكتب؛ ولذلك أمرنا الله تعالى بالنظر في بدائع الخلق: {فُلِّ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّدُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} [يونس: 101].

ثانياً: الإكثار من المطالعة والتبصر في البيان القرآني والنبوى، ولذلك أمرنا الله تعالى بالتفكير في معانى الشريعة وأسرارها وحكمتها: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْدُّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: 44] إذ هذا التبصر جدير أن يؤكد على أن هذا الدين هو دين الحق.

ثالثاً: الحرص على الاستقامة بالتزام الفرائض والسنن والتوافل، والسير في درب الصالحين، وهذا أحد أسرار اقتران الإيمان بالصالحات في البيان القرآني: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 82]، لأن للمعاصي ظلمة في العقل والقلب.

رابعاً: الحرص على مطالعة التاريخ لمشاهدة تصارييف الأقدار الإلهية، فمن نظر في التاريخ نظر اعتبار؛ حصلَ يقيناً عظيماً، ولذلك أمر الله تعالى به: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنُنُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَدَّبِينَ} [آل عمران: 137]، لأن التاريخ مسرح تجليات الأسماء والصفات.

خامساً: التفكير في نعم الله تعالى المختلفة على العبد خاصة والناس عامة، سواء ما تعلق بالنعم المادية أم النعم المعنوية، وفي تصارييف الحياة اليومية، فهذا التفكير يمنحك معرفة واسعة برحمته الله وفضله وقدرته، ولهذا يلفت الله تعالى نظر المسلم إلى كثير من النعم.

وكما نلاحظ إنَّ مغَدِّيات اليقين ومقوياته لا تقتصر على شيء واحد ولا تنحصر في شيء واحد، بل هي مجموعة من العناصر التي تتفاعل فيما بينها، بحسب تنوعها وثرائها وعمقها ومداها؛ لتدعم اليقين في العقل والقلب، وتحفظه من هجمات الشكوك والشبهات.

والحقيقة أن هذه هي غاية اليقين وثمراته، أي (الترقي في معرفة الخالق سبحانه)، و(الثبات على خط الاستقامة)، و(الاعتصام من زيف الشبهات)، ولهذا لما أرى الله سبحانه سيدنا الخليل إبراهيم عليه السلام عجائب ملوكوت الكون، علل ذلك بأنه لأجل أن يترقى في مدارج اليقين إلى أقصى ما يمكن: {وَكَذَلِكَ تُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوْقِنِينَ} [الأنعام: 75]، ففهمنا من ذلك، أن اليقين بما أنه مطلب للأنبياء والمرسلين، لا جرم أن يكون كذلك بالنسبة لأتبعهم وعموم المسلمين، كما أن اليقين ليس مطلباً لدرء الشبهات والاعتصام من تأثيراتها فقط، بل هو مطلوب ومرغوب أيضاً حتى للاعتصام من ضغط ظروف الحياة وشدائد الأقدار، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: "اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشِيتَكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمَنْ طَاعَتِكَ مَا ثُبَّلَنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمَنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصَبِّيَاتِ الدُّنْيَا".

لكن؛ حين ندعو للإيقين وضرورة تعزيزه في العقل والقلب، يظن كثير من الشباب أننا ندعوه للإيقين المطلوب النهائي، بل كثير منهم يبحثون عن هذا اليقين الذي ليس وراءه مثقال ذرة من اليقين!

والواقع أن هذا سوء فهم للقضية، فاليقين والطمأنينة العقلية والقلبية لا يمكن أن تتحقق للعبد بشكل نهائى، بل يحصل عليه بشكل متدرج؛ لأن اليقين والطمأنينة في حقيقة الأمر خبرة تجمع بين الجانب العقلى والجانب النفسي، ومعلوم أن الخبرة إنما تكون عبر الزمن وعبر مراحل مختلفة، ثم يظل كذلك بلا نهاية، بحيث لو عاش هذا المؤمن ألف عام في طاعة الله تعالى، فإنه سيظل يترقى في مدارج اليقين والطمأنينة بلا انقطاع وبلا وصول للمرتبة النهاية والأخيرة؛ لأنها أساساً غير موجودة ولا يمكن أن تكون موجودة.

نؤكد على هذا الكلام؛ لأن اليقين والطمأنينة مرتبط بالله سبحانه، والله سبحانه له الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته، فإذا كان الأمر كذلك، لم يكن ممكناً للمخلوق المحدود أن يصل إلى هذا اليقين المطلق وهذه الطمانينة النهاية؛ لأن المحدود لا يمكن أن يحيط بالامحدود، والمخلوق لا يمكن أن يحيط بالخالق، وانتفاء الإحاطة هنا لا ينفي قابلية العقل للإدراك المتواصل بلا نهاية، ف(العقل يدرك المعلومات، والمعلومات لا يتصور أن تكون متناهية). نعم، إذا لاحظ العلوم المفصلة فلا يكون الحاضر الحاصل عنده إلا متناهياً، لكن في قوله إدراك ما لا نهاية له".⁽¹⁸⁵⁾

2- تكوين العقل الناقد:

لا بد للدعوة لهذا الدين من تفحص الحجج والبراهين والدلائل بعقل ناقد تُورّد عليه الشبهات فيُفَكِّرُ بها ويردّها إلى مصدرها، لا تمر عليهم المغالطات مرور الكرام، ومما يساعد في تكوين هذا العقل أن يكون على دراية بطرق البحث العلمي وامتلاك مهاراته وأدواته، القراءة في كتب آداب البحث والمناقشة وعلم الجدل؛ فيميز المقبول من المردود، والسميين من الغث.

3- التأصيل الشرعي:

لا يستقيم بنيان معرفي دونما قاعدة معرفية بأصول الفنون الشرعية من عقيدة وفقه ومصطلح وعلوم لغة وقرآن، فهذا هو مرد الأمر كله، لا حراك بدونه ولا محاكمة لشبهة إلا وإليه المآل.

4- تحديد مصادر التقى والمعرفة وال موقف من كل مصدر:

بين العقل والنقل اصطemuوا لنا المصادرات؛ فحاررت عقولنا أيهما يُقدم أو يُؤخّر، وكيف السبيل وأين المورد! فكيف تكون هذه الحيرة ومصادرنا غاية في الإحكام والاتزان! إذ لا تعارض بين قطعى عقل ونقل، فخالق العقل هو مُشرعُ النقل، وإجماع العلماء حجّة، وأخبار الآحاد يُنظر فيها ولا تُسْفَهُ، منظومة معرفية متكاملة، إحكام معرفتها من أوجب وسائل الوقاية المحتاج إليها في هذا الوقت.

5- عدم التعرض لخطاب الشبهات من غير المتخصص:

وليحذر المرء من إيراد الشبه على قلبه، لا سيما مع قلة البضاعة، فيتشرب القلبُ بهذه الشبهة، فيزبح ويضل؛ ولذلك لا ينبغي لغير المختص أن يحوم حول كتابات المشككين بغية الثقافة العامة، ومعرفة ما عند الآخر.

6- القراءة الوقائية في كتب الردود على الشبهات:

ومما يعزز اليقين ويُثبتُ الفؤاد أن يجد من الأدلة العقلية والنقلية ما يدحض قول المعاند مثير الشبهة، ويرد عليه قوله، وهنا يجب اختيار الكتب بعناية، إذ أنَّ كتب الوقاية من الشبهات يجب أن تكون مما يُجملُ في عرض

⁽¹⁸⁵⁾ الإلحاد.. الوهم المستحيل.

الشَّهِيْةُ وَيُفْصِّلُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهَا، وَأَنْ تَكُونُ قُوَّةُ الْحُجَّةِ وَالْبَرْهَانِ.

7- الدعاء والابتهال:

وأخو福 ما نخاف عليه هو إيماننا، فليس أوجب من أن نسأل الله الثبات، ونستعيذه من أن يصرف قلوبنا عن دينه، ونسأله ما سأله إياه رسولنا صلى الله عليه وسلم: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ تَبِّئْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ" ⁽¹⁸⁶⁾. قال الله تعالى: "يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ التَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ" [إبراهيم: 27]، "فَيُبَيِّنُهُمُ اللَّهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عِنْدَ وَرُودِ الشَّهِيْمَاتِ بِالْهَدَايَا إِلَى الْيَقِينِ، وَعِنْدَ عَرُوضِ الشَّهَوَاتِ بِالْإِرَادَةِ الْجَازِمةِ عَلَى تَقْدِيمِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ عَلَى هُوَ النَّفْسُ وَمَرَادُهَا" ⁽¹⁸⁷⁾.

فما لم يكن بالله لا يكون، وكما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "لَكُنْ إِذَا أَقْبَلْتَ عَلَى اللَّهِ، وَأَصْغَيْتَ إِلَى حَجَّجَهُ وَبَيْنَتَهُ، فَلَا تَخْفَ وَلَا تَحْزُنْ، إِنْ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا، وَالْعَامِيُّ مِنَ الْمُوْهَدِينَ يَغْلِبُ الْأَلْفَ مِنْ عَلَمَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصافات: 173]" ⁽¹⁸⁸⁾.

ثانية: قواعد للتعامل مع الإشكالات والشهادات بعد ورودها:

جولة في أروقة الفكر تفقد معها ما نقش على جدران الذاكرة مما يعلوه الغبار، أو أرسل إلى تلك المتأهات لنخفيه عنا، فنخرج منها بمزيدٍ إعراضٍ عن تلك النقوش وكتمانٍ لتلك الصراعات والشهادات ونظن أننا نسيناها لأن لم تكن!

مُحالٌ أن تكون إشكالاتنا هذه بلا جواب، وحالنا تلك بلا علاج؛ لذا وفي غمرة الشهادات هذه التي تأتينا من كل حدب وصوب، وكثرة الواقعين فيها، فإننا بحاجة إلى:

- 1- استعمال التفكير الناقد والتوثيق العلمي في التعامل مع المعلومات والأفكار.
- 2- سؤال المتخصصين عما يعرض لنا ويتجول بخاطرنا؛ لطمئن قلوبنا.
- 3- مراجعة الجهود السابقة في الرد على نفس القضية المستشكة.

4- التماسك بأمام الشهادة التي لم نعرف جواباً لها، فليس معنى ورود شهادة أنها صحيحة، وليس عدم علمنا بالجواب دليلاً على عدم وجوده، قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُو أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: 43].

5- دراسة سلبيات الانتقال إلى القبول بالشهادة وما يتربّ عليها.

(186) سنن ابن ماجة، كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ (3834)، جامع الترمذى، فى كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن (2140) وقال الترمذى: وهذا حديث حسن.

(187) تيسير الكرييم الرحمن ص 425.

(188) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- الرسائل الشخصية 7/ 156.

المطلب الخامس: قواعد منهجية في الرد على الشبهات

أولاً: النظر في صحة مقدمات السؤال لمحمد النتائج:

فكثيراً ما يُلقي المفتري افتراءه في صيغة سؤال مشتمل على مغالطة؛ كقوله مثلاً: ما الحكم من زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من عائشة رضي الله عنها وهي طفلاً؟ والمغالطة هنا هي قول المفتري (وهي طفلة)، فهي رضي الله عنها لم تكن طفلاً وقت زواجهها من الرسول صلى الله عليه وسلم؛ بل كانت امرأة بلغت مبلغ النساء.

إذا شرع المسلم في رده ببيان الحكمة من زواج الرسول من عائشة رضي الله عنها دون بيان ما في السؤال من مغالطة، ربما ظن البعض أن ذلك إقرار ضمني بصحة مقدمة السؤال.

ثانياً: النظر في صحة الدليل:

إذا اشتمل الافتاء على دليل، فلا بد من التحقق من صحة الدليل متناً وسندًا قبل الشروع في الرد، فلو كان الدليل، مثلاً، آية من القرآن، فينظر في صحة نقل لفظ الآية، فقد يخطئ المفتري، عن عدم أو جهل، في نقل نص الآية، وكم أكثر النصارى والملحدة من التحرير وقولوا القرآن ما لم يقل؟ وإذا كان الدليل حديثاً؛ فيبحث أولاً في صحة الحديث وثبوته، ثم يبحث في صحة نقل المتن، وكم صدّع المرجفون رؤوسنا بالأحاديث الموضوعة والواهية، وأرادوا إقامة الحجة علينا بتلك الأحاديث الشنيعة والضعيفة؟

إذا كان هذا الدليل تاريخياً أو علمياً؛ فيجب النظر في صحته في المصادر المعترفة، ومطالعة أقوال أهل الاختصاص؛ لمعرفة مدى ثبوته، فكم من مرة حاول المرجفون إقامة الحجة على المسلمين بالإسرائيليات والأحداث الخرافية، وليس لها من مسوغ سوى ورودها في كتب المسلمين، ونبي هؤلاء أن مصدر التشريع عندنا هما القرآن والسنة الصحيحة، ولا تقام علينا الحجة بآراء العلماء وأقوالهم إلا إذا وافقت القرآن والسنة.

ثالثاً: النظر في صحة الاستدلال:

من أبرز طرق المفترين، الإتيان بنصوص صحيحة، والاستدلال بها على معانٍ فاسدة لا يحتملها النص، وربما جمعوا بين سوائي ضعف الدليل وفساد الاستدلال؛ ولذلك ينبغي بعد النظر في صحة الدليل، أن نبحث في مدى صحة الاستدلال، وهل تحتمل دلالة النص المعنى الذي يقصده المفتري أو لا؟

رابعاً: تحديد موطن الشبهة:

من الضروري فهم موطن الشبهة، وتحديد ما يرمي إليه المفتري من طرح فريته بالضبط؛ حتى يكون الرد موجهاً لأصل الافتاء، وموظفاً في إزالة أي شبهة قد تقع من جراء طرح الفريدة.

مثلاً: حين يطرح المفتري موضوع رضاع الكبير في الإسلام، فإن ما يرمي إليه هو تصوير أحكام الإسلام بالإباحية، وأنها تجيز لأي امرأة مسلمة أن تلقم ثديها لأي رجل.

لذلك يجب أن يتوجه الرد في الأساس إلى بيان عدم جواز التقام الثدي في رضاع الكبير، ثم بيان عدم شمول الحكم لكل رجل، أما إذا ارتكز الرد على مناقشة الخلاف في اختصاص حكم رضاع الكبير بسالم مولى أبي

حذيفة⁽¹⁸⁹⁾، فهذا خروج عن المطلوب، وعدم توفيق في إصابة موطن الفريدة.

(189) قصة سالم مولى أبي حذيفة الذي أرضعته زوج أبي حذيفة (سهلة) وهو كبير، حديث صحيح ثابت رواه مسلم وغيره. والإرضاع كان بإرشاد من النبي -صلى الله عليه وسلم-، وذلك أن الحاجة كانت تدعوه إلى دخول سالم عليهمما بعد كبره، خاصة وأنهم كانوا يدعونه ولذا لهم قبل أن يبطل الله التبلي. وليس في الحديث أنها ألقمه ثديها وهو

خامسًا: اختيار الأسلوب المناسب للرد على الافتراء:

الرد على الشبهات بالحججة والبرهان، مؤيًّداً بالدليل الصحيح، وفق ضوابط وأداب الحوار والمجادلة باليٰ هي أحسن.

ومما يجب الإشارة إليه أن هناك عدة عوامل تتحكم في اختيار الأسلوب المناسب للرد على الافتراء، منها:

1- مستوى الشخص المخاطب بالرد:

فَيُنْظَرُ إِلَى مَسْتَوَاهُ التَّقَافِيِّ وَالْفَكَرِيِّ، وَمَنْزِلَتِهِ بَيْنَ قَوْمَهُ وَحَالَهُ النَّفْسِيِّ، فَأَسْلُوبُ مُخَاطَبَةِ الْمُسْلِمِ بِالرَّدِّ يَخْتَلِفُ عَنْ أَسْلُوبِ مُخَاطَبَةِ الْكَافِرِ.

2- طبيعة الافتراء نفسه:

فَيُصَنَّفُ بحسب ما أسلفنا، وما مدى درجة التمكّن من الرد وعدمه، وهل يقتضي المقام مقدمات أو لا يحتاج الأمر إلا لجملة واحدة تنهي الموضوع؟ فطبيعة الفريدة تحكم على اختيار التطويل والإيجاز، ولها علاقة بمستوى المردود عليه.

3- المقام الذي سيتم فيه الرد:

هل لدى الراد على ما يكفي من الأدلة؟ وهل هو واثق من معلوماته؟ لأنَّه بتسريعه قد يفتح على نفسه باً آخر من أبواب التضييق، وَتَحَكُّمُ الْخَصْمِ فِيهِ بِإِيْرَادِهِ لِمَعْلَوْمَةِ خَاطِئَةٍ أَوْ مَا شَابَهُ، وَالْأَسَالِيبُ تَخْتَلِفُ بحسب المقام، فالملاحظة ليست هي المحاضرة، والتعليق ليس هو السؤال، والرد الكتابي يختلف عن الرد الشفوي، وهذا.

فقد تجد من يحسن الرد الكتابي، وإذا تعلق الأمر بالشفوي لم يستطع إلى ذلك سبيلاً، وقد تجد الخطيب المفوَّه لا يستطيع أن يكتب ردًا واحدًا، وكلٌّ بحسب مجاله وميدانه. لكن، الحق يقال، إن التوفيق والنجاح يكونان في اختيار الأسلوب الأمثل والمناسب، المُرْاعِي لظروف الزمان والمكان.

سادسًا: تفنيد الافتراء بقوة مع الاهتمام بيازة موطن الشبهة:

إذا عُرِضَ الافتراءُ أو الشَّهْمَةُ فَيُجَبُ أَنْ يَكُونَ هُمُّ الْأَوَّلِ هُوَ الْمَسَارِعَةُ إِلَى الْقَضَاءِ عَلَى هَذَا الْافْتَرَاءِ، وَاجْتِنَائِهِ مِنْ أَصْوَلِهِ بِكُلِّ طَرِيقٍ مُمْكِنٍ، وَإِذَا تَعَدَّدَ الرَّدُودُ عَلَى الْفَرِيَةِ الْوَاحِدَةِ، فَالْأَوَّلُى أَنْ تَبْدَأْ بِأَقْوَى هَذِهِ الرَّدُودِ، وَهُوَ الرَّدُّ الَّذِي تَشَعَّرُ أَنَّهُ سَيَقْضِي عَلَى الْفَرِيَةِ مِنْ الْوَهْلَةِ الْأُولَى، بِحِيثُّ يَكُونُ مَا تَبْقَى مِنْ الرَّدِّ نَافِلَةً تَؤْكِدُ تَهَافُتَ الْفَرِيَةِ، وَيُجَبُ الْحَرَصُ عَلَى خَلُوِّ الرَّدِّ مِنْ أَيِّ ثُغْرَةٍ يُمْكِنُ لِلْمُفْتَرِيِّ اصْطِيَادُهَا، وَالنَّفاذُ مِنْ خَلَالِهَا إِلَى إِثَارَةِ الْافْتَرَاءِ نَفْسِهِ مَرَّةً أُخْرَى، أَوْ إِثَارَةِ افْتَرَاءٍ غَيْرِهِ.

سابعاً: مكامن القوة في رد الشبهة:

1- أن يكون موجهاً لموطن الافتراء وأصل الشهمة، لكي لا يعتبر الخصم ذلك هروباً وترگاً للموضوع الأصلي، وتشبيئاً بأهداب الفرار.

2- قوّة الدليل ووضوّحه، مع حسن الاستدلال به، فقوّة الدليل تقضي على أحلام الخصم، وتكون سبباً في اقتناع الآخرين، والتعجيل بهزيمة المخالف؛ إذ الحق لا يُعلى عليه.

كبير، بل قد ورد أنها حلبت له اللبن فشربه؛ ففي رواية ابن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبد الله ابن أخي الزهري عن أبيه قال: كانت سهلة تحلب في مسعط قدر رضعة، فيشربه سالم في كل يوم حتى مضت خمسة أيام، فكان بعد ذلك يدخل عليها وهي حاسرة رخصة من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لسهلة. لذلك قال بعض العلماء: يجوز هذا عند الحاجة والضرورة، ولم ينسخ وهو ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو رأي وجيه.

3- دقة وضبط العبارات والألفاظ؛ لكي لا يدع المسلم مجالاً للخصم ليناور أو يراغب أو يلعب بالعبارة العامة التي أوردها المسلم، فيحملها معان أخرى، فيسقط المسلم.

4- أن يظهر ما في الفرية من ثغرات وأخطاء ومغالطات؛ إذ الإظهار جزء من المعركة، فمن لم يستطع الوقوف على مكامن الأخطاء والثغرات، صعب عليه أن يهزم خصميه، أما من وقف عليها، كان ذلك سبباً في إرباك خصميه؛ مما يؤدي إلى هزيمته.

ثامناً: حسن الاستدلال على الردود:

من الضروري أن يستعمل الرد على أدلة واضحة تبين صدقه من جهة، وتبين بطلان الفرية وتهافتها من جهة أخرى، وتتنوع هذه الأدلة بين شرعية وعلمية وعقلية ولغوية وتاريخية وغير ذلك، بحسب نوع الفرية وموضوعها. ومن المهم أن نحشد مجموعة الأدلة المتعلقة بالموضوع، ثم نقوم بترتيبها وتنظيمها، ونختار أقوى هذه الأدلة ثبوتاً، وأظهرها دلالة، وأكثرها تعلقاً بالموضوع، ونقدمها على غيرها، مع توثيق هذه الأدلة بعزوها إلى مصادرها. ومن المفيد إظهار موضع الشاهد من الدليل ووجه الدلالة منه، وتأييد ذلك بالنقل عن أهل الاختصاص من الكتب المعتمدة.

تاسعاً: بيان تهافت الافتاء وتفاوتها:

يجب على المؤمن الذي يتصدى للرد على افتاء ضد الإسلام أن يكون على يقين من تهافت هذا الافتاء وبطلانه، وعليه أن يظهر هذا التهافت من خلال البحث عن ثغرات في مقدمة الافتاء، وفي أداته، وفي صحة الاستدلال بها، وفي نتائج هذا الاستدلال.

وعليه أن يقوم بحصر جميع نقاط الضعف في الافتاء، ثم تنظيمها وترتيبها، ومن ثم يشرع في بيان كل نقطة منها بجلاء، مع موازنها بعناصر القوة في الرد.

مثال هذه الطريقة: قول المفترى: لماذا خالف النبي صلى الله عليه وسلم شرع الإسلام بأن زوج نفسه من زينب بنت جحش، زوجة ابنه زيد بن حaritha؟

فقد اشتمل الافتاء على مقدمات فاسدة، هي:

1- أن زيد بن حaritha كان ابنًا للنبي صلى الله عليه وسلم.

2- أن زينب بنت جحش كانت زوجته حين تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم.

3- أن النبي صلى الله عليه وسلم زوج نفسه بها.

4- أن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قد خالف الشرع الذي جاء به.

والرد عليها كما يلي:

1- زيد بن حaritha ليس ابنَ النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه كان دعياً؛ أي: ابنه بالتبني، ثم ألغى الله التبني، فلم يعد زيد ابنه بأبي وجه؛ قال الله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الأحزاب: 40].

2- زينب بنت جحش رضي الله عنها لم تكن زوجة زيد بن حaritha رضي الله عنه حين تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم؛ بل كانت مطلقته.

3- النبي صلى الله عليه وسلم لم يزوج نفسه من زينب بنت جحش رضي الله عنها، وإنما زوجها الله تعالى له؛ فقد قال عز وجل: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمْتَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكٌ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتَخْفِي فِي تَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهٌ وَتَخْشِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى رَبِّهِ مِنْهَا وَطَرًا زَوْجَنَاكُمْ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَرْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً} [الأحزاب: 37].

4- النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يخالف شرع الله؛ لأنَّه الذي يبلغ هذا الشَّرع، والشرع إنما يُعرف من جهته، وفعله صلى الله عليه وسلم دليل على المشروعية؛ ولذلك جاء زواجه صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش رضي الله عنها؛ ليزيل أي حرج في قلوب المؤمنين من الزواج من مطلقات أدعىائهم. إذن فالأسلوب الأمثل في مواجهة هذه الطريقة، التدقير في مفردات السؤال، مع المطالبة بالدليل على كل جزئية.

عاشرًا: بيان أن ما أراد المفترى إظهاره كنقيصة هو من المحامد والمحاسن:

إن كل أحكام الله كاملة لا نقص فيها، ولا يمكن لأي شخص مهما بلغ من علم وذكاء أن يثبت شيئاً من النقص في حكم من الأحكام الشرعية.

وكثيراً ما يحاول المفترى قلب الحقائق وتزويرها، وتصوير المحامد كأنها نقائص وعيوب في الشريعة الإسلامية؛ ولذلك ينبغي على من يتصدى للرد على الافتراط أن يظهر محاسن ما أراد المفترى إثبات قبته، وأن يبين كمال ما ادعى المفترى نقصه.

على سبيل المثال: يصور المفتررون الجهاد على أنه إرهاب وقهر واعتداء على الحريات؛ ولذلك يجب أن يُظهر الرد على هذه الفريدة -فوق إظهار كذبها وزيفها- تعذّر محاسن الجهاد ومحامده، وأنه وسيلة لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وأن من مكارم هذه الأمة أنها تضحي بالنفس والمال في سبيل هداية البشرية إلى الدين الحق، وتوضيح أخلاقيات الحرب في الإسلام وهيئه عن الاعتداء على الأبرياء والفساد في الأرض.

الحادي عشر: افتراض الإيرادات على الرد و إبطالها:

قد يحاول المفترى إيراد بعض الاعتراضات على الرد؛ للتشكيك فيه وإظهار ضعفه، ومن المفيد أن يفترض من يتصدى للرد هذه الإيرادات ويتوقعها، ثم يقوم بالرد عليها قبل أن تُطرح، فهذا يعطي للرد قوة زائدة وتحصيناً من الاستدراكات والإيرادات.

على سبيل المثال: إذا استدل المفترى بحديث ضعيف، وجاء الرد عليه ببيان ضعف هذا الحديث، وغلب على الظن أن المفترى سيورد إيراداً مفاده أن عالماً معيناً قد صلح الحديث، فمن المفيد هنا التعرض لهذا الإيراد والرد عليه، قبل أن يطرحه المفترى.

كأن يقول: وقد يقول قائل: إن فلاناً من أهل العلم صلح الحديث، فكيف تقولون بضعفه؟ ونجيبه مثلاً: بأن هذا العالم معروف عنه التساهل في تصحيح الأحاديث، وقد استدرك عليه كثير من العلماء المحققيين تصحيحة لهذا الحديث وبينوا خطأه فيه من عدة وجوه.

الثاني عشر: إلزام المفترى بما يعتقده والرد عليه من دينه:

إن الافتراط التي يحاول المفتررون إلصاقها بالإسلام كثيراً ما تكون موجودة لديهم في كتبهم ودينيهم وعقائدهم، ويكون رميم لهم ل الإسلام بها على طريقة: رمتني بدائها وانسلت.

ومن النافع جداً في هذه الحالات إلزام الخصوم بما وجد في كتبهم والاحتجاج عليهم بما تقرره مصادرهم، على أن

يأتي ذلك بعد استيفاء الرد من الناحية الإسلامية.

على سبيل المثال: يحاول المنصرون تصوير النسخ في الإسلام على أنه مما يقدح في تمام علم الله وحكمته؛ لأنه يلزم من الإقرار بوجوده القول بالبداء على الله، ويقصد بالبداء أن الله عز وجل ظهر له من العلم ما لم يكن ظاهراً من قبل ولذلك تم تغيير الحكم - تعالى عما يقول الظالمون.

والرد على ذلك يجب أن يكون بنفي وجود هذا التلازم، وتوضيح أن المسلمين لا ينسبون لله عز وجل البداء بل يُعدُّون القول بذلك من الكفر، وأن ما يعتقد المسلمون هو أن الله حكم منذ الأزل بوضع الحكم المنسوخ لمدة معينة، ثم تَسْخِيْه بالحكم الآخر بعد ذلك لحكمة أرادها سبحانه.

إذا تم استيفاء الرد من الناحية الإسلامية، كان من النافع تقرير وجود النسخ في كتب النصارى، وعلى الوجه الذي يحمل انتقاداً لمعبودهم.

فقد جاء في كتاب النصارى رسالة إلى العبرانيين، بحسب الترجمة اليهودية: "وهكذا نُسخَت الوصية السابقة؛ لضعفها وعدم فائدتها".⁽¹⁹⁰⁾

وهذا النص يثبت وجود النسخ من جهة، وبين حدوث النسخ بضعف الوصية وعدم فائدتها من جهة أخرى، وهذا انتقاد لشرع الوصية وقدح في علمه وحكمته.

الثالث عشر: ختام الرد بتلخيص أهم ما جاء فيه من نقاط:

الأصل في الردود أن تكون مختصرة وموجزة على قدر الإمكان، ولكن قد يقتضي المقام إطالة بعض الردود؛ لكثرة جزئياتها، وتعدد عناصرها، وتنوع الأدلة فيها، وربما تذهب أذهان البعض عن استيعاب كل هذه العناصر والربط بينها، فالكلام قد يُنْسَيِّ بعضه بعضاً؛ ولذلك فإن من المفيد أن نختتم مثل هذه الردود بتلخيص أهم محاورها في نقاط مرکزة مرتبة توضح المقصود.

الرابع عشر: عدم الخوض في الرد بدون تمكّن وعلم:

قال الشيخ العثيمين: "لا يجوز للإنسان أن يقرأ كتاباً مضلاً من كتب اليهود، أو النصارى، أو المشركين، أو أهل البدع؛ إلا إذا كان عنده رصيد قوي يمكن أن يتحصن به، وأما إذا كان مبتدئاً في القراءة: فلا يجوز له أن يبدأ بقراءة هذه الكتب الباطلة؛ لأنه ربما تأثر بما فيها من الباطل، فهو لاء نصيحة بأن يتركوا هذه الكتب، حتى يحصلوا أنفسهم بالعلوم الشرعية الصحيحة قبل أن يدخلوا في هذه الكتب المضلة، فالإنسان إذا أراد أن يتحصن من السيل: أخذ في بناء السدود والمصارف قبل مجيء السيل، لا يفعل ذلك بعد مجئه، فنقول: أولاً: حصلوا أنفسكم بمعرفة الشريعة، واغرسوها في قلوبكم، حتى إذا تمكّنتم: فلا بأس أن تقرءوا؛ لتردوا على شبهات القوم وأباطيلهم".⁽¹⁹¹⁾

فبعض الدعاة يُصَبِّبون أنفسهم حماة لدعوتهم ومذهبهم، وهم لا يملكون الأسلحة التي يدافعون بها عن دينهم وعقيدتهم، أو ربما عن دعوتهم وجماعتهم.

فلا تجد عندهم علماً ولا فقهًا ولا تجربة ولا دراية بواقعهم، وهم مع ذلك يريدون التصدي للشبهات ودحضها بكلمات جوفاء وصراخ وعويل، واتهام للطرف الآخر بالتعدى والظلم، دون أن يفندوها هذه الشبهات تفنيداً علمياً

.(190) الإصلاح: 7، العدد: 18.

.(191) لقاءات الباب المفتوح 47 / السؤال رقم 7

ومنهgia، والسبب في ذلك هو جهلهم.

لذلك من لا يحسن العلم فلا أقل من أن يحسن الاعتراف بقلة العلم، إذ من قال لا أعلم فقد أفتي، ونجا من مواقف حرجية هو في غنى عن الواقع فيها.

إن الصواب والنجاة في ألا يقحم الداعية نفسه في مجادلة أصحاب الشهادات ومحاورتهم وهو غير مستعد لذلك علمياً ومنطقياً؛ لأنه إن فعل ذلك، لا سيما أمام محفل من الناس، فإنه سيمزِّمُ لا محالة وإن كان الحق معه، وسيبدو للناس أنَّ زعم أصحاب الشهادات والاتهامات صحيح، فيقتعنون بذلك، ويظهر الباطل على حساب الحق، فمن يكون السبب حينئذ؟ إن السبب هو ذلك الذي أقحم نفسه فيما لا طاقة له به ولا علم.

إن الحل سهل ويسير، وهو أن يعترف أنه لا علم له في هذه الجزئية، وأنه يحتاج أن يبحث فيها أو يسأل عنها ثم يجيب، أو أنه يُحَوِّلُ مثير الشهادة إلى من هو أعلم منه وأكثر قدرة على الإجابة والرد، مصداقاً لقول الله عز وجل:

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: 43].

إذا واجه الداعية في المناقشة أو المناظرة شيء لا يعرفه، فلا يخجل من السؤال والاستيقاظ؛ حتى يتكلم بعلم وثقة.

ومن يتصدر لتفنيد شهادات المخالفين، ينبغي أن يكون راسخ العلم، واسع الاطلاع، وبعد دراسة مسائل العقيدة والفقه والتفسير والحديث، مع ما يلزم لذلك من علوم الآلة، على الاستفادة من الكتب المتخصصة في بيان الشهادات ودحضها وبيان زيفها؛ ليكون المتتصدر لذلك عنده معرفة بالحق تفصيلاً، ودرائمة بالباطل ووجاهة بطلانه تفصيلاً أيضاً.⁽¹⁹²⁾

الخامس عشر: رد المتشابه إلى المحكم:

وذلك تطبيقاً لقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَآخْرُ مُتَشَابِهَاتٍ فَمَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَيْغُ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْعِنْتَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمِنًا بِهِ كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَدْكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [آل عمران: 7].

فمثلاً إذا اشتبه علينا معنى "كلمة الله" و"روح منه" في قوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء: 171] عدنا إلى محكم قوله سبحانه: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلَ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: 59] فنفهم أن عيسى خلق بكلمة الله "كن" تماماً مثلما خلق بها آدم.

وكذلك عدنا إلى قوله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الجاثية: 13]: لنفهم أن الإضافة بـ "منه" إضافة ربوبية وخلق، لا إضافة تبعيض وتركيب، وهذا يفسر المتشابه بالمحكم.

السادس عشر: رد الشهادة لعدم معقوليتها:

كرز عليهم بوجود أخطاء نحوية في القرآن، وذلك لأن علم النحو الذي يحاكمون القرآن إليه إنما وضعه علماء

(192) من الكتب المفيدة والمهمة في هذا الباب، كتاب: الشهادات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية، عرض وتفنيد ونقض للدكتور عبد العظيم المطعني، وكتاب: شهادات القرآنين حول السنة النبوية، للأستاذ الدكتور محمود مزروعة، وكتاب: شهادات حول السنة، للشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي، وغيرها من الكتب المشار لها في بداية المبحث.

اللغة بناءً على كلام العرب وأشعارهم في الحاضر والبودي، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو واحد من هؤلاء الذين تربوا في البودي وكانوا مرجعًا لعلماء النحو في تعريف قواعده، والذين تلقوا القرآن لأول مرة هم أيضًا من هؤلاء، فيصير من غير المقبول أن يتلقى هؤلاء جميعًا خطأً ما في الكلام دون أن ينتبهوا إليه، وهم الحجة الطبيعية لعلماء النحو واللغة..! فتصير الشبهة منطقًا معكوسًا ومتناقضًا مع ذاته.

السابع عشر: إظهار التناقضات بحوارد الشهات:

لأن إظهار التناقضات يخرج المسلم من دائرة الإحساس بالاتهام والدفاع في مواجهة الآخر، وما يترتب على ذلك من الهزيمة النفسية للمدافع، وشعور الانتصار عند المهاجم..

الثامن عشر: التفريق بين نص الوجه وفيهم المسلمين:

لأن الأول: معصوم، يحدد إطار الإسلام وقيمه، والثاني: عمل بشري خاضع لاحتمال الصواب والخطأ، ففيما تقتصر الحجية في الجانب الإسلامي على كلام الله وما صحت نسبته إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، نجد أنَّ النصارى يؤمنون بعصمة باباواتهم، وأنهم لا يتكلمون إلا بقوة "روح القدس".

التاسع عشر: مراعاة الفرق بين الطرح العلمي وطرح المواجهة:

فعدن تفنيد الشهات والرد عليها ينبغي أن يتصرف الرد بالاختصار والإحكام والبساطة والتلقائية، الأمر الذي يختلف عن الطرح العلمي التفصيلي دون مراعاة لعقل المخاطبين، فقد بوب البخاري باب في: من خص قومًا بالعلم دون قوم كراهيَة أن لا يفهموا. وذكر تحته قول علي رضي الله عنه: "حدثوا الناس، بما يعرفون أتحبون أن يُكَذِّبُوا الله ورسوله" وذكر ابن حجر⁽¹⁹³⁾ تحته قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، كما في صحيح مسلم: "ما أنت محدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة".⁽¹⁹⁴⁾

فعندما تثار شبهة: كيف أن الله يضل من يشاء؟ لا يمكن أن يكون الرد هو شرح قضية القدر والمشيئة في الإسلام، ولكن إسأل سؤالًا: هل يكون شيء بغير مشيئة الله؟ لا بد أن تكون الإجابة: لا. هل هناك من الناس من يضل؟ لا بد أن تكون الإجابة: نعم. إذن لا يكون هذا الذي يضل إلا بمشيئة الله.

تنبيهات إلى سلبيات لا بد من اجتنابها:

لا بد من الإشارة إلى سلبيات قد تقع في بعض الردود رغبةً في اجتنابها وتحذيرًا من الوقوع فيها، وهذه السلبيات هي:

- 1- الدخول في جزئيات وتفريعات بعيدة عن موطن الشبهة وأصل الافتراض.
- 2- التطويل الزائد والإسهاب الممل في الرد على الافتراض.
- 3- اختصار الرد اختصارًا مخلاً يجعله غير كافٍ.
- 4- الانتقال إلى بحث عنصر قبل الانتهاء من بحث العنصر السابق له.
- 5- استخدام ألفاظ وأصطلاحات غريبة تخفي على جمهور المستمعين.
- 6- الرد من دين الخصم وكتبه قبل استيفاء الرد من الناحية الإسلامية.

(193) فتح الباري 1/225.

(194) صحيح مسلم، مقدمة الكتاب، باب النبي عن الحديث بكل ما سمع (5).

- 7- غلبة الجانب العاطفي والخطابي في الرد على الجانب العلمي المنهجي.
- 8- استخدام عبارات التعميم والإطلاق في الرد دون التوثق من ذلك بالبحث والاستقراء التام، كقول القائل: "لم تأتِ هذه اللفظة في أي حديث" أو "لم يقل بذلك أي عالم قط" أو "لا ينكر ذلك أي شخص في العالم" أو "لم يحدث مثل ذلك في التاريخ كله".
- 9- تحول الرد إلى مناقشة أمور شخصية لا يبني على ثبوتها أو عدم ثبوتها حكم أو ثمرة.
- 10- الواقع في التناقض والاضطراب في الرد، كإثبات شيء ثم نفيه، أو قبوله ثم رفضه، ومن ذلك قول القائل في موضع من إجابته إن كلمة النكاح لا تأتي إلا بمعنى الزواج فقط، ثم يعود فيذكر في موضع آخر من الإجابة أنها تكون بمعنى الوطء، وهذا يسمى كلامه بالتعارض والتناقض، وكان الأولى به من البداية أن يذكر أنَّ النكاح يعني في الأصل الزواج، ولكن يُكْفَى به عن الوطء.
- 11- ردود الأفعال العنيفة المؤسسة على الانفعال والغضب والارتجال والحماس العاطفي؛ لأن ذلك من صور التسرع والعجلة، والصحيح أنَّ الحُجَّةَ تُقْرَعُ بالحُجَّةِ، والدليل يُوَاجَهُ بدليل مثله، فبعض الدعاة بداعي الحماسة للدفاع عن الدين يكتبون أو يقولون ردوداً تصل في كثير من الأحيان إلى حد الاستعطاف والذل والهوان، أما إذا كانت الحجة ناصعة، بَدَّدَتْ أوهام المتخرصين.

تنبيهات عند التعامل مع أرباب الشبهات

ينبغي على الداعية المحاور مراعاة بعض التنبيهات عند التعامل مع أصحاب الشبهات: النظر في أحوالهم، ومدافعتهم بالأسلوب الأقوم والملازم، والذي يحقق دفع الشهبة وإظهار السنة، قال شيخ الإسلام: "والألفاظ في المخاطبات تكون بحسب الحاجات، كالسلاح في المحاربات، فإذا كان عدو المسلمين - في تحصُّنِهم وتسليحِهم - على صفة غير الصفة التي كانت علمها فارس والروم، كان جهادهم بحسب ما توجبه الشريعة التي مبناهَا على تحري ما هو لـه أطوع وللعبد أنفع".⁽¹⁹⁵⁾

"كما يُحدَّثُ من السباب والشتائم وبذاءة القلم واللسان أثناء معالجة الشبهات، فإن الرد بمجرد الشتم والتهويل لا يعجز عنه أحد والكلام البنيء يدل على انقطاع صاحبه وقلة علمه".⁽¹⁹⁶⁾

وعليه أن يجانب البغي والعدوان، ويتحري العدل والإنصاف؛ "فإن الإنسان إذا اتبع العدل نصر على خصمه، وإذا خرج عنه طمع فيه خصميه".⁽¹⁹⁷⁾

وليحرص على مطالعة أحوال السلف وأدابهم في التعامل مع الشبهات، وجداول المخالفين ومناظرتهم. فالداعية طالب آخرة لا طالب دنيا، وهو مع الحق أينما كان؛ لذا فهو على استعداد أن يتخلى عن حظوظ النفس من أجل إعزاز الحق وإظهاره، وإيصاله للآخرين وإقناعهم به، ودحض شبهاتهم وأباطيلهم، وهذا يحتاج إلى معرفة طبيعة النفس البشرية، وما يصلح لها وما يسوؤها.

ومن أهم سمات هذه النفس أنها تميل إلى اللين والملاطفة والتعامل بالحسنى، وتنفر من الشدة والإذلال والإفحام والتحدي؛ إذ إن لها كبراء، فمن أكرمتها استطاع أن يقودها وأن يسيرها كيما شاء، ومن خدش كبراءها، فلن يظفر منها بطاعة ولا تصديق ولا انقياد، ولا يلومن بعد ذلك إلا نفسه.

لذا من أراد أن يمسح الشبهات من عقول الناس، أو أراد أن يدحضها، فعليه أن يلح إلى ذلك بالحسنى، وأن يتتجنب العنف والشدة والتحدي، وذلك مصداقاً لقول الله تعالى: {إِذْ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ} [النحل: 125].

ويقول جل ذكره مخاطباً نبييه الكريمين موسى وهارون عليهم السلام: {إِذْهَا إِلَيَّ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيَّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى} [طه: 43-44].

إن الداعية يناقش بالتلطف والأنانة والهدوء، ومن الأشياء التي تفتح مغاليق النفوس، وتتفعل فيها فعل السحر أن تقول لصاحبك في بدء حديثك: اسمح لي أن أبدي وجهة نظري في الموضوع، قد أكون مخطئاً، وأشكرك لو تفضلت وصححت لي خطئي.

والحكمة والموعظة الحسنة، تقتضي ألا تسفة آراء صاحبك، وأن تظهر له الاحترام ولو كان على غير رأيك؛ لذا يقول الله تعالى: {وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّو اللَّهَ عَدُوًا بِعَيْرِ عِلْمٍ كُذِّلَكَ زَيَّنَ لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبَّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: 108].

في بعض الأحيان لا ينفع المنطق والبرهان، إنما يجدي التودد والإحسان، حينذاك ألق عصا المنطق، واحمل راية

(195) مجموع الفتاوى 107/4.

(196) ينظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القديرية الأشرار د. يحيى العمري 1/91.

(197) درء التعارض بين العقل والنقل 8/409.

الحنان؛ لتفوز في الميدان.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه"⁽¹⁹⁸⁾؛ أي: عابه، وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه".⁽¹⁹⁹⁾

وإلى هذا المعنى أشار القرآن الكريم: {وَلَا تُسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَانَهُ وَلِيٌ حَمِيمٌ} [فصلت: 34].

ودفع الإساءة بالإحسان ليس سهلاً يقدر عليه كل إنسان؛ بل يحتاج إلى تدريب نفسي، وصبر، ومجاهدة، ولذلك قال سبحانه: {وَمَا يُلَقَّا هَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّا هَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ} [فصلت: 35]. إن أسلوب التحدي، ولو كان بالحججة الدامغة والدليل المبين، يُبغض صاحبه لآخرين، فلا تلجأ إليه؛ لأن كسب القلوب أهم من كسب المواقف.

ثم إنك قد تفهم الخصم، وتعجزه عن الجواب بقوة حجتك، ولذلك قد يسلم لك، فقط لأنك أحرجته، بينما يرفض التسليم لك بعاطفته، حتى وإن كان عقله معك.

أما إذا تلطفت معه فسوف يقتنع بوجهة نظرك، إن عاجلاً أو آجلاً، فإذا ألميت ما تريد قوله، وأدلية بدلليك، فاترك صاحبك، وإن لم يوافقك، فهو مع مرور الزمن سيقتنع برأيك، بل ربما يتبنّاه ويدافع عنه بعد حين، فاللوقت هنا له قيمته، وهو جزء من علاج الأفكار والآفونوس.

ولنفرض أنك خرجت من المعركة منتصرًا، فليكن انتصارًا مملوءًا بالتواضع حتى لا تجرح مشاعر صاحبك وتذله، إذ يكفيه ذلك أنه هزم أمامك في عقله وعلمه، وراقب نيتك مراقبة شديدة؛ حتى لا يعتريك العجب والزهو، فيضيّع أجرك ويحطّ عملك.

والداعية الحكيم عليه أن يحاول استلال ما في قلوب الآخرين من غيظ وكراهة، وأن يقودهم إلى الهدى؛ ليسعدوا بها كما سعد هو بها من قبل.

على أن هناك حالات تُستثنى من ذلك، يحسن بالداعية أن يلجأ فيها إلى الإفحام وإسكات الطرف الآخر، وعلى سبيل المثال يمكن افتراض الحالة التالية: رجل فاسد النية والطوية، يعادي الحق وهو يعرفه، ولا يتغير الوصول إلى الحقيقة وال الوقوف عند الحجة واحترام الدليل، جمع عدداً من الشبان الصغار وأخذ يثير أمامهم مجموعة من الشهادات والأكاذيب، فهذا قد يكون الأفضل أن يوقعه الداعية في تناقض فكري أمام الآخرين، بحيث يحرجه ويفحمه ويُسكته، ويهون من قدره لديهم؛ فيقطع عليه طريق إفسادهم.

إذن، وفي بعض الأحيان يكون الهجوم الحاد المركز على الخصم، وإحراجه وتفسيفه رأيه، ضمن حدود الأدب الإسلامية، مطلباً مقصوداً من المناقشة أو المناظرة، وذلك إذا أساء إلى الفكرة وأهانها، أو تجاوز حدود الأدب، أو إذا اقتضت المصلحة إحراجه، فيكون إفحامه عقوبة له.

- ومن الأساليب المهمة كذلك: (الفصل بين الشهادة وقائلها)، وهي قاعدة جليلة لا يدركها كثير من الناس، كما أنها دقيقة لدرجة أنه قد لا يجدها إلا العقلاء من أصحاب الفطنة والذكاء.

(198) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق (2594).

(199) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق (2593).

إن الهدف الرئيس، الذي تسعى إليه الدعوة، هو دحض الشبهة التي أثيرت حولها، وليس هدفها القضاء على مثيرها؛ بل إن الدعوة الحقة هي التي تسأل الله تعالى المهاية لمثير هذه الشبهة، وتتمنى لو أن الله يشرح صدره إلى الحق فينجو من سخط الله وغضبه.

إن الحرب ليست حرب أشخاص بالدرجة الأولى؛ وإنما هي حرب أفكار وقناعات وأراء ومعتقدات، من هذا المنطلق فإنه ينبغي التمييز في التعامل بين الشبهة وبين قائلها، وفي غالب المناقشات يحسنتناول الشبهة بالبحث والتحليل، أو بالنقد والنقض، بعيداً عن صاحبها أو قائلها، وذلك حتى لا يتحول الحوار إلى مبارزة كلامية، طابعها الطعن والتجريح، والعدول عن مناقشة القضايا والأفكار إلى مناقشة التصرفات والأشخاص. وفي حالات قليلة يستحب الخروج عن هذه القاعدة، وذلك عندما تقتضي مصلحة الحق - لا النوازع الشخصية - تعرية الطرف الآخر وبيان ما فيه، ومع ذلك فيجب أن يتم هذا وفق الأدب الإسلامي على ضوء النصوص الواضحة، كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخُرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا يَسْأَءُ مِنْ نَّسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابِرُوا بِالْأَلْقَابِ إِنَّمَا الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتَبَّعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات:11]؛ أي: لا يطعن بعضكم في بعض، ولا يدعو أحد أخاه باسم أو وصف يكرهه.

وقال صلى الله عليه وسلم: "ليس المؤمن بالطعان ولا اللعآن ولا الفاحش ولا البذيء".⁽²⁰⁰⁾

قول الله تعالى: {وَلَا تَسْبُu الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُuو اللَّهَ عَذْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذِلِكَ زَيَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبَّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام:108].

قال ابن القيم: "حرم الله تعالى سب آلية المشركين - مع كون السب غيظاً وحمية لله وإهانة لآلهتهم - لكونه ذريعة إلى سهم الله تعالى، وكانت مصلحة ترك مسبته تعالى أرجح من مصلحة سبنا لآلهتهم، وهذا كالتنبيه بل كالتصريح على المنع من الجائز؛ لئلا يكون سبباً في فعل ما لا يجوز".⁽²⁰¹⁾

إن الذين يتبررون الشبهات هم بشر مثلنا، يتاثرون كما نتأثر، فتثيرهم العبارة الفجة، وتغيظهم الكلمة الجارحة، كما يأسرهم الثناء اللطيف، ويقر لهم الإحسان إلى أشخاصهم؛ لذا ينبغي أن نرفع من قدرهم ونكرمهم كأشخاص ولكننا في الوقت ذاته نبين خطأ اتهاماتهم وفساد شبهتهم، ونشعرهم أن الخلاف الذي بيننا وبينهم ليس خلافاً شخصياً، وإنما هو خلاف في الأفكار والقناعات.⁽²⁰²⁾

كتب ومحاضرات لدحض الإلحاد والرد على الشبهات

ينبغي قراءة الكتب المتخصصة في دحض دعاوى الإلحاد، وتفنيد الشبهات، وبيان زيفها وبطلانها، والتي من بينها:

- 1- موسوعة بيان الإسلام الرد على الإفتراءات والشبهات، نخبة من كبار العلماء في 24 مجلداً.
- 2- دفع شبهات المستشرقين حول السنة للأستاذ أحمد محمد بوقرن.
- 3- شبهات النصارى حول الإسلام للأستاذ وليد كمال شكر.
- 4- موسوعة الرد على شبهات أعداء الإسلام للشيخ علي بن نايف الشحود.

(200) جامع الترمذى، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الفحش والتحفث (1977) وقال حدث حسن، وصححه الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة (320).

(201) إعلام الموقعين 3/110.

(202) موسوعة دليل الداعية، قضايا منهاجية في الدعوة إلى الله، أ. د. محمد العواجي، المدينة المنورة 1444

المبحث الثاني: المناظرات

المناظرة، مالها وما عليها

حقّ لنا أن نسأل عن موقف الإسلام من عَقْد مثل هذه المناظرات، وما هي الضوابط الشرعية لِإقامتها؟ وأيضاً ما هي الآثار الإيجابية أو السلبية المترتبة عليها؟

نقول إنَّ الأصل في الدعوة إلى الله، أن يقوم الداعيُّ بتعريفِ الإسلام بأسلوبٍ مُركَّزٍ، لا حَشْوَ فِيهِ، يُبَيِّنُ مقصوده مباشرةً، والذي يوافق ما كان عليه النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعوته.

وعلى الرغم من أنَّ المناظرة وسيلةٌ هامة من الوسائل القولية؛ لتبلغ الدعوة إلا أنها في ذاتِ الوقت سلاحٌ ذو حدين؛ فقد تؤدي المناظرة إلى إظهار الحقّ وتغيير معتقدات المخالفين -إذا ما أحسنَ الداعيُّ استخدام أدواته التي منحها الله إياها-، فيصبحَ الحقُّ واضحاً جلياً أمام الباطل، وقد تُؤدي المناظرة إلى النقيض تماماً؛ فيكون ضررها على الدعوة أكبر من نفعها، وعلى أيَّة حالٍ، نحن لا ننادي بضرورة تجنب المناظرات، ولا نقول أيضاً بضرورة حصولها في كلٍ مناسبةٍ، وإنما الفيصلُ بين هذا وذاك، يكون بناءً على ما تقتضيه الضرورة، والتي يقدرها الداعية الفطن بقدرتها، وبمقارنةِ المصالح والمفاسد المترتبة عليها.

ومن المصالح المترتبة على هذه المناظرات؛ تضعيف جرأة المنحرفين وأصحاب الشبهات؛ مخافةً أن يتعرضوا للتصدي والنقد من خلال المناقشة المستمرة لكل ما يطرحونه من غثاء.

ولقد باتت المناظرات ضرورةً ملحةً في القنوات الفضائية؛ حتى يتم ردع الخصوم، والرد على وقاحة الطاعنين الذين يتصدرون للهجوم على الإسلام وتشويهه، فإذا وُجدَ من يناقشهم ويجادلهم ويفضحُ أمرهم على الملايين فسيتم مزاحمتهم.

ولا ريب في أنَّ المنافحةَ عن الحق، وإبراز الصوت الإسلامي كصوت قويٍّ له جهوده، وله مدافعيه، لَأَمْرٍ جَلَّ، يُثْبِتُ للآخر عِظَمِ قدر الإسلام، وُعُلُوِّ مكانِته وهَيْبَتِه، مُعِلِّنا لِخصُومِه، أَنَّه مُتَوَاجِدٌ في السَّاحة، ولن ييرحها، فهو لا يخشى المواجهة أَيَّا كانتْ، وإنما هو على أَهْبَةِ الاستِعْدَادِ؛ لِدَحْضِ البَاطِلِ ما دامت السَّمَوَاتُ والأرض.

كما أنَّ هذه المناظرات نوع من إنكار المنكر، الواجب إنكاره، فكلُّ كلامٍ يُخَالِفُ شَرْعَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أو يُحَاوِلُ النيل منه أو يكون مقصوده السير في ركاب التغريب؛ فإنه منكرٌ يجبُ على الدعاة إلى الله إنكارُه قدرَ استطاعتهم.

المطلب الأول: ضوابط المعاشرة وأدابها

هناك ضوابط معينة لا بد من توافرها، حتى تؤتي هذه المعاشرات ثمارها، منها:

1- إخلاص النية لله عزوجل:

فالإخلاص من أهم الأسباب إلم يكن أهمها في إظهار الحق، وما يترب على ملها من انتفاع الناس، ومن الرفعة في الدنيا والآخرة، ورحم الله الشافعي حين قال: "وَدَدْتُ أَن يُظْهِرَ اللَّهُ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ غَيْرِي إِذَا نَاقَشْتُهُ".

ولذلك لا ينبغي على الداعية أن يكون مقصوده من المعاشرة، هو التغلب على خصميه، وإنما أن يكون هدفه في المقام الأول إظهار الحق للناس رجاء التعرف عليه، والعمل به؛ ومن ثم عليه أن يحترس من تحويل المعاشرة إلى انتصارٍ للنفس أو قصد الشهرة والظهور؛ أو يتطاول بألفاظٍ يُرادُ منها استنقاصُ الطرف الآخر، ونحو ذلك.

ولهذا ما زال العلماء يحذرون من الشروع في إقامة معاشرة إلا للضرورة القصوى، ولمن هو أهل لها؛ لأنها مَذَلةُ الأقدام في مهافي البعد عن الله؛ بسبب صعوبة الإخلاص، وتطهير النفس من أهواءها في مثل هذه المواقف.

ولذلك على الداعية قبل أي معاشرة وحوار، أن يصحح نيتها بالتواضع لله عزوجل، وبالانكسار بين يديه، فهو الذي أقامه في هذا الموضع الشريف، وهو قادر أيضًا على استبداله إلم يحفظ تلك النعمة التي أنعم الله بها عليه، سائلًا إياه عز في علاه أن يظهر قلبه من أدراه، وخلقه من كل رذيلة.

وعليه أن يدرك أيضًا أنَّ العلم وحده لا يكفي للمعاشرة، فهو يحتاج بجانب العلم أن يكون فطنًا، وعلى دراية بأسس الاستدلال وقواعد الحوار، والتي سنذكر بعضًا منها لاحقًا في هذا البحث إن شاء الله.

2- حسن الأسلوب وقومة البيان:

وعلى الداعية المحاور أن يتأنَّ للالمعاشرة بكثرة الاطلائِ حول الموضوع المطروح، ومعرفة ما يثيره الخصوم من شبهات وحجج، وبحذا لو استفاد مما جرى من معاشرات مماثلة، تتسم بسرعة بديهة محاورها؛ والتي قد يكون لها أثرٌ بالغٌ في الارتقاء بثقافته، وتوسيع مداركه.

وإذا كانت المعاشرة عامة مع أحد الخصوم، فعلى الداعية البحث عن فيديوهات هذا الخصم، أو محاولة الوصول إلى حساباته الشخصية على وسائل التواصل الاجتماعي قبل اللقاء؛ حتى يتعرف على أسلوبه، وأدله، ونقاط ضعفه؛ فعادةً، أمثال هؤلاء يكررون نفس الترَاهات، مما يُيسِّرُ على المحاور المسلم دُخُرَ مزاعِمِهم، وببيان هُدُيِّ الإسلام والردِّ على عنه.

وإذا لم يجد الداعية نفسهً أهلاً للمعاشرة، فأولى به أن ينسحب على الفور؛ حتى لا تُؤْتَى الدعوة من قبله؛ فيكون قد أضرَ بما لا يمكن إصلاحه.

وهناك مجالات وخصصات كثيرة للدعوة، فلينشط فيها، وليتريث إلى أن يصل إلى المستوى الذي يكون فيه مؤهلاً لتحمل تلك المسئولية من مواجهاتٍ ومناظراتٍ.

3- عدم التساهل في نقاش هؤلاء بما يخالف الشرع، بل لا يجوز تبنّي رأيًا يخالف الشرع مخالفه صريحة؛ فلا يقال لخصمه مثلاً في مسألة تخالف الشرع: "أنا أحترم رأيك وأقدر ما تذهب إليه أو نحو ذلك"، وخاصةً إذا كان الطرف الآخر ينافق مسألة معلومة من الدين بالضرورة.

4- التوازن بين الحاجة إلى المعاشرة، وبين الأسلوب الهديء، وذلك باللجوء إلى الجدل المحمود، والابتعاد عن الجدل المذموم الذي يثير النفوس ويؤغر الصدور؛ قال الله عز وجل: {إِذْ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَاءُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ} [النحل: 125]؛ (لأن الجدال في مظنة الإغضاب، فإذا كان والتي هي أحسن حصلت منفعته)⁽²⁰³⁾ (وما ذاك إلا لأن النفس البشرية لها كبرباً لها وعنادها، وهي لا تقنع وتنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق واللين وحسن الخطاب، حتى لا تشعر بالهزيمة أمام الآخرين).⁽²⁰⁴⁾

ولم يُعَهَّدْ عن النبي صلى الله عليه وسلم كثرة استخدامه لأسلوب الجدال مع المسلمين أو غير المسلمين، بل حملت لنا سيرته أسلوباً آخر يشبه الجدال وهو: الحوار، الذي توجّه فيه الدعوة للمدعو بعيداً عن المنازعات والتعمّت للرأي والخصومة، فالحوار كلمة غالباً ما تستعمل في المعاشرة الهديئة التي يسود عليها الألفة والبحث عن الحق، والجدال غالباً ما يكون جوهراً صاخباً وقد ينشأ عنه خصومة وعناد).⁽²⁰⁵⁾

5- الحذر من الخوض في القضايا المعاصرة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية؛ إلا إذا كان ملماً بجوانبها؛ حتى لا يؤدي كلامه بغير علم إلى زعزعة الثقة فيه أمام الناس.

(203) مجمع الفتاوى: شيخ الإسلام ابن تيمية 45/2

(204) الإقناع في التربية الإسلامية: سالم بن سعيد بن مسفر بن جبار ص 68، دار الأندرس الخضراء، ط: 1، 1419هـ/1998م.

(205) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم: عبد العزيز ناصرالجليل ص 64، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط: 2، 1412هـ، وينظر: الإقناع في التربية الإسلامية: سالم بن سعيد بن مسفر ص 68، وقد اعتبر بعض المفسرين الجدال خارجاً عن الأساليب الدعوية، فقال: (أما الجدال فليس من باب الدعوة، بل المقصود منه غرض آخر مغاير للدعوة؛ وهو الإلزام والإفحام، فلهذا السبب لم يقل أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل الأحسن، بل قطع الجدل عن باب الدعوة تنبئها على أنه لا يحصل الدعوة، وإنما الغرض منه شيء آخر). تفسير الفخر الرازي 141/20

المطلب الثاني: المفاسد المترتبة على المناظرات العامة

- 1- قد تكون هذه المناظرات سبباً في علوِّ الباطل على الحقِّ، في حالٍ ما إذا كانَ المحاورُ المسلمُ ضعيفاً، وليس مؤهلاً؛ فيبدو للحضور أنَّ الإسلامَ ضعيفٌ بضعفه هو، وأنَّ الآخر رغم باطله يبدو أقوى منه حجةً ومعرفةً وبياناً.
- 2- لا تكاد تخلو أي جلسة يقوم فيها المحاور المسلم بدعاوة الآخرين إلى الإسلام من احتدام نقاشها في نهاية المطاف وتحولها إلى مشاحنة وجداول، مع أنَّ الجدل ليس من صفات أهل الإيمان؛ فقد أخبرنا الله عز وجل في كتابه العزيز، قائلًا: {وَعَيَّادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبُهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان: 63]؛ كما أكَّدَ صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى، فقال: "أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبِيعِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًا".⁽²⁰⁶⁾ لأنَّ أكثرَ من تدخل معه في جداول أو مناظرة يتخد موقف المُدافعة والتحصّن والعناد.
- 3- اشتتمال هذه المناظرات على بعض السلبيات التي قد تؤدي إلى إعاقة الهدف المرجو منها؛ فتحول إلى معول هدم بدلًا من كونها وسيلة دعوية بناءً؛ لأنَّ يكون هدف المناظر رغبتها في الظهور، وذلك بإبراز قوتها، وحسن بيانها، وجزالة أسلوبه أمام خصمها.

لامرحباً يحيى جَدِلْ عَقِيم

إن المناظرة، تحتاج إلى صبر ولين وحسن ظن بالمدعى؛ فهناك من بين الملاحدة عدد ليس بقليل يحاور وهو يريد معرفة الحق، فلو أنك صبرت عليه ورافقته لفترة طويلة ورَكِّزْتَ على عرض جمال ومحاسن الإسلام بأسلوب احترافي؛ ستصبح سبباً لهداية الكثيرين منهم بإذن الله.

وأنا أعرف كثير من بني جلدتي، وربما من أقربائي كانوا لسنوات طوال شيوعيين أو علمانيين، ثم كتب الله لهم الهدایة، أذكر أن أحدهم قال لي في إحدى المرات: "لا أريدك أن تتكلّم معي عن الدين أبداً"، فلم أنفك عنه، حيث أني كلفت أصدقاء آخرين للحوار معه، فضلاً عن أني كنت أقدم له هدية في كل مناسبة؛ لتأليف قلبه، وبعد أثني عشر عاماً، هداه الله عز وجل، والآن يقوم ببناء مساجد، ويطبع كتاباً دعوياً، ويدبّ عن حياض الإسلام في كل حدبٍ وصوبٍ.

ولا تتعلق الدعوة بإقامة الحجة أو إرجاع الآخر، وإنما بكسب القلوب والعقول، أسأل نفسك الأسئلة التالية وتمعن بها:

• ما الهدف من النقاش الدعوي؟

• كيف يجب على غير المسلم الشعور بعد هذه المناقشة؟

• ماذا سيسألك الله عن هذه المناقشة؟

لذا، لا تخض في جدالات لا طائل منها، وإنما ركّز على تبليغ رسالة الإسلام السمحاء إلى البشرية، وإذا أردت يوماً ما أن تخوض مناظرة، فإننا سنذكر لك القواعد التي أرساها أهل الخبرة في ذلك، لتكن خطوة أولى في طريقك، وبعدها ترتقي بمستواك إلى أن تبلغ مبلغاً يُمكّنك من خوض هذا المضمار.

تفادي إثارة الشُّهَمَاتِ في المَنَاظِرَاتِ الْعَامَةِ

وعلى المحاور المسلم وهو يطرح موضوعه، الابتعاد عن إثارة الشهادات أو فتح مواضيع تزيد من حيرة الناس. وعلى فرضٍ أنه قد أثيَرْتَ أمماً شَهِيْهُ، أو وُجِّهَ إِلَيْهِ أَمْرٌ ما، واحتاج إلى مناظرة، هنا وجَبَ عليه أن يكون مدرجاً لكل جوانب القضية وأبعادها المختلفة؛ كي يتمكن من إزالتها، وإظهار الحق فيها، بما يتوافق مع أي القرآن، ونصوص السنة المطهرة، وما هو مستمد من تعاليم الشريعة الإسلامية.

أما أن يَسْتَشْرِفَ للشهادات، غير عابئ بالمناظرات وخطورتها، ولسان حاله يقول: "هيا يا من أنت على غير الإسلام، اثنوني بما لديك من شهادات؛ لأجيِّب عنها"، وهو يظن أن هذا من صميم الدعوة إلى الله، فمن المؤكد أنه بذلك مُتَوَهِّمٌ، واعتقاده هذا باطلٌ، ولا علاقة له بمنهج الدعوة التي سار عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وسار عليه أصحابه من بعده، ولا بمنهج القرآن في دعوة المشركين إلى الله عز وجل.

ولقد وَجَدْتُ على طاولاتِ دعويةٍ في ألمانيا، ردوداً على شهاداتِ بأسلوبٍ مُنْفِرٍ، ولربما لم تكن من الأصل شهادة لدى الآخر الذي ليس بينه وبين الإيمان بالله عز وجل إلا أن يقوم أحد المحاورين بتعريفه بأساسيات الإسلام كالتعرّيف بالله عز وجل، وبتوحيد الربوبية والألوهية والاسماء والصفاء، وتعريفه بالرسالات؛ ليخرج بعدها من ظلمات الكفر وبراً إلى نور الإيمان، وقلبه راضٍ مطمئنٌ.

المطلب الثالث: النصائح الذهبية في مناظرة الملحدين⁽²⁰⁷⁾

هذه مجموعة من النصائح الذهبية، استخلصها الأستاذ نور الدين قوطيط من مطالعاته في الإلحاد، وحواراته مع الملاحدة:

1- تذكر أنّ غاياتك من الحوار والمناظرة هي هداية الملحد وتبيين ضلاله بأدلة العقل الصريح والعلم الصحيح، أي أن تكشف له عن تجليات الحقائق في الدين، في الحياة، وفي الكون، وفي المصير بعد الموت. هذه الغاية النبيلة تُحتم عليك توجي الحذر من الشرك الخفي، أعني: الغرور، العجب، الرياء، السمعة، وغير هذا من الموبقات الباطنة التي تدمر علاقة الإنسان بالله تعالى، أي تحتم عليك الإخلاص لله تعالى في هذه الغاية البibleة والهدف العظيم؛ ذلك لأنَّ الإخلاص لله تعالى يمنحك قوة من الله تعالى وبصيرة واضحة، قال الله تعالى: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ} [الزمر: 11].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركته" ⁽²⁰⁸⁾، وفي رواية ابن ماجه: "فأنا منه بريء وهو للذى أشرك". إنَّ حب الظهور بأنك واسع الاطلاع، قوي الحجة، مُفحِّم البرهان، ما هو إلا هوَ متغلغلٌ في أعماق النفس، ليت شعرى ما قيمة مجھوداتك إذا ذهبت سدى ولم يكن لها قيمة عند الله تعالى؟!

تذكر أنك عندما تسمح لأننا بالتضخم فيك، وللشهوات الخفية بالسيطرة عليك، فذلك يعني أنك ترضى أن يكلك الله تعالى إلى نفسك، ويعني أنك ترضى أن تكون للشيطان ولیاً.

إذن قبل أي مناظرة وحوار صحق نيتك لله تعالى وطهر قلبك من كل الأخلاق المذولة، فعدم الإخلاص لا يثمر ثمرة حتى لو بذل صاحبه من الجهد ما عساه أن يبذل.

2- كن ذا أدب جميل وأسلوب راق، واختار كلماتك بعناية؛ فحسن الأدب وجمال الأداء في عرض الأفكار له تأثير قوي على النفس، ولو لا شعوريًا. ولهذا أمر الله سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم أن ينهج هذا النهج مع أعمى طاغية عرفه تاريخ البشرية، فقال: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنَا لَعَلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْسَنِ} [طه: 44] أي أن "تكون بكلام رقيق لين سهل رفيق ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع" ⁽²⁰⁹⁾، لكن هذا القول ليس يعني المليونة المائعة والاستخدا والتنازل عن الحق بدعاوى تبليغ الدعوة، فإنَّ بعض النماذج لا يليق معها إلا الشدة في القول، والغلظة في الفضيحة، والبيان الكاشف في التناقض والتهافت.

كما أنَّ هذا لا يعني التخلِّي عن قواعد الدين ومصطلحاته وتسمية الأشياء بسمياتها الحقيقة كما وردت في القرآن والسنة، بدعاوى تأليف الملحد وتقريبه، فالحق أحق أن يتبع، والانضباط بمبادئ الشريعة ومصطلحاتها أهم شيء بالنسبة لك كإنسان مسلم؛ لأنَّ غرضك هو هداية الملحد ولكن في إطار الدين الرباني.

وتذكر أنَّ التخلِّي عن مبادئ الدين وإلغاء مصطلحاته أثناء الحوار، سيوقعك في متأهات أو حرج شديد؛ ولهذا قال الله تعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم توجيهًا له في محاورة بعض نماذج الكفر والنفاق: {فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدُهُمْ بِهِ جِهَادًا كَيْرًا} [الفرقان: 52]، أي جهاد الحجة والبرهان بلا كل ولا فتور.

(207) مقال منشور في موقع الألوكة. النصائح الذهبية في مناظرة الملحدين، مقال منشور في موقع الألوكة، هي مجموعة من النصائح الذهبية، استخلصها الأستاذ نور الدين قوطيط من مطالعاته في الإلحاد، وحواراته مع الملاحدة.

(208) رواه مسلم.

(209) تفسير ابن كثير.

كما أنّ دعوى أنّ الملحد قذر اللسان، مغرم بالشتم والسخرية، تسمح لك أن تنزل إلى مستوىه، فأنّت تمثل الحق والعدل والجمال، فكيف تكون مثله؟!

3- تعمق إلى أقصى ما تستطيع في العلوم الشرعية: القرآن والسنة، وكل ما تفرّع عنّهما من العلوم المختلفة، إما على يد علماء متعمقين في ذلك أو على كتبهم الصحيحة: القديمة والحديثة، والفكر الإسلامي المعاصر ومدارسه، وأنصحك بالتركيز -ولا أقول إهمال الباقي- على: قواعد التفسير وأصوله، قواعد الفقه وأصوله ومقدّسه، قواعد الحديث وأصوله، فهذه الدراسة هي عدّتك وسلاحك الأقوى، وبذلك لن تستطيع الملحد أن يخترق نظامك الإدراكي لدينك، وإنّا فمن رام الدعوة إلى الإسلام وإفحام الملحد وهو جاهل بدينه، إلا من تلك الخلاصات والمقالات التي يجمعها من هنا وهناك، فهذا أقرب لأن ينخلع هو نفسه عن رقة الدين، بعد أن تهاطل عليه شبهات وإشكالات الملاحدة.

على أنّ هذا القول لا يعني دراسة الدين بنيةً إفحام الملاحدة، بل يجب أن تكون الدراسة أولاً وأخراً: لتنوير العقل، وفهم مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والعمل بتعاليم القرآن والسنة، إذ أنّ الواجب في الدعوة هو دعوة نفسك الشخصية، قبل دعوة الآخرين.

4- توسيع في الثقافات والمعارف والعلوم إلى أقصى ما تستطيع، ولكن مع احترام الأوليات، فذلك سيزيدك بصيرة واضحة بدينك، ومكامن القصور والخلل والباطل فيما عند الآخرين، كما أنّه سيزيد حجتك قوة وبراهينك مناعة، بحيث لا يستطيع الملحد أن يزيّف أمامك أي فكرة؛ ولهذا لا تقتصر في الدراسة والمطالعة على علوم الشريعة المختلفة، بل وسّع دائرة اهتماماتك لتشمل الثقافات والعلوم المعاصرة: علم النفس، الاجتماع، الحضارة، الفلسفة، الفيزياء.. إلخ. فإذا كانت علوم الشريعة هي الأساس والقواعد، فإنّ هذه الثقافات والعلوم لا شك أنّهم تفسح لك المجال لفهم دلالات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بشكل أكثر رحابة، وتعطيك القدرة على رؤية مكامن القصور والخطأ في الفكر الإلحادي.

5- التزم بالحوار الجاد أثناء المناظرة، ولا تسمح للملحد أن يُفقد الحوار قيمته بكثرة التشغيب والصرارخ، وَمِنْزِج المواقف والتَّنَقُّل بينها كيف شاء، أي أن يُحوّل مسار المناظرة من الوصول إلى الحق إلى مسار المناظرة لأجل المناظرة فقط وكثرة الصرارخ والتشغيب، فهذه هي خطتهم مع من يحاصرهم بالأسئلة والإشكالات، كما أنّ هذا يعني أنّه يجب عليك أن تُحدِّد بشكل صارم مع الملحد الموضوع الذي تريдан الحوار فيه والمناظرة حوله، والامتناع بشكل مطلق عن الخروج عنه.

وأيضاً هذا يعني أنّه يجب عليك أن تحدد معه المرجعية التي تحتكمان إليها وتُرْضِيَان بأحكامها وتلتزمان بقوانيتها، وفي حالتك من الطبيعي أن يطالبك بأن تكون المرجعية هي: العقل والعلم، فالالتزام له بذلك، إلا أنّك ستتجده بشكل تلقائي يكفر بأحكام العقل ومقررات العلوم، لأنّها ببساطة تناقض فكره الإلحادي.

ولهذا عندما تجد أنّ المناظرة فقدت قيمتها وانحرفت مسارها وكفر محاورك بالمرجعية المتفق عليها، فأنصحك يا أخي أن تعلن انسحابك منها، ليس لأنّك ضعيف الحاجة، قليل الحيلة، بل لأنّ ذلك تعظيم لله تعالى، وتقدير لعقلك، واحترام للحقيقة أن تتشوّه في حوار عقيم.

6- لا تُنْخِدْغ ولا تَهُولُك كثرة تشقيق الملاحدة للكلمات ورفعهم الدائم لشعارات براقة، مثل: عقل، دليل، علم، لقد درسنا وبحثنا، وعلماء العالم كلهم متفقون على كذا.. إلخ، فهم بهذا ينشدون صدمتك النفسيّة، لكي

يعجز عقلك عن التفكير، وبالتالي يتشرّب طرحوها لهم وشبيهاتهم، أي أنهم يمارسون إرهاباً نفسياً، وهذا خطأ يهودية، مارسوها قديماً مع المسلمين، لكي يشكوكهم في الإسلام.

ولهذا خلَّ الله تعالى هذا الموقف في القرآن لكي يعتبر به المؤمن، فقال حكاية عنهم: {وَقَالَتْ ظَاهِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاسْكُفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [آل عمران: 72].

"هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم، وهو أنهم تشاوروا بينهم أن يُظْهِرُوا الإيمان أول النهار ويُصلُّوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء آخر النهار، ارتدوا إلى دينهم، ليقول الجهلة من الناس إنما رَدُّهُمْ إلى دينهم اطْلَاعَهُمْ على نقيصة وعيوب في دين المسلمين".⁽²¹⁰⁾

كما أنها خطأ الفلسفه قديماً، بل وكل فرق الضلال من الصوفية والروافض وغيرهم، ولقد قال الإمام الغزالى عن الفلاسفة ومقلديهم: "إنما مصدر كفرهم سماهم أسماء هائلة، كـسقراط، وبقراط، وأفلاطون، وأرسطو طاليس، وأمثالهم، وإطناب طوائف من مُتَّبعِهِمْ وَضُلَّالِهِمْ في وصف عقولهم، وحسن أصولهم، ودقة علومهم: الهندسية، والمنطقية، والطبيعية، والإلهية، واستبدادهم - لفطر الذكاء والفتنة - باستخراج تلك الأمور الخفية، وحكاياتهم عنهم أنهم - مع رزانة عقولهم، وغزاره فضلهم - منكرون للشرع والنحل، وجادلوا لتفاصيل الأديان والملل، ومعتقدون أنها نواميس مؤلفة وحيل مزخرفة".⁽²¹¹⁾

فكن واثقاً بدينك وعقلك، فأنت تنتمي إلى الحق المطلق.

7- كن على يقين أنَّ الوحي الرباني والمنهج الإسلامي يستحيل أن يناقض عقلاً صريحاً أو علمًا ثابتاً.
فالوحي كلام الله، والعقل خلق الله، ولا يمكن أن يتناقض كلام الله مع خلقه، ولهذا قال الحق: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّهِ حَيْنَا فَطَرَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَالِقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم: 30].
كما أنَّ الله تعالى نبه على عمق الانسجام بين الوحي والعقل بقوله: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي} [الحجر: 29].

أما إذا صادقت ما يُوحى بالتناقض بين معطيات الوحي ومعطيات العقل وفروعه، فاعلم أنه ليس تناقضًا حقيقياً، بل هو بسبب نقص في المعطيات: إما أنَّ المُعطَى الديني الذي اعتمد عليه ليس صريحاً بل محتملاً، أو ليس صحيحاً بل ضعيفاً (في حال أحاديث السنة)، أو مجملًا وليس مفصلاً، أو مقيداً وليس مطلقاً.
إما أنَّ المعطى العقلي الذي اعتمد عليه ليس كاملاً في مقدماته، أو ليس صحيحاً في بعض أجزائها، أو أنه نظرية لا ترقى إلى اليقينية العلمية.. إلخ.

وإنما ينبغي أن تَفهَّمَ أنَّه يستحيل وجود تناقض بين صحيح المنقول وتصريح المعقول؛ لأنَّ اعتقادك أنَّ الخالق إله كامل كمالاً مطلقاً: علمًا، حكمة، قدرة، رحمة.. إلخ، يحتم عليك أن تعتقد أنَّه يستحيل أن يتضمن وحيه ما يتناقض مع العقل البشري الذي ما خُلِقَ الوجود إلا لأجله.

8- تأكَّد بصورة مطلقة أنَّ الملاحدة على باطل وضلال مهما زخرفوا القول وزينوا الحديث؛ ذلك لأنَّهم ناقضوا صريح المعقول، ورفضوا دلائل العلوم، وعندوا بدائيات الفطرة، بل تأكَّد أنهم يدركون في قرارة أنفسهم أنَّهم على

(210) تفسير ابن كثير.

(211) هافت الفلسفه: 24

باطل وأنّ هناك شيئاً مضطرباً في نظمتهم الإدراكي، ولكن هناك مجموعة من العناصر التي تتدخل في تنفيذهم من الله والهروب منه، حتى وإن قامت كل الأدلة على وجوده وضرورة عبادته والطاعة له، من مثل:

- الأفكار المسبقة التي تمنعهم من مراجعة الحق والقبول به.

- الأزمات النفسية التي مروا بها في فترة من فترات حياتهم الماضية.

- رغبتهم في الشعور بالتقدير الذاتي عن طريق: خالق تُعرف، نشان بعضهم للشهرة: فلان مفكر حر، فلان لا يقلد أحداً بل يتقييد فقط بالعقل والعلم.

- سوء أوضاع المسلمين وربطهم - أي الملاحدة - بطريقة لا شعوريَّة بين الدين والتخلُّف في واقعنا المعاصر.

- عجزهم الفاضح عن فهم جوهر حقائق الوجود وعلاقاته، وبالتالي هم يرفضون ليس لعدم الدليل؛ بل لعجزهم عن فهمه وإقامته.

- انخداعهم بأقوال بعض الغربيين بأنَّ العلم في العصر الحديث يستطيع تفسير كل شيء وأنَّه حقائق مطلقة، ولما كانت الحقائق على وجود الله تعالى واضحة، والبراهين على ضلال الإلحاد والكفر جليَّة، فضحهم الله تعالى، فقال في محكم آياته: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنْتُهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} [النمل: 14].

9- أحد أهم خطط الملاحدة في التشفيب على العقل المسلم والتشويش على الحقائق لديه، هو استعمال طريقة العموميات والتعيميات.

ماذا أقصد بهذا الكلام؟؟

طريقة العموميات أقصد بها أنَّ الملحد يستعمل الكلمات بمعناها العام المقبول لدى جمهور الناس، ويرفض تحليلها والدخول في تفاصيلها؛ لأنَّه يدرك أنَّ هذا التفصيل للكلمات وتحديد المعاني المرادة منها بالضبط أثناء الحوار والمناظرة سَيَهِدِّمُ عليه أفكاره، ويُنْقُضُ له بناءه الإلحادي.

ولهذا احرص أها المؤمن على عدم الانخداع بالعموميات، بل طالبه دائمًا بتحديد الكلمات بمعانها اللغوية والاصطلاحية، وهذا ما يسميه علماؤنا بالسبر والتقسيم، أي تفكيك الكلمات لقبول ما فيها من الحق ورد ما فيها من الباطل.

أما طريقة التعيميات فأقصد بها، أنَّ الملحد يأخذ الكلمة التي تشمل بمفهومها العام مجموعة من المعطيات، ثم يركز على باطل بعض تلك المعطيات ليسحبه على جميعها، مثل: كلمة دين، فهذه الكلمة تشمل الإسلام، المسيحية، اليهودية، البوذية.. الخ، وللملحد حين يريد خداع نفسه وخداع المؤمن يأخذ معطيات المسيحية أو البوذية مثلًا ويضيفها على الإسلام بسبب أنَّ المسيحية دين والإسلام دين إذن هما سواء؛ ولهذا كن حذرًا أثناء الحوار من التعيميات، ووافقه على أنَّ هذه الكلمة تشمل الجميع، لكن خصائصها وحقائقها تختلف من دين إلى آخر.

10- لا تغتر بالمصادر التي يذكرها الملحد أثناء حواره ومناظرته، فهم - غالبيهم - قوم بُهت، يفتررون الكذب وهم يعلمون، وبعضهم الآخر يجهل ما يُنقل، بل يلجؤون إلى عملية القص في القرآن، وفي الحديث مع الاستشهاد بالضعف والموضوع، وفي كلام العلماء؛ ولهذا يجب عليك أن تطالبه أولاً بالمصدر، وأن تتأكد بنفسك، ثم تأكَّلْ معاني الحديث وشرحه العلماء له إن كان حديثاً صحيحاً مقبولاً لدى علماء الحديث، وأيضاً سياق الآيات والأحاديث، وأيضاً سياق شاهدِه من كلام العلماء، والغفلة عن هذه الحقيقة ستجعل الملحد يحاصرك في دائرة

حقيقة حرجه، تجد فيها نفسك ملزماً بالدفاع ولو بالخطأ الذي لا يقبله الله ولا رسوله ولا علماء الأمة، وهذا راجع إلى الفكرة السابقة من أنه يستحيل أن يتناقض كلام الله أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم مع معطيات العقل الصريح والعلم الصحيح، أما كلام العلماء فالجمهور معصوم من الخطأ، وما يوجد في كلام بعضهم مما فيه مخالفة لتقريرات القرآن والسنة، فذلك أمر طبيعي، إذ ما جعل الله العصمة لأحد إلا: للقرآن، السنة، جمهور العلماء، والقرآن والسنة حاكمان على كلام العلماء، وليس كلام العلماء هو الحاكم عليهم.
وستجد الملاحد يستشهد بكلام بعض العلماء مما يوافق هواه أكثر مما يستشهد بالقرآن والسنة، إذا وجدك يقطأ معه؛ ولهذا لا تذهب لأخطاء بعض علمائنا رضي الله عنهم.

١١- احضر من التسرع في خوض مناظرات مع الملاحدة، إلا بعد أن تستعد لها جيداً: علماً، وفهمًا، فكم من شاب ظن بنفسه القدرة على المناظرة، والمسكين ليس معه من العلم إلا القشور، فراح يخوضُ مناظرات ويدخل على صفحاتهم ومنتدياتهم، فوقع في شركهم، فانقلب ملحداً مثلهم، وإنما السبب هو الحماسة الفارغة من بعض الشباب، يزعمون أنَّهم يربدون نُصرة الإسلام، ولكن بدون سلاح !!

ولقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمن من فتنة الدجال وأمره بالهروب منه، فقال: "من سمع بالدّجّال فلينأ عنه، فوالله إنَّ الرَّجُلَ لِيَاتِيهِ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَبَعُهُ مَا يَبْعُثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ ، أَوْ لَا يُبَعْثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ."⁽²¹²⁾، ولهذا خذ مني نصيحة: طالع في علوم الشريعة أولاً، واجمع حصيلة معرفية وثقافية ثانياً، وتابع مناظرات فُحول الإسلام مع الملاحدة ثالثاً؛ لكي تعرف كيف تدار المنازرات، وكيف تسير، وكيف يُجيِّبُ عليها المناظر المسلم وكيف يلقي الملاحد شبهاته، واقرأ كتب الرد على الإلحاد وكشف زيفه رابعاً، وبعد كل هذا، وهو يأخذ وقتاً، فتسقط كل عذرٍ تتمسك به، والله متأنٍ وأعزم مهمتي تكتسب خبرة في هذا المجال.

12- وهنا سأضع لك مجموعة من ملامح الالحاد عسى أن تنتفع بها:

أولاً: الإلحاد بفروعه كافة يقوم على كم هائل من الشبهات المضليلة، بل على كم هائل من التزيفات الخادعة، التي تدور بين أربع مستويات:

- شهادات عقلية.
 - شهادات علمية.
 - شهادات دينية.
 - شهادات عاطفية.

ثانياً: يستغل الإلحاد القاسم اللغوي المشترك لكلمة: دين، فيعتقدون - ويريدون للقارئ أن يعتقد أيضاً - أنَّ كل ما صبح بحق المسيحية مثلًا يصح بحق الإسلام، والسبب أنَّ كلِّهما تنسحب عليه كلمة: دين، وبالتالي فهما نسخة واحدة!!

(212) صحيح أبي داود 4319: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوصِي أَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَيُحِدِّرُهُمْ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ وَيُسْتَهِنُّ لَهُمْ، كَمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَالِ، أَيْ: بِخُرُوجِهِ وَظُهُورِهِ فِي زَمَنِهِ، فَأَفْلَأَنَا عَنْهُ، أَيْ: فَلَيُبْعَدُ وَلَيُغَيَّبُ عَنِّهِ وَلَا يَعْتَدُ فِي مَلَاقِيَّتِهِ لَهُ عَلَى مَا بِهِ مِنْ إِيمَانٍ: "فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيَهُ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَبْعَثُهُ مِنَ الشَّهِيدَاتِ، أَوْ لَيَأْبِعَثُهُ مِنَ الشَّهِيدَاتِ، فَهَذَا تَحذيرٌ مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ؛ لِذَلِكَ الَّذِي يَظْلُمُ أَهْلَهُ سَيِّسَلَمُ فِي مَلَاقِتِهِ لِلدَّجَالِ، وَأَنَّهُ فِي مَأْمَنٍ مِنْهُ لِمَا بِهِ مِنْ إِيمَانٍ، رُبَّمَا لَا يَسْعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَبَعَ الدَّجَالَ؛ لِمَا سَيَنْتَدِرُ بِهِ مَعَ الدَّجَالِ مِنْ آيَاتٍ، فَيُصِيرُ كَافِرًا وَهُوَ لَا يَدْرِي. وَفِي الْحَدِيثِ: النَّبِيُّ عَنْ حُضُورِ مَوَاطِنِ الْفَتْنَةِ وَأَمَاكِهَا، وَبِإِبْرَاهِيمَ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ النَّجَاةِ مِنَ الْفَتْنَةِ الْإِبْتِعَادُ عَنْهَا وَعَنِ الْأَمَاكِهَا. وَفِيهِ: التَّحذيرُ مِنْ اغْتَارِ الْإِنْسَانِ بِمَا مَعَهُ مِنْ إِيمَانٍ فِي مُواجِهَةِ الْفَتْنَةِ وَحَضُورِهَا.

ثالثاً: العقل الإلحادي يعجز عن فهم مستويات الوجود: الواجب، الممكن، المستحيل.
ولهذا تراه يخلط في أسئلته وافتراضاته، ويؤسس عليها كمّا هائلاً من النتائج.

ومعلوم في قوانين العقل أنّ المقدمة إذا كانت خطأ، وبالضرورة تكون النتيجة خطأً؛ ولهذا يشدّدون على: من خلق الله؟! علمًا أن صيغة هذا السؤال مثلاً تهدّم نفسها؛ لأنّه إذا كان الإله مخلوقًا من طرف الله، إذن فالله هو الإله والخالق الوحيدي، أما الآخر فهو مخلوق وليس إلهًا، وقس على هذا.

رابعاً: يرفض الفكر الإلحادي الاعتراف باللغة وسعة دلالاتها المتنوعة؛ سواء الفكريّة، أم الأخلاقية، أم النفسيّة؛ ولهذا تجد لديه حساسية شديدة تجاه المفردات اللغوية التي تحمل - من بين ما تحمل - شحنات دينيّة؛ مثل: عقيدة، عبادة، تقليد.. إلخ.

خامسًا: من خُدع الإلحاد الماكرة أنّه يعتمد على طرح أسئلة هي في أساسها مبنية على أصول أخرى، وبدون التسليم بتلك الأصول والاقتناع بها، تجرّ تلك الأسئلة الماكرة صاحبها إلى بلبلة فكريّة واضطراب عقائدي مثل: لماذا خلقنا الله بدون أن يأخذ رأينا (أنت مخلوق فكيف يأخذ رأيك؟) إذا كان الله سبحانه يريد الخير لنا، فلماذا خلق النار قبل أن يخلقنا: (أنت مخلوق عاجز عن فهم طبيعة روحك، فكيف تريد أن تحيط علما بحكمة الله المطلقة؟).

سادسًا: "أَكْثُرُ ما يلْجأُ إِلَيْهِ الْمَلْحُودُونَ فِي الْإِحْتِاجَاجِ لِلْإِلْهَادِ هُوَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِوْجُودِ الْخَالِقِ لَمْ يُعْطُوهُمْ عَلَى وَجْهِهِ حَجَةً مُقْنِعَةً، لَكُنْهُمْ حِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ يَفْتَرُضُونَ أَنَّ الْأَمْرَ الْطَّبِيعِيَّ هُوَ عَدْمُ وَجْهِ الْخَالِقِ، وَأَنَّ الَّذِي يَدَعُونَ بِهِ وَجْهَهُ هُوَ الْمَطَالِبُ بِإِعْطَاءِ الدَّلِيلِ عَلَى وَجْهِهِ، لَمَّا زَانَ الْعَكْسُ؟ لَمَّا لَا يَكُونُ الْعَكْسُ؟ لَمَّا لَا يَكُونُ الْأَمْرُ الْطَّبِيعِيَّ هُوَ الْأَمْرُ الَّذِي يَؤْمِنُ بِهِ جَمَاهِيرُ النَّاسِ وَالَّذِي يَجْدُونَ لَهُ أَصْلًا فِي نُفُوسِهِمْ، وَأَنَّ الَّذِي يَشَدُّ عَنْهُمْ هَذَا هُوَ الْمَطَالِبُ بِالدَّلِيلِ؟".

سابعاً: ينطلق الإلحاد الغربي من ثلاثة منطلقات: واقعه المعاصر الغارق في المادية، تاريخه البئيس مع الكنيسة، مقولات الفلسفة اليونانية، هذه المعطيات - خاصة المعطى الأول والثاني - ساهمت بشكل كبير وفعّال في تشكيل عقلية الإلحاد لدى الملاحظة الغربيين، وبأثر الإلحاد العربي الساذج، فيُسقّط هذه الملابسات على نفسه في علاقته هو بالإسلام وكل شيء.

ثامنًا: ينطلق الإلحاد العربي المعاصر من ثلاثة منطلقات:
الأولى: واقعه الحالك المتراجي في التخلف والاستبداد.

الثانية: انصرافه في بوتقة الإلحاد الغربي؛ ولهذا ينقل شهاته وأفكاره، فلست تجد فكرة عند الملحد العربي إلا وتتجدد شقيقه الغربي سبقه إليها أولاً.

والثالثة الأثافي: جهل شنيع بالمنظومة الإسلامية تصوّرًا وممارسةً، وهذا يدل على فقر العقل الملحد العربي وعجزه عن ابتكار أفكار جديدة تخص عقيدته الإلحادية، والعجب أنّه يدعي بعد هذا العقل والحرية!!

تاسعاً: من مميزات الإلحاد المعاصر عن الإلحاد القديم، أنّ كَهْنَتَهُ يروجون لِرَعْمٍ يعتقدون أنّه برهان قاطع على صحة دينهم الإلحادي الجديد، ألا وهو تقديمهم لدين الإلحاد على أنّه حتميّة تاريخيّة وضرورة وجوديّة، وأنّ العلم والزمن كفيلان بإسقاط الإله من على عرشه وبالتالي كشف خرافات العقائد الدينية التي تأسست على

فكرة وجود إله مطلق، وبالتالي سيحل العقل والعلم في تنظيم شؤون الحياة تنظيماً راقياً وتفسير معطيات الحياة تفسيراً صحيحاً، وتحقيق السعادة للإنسان بصورة جميلة، محل العقائد الدينية ومقدمة الإله المطلق.

عاشرًا: يُرجُّ كهنة الإلحاد المعاصر وأربابه لفكرة ماكرة كثيرة ما خَدَعَتِ الشباب والسدج من الناس من ذوي الثقافة والمعرفة المحدودة، ألا وهي أنَّ الإلحاد ليس ديناً ولا منهاجاً ولا عقيدة، بل هو فقط موقف يتبنّاه المرء تجاه مسألة وجود الإله، والحياة بعد الموت.

والملکر هنا هو أنَّ كل فكرة كلية تشمل بالضرورة: التصورات العقلية، وعنها تنتج القيم الأخلاقية، وعنها تتحدد طبيعة القوانين التشريعية والعلاقات الاجتماعية.

أي أنَّ كل فكرة كلية تأخذ طابعًا فلسفياً شمولياً، لا يمكن أن تنفصل عرها مطلقاً.

المطلب الرابع: حيل الملاحة في التَّنَاظُرِ، وكيفية التعامل معها

اعلم أنها المحاور رعاك الله وسددك، أن أصحاب المذاهب الفكرية غالباً ما يستعملون حيلاً في التَّنَاظُرِ؛ نظراً لضعف حجتهم وهشاشة بنائها منطقهم، فيلجهون إليها؛ للتلبيس عليك وعلى القراء؛ بغية طلب الفكاك، ومحاولة إيهام الناس بقوة الطرح، وسلامة المنطق!

وسأذكر لك بعض هذه الحيل مع أسلوب التعامل معها، حتى تكون لك مرجعاً وتسترشد بها أثناء حوارك مع هؤلاء:

1- تقرير القضية السالبة دون أدلة:

وهذه أول حيل المناظرات التي لا يوجد ملحدٌ لا يستعملها، وهو تقرير قضية سالبة دونما أدلة ورفعها مرتبة الأصل الذي ينبغي التسليم به، في حين أن القاعدة المنطقية تقول: "أن مانع القضية السالبة يُسلِّمُ جدلاً بنقيضها".

ونضرب المثال على هذا أن المحدث بمجرد أن يدخل على أهل الإسلام يقول: "أن الأصل هو عدم وجود الله تعالى ومن يدعى العكس عليه بالدليل"، وهو تدليسٌ مفضوحٌ؛ لأن الأصل هو وجود الله تعالى، وأدلة عدم وجوده منافية، فهو من أدئي النقيض السالب وليس نحن، ومن قرر السالب عليه بالبرهان وإلا سلم بالأصل، ذلك أننا شاهدنا بالحس والعقل استحالة وجود الكائنات دونما وجود واجب الوجود، فالسيارة مثلاً يستحيل أن يقول قائلٌ إنها جاءت صدفة وأن الأصل هو وجودها بدون صانع؛ لأننا لما رأينا الإحكام في صنع السيارة والدقة في التصميم، عرفنا أنه يستحيل إلا يكون لها صانعٌ سواءً عرفناه أو لم نعرفه، فكان من أدئي أن الأصل عدم وجود صانعٍ لتلك السيارة وسُمِّناه بالسفه؛ لضعف موقفه وتسلیمه بقضية سالبة، فما بالك بمن نفي خلق الكون وهو أرقى وأكبر وأعقد من تلك السيارة!

وعليه فإن من أدئي عدم وجود الإله، عليه بالأدلة وإلا فالتسليم بالقضية الأصل وهو وجود الله تعالى؛ لِكَمِ الأدلة العقلية والنقلية التي تقرر هذه الحقيقة.

فهكذا يكون التعامل مع هذه الحيلة، عبر ضرب مثالٍ مُبَسَّطٍ لتقريرها في نفس المحدث، وإلزامه بإعطاء أدلة تنصر قوله ذاك.

2- التعمق في العبارات واعتماد الغموض في الطرح:

قد تواجه أيها الليبب ملحداً له حظ في الفلسفة، يجذب معك إلى الغموض في الكلام، والتعمق في العبارات، وإلقاء بعض المفاهيم الفلسفية؛ بغية إبراز عضلاته عليك، وتخجيلك أمام القراء والمستمعين، حتى إن أجنبته يواجهك بالقول: إنك لم تفهم قصده! حتى إن أعاد عليك الكرة بنفس الغموض، التفت إلى الحاضرين وخاطب القراء: أن الرجل لا يفهم قولًا!

فيحاول تقرير فكرة أنه أعلى منك ثقافة وأنه حاذق بارع، وأنك لست بمستواه الفكري!

وهنا عليك أيها المحاور استيقافه في كل كلمةٍ غامضةٍ ألقى بها إليك، وسؤاله: ماذا تقصد بالجملة الفلانية؟ حتى يُقْرِرَ لك المعنى بوضوح لا لبسَ فيه؛ فتكبح بذلك حيلته، أو تلزمها في شروط الحوار بأن يستعمل لغة صريحة لا تقبلُ معها وجوهاً أخرى في الفهم.

3- الإجمال:

وهذه حيلة مشهورة يستعملها بعض الملاحدة أثناء الحوار والمناظرات، وهي إن كان المحاور المسلم حدّاً يحسن طرح الإلزامات في قضية معينة، وعلم الملحد أن الإلزام قوي لا محيد عنه ولا مناص منه، يجيب إجمالاً دونما تطرق لدفع ذاك الإلزام، فيعلق بجملة أو جملتين ثم يقفز إلى جانب من جوانب القضية متجاهلاً نقاش ما جاد به المؤمن من إلزامات!

ومقصده من هذا، هو تجنب الإفحام من طرف الخصم؛ لأنّه في حال أفحِمْ، فعليه إما أن يسلّم بصحة طرح محاوره، أو أن يقف موقف ضعف أثناء المناظرة.

وهنا أهمية أن يكون الحوار أو المناظرة لها حَكْمٌ يتدخل لإدارة الحوار، ويفرض على كلاً المحاورين الإجابة عن الإلزامات وعدم تجنب مناقشتها وفي حالة لم يتتبّه مدير الحوار، فعليك أيّها المحاور المسلم أن تتبّه لهذه المسألة أثناء مداخلتك التعقيبية، وفي حالاتٍ يفضل أن تأخذ الكلمة وتمتنع عن إضافة شيء، حتى يجيبك محاورك عن إلزاماته.

4- التطويل والإطباب في المداخلة:

وقد يستعمل الملحد هذه الحيلة بأن يقول أو يكتب كلاماً طويلاً يورث السامة والضجر، حتى أنك على طول مداخلته تجده لم يقل إلا فكرةً أو فكريتين، محاولاً بذلك إيهام القراء والحاضرين بقوة طرحة وخبرته؛ فالكلام الطويل لأول وهلة قد يظنه البعض علامة على قوة الطرح وحقيقته.

وهذه الحيلة كان يستعملها السُّفسطائيون اليونانيون في مناظراتهم الفلسفية، وأشهر من استعملها هو الفيلسوف اليوناني بروتاغوراس خاصة في مناظراته مع أفلاطون.

فإن استعمل الملحد هذه الحيلة فَنَيَّهُ إلى أن كلامه كله لم يناقش إلا فكرةً أو فكريتين، واذكرهما له، وَبَيْنَ حيلته للناس، واضرب بعرض الحائط كل الكلام التابع والذي لا يُغْنِي شيئاً، والتفت إلى الفكرة واهدِمْ بنائها.

5- تفريغ النقاش وإثارة أكثر من قضية واحدة:

والقصد من هذه الحيلة التشغيب، وزعزعة التناقض الحواري للمناظرة، على سبيل المثال: إذا كان الحوار حول نقطة معينة كوجود الله تعالى، تجد الملحد أثناء مداخلته لا يلتزم بهذه النقطة فقط، بل يجر النقاش إلى قضايا أخرى كمسائل القضاء والقدر، وتواتر القرآن، ومسائل النبوة وغيرها؛ بغية إحداث نوعٍ من التشتيت للمحاور وإرغامه على بذل مجهد كبير لكي يجيب على كل القضايا والتساؤلات! وهنا الملحد يريد أن يخلق نوعاً من السامة لخصمه، حتى إن أغياه، ترك له المناظرة؛ فيرجع فرحاً إلى قومه أنني أفحّمت المسلمين في عقر دارهم!

وهذه الحيلة ينبغي ألا ينساق وراءها المحاور المسلم، بل لا يكلف نفسه عناء الإجابة إلا على النقطة المتفق عليها، وَبَيْنَ ذلك صراحة ولو كان الحوار مكتوبًا وجاريًّا على منتدى من المنتديات، فيفضل للمراقب الذي يدير الحوار أن يحذف كلَّ شيء لا علاقة له بأصل الموضوع.

6- تجاهل الأفكار المطروحة:

التجاهل بمثابة هروب إلى الأمام من طرف الملحد، حيث لا يجيب إلا على ما أراد ويترك ما سَيُسِّبِّ له صعوبة في الرد وسيحرجه أمام الناس أثناء المناظرة، فيدخل في انتقائية بغيضة تمس جوهر المناظرة! ولسان حاله يقول: "إن تجاهلتُ أفكارك وأجبتُ على ما أريد فقط فيه إضعافٌ لمداخلتك"، فالمخالف يعني مداخلته على أساس

إيقاع القراء والمحاور في النسيان، فيشرع في تفصيل مداخلته على جزء من المسألة فقط ويبنّها بشكل يحرفك إليها حتى لا تتذكر ما أسلفت آنفًا.

وهنا ينبغي للمحاور المسلم أن يشترط قبل البدء بالمناقشة بـألا يترك مخالفٌ نقطة إلا وعلق عليها، وكذلك المحاور يتلزم بذلك أيضًا في إطار موضوع المناقضة المتفق عليه.

وعليك في حالة الحوار المكتوب حينما تفرغ من قراءة مداخلة مخالفك أن ترجع إلى مداخلتك الأصلية؛ لتعيد قراءتها واستذكار ما تجاهله الملحد من أفكار وإلزامات.

7- التركيز على أمرٍ فرعي بغية الإحراج:

وهنا حينما يدخل الملحد لأجل نقاش مسألةٍ فرعيةٍ فقط وذلك من أجل إحراج محاوره فيها، فتجده قد هيأ الشبهات في تلك النقطة، ولا يريد إلا أن يطرحها لكي يُزعزع عقائد العامة ويخرج المحاور، خاصًّا إن تبين له أن المحاور المسلم ليس متعمقًا في الفقه أو الحديث... وهنا قد قررنا في قواعد التناظر أن المحاور المسلم لا ينبغي له أن ينساق إلى أي نقاشٍ فرعي يجتازُ الملحد، حتى يستكملاً معاً التباحث في المسائل الأصولية.

8- ادعاء العلم بمصنفات الإسلام والتعمق فيها:

لكم هو سهلٌ أن يدخل علينا الملحد لكي يخبرنا أنه متعمق في مصنفات الإسلام خاصة مع توفر الكتب الإلكترونية ووفرة المعلومات ومحركات البحث العنكبوتية، حتى إن سأله عن فحوى كتابٍ تجد بضريبة زر قدقرأ تلخيصاً له ودراسة عنه، فينسخ لك ما وَجَدَ؛ لكي يثبت دعوى أنه قرأ وتعمق!

ولذلك فإنَّ المحاور المسلم إذا كان في نقاشٍ مباشرٍ يرى فيه خصمه، سيُسهل عليه أن يحرجه بسؤاله عن كتابٍ بعينه، وهو الشيء الذي لا يمكن أن يفعله أثناء الحوار الكتابي.

أما إن كان في حوارٍ لا يرى فيه من أمامه، عليه في تلك الحالة أن يكون فطنًا؛ ليتسنى له كشفَ كذبه، وذلك بتترك هذا الدّاعي يستغرق في الحوار، حتى إذا نسيَ كذبَ ما ادعاه، يأتي هو ليواجهه برأي عالمٍ فلانيٍّ، ادعى هذا الملحد أنه قرأ له، ثم يسأله عن رأيه الشخصي فيه، أو يقول له: "ألم تقرأ كلام العالم الفلاني في كتابه الذي قرأتَ، والذي يذكر فيه: كذا وكذا؟"، ثم يصرّ له بقولِ لم يقله العالم؛ ليرى هل سيراجعه في ذاك أم سيتابعه؟، ويردّ فعل الملحد والتي غالباً لا يراجع فيها خصمه، يظهر أنه كاذبٌ أَشِرَ، وهنا وجب على المحاور المسلم أن يُشنّع عليه؛ ليثبت للناس كذبه.

9- النسخ واللصق من شهادات المستشرين والمنصرين:

وهذه الحيلة يلتجيء إليها الملحد؛ لضعفه الثقافي والعلمي، حيثُ يضطر إلى نسخ ما يجد في الواقع؛ بُغْيَةً أن يُقال أنه عارفٌ مناظرًا! وهنا ينبغي للمحاور أن ينسخ كلمة أو كلمتين من مداخلة الملحد ويعرضها على محرك البحث، فإن وجد أن الرجل ناسخ لا يعرف شيئاً، فضحه أثناء المناقضة، وحينها سيُضطر إلى عدم النسخ وسيبدل مجهودًا أكبر في النقاش، وهنا سيُسهل على المحاور دحض حججه الواهية، وكشف عواره وضعفه للناس؛ كالمصارع الذي يتحداك في الحلبة ولم يبلغ مبلغ الاحتراافية فيها، فحينها سيُسهل عليك نزاله وصارعه.

10- السخرية والاستهزاء بالمعتقدات الإسلامية:

طبعاً من حين لآخر ستتجد هذا النوع من الملاحدة منتشرًا، فهو لا يريد إلا تفريغ حقده وبغضه للدين وللمتدينين، والتفيس عن مشاعره، وفي هذه الحالة ينبغي أن يُحذَّف كلام الملاحد جملة وتفصيلاً، وأن يحذره مدير الحوار، فإن عاد، أوقفت المناظرة؛ لعدم التزامه بالأداب العامة للتناظر.

وقد جاء الشرع مؤكداً لنا حرمة البقاء في مجلس يضمّ استهزاءً بمعتقداتنا، يقول الله عز وجل: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنِ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفِرُ بِهَا وَيُسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعْهُمْ حَقَّ يَحْوُضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مُّثِلُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً} [النساء: 140].

11- التدليس على المصنفات الإسلامية:

وهي حيلة يستعملها الضعيف من الملاحدة وقد ورثوها عن المنصرين الحاقدين على الإسلام، وهي حينما يلتصق أحدهم بعالمٍ من العلماء شيئاً لم يقله في شناعة، ويقول لك ارجع إلى الكتاب الفلازي والصفحة الفلانية، فالمحاور غالباً حينما يأتيه الملاحد بمثل هذا لا يرجع إلى الكتاب ويظنّ سلامة النقل، فيبدأ بالاعتذار للعالم وأن العصمة دفنت بدن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو حق.

لكن على المحاور إلا يثق بهؤلاء مطلقاً، ودائماً ما يجب عليه أن يتبع الحيطة والحذر ويثبت في النقل ويرجع للمصنف قبل أن يجيب، حتى إن كان النقل صحيحاً قرأ الاقتباس في سياقه فلعل ذاك الإمام يقصد ما لم يفهمه الملاحد!

أما إن اكتشف التدليس فليفضحه على رؤوس الأشهاد؛ ليسقط الملاحد من عين أصحابه ومتابعيه، فتدليس واحدٌ مفضوح كفيلٌ بأن ينسف كل مقالات وموضع ذاك الملاحد.

12- الكذب على الأطروحات العلمية والمؤلفين:

وهذه الحيلة مقتضاهـا أن يخترع الملاحد نظرياتٍ من عنده وربما أسماء قد تجدها حاضرةً أو غير موجودةٍ فقط، كأن يقول لك قال العالم البيولوجي فلان نظريةً كذا، ثم يخترع لها اسمًا رناناً، حتى إن بحثت لن تجد للنظرية وجوداً ولا الاسم الذي زودك به، أو يخترع نظريةً مع اسم موجود في الساحة العلمية، أو نظريةً موجودة يحرفها لكي تقرر معتقده، وهنا ينبغي للمحاور أن يكون على علم بمختلف الأطروحات العلمية في هذا المجال، فإن لم يكن متخصصاً في العلم الوضعي؛ فليُخلِّ الساحة لمن سَدَّ هذا الثغر، فالخير في التكامل بين المواهب والقدرات.

وهنا ينبغي للمحاور أيضاً أن يبحث في مزاعم الملاحد، وإن لم يجد فليطالبه بالدليل والمصدر، أو فليصور له الكتاب والصفحة التي فيها ذاك الكلام، فإن عجز، فاعلم أنه كَذُوبٌ، وإن صدق في نظرية، فعلى المحاور أن يبين له حدود العلم التجاري أولاً، والفرق بين ما يعتبر حقيقة علمية، وبين نظرية مثل غيرها.

13- قلب كلام المحاور على غير وجهه:

وهنا قد يقلب الملاحد كلام المحاور على غير وجهه، فيقول له أنت قلت كذا وكذا، ويحرفه ثم يجيب عنه: لأن في التحرير إضافاً لكلام المحاور المسلم، فإن لم ينتبه المحاور لكتلة المسائل والمشاغل، انطلت الحيلة على القراء والمستمعين، فعليك أيها المحاور ألا تدخل مناظرة إلا وأنت متفرغ لها، لا تفكـر في غيرها؛ فهو وقت تقطـعـه للـله تعالى وليس للمخلوقـين.

وعليك أن تُنْهِيَ مخالفك لهذه المسألة وتعيد طرح كلامك بشكل أبسط وكلمات دقيقة لا تقبل التأويل، فإن عاد الملحد ليستعمل هذه الحيلة فيمكنك أن توقف الحوار أو تطلب من مدير المعاشرة بأن يتخذ الإجراءات التي يراها مناسبة في مثل هذه الحالة.

فهذه أبرز الحيل التي يستعملها الملاحدة في حوارتهم، يتسلون بها إفحام أهل الدين وإضعاف حججهم وأراءهم، فاحذر رعاك الله من هذه الحيل، وتعامل بها بالشكل الذي قررناه لك آنفاً، ولا تأخذك شفقة أو تجعل للشيطان عليك سبيلاً، فيمَّنِيك بإسلام الملحد إن أنت تراخيت معه وتساهلت ولم تلزمْه! فإنك في موقعة تمثل دينك وتتكلم باسم أمتك، كسفير للإسلام تحمل راية الدعوة، وتَذَرُّ عن بياض الدين وعن حياض الإسلام، فلا يصلاح أن تتعامل كالجمل الوديع مع شخصٍ لا يستحق، كما لا يصلح أن تكون شديداً مع من لا يستحق.

إنما الأمر حسب كلٍّ شخصيةٍ من الشخصيات، وطريقة كلامه، وهل استعمل الحيل أم لم يستعملها؟ وأنت ترجو في الأَخِير رضا الخالق عز وجل، سواءً جعلك الرحمن سبباً في إسلام مخالفك أم لم يجعلك.

كما عليك ألا تكون سريعاً في طلب النتيجة، وتضغط على مخالفك وتطالبه بإعلان إسلامه! بل عليك أن تتمهل، فلربما لن يسلم إلا بعد أن تنتهي مناظرتك بأشهر، ولربما سنوات، فالمعاشرة حتى وإنْ تنته بإسلامه، فإنما تنطبع في ذهنه، وتُعيِّدُ صياغة عقله اللاواعي، وغالباً بعد المعاشرة يجدُ نفسه تهفو أكثر إلى المصنفات الإسلامية، والكتب الفكرية في هذا الصدد.⁽²¹³⁾

(213) بتصرُف: كيف تحاور ملحداً، دليلك المنهجي لمهارات الحوار، أمين بن عبد الهادي خربوعي، ص 104-93

المبحث الثالث: الجدال بالتي هي أحسن

من المعلوم أن الناس يتفاوتون في إدراك الحق، فمنهم من يدركه بنفسه، أو بتعليمه وإرشاده أو وعظه، ومنهم من لا يدركه إلا بالحوار والمناقشة والجدال، ولذا كان الجدال بالتي هي أحسن من الأساليب الأصلية في الدعوة إلى الله، والتي سنسلط عليها الضوء في السطور التالية⁽²¹⁴⁾:

المطلب الأول: الجدال لغةً واصطلاحًا:

أولاًً: الجدال لغة:

"مقابلة الحجة بالحجج؛ والجدال والمجادلة: المناورة والمخاومة والمفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة".⁽²¹⁵⁾

ثانياً: الجدال اصطلاحاً:

قيل: "دفع المرء خصمته عن إفساد قوله: بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومه في الحقيقة".⁽²¹⁶⁾

وقيل: "مقابلة الحجة بالحجج، وكشف الشبه لدى من تجادله بالأدلة المقنعة والبراهين الواضحة، فالمجادلة والجدل في الأصل هو الاحتجاج لتصويب رأي ورد ما يخالفه، فهو حوار وتبادل في الأدلة ومناقشتها".⁽²¹⁷⁾

وقيل: "المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة بقصد إظهار الحق ودحض الباطل".⁽²¹⁸⁾

فالجدال: هو حوار كلامي يفهم فيه كل طرف من الفريقين المتحاورين وجهة نظر الطرف الآخر، ويعرض فيه كل طرف منها أدلة التي رجحت لديه استمساكه بوجهة نظره، ثم يأخذ بتبصر الحقيقة من خلال الانتقادات والاعتراضات التي يوجهها الطرف الآخر على أدلة، أو من خلال الأدلة التي ينير له بها بعض النقاط التي كانت غامضة عليه.⁽²¹⁹⁾

المطلب الثاني: أنواع الجدل:

الجدال والمناظرة نوعان:

- النوع الأول: جدال مماراة:

يماري بذلك السفهاء ويجاري العلماء ويريد أن ينتصر قوله: فهذا مذموم، وهذا النوع من الجدال هو الذي ذمه الله تعالى في غير موضع من كتابه، ومن ذلك قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ} [الحج: 3]، وقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتْبٍ مُنِيرٍ} [الحج: 8]، وقوله سبحانه: {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغُرُّكَ تَقْلِيبُهُمْ فِي الْبِلَادِ} [غافر: 4]. فهذا الجدال المنوع هو "الجدال الذي يفضي إلى باطل ويقوم على الزور والبهتان وإضاعة الحقوق وترويج الشبهات والمنكرات، وكذلك

(214) للاستزاده بنظر: بحث: وسطية الإسلام ودعوته للحوار. د. عبد الرحيم المغدوبي/2-700. للشيخ: صالح بن حميد، والحوار أصوله المنهجية وأدابه السلوكية، للشيخ: أحمد الصويان، وضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة لعبد الرحمن الميداني، والأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية. د. عبد الرحيم المغدوبي/2-700.

(215) ينظر لسان العرب، لابن منظور/11-105، والمفردات في غريب القرآن، للرازي الأصفهاني ص 189.

(216) التعريفات، للجرجاني، ص 74.

(217) البصيرة في الدعوة إلى الله، لعزيز بن فرحان العنزي، ص 123.

(218) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية/2-700.

(219) فقه الدعوة إلى الله: عبد الرحمن الميداني/1-637.

الجدال الذي تناول الغيبيات وما أمرنا بالتسليم والتصديق به".⁽²²⁰⁾

- النوع الثاني: جدال لإثبات الحق وإن كان عليه:

فهذا محمود مأمور به⁽²²¹⁾، وهو المعنى بقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ} [النحل: 125].

وقوله: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت: 46] ولهذا لماً أمر الله بجدال أهل الباطل ودعوتهم به قَيَّدَ ذلك الجدال بالحسن ولم يطلقه؛ ليعلم أن الجدال منه محمود ومنه المذموم.

قال ابن كثير: "من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب".⁽²²²⁾ فالجدال من الأساليب الدعوية التي أمر بها تعالى، ولكنه شرط لها أن تكون بالحسن، " وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها".⁽²²³⁾

الأمر بالمجادلة والتي هي أحسن في نصوص الشرع:

ذكر الله في كتابه مجادلة أهل الكتاب فقال: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت: 46].

"ولَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" إلا بالخصلة التي هي أحسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكم والمشاغبة بالنصح، "إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ" بالإفراط في الاعتداء والعناد أو بإثبات الولد وقولهم يَدُ الله مَغْلُولَةٌ أو بنبذ العهد ومنع الجزية، "وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ"، هو من المجادلة والتي هي أحسن.⁽²²⁴⁾

"قال في الجدال (بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)" ولم يقل بالحسنة كما قال في الموعظة؛ لأن الجدال فيه مدافعة ومغاضبة، فيحتاج أن يكون والتي هي أحسن حتى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة، والموعظة لا تدافع كما يدافع المجادل مما دام الرجل قابلا للحكمة أو الموعظة الحسنة أو لهما جميعا لم يحتاج إلى مجادلة فإذا مانع جودل والتي هي أحسن".⁽²²⁵⁾

ويقول ابن عاشور رحمه الله: " وَعَطْفُ (وَقُولُوا آمَنَّا) إِلَى آخر الآية تَعْلِيمٌ لِمُقدِّمةِ الْمُجَادَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَهَذَا مِمَّا يُسَهِّلُ تَحْرِيرَ مَحَلِّ النِّزَاعِ وَتَقْرِيبَ شُقَّةِ الْخِلَافِ، وَذَلِكَ تَأْصِيلُ طُرُقِ الْإِلْزَامِ فِي الْمُنَاظَرَةِ، وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: قَدِ اتَّقَفْنَا عَلَى كَذَا وَكَذَا، فَلَنَحْتَاجَ عَلَى مَا عَدَا ذَلِكَ، فَإِنَّ مَا أَمْرُوا بِقَوْلِهِ هُنَا مِمَّا اتَّقَقَ عَلَيْهِ الْفَرِيقَانِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هُوَ السَّبِيلُ إِلَى الْوِفَاقِ، وَلَيْسَ هُوَ بِدِاخْلٍ فِي حَيْزِ الْمُجَادَلَةِ؛ لِأَنَّ الْمُجَادَلَةَ تَقْعُدُ فِي مَوْضِعِ الْإِخْتِلَافِ؛ وَلَأَنَّ مَا

(220) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية 2/706.

(221) ينظر كتاب العلم، لابن عثيمين، ص 164.

(222) تفسير القرآن العظيم 4/532.

(223) تيسير الكريم الرحمن ص 404.

(224) أنوار التنزيل للبيضاوي 4/196 باختصار يسir.

(225) الرد على المنطقين ص 468.

أُمِرُوا بِقَوْلِهِ هُنَا هُو إِخْبَارٌ عَمَّا يَعْتَقِدُ الْمُسْلِمُونَ، وَإِنَّمَا تَكُونُ الْمُجَادَلَةُ فِيمَا يَعْتَقِدُهُ أَهْلُ الْكِتَابِ مِمَّا يُخَالِفُ عَقَائِدَ الْمُسْلِمِينَ".⁽²²⁶⁾

ومن النماذج التطبيقية للمجادلة والتي هي أحسن، قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى لِكْمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوْا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران 64].

وكذلك أمر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام أن يجادلا فرعون الطاغية والتي هي أحسن، وأن يلينا له القول، فقال تعالى: {فَقُولُوا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: 44].

وقد بين الله تعالى هذا القول اللين بقوله: {فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَرَىٰ * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} [النازوات: 18-19] بأسلوب العرض لا الأمر.

وذكر الله لنا كذلك في القرآن الكريم نماذج للمجادلة والتي هي أحسن، في دعوة الأنبياء لأقوامهم. وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادل المدعين، سواء مع كفار قريش كما في قصة عتبة بن أبي عبد الله، وسواء كانوا من أصحاب الديانات الأخرى كما في سورة آل عمران التي ذكر الله عز وجل فيها محاورة النبي صلى الله عليه وسلم مع نصارى أهل نجران⁽²²⁷⁾، وكما في عدد من السور التي فيها بيان عدد من المحاورات مع المنافقين وغيرهم.

وفي التاريخ الإسلامي يوجد كثير من النماذج في الجدال والتي هي أحسن مثل محاورة ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج عندما خرج آلاف منهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فأرسل إليهم ابن عباس رضي الله عنهما فناقشوهم، وحاورهم وكشف شبههم حتى عادوا إلى سبيل الحق، وإلى سماع أوامر الخليفة، وطاعة ولادة الأمور.

المطلب الثالث: أهمية الجدال والتي هي أحسن في الدعوة:

الحوار والمجادلة قد جاءت الشريعة ببيان مشروعيتها، وببيان أنها وسيلة إلى الدعوة إلى الله عز وجل، قال سبحانه: {إِذْ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُؤْمِنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل: 125] فجعل المجادلة – وسيلة – من وسائل الدعوة إلى الله عز وجل، فهكذا الحوار.⁽²²⁸⁾

قال عز وجل: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [العنكبوت: 46] فنرى عن مجادلة أهل الكتاب إلا إذا كانت المجادلة بالحسنى، والاستثناء من النفي يكون إثباتاً، فكانه قال: جادلوهم والتي هي أحسن، وقال جل وعلا: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيْهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 111] وهذا فيه نوع من مجادلة ومحاورة.

ويقول ابن القيم: "لمناظرة المبطل فائدتان: أحدهما: أن يُرَدَّ عن باطله ويرجع إلى الحق."

(226) التحرير والتنوير 7/21.

(227) هذه المحاجة دلت عليها الآيات من صدر سورة آل عمران حتى بضع وثمانين آية منها، وانظر في ذلك: جامع البيان 3/161، ومعالم التنزيل 5/2، وزاد المسير لابن الجوزي 349/1، والجامع لأحكام القرطبي 4/3، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير 1/344، والدر المثور للسيوطى 2/141.

(228) أدب الحوار. سعد بن ناصر الشترى ص 9، وأصول الحوار وآدابه في الإسلام، للشيخ صالح بن حميد.

الثانية: أن ينكر شرُّه وعداوته ويتبين للناس أن الذي معه باطل".⁽²²⁹⁾
وقد ذكر الله تعالى في كتابه كثيراً من المخاورة مع الذين كانوا في عهد النبوة، سواءً كانوا من اليهود أو النصارى أو المشركين.

فإن الله عز وجل قد حكى لنا العديد من هذه المخاورة والمناقشات التي تكشف أفكارهم السيئة قال تعالى: {وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [يس 78، 79] وهكذا تعددت الآيات في محاورة أصحاب مثل هذه الأفكار.

قال ابن القيم: "جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم وإقامة الحجة عليهم".⁽²³⁰⁾

فقد عني الإسلام في منهج الدعوة إليه والتعریف به بالجدال بالتي هي أحسن، وذلك أمر لا غرابة فيه أبداً، فالجدال بالتي هي أحسن هو الطريق الأمثل للإقناع، الذي ينبع من أعماق صاحبه، والاقناع هو أساس الإيمان الذي لا يمكن أن يُفرض وإنما ينبع من داخل الإنسان.

وقدم لنا القرآن الكريم نماذج كثيرة من الحوار، منها ما دار بين الله عز وجل وملائكته في موضوع خلق آدم، ومنها ما دار بين إبراهيم عليه السلام وبين الرجل الذي آتاه الله الملك، ومنها الحوار في قصة أصحاب الجنتين في سورة الكهف، وقصة قارون مع قومه، وحوارات الأنبياء عموماً.

وكذلك السنة مليئة بالمواقف الحوارية التي اتخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنجح الوسائل للتعریف بالدين والإقناع به.

ومن هنا يتتأكد أهمية الاعتماد على أسلوب الجدال بالتي هي أحسن في الدعوة من حيث إيضاح حقائق هذا الدين، وهداية العقل وتحريك الوجدان، واستجاشة الضمير، وفتح المسالك التي تؤدي إلى حسن التلقى والاستجابة، والتدريج بالحججة احتراماً لكرامة الإنسان وإغلاءً لشأن عقله الذي ينبغي أن يقتنع على بينة ونور.⁽²³¹⁾

فالغاية من الجدال بالتي هي أحسن إقامة الحجة ودفع الشبهة وال fasid من القول والرأي، فهو تعاون من المجادلين على معرفة الحقيقة، والتوصل إليها، ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق، يقول الحافظ الذهبي: "إني وضعت المناظرة لكشف الحق وإفاده العالم الأذكي العلِمَ من هو دونه وتنبيه الأغفل الأضعف".⁽²³²⁾

ومع ذلك يُعد الجدال عن غايته وشُغِلَ عن ظهور الحق، ووضوح الصواب صار من الجدل العقيم، الذي وردت النصوص في النبي عنه والتحذير منه، حتى إن الذهبي عد هذا النوع من الكبائر في كتابه.⁽²³³⁾

المطلب الرابع: معالم في الجدال بالتي هي أحسن:

اعتنى علماء الإسلام ببيان الآداب والضوابط التي يجب أن يكون عليها الحوار والمجادلة، وذلك في كتبهم الأصولية فإنهم عندما يبحثون في قوادح الاستدلال، والأسئلة الواردة على الاستدلال بالأدلة يجعلون فصلاً

(229) الصواعق المرسلة 4/1276.

(230) انظر زاد المعاد 3/558.

(231) في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص: 16 بتصرف.

(232) فيض القدير 1/209.

(233) الكبائر ص 149.

خاصًّا في أحکام الجدل، وأدبه، ثم إن طائفة من أهل العلم ألفوا مؤلفات مستقلة من هذا الفن في مسعي الجدل على طريقة الفقهاء⁽²³⁴⁾.

- ومن أهم الأمور التي ينبغي للداعية مراعاتها عند الجدال والتي هي أحسن⁽²³⁵⁾:
أولاً: مراعاة أحوال الذين يستخدمون معهم أسلوب الجدال والتي هي أحسن:
حيث يستعمل مع من كان معانداً للحق قائمًا على باطل ويعتقد أنه على الحق، وعنه شبهات وأدلة يستدل بها على باطله؛ ك أصحاب الأديان الباطلة المحرفة، وأهل الفرق التي تنسب إلى الإسلام والتي خالفت منهاج البوة⁽²³⁶⁾.

وقد يكون الجدال والتي هي أحسن والمناظرة في بعض فروع العمليات، وفي هذا الحال فليس شرطًا أن يكون المخالف من أهل الباطل، فقد يكون من الحريصين على متابعة الحق؛ لكنه اعتقد الحق في بعض المسائل على خلاف الصواب فيها مستندًا إلى أدلة وشبهات، فهذا يناظر بالحججة والبرهان والدليل القاطع الذي يظهر له به أن الحق على خلاف ما ذهب إليه.

ثانياً: قصد بيان الحق:

فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من تعلم العلم ليماهيه به العلماء ويتجاري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم".⁽²³⁷⁾

فالملخص أن يكون قصد المجادل والحاصل له على المجادلة الوصول إلى الحق وإظهاره، وإبطال الباطل، وألا يكون قصده هو التشفى من الخصم وإفحامه وإسقاطه؛ خاصة إذا كان الخصم من الحريصين على متابعة الحق وقد زلت قدماه في مسألة من المسائل، فينبغي في هذا الحال ألا تفضي المجادلة إلى العداوة والشقاوة، "فيجادل والتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلًا، ومن ذلك: الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقد بها؛ فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وألا تؤدي المجادلة إلى خدام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق، لا المغالبة ونحوها".⁽²³⁸⁾

ثالثاً: اعتقاد المناظر بأحقيـة الكتاب والسنة، والانطلاق منها في مناظراته:

فقد ذكر ابن تيمية رحمه الله أن أناساً وشوا به عند سلطان الديار المصرية واتهموه بفساد الاعتقاد، فعقد السلطان له مناظرة جمع له فيها قضاة المذاهب الأربع: وغيرهم من نواهيم؛ والمفتين والمشايخ، وقال له: هذا المجلس عقد لك فقد ورد مرسوم السلطان بأن أسألك عن اعتقادك وعما كتبت به إلى الديار المصرية من الكتب التي تدعوا بها الناس إلى الاعتقاد، فقال ابن تيمية رحمه الله في بداية مجادلته: "أما الاعتقاد: فلا يؤخذ عني ولا عن من هو أكبر مني؛ بل يؤخذ عن الله ورسوله وما أجمع عليه سلف الأمة؛ مما كان في القرآن وجب اعتقاده وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة مثل صحيح البخاري ومسلم".⁽²³⁹⁾

رابعاً: وضـوح المنهـج الذي سيـسـيرـ عليهـ الجـدـالـ:

فالوضـوحـ والـعـلـمـ بـمـنهـجـ الجـدـالـ أمرـ مهمـ جـداـ لـكـلاـ المـجاـدلـينـ، فـالـعـرـفـ بـالـطـرـيقـ الـذـيـ يـجـبـ أـنـ يـسـلـكـهـ الدـاعـيـةـ

(234) هو من مؤلفات الشيخ سعد الشثري وهو مطبوع بعنوان آداب الحوار ص 14.

(235) ينظر: فقه الدعوة إلى الله للميداني 1/639-648.

(236) ينظر مفتاح دار السعادة 1/153، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير 4/526، وتيسير الكريم الرحمن ص 452، مجموع فتاوى ابن باز، 4/229.

(237) سنن ابن ماجة، افتتاح الكتاب، باب الانتفاع بالعلم والعمل به (260)، قال الشيخ الألباني: صحيح لغيره، أنظر: صحيح الترغيب والترهيب، برقم (110).

(238) تيسير الكريم الرحمن ص 452.

(239) مجموع الفتاوى 3/161.

في جداله واجب قبل البدء في الجدال مع أي أحد، ومن ثم لا بد من حدوث اتفاق بين الطرفين على ذلك المنهج سواء من حيث الأدلة العقلية أو الخبرية أو حسية، أو من حيث الأسلوب، أو من حيث ترتيب وتنظيم طريقة العرض والرد والإجابة على الأسئلة.

فلا يقبل الداعية أن يدخل في جدال غير واضح المعالم أو غير واضح المنهج، وإلا أصبح مجلس الجدال مجالاً لإثارة الشبه والافتراضات وإعطاء الخصم فرصة لنشر أفكاره دون منهجه واضحة في الرد على تلك الشبهات. وهناك جانب آخر يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار، وهو "تقديم الأهم فالمهم من الحجج والبيانات والأدلة الواضحة المفهمة، مع مجانية إطالة الكلام وغرابة الألفاظ أو الخروج عن صلب الموضوع، وكذلك الحذر من التعارض بين الأدلة أو التناقض بين الحجج، وعدم الطعن في أدلة الخصم إلا ضمن الأمور المبنية على المنهج الصحيح⁽²⁴⁰⁾.

خامسًا: انضباط الموضوع الذي هو محل الجدال:

وذلك أولاً بتحرير موضوع النزاع بين المجادلين، وأن تكون المجادلة واضحة الهدف، وهي: معرفة الحق والدلالة عليه والدفاع عن الإسلام وعقيدته؛ فبدون ذلك تكون المناقضة عبارة عن عبث لا فائدة منه.

ولا ينبغي كذلك أن يجادل الداعية في شيء هو غير متمكن منه، والتنبه إلى أن يكون الموضوع مما يجوز أن تجري فيه المجادلة شرعاً، فلا يجوز المجادلة في ذات الله وأسمائه وصفاته كما قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف: 180]؛ وذلك لأن العقل لا يستطيع أن يدرك هذا الأمر.

ويدخل في هذا كل ما غاب عنا وليس لنا سبيل إلى إداركه، فالجدال فيه من العبث واللغو المنهي عنه.

سادسًا: الابتعاد عن الألفاظ النابية والهمز واللمزو والاستهزاء:

وذلك لأن هذه الأشياء لا تتحقق حقاً، ولا تُبطل باطلًا، وكذلك إن الذي يلزم آداب الحوار والجدال، ويراعي الأحكام الشرعية المتعلقة به، يكون فعله محموداً مُرغباً فيه مثاباً عليه، ومن لم يكن كذلك، ولم يراع الآداب الشرعية، والأحكام المتعلقة به فإنه يكون مذموماً وحينئذ ينبغي أن نتعلم ما هي الآداب التي جاء بها شرعنا فيما يتعلق بالحوار والجدال حتى يكون محموداً مأجوراً مثاباً⁽²⁴¹⁾.

سابعاً: التَّنَزُّلُ مع الخصوم ومخاطبِهِم باصطلاحِهِم حال دعوتهِم والرد عليهم:

وهذا أسلوب قرآنی ذكره الله تعالى في قوله: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [سبأ: 24]، قال القرطبي: "هذا على وجه الإنصاف في الحجة، كما يقول القائل: أحدهما كاذب، وهو يعلم أنه صادق وأن صاحبه كاذب، والمعنى: ما نحن وأنتم على أمر واحد، بل على أمرین متضادین، وأحد الفريقین مهتد و هو نحن والآخر ضال و هو أنت".

وقال تعالى في موضع آخر: {قُلْ إِنْ كَانَ لِرَبِّهِمْ وَلَكَ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} [الزخرف: 81]، قال القرطبي رحمه الله: "المعنى قل يا محمد إن ثبت لله ولد فأنا أول من يعبد ولده، ولكن يستحيل أن يكون له ولد، وهو كما تقول من تجادله: إن ثبت ما قلت بالدليل فأنا أول من يعتقد، وهذا مبالغة في الاستبعاد، أي لا سبيل إلى اعتقاده، وهذا ترقيق في

(240) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية 2/708 باختصار.

(241) تم الحديث عن هذا الموضوع بشيء من التوسيع في الكتاب الثالث من هذه الموسوعة تأهيل الدعاء، في فصل التأهيل المهاري للداعية.

(242) الجامع لأحكام القرآن 14/298.

الكلام، كقوله: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [سباء: 24]

والمعنى على هذا: فأنا أول العابدين لذلك الولد، لأن تعظيم الولد تعظيم للوالد⁽²⁴³⁾، "فإنما في هذا المقام نتكلّم معهم بطريق التَّنَزُّل إِلَيْهِمْ، كما نتنزّل إلى اليهودي والنصراني في مناظرته، وإن كنا عالمين ببطلان ما يقوله، اتباعاً لقوله تعالى: {إِذْ أَدْعُ إِلَيَّ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُوَعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادُلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النَّحْل: 125]"، قوله: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت: 46]، وإلا فعلمنا ببطلان ما يعارضون به القرآن والرسول، ويصدون به أهل الإيمان عن سوء السبيل وإن جعلوه من المعمول بالبرهان أعظم من أنْ يُبَسِّطَ في هذا المكان".⁽²⁴⁴⁾

ثامناً: مراعاة زمان ومكان المجادلة، وحال الأشخاص المتجادلين:

"الجدل قد يكون بالتي هي أحسن، وقد يكون بغير ذلك؛ ويُحتمل أن يرجع ذلك إلى حال المجادل وغلوطته، ولينه وحدته ورفقه، فيكون مأموراً بمجادلتهم بالحال التي هي أحسن وبالبراهين القاطعة والأدلة الدامغة، ويحتمل أن يكون صفة لما يُجادلُ به من الحجج والبراهين، والكلمات التي هي أحسن شيء وأبئتها، وأدله على المقصود، وأوصله إلى المطلوب".⁽²⁴⁵⁾

ولا بد من الأهلية لِكُلِّ المتجادلين فلا يقبل الداعية أن يُجادل من هو أقل منه مرتبة في العلم، فالخطر كل الخطر من مجادلة أهل الجهل والمعاليين.

وكذلك لا بد للداعية إلا يتجادل مع أحد هو لا يعرفه أو لا يعرف مستوى العلم وقدراته وشهاته وأساليبه في الجدال، وأن الداعية لا يتقن محل النزاع المتجادل عليه.

تاسعاً: البعد عن المجادلة إذا كانت تُفضي إلى فتنة وإلحاق ضرر:

فقد جاء في بعض النصوص النبي عن الجدال من هذا النوع، فجاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنا زعيم ببيت في ربع الجنة لمن ترك المراء وإن كان حَقّاً".⁽²⁴⁶⁾

وجاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما ضلَّ قومٌ بعدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتَوْا الْجَدَلَ، ثُمَّ تَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَسِمُونَ} [الرُّخْرُف: 58]".⁽²⁴⁷⁾

وقال الإمام الشافعي: "المراء في الدين يقسي القلب، ويورث الصغار".⁽²⁴⁸⁾

فمجادلة المخالفين إنما يكونقصد منها إظهار الحق وإعلانه وليس حصول الضرب للدعوة وأهلها، فلا بد من الامتناع أو التوقف عن الجدال إذا كان سيؤدي إلى فتنة وفساد أكبر يلحق بالداعية أو الدعوة أو المدعويين.

(243) الجامع لأحكام القرآن/16/119.

(244) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية/1/188.

(245) مدارج السالكين/1/446.

(246) سنن أبي داود كتاب الأدب، باب في حسن الخلق (4800) وحسنه الألباني.

(247) جامع الترمذ في كتاب التفسير، باب سورة الرخرف (3253) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة في افتتاح الكتاب، باب اجتناب البدع والجدل (48) وحسنه الألباني.

(248) سير أعلام النبلاء/10/28.

المطلب الخامس: العلاقة بين الجدل وال الحوار والمناقشة والمناقشة:

الحوار عند العلماء المتقدمين يسمونه الجدل، ويستدلون عليه بقوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي رَوْجَهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [المجادلة: 1] فسمى ذلك الجدل والمجادلة حواراً. وقد ذكر الباحثون فروقاً في المعنى الاصطلاحي والمعنى اللغوي بين هذه الألفاظ وفي الأخير هي متقاربة، فالجدل والمناقشة والمناقشة تعتبر من أنواع الحوار.

- الفرق بين الحوار والجدل: أن الجدل فيه خصومة، أما الحوار فلا يشترط فيه وجود الخصومة.

- الفرق بين المناقضة والحوار: أن المناقضة تقوم على التضاد، أما في الحوار فلا يشترط وجود التضاد.

- الفرق بين الحوار والمناقشة: أن المناقضة تقوم على المحاسبة وبيان الأخطاء، أما الحوار فإنه لا يقوم على بيان الأخطاء فقط.

- الجدل والمناقشة والمناقشة: يشتراكون مع الحوار في المعنى اللغوي، أما في المعنى الاصطلاحي فهناك فروق اصطلاحية بينها، وهي تختلف بين الباحثين.⁽²⁴⁹⁾

المبحث الرابع: أولويات الحوار

إنَّ أَوَّلَ مَا يُجَبُ عَلَيْنَا عِنْدَ مُحاوَرَةِ الْكُفَّارِ هُوَ التَّرْكِيزُ عَلَى قَضَائِيَّةِ الإِيمَانِ وَالتَّعرِيفِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، فَإِنَّهُ إِذَا آمَنَ بِاللَّهِ رَبِّا؛ سَهُلَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَقَبَّلَ أَحْكَامَهُ حَتَّى وَإِنْ لَمْ تَبَيِّنْ لَهُ بَعْدُ حُكْمُهَا وَعَلَلُهَا.

وَإِذَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الدِّينُ الْحَقُّ، وَأَنَّ غَيْرَهُ دِينٌ باطِلٌ؛ سَهُلَ عَلَيْهِ أَنْ يَفْهَمَ لِمَاذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُمْكَنَ لَهُذِهِ الْأَفْكَارِ الْأُخْرَى؟ إِذْ الْأَمْرُ لَا يَتَعَلَّقُ بِمَجْرِدِ مَصْلَحةِ دُنْيَا وَهُوَ مَعْلُومٌ بِمَصْبِرِ أَخْرَوِيِّ، فَإِمَّا إِلَى جَنَّةٍ أَوْ إِلَى نَارٍ - عِيَادًا بِاللَّهِ -.

وَإِذَا كَانَ هُؤُلَاءِ الْقَوْمُ يُصْدِرُونَ مِنَ الْقَوْانِينَ مَا قَدْ يَقْيِدُ حُرْيَةَ بَعْضِ الْجَهَاتِ؛ لِظَّهِيرَتِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ يَحْقِقُ لَهُمْ مَصْلَحةً أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُمْ مَفْسَدَةً فَكَيْفَ لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِينَ مَنْعُ مِثْلِ هَذِهِ الْأَفْكَارِ الَّتِي تُفَوَّتُ بِهَا أَعْظَمُ مَصْلَحةٍ وَهِيَ الْحَفَاظُ عَلَى الدِّينِ؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الْتَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ} [البقرة: 21-22].

ولقد أشار اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى ثَلَاثَةِ بَرَاهِينَ دَالَّةٍ عَلَى الْبَعْثِ بَعْدِ الْمَوْتِ، وَقَدْ بَيَّنَهَا مُفَصَّلًا فِي آيَاتٍ أُخَرٍ:

البرهان الأول:

خَلْقُ النَّاسِ، فِي قَوْلِهِ: {أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ}؛ لَأَنَّ الإِيجَادَ الْأُولَى هُوَ أَعْظَمُ بَرهَانٍ عَلَى الإِيجَادِ الثَّانِي، وَقَدْ أَوْضَحَ ذَلِكَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ كَقَوْلِهِ: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثُلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الرُّوم: 27].

وَقَوْلِهِ: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ} [الأنْبِيَاء: 104]. وَكَقَوْلِهِ: {فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي قَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ؟}

(249) ينظر هذا الأمر بتوسيع في بحث علمي بعنوان: الحوار في الإسلام، لزين جابر حسين ص5، من اصدارات: المركز الوطني للمتميزين- سوريا.

وقوله: {أَفَعَيْنَا بِالْخُلُقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبِسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} [ق: 15].

وكقوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ} [الحج: 5].

وكقوله: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشَأَةَ الْأُولَى} [الواقعة: 62].

ولذا، ذكر تعالى أن من أنكر البعث، فقد نسي الإيجاد الأول، كما في قوله: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْyِيْهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةً وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [يس: 78-79].

وقوله: {وَيَقُولُ الْأَنْسَانُ إِذَا مَا مِثُلَ سَوْفَ أُخْرَجَ حَيًا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْأَنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلٍ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا} [مريم: 66-67].

ثم رتب على ذلك نتيجة الدليل بقوله: {فَوَرَّبَكَ لَنْحُسْرَنَّهُمْ} [مريم: 78]، إلى غير ذلك من الآيات.

البرهان الثاني:

خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، المشار إليه بقوله: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً}; لأنهما من أعظم المخلوقات، ومن قدر على خلق الأعظم؛ فهو على غيره قادر من باب آخر.

وأوضح الله تعالى هذا البرهان في آيات كثيرة كقوله تعالى: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} [غافر: 57].

وقوله: {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} [يس: 81].

وقوله: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْyِيَ الْمَوْتَى تَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الأحقاف: 33]، وقوله: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ} [الإسراء: 99]،

وقوله: {أَنَّهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَاهَا} [النازعات: 27]، إلى غير ذلك من الآيات.

البرهان الثالث:

إِحْيَا الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا، فإنه من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت، كما أشار له هنا بقوله تعالى: {وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ}، وأوضح ذلك في آيات كثيرة كقوله: {وَمَنْ آتَيْتَهُ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْتَ عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمْ يُحْyِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [فصلت: 39].

وقوله: {وَأَحَيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتَانِيَّا كَذَلِكَ الْحُرُوفُ} [ق: 11]، يعني: خروجكم من قبوركم أحياه بعد أن كنتم عظامًا رميمًا.

وقوله: {وَيُحْyِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} [الروم: 19].

وقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا أَقْلَمْتُ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلِّي مَيْتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الشَّمَرَاتِ كَذَلِكَ تُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأعراف: 57].

وفي السنة المطهرة؛ قوله صلى الله عليه وسلم: "ما السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَأةً بِأَرْضٍ فَلَاءٍ" وفضل العرش على الْكُرْسِيِّ كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقـة.⁽²⁵⁰⁾

(250) الراوي: أبو ذر الغفارى، أخرجه ابن أبي شيبة في ((العرش)) (58) واللفظ له، وابن حبان (361)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (1/167) مطولاً.

الفصل الثاني: قواعد المحاور في الرد على المخالفين

المبحث الأول: أُسُسٌ مَنْهَجِيَّةٌ فِي الْحِوَارِ وَالرَّدِّ عَلَى الْمُخَالِفِينَ

هناك أُسُسٌ منهجية في الحوار والجدل لمن أراد أن يجادل أو يحاور في مجال الدعوة إلى الله، وبيان محاسن الإسلام، أو في مجال نقد الباطل.

و قبل أن نتطرق إلى تلك الأسس بشيء من التفصيل، نريد أن ننبه أولاً على أن المنهج العام في الرد على المخالفين متماثلٌ، ومع ذلك، ثمة فروقٌ طفيفةٌ ببعض الجزئيات، ومن نظر في ردود شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يجد أنه يرد على الطائفة أو الملة أو الفرقة ثم يبين القواسم المشتركة بينها وبين غيرها من الطوائف الباطلة، على سبيل المثال: رده على النصارى أو الملاحدة في بعض النقاط ثم يقول: "وهذا مثل صنيع المتكلمين"، كما أنه شبه كفر النصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم بكفر اليهود بعيسى، ثم شبه عبث هؤلاء بالنصوص عبث المتكلمين.

وفي خلال السطور التالية، سنطرح بعض الأسس المنهجية في الرد على أمثال هؤلاء من الطوائف المنحرفة، ومنها:

أولاً: الدعوة إلى التوحيد؛ قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ} [الأنبياء: 25].

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 21].

وقوله تعالى: {وَمَا حَلَّفْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} [الذاريات: 56].

ثانياً: ترتيب الأولويات؛ فنبداً بالأهم فالأقل أهمية، ولا نقدم ما حقه التأخير أو العكس، ولقد ذكر الله ذلك في قوله تعالى: {فُلْ يا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوا فَقُولُوا اشْهَدُوا إِلَيْنَا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 64].

وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين أرسله إلى اليمن: "إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، فإنْ هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أنَّ الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإنْ هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أنَّ الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغانيائهم فترتدى على فقرائهم".⁽²⁵¹⁾

وما يلفت الانتباه هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ أولاً بمسألة التوحيد، حيث لا يُقدَّمُ عليها أية مسألة أخرى، ومن ثم علينا أن نبدأ الحوار بما بدأ به الله -عز وجل-، ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ونلاحظ أنَّ كثيراً من الحوارات تنطلق من غير هذا التَّوْجِهِ، ولو انطلقتَ من هذا؛ لاختصَرتَ على نفسك وعلى غيرك من المخالفين الشيء الكثير؛ لأنَّه مَنْ قَبِلَ بِهِذا؛ فهو لما سواه أقبل، ومن رفضه، فلا شيء ستحاكمه؟!

ثالثاً: حَشْدُ الْأَدِلَّةِ عَلَى الْخُصُمِ؛ فلا تقتصر على دليل واحد، حتى وإن بدا لك أنه كافٍ في نسف الشبهة ودحضها، إذ عليك أن تورد من الأدلة كل ما يمكن الاستدلال به من دليل سمعي وعلقي وحسي، ولا تستقل بالأدلة الشرعية في نقض أدلة المجادل، بل إنَّ كُلَّ دليلٍ صحيح عقلي أو تجاري أو حسي أو ضروري، فهو دليلٍ شرعي ينبغي أن تحشده في أدلتكم وتستدل به.

ومن نظر في براهين القرآن، وجد من ذلك الشيء العظيم، فعلى الحق أن يُجلِّبَ بِخَيْلِ الْحَقِّ وَرَجْلِهِ، وَيَحْشُدُ

(251) رواه البخاري 1496 واللفظ له ومسلم 19.

الأدلة حشدًا حتى يسُدَّ على المبطل منافذ السمع والبصر؛ فَيَقْذِفَ بالحقَّ على الباطل، فإذا هو زاهقٌ بإذن الله. ومن نظر في منهج علماء السلف في تأصيل العقيدة أو الرد على المخالف فيها يجد أنهم قد يُورِدون عشرات الأدلة على المسألة الواحدة، وما كتاب التوحيد لإمام الأئمة ابن خزيمة أو كتاب العلو للذهبي أو الواسطية إلَّا شاهدٌ على ذلك، فقد تضمنَت عشرات الأدلة على مسائل معدودة.

رابعًا: مراعاة الفروق بين المدعوين والمحاورين؛ ولذا نوع القرآن في أدلته بين أدلة تناسب أصحاب الحrust، وأدلة تناسب أهل الحواضر، وأخرى تناسب من يركب البحر، ورابعة تناسب من يطير في الفضاء، الخامسة تناسب أهل العقول والنظر، واستشهد الله بأعظم وأجل شاهد على أجل مشهود، قال تعالى: {شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [سورة آل عمران: 18].

كما استدل بأحرق موجود وأدناه كالبعوض والذباب، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعْوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا مَثَلًا يُضْلِلُ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضْلِلُ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ} [سورة البقرة: 26].

قال الشيخ ابن عاشور رحمه الله في تفسيره: "عند قوله جل شأنه: {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةً بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًّا وَمِمَّا يُوَقِّدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةً أَوْ مَتَاعً زَبَدًا مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقُّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْقَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ" [الرعد: 17]، وهذا تمثيل آخر ورد استطرادًا عقب ذكر نظيره يفيد تقريب التمثيل لقوم لم يشاهدوا سيل الأودية من سكان القرى مثل أهل مكة وهم المقصود، فقد كان لهم في مكة صواغون كما دل عليه حديث الإذخر، فقرب إليهم تمثيل عدم انتفاعهم بما انتفع به غيرهم".⁽²⁵²⁾

خامسًا: نقض أدلة الخصم متدرجًا من الأدنى إلى الأعلى؛ ومن الدليل الضعيف إلى الدليل الأقوى وهو عكس مسلك مناقشة المسائل؛ لأن الأدلة إذا تهافتت، ورأى المبطل أن أدالته التي يعتد بها، ويراها ناصرة للدليل الأقوى بدأت تتتساقط؛ هان عنده الدليل الأقوى؛ ألا ترى أن إبراهيم الخليل بدأ في نقض ألوهية الإله الأدنى وهو نقض عبادة الكوكب ثم تدرج إلى الأعلى؟! وكذلك كسر الأصنام وترك الكبير؛ ليكون سقوط الأدنى مُهِبِّاً لسقوط الأعلى؟!

وكذلك قوله تعالى: {وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخْدُنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [سورة الزخرف: 48]. قال ابن جرير رحمه الله: "القول في تأويل قوله تعالى: (وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخْدُنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)، يقول تعالى ذكره: وما نُرِي فرعون وملاه آية، يعني: حجته لنا عليه بحقيقة ما يدعوه إليه رسولنا موسى (إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) يقول: إِلَّا التي نريه من ذلك أعظم في الحجة عليهم وأؤكد من التي مضت قبلها من الآيات، وأدل على صحة ما يأمره به موسى من توحيد الله".⁽²⁵³⁾

هذه القاعدة ليست دائمة صحيحة فتارة تجد العكس صحيحًا كما في قاعدة "احترام ترتيب القوى الاستدلالية عند الأستاذ أمين خربوعي (وغيره) إذ يقول:

(252) التحرير والتنوير (13/118).

(253) جامع البيان (21/614).

"ينبغي عليك أيها المحاور أن تحترم القوة الاستدلالية في مناظرتك، فالأدلة ليست سواء في قوتها وحجيتها، فلا يغرنك ضعف الخصم فتقول في نفسك سوف أقدم أضعف الاستدلالات ثم أؤخر أقواها، بل عليك تقديم أقواها وتأخير أضعافها، فقد يكون في الحاضرين من يُضيّق عليك في مقام آخر، خاصة في الحوار الكتابي، لأن يفتح عليك رابطًا للتعليق في المناظرة ويُضعف من منزلتك وقوه خطابك.

وبما أنَّ المناظرة هي سبيلٌ إلى طرح حجية الحق على كافة المتابعين، وستبقى مرجعاً يرجع إليه إخوانك ومخالفوك على سواء؛ لذلك ينبغي عليك أن تبدأ بأقوى الأدلة الشرعية التي نص عليها القرآن الكريم في إثبات وجود الله عز وجل، كدليل الخلق على وجود الخالق، ودليل الفطرة، وغيرها، ولا تقديم الأدلة الكلامية التي فيها أخذٌ ورد، بل إنِّ استطعت، فلا تتكلم فيها، أو أَخْرِحْها كأدلةٍ تابعةٍ في المستوى الثاني أو الثالث؛ لتنصر الأولى من باب زيادة الإفحام".²⁵⁴

سادسًا: ضمُّ الخصم إلى خصمه؛ وجعلهم في دائرة واحدة فإنَّ المبطل ربما رأى أنه على حق وأنَّ المخالف الآخر مخطئ، فإذا سلّكهم الحق في سلك واحد ظهر عوارهم وتبيّن توافقهم على القول الساقط، وهذا نراه في القرآن كثيراً فالقرآن يجمع المتماثلات من الضلالات ومن الضلال وهذا كثير.

سابعاً: إثباتُ أنَّ الضلال الذي يقوله الخصم مسبوقٌ إليه؛ وأنَّه ليس هو من فتقه، ولا أول من قال به، فهذا يكسر حدة الخصم، و يجعله في موضع المقلد التابع، قال تعالى عن أمثال هؤلاء: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ التَّصَارَى الْمُسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذُلِّكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ فَاتَّلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [سورة التوبة: 30].

وعن أبي واقد الليثي، أنَّ رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يُقال لها ذاتُ أنواطٍ، يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذاتَ أنواعٍ كما لهم ذاتُ أنواعٍ، فقال النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سبحان الله هذا كما قال قوم موسى: {إِنَّمَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّمَا لَهُمْ آلَهَةٌ} ⁽²⁵⁵⁾ والذى نفسي بيده لتركين سنة من كان قبلكم".⁽²⁵⁶⁾

ثامناً: عدمُ التَّسْلِيمِ للمُخَالِفِ بِالْمُصْطَلَحَاتِ الْبَاطِلَةِ؛ أوَّلَيْهِ تَضَمَّنَ حَقًّا وَبَاطِلًا حَتَّى تُبَيَّنَ بَطْلَانَهَا أَوْ تُبَيَّنَ مَا فِيهَا مِنْ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؛ لِأَنَّ اسْتِخْدَامَ الْمُصْطَلَحِ دُونَ بَيَانِ مَا تَضَمَّنَهُ؛ يُلَيِّسُ عَلَى الْمُتَلَقِّيِّ، وَقَدْ يَحُولُ دُونَ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ، وَلَا بَأْسَ مِنَ التَّنَزِيلِ مَعَ الْخَصْمِ فِي اسْتِخْدَامِ مُصْطَلَحَاتِهِ بَعْدَ بَيَانِ مَا فِيهَا كَمَا ذَكَرْتُ، وَقَالَ شِيخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحْمَةُ اللَّهِ: "وَالْأَلْفَاظُ فِي الْمَخَاطَبَاتِ تَكُونُ بِحَسْبِ الْحَاجَاتِ، كَالسَّلاحُ فِي الْمَحَارِبَاتِ".⁽²⁵⁷⁾

تاسعاً: أنْ يَتَحَاوَرَ الْمُسْلِمُ مِنْ وَاقِعِ الْاعْتِزَازِ بِهَذَا الدِّينِ، وَمِنْ مُنْطَلِقِ الْغَلَبَةِ لَهُ وَلَأَدْلِتَهُ وَبَرَاهِينَهُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ يَدُخُلُ وَهُوَ خَائِفٌ أَوْ مَهْزُومٌ، فَأَنَّ لَهُ أَنْ يَنْتَصِرُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، وَهُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَمْثَالِ لِسَلْفِنَا الصَّالِحِ وَالْمُتَّقِدِّمِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، مِنْهَا:

254 كيف تحاور ملحداً، دليل المنهجي لمهارات الحوار، أمين بن عبد الهادي خربوعي، ص 83-91.
255 الأعراف: 138.

(256) رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح (2180) وأحمد (21897).
(257) مجموع الفتاوى لابن تيمية (4/ 107).

- قال أبو بكر المروذى: وقال لي ابن أبي حسان الوراق: "طلب مني أبو عبد الله وهو في السجن كتاب حمزة في العربية، فدفعته إليه، فنظر فيه قبل أن يمتحن".⁽²⁵⁸⁾

- أخبرني أبو عمرو عثمان بن عمر قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون، وأخبرنا محمد بن علي السمسار قال: "رأيت شيخاً قد جاء إلى أبي عبد الله وهو مريض، فجعل يبكي وقال إنه من حضر ضربه، فلما خرج سمعته يقول: والله، لقد كلامت ثلاثة من الخلفاء ووطئت بسطهم ما هبّتهم وما دخلني من الرعب ما دخلني منه وهو مسجى، والله لقد رأيته يناظر وهو عال عليهم قوي القلب، والمعتصم يكلمه ويقول: أجبني إلى ما أسألك، أو شيء منه، فيقول: لا أقول إلا ما في كتاب الله أو سنة رسول الله، فيقول له: لا تقول: القرآن مخلوق؟ فيقول له: وكيف أقول ما لم يقل؟ قال الرجل: فقلت لرجل كان إلى جانبي: ما تراه ما يزهّب ما هو فيه، ولا يلحن في مثل هذا الوقت، والسياط والعقابين بين يديه، وليس في يده منه شيء".⁽²⁵⁹⁾

- قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "لكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حججه وبيناته، فلا تخف ولا تحزن، إنَّ كيد الشيطان كان ضعيفاً، والعامي من الموحدين يغلبُ الألف من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى: {وَإِنَّ جُنَاحَنَا لَهُمْ الْغَلِيلُونَ} [سورة الصافات: 173]."⁽²⁶⁰⁾

عاشرًا: الاعتماد بالدرجة الأولى على الأدلة العقلية النقلية؛ ففيها كفايةً وهدىً وبيانٌ لا يوجد في غيرها، وفيها يُسرُّ وقربُ يفهمها المتلقى من أول وهلة كما في قوله تعالى: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُوْنِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [سورة لقمان: 11].

- قال شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله: "أنَّ ما عداه من كتب الناس وأراءهم ومعقولاتهم بين علوم لا ثقة بها، وإنما هي آراء وتقليد، وبين ظنون كاذبة لا تغنى من الحق شيئاً، وبين أمور صحيحة لا منفعة للقلب فيها، وبين علوم صحيحة قد وعوا الطريق إلى تحصيلها، وأطالوا الكلام في إثباتها، مع قلة نفعها، فهي: (لَحْمُ جَمَلٍ غَثَّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ وَعَرِّ، لَا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى، وَلَا سَمِينٌ فَيَنْتَقِلُ)".⁽²⁶¹⁾

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وابن الفارض - من متأخرى الاتحادية - صاحب القصيدة التائية المعروفة (بنظم السلوك) وقد نظم فيها الاتحاد نظماً رائق اللفظ، فهو أخبث من لحم خنزير في صينية من ذهب، وما أحسن تسميتها بنظم الشكوك، الله أعلم بها وبما اشتغلت عليه، وقد نفقت كثيراً وبالغ أهل العصر في تحسينها والاعتداد بما فيها من الاتحاد".⁽²⁶²⁾

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "بل الأمر، ما عليه سلف الأمة وأئممتها أهل العلم والإيمان، من أنَّ الله سبحانه وتعالى يَبَيَّنَ من الأدلة العقلية التي يُحتاجُ إليها في العلم بذلك ما لا يَقْدِرُ أحدٌ من هؤلاء قَدْرُه، ونهاية ما يذكرون أنه جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجهٍ، وذلك كالأمثال المضروبة التي يذكرها الله تعالى في كتابه التي قال فيها: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} [سورة الروم: 58]."⁽²⁶³⁾

(258) الرد على الجهمية المقدمة (1/47).

(259) الإبانة الكبرى لابن بطة (264/6).

(260) كشف الشهابات (14/1).

(261) إغاثة اللهفان من مصادف الشيطان (44/1).

(262) مجموع الفتاوى لابن تيمية (74/4).

(263) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (1/129).

- قال ابن أبي العز الحنفي رحمة الله: "إذا تأمل الفاضل غاية ما يذكره المتكلمون وال فلاسفة من الطرق العقلية، وجد الصواب منها يعود إلى بعض ما ذكر في القرآن من الطرق العقلية بأفصح عبارة وأوجزها، وفي طرق القرآن من تمام البيان والتحقيق ما لا يوجد عندهم مثله، قال تعالى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}":⁽²⁶⁴⁾

ولا يخفى أنَّ مخاطبة العقول على أنواعٍ

- منها: ما يعود إلى طريقة الخطاب وأسلوبه كالسؤال، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: ما تعدون المفلس فيكم؟ - ومنها: استعمال القياس، كما في قوله تعالى: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةً وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [سورة يس: 78-79]، وفي الحديث عن جابر بن عبد الله، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بالسوق، داخلاً من بعضاً العالية، والناسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدِيِّ أَسْكَ مَيِّتٍ، فَتَنَاؤَلَهُ فَأَخَذَ بِأَذْنِهِ، ثُمَّ قَالَ: "أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدْرُهِمٍ؟ فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: أَتَحْبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟ قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْنَا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسْكٌ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: فَوَاللهِ لَلَّذِي أَهْوَنَ عَلَى اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ":⁽²⁶⁵⁾

- ومنها: ما يعود إلى طريقة إبطال أقوال المخالفين لإبراز التناقضات العقلية في كلام الخصم، كما في قوله تعالى: {أَفَنَجِعُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [سورة القلم: 35-36]، وقوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسْبَحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [سورة الأنبياء: 22]

- ومنها: ما يعود إلى بيان مكانة العقل، وأنه تابع للنقل وأنه مناط التكليف وليس مصدر التشريع، كما في قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبُنَا وَقُلْنَا مَا نَرَأَى اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَثِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [سورة الملك: 8-10].

الحادي عشر: رد بعض أدلة المخالفين ببعضها ببعض؛ فلا تكاد تجد دليلاً يستدل به المبطل إلا وتجد من حزبه من يرد هذا الدليل، وفي هذا إسقاطٌ لأداته، وهذا استعمله السلف مع المخالفين، فيردُونَ على المعتزلة ببعض أدتهم وبأدلة الأشاعرة، ويُردُونَ على الأشاعرة ببعض أدتهم وبأدلة المعتزلة.

الثاني عشر: أنَّ الدَّلِيلَ الصَّحِيحَ يَدْلُلُ عَلَى الْحَقِّ وَلَا يَدْلُلُ عَلَى الْبَاطِلِ؛ ولو تدبرت النص الذي يستدل به المبطل من القرآن الكريم أو من السنة لوجدت أنه دال على الحق؛ لأنَّ الدليل الصحيح هو في صف الحق، ولو استدل به المبطل فعليك أن تتدبره؛ لتقلب الدليل عليه، فالله عز في علاه يأبى أن يُدْلِلَ بِدَلِيلٍ صَحِيحٍ عَلَى أَمْرٍ باطِلٍ.

الثالث عشر: تتبعُ الضَّلَالِ وَبَيَانُ سَبِيلِهِ، ومن أين أتى! لأنَّ هذا يُوضَّحُ للمبطل نَسْبُ ضلاله، فربما أَنْفَ من الضلال إذا عرف مصدره الأول.

الرابع عشر: إِلَزَامُ الْمُخَالِفِ بِمَا يُفْضِي إِلَيْهِ قَوْلُهُ؛ وأنَّ هذا اللازم يرفضه العقلاة والأمم جميعاً، وإلزامه بتناقضاته في دلائله وموافقه، كما تلزم النصراني ببشرية المسيح؛ لأنَّه يأكل الطعام؛ فكيف يكون إلها؟

(264) شرح العقيدة الطحاوية (76/1) كشواهد البعث والوحدانية كآية البقرة وأية فصلت.

(265) مسلم (2975).

الخامس عشر: شُمُولُ الْخِطَابِ لِكُلِّ فِتَنَاتِ الْمَدْعُوِينَ؛ فَلَا تَقْصُرْ حوارك على فئة دون أخرى، وهذا ظاهر في دعوات المسلمين عليهم السلام.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قال: "كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ لِكِلَامِكِ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظُكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدُهُ تُجاهِلُكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعْتُ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحْفُ".⁽²⁶⁶⁾

السادس عشر: عَدَمِ الْمَدَاهِنَةِ فِي قَوْلِ الْحَقِّ؛ قال الحق سبحانه وتعالى: {وَدُوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [القلم: 9]. وعن أبي سعيد الخدري، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ خَطِيبًا، فَكَانَ فِيمَا قَالَ: "لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةً النَّاسِ أَنْ يَقُولَ فِي حَقٍّ إِذَا رَأَهُ، أَوْ شَهَدَهُ أَوْ سَمِعَهُ".⁽²⁶⁷⁾

السابع عشر: الْحَذَرُ مِنِ الْاسْتِجَابَةِ لِلْمَدْعُوِينَ أَوِ الْخُضُوعِ تَحْتَ نُفُوذِ الْمَخَاطِبِينَ؛ انظر مثلاً كيف صور الله بعض الجماهير المتلقية وهي تحاول استمالة النبي صلى الله عليه وسلم عن مقررات الوحي وتبعده بأي تنساق خلفه وتنصره، فقال عز وجل: {وَإِنْ كَادُوا لِيَفْتَنُوكَ عَنِ الدِّيَارِ أَوْ حَيَّنَا إِلَيْكَ لِتُفْتَرِي عَلَيْنَا عَيْرَهُ وَإِذَا لَأَتَخْذُوكَ خَلِيلًا} [سورة الإسراء: 73].

وقد يُزَيِّنُ الشيطان للداعية أنَّ المدعويين يمكن أن يستجيبوا ويكونون مسلمين إذا بدَّل بعض الوحي، وقد حذر الله نبيه من ذلك، فقال جل ثناؤه: {وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّكَ لَقَدْ كَدَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذَا لَأَذْقَنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَحْدُدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا} [سورة الإسراء: 74-75].

كما أخبرنا الله عز وجل عن غاية المخالفين وطلبهم المستمر بالتغيير والتبدل كما في قوله عز شأنه: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلْتُهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [سورة يونس: 15]، فليكن المسلم على حذر من ذلك.

الثامن عشر: دَعْوَةُ الْمَعَانِدِ إِلَى التَّمَمِّنِ فِيمَا يُعْرَضُ عَلَيْهِ بِتَجَرِّدٍ؛ قال الله جل ثناؤه وتقديست أسماؤه: {قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدِي عَدَابٍ شَدِيدٍ} [سورة سباء: 46]، وتلك الواحدة أن تقوموا لله بالنصيحة وترك الهوى، (مثنى) يقول: يقوم الرجل منكم مع آخر فيتصدقان على المناظرة: هل علمتم بمحمد صلى الله عليه وسلم جنوًا قط؟ ثم ينفرد كل واحد منكم، فيتفكر ويعتبر فرداً: هل كان ذلك به؟ فتَعْلَمُوا حينئذٍ أنه نذير لكم، قوله (ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ) يقول: لأنَّه ليس بمحاجون⁽²⁶⁸⁾، وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ} [سورة الأعراف: 184].

التاسع عشر: الْعِنَاءَةُ بِالْإِجْمَاعِ؛ سواء ما أجمع عليه السلف، أو كان ما أجمع عليه أهل الإسلام، أو ما أجمعت عليه الأمم، وهذا كل بحسبه وبحسب من تُجَادِلُ وتدُعُو.

(266) رواه الإمام أحمد في مسنده (2763)، ورواه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح (2516).

(267) رواه أحمد في مسنده واللفظ له (11017)، والترمذى (2191)، وصححه الألبانى

(268) الطبرى (418/20).

العشرون: عَدَمُ الانتِقَالِ مِنْ مَسْأَلَةٍ إِلَى أُخْرَى قَبْلَ إِحْكَامِهَا؛ وبيان ما فيها من الحق والباطل؛ لئلا يتشتت المتكلّي، وقد يفهم بعض المتابعين والمتعلّقين أن هذه المسألة ليس للحق فيها قول حاسم؛ لذا قبل الحق الانتقال عنها.

الحادي والعشرون: أَنْ يُبَيَّنَ لِلْمُحَاوِرِ بِشَاعَةً أَمْ هُوَ يَسْتَبِشِعُهُ غَایَةَ الْاسْتِبْشَاعِ، فإذا سلم بـشناعته يقال له: "ما تعتقد أعظم بشاعة من هذا الذي تنفر منه"، ولقد بيّنَ شيخ الإسلام بشاعة الدّعاء أنَّ اللَّهَ صاحبة وزوجه ومع ذلك فإنَّ الدّعاء أنَّ اللَّهَ ولد أعظم منها.

الثاني والعشرون: أَنْ يُبَيَّنَ لِلْمُحَاوِرِ أَنَّ الذِّي يَنْفِرُ مِنْهُ عِنْدَ خَصْمِهِ قَوْلُهُ أَشَدُّ بِشَاعَةً مِنْهُ، فالنصراني يرى عبادة العجل في غاية الضلال، لكن دعوى الولد أعظم منها.⁽²⁶⁹⁾

الثالث والعشرون: أَنْ تعلم علم اليقين أنَّه ما مِنْ أَصْلٍ شَرْعِيٍّ أو مَسْأَلَةً أَصْلِيَّةً في دِينِ اللَّهِ لا يَدْلُلُ عَلَيْهَا إِلَّا دليل عقلي غير نقلٍ؛ بل كل أصل من أصول الشرع فقد دل عليه الكتاب والسنة أو أحدهما؛ لأن القرآن والسنة فيما الكفاية والشفاء، فالله قد أكمل الدين وأتم النعمة ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَكُفِّهُمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتَلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذُكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [سورة العنكبوت: 51]. فلا ينبغي لطالب العلم أن يبحث عن أدلة الأصول الشرعية في غير القرآن الكريم والسنة النبوية، لكن لا مانع أن يعتمد أدلة الوجي ببعض الأدلة العقلية التي لا تخالف الوجي؛ لأن الدليل العقلي الصحيح من الشرع.

الرابع والعشرون: عَلَيْكَ بِالْعَدْلِ مَهْمَا كَانَ خَصْمُكَ ظَالِمًا أَوْ عَادِلًا أَوْ قَرِيبًا أَوْ بَعِيدًا؛ فإنَّ اللَّهَ أَمْرَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِالْعَدْلِ حَتَّى مَعَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ صَدَوْهُمْ عَنِ الْبَيْتِ، قَالَ تَعَالَى: {وَلَا يَجِرِّمَنَّكُمْ شَتَّانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالثَّقَوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [سورة المائدة: 2].

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَّابِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجِرِّمَنَّكُمْ شَتَّانُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلثَّقَوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [سورة المائدة: 8].

وعليك بالإحسان والبر؛ فإن إحسانك للمخالف مما يؤلف قلبه ويدعوه لقبول الحق الذي معك، قال تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبْرُوْهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [سورة الممتلكة: 8].

وقال تعالى: {فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا غَلِيلَ الْقَلْبِ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَارِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَرَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [سورة آل عمران: 159].

وهنالك المزيد من الأسس المنهجية في التخصص منها: النفي – كما الإثبات – يحتاج إلى دليل؛ فلا نقبل من أحد أن ينفي وجود الله بدون حجة ولا دليل، فتبقى مجرد دعاوى واهية، ولا يمكن للحد أن يقيم البرهان على إلحاده. إن الملاحدة لا يُقرُّونَ بأنهم لا يمتلكون أي دليل على نفي وجود الله، وإنما هي مجرد شكوك، والشك لا يبُرُّ النفي القاطع، وعدم الدليل ليس دليلا على العدم.

فَالْمُلْجِدُ لَا يَبْذلُ جهداً جاداً للتعرف على الإسلام حتى يُمْرِكَ حياته على تلك الفكرة، ولا توجد نظرية علمية

(269) هذه وما قبلها بيّنها شيخ الإسلام في الجواب الصحيح 2/138-140.

يمكنها أن تبني وجود الخالق؛ لذا فلا وجود للملحد حقيقة؛ لأنَّ غاية ما يمكن للملحد أن يقوله: "لَمْ يَثُبِّتْ عَنِي وَجُودُ الْخَالِقِ"، وأما أن يقول: "عندِي دليل على عدم وجود الخالق"، فهذا مجرد ادعاء يطالِب صاحبه بالدليل، فأنا على سبيل المثال أستطيع أن أَدَعِي عدم وجود مدينة اسمها نيويورك؛ لأنِّي لم أَرَهَا. وإن قالوا: لسنا نحن مَنْ يُطَالِبُ بِإِقَامَةِ الدَّلِيلِ عَلَى وَجُودِ الإِلَهِ، وإنما المطالِبُ بِذَلِكَ هُوَ الْمُؤْمِنُ بِوَجُودِ الإِلَهِ!، في هذه الحالة على المؤمن أنْ يعي أنَّ عليه إِقَامَةِ الدَّلِيلِ عَلَى وَجُودِ اللَّهِ، ويُؤكِّدُ أَنَّهُ لَمْ يَبْنِ اعتقادَهِ إِلَّا بالحجج والبراهين العقلية والعلمية اليقينية.

الخامس والعشرون: مُطَالَبَةُ الْمُخَالِفِينَ بِإِثْبَاتٍ صِحَّةِ نَقْلِهِمْ أَوْ سَلَامَةِ اسْتِدْلَالِهِمْ، فَكُلُّ دُعْوَى لَا بَدَّ مِنْ إِقَامَةِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ، بِدَلِيلٍ نَقْلِيٍّ صَحِيحٍ أَوْ عَقْلِيٍّ صَرِيحٍ

قالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالَهُ: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 111]، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالَهُ: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شُرُكٌ فِي السَّمَاوَاتِ إِنْ تُؤْنِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةً مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الأحقاف: 4]، فَطَالَهُمْ أَوْلًا بِالطَّرِيقِ الْعَقْلِيِّ، وَثَانِيَا بِالطَّرِيقِ السَّمْعِيِّ، حِيثُ إِنَّ الْكَثِيرَ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ يَسْتَدِلُّ عَلَى بَدْعَتِهِ بِنَقْلٍ ضَعِيفٍ أَوْ مَوْضِعٍ، أَوْ دَلَالَةٍ ضَعِيفَةٍ، أَوْ بَعْقَلٍ فَاسِدٍ؛ أَمَّا أَهْلُ الْفَلْسَفَةِ وَالْكَلَامِ فَيَكُثُّرُ عَنْهُمُ الْاسْتِدْلَالُ بِالْأَقِيسَةِ الْعَقْلِيَّةِ الْفَاسِدَةِ، أَوِ الْاحْتِمَالَاتِ وَالتَّجَوِيزَاتِ.

السادس والعشرون: عدم الخلط بين الفرضيات والحقائق:

يجب عدم إذابة الحد الفاصل بين الفرضيات العلمية والحقائق العلمية والخلط بينهما؛ فالافتراضات العلمية بحكم أنها غير يقينية وفي معرض الخطأ فلا يمكنها أن تشكل أساساً لبناء رؤية فلسفية إزاء الكون والوجود، وما يُطرح عن إمكانية تفسير الكون تفسيراً يُستغنى به عن نظرية الخالق المنظم هو - في أحسن التقديرات - مجرد افتراضات علمية لم ترق إلى مستوى اليقين والحقيقة، فكيف ترقى إلى مستوى اليقين، والحال أنَّ المعطيات العلمية نفسها في تغيير وتبدل دائم، لدرجة أنَّ حدَّتْ بالبعض لوصف عصرنا أنه عصر الفوضى المعرفي الأليقيني؟! وعليه فإنَّ الفرضيات العلمية الحديثة في علمي الأحياء والفيزياء المتصلة بقضية مبدأ الخلق وعلته الأولى لا ترقى إلى مستوى الحقيقة العلمية التي لا يخالطها الشك، وإنما هي مجرد فرضية علمية، فلا تصلح كمستندٍ لرفض فكرة وجود الخالق أو إبطال المعتقدات الدينية.

وكما تلقى بعض الفرضيات العلمية رواجاً وانتشاراً أكبر من حجمها العلمي، فيجعلها في مصافِّ الحقائق العلمية في الذهن العام، وقد يُمنع من النقاش في هذا الأمر حتى بداخل الوسط العلمي نفسه، مع كونه يعترف بأنَّها ليست سوى فرضية محتملة! ومثال ذلك: نظرية التطور الداروينية كما يعترف بذلك كثير من أهل الخبرة.

ولا يخفى على ذي عقل أنَّ الاكتشافات العلمية في كل هذا الكون الفسيح بسمائه وأرضه تُثْبِتُ وجود نظام دقيق وبديع مهيمٍ على هذا الكون من الذرة إلى المجرة، وبديهيٌ أنَّ النَّظَامَ لا ينطلق من الفراغ ولا ينبعُ من الفوضى والعبثية أو الصدفة.

المبحث الثاني: قواعد عامة على الداعية المحاور أن يلزمها

كثيرٌ من المتصدرين لحوار المذاهب الفكرية، يَقْعُون في أخطاء منهجيةٍ تحرمهم من الوصول إلى نتائج إيجابية مع الملاحدة، ومرد ذلك إلى عدم اتباعهم للمنهج المرتضى في الحوار، فتجدهم يقدّمون ما حقه التأثير، ويؤخرونَ ما حقه التقديم، أو يَسْقُطُون في حِيلِ الملحدين؛ فينساقون وراءهم حتى إن قرأت المنازلة أو سمعتها، تجدها تفتقد للترابط المنطقي والمنهجي، فيصبح وكأن المنازلة عبارة عن سؤالٍ من الملحد، وجوابٍ من المسلم! ف تكون خاوية من الإلزامات، لا إفحام فيها ولا تفنيده؛ فتصبح المنازلة والحوار أشبه بعرضٍ لفكرةِ الملحد مقابل عرضٍ لفكرةِ المسلم، دونما تمحيصٍ لتلك الأفكار وردّها.

ومن ثمَّ إليك أيمًا المحاور مجموعهٌ من القواعدِ عليك اتباعها حتى تتحقق الغرض، وتَنْشُدَ المقصود:
القاعدة الأولى: وضع شروط عامة لسير النقاش:

لا يسوغ أيمًا الداعية أن تدخل لمناظرة أو حوار، دونما شروطٍ تتفق مع مخالفك حولها، وهذه القاعدة الافتتاحية تكون تذكيراً بآداب التناول، حيث ينبغي على المحاور أنْ يُذَكِّر مخالفه من أنَّ القصد من الحوار هو البحث عن الحق، وَنَبْذُ التتعصب والعناد، وإخلاص النية لهذا القصد، كما تُجَنِّبُ الكلمات المفهومية إلى تعكير صفو المنازلة، كأنْ يستهزئ بالخصم، أو يَصِفَه بالغباء أو البلادة، أو يُسيء إلى معتقد الآخر بألفاظ استفزازية أو يضمن مداخلته لِمُرَا معيناً، فكل ذلك من الصور الفاسدة بقدر المنازلة إلى غيابه التعتن.
وي ينبغي من بين الشروط أيضاً تَجَنِّبُ التطويل في المداخلة، فالكلام إن طال دون داع اشتمل على إطباب تَمْجُهُ الآذان وَتَمَلُّهُ القلوب وتضيق به الأعين، ثم الاتفاق على وقت المنازلة كم ستطول، وتحديد وقت كل مداخلة، وعدد المدخلات سواء في الحوار المباشر أو الحوار عبر الكتابة، فالماناولة ينبغي أن تكون معلومة الوقت لا أن تطول إلى أشهر، أو تكون بطيئة في حالة التحاور الكتابي.

القاعدة الثانية: تحديد موضوع النقاش الكلي وضبط الإشكاليات:

فلكل مناظرة موضوع كلي يكون هو العمدة في الحوار، فإن كانت حول إثبات وجود الله تعالى، ينبغي أن تُحدَّد الإشكاليات المطروحة، والتي ستتكلّل المنازلة بالإجابة عنها، ثم تحديد الأفكار الفرعية والنقط التي سَتُثَاثِرُ أثناء المنازلة.

ويصح أن يُشار أكثر من موضوع في المنازلة الواحدة، حتى إن فرغ المتحاوران من موضوع انتقلوا إلى آخر، الشرط الوحيد هو أن يُراعي السُّلْطُ المنطقي بين تلك المواقف، فلا يصح على سبيل المثال، الانتقال من إثبات وجود الله إلى إثبات فرضية الحجاب بعدها!

القاعدة الثالثة: ضبط التعريفات ووضوح الفكرة من كلا الطرفين:

وهي ما يَصْطَلِحُ عليها فقهاء الأصول بتحرير محل النزاع، فإن كان الموضوع حول الإلحاد النيتشاوي مثلاً فعلى المحاور أن يطلب من المخالف وضع تعريف بسيط بمعتقداته، حتى وإن كان عارفاً بها؛ لأنَّه لا يضمن أن مخالفه قد يكون لديه تصوّر خاطئ له، أو أن القراء يعرفون الموضوع!

وكلما كانت هناك عبارةٌ غامضة، فليستوقفُ محاوره للاستفسار عنها، حتى لا يقع خروجُ عن القصد، فيصبحُ المحاور المسلم يتكلم في وادٍ ومخالفُه يتحدثُ في وادٍ آخر.

ولذلك على المحاور المسلم أن يحدّدَ بدقةِ الاستشكال الراسخ في ذهن مخالفه، ويضع أصبعه بدقة على الجرح الذي يعني منه في المسألة.

القاعدة الرابعة: البدء بالأصول وتأخير الفروع:

وهي قاعدةٌ جوهريَّةٌ هامةٌ جدًا، فلا يسعُ أن تناقشَ ملحدًا في مسألةٍ فرعيةٍ، كفهم لحديث معين، أو حول مناسك الحج، أو حول الحجاب، أو الصلاة أو غيرها، بل ينبغي احترام التدرج، فالملحد ينبغي أن يناقش في أمّ القضايا وهي إثبات وجود الله تعالى؛ لأنك لو ناقشتَه في أمرٍ فرعويٍّ، فغالب ما ستزوجه منه هو أن يسلِّم لك بفوائد الحجاب على سبيل المثال، لكنه في الأصل هو منكرٌ لوجود الله تعالى، فحتى لو ألمته بالتسليم في قضيَّةٍ فرعوية، فسوف يقلب عليك الطاولة بقوله أنَّه لا يؤمن بصحة دينك جملةً وتفصيًّا.

ولذلك فإنَّ المنهج المعتبر في حوار الملاحدة أن تبدأ معهم في إثبات وجود الله تعالى، ثم ضرورة إنزال الشرائع وإرسال الرسل، ثم أي الأديان أحق بصفة الربانية، ثم في إعجاز القرآن وتواتره، ثم في صحة نقل السنة ومنهج الأخذ عن الرواية، وهكذا حتى تصل معه إلى الفروع.

ويصح أن تكون المناقشة في أصل من أصول الإلحاد، كإثبات خطأ نظرية الارتفاع والتطور، أو في حدود العلم، أو في أصول المعرفة، أو بطلان الصدفة أو قدِّم المادة... وغيرها من المواقف التي تحقق صفة الأصوليات الاعتقادية.

القاعدة الخامسة: مراعاة قواعد الفعل اللغوي:

والقصد من قواعد الفعل اللغوي هو أن يتعاون المخاطبان على الوصول إلى الغرض المطلوب من دخولهما في التخاطب، وعليه ينبغي أنها المحاور أن تلتزم بقواعد، منها:

أ- قاعدة الكِّمْ:

وهي أن تكون إفادتك للمخاطب على قدر حاجته من غير زيادة ولا نقصان، فإنْ أنتَ زدتَ في الكلام وأطللت على محاورك من غير فائدة؛ حينها لن تضمن استيعابه الكلي للفكرة، وإنْ نقصتَ في الكلام؛ لم تعطِ حينها للجوابِ حقه؛ فيصعب على مخالفك أن يسلِّم بكلامك.

ب- قاعدة الكيف:

أي لا تُقلِّل إلَّا ما تعلمُ صدقه، أو تُقدِّر على إثباته، فقد يكون مخالفك قد أثار قضيَّةً متمكناً هو منها، ويعرفُ نقصانها وعيوبها لأنَّ يجرِكُ لمناقشتها دليلاً كلاميًّا له ثغرات، أو ثُلقيَ إليه كلاماً مرسلاً؛ حتى إذا ما طالبك بالدليل؛ عجزت عن تقديمِه!

ج- قاعدة العلاقة:

بمعنى مراعاة المناسبة في الكلام، فأفكار المعاشرة تتسم بالعلاقة الترابطية بينها، فلا تقفز من فكرة إلى أخرى بعيدة عنها حتى لا تفتح على نفسك باب التشتت؛ فتصبح المعاشرة عبئاً ثقيلاً عليك.

د- قاعدة الجهة:

وهي الاحتراز من الغموض والإطناب والاضطراب؛ لأنك حينها توجه رسالة لمحاورك بضعف تمكنك، وعجزك عن إيضاح فكرتك.

القاعدة السادسة: احترام قواعد الفعل الحجاجي:

الحججة؛ هي التي تقرر صحة فكرة معينة، وترسخها في النفس وتقتضى التسليم بها. ولكي تكون موفقاً في عرضها أمامها المحاور -رعاك الله- ينبغي أن تلتزم بشروطها، وهي كالتالي:

أ- شرط المضمون القضوي:

أي عليك أن تأتي بمجموعة من الأحكام الجازمة التي ينطوي كلُّ منها على قضية مخصوصة.

ب- الشرط الجوهرى:

أي أنَّ مجموعة الأحكام هذه ينبغي أن تأتي بها اجتهاداً منك؛ لإثبات الدعوى، بمعنى أن يكون هدفك، إقناع الطرف الآخر بصوابها.

ج- شرط الصدق:

أي ينبغي عليك أن تعتقد بصدق القضايا التي جئت بها لإثباتها، فإن لم تقنع بصدقها، فكيف ستثبتها مخالفك؟!

د- الشرط التمهيدى:

وهنا ينبغي أن تعتقد أنها المتكلم أن محاورك لا يسلم بالدعوى، وإنما يسلم بالقضايا التي جاء بها لإثباتها، ومن ثم عليك أن ترى الحجة المُبْطَلَة لقضاياها، والتي لا بد أن تكون بمثابة السلاح الذي تُنْقِضُ به أفكاره ودعاوته المزيفة التي يعتقد بصحتها.

والملخص هنا ليس مقام تفصيل، وإنما مطلوب من الداعية أن يكون متعمقاً في أساليب الحجاج، وسلامة الاستدلال، والقواعد المنطقية. كما أن هذا الموضوع يحتاج إلى إفراده بالتأليف في كتابٍ مستقلٍ، لعله يصدر مستقبلاً إن شاء الله تعالى.

القاعدة السابعة: احترام ترتيب القوى الاستدلالية:

ينبغي عليك أنها المحاور أن تحترم القوة الاستدلالية في مناظرتك، فالأدلة ليست سواء في قوتها وحجيتها، فلا يغرنك ضعف الخصم فتقول في نفسك سوف أقدم أضعف الاستدلالات ثم أؤخر أقواها، بل عليك تقديم أقواها وتأخير أضعفها، فقد يكون في الحاضرين من يُضَيِّقُ عليك في مقام آخر، خاصة في الحوار الكتابي، لأن يفتح عليك رابطاً للتعليق في المناظرة ويُضْعِفُ من منزلتك وقوتك خطابك.

وبما أنَّ المناظرة هي سبيلٌ إلى طرح حجية الحق على كافة المتابعين، وستبقى مرجعاً يرجع إليه إخوانك ومخالفوك على سواء؛ لذلك ينبغي عليك أن تبدأ بأقوى الأدلة الشرعية التي نص عليها القرآن الكريم في إثبات

وجود الله عز وجل، كدليل الخلق على وجود الخالق، ودليل الفطرة، وغيرها، ولا تقديم الأدلة الكلامية التي فيها أخذٌ ورد، بل إن استطعتَ، فلا تتكلّم فيها، أو أخْرُجْها كأدلةٍ تابعةٍ في المستوى الثاني أو الثالث؛ لتنصر الأولى من باب زيادة الإفحام.

القاعدة الثامنة: التنوع في الاستدلالات العقلية:

فالاستدلال العقلي هو: استنتاج قضية مجهولة من قضية معلومة، والتَّوَصُّل إلى حكم تصدِيقٍ مجهولٍ بـملاحظة حكمٍ تصدِيقٍ معلومٍ. وهذا التعريف، يُعتبر من المسلمات التي يأخذها طالب العلم عن أهل الحاجة والاستدلال من العلماء المعتبرين، وهو أنواعٌ، منها على سبيل المثال:

أ- التوصل إلى صحة قضية بلاحظة نفي نقىضها:

على سبيل المثال، بطلان قضية إثبات الموجود الأول من العدم؛ وذلك لأنَّ العدم هو حالةٌ لا يمكن أن يصدر عنها الخلق إلا بوجودٍ مُوجَدٍ مخالفٍ لهذا العدم، فإثبات العدم من اللاعدم هو مستحيلٌ عقلٌ، ومن ثم نستطيع أن نثبت حينها وجودَ واجب الوجود⁽²⁷⁰⁾ بنفي نقبيه.

بـ التوصل إلى إثبات وحدانية الله باستحالـة التعدد:

فلو كان في الكون إله غيره لله؛ لفسد، ولأراد كل إله أن يعلو على نظيره ببرهان العقل، لكنَّ الكونَ لم يفسدْ بالبرهان المشهود؛ فينتَج عن ذلك أنَّ الخالق واحد لا شريك له.

جـ- إثبات حدوث العالم بمحاجة قضيتي متباينتين متسلسلتين:

فالكون متغير، وكل متغير حادث، إذن فالكون حادث.

والاستدلال أيها المحاور ينقسم إلى قسمين هما:

- الاستدلال المباشر: وهو ما ضربنا عليه المثال أعلاه، ويكون إثباته بالتقابل، أو العكس، أو تلازم الشرطيات.
- الاستدلال غير المباشر: وهو حينما تحتاج لأكثر من قضية: لإثبات أصلٍ واحد، ويكون عبر القياس أو الاستقراء أو التمثيل.

ولذا عليك أثبات الأدلة ضبط هذه الأنواع لكي تكون مناظرتك مفهمةً ملزمةً قاهرةً للباطل ومحقة للحق.⁽²⁷¹⁾

(270) واجب الوجوب: يراد به أن وجوده سبحانه لذاته، فيستحيل عليه العدم أولاً وأبداً، بخلاف المخلوق فإنه ممكناً الوجود أو جائز الوجود، أي يجوز عليه الوجود والعدم، وجوده لا لذاته، بل بإيجاد الله تعالى، وينبغي أن يعلم أن لفظ "واجب الوجود" غير وارد في كلام الله تعالى، ولا في كلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد استحدثه الفلاسفة المتأخرة، يقول شيخ الإسلام رحمه الله : "وأما الكلام بلفظ "الواجب الوجود" ، و "ممكناً الوجود": فهذا من كلام ابن سينا وأمثاله، الذين اشتقوه من كلام المتكلمين المقتلة ونحوهم ، والافتخار به ، إنما يحدأ في ذلك ، لأنها ملامة ماماً / انظر: مناجاة المسنة للنجمة (132) / 2

(27) كف تجاهد ماجداً، دلالة المنفعة، نبذات الهماء، أمين بن عبد الرادي، خبروع، ص 83-91.

المبحث الثالث: قواعد تنفي المعاور مع الملاحدة ومع غيرهم

1- عدم العِلْم بالدَّلِيل، ليس عِلْماً بالعدَم:

بعض المتناهيرين قد يجعل عمدته في نفي وجود أمر ما، هو عدم علمه بالدليل على وجوده، والأصل أنَّ عدم العِلْم بالدَّلِيل، ليس عِلْماً بالعدَم، وعَدَم الوجود، فكما أنَّ الإثبات يحتاج إلى دليل، فكذلك النَّفْي يحتاج إلى دليل، وإنَّ فما لم يُعلَم وجوده بدليلٍ مُعَيَّنٍ، قد يكون معلوماً بأدلةٍ أخرى.

قال الله تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتُهُمْ تَأْوِيلُهُ} [يونس: 39] فهذا نعي على كُلِّ من كَذَّب بما قَصَرَ عنه عِلْمُه.

فمن نفي كثيراً من الغيبياتِ: كالصِّفاتِ، والقدر، والملائكةِ، والجِنِّ، وأحوال البرَّزَخِ، والمعاد؛ لِعدَم قيام دليل الحِسْنِ والمشاهدةِ، أو دليل العَقْلِ -كما يَزْعُمُ- كان غالطاً؛ لأنَّه أخَبرَ عن نَفْسِهِ، ولا يَمْنَعُ أن يكون غيره قد قام عنده دليل العَقْلِ، أو دليل المشاهدةِ، كما وقع ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم في مشاهدةِ الجِنِّ والملائكةِ وأحوال البرَّزَخِ والمعادِ.

ويُستثنى من هذه القاعدة ما إذا كان وجود المدلول مُستلزمًا لوجود الدليل، وقد عُلِّم عدم الدليل، فيَقُعُ العلم بعدم المدلول المستلزم لدليله؛ لأنَّ عَدَم اللازم، دليل على عدم الملزم، فمثلاً: قد ثَبَّتَ توافُر الدَّواعي على نَفْلِ كتابِ الله تعالى ودينه؛ فإنَّه لا يجوز على الأُمَّةِ كتمان ما يحتاج النَّاسُ إلى تَقْلِيهِ، فلَمَّا لم يُنَقَّلْ ما يحتاجون إليه في أمرِ دِينِهِمْ نَقَّلَ عَامَّا، عِلْمُنا يَقِيَّا عدم ذلك، نحو سورة زَانِدَة، أو صلاة سادِسَةٍ، وَنَحْوُ ذلك.⁽²⁷²⁾

2- الباطلُ لا يُرَدُ بالباطلِ، بل بالحقِّ:

السَّلَفُ والأئمَّةُ يَذَمُونَ مَا كَانَ مِنَ الْكَلَامِ وَالْعَقْلَيَاتِ بَاطِلًا، وَإِنْ قُصِّدَ بِهِ نَصْرُ الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ، فَيَذَمُونُ مِنْ قَابَلِ بِدْعَةً بِبِدْعَةٍ، وَفَاسِدًا بِفَاسِدٍ⁽²⁷³⁾؛ فَالْبَاطِلُ يُرَدُ بالحقِّ المحسَنُ، وَالْبِدْعَةُ تُرَدُ بالسُّنْنَةِ الصَّحِيحَةِ.

قال ابن قُتيبة: "تعمَّقَ آخرون في النَّظرِ، وزَعمُوا أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ تَصْحِيفَ التَّوْحِيدِ بِنَفِي التَّشْبِيهِ عنِ الْخَالِقِ، فَأَبْطَلُوا الصِّفَاتِ؛ مِثْلُ الْحِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالْجَلَالِ، وَالْعَفْوِ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكِ".⁽²⁷⁴⁾

وأراد بعض مُثْبِتِي الْقَدَرِ الرَّدَّ على نُفَاتِهِ، فأنكروا فعل العَبْدِ واختياره، وَالشِّيَعَةُ أَرَادُوا الإنكارَ على الخوارِجِ الذين كَفَرُوا عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَوَقَعُوا في سَائِرِ الصَّحَابَةِ -عَدَا آلَ الْبَيْتِ- تَكْفِيرًا وَتَفْسِيقًا!

3- الامتناعُ عن مناظرةِ أهل السَّفَسَطَةِ:

إذا وَضَحَّ الْحَقُّ وَبَانَ لَمْ يَقُلْ لِلْمُعَارِضَةِ وَالْمُجَادِلَةِ مَحِلٌّ، إِذَا جَحَدَهُ الْخَصِيمُ كَانَ سُوفَسَطَائِيًّا⁽²⁷⁵⁾؛ فَلَا يَنْبغي مُناظرَتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

قال الله تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكُفِرْ} [الْكَهْف: 29].

(272) الموسوعة العقدية، مطبوعٌ ومُنشورٌ على موقع أذرع السنّة على الإنترنت.

(273) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (165/7).

(274) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة (ص: 36).

(275) قال الجرجاني: (السفسطة: قياسٌ مركبٌ من الوهميَّاتِ، والغرضُ منه تغليطُ الخصمِ وإسكاته) ((التعريفات)) (ص: 118).

وقال الله سبحانه: {يُجَادِلُوكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ...} [الأنفال: 6]، وقال الله عز وجل: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ فِي آيَاتِنَا فَاعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَحْكُمُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُسِيَّنَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: 68].

فَكُلُّ من جادل في الحق بعد وضوحيه وبيانه فقد غالط؛ شرعاً وعقلاً.⁽²⁷⁶⁾

ولهذا كان من الأسئلة ما ليس له جواب غير السكوت، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعد بالله ولينته".⁽²⁷⁷⁾

4- السكوت عما سكت الله عنه ورسوله:

كل مسألة من مسائل الاعتقاد لا يحكم فيها نفياً أو إثباتاً إلا بدليل؛ فما ورد الدليل بإثباته أثبتناه، وما ورد بنفيه نفيناها، وما لم يرد بإثباته ولا بنفيه دليل توقفنا، ولم نحكم فيه بشيء لا إثباتاً ولا نفياً، ولا يعني هذا أن المسألة خالية عن الدليل، بل قد يكون عليها دليل، لكن لا نعلم، فالواجب علينا التوقف لحين وجдан الدليل.⁽²⁷⁸⁾

قال الله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا} [الإسراء: 36].

5- الحق لا يعرف بالرجال، فإذا عرف الحق عرف أهله:

الحق ما وافق الدليل من غير التفات إلى كثرة المقربين، أو قلة المعرضين؛ فالحق لا يوزن بالرجال، وإنما يوزن الرجال بالحق، ومجرد نفور النافرين، أو محبة الموافقين لا يدل على صحة قول أو فساده.

وكُلُّ أحِدٍ مِنَ النَّاسِ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُرْدُ، إِلَّا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَذَلِكَ لِأَجْلِ ثُبُوتِ الْعِصْمَةِ لِلشَّارِعِ وَحْدَهُ، أَمَّا غَيْرُهُ فَيَعْتَرِيهِ مِنْ نَقْصِ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ مَا يَسْتَوْجِبُ عَرْضَ قَوْلِهِ عَلَى الشَّرِعِ.⁽²⁷⁹⁾

6- مطالبهم بإثبات صحة نقلهم أو سلامه استدلالهم:

كل دعوى لا بد من إقامة الدليل عليها بدليل نقي صريح أو عقلي صريح.

قال الله تعالى: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 111].

وقال الله سبحانه: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا حَلَّقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ إِنْ تُؤْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةً مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الأحقاف: 4]، فطالهم أولاً بالطريق العقلي، وثانياً بالطريق السمعي.⁽²⁸⁰⁾

وكثير من أهل البدع يستدلون على بدعه بنقل ضعيف أو موضوع، أو دلالة ضعيفة، أو بعقل فاسد.

أمّا أهل الفلسفة والكلام فيكثر عندهم الاستدلال بالأقوية العقلية الفاسدة، أو الاحتمالات والتوجيزات.⁽²⁸¹⁾

7- المعارضه الصحيحه هي التي يمكن اطرادها:

(276) درء تعارض العقل والنقل) لابن تيمية (7/173)، ((القواعد الحسان)) للسعدي (ص: 130).

(277) أخرجه البخاري (3276) واللفظه له، ومسلم (134).

(278) مجمع الفتاوى لابن تيمية (16/432).

(279) نقض المنطق لابن تيمية (ص: 263)، ((القواعد المثلى)) لابن عثيمين (ص: 86).

(280) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (1/57) و (7/395).

(281) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص: 55، 78)، (درء تعارض العقل والنقل) لابن تيمية (1/12، 29).

قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي الَّذِي يُحِبِّي وَرَبِّي مِنْ قَالَ أَنَا أُحِبُّي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتَ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي النَّاسَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: 258].

فلما سوَى الملِحدُ نفسه بالله تعالى في ادعاء الإحياء والإماتة، طالبه إبراهيم بإجراء المساواة في غيرها من حقوق الربوبية، ومنها: التصرُّف في الكون وفي كواكبه وأجرامه، ومن ذلك أنَّ الله تعالى يُسيِّر الشمس من المشرق على المغرب، فإن كان صادقاً في ادعاء المساواة لله تعالى في الإحياء والإماتة، فليعكسْ إذن حركة هذه الشمس؛ لتسير من المغرب إلى المشرق، {فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي النَّاسَ الظَّالِمِينَ}.⁽²⁸²⁾

وكذلك يقال -مثلاً- لنفأة بعض الصِّفات بقصد التنزيه: اطْرُدُوا حُجَّتَكُمْ وانفُوا سائرَ الصِّفاتِ، بل وسائلَ الأسماءِ، حتى صفةَ الوجود؛ لأنَّ المخلوق يتَّصف بها، فمن طَردَ منهم لم يبقَ عنده إلهٌ يعبدُ، ولا ربٌ يُصلَّى له ويسجدُ، ومن فَرقَ؛ بقيَ في التناقضِ، والمحقُّ من أثبتَ الصِّفاتِ جميعاً مع نفي التَّشبِيه والمماطلة بين الخالق والمخلوق.⁽²⁸³⁾

8- الحَيَّةُ عن الجوابِ دَلَالَةٌ على انقِطاعِ الْحُجَّةِ:

الحيَّةُ هي: جوابُ السَّائِلِ بغيرِ ما سأله، ومثالُ الحيَّةِ ما ذَكرَه اللهُ تعالى في قِصَّةِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ مع قَوْمِه فقال: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَزَّلَ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ} [الشعراء: 70-73] فصاروا بينَ أمرَيْنِ: أن يقولوا بالإيجابِ، وليس لهم حُجَّةٌ على ذلك إلا مجرَّد الدَّعْوى، أو يقولوا بالنَّفي، فتظهرَ حُجَّةُ إبراهيمَ عليهم، فلما أدركوا أنَّ أَيَّاً من الأمرَيْنِ لا يصلُحُ جواباً يُخْلِصُهم، حادوا عن الجوابِ، ف{قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَّلِكَ يَفْعَلُونَ} [الشعراء: 74] ، وهذا ليس جواباً لسؤالِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ، وإنَّما حَيَّةٌ وانقِطاعٌ.⁽²⁸⁴⁾

(282) تفسير ابن كثير (686/1).

(283) الصواعق المرسلة لابن القيم (490/2)، ((تفسير ابن كثير)) (686/1).

(284) الحيدة للكناني (ص: 44).

الباب الرابع: المعرف بالإسلام (المحاور المسلم)

ويشتمل على الفصول التالية:

- الفصل الأول: من الذي ينبغي عليه التصدر لدعوة الملاحدة؟
- الفصل الثاني: المعرف بالإسلام ومراحل كسب المهارات.
- الفصل الثالث: صفات المحاور المسلم.

الفصل الأول: من الذي ينبغي أن يتصدر لدعوة الملاحدة؟ ومتى؟

هناك بعض المهارات والنماذج الأساسية التي سنعرضها هنا، أملين في الله أن يكون لها أثرٌ ونفعٌ كبيرٌ حتى لمن لم تكن لديه سابق خبرة في دعوة الملاحدة، والذَّيْ عن حياض الإسلام، غير أنه من الضروري الإلمام بالمبادئ الأساسية للإسلام قبل خوض غمار هذه الرحلة: (كالفهم الجيد لمبدأ التوحيد والشرك، وأركان الإسلام الخمسة، وأركان الإيمان الستة، إلخ).

وعموماً لا يليق بأي مسلم أو مسلمة أَلَا يجهدوا في طلب العلم الشرعي، فكيف بمن يتصدر للدعوة؟!؛ لذا عليكم أن تُحصِّنوا أنفسكم بمعرفة الشريعة، وأن تغرسوها في قلوبكم، مع سؤال الله الإخلاص بصدق؛ فدعوة الملاحدة تحتاج إلى قوَّةٍ في العقيدة، وإيمانٍ كبيِّرٍ بالله عز وجل، وثَقَةٍ تامةٍ في أنَّ كلَّ أحكام الله كاملة لا نقصٌ فيها.

ومن الأمور التي تَزِيدُ في القلب الثبات واليقين، أَنَّه مهما بلغ الشخصُ من رسوخٍ في العلم وذكاءٍ في العقلِ فإنَّه لا يستطيع أن يُثبِّت شائعاً من النقص في حكمٍ من الأحكام الشرعية، حيثُ أَنَّ الدين الإسلامي، مُرْتَهَةٌ عن كلِّ نقصٍ وعيُّبٍ، على عكس ما سيسمعه من الآخر، الذي سَيُلْقِي عليه الكثير من الشيمات الشيطانية، والحيل التي يمكن أن تؤثر على ضعاف القلوب والعقيدة؛ ولذلك من كانت عقيدته هشة، فلا يُفْحِمَنَّ نفسه؛ لأنَّه ربما يتأثر بالباطل الذي قد يدخلُ قلبه فيفسده، ليبدأ بعدها رحلةً شاقةً من القلق والاضطراب، والصراع النفسي الذي يُفْقِدُه أمنه الروحيُّ. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "القلب إذا كان فيه مرض آذاه أدنى شيء؛ من الشيبة أو الشهوة، حيث لا يقدر على دفعهما إذا وردا عليه، والقلب الصحيح القوي يطرقه أضعاف ذلك؛ وهو يدفعه بقوته وصحته".²⁸⁵

إن مرتبة الرد على المخالف مرتبة علية من مراتب العلم والديانة والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالتصدي للرد على أهل الباطل إنما هو وظيفة أهل العلم، ومن حق مرتبة الرسوخ في العلم، فعرف مسائل مذهبها ووعاها - مذهب أهل الحق - ثم عرف أدلةها، ووجه دلالتها، فاطمأن قلبه إلى الحق بدلائه، وفارق مرتبة أهل التقليد، وعرف أصول الاستدلال، وطرق الاستنباط وفهم الدليل، ثم تبين أقوال المذاهب المخالفة، وأدلةها، وأدلة الاعتمادية والاعتراضية، النقلية والعقلية، وعرف مداخلهم، ثم عرف الأجبية على تلك الأدلة من قِبَلِ أهل العلم والتمكُّن، قبل أن يرجع إليها من كتب المخالف.²⁸⁶

وأما من لم يحقق هذه الشروط، ممن ضعف علمه أو رقَّ دينه، فالذي يجب عليه أن يفر بدینه من مواقف النزال، وميادين الجدال، وأن ينأى بنفسه عن الخوض في شيمات الخصم، فإنه لا يأمن أن تستهويه بعض مقاليتهم، وأن يزين له الشيطان بعض كلامهم، فيزيغ قلبه.

ويبقى من كان بين الحالين، فتلك مرتبة المجتهد المقيد، فمن حق القدر الأدنى من التأصيل في العلوم الشرعية، ثم أتقن علمًا من علومه، أو بابًا من أبوابه، حتى عرف فيه ما عرفه المجتهد في سائر الأبواب والفنون، فهذه مرتبة الاجتهد المقيد، فلِصَاحِبِها أَنْ يَرِدْ عَلَى مَنْ كَانَ مُبْطِلًا فِي تَلْكَ الْأَبْوَابِ دُونَ مَا سَوَاهَا.

وقد جاء في القرآن الكريم ذم من يجادل بغير علم، والجدل نوع من الرد، قال تعالى: {هَا أَنْتُمْ هُؤُلَاءِ حَاجَجُتُمْ

²⁸⁵ إغاثة اللهفان ١/١٨

²⁸⁶ انظر: شرح النووي على صحيح مسلم 300/2، مجموع الفتاوى لابن تيمية 137/28.

فِيهَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلَمْ تُحَاجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} آل عمران: 66 وقال سبحانه: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ}. الحج: 8. ولذا تتبع وصايا السلف في النبي عن تعرض غير المتمكن للرد على أهل الأهواء، ونقلت كتب العقيدة والتراجم أحوال أنس وثقوا بأنفسهم، وعلمهم فتعرضوا لجدال أهل الأهواء، فلم يلبثوا أن انساقوا إلى صفهم، وتلبسوا ببدعهم²⁸⁷، وما أكثر أمثالهم في هذه الأزمان.

بل إن تعرض هذا للرد قد يضعف جانب الحق، ويثير الشبه على مذهب الراد الذي أراد أن ينافح عنه، وذلك حين يجاهه الشبه المستحکمة بردود هزلية منتقضة، فيقوی صاحب الباطل بتلك المناظرة أو بذلك الرد الهزيل على أهل الحق.²⁸⁸

وبهذا أوصى العلماء، وبينوا أن ضعيف العلم لا يحسن فهم دينه فأولى أن لا يقوى على الرد على غيره من أهل البدع والضلالة والأهواء .

قال الشاطئي - رحمه الله - : عن ابن فروخ أنه كتب إلى مالك بن أنس: إن بلدنا كثیر البدع وإنه ألف كلاماً في الرد عليهم فكتب إليه مالك يقول له: إن ظننت ذلك بِنَفْسِكَ، خفت أن تزل فتهلك، لا يردد عليهم إلا من كان ضابطاً عارفاً بما يقول لهم لا يقدرون أن يُعَرِّجُوا عليه، فهذا لا بأس به، وأما غير ذلك: فإني أخاف أن يُكلِّمُهم فَيُخْطِئُ فَيَمْضُوا على حَطَئِهِ، أو يَظْفَرُوا مِنْهُ بِشَيْءٍ فَيَطْغَوْا وَيَزَادُوا تَمَادِيًّا على ذلك.²⁸⁹

وليس كل من كان قوي العلم، كان قادرًا على دحض حجة زنديق أو ملحد أو مبتدع، ولذا لم يتصد لأولئك إلا الأذكياء الذين ينمون مهاراتهم في هذا المجال باستمرار، ومن لم يكن ذكياً قوي الحجة وهم تم بتنمية مهاراته فإنه قد يفسد ولا يصلح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : ليس كل من عرف الحقَّ - إما بضرورة أو بنظر - أمكنه أن يحتاج على من ينزعه بحجية تهديه أو تقطعه؛ فإن ما به يعرف الإنسان الحق نوع، وما به يعرّفه به غيره نوع، وليس كل ما عرفه الإنسان أمكنه تعريف غيره به، فلهذا كان النظر أوسع من المناظرة، وكل ما يمكن المناظرة به يمكن النظر فيه، وليس كل ما يمكن النظر فيه يمكن مناظرة كل أحد به.²⁹⁰

بالإضافة إلى أنَّ الحوار مع الملاحدة يحتاج إلى بعض الأنماط والمهارات الخاصة التي تساعد المحاور المسلم في تقوية حجته، مع سؤال الله عز وجل دائمًا العون والتوفيق والسداد.

وليعلم كل من سيدخل في هذا المضمار، أنهم مُقبلون على أهل شباهٍ، وعلى مرضى نفسيين وعيبيِّ دنيا وشهواتٍ، وأصحاب جفاء وجهل وعنادٍ، ولكنهم سيجدون أيضًا أناسًا أبرياء، بسطاء، منصفين يشاركون في حوار بناء يؤدي إلى هدايتهم بإذن الله.

²⁸⁷ انظر: الإبانة الكبرى ص 449، سير أعلام النبلاء 4/ 214.

²⁸⁸ صناعة التفكير العقلي، تكوين للدراسات والأبحاث، تحرير أ. د. سلطان العميري، صناعة الرد العقلي، أ. تميم القاضي، ص 277.

²⁸⁹ الاعتصام للشاطئي (12 / 1).

²⁹⁰ "درء تعارض العقل والنقل" (3/ 374).

ولا ريب أن الداعية المحاور كالمقاتل الذي يذهب إلى ساحة القتال، ولكن قبل أن يذهب، عليه أن يتدرّب ويتعلّم مهارات القتال، وأهمّ تهيئته له، هي التربية الإيمانية، فالله في أنفسكم، وعلاقتكم بالعبادة، وحرصكم الدائم على إصلاح وسلامة قلوبكم.

كما ينبغي عليكم أيضًا الاهتمام الكبير بالقرآن الكريم قراءةً وحفظاً وتدبراً حتى تتمكنوا من استحضار آياته عند الحاجة إلى الاستدلال بها في الوقت المناسب، فبآياته ستُحاجُون أهل الباطل.

ومن كان متَّرِسًا بالعلوم الشرعية، ومُلِمًا بالعلوم الوضعية، وخاصِّصاً لأصول الحوار العلمي والمنطق؛ فنأمل أن يكون حواره موقفًا، ذلك أنَّ الحوار السليم بين المسلمين والملاحدة لا يتَّأْتِي بالمجازفة دون علم، أو بإطلاق الأحكام وطرح التعميمات، وإنما بالوقوف عند مسائله، ومعرفة متطلباته وأصوله، وتحليل الشبه والقضايا.

متى لا نرد ومتى يكون إماماة الباطل بالسکوت عنه؟

عند النظر في مسألة الرد على الباطل أو السکوت عنه، ينبغي أن يُبني القرار على مبدأ الموازنة بين المصلحة والمفسدة. ففي بعض الأحيان، قد يؤدي الرد إلى نشر الباطل أكثر مما كان معروفاً، مما يجعله موضوعاً للنقاش ويمنجه زخماً إعلامياً، في هذه الحالة يكون من الأفضل السکوت وترك الرد. وبالتالي، ليس كل من يخالف الحق يستحق الرد، بل ينبغي التأني والنظر في عواقب التصدي له.

أما إذا كان السکوت سيؤدي إلى مفسدة أكبر، كزيادة تأثير الباطل على المجتمع أو تضليل العقول، هنا يكون الرد واجباً، والتصدي للباطل ضروريًّا لتوضيح الحق ودحض الشبهات. فالحكمة تكمن في اختيار الوقت المناسب للرد أو السکوت بما يحقق مصلحة الدين والمجتمع ويقلل من الأضرار المحتملة.

فإذا تعارضت مفسدة ومصلحة، فدفع المفسدة مقدم في الغالب، إلا أن تكون المفسدة مغلوبة؛ وذلك لأن اعتماد الشرع بترك المنهيات أشد من اعتماده بفعل المأمورات، لما يترتب على المنافي من الضرر المنافي لحكمة الشارع في النهاي.²⁹¹

حكم الرد على الباطل:

إذا كان الشخص على علمٍ ويملك القدرة على تفنيد شبهات الملاحدة أو الرد على مسائل قد انتشرت بين الناس وأساءت للإسلام، فإن الواجب عليه يصبح متعيناً للرد والتوضيح، خاصة إذا لم يتصد لها هذا الواجب شخص آخر. فلا يجوز للمسلم الذي يمتلك الحجة والبرهان أن يقف مكتوف الأيدي ولا يرد على تلك الشبهات، لأن في ذلك تقسيراً في إظهار الحق وتبيانه. وكل من يملك العلم والدليل عليه مسؤولية شرعية في مواجهة هذه التحديات، ما لم يقم بها غيره بالقدر الكافي. وقرر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الرد على أهل الباطل فرض كفاية على الأمة اتفاقاً فقال: "وَمِثْلُ أَئِمَّةِ الْبِدَعِ مِنْ أَهْلِ الْمَقَالَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ أَوْ الْعِبَادَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ؛ فَإِنَّ بَيَانَ حَالِهِمْ وَتَحْذِيرَ الْأَمَمِ مِنْهُمْ وَاجِبٌ بِإِتْقَانِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى قِيلَ لِأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ: الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَعْتَكِفُ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَوْ يَتَكَبَّرُ فِي أَهْلِ الْبِدَعِ؟ فَقَالَ: إِذَا قَامَ وَصَلَّى وَاعْتَكَفَ فَإِنَّمَا هُوَ لِنَفْسِهِ

²⁹¹ انظر: كتاب الوجيز في إيضاح قواعد الفقة الكلية - القاعدة السادسة قاعدة درء المفاسد أولى من جلب المصالح، ص 265- المكتبة الشاملة

وَإِذَا تَكَلَّمَ فِي أَهْلِ الْبَدْعِ فَإِنَّمَا هُوَ لِلْمُسْلِمِينَ هَذَا أَفْضَلُ. فَبَيْنَ أَنْ نَفْعَ هَذَا عَامٌ لِلْمُسْلِمِينَ فِي دِينِهِمْ مِنْ جِنْسِ
الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ إِذْ تَطْبِيرُ سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينِهِ وَمِنْهَا جَهَ وَشَرْعَتِهِ وَدَفْعَ بَغْيَ هَؤُلَاءِ وَعُدُوَّانِهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَاحِدَ عَلَى
الْكِفَائِيَةِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ وَلَوْلَا مَنْ يُقِيمُهُ اللَّهُ لِدَفْعِ ضَرِّ هَؤُلَاءِ لَفَسَدَ الدِّينُ وَكَانَ فَسَادُهُ أَعْظَمَ مِنْ فَسَادِ
اسْتِيَالِهِ الْعَدُوِّ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ إِذَا اسْتَوْلَوْا لَمْ يُفْسِدُوا الْقُلُوبَ وَمَا فِيهَا مِنْ الدِّينِ إِلَّا تَبَعَا وَأَمَّا أُولَئِكَ
فَهُمْ يُفْسِدُونَ الْقُلُوبَ ابْتِداءً.

الفصل الثاني: المعرف بالإسلام، ومراحل كسب مهارات الدعوة إلى الله

المعرف بالإسلام: هو، "كل من تتوفر فيه عوامل التأهيل والتكتلief الشرعي، والقائم على إيصال دين الإسلام إلى الناس كافة، سواء كان شخصاً حقيقياً أو اعتبرياً، وفق منهج الدعوة القويم".⁽²⁹²⁾

مراحل كسب مهارات الدعوة:

إنَّ الدعوة إلى الله تمر بمراحلٍ مهمَّةٍ، كُلُّ مرحلةٍ منها، فيها قضايا لا بد أن نسعى بكلِّ الطرق إلى تفعيلها، وخصوصاً في هذا العصر الذي يحتاج الناس فيه إلى الإقناع، كما أن الدعاة أنفسهم يمرون أيضاً بمراحلٍ مهمَّةٍ؛ لكسب مهارات الدعوة إلى الله عز وجل، كُلُّ مرحلةٍ تحتاج إلى خبرة وممارسة ودرية، وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى: مرحلة الانتساب للإسلام.

المرحلة الثانية: مرحلة حمل الإسلام، أي تعلمها والعمل بها.

المرحلة الثالثة: مرحلة نقل الإسلام، أي التعريف به.

المرحلة الرابعة: مرحلة الإقناع بالإسلام.

المرحلة الخامسة: مرحلة رد الشبهات عن الإسلام والمشاركة في المناظرات.

فليس كل منتبِّس للإسلام يحمل علمًا وعملاً، وليس كل من يحمل علمًا وعملاً يستطيع الدعوة إليه، وليس كل داعية لديه قدرة على الإقناع بالإسلام، وليس كل من يقنع بالإسلام يستطيع أن يرُدَّ الشبهة التي ترُدُّ عن الإسلام أو يدخل في مناظرات.

فمرحلة الإقناع، ورد الشبهات لا يستطيع أن يقوم بها إلا **المعرف بالإسلام**، وعلى ذلك فكل معرف داعية وليس كل داعية معرفاً.⁽²⁹³⁾

وعلى الدعاة أن يمروا في كل هذه المراحل والبعض منهم سيصلوا إلى مستوى المشاركة في المناظرات.

(292) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية أ. د. عبدالرحيم المغذوي / 485.

(293) التعريف بالإسلام، الدكتور عبد الله الغامدي، ص 53، دار القبس 1439هـ، بتصرف.

الفصل الثالث: صفات المحاور المسلم

تعلمنا في مادة "أخلاق وصفات الدعاة" كل ما يحتاجه الداعي والمُعَرَّفُ بالإسلام من آداب وسلوكياتٍ وقيمٍ. وهنا سنذكر باختصار أهم ما يستلزم الحوار؛ لأننا أحقُّ بالأسلوب الرaci من غيرنا وأوْلَى باختيار كلماتنا بعنابة؛ ولذلك يجب على الداعي إلى الله الذي يتصدِّي للدعوة، ويحمل لواء الأمر بالمعروف، والنبي عن المنكر، أن يحمل من الصفات ما يجعله نموذجًا عمليًّا، وقدوة حسنة في دعوته، ومن هذه الصفات:

1- الإخلاص:

أن يكون القصد والإرادة في العمل هو وجه الله عز وجل وحده..

أما أن يكون القصد إرادة الدنيا بعمل الآخرة فهي ظلماتٌ متراكمة بعضها فوق بعض؛ لأن ذلك ينافي كمال التوحيد، ويحيط العمل؛ قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِبَّتَهَا تُؤْفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا التَّارُ وَحِيطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود: 15، 16].

ولن يكون الداعية مقبول النصيحة إلا إذا كان خالي الوفاض من الأغراض الدنيوية وإلا فلن يجد لدعوته أثراً في قلوب الناس؛ وكان عند الله مذموماً، قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَرِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} [الشورى: 20]، ولا شك أن الإخلاص في الدعوة وللدعوة من أقوى أسباب التفاف الناس حول الداعية، فمن يؤمن بقضية ويحاول إيصالها للناس بكل جوارحه، تشعر أن كلامه يخرج من قلبه ليصل مباشرة وبسلامة إلى قلوب الناس.

وأكَّد على هذا المعنى الشيخ ابن باز - رحمه الله - قائلاً: "هو من أعظم الصفات التي تجب على الدعاة، فيريدوا بدعوتهم وجه الله والدار الآخرة، ويريدوا إصلاح الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور".⁽²⁹⁴⁾

2- الحذر من الرياء والتَّفاخُرِ والمُباهَاة:

قد يوفقك الله في دعوتك، عندئذٍ تحتاج إلى مزيد من الإخلاص والحذر من الرياء، لهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ تَعْلَمَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِي بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ يُمَارِي بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يُصْرِفَ بِهِ وِجْهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخِلْهُ اللَّهُ جَهَنَّمَ"⁽²⁹⁵⁾، أي: من تعلمه من أجل المُفَاخِرَةِ والمُباهَاةِ أمامَ الْعُلَمَاءِ، وهذا عكسُ المطلوبِ مِنَ الْمُرْءِ؛ لأنَّ يَعْرِفَ لِلْعُلَمَاءِ حَقَّهُمْ وتقديرَهُمْ واحترامَهُمْ، "أَوْ يُمَارِي بِهِ السُّفَهَاءَ" المُماراةُ: المُجَادِلَةُ وَالْمُحَاجَجَةُ، أي: لكي يُجادِلُهُمْ وَيُخَاصِّمُهُمْ، "أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وِجْهَ النَّاسِ إِلَيْهِ"، أي: ليُلْفِتَ انتظارَ النَّاسِ إِلَيْهِ بِقَصْدٍ أَنْ يُشَارِ إِلَيْهِ بِالْعِلْمِ، فَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ وَهُوَ يَقْصِدُ أَحَدَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، "أَدْخَلَهُ اللَّهُ جَهَنَّمَ": لأنَّه لم يُخلصْ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، ولم يَجْعَلْهُ خالصًا لِوِجْهِ اللَّهِ تَعَالَى، وهذا مِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، وقد قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما في الصَّحِيحَيْنِ -: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنَّيَّاتِ"، فلِيَكُنْ قَصْدُ طَالِبِ الْعِلْمِ رُفْعَ الْجَهْلِ عَنْ نَفْسِهِ، وَتَعْلِيمَ النَّاسِ وَدُعَوَتَهُمْ إِلَى اللَّهِ، وفي رواية أبي داود وابن ماجه: "لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، أي: لم يَجِدْ رِيحَهَا.

وفي الحديث: الحُثُّ عَلَى إِخْلَاصِ النِّيَّةِ لِلَّهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَأَنَّ التَّفَاخُرَ وَالْمُباهَاةَ بِالْعِلْمِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ، وَالْعِيَادَةِ بِاللَّهِ.

(294) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز 349/1، 4/229.

(295) أخرجه أبو داود (3664)، وأحمد (8457) بمعناه، وابن ماجه (260) باختلاف يسير.

وعلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ وَالذَّبَّ عَنْ حَيَاضِ الإِسْلَامِ شَرْفٌ عَظِيمٌ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ إِقَامَةِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، إِلَّا أَنَّهُ يُنْبَغِي عَلَى مَنْ سَعَى فِي تَحْصِيلِهِ أَنْ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ وَمُبَاهاَةِ النَّاسِ.

3- الاستمرار في تعلم العلم الشرعي:

يعد مبدأ الثبات والمواظبة على طلب العلم، والتزود منه من صفات الداعية الكفاء الناجح؛ لأنَّ سَلَمَ التعلم لا ينتهي له، فلا يحد بمرحلة دراسية، ولا بشهادة علمية، ولا بسنوات عمرية.

وأمد التعليم لا ينقطع ولا ينقضي، إنما هو من حصول الآلة من التمييز إلى الوفاة، قال تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [سورة الحجر: 99].

والعلم الشرعي المورث للخشية، من أعظم ما يُتعبد به الرب جل وعلا، وهو من أعظم المقومات للداعية الناجح، وركن من أركان الحكم، ولهذا أمر الله به، وأوجبه قبل القول والعمل، فقال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِسْتَعْفِرْ لِذَنِبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقْلِبَكُمْ وَمَتَوَاكِمْ} [سورة محمد: 19]

(296) قد بُوَبَ الإمام البخاري رحمه الله تعالى لهذه الآية بقوله: "باب: العلم قبل القول والعمل".

وذلك أنَّ الله أمر نبيه بأمرتين: بالعلم، ثم العمل، والمبدوء به العلم في قوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}، ثم أعقبه بالعمل في قوله: {وَإِسْتَعْفِرْ لِذَنِبِكَ}، فدلَّ ذلك على أنَّ مرتبة العلم مُقدمة على مرتبة العمل، وأنَّ العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو مقدم عليهم؛ لأنَّه مصحح للنية المصححة للعمل.

(297) "والعلم هو ما قام عليه الدليل، والنافع منه: ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم".

ولا يكون الداعية إلى الله مستقيماً حكيمًا إلا بالعلم الشرعي، وإن لم يصبح الداعية من أول قدم يضعه في الطريق إلى آخر قدم ينتهي إليه، فسلوكه على غير طريق، وهو مقطوع عليه طريق الوصول، ومسدود عليه سبيل الهدى والفلاح، وهذا إجماع من العارفين. ولا شك أنه لا ينتهي عن العلم إلا قطاع الطريق، ونواب إبليس وشَرَطَه.

4- الأمانة:

الأمانة كلمة تعجز الأقلام مهما كثرت عن أداء حقها كاملاً، وإنما تستطيع أن تقتبس من مشكاة معانها أموراً لا تُحد ولا تُعد، فهي أحد الأعمدة الرئيسية للنظام الأخلاقي الإسلامي، ونبيتنا محمد صلى الله عليه وسلم خير من تحلى به قبلبعثة وبعدها، وحثَّ الناس عليه حتى أنه جعل احتلال هذه الصفة في المرء وتحولها إلى خيانة خصلةً من النفاق، ولأهميةها ربط النبي صلى الله عليه وسلم بينها وبين الإيمان، وكان كثيراً ما يعلن عن ذلك في خطبه، عن أنسٍ قال: "قَلَّمَا حَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَالَ: لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ".

ولا يقتصر مفهوم الأمانة على حفظ شيء ما استودعه صاحبه عند شخص آخر، بل هي أشمل من ذلك بكثير، وهي أوسع من أن تكون محصورة في معنى واحد بمدلوله اللغوي والذي هو ضد الخيانة...

(296) البخاري، كتاب العلم، باب: العلم قبل القول والعمل، قبل الحديث رقم 68

(297) انظر: فتح الباري /160، وحاشية ثلاثة الأصول لمحمد بن عبد الوهاب، جمع عبد الرحمن بن قاسم الحنبلي، ص 15

(298) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 13/ 388، 6/ 388.

(299) انظر: مدارج السالكين للإمام ابن القيم، 2/ 464.

(300) مسند أحمد وقال محققوه حديث حسن

والأمانة صفة واجبة على كل مسلم، وهي على الداعية أوجب، حيث "يشعر بأن كل شيء في يديه أمانةٌ سيحاسب عليها أمام الله - عز وجل - فالجسم والوقت والفراغ والكلمات والدعوة نفسها والناس الذين يعلمهم أو يدعوه... كل ذلك أمانات لا بد من المحافظة عليها".⁽³⁰¹⁾

تصور لو تُعطى مهاماً وأنت لم تؤديها بإتقان، وقد اتفقت مع صاحب العمل على ثمان ساعات يومياً مقابل الراتب الذي تأخذه ثم تأتي وتنقض هذا الاتفاق ولا تعمل سوى أربع ساعات فقط، فأنت بهذا خائن، مضيع للأمانة، وتحتاج إلى وقفة محاسبة مع النفس قبل أن تحاسب أمام الله عز وجل، حتى وإن كنت تعمل طووعاً بلا مقابل مادي، طالما اتفقت على شيء فالرَّبْمَه لأنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "الْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ"⁽³⁰²⁾، أي: ثابتونَ عَلَى الشُّرُوطِ الْجَائِزَةِ شَرْعًا الَّتِي تَقَعُ بَيْنَهُمْ؛ فَيُوْفُونَ بِهَا وَلَا يَرْجِعُونَ عَنْهَا؛ لَأَنَّ هَذَا مِنَ الْوَفَاءِ بِالْعُقُودِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ.

5- حسن ولين الكلام:

الداعية إلى الله عليه أن يرفق في دعوته، فيشقق على الناس ولا يشق عليهم، ولا ينقرهم من الدين بأسلوب غليظ، فأولى الناس بالتلاؤم بخلق الرِّفق الدُّعاة إلى الله قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: 125].

فييدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، ويتألطف مع العاصي بكلام لين وبرفق، ولا يعين الشيطان عليه، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إذا رأيتم أخاكم قارف ذنبًا، فلا تكونوا أعواناً للشيطان عليه، تقولوا: اللهم أخرze، اللهم العنة، ولكن سلوا الله العافية، فإنـاـ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلمـ كـنـاـ لا نقول في أحد شيئاً حتى نعلم علام يموت؟ فإنـاـ خـتـمـ لهـ بـخـيرـ عـلـمـنـاـ أـنـ قدـ أـصـابـ خـيـرـاـ،ـ وـإـنـ خـتـمـ بـشـرـ خـفـناـ عـلـيـهـ).⁽³⁰³⁾ فكيف ب أخيك المسلم؟!

وقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: {فَإِنَّمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لِئَلَّا يَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيلَ الْقُلُوبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: 159].

وقال سبحانه: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} [العنكبوت: 46] - قال ابن فورك في تفسيره: "استثنى الذين ظلموا منهم - وجميعهم ظالم - لأن المراد إلا الذين ظلموكم في جدالهم، أو غيره مما يقتضي الإغلاط لهم، وبهذا يسع الإنسان أن يغليظ على غيره، وإلا فالداعي إلى الحق يجب أن يستعمل الرفق في أمره".

6- الصدق: (كن صادقاً مع الناس وإياك والكذب).

أول ما يتبادر من كلمة الصدق، هو الصدق في اللسان، ولكن الواقع أن الصدق يكون في القلب قبل أن يكون في اللسان، ولذلك يقول الله جل وعلا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبه: 119] فحقيقة الصدق هي الإخلاص التام في القلب، ومنه يفيض الصدق على الجوارح كلها، فتكون أقوال الإنسان وأفعاله كلها

(301) الخلاصة في فقه الدعوة - المجلد 1- الصفحة 66

(302) الراوي: أبو هريرة. أخرجه أبو داود (3594)

(303) رواه الطبراني في ((المعجم الكبير)) (١١٠ / ٩)، وابن المبارك في ((الزهد)) (٣١٣ / ٨٩٦)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٤ / ٢٠٥) والبغوي في ((شرح السنة)) (١٣٧ / ١٣). قال الهيثمي في ((المجمع)) (٦ / ٢٥٠): رجاله ثقات، إلا أن عبيدة لم يسمع من أبيه.

تنطق بالصدق.

أمر الإسلام بالصدق وحثّ عليه في كل المعاملات التي يقوم بها المسلم، والأدلة كثيرة من القرآن الكريم على هذا الخلق النبيل:

قال الله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ وَكُنُوْنَاهُ مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبه: 119] أي: اصدقوا والزموا الصدق تكونوا مع أهله، وتنجوا من المهالك، ويجعل لكم فرجاً من أموركم ومخرجاً.

ووصف الله به نفسه فقال: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} [النساء: 87]، وقال: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} [النساء: 122] أي: لا أحد أصدق منه في حديثه وخبره، ووعده ووعيده سبحانه؛ فحديثه وأخباره وأقواله في أعلى مراتب الصدق، فليس في كلام الله سبحانه وتعالى شيءٌ من الكذب إطلاقاً.

ولا شك أن للصدق أثره البالغ في مسيرة الداعية، فصدق كلامه وسمته وحرارة عاطفته يؤثر في المدعويين ويترك فيهم انطباعاً عميقاً بمصداقية الفكرة التي يدعو إليها ويؤمن بها، وللصدق أثره الحميد في التالف وتقريب القلوب على عكس الكذب الذي يغرس الضغينة ويورث الريبة بفعل التلون الذي يتصرف به الكاذب، ومتى تألفت القلوب وتصافت واجتمعت على محبة الله سرت الدعوة في المجتمع سريان الماء في الزرع، فأمدته بالحياة ونما في المجتمع الإيمان واستوثقت عراه وارتقت أعلامه.⁽³⁰⁴⁾

وللأسف كثير من الدعاة إلى الله عز وجل وطلاب العلم، توسعوا في مسألة التأويل في العبارات والأقوال، واتخذ ما يسمونه بالمداراة والتورية وغيرها، حتى وقع الناس منهم في الإبهام والإيهام، وصار الناس لا يثقون لهم بقول ولا كلام.

أحياناً الداعية لا يكذب كذباً صريحاً يؤخذ عليه لكن يستخدم التورية والتأويل، لكن الناس من كثرة ما استخدم هذا الإنسان التورية والتأويل؛ صاروا لا يثقون فيه لأنهم اكتشفوا أنه لا يعطي الحقيقة.⁽³⁰⁵⁾

ولذلك فإن الصدق يزرع في النفوس الثقة والطمأنينة والراحة والأنس، ومتى وثق الناس في الداعي لصدقه فتحوا له القلوب فاستمعوا إليه إذا تحدث وقبلوا إرشاده وتوجيهه إذا وجه وأرشد وبين وتجهوا إليه يسألون ويستفتون.. وحصل التواصل بينه وبينهم وهي نعمة لا تقدر بثمن ولا تحصل إلى بفضل الله ثم بفضل الصدق، ونقاء الصفحة، وخلو السيرة من مسيرة الأعمال والأخلاق.⁽³⁰⁶⁾

7- خلق الاعتذار:

"كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَابُونَ".⁽³⁰⁷⁾

حقيقة أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس عيباً أن يخطيء الإنسان أو يذنب فهو مجبول بطبيعة على ذلك، ولا يمكن أن يسلم إنسان من الوقوع في الخطأ إلا الأنبياء والرسل لعصمتهم، ولكن المعضلة تكمن في الإصرار على الخطأ وعدم الاعتراف به أو التراجع عنه.

(304) مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة. الشيخ سعيد بن علي القحطاني

(305) صفات الداعية، سلمان العودة.

(306) انظر أصول الدعوة وطرقها للدكتور عبد الرحمن بن نواب، 2/128

(307) حديث صحيح / أخرجه الترمذى (2499)، وأحمد(13049)

حقيقة أن هذا الخلق النبيل هو خلق الأنبياء يوضحها لنا القرآن بمثال عملي حينما قص علينا قصة الأبوين آدم وحواء في الجنة لنتعلم منهما فقه الاعتذار ومراغمة الشيطان حينما اعترفا بما اقترفا من انجرائهم وراء إبليس، لم يتبعجا ولم يستكبرا {فَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف: 23]. لقد كان الاعتراف بالذنب صريحاً واضحاً، فحين شعر بنيران الذنب بين جنبيه، انبعثت إرادته للنهوض وتدارك رحمة الله؛ فاعترف به وندم عليه وطلب الصفح من الله، فكان الفرق بين أبينا آدم النبيل المتواضع، وإبليس المراوغ الصفيق المتكبر.

ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أخوف الناس لربه وأخشاهم له، وأحرصهم على أن يلقى الله عز وجل، وليس لأحد عنده مظلمة له وهذا أمر واضح وجلٍّ لمن تأمل أحواله وموافقه في سيرته صلى الله عليه وسلم، روى ابن هشام وابن كثير وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدَّ صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح (سهم) يعدل به القوم، فمر بسواط بن غزية حليفبني عدي بن النجار وهو مُستأْتِلٌ (متقدم) من الصف، فطعن في بطنه بالقدح، وقال: استو يا سواد، فقال: يا رسول الله! أوجعوني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقذني (مَكَّنَّي من القصاص لنفسي) ...

فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَطْنِهِ فَقَالَ: "إِسْتَقْدَ" (أَيْ: اقْتَصَرَ)، قَالَ: فَاعْتَنِقْهُ، فَقَبَّلَ بَطْنَهُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا يَا سَوَادَ؟" قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! حَضَرَ مَا تَرَى، فَأَرْدَتُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ يَمْسِ جَلْدِي جَلْدَكَ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَخِيرًا، مَعَ أَنَّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لَمْ يَكُنْ يَقْصِدُ إِيْذَاءَهُ وَإِيْجَاهَهُ، لِيَضْرِبَ بِذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلًا رَائِئًا لِلْعِدْلِ وَالْقُوْدِ مِنَ النَّفْسِ.

ولا شك أن الفرد يحب احترام ذاته، وحين يخطئ يظن أن اعترافه بالذنب إهانة للذات، فيجادل بالباطل لإبعاد النقص عن نفسه وهذا من مخادعات النفس وحيلها وبالتالي فإن اعترافك بالخطأ يعد مؤشراً من مؤشرات تقديرك لذاتك وليس العكس، فالاعتراف بالاقتراف طبيعة الأشراف، وهي صفة كمال لا صفة نقص كما يظن البعض لأنها من صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن أي صفة يتسم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي صفة كمال.⁽³⁰⁸⁾

8- الشات وسءال الله الشات: (309)

إن نعمة الإسلام والثبات عليها نعمة عظيمة؛ حيث إنها قضية مصيرية علمها المال في الآخرة، وعلمها الاطمئنان والسكينة في الدنيا، وما كانت الفتنة تموح موج البحر، والقلب يتقلب كالقدر إذا استجمعت غلياناً، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلّها كيف يشاء، فإن الإنسان عندما يتأمل تلك الأحوال وأمثالها، فإنه يخاف من الزيف والضلال، ويسأل الله تبارك وتعالى الثبات ونقول ذلك لأن القضية ليست دنيوية فقط وتنتمي بموت الإنسان؛ وإنما هي مصيرية في الآخرة في جنة أو نار لا ثالث لهما، ففريق في الجنة وفريق في السعير.

¹⁸(3) يتصف من مساطر كسب القلوب، جمهور، يامن، ص 308.

(309) المصادر/تصف: الشات على الحقة في ضوء القرآن والسنة/عبد العزizin بن عبد الله الخضري

9- تحمل المسئولية:

إن الناظر في حقيقة الدعوة والحضارة الإسلامية يجدها قائمة على أساس الشعور بالمسئولية، فالإسلام هو دين تحمل المسئولية، ودين التحدي وتفجير الطاقات، إنه الدين الذي يجعل الإنسان يعيش ويحيا في سبيل الله، ويدفعه إلى أن ينصر الدين بماله ونفسه وجهده ووقته ودمه.

إن الشعور بالمسئولية والقيام بها وأدائها على أكمل وجه يجب أن يصبح في حياتنا خلقاً وسلوگاً وضرورةً تُمارس في واقع الحياة حتى لا يحدث التساهل في الواجبات، حتى لا تضيع الحقوق، حتى تُنجَز الأعمال وتُنْجَح المنشروقات وتسود الأخلاق وقيم الخير في المجتمع.

هذا الشعور هو مفتاح الأعمال الكبيرة التي تُغِير الواقع إلى ما يُرضي الله، والذي لا يكون إلا بتضافر جهود المسلمين وتعاونهم وتناسفهم وتواصفهم بالحق وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وحينئذ تسعد البشرية بشعر الله، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغِيرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغِيرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ} [الرعد:11].

10- الإيجابية والتفاؤل:

لماذا يجب أن يكون التفاؤل من صفات الداعية إلى الله؟
لأن المتفائل يرى النور في نهاية النفق حتى وإن كان النفق متَّسِح بالسوداد، أما المتشائم فلا يرى ذاك النور البتة.
إن إشاعة أجواء التشاوُم بين المسلمين ليس من الدين في شيء، يأتي أحدهم ويقول: "لا توجد أسباب تدعونا للتفاؤل! الواقع مظلم!".

إن مثل هذا الكلام مخالف لما جاء في نصوص القرآن والسنة والتي ثبتت أن المستقبل للإسلام، الله عز وجل يقول في محكم آياته: {إِنَّ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ۝ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [آل عمران: 140].

ما يحدث للمسلمين الآن من ذل وهزائم لعله رحمة من الله عز وجل بهم حتى يعودوا إلى دينهم وإلا لو بقوا في انتصارات مع تراجعهم عن الإسلام كيف سيدركون أنهم على خطأ وأنهم بحاجة إلى توبة وأوبة إلى الله عز وجل؟
نحن إذا طرقنا للأشياء السلبية باستمرار سيشيع بين الناس اليأس والقنوط، قال الله عز في علاه على لسان إبراهيم عليه السلام {قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ} [سورة الحجر: 56] ، "وهنا دفع إبراهيم عليه السلام عن نفسه رديلة اليأس من رحمة الله، فقال على سبيل الإنكار والنفي {وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ} أي: أنا ليس بي قنوط أو يأس من رحمة الله، لأنه لا ييأس من رحمة الله تبارك وتعالى إلا القوم الضالون عن طريق الحق والصواب، الذين لا يعرفون سعة رحمته تبارك وتعالى ونفاد قدرته، ولكن هذه البشرة العظيمة- مع تقدم سني وسن زوجي- هي التي جعلتني- من شدة الفرح والسرور- أعجب من كمال قدرة الله تبارك وتعالى، ومن حزيل عطائه، ومن سابع منته، حيث رزقني الولد في هذه السن التي جرت العادة بأن لا يكون معها إنجاب أو ولادة".⁽³¹⁰⁾

وقال الله عز وجل في ذم من يشيع الخوف بين الناس: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْحُرْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۝ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَئِكَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعِلَّهُمْ يَسْتَبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَأَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا}، أي: "إِذَا جَاءَ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَقِرُّ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ أَمْرٌ يَجْبُ كَتْمَانَهُ مُتَعَلِّمًا بِالْأَمْنِ الَّذِي يَعُودُ خَيْرَهُ عَلَى

(310) التفسير الوسيط لآية 56 من سورة الحجر.

الإسلام والمسلمين، أو بالخوف الذي يلقي في قلوبهم عدم الاطمئنان، أفسوه وأذاعوا به في الناس، ولو ردّ هؤلاء ما جاءهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أهل العلم والفقه لعلم حقيقة معناه أهل الاستنباط منهم.
 ولولا أن تَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَكُمْ لَا تَبْعَدُنِي الشَّيْطَانُ وَلَا تَأْسِيَنِي إِلَيْكُمْ".⁽³¹¹⁾
 والأمر ينطبق على من يبث التشاؤم في نفوس المسلمين، ولا شك أن هذا من عمل الشيطان.
 لذلك علينا أن نعود مرة أخرى ونرفع لواء الإيجابية والفال، فإذا وجدت الناس متقاعسون عن الصدقة بـث فـهم الروح التي تشجـعـهم على البـذـلـ، وإذا وجدـتـ سـنةـ مـيـةـ عـنـهـمـ اـعـمـلـ عـلـىـ إـحـيـاهـاـ فـيـ نـفـوـسـهـمـ ولـتـكـنـ الـبـداـيـةـ منـ عـنـدـكـ أـنـتـ لـيـقـتـدـيـ بـكـ الـآخـرـونـ..ـ اـبـدـأـ بـمـشـرـوـعـ دـعـوـيـ وـلـيـكـنـ مـوـقـعـاـ إـسـلـامـيـاـ وـسـتـجـدـ مـنـ يـقـتـدـيـ بـكـ..ـ قـمـ بـتـفـعـيلـ نـشـاطـ فـيـ الـمـسـجـدـ أـوـ بـتـطـوـيرـ حـلـقـةـ مـنـ حـلـقـاتـ التـحـفيـظـ سـتـجـدـ كـمـ لـهـذـاـ مـنـ أـثـرـ مـلـمـوـسـ فـيـ الـنـفـوـسـ..ـ اـبـحـثـ عـنـ مـشـرـوـعـ يـسـدـ فـاقـةـ لـدـىـ الـمـسـلـمـيـنـ،ـ هـنـاكـ أـنـاسـ عـقـولـهـمـ مـتـقـدـةـ وـأـذـهـانـهـمـ حـادـةـ تـتـفـتـقـ عـنـ أـفـكـارـ لـكـهـاـ بـحـاجـةـ إـلـىـ مـنـ يـبـحـثـ عـنـهـاـ وـيـجـعـلـهـاـ وـاقـعـاـ يـتـحـقـقـ،ـ كـنـ أـنـتـ مـنـ يـأـخـذـ ذـمـامـ الـمـبـادـرـةـ فـتـحـوـلـ تـلـكـ الـأـفـكـارـ لـنـورـ يـشـغـعـ بـهـاءـ بـيـنـ الـمـسـلـمـيـنـ.

11- الإتقان:

قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَيْلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتَقْنَهُ".⁽³¹²⁾
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما إن هذا لا ينفع الميت ولا يضره، ولكن الله يحب من العامل إذا عمل أن يحسن".⁽³¹³⁾

انظروا لهذا التوجيه النبوـيـ الـكـرـيمـ بـإـتـقـانـ الـعـلـمـ حـتـىـ فـيـ تـسـوـيـةـ الـقـبـرـ الـذـيـ لـاـ يـنـفـعـ الـمـيـتـ بـشـيءـ،ـ وـلـكـنـ التـوـجـيـهـ التـرـبـويـ الـذـيـ لـاـ بـدـ أـنـ نـجـعـلـهـ نـصـبـ أـعـيـنـاـ فـيـ كـلـ عـمـلـ نـقـومـ أـوـ نـكـلـفـ بـهـ.

- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كذا، وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان".⁽³¹⁴⁾

وهذا الحديث الشريف يؤكد على ارتباط القوة بالإيمان في كل ما ينفع، مع الأخذ بالأسباب المشروعة، وعدم التكاسل، وحسن التوكل، والاستعانة بالله تعالى، وهذه كلها من آليات، وأسس إتقان العمل.

ولذا حثـناـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـّمـ عـلـىـ إـتـقـانـ الـعـلـمـ فـعـلـىـ سـبـيلـ المـثالـ:ـ رـغـبـنـاـ فـيـ إـتـقـانـ الـوـضـوءـ،ـ حـتـىـ فـيـ الـمـكـارـهـ،ـ كـالـبـرـ الذـيـ تـوـجـدـ فـيـهـ الـمـشـقـةـ،ـ قـالـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـّمـ:ـ أـلـاـ أـدـلـكـمـ عـلـىـ مـاـ يـمـحـوـ اللـهـ بـهـ الـخـطاـيـاـ،ـ وـيـرـفـعـ بـهـ الـدـرـجـاتـ؟ـ قـالـواـ بـلـ يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ،ـ قـالـ:ـ إـسـبـاغـ الـوـضـوءـ عـلـىـ الـمـكـارـهـ،ـ وـكـثـرـ الـخـطـىـءـ إـلـىـ الـمـسـاجـدـ،ـ وـانتـظـارـ الـصـلـاـةـ بـعـدـ الـصـلـاـةـ،ـ فـذـلـكـمـ الرـبـاطـ".⁽³¹⁵⁾

وحـدـرـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـّمـ مـنـ الـإـخـلـالـ وـلـوـ بـرـكـنـ وـاحـدـ مـنـ أـرـكـانـ الـوـضـوءـ،ـ عـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ عـمـرـوـ قـالـ:ـ رـجـعـنـاـ مـعـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـّمـ مـنـ مـكـةـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ،ـ حـتـىـ إـذـ كـنـاـ بـمـاءـ بـالـطـرـيقـ تـعـجـلـ قـوـمـ عـنـدـ الـعـصـرـ،ـ فـتـوـضـؤـواـ وـهـمـ عـجـالـ،ـ

(311) التفسير الميسر.

(312) الراوي: عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها / صحيح الجامع الصفحة أو الرقم: 1880.

(313) رواه البهقي في السنن، وقال الألباني: حسن في صحيح الجامع الصغير.

(314) صحيح مسلم 79

.251 رواه مسلم (315)

فانتهينا إليهم وأعقابهم تلوح لم يمسها الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وَيُلْ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ؛ أَسْبِغُوا الْوَضُوءَ".⁽³¹⁶⁾

وهذا يلفت عنابة المسلم إلى الحرص على الإتقان، وأنه في غاية الأهمية، وكذلك الأمر بالنسبة للصلوة، فنجد أنه يأمر ذلك الأعرابي أن يعيد الصلاة ثلاث مرات؛ لأنه لم يتقن أداءها، فكان يقول له: "ارجع فصلً، فإنك لم تصل".⁽³¹⁷⁾

وكذلك قُلْ في الحج، فلا بد أن يكون خالياً من الرفت والجدال والفسوق؛ ليكون حجًّا مبروراً؛ قال سبحانه: {الْحُجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحُجَّ} [البقرة: 197]، وقال صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفَثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْ أُمُّهُ".⁽³¹⁸⁾ وهكذا نحن مطالبون بالإتقان فيسائر العبادات، وكذلك في المعاملات الدنيوية، فحربي بالمسلم أن يكون أكثر الناس حرصاً على الإتقان في وظيفته، أو مهنته وأن يكون قدوة لغيره في ذلك، وهذا في كل وقت؛ لأنه يعلم أن الله مطلع عليه ومجازي على عمله.

ولا شك أن ترك الإتقان جر على الناس الوبيلات، وعرض حياتهم للخطر، انظركم خسر العالم من أرواح بسبب الصناعات الرديئة أو بسبب الأبنية غير المتقدمة والتي تهدمت على رؤوس قاطنها وأودت بحياتهم!

12- قوة العزيمة، وعلو المهمة

من أقوى أسباب نجاح الداعية أن يكون من أولى صفاته: الهمة العالية، وعدم اليأس، وعدم الاستسلام، فتجده حريصاً أشد ما يكون الحرص على خدمة الدعوة وأهدافها فإن تحقق ما كان ينشدُ إليه فهذه منة من الله عز وجل وإن غلبته الأمور وتعسرت عليه الأحوال - بعد أخذه بكلفة الأسباب - استسلم لله ورضي بقضاءه، فلا يقنط من رحمة الله ولا ييأس حتى لا يدع للشيطان عليه سبيلاً يدخل إليه منه فيضعف عزيمته ويحط من همته وهو ما يريد هو وحزبه أعاذنا الله منهم، وبناء على ذلك من كانت همته متدنية، وعرف من نفسه أنه سريع اليأس والإحباط فعليه أن يتوارى عن طريق الدعوة لأنه لا يصلح لها؛ ولذلك انظر يا أخي يا من تعلم في مجال الدعوة: من أي الفريقين أنت؟

الفريق الأول: من يُصيبه يأسٌ وقنوطٌ وفتورٌ، فتهار قواه ويحزن، فهذا النوع من أصحاب الهمم الضعيفة، والفشل دائمًا حليفهم.

الفريق الثاني: من إذا أصابه فشلٌ في بادئ الأمر أعاد الكرَّة مَرَّةً بل مرات، وزاده هذا الفشل قوةً وإصراراً على مواصلة الطريق، يتجاوز كل العثرات، ويحطم كل العقبات بكل صبر وعزيمة؛ وهؤلاء أصحاب الهمم العالية التي تحتاج إليهم الدعوة.

- تأمل الآية الكريمة: {وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَّصَيِّرًا} [الفرقان: 31]، الآية تقول لك: النصر حليفك مadam الله معك، فهو هاديك وناصرك، فَلَمْ يَحْزُنْ وَلَمْ يَضْجُرْ! ولم البرود والكسد! إياك وداء العجز فإنه مهلكة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز"، وكان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من العجز والكسد.

- وانظر كيف شَنَعَ الله على الذين رغبوا في الدنيا وبَرَجَها وأعرضوا عن الآخرة ونعيهمها، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا

.241 روah البخاري 60، ومسلم

.397 روah البخاري 757 ، روah مسلم

.1351 روah البخاري 1521، روah مسلم

لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفُرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَقْلُتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبِدُّلْ قَوْمًا عَيْرُكُمْ وَلَا تَصْرُوْهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ { [التوبه: 38]

فعالي الهمة لا يقبل أن تموت حسناته بمorte.⁽³¹⁹⁾

13- النظافة وحسن المظهر:

إن عنایة الداعیة بمظہرہ الخارجی ولباسه ونظافته أمر مهم للغاية؛ لما لها من دور مهم في جذب الناس نحوه والتأفاف بهم حوله وتأثيره فيهم، ولقد أمرنا الله عز وجل بهذا في محكم آياته: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ مَسْجِدٍ} [الأعراف: 31]، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: 222]، فالإسلام أباح للمسلم أن يظهر أمام الناس بمظہرہ لائق كريم، والداعي إلى الله تعالى أولى بذلك؛ لأنه قدوة يعرف الناس من خلالها أن الدين والالتزام لا يتعارضان مع النظافة وأناقة المظهر.

والصحابة رضوان الله عليهم لما حدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قائلين: يا رسول الله، إن الرجل يجب أن يكون نعله حسناً، وثوبه حسناً؛ - هم قالوا ذلك مخافة أن يكون هذا من الكبر - فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ حَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ"⁽³²⁰⁾، أي: يجب التجمُّل، ولم ينكر عليهم أن يحبوا أن تكون ثيابهم حسنة، ونعالهم حسنة.

ولذلك لا ينبغي على الداعية أن يكون رمزاً للإهمال والفوضى في مظہرہ الخارجی؛ فليس كل الناس تستقي الدعوة من قوله فقط، هناك من يستقيها من هيئته ومظہرہ؛ وبناء على ذلك فإن حسن الهيئة والاهتمام بالأناقة الشخصية طريق إلى قبول قوله ودعوته، وهذا قد يجيئ على سؤال استفسر على البعض، ألا وهو: لماذا قد تجد بعض الدعاة المشهورين مؤثرين في فئة معينة من الناس- وهم المتدينون- ولا يصلون بسهولة لغيرهم من الشباب؟ وفي المقابل لماذا نجد غيرهم يصل للشباب بسهولة، ويؤثر فيهم تأثيراً كبيراً، رغم أن البعض منهم ليس لديه العلم الكافي أو المنهج الصحيح؟ قد تكون الإجابة في المقام الأول بسبب انجذابهم لأناقته وطريقة ملابسه والتي تشبه طريقتهم أيضاً، بالإضافة إلى اقتراب طريقة تفكيره وطرحه للموضوعات إلى طريقة تفكيرهم، فيتحدث معهم بلغة سهلة على أسمائهم وموضوعات تمس مشاكلهم وحياتهم، وبأسلوب يخاطب عقولهم فيقنعهم، ويحرك عواطفهم فيتأثرون به أيماء تأثر.

وكما أن رث الثياب سي المظہر أشعث الشعر ينفر -من حيث لا يشعر- عن هذا الدين؛ لأن من لا يعرف الدين يظن أن من مقتضياته التزام هذه الهيئة، فلا يقرره نفوراً من مظہرہ؛ فلا شك أن إحسان المظہر العام في الملبس والشعر والرائحة والنظافة عندما يحتسبها الداعية إلى الله تعالى ويريد بها رفعه هذا الدين، وتمثيل الإسلام التمثيل التام، وإغاظة الأعداء الذين لا يسرُهم رؤية المسلمين إلا أذلة، وقد هانت عليهم أنفسهم، وهان عليهم مظہرهم، فإذا قصد هذا القصد فهو مثالب عند الله، داع إلى الله بشوبه ورائحته وحسن شعره وحسن مظہرہ العام، والوسائل لها أحكام المقاصد، فكما أن القصد عالٍ شريف وهو الدعوة إلى الله فكذلك الوسيلة هنا ترتفع لتتحقق بالقصد.

(319) فضل الدعوة إلى الله، جوتيار بامرني، ص 89

(320) رواه مسلم .91

14- حسن اختياره لمعاونيه:

من صفات الداعية الناجح حسن الاختيار لمعاونيه ممن يثق بهم وبقدراتهم ويعتمد عليهم بعد الله في المهام ومتى يتتوفر فيه حسن المسؤولية ويكون هم العمل للدين ضمن أولوياتهم الحياتية، وقد أرشدنا نبينا صلى الله عليه وسلم إلى حسن اختيار الخليل، فقال: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالف".⁽³²¹⁾

ومعنى الحديث: "أن الإنسان على عادة صاحبه وطريقته وسيرته، فليتأمل من يخالف، فإن رضي دينه وخلقه فهو أخ له في الله، ومن لم يكن كذلك فليتجنبه؛ لأن الطباع سرقة والصاحب ساحب، إما إلى الخير أو إلى الشر". كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على تعليم أمته ما ينفعها في دينها ودنياه، وما يحفظ عليهم علاقاتهم الطيبة، وكان يحضر على التواصيل والتواود والتصاحب بين المسلمين، وهذا الحديث توجيه وإرشاد نبوئي من أراد سلامه نفسه وبيته وعلاقاته مع الناس.

وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالف"، أي: المرء يشابه صديقه وصاحب في سيرته وعاداته؛ فهو مؤثر في الأخلاق والسلوك والتصورات، ونظرة الناس إلى كلِّ مِنْهُما من خلال معرفتهم بأحوال الصَّاحِبِ؛ ولهذا أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى حسن اختيار الصديق.

وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم: "لا تصاحب إلا مؤمناً، أي: لا تتخذ صاحباً ولا صديقاً إلا من المؤمنين؛ لأن المؤمن يدلُّ صديقه على الإيمان والهدى والخير، ويكون عوناً لصاحب". والحديث: فيه حثٌ على انتقاء الأصحاب والأصدقاء من الأتقياء المؤمنين.

15- الحرص على التعمق في النصوص:

إن عدم التعمق في فهم الأفكار والمعاني مرضٌ اشتكي منه علماؤنا قديماً، حيث قال ابن الجوزي: «فأقل موجود في الناس؛ الفهم والغوص في دقائق المعاني».«⁽³²²⁾

السطحية في التعامل مع الأفكار والآراء والمواقف والأحداث؛ تجعل العقل لا يستوعب بالطريقة الصحيحة، ومن ثم لا تكتمل الصورة لديه، فلا يتعقب ولا يدقق، فينتج عنها فيهم غير سليم وسطحي وقصير، فيبني عليه مواقعاً وأحكاماً تكون عواقبها وخيمة على الفرد والمجموع، لأن ضعف الفهم نتيجته ضعف كل ما يرتبط به ويبني عليه.«⁽³²³⁾

16- ترك الحقد والحسد:

من أهم وأعظم أدوات المسلمين عامة والدعاة خاصة، في سيرهم إلى الله عز وجل، هو تصفية قلوبهم وسلامة صدورهم من الآفات والغوائل والدخائل التي تعيق السير وتهدر الجهد وتحبط العمل، فالقلب هو الملك والجوارح هي الأعضاء التي تعمل بأمر الملك، ففي جنوده التي تسير وفق ما يوجهها، فتسالم من يسالم، وتعادي من يعادي، وتقدم وتحجم حسب رأي القلب الملك؛ لذلك كانت عنابة الإسلام بسلامة الصدور ونقاء القلوب عنابة كبيرة تحتل أولوية قصوى في هذا الدين، فأقرب القلوب إلى الله عز وجل أنقاها وأصفها وأسلمها من الأكدار والأخلاق والآفات.

(321) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، 4/259، حديث رقم (4833).

(322) صيد الخاطر ص 486.

(323) موسوعة دليل الداعية، الدعاة، العواجي ص 65

والسباق إلى مرضاة الله عز وجل هو في حقيقته سباق للقلوب، وتفاصل الناس عند الله عز وجل هو في الأساس بما وقر في قلوبهم من إيمان وقوى، قال تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقُلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء:88-89]، قال تعالى: {وَنَرَغَنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ إِلَخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ لَا يَمْسُهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُحْرِجٍ} [الحجر:47-48]، وقال {فَأَلَّا رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي} [طه:25]، وقال: {فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرُحْ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ} [الأنعام:125].

فالدعاة أحوج الناس إلى سلامة الصدور وتنقية القلوب، لأنهم أكثر الناس احتكاكاً بالجماهير، والتعامل اليومي مع أنماط متباعدة من البشر، منهم السوي ومنهم الغوي، ومنهم الجاهل ومنهم المتجاهل، ومنهم من يريد الإجابة التي توافق هواه، ومنهم من يريد الإجابة على تساؤلات لا إجابة عليها، ومنهم الغارق في معاصيه وشهواته، ومنهم المتلبس بشبهات ضالة، إلى آخر القائمة الطويلة من صفات وطبعات البشر ومستجداتهم التي تتغير كل يوم. التعامل اليومي مع كل هؤلاء يورث الداعية كثيراً من الآفات والدخائل. كل هذه النماذج يقابلهم الداعية ويتعامل معهم ويحتك بهم، ويدخل معهم في صولات وجولات، وهذه المهمة الشاقة تحتاج من الداعية أن يكون سليم الصدر، نقى القلب، قوي الاحتمال، حافظاً لجنابه وجنانه من التلوث بكل هذه الأخلاط، حتى لا تمتد إليه عدوى هذه الآفات والأمراض، فيكون مثل الطبيب الذي يصف الداء ويكتب الدواء، وهو صريح نفس الأدواء. ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد وضع لنا تعريفاً فريداً للقلب النقى، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً عن أفضل الناس؟ فقال: "كل مخوم القلب، صدوق اللسان"، قالوا: "صدقونا، نعرفه، فما مخوم القلب؟"، قال: "هو التقى النقى، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد".⁽³²⁴⁾، أي: أن القلب النقى التقى هو القلب الذي خلا من الغل والحسد وإرادة الشر من الحقد والضغائن.

17- الثقة بالله وعدم اليأس:

اليأس: من أخطر الأدواء والآفات والأمراض على طريق الدعوة إلى الله، اليأس والقنوط من رحمة الله، فمع اليأس يرى الداعية كل الأمور من حوله قائمة لا نور فيها، ميتة لا حياة فيها، بائسة لا أمل فيها، مع اليأس يتحول الداعية إلى رماد، وحطام إنسان، لا يفكّر ولا يعمل ولا يحلم، حاله كحال الشاعر عندما قال:

يا قوم لا تتكلموا*** إن الكلام محرم

ناموا ولا تستيقظوا*** ما فاز إلا النّومُ

وتأخروا عن كل ما*** يقضي بأن تقدموا

ودعوا التفهم جانباً*** فالخير أن لا تفهموا

وتثبتوا في جهلكم*** فالشر أن تتعلموا

أما السياسة فاتركوا*** أبداً وإن تندموا

ولأن المرء مع اليأس هو والعدم سواء، وحياته وموته سيان، لذلك كان من أهم أولويات الدعاة الحذر من مزالق هذا المرض الخطير وأثاره وتداعياته وظواهره وأسبابه.

18- الطاعة وترك الذنوب والمعاصي:

للطاعة وترك المعاصي والذنوب تأثير على الفهم واستيعاب العلم لا يختلف عليه اثنان في الميزان الإسلامي. وعلى التقيض فإن المعاصي تميت القلب، وإذا مات القلب اختل العقل واضطرب التفكير فينحرف بذلك التقدير والفهم.

قال الإمام ابن الجوزي: "رب شخص أطلق بصره فحرم اعتبار بصيرته، أو لسانه فحرم صفاء قلبه، أو آثر شهبة في مطعمه فأظلم سره وحرم قيام الليل وحلوة المناجاة".⁽³²⁵⁾
وقال شاه الكرماني: "من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهبات، وعمر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره باتباع السنة، وعود نفسه أكل الحال، لم تخطيء له فراسة".⁽³²⁶⁾

19- الوسطية وترك الغلو والتشدد:

"التشدد": هو الغلو والتنطع، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"، ويقول صلى الله عليه وسلم: "هلك المتنطعون! هلك المتنطعون! هلك المتنطعون"، قالها ثلاثاً -عليه الصلاة والسلام- معناه: الزيادة على ما شرعه الله، هذا التشدد يزيد على ما شرعه الله، ومن ذلك: البناء على القبور، واتخاذ المساجد عليها، والصلاحة عندها، هذا زيادة على ما شرع الله، شرع الله زياراتها، والدعاء لأهلها بالغفرة والرحمة، أما كونه يبني عليها مساجد، أو قباب هذا من وسائل الشرك ومحرم، والرسول صلى الله عليه وسلم أنكر ذلك، ولعن المهوو والنصارى على فعل ذلك.

والصلاحة عند القبور من وسائل الغلو فيها والشرك، هكذا الزيادة على ما شرعه الله، كأن يتوضأ أكثر من ثلاثة، هذا زيادة على ما شرعه الله، وكذلك كونه يستعمل في صلاته ما لم يشرعه الله غير الزيادة على الوضوء، بل يستعمل أشياء ما شرعها الله في صلاته، بأن يركع ركوعاً يضره، أو يضر المأمومين، أو يسجد سجوداً يضره، أو يضر المأمومين، بل يقتصر ويتحرج الاقتصاد.

القصد في العبادة هو المطلوب، وعدم التشديد، لا على المأمور، ولا على نفسه، كذلك كونه يصوم دائمًا، ولا يفطر، يصلي الليل كله، كل هذا من التشدد، والنبي نهى عن هذا -عليه الصلاة والسلام-. قال: هلك المتنطعون ونهى عن التبتل، كل ذلك لما في التبتل والتشدد من المضرة العظيمة".⁽³²⁷⁾

وإنما يوفق المسلم بصفة عامة والداعية بصفة خاصة إلى الفهم الصائب والسليم بمقدار حافظته على الاعتدال والوسطية، فقد جاء في الحديث: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوه، ينفعون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين".⁽³²⁸⁾

ولا شك أن الجنوح إلى الغلو والتشدد يعتبر من أكثر ما يؤثر على الفهم السليم، الذي يحول الغالي إلى تنطع في

(325) صيد الخاطر ص 52.

(326) الاعتصام ٧٢ / ١

(327) حقيقة التشدد والغلو المنبي عنه للشيخ ابن باز

(328) الشريعة للأجري 268/1، السنن الكبرى للبيهقي 353/10، وصححه الألباني في مشكاة المصاصيح 1/82.

اختياراته العلمية والعملية وكذا في المواقف والمعاملات، وقد عد صلی الله علیه وسلم هذا المسلك من موجبات الہلاک في قوله صلی الله علیه وسلم: "ھلک المتنطعون قالها ثلاثاً".⁽³²⁹⁾

والمتنطعون هم: «المتعمدون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم».⁽³³⁰⁾

فالغالى يظهر سوء فهمه وانحرافه جلياً في سلوكه، بحيث تجده يريد ما لا يوجد، ويتخيل ما لا يقع، ويفهم الواقع على غير حقيقها. ولعل معظم مصائب الفرق المنحرفة التي ظهرت في التاريخ الإسلامي، نتجت عن خيارات الغلو والتشدد، إما بشكل عام أو في قضية محددة، فالتفكير الخارجي على سبيل المثال لا الحصر، لم يؤت أصحابه من فساد ضمائركم، وإنما أتوا من فساد تفكيرهم وسوء فهمهم واعوجاج فقراهم.⁽³³¹⁾

20- مُخاطبَةُ النَّاسِ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ:

إن الداعية الحكيم هو الذي يدرس الواقع، وأحوال الناس، ومعتقداتهم، وينزل الناس منازلهم، ثم يدعوهם على قدر عقولهم وأفهامهم وطبعاتهم وأخلاقهم ومستواهم العلمي والاجتماعي، والوسائل التي يؤتون من جهتها، ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحببون أن يكذب الله ورسوله".⁽³³²⁾

وذكر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم".⁽³³³⁾

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "ما أنت بمُحَدِّثٍ قوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً".⁽³³⁴⁾

وقد بين النبي صلی الله علیه وسلم ذلك للدعاة إلى الله عز وجل، فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه حينما بعثه إلى اليمن - داعياً ومعلمًا وقاضياً -: "إنك تأتي قوماً أهل كتاب... الحديث".⁽³³⁵⁾

فيبيّن صلی الله علیه وسلم لمعاذ عقيدة القوم الذين سوف يقدمون عليهم حتى يعرف حالهم، ويستعد لهم، ويقدّم لهم ما يناسبهم، وما يصلح أحوالهم.

وقال صلی الله علیه وسلم لعائشة رضي الله عنها: "يا عائشة لو لا قومك حديث عهدهم - فقال ابن الزبير - يكفر لتقضي الكعبة، فجعلت لها بابين: باباً يدخل منه الناس، وباباً يخرجون منه".⁽³³⁶⁾

فترك صلی الله علیه وسلم هذه المصلحة؛ لأمن الواقع في المفاسد.⁽³³⁷⁾

دراسة البيئة والمكان الذي تبلغ فيه الدعوة أمر مهم جداً، فإن الداعية يحتاج في دعوته إلى معرفة أحوال المدعىون: الاعتقادية، والنفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، ومعرفة مراكز الضلال وموطن الانحراف معرفة جيدة، ويحتاج إلى معرفة لغتهم، ولهجتهم، وعاداتهم، والإحاطة بمشكلاتهم ونزاعاتهم الخلقية، وثقافتهم،

(329) صحيح مسلم، كتاب العلم بباب هلك المتنطعون (2670).

(330) شرح صحيح مسلم للنووي 16/220.

(331) لمزيد من التفاصيل - حول كل خلق، وغيرها من الصفات التي يجب أن يتحلى بها المسلم والداعية إلى الله، يمكنكم مطالعة كتاب صفات الداعية المسلم، للشيخ جوتيار بامرتي.

(332) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، 225/1، (رقم 127).

(333) مسلم، في المقدمة، مع شرح النووي، 55/1، وسنن أبي داود مع العون، 13/191.

(334) مسلم، المقدمة، باب النبي عن الحديث بكل ما سمع، 1/11.

(335) البخاري مع الفتح، باب الزكاة، باب: لا تؤخذ كرام أموال الناس في الصدقة، 322/3، (رقم 1458)، واللفظ له، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله وشرائع الإسلام، 50/1، (رقم 19).

(336) البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه، 224/1، (رقم 126)، ومسلم، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، (رقم 401)، (402).

(337) قال ابن حجر: "يستفاد منه ترك المصلحة؛ لأمن الواقع في المفسدة، وترك إنكار المنكر خشية الواقع في أنكر منه". انظر: فتح الباري 225/1.

ومستواهم الجدي، والشَّبَهُ التي انتشرت في مجتمعهم، ومذاهفهم.⁽³³⁸⁾
والداعية الحكيم يكون مدركاً لما حوله، مقدراً للظروف التي يدعو فيها، مراعياً لحاجات الناس ومشاعرهم، وكل
أحوالهم.

كما أنه لا ينجح في دعوته، ولا يكون موفقاً في تبليغه ولا مسدداً في قوله وفعله حتى يعرف من يدعوه، وهل
هذا المجتمع من المسلمين العصاة، أو من المسلمين الذين انتشرت فيهم البدع والخرافات؟ هل هذا المجتمع من
أهل الكتاب؟ فإذا كانوا منهم، فهل هم من المhood أم من النصارى؟ هل هذا المجتمع من الملحدين الطبيعيين
والماديين والدهريين؟ أم من الوثنين المشركين؟

إذا عرف الداعية هذا كله، فكيف يدعو كل فئة من هذه الفئات بالحكمة؟ وماذا يقدم معهم؟ وماذا يؤخر؟ وما القضايا
التي يعطيها أهمية وأولوية قبل غيرها؟ وما الأفكار الضرورية التي يطرحها ويبدأ بها؟

وهكذا، فالداعية الحكيم كالطبيب الحكيم الذي يشخص الداء ويحدداته، ثم يعطي الدواء المناسب على حسب
حال المريض، مراعياً في ذلك: قوته وضعفه، ومدى تحمله للعلاج، فقد يحتاج إلى عملية جراحية؛ فَيَشْقَ بطنَه،
أو يَقْطَعَ شَيْئاً من أَعْصَائِهِ، من أجل استئصال المرض طلباً لصحته، وهكذا الداعية الحكيم يعرف أمراض
المجتمع، ويحدد الداء، ويعرف الدواء، وينظر ما هي الشبه والعواقب فيزيلاها، ثم يقدم المادة المناسبة بدءاً بأمور
العقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية، مع تشويق المدعو إلى القبول والإجابة.⁽³³⁹⁾

والمحاور المسلم الذي لا ينتبه لهذه الحقيقة في الحوار، ولا يعرف سيكولوجية الملاحدة، وكيفية الوصول إلى
عمق التأثير فيهم، وليس على دراية بحيلهم في التنازل، فإنه حري بالفشل في حواره؛ وذلك لأنَّ أغلب الملاحدة
مطموسي البصيرة، فكثير منهم لو رأى الحق معك ساطعاً سطوع الشمس، فلن يعترض لك به، إذا لم يكن ثمة
قبول بينه وبين نفسه في المقام الأول، وهنا يأتي قول الله تعالى: {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا
وَهُمْ مُعْرِضُونَ} [الأنفال: 23]

ومع أننا مطالبون بأن نكون متفائلين في دعوتنا، ولكن علينا أيضاً أن نكون واقعيين؛ لأنَّ البداية بيد الله وحده،
فلا تكن مثالياً، وتظن أنَّ دعوتك ستؤتي ثمارها في اللحظة نفسها، وذلك لأنَّ الذي يستمع إلى ما معك من الحق،
في الغالب لن يقتتنع به في نفس الجلسة.

وليس كل كافر أو ملحد يجادل عناداً، فهناك من يسأل وينتظر الإجابة ويعطيك المجال للرد، مثل هذا أَعْطِهِ
وقتك، وهناك من لا ينتظر وقبل أن تجيبه يأتي بشبهة أخرى، فهذا معاند، لا يريد الحق، وصدق القائل في حقه:
"طالب الحق يكتفيه دليل، وصاحب الهوى ليس لنا عليه سبيل، ولن يكتفيه ألف دليل".

تنبيه: ثمة فرق بين الحوار مع ملاحدة الغرب وملاحدة البلدان العربية الذين لا يعرفون إلا العبرية وسلطنة
السان وسوء الأدب، والتعدى الفج الغوغائي -دون أدنى خلق أو لياقة- على مشاعر الرأي العام وشعائره
ومعتقداته وهؤلاء بالطبع مرضى وغير أسيوياء.

(338) انظر:شرح الإمام النووي على مسلم، 1/197، 225، وفتح الباري، 1/47، 37، 155، وزاد الداعية إلى الله للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص 7.

(339) بتصرف: كيفية دعوة الملحدين إلى الله تعالى، في ضوء الكتاب والسنة، أ.د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني رحمه الله، ص 6-7.

الباب الخامس: دلائل وجود الله العقلية والحسية والشرعية

ويتكون من الفصول التالية:

الفصل الأول: الاستدلال بالأدلة في دعوة الملحدين إلى الإيمان بالربوبية:

ويشتمل على المباحث التالية:

- المبحث الأول: الاستدلال بدليل الفطرة على وجود الله.
- المبحث الثاني: الاستدلال بدليل الخلق والإيجاد على وجود الله.
- المبحث الثالث: الاستدلال بدليل الإحکام والإتقان على وجود الله.
- المبحث الرابع: الاستدلال بدليل التخصص على وجود الله.
- المبحث الخامس: الاستدلال بدليل التسوية على وجود الله.
- المبحث السادس: الاستدلال بدليل التقدير على وجود الله.
- المبحث السابع: الاستدلال بدليل دلائل النبوة على وجود الله.
- المبحث الثامن: الاستدلال بدليل مكارم الأخلاق على وجود الله.

الفصل الثاني: توحيد الربوبية، حقيقته، وأداته.

ويشتمل على المباحث التالية:

- المبحث الأول: تعريف توحيد الربوبية.
- المبحث الثاني: أصول توحيد الربوبية.
- المبحث الثالث: أدلة توحيد الربوبية.

الفصل الثالث: بيان البراهين والأدلة العقلية على وجود الله.

الفصل الرابع: بيان الأدلة الحسية على وجود الله.

الفصل الخامس: بيان الأدلة الشرعية على وجود الله.

الفصل السادس: شبہات الملحدين وإجابتها.

ويشتمل على المباحث التالية:

- المبحث الأول: لماذا لا يكون هناك أكثر من إله أزلي؟
- المبحث الثاني: سقوط فرضية تعدد الآلهة.
- المبحث الثاني: موقف المسلم من قضية الإلحاد.

- الفصل الأول: الاستدلال بالأدلة في دعوة الملحدين إلى الإيمان بالربوبية يمكن بيان معالم دعوة الملحدين إلى الإيمان بالربوبية أولاً من خلال المعالم التالية:**
- 1 دليل الفطرة.
 - 2 دليل الخلق والإيجاد.
 - 3 دليل الأحكام والإتقان.
 - 4 دليل التخصيص.
 - 5 دليل التسوية.
 - 6 دليل التقدير.
 - 7 دليل دلائل نبوة الأنبياء.
 - 8 دليل مكارم الأخلاق.

المبحث الأول: الاستدلال بدليل الفطرة على وجود الله

المطلب الأول: حقيقة الفطرة في اللغة والاصطلاح:

أولاً: حقيقة الفطرة في اللغة:

" جاء في المعجم الوسيط: أن الفِطْرَةَ، هي: الْخِلْقَةُ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا كُلُّ مَوْجُودٍ أَوْلَى حَلْقِهِ ."

والفِطْرَةُ: الطبيعة السليمة لم تُشَبِّه بغيرها، وفي التنزيل العزيز: {فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} [الروم: 30]. والفِطْرَةُ السليمة: استعداد لإصابة الحكم والتمييز بين الحق والباطل. والجمع: فِطْرٌ.⁽³⁴⁰⁾

- وجاء في لسان العرب: فَطَرَ الشَّيْءَ يَفْطُرُهُ فَطْرًا فَانْفَطَرَ، إِذَا شَقَّهُ، فَشَقَّ الشَّيْءَ مَعْنَاهُ فَطْرَهُ، وَتَفَطَّرَ الشَّيْءُ: تَشَقَّقَ، وَالْفَطْرُ هُوَ الشَّقَّ، وَجَمِيعُهُ فُطُورٌ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: {هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ} [الملك: 3].

وأصل الفَطْرُ: الشَّقَّ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار: 1]; أَيْ: انشقت، وَفِي الْحَدِيثِ: "قَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى تَفَطَّرَتْ قَدَمَاهُ"⁽³⁴¹⁾، أَيْ انشَقَّتَا.

وقالوا: سيف فطار: أَيْ، فِيهِ صَدْوَعٌ وَشَقْوَقٌ.

وقال عنترة: وَسَيْفٌ كَالْعَقِيقَةِ وَهُوَ كَمْعَي.. سِلَاحٍ لَا أَفَلَ وَلَا فُطَارًا⁽³⁴²⁾

- والفَطْرُ هو الابتداء والاختراع، قال الله عز وجل: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [فاطر: 1]، يعني: خالقهما ومبتدئهما.

- قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت لا أدرى ما (فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرت البئر، فهي بئري، يعني: أنا بدأتها. ففهم معنى الفطر من قول الأعرابي، فهذا من حيث اللغة.

ثانياً: حقيقة الفطرة في الاصطلاح:

" هي الطَّبَعُ السَّوْيُ، والجِبَلَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ الَّتِي خَلَقَ النَّاسُ عَلَيْهَا".⁽³⁴³⁾

المطلب الثاني: النصوص الشرعية الدالة على فطرية معرفة الله وتوحيده:

أ/ قال تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفَا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم: 30].

- (قال ابن كثير: أَيْ: "سدد وجهك واستمر واثبت على هذا الدين الذي شرعه الله لك من الحنفية السمحاء، ملة إبراهيم عليه السلام التي هداك الله لها، وكملاها لك غاية الإكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فقد فطر الله تعالى العباد على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره".

(340) انظر: المعجم الوسيط، 6942، والقاموس المحيط ص 587، والمعجم الوسيط 694 / 2.

(341) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ مِنَ الظَّلَلِ حَتَّى تَفَطَّرَ قَدَمَاهُ". صحيح البخاري 4837.

(342) اللسان: 5/55.

(343) قال ابن حجر: (قال أبو شامة: أصل الفطرة الخلقة المبتدأة، ومنه: فاطر السموات والأرض؛ أَيْ: المبتدئ خلقهن، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((كُلُّ مُولَودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ)); أَيْ: على ما ابتدأ اللَّهُ خلقَهُ عليه، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، والمعنى: أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ لَوْ تُرُكَ مِنْ وَقْتٍ وَلَادَتْهُ وَمَا بُؤْدَهُ إِلَيْهِ نَظَرَهُ، لَأَدَهُ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ، وَبِؤْدِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى قَبْلَهَا: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفَا فِطْرَةَ اللَّهِ، وَإِلَيْهِ يُشَيرُ فِي بَقِيَةِ الْحَدِيثِ؛ حِيثُ عَقَبَهُ بِقَوْلِهِ: ((فَأَبْوَاهُ مُهَرَّدَانِهِ وَمُنْصَرَانِهِ))، وَالْمَرَادُ بِالْفِطْرَةِ فِي حَدِيثِ الْبَابِ: أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَايَهُ إِذَا فُعِلَتْ أَتَصَفَّتْ فَاعْلَمُهَا بِالْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ الْعَبَادَ عَلَيْهَا، وَحَمَّمَهُمْ عَلَيْهَا، وَاسْتَحْيَاهُمْ عَلَيْهَا صُورَهُ اهـ) (فتح الباري) (10/339). وَيَنْظَرُ: ((فتاوِي الْجَنَّةِ الدَّائِمَةِ - المَجْمُوعَةُ الْأُولَى)) (143/5)، ((مجموع فتاوى ورسائل العثيمين)) (11/130-131).

- قوله: (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)، قال بعضهم: "معناه لا تبدلوا خلق الله، فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها، فيكون خبراً بمعنى الطلب"، وقال آخرون: "هو خبر على بابه، ومعناه: أنه تعالى ساوي بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك".⁽³⁴⁴⁾

- والمقصود بقوله تعالى: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}، هي فطرة الإسلام⁽³⁴⁵⁾، وحقيقةها هو الاستسلام لله وحده، وقبول العقيدة الصحيحة، والسلامة من الاعتقادات الباطلة.

ب/ قال تعالى: {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَئِنَّا فِي اللَّهِ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤْخِرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمٍّ قَالُوا إِنَّا أَنَّتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَنْتُنَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ} [إبراهيم: 10].

(أَفِي اللَّهِ شَكٌّ) يُحْتَمِلُ فِيهَا مَعْنَى:

- أحدهما: أفي وجوده شك؟؛ فإن الفطر شاهدة بوجوده، ومحبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده؛ ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه (فاطر السماوات والأرض) الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سابق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسيير ظاهر علمها، فلا بد لها من صانع، وهو الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه.

- المعنى الثاني: أفي الْوَهِيَّةِ وتفرده بوجوب العبادة له شك؟، وهو الخالق لجميع الموجودات، فلا يستحق العبادة إلا هو، وحده لا شريك له؛ فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع، ولكن تعبد معه غيره من الوسائل التي يظنوها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى.⁽³⁴⁶⁾

ج/ قوله تعالى: {وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ طُلُوها مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَّا تُبْرِكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} [الأعراف: 172].

"هذه الآية بيّنة في إقرارهم وشهادتهم على أنفسهم بالمعرفة التي فطروا عليهم أن الله ربهم. وطائفة من العلماء جعلوا هذا الإقرار، لما استخرجوه من صلب آدم، وأنه أنطقهم وأشهدهم. وسواء كان هذا الإقرار مقاليا في عالم الذر، أو كان الإقرار حالي وهو المعرفة بالله وتوحيده التي خلقهم عليها، فكلاهما دال على فطرية المعرفة والتوحيد".⁽³⁴⁷⁾

د/عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبْوَاهُ يُهُودَانِهُ أَوْ يُنَصَّرَانِهُ أَوْ يُمَجِّسَانِهُ".⁽³⁴⁸⁾

ومعنى أن (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ): أي أن الله سبحانه ركب فيه نوعاً من الجبلة يكون معها متيناً لقبول الحق طبعاً وطوعاً و اختياراً، لو تركته شياطين الإنس والجن.

وفي رواية: "ما من مولود يولد إلا على هذه الملة" (أي على ملة الإسلام)، حتى يُبين عنده لسانه، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يشركانه".⁽³⁴⁹⁾

¹ انظر: تفسير ابن كثير، (320/6) ط، الشعب، وتبشير الكريم الرحمن، للسعدي (640).

² (345) قال البخاري: والفطرة الإسلامية. انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب لا تبديل لخلق الله.

³ انظر: تفسير ابن كثير، (320/6) ط، الشعب، وتبشير الكريم الرحمن، للسعدي (640).

⁴ انظر: درء تعارض العقل والنقل، لأبن تيمية (487/8)، ومعارج القبول، للحكمي (85/1).

⁵ رواه البخاري 1385، ورواه مسلم 2658، لفظة "الملة" للترمذى 2138، ولفظة "على هذه الملة" عند أحمد 7443.

⁶ آخرجه البخاري 6599، 6600، ومسلم 2658 (349)

قال ابن كثير رحمه الله: "فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره".⁽³⁵⁰⁾
 ذلك أن الفطر السليمة توجب أن يكون لهذا العالم العجيب العظيم ربٌ خلقه وأوجده، مالك له ومدبر له
 ومتصف فيه، وأن هذا الرب هو المستحقٌ وحده أن يُعبد ويُوحَّد، وأن تصرف إليه جميع صنوفُ العبادة قال
 تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 21].

ثم ينبغي أن يكون هو الذي يأمرُ فيطاع، وينهى فلا يعصى {أَلَا لَهُ الْخُلُقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: 54].

وقال ابن القيم: "ليس المراد بقوله صلى الله عليه وسلم: "يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ" أنه خرج من بطن أمه يعلم الدين
 ويعتقد الإسلام بالفعل؛ لأنَّ الله يقول: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
 وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشَكُّرُونَ} [سورة النحل: 78]."

ولكنَّ المراد أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام ومحبته، وقبوله وإرادته للحق، وإقراره بالربوبية، فلو خلَّ
 من غير معارض ومن غير مغِيرٍ لما كان إلا مسلماً، ولم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائمه
 بدنَه من ارتضاع للبن حتى يصرفه عنه صارف، ومن ثم شُهِّدت الفطرة بالبن، فهي تستلزم معرفة الله ومحبته
 وتوحيده".⁽³⁵¹⁾

ومعنى هذا أن الإنسان إذا ترك بدون مؤشر خارجي فالمفروض أنه يقر بوجود الله وأحقيته بالعبودية وحده.
 ودلَّ قوله صلى الله عليه وسلم: (يُهَوَّدَانِهُ أَوْ يُصَرَّاهُ أَوْ يُمَجَّسَانِهُ) ولم يقل: وَيُسْلِمَانِهُ، على أن المراد بالفطرة:
 معرفة الله وتوحيده.

أول واجب على المكلف:

هو النطق بالشهادتين؛ لكون الإقرار بوجود الله فطري في النفوس؛ ولذا لم تأتِ الأنبياء بالتدليل عليه، وإنما
 كانت تستخدمنه وسيلة تذكيرية بما هو مستقر في نفوسهم: لِأَمْرِ النَّاسِ بِالْعِبُودِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهِ.
 عن ابن عباسِ، رضيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَادِ بْنَ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ:
 إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهُدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكُمْ
 بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ حَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ... الحديث".⁽³⁵²⁾

وليس في الرسل من قال حينما دعا قومه ابتداءً: إنكم مأمورون بطلب معرفة الخالق، فانتظروا واستدلوا حتى
 تعرفوه، فلم يُكْلِفُوا أولاً بنفس المعرفة، ولا بالأدلة الموصلة إلى المعرفة، إذ كانت قلوبهم تَعْرِفُه وَتُقْرِرُ به، فكلُّ
 مولود يولد على الفطرة؛ والإنسان إذا ذُكرَ ذَكْرٌ ما في فطرته، ولهذا قال الله في خطابه لموسى: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيَّنًا
 لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى} [طه: 44] (لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ). ما في فطرته من العلم الذي به يَعْرِفُ ربه، ويَعْرِفُ إنعامه عليه،
 وإحسانه إليه، وافتقاره إليه، فذلك يدعوه إلى الإيمان، (أَوْ يَخْشَى) ما يُنْذِرُه به من العذاب، فذلك أيضاً يدعوه
 إلى الإيمان.

(350) تفسير تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير (ت 774هـ).

(351) انظر: شرح التوسي على مسلم، 16/208، وفتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، 4/247، 16/344، 4/249، وفتح الباري، 3/248-250.

¹ رواه البخاري 1496، ورواه مسلم 29.

² انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، (10-6/8).

المطلب الثالث: كيفية الاستدلال بدليل الفطرة

إنَّ "دليل الفطرة" والذي يُعدُّ من الأدلة على وجود الله عز وجل، ووحدانيته، هو تصور ضروري مفروض على الذهن فرضاً، فلا نحتاج فيه إلى استدلال، فبمجرد النظر في المخلوقات، نعلم يقيناً بأنَّ لها خالقاً. "ولقد خلقنا الله عز وجل وزودنا بقوى علمية وإرادية تُوجِّبُ الإقرار بوجوده ووحدانيته، فالاعتقاد بأن الكون لا بد له من خالق، وهذا الخالق محبوب، وهذا المحبوب لا بدَّ من عبادته وحده، هذه القضايا جعلها الله في قلوبنا منذ أن خلقنا".⁽³⁵³⁾

وقد قيل لأعرابي من البابية:

بم عرفت ربك؟ فَقَالَ: الْأَثْرُ يَدْلُلُ عَلَى الْمَسِيرِ، وَالْبَعْرَةُ تَدْلُلُ عَلَى الْبَعِيرِ، فَسَمَاءُ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَأَرْضُ ذَاتُ فِجَاجٍ، وَبِحَارُ ذَاتُ أَمْوَاجٍ، أَلَا تَدْلُلُ عَلَى الْلَّطِيفِ الْخَيْرِ؟

وقال أبو حنيفة رحمه الله:

"أَخْبَرَنِي عَنْ سَفِينَةٍ فِي دَجْلَةٍ تَذَهَّبُ فَتَمْتَلِئُ مِنَ الطَّعَامِ وَالْمَتَاعِ وَغَيْرِهِ بِنَفْسِهَا، وَتَعُودُ بِنَفْسِهَا، فَتَرْسِي بِنَفْسِهَا، وَتَفْرَغُ وَتَرْجِعُ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْبِرَهَا أَحَدٌ؟ فَقَالُوا: هَذَا مَحَالٌ لَا يَمْكُنُ أَبْدَاهُ!"

فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفيننة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله!⁽³⁵⁴⁾

الفطرة الكامنة للعبودية في نفوس الناس:

تلك الفطرة، والتي تشهد عليها دراسات علوم النفس والاجتماع اليوم تؤكد بأن ثمة نزعة نفسية تقود الإنسان نحو خالق يعبده، ولو قُدِّرَ بأنَّ أشخاصاً ولدوا في جزيرة بعيدة دون أن يدخل عليهم أي مؤثر خارجي يحرف فطرتهم، لتوجهت فطرتهم إلى عبادة الخالق دون تكلف منهم أو تأثير من غيرهم، ففي فطرة الإنسان افتقار ذاتي إلى قوة غيبية كاملة غنية يرجو منها النفع، ويستدفع بها الضر، ويتدلل لها، وخاصة عند الشدائيد؛ ولذلك تجد أنَّ الأمم كلها من قديم الزمان، وفي مختلف البلدان لها أماكن للعبادة، حتى عبدوا الشمس والكواكب والنار والأحجار ملتزمين بذلك جلب النفع ودفع الضر، وما ذاك إلا لافتقار الإنسان بطبيعته إلى الإله الذي يملأ تطلعات روحه و حاجاته، غير أنَّ البيئة التي ينشأ فيها الإنسان قد تسهم في تشويش الغاية الصحيحة، فبدل أن يتوجه للإله الحق يتوجه إلى آلهة باطلة يُعَلَّمُ بالعقل قبل الشع بطلانها.

الفطرة مَيْلٌ طَبِيعي يحمله جميع البشر:

إذ جعلهم الله عز وجل مفطورين على محبة الخير وإيثاره، وكراهية الشر ودفعه، حنفاء مستعدين لقبول الخير والإخلاص لله والتقرب إليه.⁽³⁵⁵⁾

و(الحقيقة التي نستنبطها من القرآن في هذه القضية): "هي أنَّ كل مولود يولد على فطرة التوحيد"، فقد دلتنا قصة آدم عليه السلام على أنه كان على عقيدة التوحيد، ودل القرآن الكريم والسنة النبوية على أنَّ هذا لم يكن

² انظر: المعرفة في الإسلام، د. عبدالله القرني (242-213).

(354) انظر: دلائل الإسلام، د. أحمد سعد حمدان (15)، والعقيدة في الله، للأشقر (68).

(355) بتصرُّف: كتاب القول المسديد 1/62.

خاصاً بالإنسان الأول وهو آدم عليه السلام، وإنما هو عام في كل مولود).⁽³⁵⁶⁾

وتجرد الإشارة هنا إلى أنَّ الدعوة ليست مهمة صعبة؛ فكل شخص يحمل في داخله ميلاً طبيعياً يُرْغِبُه في عبادة الله سبحانه وتعالى، ولكنها تتغير بسبب تأثير الوالدين، والتنمية الاجتماعية، وغيرها من العوامل، "ولو تركَ عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، وإنما يعدل عنها من يعدل؛ لافتاً من آفات البشر والتقليد... وكل مولود يولد على معرفة الله والإقرار به، فلا تجد أحداً إلا وهو يقر بأن له صانعاً وإن سماه بغير اسمه، أو عبد معه غيره".⁽³⁵⁷⁾

قال صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى: "إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ لَكُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتُهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتُهُمْ عَنِ دِينِهِمْ وَحَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمْرَتُهُمْ أَنْ يُتُشَرِّكُوا بِي مَا لَمْ أُنْرِلْ بِهِ سُلْطَانِي".⁽³⁵⁸⁾

ولذلك، فإنَّ ما يجعل من الدعوة مهمة سهلة، هو دعوتنا الناس للعودة إلى أصل حالهم الطبيعية، ذاك الأمر الذي يعرفونه في قراره أنفسهم، وهو أنَّ الله هو رب، والإله المعبود.

ملحد يستغثث بالله:

من أقوى الأدلة الفطرية أيضاً على وحدانية الله عز وجل، عندما تنظر إلى حال الناس إذا كربتهم الشدائـد، ووقعوا في المـالـكـ، وأشرفوا على المـخـاطـرـ، لـتـجـدـ قـلـوـبـهـمـ مـعـلـقـةـ بـالـلـهـ، وأصـوـاتـهـمـ مـرـفـعـةـ بـسـؤـالـهـ، وأـفـئـدـهـمـ تـنـظـرـ إـلـىـ إـغـاثـتـهـ، لـأـتـلـفـتـ يـمـنـةـ وـلـيـسـرـةـ إـلـاـ إـلـيـهـ".⁽³⁵⁹⁾

ولقد حدثنا بعض الملحدـينـ أنهـ عندـماـ أـصـابـهـ شـيـءـ مـهـلـلـ بـغـتـةـ، وـجـدـ نـفـسـهـ يـسـتـغـثـ بـالـلـهـ تـلـقـائـاـ دونـ أـنـ يـشـعـرـ، ولـسـانـهـ يـجـأـرـ:ـ (ـيـاـ أـلـلـهــ)".

ومـاـ ذـلـكـ إـلـاـ لـأـنـ فـطـرـةـ الإـنـسـانـ تـدـلـهـ عـلـىـ وـجـودـ الـرـبـ عـزـ وـجـلـ، وـالـعـاقـلـ إـذـ رـجـعـ إـلـىـ نـفـسـهـ وـعـقـلـهـ أـدـنـىـ رـجـوعـ، عـرـفـ اـفـتـقـارـ إـلـىـ خـالـقـهـ تـعـالـىـ، فـهـوـ مـفـتـقـرـ إـلـيـهـ فـيـ تـكـوـيـنـهـ وـبـقـائـهـ وـتـقـلـبـهـ فـيـ أـحـوالـهـ".⁽³⁶⁰⁾ وكـذـلـكـ إـذـ نـظـرـ إـلـىـ الـخـلـائـقـ، عـلـمـ فـقـرـهـمـ جـمـيعـاـ إـلـيـهـ، فـهـمـ فـقـرـاءـ إـلـىـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ فـيـ الـخـلـقـ وـالـإـيـجادـ، وـفـيـ الـبـقـاءـ وـالـرـزـقـ وـالـإـمـدادـ، وـفـقـرـاءـ إـلـيـهـ فـيـ جـلـ الـنـافـعـ وـدـفـعـ الـمـضـارـ.

ومـاـ يـزـيدـ ذـلـكـ وـضـوـحـاـ أـنـ الـخـلـقـ مـتـىـ شـاهـدـواـ شـيـئـاـ مـنـ الـحـوـادـثـ الـمـتـجـدـدـةـ كـالـرـعـدـ وـالـصـوـاعـقـ، وـالـزـلـازـلـ، وـالـبـرـاكـينـ الـمـتـفـجـرـةـ الـثـائـرـةـ، وـالـرـيـحـ الـشـدـيـدـةـ، وـاـنـهـمـارـ الـأـمـطـارـ الـغـزـيرـةـ، وـفـيـضـانـاتـ الـأـنـهـارـ، وـاضـطـرـابـ الـأـمـوـاجـ فـيـ الـبـحـارـ وـالـمـحـيـطـاتـ، مـتـىـ شـاهـدـواـ ذـلـكـ دـعـواـ اللـهـ وـسـأـلـوهـ وـافـتـقـرـواـ إـلـيـهـ؛ـ لـأـنـهـ يـعـلـمـ يـعـلـمـ أـنـ هـذـهـ الـحـوـادـثـ الـمـتـجـدـدـةـ لـمـ تـجـدـدـ بـنـفـسـهـاـ،ـ بـلـ لـهـاـ مـحـدـثـ أـحـدـهـاـ،ـ وـإـنـ كـانـواـ يـعـلـمـونـ هـذـاـ فـيـ سـائـرـ الـمـحـدـثـاتـ؛ـ لـكـنـ مـاـ اـعـتـادـواـ حـدـوثـهـ؛ـ لـأـنـهـ صـارـ مـأـلـوفـاـ لـهـمـ،ـ بـخـلـافـ الـمـتـجـدـدـ،ـ وـلـوـ لـمـ يـكـنـ إـلـاـ خـلـقـ الـإـنـسـانـ،ـ فـإـنـهـ مـنـ أـعـظـمـ الـآـيـاتـ،ـ فـكـلـ يـعـلـمـ أـنـهـ لـمـ يـحـدـثـ نـفـسـهـ،ـ وـلـأـبـوـاهـ أـحـدـهـاـ،ـ وـلـأـحـدـ مـنـ الـبـشـرـ أـحـدـهـاـ،ـ وـيـعـلـمـ أـنـهـ لـاـ بـدـ لـهـ مـنـ خـالـقـ خـلـقـهـ،ـ وـأـنـ هـذـاـ الـخـالـقـ مـوـجـودـ،ـ حـيـ،ـ عـلـيمـ،ـ قـدـيرـ،ـ سـمـيعـ،ـ بـصـيرـ،ـ حـكـيمـ،ـ حـفـيـظـ".⁽³⁶¹⁾ يـقـولـ اللـهـ تـعـالـىـ:ـ {سـتـرـيـهـمـ آـيـاتـنـاـ فـيـ الـأـقـاـقـ وـفـيـ أـنـفـسـهـمـ حـتـىـ يـتـبـيـأـ}

(356) دروس الشيخ محمد إسماعيل المقدم | مجلد 100 | صفحة 22

(357) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، 3 / 457 ، وفتح الباري ، 3 / 248-250.

(358) صحيح مسلم، كتاب الجنـةـ، بـابـ الصـفـاتـ الـتـيـ يـعـرـفـهـاـ فـيـ الـدـنـيـاـ أـهـلـ الـجـنـةـ وـأـهـلـ النـارـ (2865).

(359) بتصرف/ انظر: الرياض الناضرة والحادائق النيرة الزاهرة، ص 251، 252.

(360) بتصرف: كتاب الداعي إلى الإسلام لعبد الرحمن الأتياري، ص 211، ودرء التعارض بين العقل والنقل، 113/3.

(361) انظر: درء تعارض العقل والنقل، 122/3، 129، 131، 137.

لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكُفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت: 53].

لا يوجد ملاحدة في الخنادق:

يقول أحد رؤساء أمريكا -أيزنهاور- وكان قائداً للقوات الأمريكية في الحرب العالمية الثانية بعد أن شاهد كيف أنَّ القوات تعود للفطرة وقت الخطر الشديد: "لا يوجد ملاحدة في الخنادق".⁽³⁶²⁾

في الخندق وقت الحرب لا يوجد مُنْكِرٌ لله، الكل يعود إليه، فهذه حقيقة الفطرة التي يعترف بها كل البشر وخاصة في الأوقات العصيبة، ولا يستطيع أن ينكراها حتى أشد الناس كفراً.

ويقول الله عز وجل تذكيراً لهذا الإنسان الجاحد: {وَإِذَا مَسَكُمُ الظُّرُفُ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} [سورة الإسراء: 67].

ويقول تعالى: {وَمَا يَكُمْ مِنْ نَعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الظُّرُفُ فِي الْبَحْرِ تَجْرُونَ} [سورة النحل: 53]. فَبَيْنَ هُنَّا أَنَّ النَّاسَ إِذَا غَلُوا عَنْ هَذِهِ الْفَطْرَةِ فِي حَالِ السَّرَّاءِ، فَلَا شَكَ أَنَّهُمْ يَلْوِذُونَ إِلَيْهَا فِي حَالِ الضَّرَاءِ؛ لِعِلْمِهِمُ الْفَطْرِيُّ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَكْشِفُ الْشَّدَائِدَ، وَلَا مَلْجَأٌ مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ بِلِسَانِ الْمَقَالِ وَلِسَانِ الْحَالِ. فَهُلْ هَذِهِ الْأَمْرَوْرَ تَحْصُلُ إِلَّا لِأَنَّ الْخَلِيقَةَ مَفْطُورَةٌ عَلَى الاعْتِرَافِ بِرَبوبِيَّةِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَنَّ بِيَدِهِ النَّفْعُ وَالضَّرُّ، وَلِهِ مَلْكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، إِلَّا مِنْ فَسَدَتْ فَطْرَتَهُ بِالْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ!}.⁽³⁶³⁾

الأوثان والطبيعة بحاجة إلى خالقه:

فكلاهما لا تملكان القدرة على خلق الكون من الذرة إلى المجرة بتلك الدقة، وهذا الإتقان المدهش؛ إنَّه: {صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}!⁽³⁶⁴⁾؛ فالأوثان التي يعبدوها الكفار، والطبيعة التي يؤمن بها الملحد، كلاهما مفتقر إلى خالقه؛ فلا الأوثان ولا الطبيعة تملكان من أمرهما شيئاً، ولا لديهما القدرة على ضبط الهرمونات بداخلك بهذا الإحكام، ولا على ضبط وظائف جسمك بتلك البراعة، وليس لديهما القدرة على وضع الشفرة الوراثية، والتي هي ملابس المعلومات داخل كل خلية حية، ولا لديهما القدرة على إيجاد أي شيء، ولا حتى إيجاد أنفسهما.

المبحث الثاني: الاستدلال بدليل الخلق والإيجاد على وجود الله

المطلب الأول: توطئة وتقديم:

إنَّ لهذا الدليل أسماء متعددة في الفضاء الديني عموماً، والفضاء الإسلامي بشكل خاص، تدور جميعاً حول فِكْرَةِ مركبةٍ بأنَّ ما وُجِدَ بعد عدمٍ فلا بُدَّ له من سببٍ رُجْحَ وجُودُه على عدمه، وأنَّ ما كان ممكناً فهو مفترض حتماً إلى وجود واجب أحدهه، وذاك السبب هو الله تعالى.

- ومن الأسماء التي اصطلحَ على تسمية هذه الدليل به:
دليل الخلق، والإيجاد، والحدث، والاختراع، والمحرك الأول، والدليل الكلامي، والدليل الكوني، والدليل

(362) https://en.wikipedia.org/wiki/There_are_no_atheists_in_foxholes

(363) بتصرف/ انظر: الرياض الناضرة، ص 252. وعقيدة المسلمين للبلبيسي، 1/ 70، وشرح أصول الإيمان للشيخ محمد بن عثيمين، ص 15.

(364) النمل: 88

الكوزمولوجي (الكوني)، وغيرها من الأسماء.⁽³⁶⁵⁾

ومن تأمل في هذا الدليل، وجده من أيسر الأدلة على وجود الله تعالى، وأقربها مأخذًا، وهو ما يفسر شيوخ هذا النمط الاستدلالي في جميع الحضارات والثقافات والأمم، إذ بواعثه سؤال فطري يُفتش عن أسباب ما يُرى ويحس به من الحوادث، والمراد به أنَّ الله سبحانه وتعالى جعل وجود كل مخلوق من مخلوقاته دليلاً على وجوده؛ إذ ما من شيء إلا وهو أثر من آثار قدرته سبحانه، وما ثمَّ إلا خالق ومخلوق، والمخلوق يدل على خالقه فطرةً وبِداهةً، فما من أثر إلا وله مؤثر، كما اشتهر في قول الأعرابي الذي سئل: كيف عرفت ربك؟ فقال بفطرته السليمة: "سبحان الله إن البُّعْرَةَ تدلُّ على البعير، والأثر يدلُّ على المسير، فسماء ذاتُ أبراج، وأرض ذاتُ فجاجٍ، وبحُجُّ ذاتُ أمواج، ليل داج، ونهار ساج، ألا يدلُّ ذلك على اللطيف الخبير".⁽³⁶⁶⁾

وقال ابن تيمية: "العالَمُ - بفتح اللام - مثل [الخاتَم][367]، ما يُعلَمُ به، كما أنَّ الخاتَمَ ما يُختَمُ به، ويسمى كل صنف من المخلوقات عالَمًا؛ لأنَّه عَلَمَ وَبُرْهَانٌ على الخالق تعالى".⁽³⁶⁸⁾

المطلب الثاني: كيفية الاستدلال بدليل الخلق والإيجاد:

تحصل حقيقة هذا الدليل في الاستدلال على ضرورة وجود الله بحدوث الكون بجميع مكوناته وأحداثه، فالكون حدث من الأحداث، وفعل من الأفعال، وكلُّ شيء يحدث بعد أن لم يكن، فإنه يجب أن يكون له فاعل؛ لاستحالة أن يكون وجودها وانتقالها من العدم إلى الوجود ذاتياً من غير سبب.

وهذا الدليل مبني على مقدمتين ونتيجة:

المقدمة الأولى: المخلوقات وُجدت بعد أن لم تكن موجودة.

المقدمة الثانية: كل ما وُجد بعد أن لم يكن موجوداً فلا بد له من خالق.

النتيجة: إذن، المخلوقات لها خالق.

الاستدلال على المقدمة الأولى:

الدليل على هذه المقدمة: **الحسن والمشاهدة**: قال شيخ الإسلام: "الطريقة المذكورة في القرآن هي الاستدلال بحدوث الإنسان وغيره من المحدثات المعلوم حدوثها بالمشاهدة، ونحوها على وجود الخالق سبحانه وتعالى، فحدوث الإنسان يستدل به على المحدث ... نفس حدوث الحيوان والنبات والمعدن والمطر والسحاب ونحو ذلك معلوم بالضرورة، بل مشهود لا يحتاج إلى دليل، وإنما يُعلم بالدليل ما لم يُعلم بالحس وبالضرورة.

والعلم بحدوث هذه المحدثات علم ضروري لا يحتاج إلى دليل، وذلك معلوم بالحس أو بالضرورة: إما بإخبار يُفيد العلم الضروري، أو غير ذلك من العلوم الضرورية؛ فحدوث الإنسان من المني كحدوث الثمار من الأشجار، وحدوث النبات من الأرض، وغيرها من الأمثل.

(365) شموع المهار، عبد الله العجيري، ص 95.

(366) انظر: الرياض الناصرة ص 258، ومنهاج الجدل في القرآن ص 139، وهي من خطبة لقس بن ساعدة، انظر البيان والتبيين للجاحظ 1 / 254 وبنحوه عن الأصمبي يرويه عن بعض الأعراب. المجالس الوعظية 1 / 461.

(367) مثل الخاتَمَ: أي على وزنه.

³ انظر: النبوات، لابن تيمية (268).

ومن المعلوم بالحس أن نفس الثمرة حادثة كائنة بعد أن لم تكن، وكذلك الإنسان وغيره، كما قال تعالى: {أَوْلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا} [مريم: 67]، {قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيْهِ هَيْنُ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا} [مريم: 9].⁽³⁶⁹⁾

الاستدلال على المقدمة الثانية:

المقدمة الثانية مبنية على ما يسمى: مبدأ السببية، وقد قال ولIAM لain كرايغ – بروفسور الفلسفه الأمريكية – عن أدلة هذا المبدأ: "أولاً وقبل كل شيء، إن من لب الواقع الحتمي أنه لا يمكن لشيء أن يوجد من لا شيء، وإن اقتراح ظهور الأشياء إلى الوجود ببساطة وبدون أي سبب هو إلغاء للباحث الفلسفى الجدى والتجاء للسحر.

ثانياً: إذا كانت الأشياء تستطيع فعلاً أن تأتي إلى الوجود بلا سبب ومن لا شيء، فيصبح من المتعذر تفسير كيف يمكن حقيقةً شيء وكل شيء إلا يأتي إلى الوجود بلا سبب ومن لا شيء.

أخيراً: إن المقدمة الأولى مصدق علمها بشكل مستمر في خبراتنا. فلدينا وبالتالي أقوى الدوافع لقبولها".⁽³⁷⁰⁾

فبَنَى هذه المقدمة على ثلاثة أدلة:

1/ عدم قبول مبدأ السببية، يؤدي إلى إلغاء الباحث الفلسفى الجدى والتجاء للسحر.

2/ عدم قبوله، يؤدي إلى استحالة تفسير كون الأشياء لا تأتي إلى الوجود بلا سبب، والواقع أن الأشياء لا تأتي للوجود بلا سبب.

3/ مبدأ السببية مصدق بشكل مستمر في خبراتنا.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن هذا المبدأ مركوز في فطرة الإنسان إذ قال: "حدوث الحادث بلا محدثٍ أحدهُ، معلومُ البطلان بضرورة العقل، وهذا أمرٌ مركوزٌ في بني آدم حتى الصبيان، لو ضربَ الصبي ضربةً، فقال: من ضربني؟ فقيل: ما ضربتك أحد، لم يصدق عقله أن الضربةً حدثت من غير فاعل؛ ولهذا لو جوزَ مجيئُ أن يحدُث كتابةً أو بناءً أو غراسً ونحو ذلك من غير محدثٍ لذلك، لكان عند العقلاة إما مجنوناً وإما مُسْفِطًا، كالمنكر للعلوم البدائية والمعارف الضرورية، وكذلك معلوم أنه لم يحدُث نفسه، فإن كان معدوماً قبل حدوثه لم يكن شيئاً، فَيُمْتنعُ أن يُحدِثَ غيره فضلاً عن أن يُحدِثَ نفسه".⁽³⁷¹⁾

النتيجة: المخلوقات لها خالق خلقها.

المطلب الثالث: النصوص الشرعية الدالة على الخلق والإيجاد:

مع أن دليل الخلق والإيجاد دليل عقلي في أصله، إلا أن النصوص الشرعية في الإسلام اهتمت به كثيراً، وكررت التنبية عليه مراراً، وأشارت إلى مسلماته التي يقوم عليها، وإلى مقتضياته التي ينتهي إليها في مواطن متعددة.

.(369) درء تعارض العقل والنقل: (7) 209–210

(370)Richard Dawkins of Arguments for God, in God is Great God is Good (14)

.(371) الجواب الصحيح لمن بدأ دين المسيح (3) 203

أولاً: في نصوص القرآن الكريم:

1/ قال تعالى: {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيْ رَبًا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام: 164].
 ووجه الدلالة من الآية في لفظ الربوبية، أنه يتضمن السيادة والملك والتدبير، والخلق من لوازم ذلك.⁽³⁷²⁾
 وكما ذكرنا سالفاً أنَّ دليلاً الإيجاد، يعني: "أنَّ كل شيء محدثٌ، أي: وُجد بعد أن لم يكن موجوداً، لابد له من محدثٍ، أي: مُوجِدٌ"، فهذا يدلُّ على أنَّه لدينا ما لا حصر له من الأدلة على وجود الخالق سبحانه، فكل ذرة في الكون هي دليل على الخلق، إذ كل شيء محدث قد ظهر إلى الوجود هو: دليل على الخالق الموجد.
 وأنت إذا نظرت إلى الوجود تبيَّن لك أنه عارض ومتغير وليس دائماً أو أزلياً، وبالتالي فهو غير مكتَفٍ بذاته، وهذا يجعلك تقطع بعقلك بأنَّ له خالقاً، وبالتالي ينصرف نظرك إلى مُوجِد العالم بمجرد النظر في العالم.

ولذلك ما أكثر آيات القرآن في لفت النظر إلى العالم والموجودات من حولنا:

- قال الله تعالى: {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْيِيُ الْأَيَاثُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} [يونس: 101].
- وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٌ مُسَمٌّ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} [الروم: 8].
- وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} [الأعراف: 185].

إذن؛ فكلُّ شيء محدثٌ هو دليلٌ مباشر على الموجد!، وإذا كان هذا باتفاق العقلاة، فكيف يُستثنى من هذه القاعدة هذا الكون البديع بكل هذه التفاصيل الدقيقة التي لا يمكن بحال أن تكون بسبب صدفة، أو انفجار عابر، أو انتخاب أو تطور؟

ولو سُئل منكر لذلك: هل يمكن أن يكون هذا الكتاب الذي يقرأه الآن قد ظهر فجأة بين يديه؟ أو هل هناك احتمال أن تكون قد انتظمت كل هذه الكلمات بهذه الصورة على سبيل الصدفة؟ أو أن كل أحرف هذا الكتاب قد تشكّلت بسبب انتخاب طبيعي أو تطور معين حتى خرجت بهذه الصورة مفهوماً المعنى؟ لكان جواب العاقل قطعاً: لا، لا يمكن ذلك، فلا بدَّ من أنَّ هناك محدثاً لهذا الكتاب ومُؤلِّفاً له!

وإذا كان هذا الجواب على مستوى شيء واحد صغير جداً في هذا الكون، فكيف بخلق السماوات والأرض والجبال والأنهار والأشجار والبحار والكائنات الحية باختلاف أحجامها وأشكالها وكذلك الفطريات والفيروسات والميكروبات، والذرة ومكوناتها، والخلية وأجزائها، والبصمة الوراثية والحمض النووي، وتعاقب الليل والنهار وطلع الشمس والقمر ومحبيهما؟! وهذه الأجرام السماوية تملأ أعيننا كل ليل، وغير ذلك من المخلوقات التي في الكون، هل يمكن أن تكون قد وُجدت هكذا صدفة من غير موجد لها؟ لا شك أن العقل البشري السوي يأبى ذلك تماماً.

"إذا أمنا بوجود الكون؛ فلا بد أن نؤمن بإله هذا الكون منطقياً؛ إذ لا معنى لأنَّ نؤمن بالخلق ونرفض وجود خالقه، ونحن لا نعلم شيئاً جاء إلى الوجود من العدم، دون أن يُخلق، وكل شيء مهما بلغ حجمه، عَظُمَ أو صَغُرَ، جَلَّ أو دَقَّ، وراءه علة، فكيف بنا نؤمن بأنَّ كوناً عظيماً مثل كوننا جاء إلى الوجود ذاتياً، دون خالق؟!".⁽³⁷³⁾

¹ شرح العقيدة الطحاوية (136 / 1).

(373) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان 53.

2/ يقول الله تعالى: {أَمْ حَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْكِنُونَ} [الطور: 36]. [37]

يقول تعالى هؤلاء مخلوقون بعد أن لم يكونوا، فهل خلقوا من غير خالق خلقهم فهذا من المحال الممتنع عند كل من له فهم وعقل أن يكون مصنوعاً من غير صانع ومخلوق من غير خالق، ولو مرجل بأرض قفر لا بناء فيها ثم مر بها فرأى فيها بنياناً وقصوراً وعمارات محكمة لم يخالجه شك ولا ريب أن صانعاً صنعها وبانياً بناتها. ثم قال: (أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) وهذا أيضاً من المستحيل أن يكون العبد موجداً خالقاً لنفسه، فإن من لا يقدر أن يزيد في حياته بعد وجوده، وتعاطيه أسباب الحياة ساعة واحدة، ولا أصبعاً ولا ظفراً ولا شعرة كيف يكون خالقاً لنفسه في حال عدمه؟

وإذا بطل القسمان، تعين أن لهم خالقاً خلقهم، وفاطراً فطرهم، فهو الإله الحق الذي يستحق عليهم العبادة والشك، فكيف يشرون به إلى غيره وهو وحده الخالق لهم.⁽³⁷⁴⁾

وقال شيخ الإسلام مفسراً لهذه الآية الكريمة: "هذا تقسيم حاصر، يقول: أَخْلَقُوا مِنْ غَيْرِ خالقٍ خَلَقَهُمْ؟ فهذا ممتنع في بدأء العقول، أَمْ هُمْ خَلَقُوا أَنفُسَهُمْ؟ فهذا أشدُّ امتناعاً، فعُلِمَ أَنَّ لَهُمْ خالقاً خلقهم. وهو سبحانه وتعالي ذكر الدليل بصيغة استفهام الإنكار؛ ليبيّن أن هذه القضية التي استدلّ بها، فطريقة بدئها مستقرة في النفوس لا يمكن أحداً إنكارها، فلا يمكن صحيح الفطرة أن يدعى وجود حادث بدون محدث أحده، ولا يمكنه أن يقول هو أحدث نفسه".⁽³⁷⁵⁾

ثانية: في نصوص السنة النبوية المطبرة:

ومن أوضح النصوص الشرعية، التي تضمنت الإشارة إلى دليل الخلق والإيجاد:

1- قول النبي صلى الله عليه وسلم: "يأتي الشيطان أحدكم فيقول: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فإذا بَلَغَ ذَلِكَ، فَلَيُسْتَعِدُّ بِاللَّهِ وَلِيُتَبَّعَ".⁽³⁷⁶⁾

في هذا الحديث: يُبَيِّنُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَلَاجَ النَّاجِعَ لِمِثْلِ هَذِهِ التَّسْأَوْلَاتِ، فَقَالَ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ»، فَيَبْعَثُ فِي نَفْسِهِ وَعَقْلِهِ الشُّكُوكَ، وَيُثْبِرُ التَّسْأَوْلَاتِ الْعَدِيدَةَ عَنْ حُدُوثِ الْأَشْيَاءِ وَمَنْ أَحَدَهَا وَأَوْجَدَهَا، «فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟»، كَأَنْ يَتْسَائِلَ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ؟ وَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ وَمَنْ خَلَقَ الْجَبَالَ؟ وَمَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ؟ فَيُجِيبُهُ أَبُو آدَمَ دِيَنَا وَفِطْرَةً وَعُقْلًا بِقَوْلِهِ: «اللَّهُ»، وَهَذَا جَوَابٌ بَدَهِيٌّ صَحِيفٌ وَحْقٌ وَإِيمَانٌ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَقِفُ عَنْهُمْ هَذِهِ التَّسْأَوْلَاتِ مِنَ الْأَسْأَلَةِ وَالْوَسَوْسَاتِ، بَلْ يَنْتَقِلُ مِنْ سُؤَالٍ إِلَى سُؤَالٍ «حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟» وَهَذَا مِنَ التَّشْكِيكِ فِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَكَأَنَّهُ أَرَادَ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يُجْرِيَ عَلَى الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ صِفَاتِ الْمُخْلُوقَاتِ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ خَالِقٍ وَمُوجِدٍ أَعْلَى مِنْهُ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُوْسُوسُ بِهِ الشَّيْطَانُ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَهُنَا وَضَعَ الْبَيْنِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّوَاءَ النَّافِعَ وَالْجَوَابَ السَّرِيعَ لِمِثْلِ ذَلِكَ، بَأَنَّهُ إِذَا وَصَلَ الشَّيْطَانُ مَعَ الْإِنْسَانِ إِلَى هَذِهِ الْحَدِيدِ مِنَ الْوَسُوسَةِ، فَلَيُسْتَعِدُّ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَلَيُكْفَّ عنِ الْاسْتِجَابَةِ لَهُ، وَلَيُنْتَهِ عنِ الْاِسْتِرْسَالِ مَعَهُ فِي ذَلِكَ، وَلَيُعَلَّمَ أَنَّهُ يُرِيدُ إِفْسَادَ دِينِهِ، وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: «فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ»، فَأَرْشَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

1- انظر: الصواعق المرسلة (2/493). (هذه العاشرة لم أجدها مربوطة مع أي متن فيرجى مراجعتها)
(375) الرد على المنطقين (253).

(376) أخرجه البخاري (3276)، ومسلم (134) والله لفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وسلم إلى دفع هذا السؤال بأمر ثلاثة: بالانتهاء عن الاسترسال، والتعوذ من الشيطان، وبالإيمان.

وفي الحديث: أنَّ الشَّيْطَانَ يَتَرَبَّصُ بَابِنَ آدَمَ حَتَّى يُوقِعَهُ فِي الشَّرِّ وَالْكُفْرِ.

وفيه: تحذيرٌ من الاسترسال مع الأسئلة الوجودية التي تؤدي إلى الكفر.

وفيه: بيانٌ أنَّ تَسْلِيمَ الْأَمْرِ لِلَّهِ وَإِرجَاعَ الْقَدْرَةِ إِلَيْهِ، مَعَ الإِيمَانِ التَّامِ؛ فِيهِ مَخْرُجٌ مِّنَ الْوُقُوعِ فِي الْكُفْرِ بِاللَّهِ

سبحانه. (377)

وفي هذا الحديث أيضًا يقول ابن تيمية رحمه الله:

"إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَأْمُرْ بِالْإِسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ - مَعَ أَهْمَالِيَّةِ ذَلِكَ وَضُرُورَتِهِ - وَإِنَّمَا أَمْرُ الْعَبْدِ أَنْ يَنْتَهِي عَنِ الْخَوْضِ فِي ذَلِكَ السُّؤَالِ مَعَ الْإِسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ؛ إِعْلَامًا مِّنْهُ بِأَنَّ ذَلِكَ السُّؤَالَ مُتَضَمِّنٌ لِخَطَاً مِنْطَقِيًّا، وَغَلْطٌ عَقْلِيٌّ ظَاهِرٌ، فَإِنَّ النَّفْسَ تَطْلُبُ سَبَبَ كُلِّ حَادِثٍ، وَأَوْلَى كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَنْتَهِي إِلَى الْغَايَا وَالْمُنْتَهِي... فَإِذَا وَصَلَ الْعَبْدُ إِلَى غَايَا الْغَايَا تَاتِي، وَنَهايَا الْنَّهَايَا تَاتِي، وَجَبَ وَقْوَفُهُ، فَإِذَا طَلَبَ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْئًا آخَرَ وَجَبَ أَنْ يَنْتَهِي، فَأَمْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَبْدَ أَنْ يَنْتَهِي مَعَ اسْتِجَارَتِهِ بِاللَّهِ مِنْ وَسَاسِ التَّسْلِيسِ، وَإِنَّمَا وَجَبَ انتِهَاوَهُ؛ لِأَنَّهُ يَمْتَنَعُ أَنْ يَكُونَ لِخَالِقٍ كُلَّ مَخْلُوقٍ خَالِقٌ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ لَهُ خَالِقٌ لَكَانَ مَخْلُوقًا، وَلَمْ يَكُنْ خَالِقًا لِكُلِّ مَخْلُوقٍ، بَلْ كَانَ يَكُونُ مِنْ جَمْلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَالْمَخْلُوقَاتُ كُلُّهَا لَا يَبْدُلُهَا مِنْ خَالِقٍ، وَهَذَا مَعْلُومٌ بِالضرُورةِ وَالْفَطْرَةِ". (378)

وَلَا يَزَالُ الشَّيْطَانُ يَدْفَعُ إِلَى قُلُوبِ مَنْ لَيْسَ لَهُمْ بَصِيرَةٌ بِإِيْرَادِ الْبَاطِلِ فِيهَا؛ إِمَّا وَسُوسَةٌ مَحْضَةٌ، أَوْ عَلَى لِسَانِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَمَلَائِكَتِهِمْ.

2- وقال جبير بن مطعم: "سِمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالْطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: {أَمْ حَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ حَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَرَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ} [الطور: 35-37]، قال: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ". (379)

في هذا الحديث: يَحْكِي جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِسُورَةِ الْطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَاتِ: {أَمْ حَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ حَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَرَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ} [الطور: 35-37]، قال جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ»، يَعْنِي: قَارِبَ قَلْبِي أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَكَانِهِ؛ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ الْآيَاتُ مِنْ بَلِيجِ الْحُجَّةِ.

وقد كان جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدِيمًا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ فِي فَدَاءِ الْأَسَارِيِّ، فِي الْعَامِ الثَّانِي مِنَ الْهِجْرَةِ، وَكَانَ إِذَا ذَاكَ مُشْرِكًا، وَكَانَ سَمَاعُهُ هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ جَمْلَةِ مَا حَمَلَهُ عَلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدُ. (380)

المطلب الرابع: من طرق معرفة الله، النظر والتفكير في مخلوقاته:

إنَّ التَّفَكُّرَ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ يُعَرِّفُنَا بِعَظَمَةِ اللَّهِ وَقَدْرَتِهِ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ حَمْقًا وَجَهَلًا وَضَلَالًا مِنْ يَرِي هَذَا

(377) الموسوعة الحديبية. الدرر السننية.

(378) درء تعارض العقل والنصل ص: 315.الجزء الثالث.

(379) أخرجه البخاري (4854)، أخرجه مسلم (463) باختلاف يسير دون قوله: "فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ ..."

(380) الموسوعة الحديبية. الدرر السننية

الخلق البديع العظيم المتناسق، الدال على الحكمة الباهرة والقدرة المطلقة، ثم لا يؤمن بالخالق الذي أوجدها من العدم.

فتلك الخلية التي يتشكل منها جسديك، والتي وصفها أحدهم بأنها أكثر تعقيداً من مدينة نيويورك، تحوي الكثير من المعلومات فيما يسمى: الحمض النووي، وبما أن ثمة معلومات؛ إذن فلا بد من وجود ذكاء، حيث أنَّ الحمض النووي يحتوي على معلومات أكثر من كل الكتب التي توجد على سطح الأرض.

إذا تأملتَ أكثر في خلق الله لك، تجد عجباً من الأجهزة الدقيقة والأنظمة المحكمة:

- فهذا جهاز متكامل لهضم الطعام، يبدأ بالفم يقطع الطعام إلى قطع صغيرة؛ ليسهل هضمه، ثم البلعوم، ثم ترمي اللقمة إلى الحنجرة، فيفتح لها لسان المزمار (اللهبة) بباب المريء، ويسد عليها باب القصبة الهوائية، ثم تنزلق اللقمة إلى المعدة بواسطة المريء المتحرك حركات دودية، وفي المعدة تستمر عملية الهضم حيث يتحول الطعام إلى سائل تفتح له فتحة البواب في المعدة، ويتوجه إلى الإثنى عشر، حيث تستمر عملية الهضم التي هي تحويل المادة الخام من الطعام إلى مادة مناسبة صالحة؛ لتغذية خلايا الجسم، ثم منها إلى الأمعاء الدقيقة حيث تستكمل عمليات الهضم النهائية، ويصبح الطعام بهذه الصورة صالحًا لأنْ يُمْتَصَّ بواسطة الخملات الموجودة في الأمعاء ليجري مع تيار الدم.

- وذلك جهاز متكامل لدورة الدم الممتدة في شرائين معقدة، لو فردتها؛ لزاد طولها على آلاف الكيلو مترات، متصلة بمحطة ضخ مركبة تسمى القلب، لا تكل ولا تمل في نقل الدماء خلال تلك الشرائين.

- وهناك جهاز آخر للتنفس، ورابع للأعصاب، وخامس لاستخراج الفضلات، وسادس وسابع وعاشر مما نزداد كل يوم معرفة بها، وما نجهله فيما أكثر مما نعرفه، فمن خلق هذا الإنسان بهذا الإتقان إلا الله؟! لذلك فإنَّ أعظم خطيئة في الوجود، أنْ يجعل الله ندًا وهو خلقه.

إذا تأملت فيمن حولك أيضاً، فسترى ما يدهشك؛ فهذا الهواء الذي تستنشقه ويتسرب إليك في كل مكان، بلا لون يقدر الأ بصار، ولو انقطع عنك دقائق معدودات؛ لفارقتك الحياة، وهذا الماء الذي تشربه، وذلك الطعام الذي تأكله، وهذا الإنسان الذي تحبه، وهذه الأرض التي تمشي عليها، وتلك السماء التي تنظر إليها، كل ما تراه عينك وما لا تراه من المخلوقات مما كبر أو صغر، كل ذلك من خلق الله الخلاق العليم.

إنَّ التفكير في خلق الله يجعلنا ندرك عظمة الخالق سبحانه، وبدع قدرته، وعجب صنعه، فلا فلتة ولا مصادفة ولا خلل ولا نقص.

وبالتفكير أيضاً يستدلُّ المرء على ما لله من صفات الكمال والجلال، ويعلم أنه لا يخلق أحداً كخلق الله، ولا يدبر كتدبيره سبحانه وتعالى، وكلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة، علم بذلك أنها خلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آياتٍ، وكتب دلالاتٍ على ما أخبر الله به عن نفسه ووحدانيته.

قال ابنُ العَرِبيِّ: "أَمْرُ اللهِ تَعَالَى بِالنَّظَرِ فِي آيَاتِهِ، وَالإِعْتِبَارِ بِمَخْلُوقَاتِهِ فِي أَعْدَادٍ كَثِيرَةٍ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ، أَرَادَ بِذَلِكَ زِيادةً فِي الْيَقِينِ، وَقَوْلًا فِي الْإِيمَانِ، وَتَثْبِيتًا لِلْقُلُوبِ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَقَدْ رَوَى ابْنُ الْقَاسِمِ عَنْ مَالِكٍ: قَالَ: قَيْلَ لِأَمْ الدَّرْدَاءِ: مَا كَانَ أَكْثَرُ شَأْنِ أَيِ الدَّرْدَاءِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ شَأْنِهِ التَّفْكُرَ. وَقَيْلَ لَهُ -أَيْ لِأَبِي الدَّرَدَاءِ- أَفَتَرَى الْفَكْرَ

عَمَّا مِنَ الْأَعْمَالِ؟ قَالَ: نَعَمْ. هُوَ الْيَقِينُ." (381)

إذن؛ فالتفكير طريق العبد إلى اليقين، كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ تُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوت السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُؤْنِنِينَ} [الأنعام:75]، ويقول الله عز وجل: {إِنَّ فِي آخْتِلَافِ الْأَلْيَلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَعْلَمُ لِقَوْمٍ يَتَقَوَّنُ} [يونس:10].

قال خليفة العبد: "فوالله ما زال المؤمنون يتفكرون فيما خلق ربهم تبارك وتعالى حتى أيقنت قلوبهم بربهم عز وجل، وكأنما عبدوا الله عن رؤية"⁽³⁸²⁾، فكلما نظرنا إلى خلق الله، وعظيم إحكامه؛ ازدمنا معرفةً ويفتننا به جل وعلا؛ فخالق هذا العالم المهر الأنبياء، هو خالق عظيمٌ علیم قادر حكيم سبحانه؛ ولذلك من يُنكر وجوده سبحانه وتعالى، هو المطالب بالدليل وليس المؤمن!

(381) أحكام القرآن لابن العربي - ابن العربي (543هـ).

(382) تفسير الدر المنشور في التفسير بالمنثور / السيوطي (ت 911هـ).

المبحث الثالث: الاستدلال بدليل الإحکام والإتقان على وجود الله:

المطلب الأول: الإحکام والإتقان لغة واصطلاحاً:

أولاً: الإحکام في اللغة:

قال ابن فارس: "الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المَنْعُ، وأول ذلك الحُكْمُ، وهو المَنْعُ من الظُلْمِ، وسُمِّيَتْ حَكْمَةُ الدَّابَّةِ؛ لِأَنَّهَا تَمْنَعُهَا، يَقُولُ: حَكَمْتُ الدَّابَّةَ وَأَحْكَمْتُهَا، وَيَقُولُ: حَكَمْتُ السَّفِيَّةَ، وَأَحْكَمْتُهُ؛ إِذَا أَخْذَتُ عَلَى يَدَيْهِ".⁽³⁸³⁾

وقال الخليل: "الحِكْمَةُ مرجعها إلى العدل والعلم والحلم، ويقال: أحْكَمْتُه التجارب، إذا كان حَكِيمًا، وأَحْكَمْ فلان عني كذا؛ أي: منعه... وكل شيء منعه من الفساد فقد حَكَمْتُه، وَحَكَمْتُه وأَحْكَمْتُه".⁽³⁸⁴⁾

وقال الجوهرى: "والحكيم المتقن للأمور".⁽³⁸⁵⁾

ثانياً: الإتقان في اللغة:

الإحکام⁽³⁸⁶⁾، وفي اللسان: "وأتقن الشيء أحْكَمْهُ، وإتقانه إحْكَامُهُ، والإتقان الإحکام للأشياء". فالإحکام والإتقان معناهما واحد، وهو ضبط الشيء ومنع وقوع الفساد والخلل فيه.

ثالثاً: الإحکام والإتقان اصطلاحاً:

يُطلقُ على خلق السماوات والأرض، وما فيها، وخلق الإنسان، وغيره من المخلوقات، والذي يدل على وجود خالق علیم حكيم.

رابعاً: أسماء أخرى لدليل الإحکام والإتقان:

يسمى الكثيرون هذا الدليل: دليل العناية، والبعض يرى أن دليل العناية زائد على الإتقان⁽³⁸⁸⁾، كما يسمى دليل النظام أو التناصق.⁽³⁸⁹⁾

المطلب الثاني: أقوال أهل العلم في دليل الإتقان والإحکام:

- قال ابن تيمية: "أفعاله المحكمة المتقدمة دلت على علمه، وهذا مما وقع الاتفاق عليه من هؤلاء، فإنهم يسلمون أن الإحکام والإتقان يدل على علم الفاعل، وهذا أمر ضروري عندهم وعند غيرهم، وهو من أعظم الأدلة العقلية التي يجب ثبو� مدلولها، والإحکام والإتقان إنما هو أن يضع كل شيء في محله المناسب، لتحصل به

(383) مقاييس اللغة (91/2) [دار الجيل، ط1، 1411هـ].

(384) العين (67/3) [دار مكتبة الهلال].

(385) الصحاح (1901/5) [دار العلم للملاتين، ط3].

(386) انظر: العين (5/129).

(387) لسان العرب (73/13) [دار صادر].

(388) انظر: العقيدة الإسلامية لعبد الرحمن حبنكة (130) [دار القلم، ط6، 1412هـ].

(389) انظر: عقيدة التوحيد للكواوي (147) [دار ابن تيمية، ط1، 1405هـ].

- وقال ابن القِيم: "ومن نظر في هذا العالم وتأمل أمره حق التأمل، علم قطعاً أن خالقه أتقنه وأحكمه غاية الإتقان والإحكام".⁽³⁹¹⁾

المطلب الثالث: كيفية الاستدلال بدليل الإحكام والإتقان

يُستدل بهذا الدليل على ضرورة وجود الله سبحانه بما في العالم من الإتقان في الخليقة، والإحكام في تفاصيله الدقيقة المذهلة، ولتحقيق ذلك لا بد من فاعل يتصرف بالقدرة والحكمة وسعة العلم، وهذا الدليل دليل يقيني، ومسلكه الاستدلالي يستعمله عامة العقلاة في تعاملاتهم الحياتية، لا يحتاج إلى دراسة ولا مراجعة.

ويقوم دليل الإحكام والإتقان على مقدمتين أساسيتين:

- أن الكون متقن ومحكم في خلقته.
- أن الإتقان والإحكام لا بد له من فاعل حكيم عليم.

المقدمة الأولى: الكون متقن ومحكم في خلقته:

المراد بها أن الكون رُكّب بصورة معقدة جدًا لا يمكن اختزالها إلى أسباب راجعة إلى الكون نفسه أو إلى الصدفة، وأن أحداه وأجزاءه شُكِّلت في مسارات دقيقة بحيث أن كل جزء منه يؤدي وظيفة دقيقة خاصة به، وقدرت مكوناته بمقادير دقيقة بحيث أن أي زيادة أو نقصان يؤدي إلى اختلافاتٍ كبيرة تؤول إلى فساد الكون كله.

والأدلة وال Shawāhid الدالة على صحة هذه المقدمة تنقسم إلى نوعين أساسيين:

1- الدليل الحسي المباشر: فكل عاقل يشاهد أصنافاً منوعة من الإتقان في الوجود، يَعْلَمُ وَيُسَلِّمُ بالضرورة وجود متقن لها.

وقد كان هذا النوع من الاستدلال منتشرًا عند الأقدمين قبل ظهور العلم التجريبي، وفي بيانه والاعتماد عليه، يقول ابن تيمية رحمه الله: "إذا تأملت هيئة هذا العالم ببصرك، واعتبرتها بفكك، وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه من آلة وعتاد، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض مبوطة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وضروب النبات مهيئة للمطاعم والملابس والمأرب، وصنوف الحيوان مسخرة للمراتب، مستعملة في المرافق، والإنسان كالمُلْكُ البيت، المخول ما فيه. وفي هذا كله دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام وأن له صانعاً حكيمًا تام القدرة بالغ الحكمة".⁽³⁹²⁾

2- الدليل العلمي التجريبي: فقد كشف العلماء مع التطورات العلمية الحديثة أصنافاً وأشكالاً مهيبة من الإتقان والدقة والتقدير في الكون، ودجعوا مقطوعات مطولة في وصف ذلك الإتقان، وتفننوا في توضيح الإحكام

.(376) النبوات (390).

.(391) الصواعق المرسلة (4/1567).

.(392) ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، (1/506).

وتناغمه ودهشته.

والإقرار بإتقان صنعة الكون وإحكامه ليس خاصاً بالعلماء المؤمنين، بل أقر به أكثر العلماء الملاحدة، يقول العالم الفيزيائي المعاصر بول ديفيز (Paul Davies): "حتى العلماء الملحدون الذين يشكلون جزءاً صغيراً جداً وهشاً من الكون يدబجون قصائد المديح في ضخامتها وعظمتها وتناغمه وأناقتها وعبقريتها".⁽³⁹³⁾

ولقد قال بول ديفيز أيضاً بعد أن شرح شروط إمكان الحياة في الكون وامتلاك كوننا لها: " ولو أن أية خاصية أساسية للكون من خصائص الذرات اختلفت لكان من المحتمل جداً أن تصبح الحياة مستحيلة...".⁽³⁹⁴⁾

ومن الملاحدة الذين توسعوا في شرح الإتقان والإحكام في الكون، العالم الفيزيائي المعاصر ستيفن هوكنج (Stephen Hawking)، فإنه أولى هذه القضية اهتماماً بالغاً، وكرر مراراً بأنَّ الكون مُتَصِّفٌ بالضبط الدقيق المهم، ويقول: "معظم الثوابت الأساسية في نظرياتنا تبدو مضبوطة بدقة، بمعنى أنها لو عدلت بمقادير بسيطة، فإن الكون سيختلف كيبياً، سيكون في حالات عديدة غير ملائم لتطورات الحياة".⁽³⁹⁵⁾

ويقول عالم الفلك آلن سانديج (Allan Sandage): "إنني مقتنع أن وجود الحياة بكل ما فيها من تنظيم في كل كائن من كائناتها الحية مركب بمنتهى البراعة".⁽³⁹⁶⁾

وأما أنتوني فلو (Antony Flew) الفيلسوف الإنجليزي المشهور، أحد أكبر ملاحدة العصر الحديث عن سبب رجوعه عن الالحاد وإقراره بالخلق، يقول: "لا شك أن ما كشفه العلم الحديث من معلومات هائلة في مجال قوانين الطبيعة... وكذلك نشأة الحياة وتنوع الكائنات الحية، قد أمد هذا البرهان -دليل الإتقان- بالكثير من الأدلة التي أعانتني كثيراً في الوصول إلى هذا الاستنتاج"⁽³⁹⁷⁾، وذكر أن الكون أُعِدَّ وصُمِّمَ؛ لاستقبال الحياة عليه بدقة باهرة، ثم بين ذلك بمثالٍ، فقال : "تصور أنك نزلت في إحدى رحلاتك بأحد الفنادق، وعندما دخلت غرفتك وجدت أن الصورة المعلقة فوق السرير نسخة مطابقة للصورة التي علقتها منذ سنوات فوق فراشك في بيتك، كذلك السجادة التي تغطي أرضية الغرفة، بل إنهم يضعون في المزهرية نوع الزهور نفسه التي تفضلها، وعلى المنضدة في ركن الغرفة وجدت الطبعة الأخيرة من ديوان الشعر الذي تفضل القراءة فيه من حين لآخر، كما وجدت الصحيفة التي اعتدت قراءتها يومياً وداخل الثلاجة وجدت أنواع المشروبات والشيكولاتة التي تحبها، كما أن زجاجة المياه المعدنية من نفس النوع الذي تستخدمنه في وطنك، وعندما شغلت جهاز التليفزيون وجدت أنَّ الإرسال الداخل للفندق يعرض باستمرار الأفلام المفضلة عندك، كما تذيع الإذاعة الداخلية المقطوعات الموسيقية التي تحبها، وفي الحمام وجدت الحوائط قد غطت بالقيشاني من نفس درجة اللون الفيروزي التي تفضلها، كما وجدت على أحد الأرفف نفس الشامبو والصابون اللذين اعتدت على استخدامهما، وكلما جلت ببصرك وجدت حولك تطابقاً بين ما تحبه واعتدت عليه، وبين ما وفرته لك إدارة الفندق، لا شك أن احتمال المصادفة يتناقض تدريجياً حتى يثبت في يقينك أن أحداً قد أطلع إدارة الفندق على تفاصيل حياتك ودقائق

(393) الجائزة الكبرى، لماذا الكون مناسب للحياة، بول ديفيز (31).

(394) الجائزة الكبرى لماذا الكون مناسباً للحياة، بول ديفيز (15).

(395) التصميم العظيم، ستيفن هوكنج (192).

(396) العلم وجود الله لجون لينكس (ص328).

(397) ضمن كتاب رحلة عقل، عمرو شريف (83).

المقدمة الثانية: الإتقان والإحكام لا بد له من فاعل:

أي أن مشاهد الإتقان في الوجود يتعرّف أن تقع بغير فاعلٍ عالِمٍ مريدٍ مختارٍ حكيمٍ قادرٍ، يقوم بتصميمها وتقديرها؛ لاحتوائهما على تفاصيل معقدة ومترادفة ومذهلة.

وهذه المقدمة من أجمل المقدمات وأظهرها في العقول، ويدل على صحتها وضرورتها أمران:

1- **الضرورة العقلية:** فالعقل بفطنته السليمة يدل على أن الفعل لا بد له من فاعل، بل الإتقان ليس مجرد فعل وإنما هو فعل مخصوص بحالة تركيبية خاصة تتطلب أن يكون فاعله متصل بصفات كمالية عالية متناسبة مع حالة ذلك الفعل.

2- **الضرورة الرياضية:** ففضلاً عن أن الضرورة العقلية تدل على استحالة وجود الإتقان بغير فاعل حكيم عاليم قادر مريد، فإن الحسابات الرياضية تدل على ذلك أيضاً وتؤكده، بل وتبين أيضاً بطلان الاحتمالات الأخرى كالحدث بالصدفة المفاجئة أو التطور طويلاً الأمد، ومن أظهر الأمثلة على ذلك تكون البروتين:

فقد أثبت العالم السويسري تشارلز يوجين من خلال حسابه للعوامل التي يمكن من خلالها تكون بروتين واحد بالصدفة أنه يتطلب نسبة 1 إلى 10¹⁶⁰، وهذا رقم لا يمكن النطق به أو التعبير عنه، وهو عند علماء الرياضيات يساوي صفرًا، لأن أعلى نسبة للاحتمال عندهم هو 1 إلى 10¹⁵⁰، واكتشف أن كمية المادة التي تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة أكثر مما يتسع له هذا الكون بملايين المرات ويتطابق بلايين السنين لتكونه. (399)

إذن دليل الإتقان لا يتضمن فقط الإقرار بوجود خالق، بل يتضمن كذلك اتصافه بصفات العلم والإرادة والحكمة.

الفرق بين دليل الخلق والإيجاد ودليل الإحكام والإتقان

والفرق بين هذا الدليل ودليل الخلق الإيجاد:

- **أن دليل الإحكام والإتقان:** يستند إلى حالة الكون بعد وجوده.

- **أما دليل الخلق:** فيستند إلى نشأة الكون في أول حدوثه.

فكما أن المخلوقات يدل حدوثها من العدم على ضرورة وجود الخالق، فإن الحالة التي هي عليها بعد حدوثها من الدقة في الخلقة، والبراعة في الإتقان، والإبهار في التصميم والإحكام، تدل على ضرورة وجود الخالق سبحانه أيضاً.

دليل الإتقان عُرِفَ عند العامة قبل العلماء

وإضافة إلى كون هذا الدليل عَقْلِيًّا شَرْعِيًّا، مُؤْثِرًا، يمتاز أيضًا بكونه سهل المقدمات قريب الفهم؛ ولذلك كان حاضراً عند العامة قبل العلماء، ومنها: ما اشتهر من استدلال الأعرابي ببديع صنع السماوات، وأبراجها

(398) ضمن كتاب رحلة عقل ، عمرو شريف (94).

(399) انظر: كتاب هداية الملحدين د. سلطان العميري.

والأرضين وفجاجها على الله العليم الخبير.

- واحتجاج الإمام أبي حنيفة رحمه الله في مناظرته الشهيرة والتي أشرنا إليه سابقاً.⁽⁴⁰⁰⁾

- وكذلك الإمام مالك رحمه الله: استدل باختلاف اللغات والأصوات والنغمات على خالقها.

- والإمام الشافعي رحمه الله: استدل بورق التوت ذات الطعم الواحد، الذي تأكله الدواب ثم كل واحدة تخرجه شيئاً مختلفاً، وبينما تخرجه بعضها بريسمما، تخرجه أخرى عسلاً، وثالثة مسگاً، ورابعة تلقيه بعراً، وأصله شيء واحد!

- وأما الإمام أحمد رحمه الله: فقد استدل بخروج الحي من الميت، حيث قال: "ها هنا حصن حصين أملس، ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبینا هو كذلك إذ انصدع جداره، فخرج منه حيوان سميع بصير، ذو شكل حسن وصوت مليح."⁽⁴⁰¹⁾

(400) وخلاصته أنَّ أبي حنيفة سُئل عن وجود الله، فقال: دعوني، فإني أفكِّر في سفيينة لا قبطان لها، وهي مع ذلك تذهب وتعي، وتخترق الأمواج العظام، حتى تتخلص منها بنفسها. فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل، فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع؟!

(401) ينظر: تفسير ابن كثير (1/ 197)، وقد ذكر هذا الدليل طائفة من علماء السلف في كتبهم: كالخطابي والبيهقي وابن رشد وابن حزم والرازي وابن تيمية وابن القيم وغيرهم من العلماء. ينظر: شموع النهار للشيخ عبد الله العجيري (ص 167)، وظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث لـ د. سلطان العميري (2/ 185).

المطلب الرابع: الإتقان والتعقide الوظيفي من أدلة وجود الله

تبين لنا أن مجرد وجود الشيء بعد أن لم يكن موجوداً، هو دليل حتمي على وجود الخالق؛ وفي هذا الدليل سنتناول دليلاً آخر يزيد يقيننا بذلك؛ وهو التعقide والإتقان الموجودان في المخلوقات، كما أن هذا الإتقان الموجود في المخلوقات يحمل معه شيئاً عظيماً آخر لإيماننا، وهو الدلالة على كمال الخالق... وفي خلال السطور التالية، سوف نعرض مجموعة من الأمثلة، توضّح لنا التعقide الوظيفي في المخلوقات:

- طفل يرسم بإتقان:

لو وجدت نفسك ذات يوم أمام طفل صغير جداً، يغلب على ظنك أنه لا يحسن الرسم، ثم رأيته وقد أتاك بصورة رسم فيها سهلاً أحضر جميلاً، يلعب فيه الأطفال بألعاب مختلفة، ماذا سوف تستنتج من هذا الموقف؟ من البدهي استنتاج أن هذا الطفل قد تعلم الرسم، وأنه قصد رسم هذه اللوحة بما فيها من تفاصيل، ومن ثم لن يخطر ببالك أن هذه اللوحة كانت نتيجة لتمريره القلم على الورقة بشكل عشوائي، وبدون قصد ليرسم ما رسمه.⁽⁴⁰²⁾

- محرك معقد:

وكذلك إذا رأينا محركاً معقداً، يحرق الوقود، ثم يحول الطاقة من شكل إلى آخر، فإننا سوف نكون على يقين قوي جداً من وجود صانع لهذا المحرك، لكن هل يمكن أن يكون صانعه جاهلاً بهذه الصناعة؟! قطعاً، لا، إن مجرد رؤيتك للمحرك تعني لك أن صانعه عنده علم باليكانيكا، والكهرباء، والتصميم، ولديه كل ما يلزم لصناعة هذا المحرك، وإلا لما استطاع صناعته، أو لصنعه على نحو غير متقن.

وإذا كان يقيننا قوياً جداً بوجود رسام للصورة، وصانع ماهر للمحرك، فإننا إذا تأملنا في بعض المخلوقات، وتأملنا ما فيها من تعقيد وإتقان شديد جداً، فإنَّ عقولنا سوف تضطر اضطراراً لإثبات خالق عليم حكيم ذي إرادة.

- كاميرا فوتوغرافية:

هل حدثت نفسك، أن تتفكر في العمليات المعقدة التي تؤديها وأنت تقرأ هذه السطور؟
دعنا أولاً نتباحث حول احتياجات محاكاة هذه العملية بالتقنيات الحديثة، بادئ ذي بدء نحتاج إلى (كاميرا) عالية المواصفات؛ يمكنها التمييز بين الألوان؛ لإدخال صورة الحرف، ولا بد من اختيار المكان المناسب للكاميرا؛ لتكون واضحة مقروءة.

ولعلنا نتبيّه إلى أن عملية التصوير بالكاميرا ليست مجرد ضغطة زر كما يبدو، بل هي الأخرى تحتاج إلى خبرة وعمليات معقدة.⁽⁴⁰³⁾

(402) بتصرف: محاضرة الداروينة عرض ونقـد، عبد الله العجيري.

(403) يقصد بها عمليات إعداد الكاميرا للتصوير التي يعرّفها خبراء التصوير؛ مثل: تحديد المجال SCOPE، وتحديد بؤرة التركيز FOCUS، وتركيز العدسة على المشهد أو ما يسعي عمق المشهد DEPTH OF FIELD، وتبين الألوان CONTRAST، والإضاءة LIGHT وغيرها، وكل هذه تحتاج إلى وقت وجهد وخبرة لتعلمها، ولكن كل ذلك بالنسبة لعين الإنسان يتم تلقائياً بتدبير الله وفضله سبحانه في أجزاء من الثانية دون أي اعداد مسبق!

ثم نحتاج إلى (آلية للتعرف على الحروف المكتوبة)؛ ليترجم لنا المقصود بها، وكذلك آلية إرسال دقيقة؛ لنقل هذه الصورة من الكاميرا إلى (جهاز التعرف على الحروف المكتوبة).

وفي كل تلك المراحل نحتاج إلى جهاز التخزين المؤقت لهذه المعلومات، ثم جهاز التخزين الدائم الذي به تحفظ العمل المنهائي، ولا تنس أيضًا الطاقة التي ستُفعّل لنا كل هذه الأجهزة.

كل تلك العمليات تحدث في ثانية، بل في قدر لا يُذكر من الثانية من حيث لا تشعر وأنت تقرأ.

أمثلة أكثر تعقيداً:

- العين البشرية:

لعلك دُهشت مما سبق مع بساطة الأمر، ولكنني أدعوك لإبقاء الدهشة لما سيأتي، فالمسألة عميقـة الغور وليسـت بهذه السذاجة، ولنقترب قليلاً من أحد الأجهزة البشرية التي نستخدمـها وهي العين حتى نعرف عجائبـها ومكـوناتها.

تبـدو العـين وكـأنـها عـضـو صـغـير سـهل التـركـيب، إـلا أنـها فـي الحـقـيقـة من أـعـجـب الأـجـهـزـة وأـعـقـدـها فـي الإـنـسـانـ، فـهي فـي غـاـيـة الدـقـة والـبـرـاعـة؛ فـإن مـكـونـاتـها تـصـل إـلـى 40 مـكـونـ، لو تـغـيـر مـكـانـ وـاحـد مـنـها فـضـلـاً عن فـقـدانـه؛ لـتعـطـلـتـ العـينـ!

فـمـثـلاً المـكـونـاتـ المـوضـوعـة لـحـمـاـيـتها؛ بـدـءـاً مـن تـجـوـيفـهـ الغـائـرـ فـي الجـمـجمـةـ وـالـوـسـائـدـ الـدـهـنـيـةـ تـحـمـمـهاـ، ثـمـ السـتـائـرـ الـذـكـيـةـ (الأـجـفـانـ)ـ الـتـي تـظـلـ مـفـتوـحةـ دونـ إـرـهـاقـ، وـتـغـلـقـ تـلـقـائـيـاًـ عـنـ المـخـاطـرـ، وـفـيـ أـثـنـاءـ ذـلـكـ تـعـملـ الفـلـاتـرـ آـلـيـاًـ (الـرـمـوشـ)ـ عـلـىـ منـعـ دـخـولـ الـأـتـرـيـةـ؛ـ بـيـنـماـ تـقـومـ الدـمـوعـ بـتـنـظـيفـ شـامـلـ وـتـنـقـيـهـاـ مـنـ الـمـيـكـروـبـاتـ بـشـكـلـ دـورـيـ!

وـلـاـ يـحـتـاجـ الإـنـسـانـ إـلـىـ الـبـحـثـ عـنـ مـكـانـ مـنـاسـبـ لـلـنـظـرـ، فـقـدـ وـضـعـتـ العـيـنـيـنـ فـيـ أـفـضـلـ مـكـانـ؛ـ لـتـعـطـيـنـاـ أـكـمـلـ رـؤـيـةـ⁽⁴⁰⁴⁾ـ!

ثـمـ إـنـ أـرـدـتـ أـنـ تـعـجـبـ؛ـ فـاـنـظـرـ إـلـىـ الشـبـكـيـةـ الـتـي تـحـوـيـ مـلـيـارـاتـ الـعـصـيـ وـالـمـخـارـيـطـ؛ـ وـهـاـ تـمـيـزـ العـيـنـ بـيـنـ كـلـ لـوـنـ وـآـخـرـ مـهـمـاـ كـانـ دـقـيـقاـ⁽⁴⁰⁵⁾ـ.

هـذـهـ العـجـائـبـ الـتـي لـاـ تـضـاهـيـ وـلـاـ تـجـارـىـ، أـرـبـكـتـ كـبـارـ الـمـلـحـدـينـ وـدـعـاءـ نـظـريـةـ التـطـوـرـ،ـ فـ(ـدـارـوـينـ)ـ نـفـسـهـ،ـ اـعـتـرـفـ بـمـنـافـاةـ كـوـنـ هـذـاـ التـصـمـيمـ المـذـهـلـ لـمـكـونـاتـ الـعـيـنـ صـدـفـةـ أوـ مـنـ خـلـقـ الـطـبـيـعـةـ.

يـقـولـ دـارـوـينـ:ـ "ـلـكـ يـفـتـرـضـ أـنـ مـمـكـنـ أـنـ تـكـوـنـ الـعـيـنـ بـكـلـ مـاـ فـيـهـاـ مـنـ أـجـهـزـةـ فـذـةـ مـنـ أـجـلـ ضـبـطـ الطـوـلـ الـيـؤـرـيـ لـلـمـسـافـاتـ الـمـخـلـفـةـ،ـ وـمـنـ أـجـلـ السـمـاحـ بـدـخـولـ كـمـيـاتـ مـخـلـفـةـ مـنـ الضـوءـ،ـ وـمـنـ أـجـلـ تـعـدـيلـ الـزـيـغـ الـكـرـوـيـ وـالـلـوـنـيـ،ـ قـدـ تـكـوـنـتـ عـنـ طـرـيـقـ الـاـنـتـخـابـ الـطـبـيـعـيـ،ـ فـإـنـ ذـلـكـ يـبـدـوـ وـأـنـاـ أـعـتـرـفـ بـذـلـكــ كـشـيـءـ مـنـافـ لـلـعـقـلـ إـلـىـ أـعـلـىـ درـجـةـ⁽⁴⁰⁶⁾ـ.

(404) تلك التقنية والتي تسمى (3D)، هي ما يحاول أصحاب شركات الكاميرا محاكاتها!

(405) ينظر: مقالة مؤسس نظرية التطور حائز أمام تركيبة العين.

http://antishobhat.blogspot.com/2012/09/blog-post_26.html

(406) أصل الأنواع لـ(داروين)، ترجمة مجدي المليجي (ص293).

- أَصْبَعُ بَشَرِيٌّ:

إنَّ أَصْبَعًا واحِدًا من أصابع الإنسان، فيه مئات الملايين من الخلايا، في كل خلية عجائب وأسرار لن يتسع المقام للوقوف إلا على تَزْرِ يسير منها، ولذلك أن تتأمل ما قاله لينوس باولننج (Pauling Linus) الحائز على جائزة نوبل في الكيمياء: "إن خلية حية واحدة من بدن الإنسان هي أشد تعقيداً من مدينة نيويورك"!⁽⁴⁰⁷⁾!

إِذَا انتقلنا إلى داخل خلية واحدة من خلايا جسمك البالغ عددها 37.3 تريليون خلية تقريباً، هناك تقريباً 10 تريليون منها تحمل نواة (جزء صغير داخل الخلية)، في داخل نواة هذه الخلايا الجسمية، يوجد 23 زوجاً من الكروموسومات، بداخل هذه الكروموسومات خيط رفيع جداً يسمى DNA شفرتك الوراثية، يحمل هذا الخيط معلومات عن صفاتك ووظائف أعضائك بشكل كامل، طول هذا الخيط: إذا فردنا الكروموسومات الموجودة في خلية واحدة ووصلناها ببعضها، سيبلغ طولها تقريباً 2 متر في المتوسط... تخيل! خيط طوله 2 متر يوجد في كل خلية من خلايا جسمك، ترى كيف سيكون ملفوفاً ومربطاً لكي تَسْعَه خلية لا تستطيع حتى أن تراها بعينك المجردة؟! إذا وصلنا خيوط المادة الوراثية DNA في خلايا جسمك كلّها، (أي: 2 متر * 10 تريليون خلية)، سيكون الطول تقريباً 20 مليار كيلومتر، هذا ما يتعلق بطولها فقط، أما طريقة عملها، وكيفية قراءتها واستخراج المعلومات منها فعالٌ آخر! هذه الـ 37.3 تريليون خلية، بعضها مسؤول عن العظام، وبعضها مسؤول عن الأعصاب، أخرى مسؤولة عن الدم ... وهكذا، وكل واحدة منها تهتم بما ينبغي أن تفعله! {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّمُؤْمِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات: 21-20].

- الزرافة!

الزرافة تحمل دماغها فوق عنق طويلة، وقد تصل المسافة بين قلبه وبين دماغها إلى 3 أمتار، وحتى يتمكن قلبه من إيصال الدم إلى دماغها، فإنه لا بد أن يكون قوياً؛ ولذلك فقد يصل وزنه إلى 11 كغم، بطول 60 سم، وطول جدرانه 7.5 سم⁽⁴⁰⁸⁾، إذا فهو يضخ الدم بقوة شديدة نحو الدماغ.

ولكن ماذا سيحدث لو خضخت الزرافة رأسها لشرب مثلاً، هل ستنفجر عروقها ودماغها بسبب هذه القوة؟! لا، فإن الشريان الذي توصل الدم إلى الدماغ تحتوي على صمامات تخفف من الضغط عند انحناء رأس الزرافة. كما أن هناك شبكة من الأوعية الدموية أسفل الدماغ تعمل كالإسفنج، فتمتص تلك القوة ثم تغذي الدم، كما أن الشريان الذي ينزل الدم من الدماغ إلى القلب فيه صمامات تمنع الدم من الرجوع إلى الدماغ عندما تخفض الزرافة رأسها⁽⁴⁰⁹⁾، فسبحان من {أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ} [السجدة: 7].

إِنَّهُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالَهُ⁽⁴¹⁰⁾:

والآن، وبعد هذه النماذج التي لا نستطيع وصفها إلا بأنها غريبٌ من فَيُضِّنُّ مَا عَلِمَهُ علماء الطبيعة من عجائب الخلق، لا يمكن لإنسان يحترم عقله وفطرته إلا أن يقر بأمررين:

(407)Dave Hunt, In Defense of the Faith (Eugene: Harvest House Publishers, 1996), p.22

(408)Prothero, D. R.; Schoch, R. M. (2003). Horns, Tusks, and Flippers: The Evolution of Hoofed Mammals. Johns Hopkins University Press. pp. 67–72

(409)Mitchell, G.; Skinner, J. D. (1993). "How giraffe adapt to their extraordinary shape". Transactions of the Royal Society of South Africa. 48 (2): 207–

1- بوجود خالق لهذه المخلوقات.

2- وأن هذا الخالق متصرف بصفات الكمال المطلق، الذي لا يدخله نقص بوجه من الوجوه.

فمن تأمل في هذا الخلق المتقن، علم يقينًا أن خالقه لا بد أن يكون:

1- متصفًا بالحياة الكاملة؛ فلو لم يكن حيًا لما خلق، قال الله تعالى: {اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [البقرة: 255]، ويقول جل في علاه: {هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [غافر: 65].

2- ولا يمكن أن يتم الخلق بدون إرادة؛ فغير المريد لا يقدر على أن يقوم بشيء له معنى، فضلاً على أن يخلق مخلوقات متقدمة يجعل لكل منها مهمة ووظيفة.

3- ولا بد أن يكون متصفًا بكمال العلم؛ فالخلق، والخلق المتقن، لا يمكن أن يتم بدون علم كامل، فالجاهل لا يمكنه أن يصنع أبسط الأشياء، فإذا لاحظنا دقة خلق الخالق علمنا دقة علمه، وأنه لا تخفي عليه خافية، قال تعالى: {وَأَسْرَوْا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مِنْ خَلْقٍ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْحَبِيرُ} [الملك: 13-14].

4- كما أن الخالق لهذا الإتقان لا بد أن يتصرف بالقدرة التامة؛ فهذا الكون يسير على سنن وقوانين دقيقة، غير فوضوية، يقول تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطلاق: 12]، ويقول تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْئًا يَحْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} [الروم: 54].

5- ولا يمكن للخلق المتقن أن يتم بدون حكمة تامة باللغة؛ فغير الحكيم لا يمكنه وضع الشيء في موضعه المناسب، يقول تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَبِيرُ} [سبأ: 1].

6- وإذا تأملت في تسخير الأرض وتذليلها لمعيشتنا، وتأملت كيف أن الرزق والطعام يصل إلى أضعف المخلوقات، وإذا تأملت في إغاثة الله تعالى لعباده بإنزال المطر، علمت أن هذا الخالق رحيم رحمة وسعت كل شيء، كريم عظيم الكرم والجود، يقول الله تعالى: {فَإِنَّظِرْنَا إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [الروم: 50]، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلْجُ في الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ} [سبأ: 2].

7- ومن لوزام ذلك الخلق المتقن أن يكون الخالق سميًا بصيرًا؛ يقول تعالى: {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَدْرُؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11].

إن آثار الكمال الموجودة في الخلق، تدل على كمال الخالق؛ لأن معطي الكمال أولى به، فخالق الأسماء والأبصار والنطق، ونحو ذلك من الصفات الكاملة، هو أحق بهذا الكمال على وجه لا يماثله فيه أحد من خلقه؛ فالفطرة والبداهة تقتضي أن يكون الخالق المستغني عن الخلق أولى بالكمال من المخلوق المحتج الفقير إلى خالقه، يقول الله تعالى: {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الروم: 27]، ويقول تعالى: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}.

المطلب الخامس: النصوص الشرعية الدالة على الإحكام والإتقان
وحرى بدليل كهذا، يُناقش مسألة من أهم مسائل الوجود، أن تناوله العناية الفائقة من القرآن الكريم؛ فإن المسألة كلما كانت أعظم، كان دليلاً أوضح وعناية القرآن بها أكبر.

فالقرآن قد تناول هذا الدليل بأساليب متنوعة، تتضمن استثارة المكون الفطري في الإنسان، والذي يحثه على نسبة مظاهر الإتقان إلى رب حكيم علیم، فَعَالٌ مَا يرید، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، حيث تدعوه الآيات إلى:

1- التأمل في نفسه:

يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَبَكَ} [الأنفطار: 8-6].

2- والتأمل في وسائل المعرفة الموهوبة له:

يقول تعالى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: 78].

3- والتفكر في إتقانه سبحانه لخلق هذا الكون، وتسخيره للإنسان:

يقول تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلْتُ أَيْدِيهَا أَنْعَاماً فَهُمْ وَذَلِّلَنَا هَا لَهُمْ فِينَهَا رُكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ وَمَسَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} [يس: 71-63].

- ويقول تعالى: {فَلَيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبَّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبَّا * وَعِنَّبَا وَقَضْبَا * وَزَيْتُونَا وَخَلَلَا * وَحَدَائِقَ غُلْبَا * وَفَاكِهَةَ وَأَبَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلَا نُعَامَكُمْ} [عبس: 32-24].

- وقوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: 190-191].

ومن ذلك قوله تعالى: {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْتِنُوا شَجَرَهَا إِلَّا مَعَ اللَّهِ بِلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً إِلَّا مَعَ اللَّهِ بِلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [النمل: 60-61].

فانظر كيف لفت النظر إلى بعض الظواهر التي نراها بكثرة، ولكن غفلت قلوبنا عما فيها من إبداع كما قال تعالى: {وَكَأَيْنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ} [يوسف: 105].

إن مجرد التأمل في خلق السماوات والأرض، وإنزال المطر، وإنبات النباتات وتنوعها؛ كفيل بعمارة القلب

⁽⁴¹¹⁾ انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، (154/4)، دار طيبة.

فكيف إذا وجهت النظر، وتأملت في الظواهر الكونية باللغة الإتقان، والتي قد يغفل عنها كثير منا!

- يقول الله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ بَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءَ رَبِّكُمْ ثُوقُنُونَ} [الرعد: 2].

- ويقول تعالى: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فِيَّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 185].

- ويقول تعالى: {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ} [ق: 6].

- ويقول تعالى: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاقُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هُلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ} [الملك: 3].

- ويقول تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَّنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى أَفَلَا يُؤْمِنُونَ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَّ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِي جَاجًا سُبْلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [الأنباء: 30-33].

4- كما أنَّ الله عَزَّ وَجَلَ تحدي البشر أنْ يجدوا في صنعه خللاً:

يقول تعالى: {مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاقُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَتِينَ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} [الملك: 4-3].

بَلْ أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَ تحدي جميع البشر أنْ يخلُقُوا ذُبَابًا؛ يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَإِسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلِبُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفُ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبُ} [الحج: 73]، فلو اجتمع البشر بكل إمكانياتهم؛ ليخلقوا ذبابة، ما استطاعوا، فكيف تخلقها الصدفة؟

ماذا لو كان ثمة بيت مصنوع من الخشب بطريقة فنية جميلة؟ هل سيخطر على بال أحد من الناس بأنَّ هذا الخشب المنتظم قد انتخبته الطبيعة وطورته حتى أصبح بهذا الشكل؟ لا أظن مُنصِّفًا سيقول نعم، إذًا كيف نقول مع خلق الإنسان الذي خلق الله له قلبًا، ورئةً، وشرايين وأوردةً، ونظامًا عصبيًا وعقليةً وعضليةً لم يصل الطبع إلى كثيرٍ من فهم حقيقتها في جسم الإنسان؟

وكذا تناست أعضاء الجسم البشري في ردات الفعل والشعور بالجوع والعطش والشبع والرِّي والحاجة إلى الراحة والنوم؟ وكذلك التفكير الذهني والذكاء والابتكار والمشاعر المختلفة عند الإنسان من فرح وحزن وخوف وغير ذلك؟ وكذا خلق الإنسان على أطوار متعددة منذ أن كان في رحم أمِّه في مراحلٍ عجيبةٍ ذكرها الخالق جل جلاله في كتابه الكريم قبل 1400 سنة، إذ يقول الله عز وجل: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانًا مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ حَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْعَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْعَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: 12-14].

فهل يعرف العلم الحديث من ذكر هذا التفصيل الدقيق لمراحل نمو الإنسان في بطن أمِّه قبل 1400 عام؟ لا شك أنَّ الذي عَلِمَ إِنْسَانَ هذا البيان في ذلك الوقت خالقُ عَلِيِّمٌ حَكِيمٌ، أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْحَقِّ؛ لِيَدْلِيَ النَّاسَ إِلَى

الطريق الصحيح، وأيده بما يُثبت صدق نبوته.

وكم في القرآن من ذكر لهذه المخلوقات التي نراها حولنا، وهي من أعظم الأدلة على وجوده وكماله سبحانه واستحقاقه للألوهية وحده لا شريك له، فذكر الشمس والقمر، والليل والنهار، وإنزال المطر وإخراج النبات بسببه، وذكر الرعد والبرق، والسحب والنجوم، وتسخير الرياح لذلك، وتسخيرها لسير السفن في البحر، وذكر خلق الإنسان بعد أن لم يكن شيئاً مذكورة، وحننا على التفكير في الزواج، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم، وجعل الليل سكناً لنا، وذكر المراحل التي يمر الإنسان بها في حياته، وتفضيل بعض الناس على بعضهم في الرزق، وذكر النحل والإبل والجبال، وغير ذلك، يقول عز وجل: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٌٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: 2].

المطلب الأول: المراد بدليل التخصيص:

بالنظر إلى أي مخلوق من مخلوقات الله - سواء في المخلوق نفسه، أو مقارنة بغيره - فإننا نجد مظاهر تخصيص له بهيئة معينة، أو مقدار معين؛ ليتحقق بها مصالحة، ولو لا هذا التخصيص؛ لفساد حياته، وهذا يدل على وجود مخصوص له؛ وهو الله سبحانه وتعالى.

"وتنص هذه الدلالة على أنه يجوز عقلاً أن يكون كل جزء من العالم على خلاف صورته وصفته وحالته التي هو عليها الآن، فكونه على هذه الصورة التي هو عليها الآن يحتاج إلى مخصوص يخصصها بالوجود، دون غيرها من الصفات والأحوال الممكنة الأخرى".⁽⁴¹³⁾

"وحاصل هذا الوجه في الدلالة على وجود الله تعالى: أنه لا يمكن أن تتحقق الهدایة للمخلوقات دون أن يقتضي ذلك إثبات العلم والحكمة من جعلها كذلك، فلا بد أن يكون الله هو الذي خلقها وهدأها تلك الهدایة، إذ لا يمكن أن تكون تلك الهدایة، هي مقتضى طبائع الأشياء في ذاتها؛ لما عُلم بالضرورة من أن ما عليه المخلوق من الهدایة يقتضي أن يكون مخلوقاً لغاية محددة، وذلك لا يمكن أن يكون ذاتياً.

فلزم مما سبق أن إثبات وجود الله تعالى، هو حقيقة ضرورية يدركها الإنسان بمجرد إدراكه لشيء من مظاهر هدایة المخلوقات لما خلق لها".⁽⁴¹⁴⁾

"ويراد بالعنابة: ما نشهده، ونحس به من الاعتناء المقصود بهذه المخلوقات عموماً، وبالإنسان على وجه الخصوص، والذي يتجلّى فيما نراه وندركه من موافقة هذه الموجودات بعضها لبعض، وذلك لا يكون قطعا إلا من قبلٍ فاعلٍ، قاصِدٍ لذلك، مريديٍ. فهذه الدلالة إذن تبني على أصلين:
الأول: العلم بهذه الموافقة.

الثاني: أن هذه الموافقة هي ضرورة من قبلٍ فاعلٍ قاصِدٍ مريديٍ".⁽⁴¹⁵⁾

المطلب الثاني: كيفية الاستدلال بدليل التخصيص:

يمكن الاستدلال بدليل التخصيص على وجود الله تعالى من خلال المقدمتين التاليتين:
المقدمة الأولى: وجود خواص مميزة لكل مخلوق من المخلوقات، وله هيئة مخصوصة؛ بحيث لو لم يكن بهذه الخواص؛ لفسد.
والدليل: المشاهدة.

المقدمة الثانية: هذا التخصص المدرك حسناً، لا يمكن أن يكون:
1- من غير سبب.

(412) مادة العقيدة الإسلامية، د. أبو زيد بن محمد مكي، عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى بكلية الدعوة وأصول الدين - قسم العقيدة، ص 43-56 دار الأوراق

(413) الأدلة النقلية على أصول الإعتقاد. د. سعود العريفي (ص: 241).

(414) تُنسب لدكتور عبد الله القرني - المصدر: كتاب الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، لسعود العريفي (ص 226 - 227).

(415) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، لسعود العريفي: ص 227-226

2- أو يوجد لها لذاتها.

النتيجة: وجود خالق عليكم حكيم، خلق المخلوقات بهذه الخواص؛ ليتحقق في الكون النظام، وينتفي عنه الاضطراب والتناقض، هذا الخالق هو الله سبحانه وتعالى.

صياغة أخرى لدليل التخصيص:

أ - نشاهد أن: كل مخلوق قد خُصّ بشكل وهيئة، ومقدادير محددة؛ بها يظهر التفاوت بينه وبين مخلوق آخر، كذلك أعضاء المخلوق الواحد؛ قد خُصّ كل منها بوظيفةٍ وهيئةٍ مختلفة عن بقية الأعضاء.

ب - يجوز عقلاً أن يكون ذلك المخلوق أو العضو على خلاف الصورة التي هو عليها الآن؛ ولو كان على خلاف الصورة التي عليها الآن؛ لفسد.

النتيجة: من (أ)، و (ب): تخصيص المخلوق أو العضو بصورته التي هو عليها الآن يحتاج إلى مُحَصِّصٍ. هذا المُحَصِّصُ لا يمكن أن يكون جامداً لا حياة فيه، أو جاهلاً لا يعلم ويعقل، فلا بد أن يكون المُحَصِّص علیماً حكيمًا؛ عِلْمَ خصوصيات الأشياء وما يصلح لكل منها، فَصَوْرَهَا وَفُقَ عِلْمَهُ وَحِكْمَتَهُ عَلَى هَذِهِ الْأَوْجَهِ الْمُخْصُوصَةِ الْمُتَقَنَّةِ، وهذا هو الله سبحانه وتعالى.

المطلب الثالث: المستند الشرعي لدليل التخصيص:

المستند الشرعي لهذه الدلالـة يكمن في الآيات القرآنية التي تدل على: إمكان تحـول المخلوقات إلى مقدادير وصفات مضادة تماماً لما هي عليه الآن، وفي تلك الحالة، لن تكون صالحة؛ فتخصصـها بصفاتهاـ التي هي عليها الآن لتكون نافعة؛ دالـ على مشيئة مُحَصِّصٍ مُتَصِّفٍ بالعلم والحكمة⁽⁴¹⁶⁾، يقول الله تعالى: {أَفَرَءَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * إِنَّمَا تَرَعُونَهُ أَمْ حَنْ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَّاً مَا فَظَلْلَتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغَرِّمُونَ * أَفَرَءَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشَرَّبُونَ * إِنَّمَا تَنْزَلُ تُسُوهُ مِنَ الْمُرِنِ أَمْ حَنْ الْمُنْزَلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشَكُّرُونَ * أَفَرَءَيْتُمُ الْأَنَارَ الَّتِي ثُورُونَ * إِنَّمَا تَأْشِتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ حَنْ الْمُنْشَوْنَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكِّرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ * فَسَبِّحْ بِإِسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: 63-]

[74]

يقول ابن تيمية رحمـه الله: "العين، والـفـم، والأذنـ فيها مـياه وـرطـوبـة؛ فـماءـ العـينـ مـالـحـ، وـماءـ الفـمـ عـذـبـ، وـماءـ الأذـنـ مـرـءـ؛ فإنـ العـينـ شـحـمةـ، وـالـملـوـحةـ تحـفـظـهاـ أـنـ تـذـوبـ".

وهـذهـ أـيـضاـ حـكـمةـ تـمـليـحـ مـاءـ الـبـحـرـ؛ فإنـ لـهـ سـبـبـاـ وـحـكـمةـ؛ فـسبـبـهـ سـبوـخـةـ أـرـضـهـ وـمـلـوـحـتـهـ، فـيـ تـوجـبـ مـلـوـحـةـ مـائـهـ، وـحـكـمـتهاـ: أـنـهـ تـمـنـعـ نـتـنـ المـاءـ بـمـاـ يـمـوتـ فـيـهـ مـنـ الـحـيـاتـ الـعـظـيمـ؛ فـإـنـهـ لـوـلـاـ مـلـوـحـةـ مـائـهـ؛ لـأـنـنـ، وـلـوـ أـنـنـ؛ لـفـسـدـ الـهـوـاءـ؛ مـلـاقـاتـهـ لـهـ، فـهـلـكـ النـاسـ بـفـسـادـهـ، وـإـذـ وـقـعـ أـحـيـانـاـ قـتـلـ خـلـقـ كـثـيرـ، فـإـنـهـ يـفـسـدـ الـهـوـاءـ حـتـىـ يـمـوتـ بـسـبـبـ ذـلـكـ خـلـقـ كـثـيرـ.

وـماءـ الأـذـنـ مـرـءـ؛ لـيـمـنـعـ دـخـولـ الـهـوـاءـ إـلـىـ الأـذـنـ.

وـماءـ الفـمـ عـذـبـ؛ لـيـطـيـبـ بـهـ مـاـ يـأـكـلهـ، فـلـوـ جـعـلـ اللـهـ مـاءـ الفـمـ مـرـأـ؛ لـفـسـدـ الطـعـامـ عـلـىـ آـكـلهـ، وـلـوـ جـعـلـ مـاءـ الأـذـنـ عـذـبـ؛ لـدـخـلـ الذـبـابـ فـيـ الدـمـاغـ، وـنـظـائـرـ هـذـاـ كـثـيرـ.

(416) انظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد. لسعود العريفي: (ص 242).

فلا يجوز أن يُفعَل بخلاف ذلك؛ مثل أن يجعل العينين في القدمين، ويُجعل الوجه خَشِنًا غَلِيظًا، كالقدمين؛ فإنه كان يُفسِد مصلحة النظر والمشي؛ بل من الحكمة أنه جَعَل العينين في أعلى البدن، في مُقْدِمِه؛ ليرى بها ما أمامه، فيدرِي أين يمشي، وَجَعَل الرِّجْلَ خَشنة تصبر على ما تلاقيه من التراب وغيره.

والعين لطيفة يُفسِدُها أدنى شيء، فجعل لها أجفانًا تغطيها، وأهداباً...

هذا ومثله من مخلوقات الرَّبِّ، دلَّ على أنه قد أحَكَم ما خلقه، وأتقنه، ووضع كل شيء بالموضع المناسب له، وهذا يُوجِب العلم الضروري أنه عالِمٌ؛ فيميز بين هذا وبين هذا، حتى خَصَّ هذا بهذان وهذا بهذا.

وهو أيضاً يُوجِبُ العلم الضروري بأنه أراد تخصيص هذا بهذا، وهذا بهذا؛ فدلَّ على علمه وإرادته.⁽⁴¹⁷⁾

المبحث الخامس: الاستدلال بدليل التسوية على وجود⁽⁴¹⁸⁾

المطلب الأول: معنى تسوية الشيء:

إحسان خلقه، وإكمال صنعته، وإمداده بأسباب صلاحه، وبقائه، وجعله مستوىًّا معتدلاً، متناسب الأجزاء دون تفاوت أو خلل بحيث يكون مهيئاً لأداء وظيفته على أكمل وجه.

المطلب الثاني: دليل التسوية أبلغ في الدلالة

وإذا كان دليل الخلق يدل على الله سبحانه، فإن التسوية أبلغ في الدلالة وأخص منها؛ لأن الشيء يمكن أن يخلق دون أن يكون مسوّى على الوجه الأكمل والأتم، وتسوية المخلوقات أمر ظاهر للعيان في كل ما ذرأه الله وبرأه، سواء في السماوات أو في الأرض، وفي الحيوان أو النبات، وأما الإنسان فهو نسيج وحده في هذا الباب، ويكتفي أن نمثل بأي عضو من أعضائه كالعين أو القلب؛ لنرى عجيب صنع الله، وإحسان خلقه جل وعلا.

923-922/2 (417)

(418) مقرر الثقافة الإسلامية، إعداد اللجنة العلمية بكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ص .89

المطلب الثالث: النصوص الشرعية في دليل التسوية

وقد تكررت الإشارة إلى دليل التسوية في القرآن الكريم بعبارات متنوعة وإن كانت متقاربة في الدلالة، ومنها:

1- التسوية:

كما في قوله تعالى: {تُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَى} [القيامة: 38]، وقوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَى} [الأعلى: 2].

2- الإتقان:

كما قال تعالى: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعُ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} [النمل: 88].

3- الإحسان:

كما في قوله تعالى: {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَهُمَا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ حَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: 14].

وقوله تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} [السجدة: 7].

وقوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَفْoِيمِ} [التين: 4].

4- نفي التفاوت:

كما في قوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاؤْتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هُلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ} [الملك: 3].

المبحث السادس: الاستدلال بدليل التقدير على وجود الله⁽⁴¹⁹⁾

المطلب الأول: المراد بدليل التقدير:

الاستدلال بما نراه في النفس، وفي الآفاق؛ من التقدير المشاهد فيها على وجود الله.

"ومن أوجه هذه الدلالة: أن الله تعالى قد خلق كل شيء بتقدير محدد وهيئة مخصوصة، بحيث يتحقق فيها الانتظام وينتفي الاضطراب والتناقض، فلكل شيء من المخلوقات على كثرتها خواص ذاتية تميزه عن جميع المخلوقات، وكما أن تلك الخواص هي أساس تمييز الأشياء؛ فإنها كذلك أساس ما بين الأشياء من السببية، فمن أنكر تلك الخواص فقد ألغى السببية، ومن أنكر السببية لم يمكنه إثبات ما للأشياء من خواص.

فتقدير الله للمخلوقات يقتضي أن تنتظم أمورها وفق سببية مطردة وقوانين محكمة، لا تختلف إلا بإرادة الله تعالى، كما في المعجزات الخارقة للسنن، وأما الأصل في المخلوقات فهو جريانها على تقدير الله تعالى وتسويته لها".⁽⁴²⁰⁾

"وجميع هذه الآيات تدل على أن الانتظام في المخلوقات هو مقتضى تقدير الله لها، وأنه لا يمكن أن يتحقق الانتظام في المخلوقات من غير مدبر، كما لا يمكن أن يكون هو مقتضى طبائع الأشياء في ذاتها دون أن يكون لها

خالق، وهذا يقتضي بالضرورة وجود الخالق سبحانه وتعالى".⁽⁴²¹⁾

(419) دلائل الربوبية، د. أبو زيد بن محمد مكي، ص 60.

(420) المعرفة في الإسلام للدكتور عبد الله القرني (ص 518-519).

(421) المعرفة في الإسلام: للدكتور عبد الله القرني (ص: 520).

المطلب الثاني: كيفية الاستدلال بدليل التقدير:

يمكن الاستدلال بدليل التقدير على وجود الله تعالى من خلال المقدمتين التاليتين:

المقدمة الأولى: وجود مظاهر التقدير بدون زيادة أو نقصان في أي مخلوق من المخلوقات:

- قال تعالى: {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمُقْدَارٍ} [الرعد: 8].

- وقال تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: 2].

- وقال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَا يَقْدِرُ فَاسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابِهِ لَقَادِرُونَ} [المؤمنون: 18].

- وقال تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: 49].

- وقال تعالى: {مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ} [عبس: 18-19].

- وقال تعالى: {وَالْأَرْضَ مَدَدَنَا هَا وَالْقَيْنَاتِ فِيهَا رَوَاسِيٌّ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ} [الحجر: 19].

وظاهره التقدير تبدو في كل ما خلق الله عز وجل في الأرض والسماء والإنسان والنبات والحيوان، فقد نظم الله

أجزاء هذا الوجود على أحسن نظام، وأدله على كمال قدرة خالقه، وكمال عمله، وكمال حكمته، وكمال لطفه.

الدليل: المشاهدة (الإدراك الحسي).

المقدمة الثانية: التقدير المتقن المحكم المدرك حسًا، لا يمكن أن يكون:

1- من غير سبب.

2- أو يوجد لها لذاتها.

الدليل: ضرورة عقلية.

النتيجة: وجود خالق عليم حكيم، خلق المخلوقات بهذا التقدير المحكم المتقن؛ وهو الله سبحانه وتعالى.

المبحث السابع: الاستدلال بدلائل النبوة على وجود الله:

المطلب الأول: حقيقة الاستدلال بدلائل النبوة على وجود الله:

يُراد به: كل دليل دلّ على صدق الأنبياء والرسل، فهو دالٌّ على وجود الله، مثل:

1- الآيات والبراهين؛ الدالة على صدق الرسل.

2- إجابة دعوات الأنبياء.

3- النصر على الأعداء.

4- الدين الذي جاؤه.

5- أخلاقهم التي ميزهم الله بها.

"دلائل النبوة تشمل عدة أمور؛ أهمها: آيات الأنبياء التي يظهرها الله تعالى على أيديهم، تصديقاً لهم في دعوى الرسالة، ويتبع ذلك حصول العاقبة والنصر للرسل وأتباعهم باطراد، مع قلة العدد والعدد، كما تشمل أيضاً كرامات الأولياء، التي يظهرها الله تعالى على أيدي أتباع الرسل إكراماً لهم، وهي من جنس آيات الرسل، وتعتبر امتداداً لها، إذ هي شاهدة بصدقهم، حيث أكرم بها أتباعهم، ويدخل فيها ما يحصل لعباد الله المؤمنين من إجابة الدعوات، وكشف الكربات، وإعاقة المهاجمات، وغير ذلك من أنواع الكرامات.

ومع أن دلائل النبوة موجهة أصلاً لإثبات دعوى النبوة والرسالة، إلا أن لها دلالة - دون شك - على وجود مُحدِثها ومُوجِدِها، وذلك من وجهين:

أولاً: أنَّ منها ما هو خارق للعادة، لا يقدر عليه إلا خالق السماوات والأرض، وَمُسَيِّرُ نظام العالم على تلك العادة المخروقة، فدل اقتران خرق تلك العادة مع دعو الرسالة؛ على وجود رب قادر على كل شيء، هو الذي أرسل هذا الرسول، وصدقه بهذه الآيات، هذا فضلاً عن دلالتها على صدق الرسول نفسه.

ثانياً: أنَّ ما سوى الخوارق من دلائل النبوة، قد ثبت به صدق الرسول، الذي قد أخبر عن الرب الخالق العظيم، وعن صفات جلاله وكماله، بما لا يدع مجالاً للشك في كمال ربوبيته وعظمته، فضلاً عن وجوده أصلًا".⁽⁴²²⁾

المطلب الثاني: نماذج من دلائل النبوة:

سوف نطرح ثلاثة نماذج من دلائل النبوة، والتي بدورها تدل على وجود الله سبحانه وتعالى، إذ أنَّ كلَّ نبي مؤيدٌ بأدلة وبراهين تُثبتُ أنَّه مرسى من عند الله سبحانه وتعالى، وهذه النماذج، كالتالي:

أولاً: من دلائل نبوة موسى عليه السلام:

مُوسى عليه السلام؛ دليله على أنه نبِيٌّ مرسى من عند الله: (العصا)، حيث تعد عصاه من المعجزات الباهرة التي أيدَه الله تعالى بها دليلاً على صدق نبوته ورسالته، قال الله تعالى: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى} * قَالَ هِيَ عَصَائِي أَنَّكَ عَلَيْهَا وَأَهْشُنْ بِهَا عَلَى عَنَّيِ وَلَيْ فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى} * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى} * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَ} * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخْفَ

.(422) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، لسعود العريفي (ص 297-296).

سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى} [طه: 21-17]، فالعصا التي صارت بقدرة الله تعالى حية عظيمة، ابتلعت جميع ما جاء به سحرة فرعون من السحر، فقال تعالى مخاطبًا موسى عليه السلام: {وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقُفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَ} [طه: 69]، وفي آية أخرى، يقول عز في علاه: {فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقُفْ مَا يَأْفِكُونَ} [الشعراء: 45].

ثانية: من دلائل نبوة عيسى عليه السلام:

"لقد أيد الله عيسى عليه السلام بمعجزات منذ ولادته، إذ أنَّ ولادته نفسها معجزة، كما جاء في الملل والنحل للشهرستاني، فقد قال رحمة الله في ذلك: "كانت له آيات ظاهرة، وبينات زاهرة، مثل إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص، ونفس وجوده وفطنته آية كاملة على صدقه، وذلك حصوله من غير نطفة سابقة، ونطقه البَيْنَ من غير تعليم سابق".

ومعجزاته التي ذكرها القرآن الكريم تتلخص في خمسة أمور، جاء ذكر أربعة منها في سورة المائدة في قوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى الَّذِي تَكَبَّرَ إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلِمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالْتُّورَةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهْيَةً الطَّيْرَ يَإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا يَإِذْنِي وَتُبَرِّئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ يَإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى يَإِذْنِي} [المائدة: 110] ... إلى قوله تعالى كلماته: {إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَ قُلُوبُنَا وَتَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلَانَا وَآخِرَنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنَّمَا أَعْذِبُهُ عَذَابًا لَا أَعْذِبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ} [المائدة: 112-114].

ويستعين من هذه الآيات الكريمة أربع معجزات:

الأولى: إنه يصور من الطين كهيئة الطير فينفح فيها ف تكون طيراً بإذن الله، أي أن الله سبحانه وتعالي خلق على يديه طيراً من الطين، فالخالق هو الله سبحانه وتعالي، ولكن جرى الخلق على يد عيسى، وينفح من روحه عليه السلام بإذن الله تعالى.

الثانية: إحياءه عليه السلام الموتى بإذن الله جلت قدرته، والمحي في الحقيقة هو الله العلي القدير، ولكن أجراه الأحياء على يد المسيح عليه السلام، ليكون ذلك برهان نبوته، ودليل رسالته.

الثالثة: إبراؤه عليه السلام الأكمه والأبرص، وهو مرضان تعدى على العالم قديمه وحديثه العثور على دواء لهما، والتمكن من أسباب الشفاء منهما، ولكن عيسى بقدرة الله شفاهما، وبرئ المريضان برقيته، فكان ذلك دليلاً قائماً على رسالته عليه السلام.

الرابعة: إنزال المائدة من السماء بطلب الحواريين، لتطمئن قلوبهم، وليعلموا أن قد صدقهم.

والخامسة: خمسة ذكرت في سورة آل عمران، وهي: أنبأوه عليه السلام بأمور غائبة عن حسه، ولم يعاينها، فقد كان ينبغي صحابته وتلاميذه بما يأكلون وما يدخلون في بيوتهم. وقد ذكر الله تعالى في قوله في قوله تعالى حاكياً عنه: {وَأَنِّي أَعْلَمُ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُلُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 49].⁽⁴²³⁾

ثالثاً: من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم⁽⁴²⁴⁾:

وهذا رسولنا صلى الله عليه وسلم - وهو خاتم النبيين - دلائل نبوته كثيرة جدًا، سواءً بالنظر إلى أخلاقه، أو بالنظر إلى نوع ما جاء به، أو بالنظر للآيات والبراهين.

ويمكن الاستدلال بهذا الدليل على وجود الله وفق مقدمتين:

المقدمة الأولى: وجود دليل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم.

المقدمة الثانية: الصادق المصدق؛ يقول إنَّ الذي أرسله هو الله فقوله بأنه رسول الله صدق وحق، فهذا دليل على وجود الله تعالى.

ولنأخذ مثالين على ذلك:

- **المثال الأول**: قصة أبي هريرة رضي الله عنه ومشاهدته دلائل النبوة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: روى البخاري بسنده عن مجاهد: أنَّ أبي هريرة رضي الله عنه كان يقول: "وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِيرٍ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجَوْعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشْدُدُ الْحَاجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجَوْعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَسَأَلَهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلَهُ إِلَّا لِيُشَبِّعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعُلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَسَأَلَهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلَهُ إِلَّا لِيُشَبِّعَنِي، فَمَرَّ قَلْمَنْ يَفْعُلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَأَنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا هِرَّ، قُلْتُ: لَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِلَّا حَقٌّ، وَمَضَى فَتَبَعْتُهُ، فَدَخَلَ، فَأَسْتَأْذَنَ، فَأَذْنَ لِي، فَدَخَلَ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِنْ أَيْنَ هَذَا الْلَّبَنُ؟، قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبَا هِرَّ، قُلْتُ: لَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْحَقُّ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي، قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَصْيَافُ الْإِسْلَامِ، لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةً بَعَثَ بَهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاؤْلَ مِنْهَا شَيْئًا، إِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةً أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَهُمْ وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكُ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا الْلَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا الْلَّبَنِ شَرْبَةً أَنْقَوَيَ بَهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمْرَنِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيَهُمْ وَمَا عَسَى أَنْ يَيْلُغَنِي مِنْ هَذَا الْلَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُدُّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا، فَأَسْتَأْذَنُوْا فَأَذْنَ لَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخْدُوْا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا هِرَّ، قُلْتُ: لَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حُذْ فَأَعْطُهُمْ، قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ، فَجَعَلْتُ أَعْطِيَهُ الرَّجُلَ فَيَشَرِّبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرْدُ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأَعْطَيْهُ الرَّجُلَ فَيَشَرِّبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرْدُ عَلَيَّ الْقَدَحَ، حَتَّى

(423) كتاب محاضرات في النصرانية [محمد أبو زهرة]. المكتبة الشاملة: ص 19، وص 20.

(424) دلائل الربوبية، د. أبو زيد بن محمد مكي، عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى بكلية الدعوة وأصول الدين - قسم العقيدة.

انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي القوم كلامهم، فأخذ القدح فوضعه على يديه، فنظر إلى فتبسم، فقال صلى الله عليه وسلم: أبا هرث، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: بقيت أنا وأنت، قلت: صدقت يا رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم: اقعد فشرب، فقعدت فشربت، فقال صلى الله عليه وسلم: اشرب، فشربت، فما زال يقول: اشرب، حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلكاً، قال صلى الله عليه وسلم: فأربني، فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة".⁽⁴²⁵⁾

وتوجد في هذه الرواية عدة دلائل، سنوردها كالتالي:

أ- دلائل في شخصيته صلى الله عليه وسلم:

رأى أبو هريرة رضي الله عنه في النبي صلى الله عليه وسلم أخلاقاً لا تكون إلا في الأنبياء، مثل:

1- تبسمه حين رأه، وحين سقاوه؛ فهذا استدلال على صدقه بالنظر في سلوكه الشخصي.

2- كرمه صلى الله عليه وسلم بلبن مهدى له، وهو ليس عنده شيء سواه.

3- استضافته صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه وهو من الفقراء.

4- يشرب صلى الله عليه وسلم آخر القوم.

5- يشرب صلى الله عليه وسلم من الإناء نفسه الذي سبقه في الشراب منه الفقراء.

6- لم يحتفظ لنفسه صلى الله عليه وسلم شيء من اللبن.

7- يسقى صلى الله عليه وسلم أبا هريرة بنفسه.

8- يتلطف صلى الله عليه وسلم معه، فيأمره بالشرب حتى يتصلع.

ب- دلائل في دعوته صلى الله عليه وسلم:

رأى في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بالتوحيد، وحسن الخلق، وإطعام الطعام، وإكرام الضيف، فها هو صلى الله عليه وسلم يكرمه، ويضيف أهل الصفة، ونحو ذلك من مكارم الأخلاق.

ج- مبشرات في الكتب السابقة:

ففي الكتب السابقة مذكور في صفاته أنه: يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة؛ فلذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه: "إذا أتيته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتيته هدية أرسل إليهم، وأصاب منها، وأشركهم فيه".

قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمَّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْحَبَائِثَ وَيَضْعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا التُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف: 157].

(425) صحيح البخاري: (96/8)، (ج 6452).

د- آيات أجرها الله تعالى على يديه:

فهذا القدر فيه لبن لا يكفي شخصاً، يُكثّرُهُ الله على يديه حتى يشرب الجميع، ويشرب أبا هريرة رضي الله عنه حتى لا يجد له مسلكاً، فما يملك نفسه، وهو يرى هذه الدلائل حتى يقسم بالله، ويشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة، ويشهد لدینه بأنه حق وصدق.

فهذه الأدلة كلها تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي تدل على وجود الله تعالى الذي أرسله وأبيه.

- المثال الثاني على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه مؤيدٌ من ربِّه جل وعلا:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "أصابَ النَّاسَ سَنَةً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَبْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ عَلَى الْمَنَبِرِ يَوْمَ الْجَمْعَةِ فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَّكَ الْمَالُ وَجَاءَ الْعِيَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزْعَةً وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَ سَحَابٌ أَمْثَالُ الْجَبَالِ ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادِرُ عَلَى لِحَيِّتِهِ فَمُطَرِّنَا يَوْمَ ذَلِكَ وَمَنِ الْغَدِ الَّذِي يَلِيهِ حَتَّى الْجَمْعَةِ الْأُخْرَى فَقَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ قَالَ غَيْرُهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَهَدَّمَ الْبِنَاءُ وَغَرَقَ الْمَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ حَوَّلْنَا وَلَا عَلَيْنَا فَمَا يُشَيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِّنَ السَّحَابِ إِلَّا انْفَرَجَتْ حَتَّى صَارَتِ الْمَدِينَةُ مَثَلَ الْجَوَبَةِ وَسَالَ الْوَادِي وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِّنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا أَخْبَرَ بِالْجَوْدِ". (426)

فإجابة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم دليل على صدقه، وهو يخبر بأن الله عز وجل أرسله، فهو دليل عظيم على وجود الله تعالى.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وهذه طريقة السلف من أئمة المسلمين في الاستدلال على معرفة الصانع، وحدود العالم؛ لأنَّه إذا ثبتت نبوته بقيام المعجز؛ وجَبَ تصديقه على ما أنبأهم عنه من الغيب، ودعاهُم إلى الله من أمر وحدانية الله تعالى وصفاته وكلامه...". (427)

(426) أخرجه النسائي (1528) واللَّفْظُ لَهُ، وأخرجه البخاري (933)، ومسلم (897) باختلاف يسير.

(427) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (352/8).

المطلب الأول: المراد بدليل مكارم الأخلاق:

يراد به: الاستدلال بانتظام حياة الناس بالأخلاق الاجتماعية على وجود الخالق الذي يثبت عليها، ويعاقب من أساء فيها.

"إنَّ القيم كالصدق والأمانة والوفاء وغيرها، هي قيمٌ ضرورية لوجود المجتمعات البشرية، ولا يستقيم بدونها مجتمع؛ ولذلك قال بعضهم: إنها ملاط المجتمع الذي يمسك أفرادِ، كما يمسك الملاط للبنات التي يتكون منها البناء، فبغيرها لا يكون هناك علم حتى بأمور الدنيا، ولا وُجْد اقتصاد، ولا تَكَوَّن علاقات اجتماعية".⁽⁴²⁹⁾

المطلب الثاني: كيفية الاستدلال بمكارم الأخلاق:

يمكن الاستدلال بدليل مكارم الأخلاق على وجود الله تعالى في الخطوات التالية:

- 1- مكارم الأخلاق من الخير الواجب التزامه؛ الدليل: الفطرة.
- 2- صاحب مكارم الأخلاق من الواجب ثوابه، وسيء الأخلاق من الواجب عقابه؛ الدليل: ضرورة عقلية.
- 3- أحياناً نجد صاحب مكارم الأخلاق يخسر ومهان، وصاحب الأخلاق السيئة يكرم ويكسب؛ وهذا مخالف للعقلانية.

النتيجة: إما ترك مكارم الأخلاق، فيخالف الفطرة، وإما التمسك بالأخلاق؛ فيخالف العقلانية، وكلاهما مذموم.

الصواب: لا بد من دار أخرى فيها الثواب والعقاب، وهذا يتطلب وجود إله سميح عليه.

"إِذَا لَمْ يَكُنْ هَنالِكَ مِنْ خَالِقٍ يَرَى وَيَسْمَعْ مَا يَفْعَلُ الْبَشَرُ، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ هَنالِكَ مِنْ دَارِ أَخْرَى يَثِيبَ اللَّهُ فِيهَا الْمُحْسِنُ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَيَعَاقِبُ الْمُسِيءَ عَلَى إِسَاءَتِهِ، وَكَانَ الْكَسْبُ الْمَادِيُّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ الْكَسْبُ الْمُعْتَبِر؛ لَكَانَ الصَّادِقُونَ الْأَمْنَاءُ الْمَوْفُونَ بِعَهْوَدِهِمْ هُمُ الْمُغْفَلُونَ الَّذِينَ لَا عُقْلٌ لَهُمْ، وَلَكَانَ الْكَذَابُونَ الْخُوَنَةُ هُمُ الْعَقَلَاءُ".

لكن العقل يقول: إن الأمر لا يمكن أن يكون كذلك، لا يمكن أن يكون العقلاء هم الذين يقوضون المجتمع، والمغفلون هم الذين يبقونه متamasگاً؛ لو كان الأمر كذلك ل كانت اللاعقلانية أصلًا أصيلاً في بنية هذه الحياة الدنيوية، وكانت هذه الحياة - لذلك - كلها عبئاً، لكن ما من عقل يمكن أن يقبل نتيجة كهذه؛ لأن فيها - من بين ما فيها - تفويضاً لهم مبدأ تقوم عليه علومنا الكونية كلها، إن هذه العلوم كلها تقوم على افتراض المبدأ المسمى بتناسق الطبيعية، المبدأ الذي يقول: إن قوانين الطبيعة لا تختلف، وإن لذلك يمكن أن تدرس دراسة علمية بل رياضية؛ فكيف يكون هذا الكون في جانبه المادي عقلانياً، وفي جانبه البشري متناقضًا مع المبادئ العقلية؟!⁽⁴³⁰⁾.

"وهنالك تناقض آخر يؤدي إليه الإلحاد بالنسبة للقيم الخلقيّة؛ إن الناس مفطوروّن على أن هذه القيم قيم يحسن بهم أن يتزموا بها، فهي جزء من تكوينهم العقلي، وهم يشعرون لذلك - وما داموا محتفظين بفطرتهم -

(428) دلائل الربوبية د. أبو زيد بن محمد مكي.

(429) بتصرف: الفيزياء وجود الخالق، أ.د. جعفر شيخ إدريس (ص: 57).

(430) الفيزياء وجود الخالق، أ.د. جعفر شيخ إدريس (ص 59).

بالسعادة حين يصدقون الحديث، ويؤدون الأمانة، ويوفون بالعهد، ويشعرون بالشقاء حين يكذبون أو يخونون وينكثون.

فالملحد الذي يريد أن يتصرف وفق ما يقتضيه إلحاده؛ يمر بحالات يشعر فيها بالتمزق بين وازعه الداخلي، وتفكيره العقلاني؛ فبينما يقول له الواقع الداخلي: "أَصْدُقُ فَهَذَا أَرِيحُ لِنَفْسِكَ وَأَسْعَدُ لِقَلْبِكَ"، يقول له فكره: "لكنك تعتقد أنه ليس وراء هذه الحياة من حياة، والصدق في هذه الحال يفوت عليك لذة عاجلة، فقيم التضحية بها وأنت لا تنتظر أخرى بعدها آجلة".

يقول بعض من يسمع مثل هذه الحجة؛ لكن الواقع أنه ما كل الملحدين كذابون، ولا كل المؤمنين صادقون؛ فقد يصدق الملحد وقد يكذب المؤمن، وأقول: أجل إن هذا ليحدث؛ لكن الملحد حين يصدق يتناقض مع مقتضيات مبدئه؛ أي: إنه لا يصدق صدقًا يفوت عليه مصلحة إلا حين يتخلى – مؤقتًا – عن مبدئه أو عن عقله. أما المؤمن فالأمر بالنسبة له عكس ذلك تماماً، فهو حين يكذب يكون قد سلك سلوكًا يتناقض مع مبدئه ومع عقله، وحين يصدق يكون موافقاً لهما ولفطنته.

وعليه؛ فإنه كلما كثر عدد الملحدين، واشتدا اقتراحهم من مقتضيات مذهبهم؛ فإن الكذب عندهم سيداد لا محالة، وكلما كثر عدد المؤمنين واشتدا استمساكهم بدينهم؛ ازداد عدد الصادقين منهم لا محالة⁽⁴³¹⁾.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: "كيف نوفق بين هذه الواقع الداخلي الذي يدعونا إلى مكارم الأخلاق، والعقل الذي إلى تحصيل ما ينفعنا ودرء ما يضرنا؟ إنه لا حل عند الملحد؛ إن إلحاده يوجب عليه إما أن يكون داعياً إلى نبذ الأخلاق، أو يكون داعياً إلى نبذ العقل؛ وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

كيف يحل الدين هذا الإشكال؟ يقول الدين الحق: نعم إن الأخلاق من باب الخير الذي فطر الله عليه عباده، ولكن هذه الأخلاق نفسها تقتضي أن يثاب المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءاته، ولكن هذا لا يتأتى في دار الدنيا هذه كما هو مشاهد، ولا يمكن إذن أن يتأنى إلا في حياة أخرى بعد هذه الحياة، ولا يتأنى في تلك الحياة الثانية إلا إذا كان هنالك إله عالم عادل حكيم، يعلم ما يعمل الناس الآن؛ ليجازيه عليه غدًا⁽⁴³²⁾.

"إن إحكام الخلق وما فيه من تناسق وعناية – من بينها وجود قيم خلقية لا تصلح مجتمعات الناس إلا بها – يتنافي مع وجود دار آخرة.

ولكن إذا كانت هنالك دار آخرة ولم يكن هنالك إله شهيد على الناس في هذه الحياة الدنيا، كي يجازيه عليهم في تلك الدار؛ لم يكن لها من فائدة، بل صار الأمر فيها كالامر في هذه الحياة الدنيا⁽⁴³³⁾.

(431) الفيزياء وجود الخالق. أ.د. جعفر شيخ إدريس (ص 59-60).

(432) الفيزياء وجود الخالق، أ.د. جعفر شيخ إدريس (ص 60-61).

(433) المصدر السابق ص 64.

الفصل الثاني: توحيد الربوبية، حقيقته وأداته.

المبحث الأول: تعريف توحيد الربوبية:

هو إفراد الله بربوبيته للمخلوقات، فلا رب لها سواه، أي: نعتقد أن الله هو المنفرد بالخلق والملك والأمر (التدبر)، ويدخل في الأمر: الأمر الكوني، والأمر الشرعي.

إذن؛ معنى (الرب): يدور حول صفاتٍ ثلاثة، لا يُعني واحدٌ منها عن الآخر، وهي صفة: الخالق، والمالك، والمدبر، فهو الخالق: الذي أوجد الأشياء من عدم، قال الله تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [البقرة: 117]، وقال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [فاطر: 1].

وهو المالك: الذي خلق الخلق وانفرد بملكه له كما انفرد بخليقه له، وتأمل قول الله تعالى في سورة الفاتحة: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، وفي قراءة أخرى سبعية: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة: 4]، وهي قراءة سبعية متواترة، وإذا جمعت بين القراءتين ظهر معنى بديع، فالمالك أبلغ من المالك في السلطة والسيطرة، لكن الملك أحياناً يكون ملكاً بالاسم لا بالتصرف، وحينئذ يكون ملكاً غير مالك، فإذا اجتمع أن الله تعالى: ملك ومالك تم بذلك الأمر: الملك، والتدبر.

- يقول ابن تيمية: "إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَظْلِمُهُ حَيْثَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالثُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ وَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}"⁽⁴³⁴⁾.

- ويقول السعدي: "فَهُوَ سُبْحَانَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ، لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، فَكُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ فَبِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَمَشِيقَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَخَلْقِهِ".⁽⁴³⁵⁾

- ولهذا نقول: إن الله عز وجل منفرد بملكه، كما انفرد بالخلق، كذلك أيضاً منفرد بالتدبر، فهو المدبر لجميع الأمور وهذا بإقرار المشركين أنفسهم، فإنهم إذا سُئلوا من يدبر الأمور؟ فسيقولون: الله؛ فهو المنفرد بالتدبر: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفُ سَنَةٍ مَّا تَعُدُونَ} [السجدة: 5]. فإذا أقرروا بالربوبية ننتقل معهم لإثبات المعرفة بالألوهية والأسماء والصفات الحسنة كما سبق في دعوة المشركين، فيكون الانتقال بهم من الإلحاد إلى الربوبية ثم إلى الألوهية مع تعليمهم ذلك وترسيخه في نفوسهم ليستقيم حالهم.

المبحث الثاني: أصول توحيد الربوبية:

وتوحيد الربوبية يقوم على أصلين عظيمين:

1- عموم خلقه وربوبيته.

2- عموم إحسانه وحكمته.

قال تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} [السجدة: 7]، وقال تعالى: {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه: 50].

.(434) الأعراف: 54

.(435) مجموع الفتاوى لابن تيمية (11/251).

.(436) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص 954).

فنعتقد: "أن الله رب العالمين، وأنه رب السموات والأرضين وما بينهما، ورب العرش العظيم، وهو خالق كل شيء، وهو على كل شيء وكيل، وهو رب كل شيء وملكيه، وهو مالك الملك؛ يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك من يشاء، ويعز من يشاء وينزل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قادر، له ما في السموات، وما في الأرض، وما بينهما، وما تحت الثرى، قلوب العباد ونواصيمهم بيده وما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابعه، إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه، وهو الذي أصلح وأبكي، وأغنى وأقى، وهو الذي يرسل الريح بشراً بين يدي رحمته، وينزل من السماء ماء؛ فيحيي به الأرض بعد موتها، ويبث فيها من كل دابة، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا به، ولا ملجاً ولا منجاً منه إلا إليه.

ونعتقد كذلك: أنه قد أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وأحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل شيء صنعه، والخير كله بيده، وهو أرحم الراحمين، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، إلى نحو هذه المعاني التي تقتضي شمول حكمته وإتقانه، وإحسانه خلق كل شيء، وسعة رحمته وعظمتها، وأنها سبقت غضبه، كل هذا حق".⁽⁴³⁷⁾

وربوية الله تعالى لخلقه نوعان:

ربوبية عامة، وربوبية خاصة:

- يقول السعدي:

"فالعامة: لجميع المخلوقات، وهي خلقهم وملكتهم وتدبرهم..."

والخاصة: يضاف للربوبية العامة: التوفيق للخير والإعانة عليه، وهذه للمؤمنين خاصة".⁽⁴³⁸⁾

المبحث الثالث: أدلة توحيد الربوبية:

ولتوحيد الربوبية أدلة، منها:

1- قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْنِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثِيَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْخَرَاتٍ بِإِمْرِهِ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف:54].

2- وقال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَئِيْ أَجْنَاحٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخُلُقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكٌ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَلَمَّا تُؤْتَوْكُنَّ} [فاطر:1-3].

3- وقال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَا الْخُلُقَ ثُمَّ يُعِيدهُ لِيَجْزِي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلٍ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحُكْمِ يُفَضِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * فِي اخْتِلَافِ الْلَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَأْتِ لِقَوْمٍ يَنْقُونَ} [يونس:3-6].

(437) مجموع الفتاوى لابن تيمية (2/400).

(438) انظر: تفسير السعدي (945).

4- وقال تعالى: {فُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّن السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِن الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِن الْحَيَّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقْلَ أَفَلَا تَتَقَوَّنَ * فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحُقْقَ فَمَاذَا بَعْدَ الْحُقْقَ إِلَّا الصَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} [يونس:31-32].

دليل التمام من أدلة توحيد الربوبية:

قال الله تعالى في محكم التنزيل: {مَا اخْتَدَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [المؤمنون:91-92].
لَا رَيْبَ أَنَّ الْإِلَهَ الْحَقَّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِقًا فَاعِلًا، يُوصِلُ إِلَى عَابِدِهِ النَّفْعَ وَيَدْفَعُ عَنْهُ الضُّرَّ، فَلَوْ كَانَ مَعَهُ سُبْحَانَهُ إِلَهٌ آخَرُ يُشْرِكُهُ فِي مُلْكِهِ، لَكَانَ لَهُ خَلْقٌ وَفِعْلٌ، وَجِينَيْدٌ فَلَا يَرْضَى تِلْكَ الشَّرِكَةَ، بَلْ إِنْ قَدَرَ عَلَى قَهْرِ ذَلِكَ الشَّرِيكِ وَنَفْرَدِهِ بِالْمُلْكِ وَالْإِلَهِيَّةِ دُونَهُ فَعَلَ، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ انْفَرَادَ بِخَلْقِهِ وَذَهَبَ بِذَلِكَ الْخَلْقِ، كَمَا يَنْفَرِدُ مُلْكُ الدُّنْيَا بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ بِمُلْكِهِ، إِذَا لَمْ يَقْدِرِ الْمُنْفَرِدُ مِنْهُمْ عَلَى قَهْرِ الْآخَرِ وَالْعُلُوِّ عَلَيْهِ.

إِذْنٌ؛ لَا يُدَّعَّ مِنْ حَدُوثِ أَحَدٍ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ:

- 1- إِمَّا أَنْ يَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِخَلْقِهِ وَسُلْطَانِهِ.
- 2- وَإِمَّا أَنْ يَعْلُو بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ.
- 3- وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا تَحْتَ قَهْرِ مَلِكٍ وَاحِدٍ يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ كَيْفَ يَشَاءُ، وَلَا يَتَصَرَّفُونَ فِيهِ، بَلْ يَكُونُ وَحْدَهُ هُوَ الْإِلَهُ، وَهُمُ الْعَبِيدُ الْمُرْبُوبُونَ الْمُقْهُورُونَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ.
وَلَذَلِكَ فَإِنَّ انتِظامَ أَمْرِ الْعَالَمِ كُلِّهِ وَإِحْكَامُ أَمْرِهِ، مِنْ أَدَلِّ ذَلِيلٍ عَلَى أَنَّ مُدَبِّرَهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَمَلِكٌ وَاحِدٌ، وَرَبٌّ وَاحِدٌ، لَا إِلَهَ لِلْخَلْقِ غَيْرُهُ، وَلَا رَبٌّ لَهُمْ سِوَاهُ.
فَالْعِلْمُ بِأَنَّ وُجُودَ الْعَالَمِ عَنْ صَانِعِينَ مُتَمَاثِلِينَ مُمْتَنِعٍ لِذَاتِهِ، مُسْتَقِرٌّ فِي الْفِطْرِ مَعْلُومٌ بِصَرِيحِ الْعَقْلِ بُطْلَانُهُ، فَكَذَا تَبْطُلُ إِلَهِيَّةُ اثْتَيْنِ؛ وَلَذَلِكَ فَإِنَّ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مُوَافِقةٌ لِمَا ثَبَتَ وَاسْتَقَرَ فِي الْفِطْرِ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، ذَالَّةُ مُثْبِتَةٌ مُسْتَلِزَةٌ لِتَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ.

الفصل الثالث: بيان البراهين والأدلة العقلية على وجود الله تعالى

إذا كان الماديون والطبيعيون والدهريون يتظاهرون بإنكار وجود الله تعالى؛ فإنه لا بد من دعوتهم بتقديم البراهين، والأدلة العقلية القطعية، وذلك من خلال النقاط التالية:

المبحث الأول: التقسيم العقلي الحكيم:

يستدل على كل من أنكر وجود الله تعالى وربوبيته بأمر لا يمكنهم إلا التسليم للحق والانقياد له، أو الخروج عن موجب العقل إلى الجنون والفطر المنحرفة، فيقال لكل من أنكر ذلك:

الأمور الممكن تقسيمها في العقل ثلاثة لا رابع لها:

القسم الأول: إما أن تُوجَد هذه المخلوقات بنفسها صُدفة من غير مُحدث، ولا خالق خلَّقها، وهذا مُحالٌ ممتنع، تجزم العقول ببطلانه ضرورةً، ويعلم يقيناً أن من ظن ذلك، فهو إلى الجنون أقرب منه إلى العقل؛ لأن كل من له عقل يعرف أنه لا يمكن أن يوجد شيء من غير مُوجِدٍ ولا مُحدثٍ، إذ لا بد لكل حادث من محدث، ولا سبيل إلى إنكار ذلك؛ فإن وجود الشيء من غير مُوجِدٍ مُحالٌ وباطلٌ بالمشاهدة والحسّ والفطرة السليمة.

القسم الثاني: وإما أن تكون هذه المخلوقات الباهرة هي المحدثة الخالقة لنفسها، فهذا أيضًا مُحالٌ ممتنع بضرورة العقل، وكل عاقل يجزم أن الشيء لا يُحدِث نفسه ولا يخلقه؛ لأنَّه قبل وجوده معذوم، فكيف يكون خالقًا؟!

- فإذا بطلَّ هذان الاحتمالان عقلاً وفطراً، وبان استحالتَهما، تعين القسم الثالث:

القسم الثالث: وهو أن هذه المخلوقات بأجمعها: علوها وسفلها، وهذه الحوادث لا بد لها من مُحدث ينتهي إليه الخلق والملك والتدبير، وهو الله العظيم الخالق لكل شيء، المتصرف في كل شيء، المدير للأمور كلها⁽⁴³⁹⁾، ولهذا ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي، فقال: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} [الطور: 35]. فالملحوظ لا بُدَّ له من خالق، والمصنوع لا بُدَّ له من صانع، والمفعول لا بُدَّ له من فاعل، وهذه قضايا بدهية جلية واضحة، يشترك في العلم بها جميع العُقَلاء، وهي أعظم القضايا العقلية، فمن ارتاب فيها أو شكَّ في دلالتها؛ فقد برهن على ضلاله، واحتلال عقله.⁽⁴⁴⁰⁾

المبحث الثاني: العدم لا يخلق شيئاً:

فالعدم الذي لا وجود له لا يستطيع أن يصنع شيئاً؛ لأنه غير موجود. وإذا تَأَمَّل العاقل في المخلوقات التي تولد في كل يوم، من إنسان وحيوان، وتَفَكَّر في كل ما يحدث في الوجود من رياح وأمطار وليل ونهار، وما يجري في كل حين من حركات منتظمة للشمس والقمر والنجوم والكواكب، إذا تأمل في هذا وذاك من التغيرات المحكمة التي تجري في كل لحظة، فإنَّ العقل يجزم بأنَّ هذا كله ليس من صنع العدم، وإنما هو من صنع الخالق الموجود سبحانه وتعالى⁽⁴⁴¹⁾.

(439) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل 1/66، ودرء التعارض بين العقل والنقل 3/113، والرياض الناضرة للسعدي، ص 247، وأصوات البيان للشنقيطي، 4/368، وشرح أصول الإيمان لابن عثيمين، ص 15.

(440) انظر: الرياض الناضرة للسعدي، ص 247، ومهاج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر الألمعي، ص 138.

(441) انظر: حاشية ثلاثة الأصول لمحمد بن عبد الوهاب، بقلم عبد الرحمن بن قاسم، ص ٢٩، والإيمان للزندياني مع مجموعة من العلماء، ص ٢١، وكتاب التوحيد للزندياني

المبحث الثالث: الطبيعة الصماء لا تملك قدرة، وفاقد الشيء لا يعطيه:
من المعلوم عند جميع العُقلاة أن الذي لا يملك مالاً لا يسأل الناسُ منه المال، والجاهلُ لا يأتي منه العلم؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

فمن زعم أن الطبيعة خلقته أو خلقت شيئاً، فقد خالف العقل، وحارب الحق؛ لأن الكون يشهد أن خالقه حكيم علیم خبير هاد رزاق، حافظ رحيم، واحد أحد، والطبيعة الجامدة لا تملك مثقال ذرة من ذلك.

ومن العجيب أن كل من زعم أن الطبيعة تخلق شيئاً، فقد خالف مقتضى العقول؛ لأن الطبيعة لا تملك خبرة، ولهم خبرة، ولا تملك إرادة، ولهم علمًا، ولهم علم! أما علموا أن فاقد الشيء لا يعطيه؟ قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ صُرِّبَ مَثْلُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ * إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ * وَإِنْ يَسْلُبُهُمُ الدُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنِقُدُوهُ مِنْهُ * ضُعْفُ الطَّالِبِ وَالْمَظْلُوبِ} [الحج: 73].

فلا بد أن يكون الخالق كاملاً كاماً مطلقاً، بحيث يكون: مستغنِّياً عن غيره، ويكون أولًا ليس له بداية، وأخيراً ليس له نهاية، لا يحدُّه زمان، ولا يحدُّه مكان، قادرًا على كل شيء، عالماً بكل شيء، ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وهذه الخصائص لا يمكن أن تكون إلا لله الكامل من كل الوجوه، وبذلك يسقط - بحمد الله تعالى قول الماديين:
لأن المادة لا تتصف بشيء من ذلك. ⁽⁴⁴²⁾

المبحث الرابع: الصدفة العِمياء لا تملك حياة:
ومن أشهر سفطاتهم القول بـ"صدفة ظهور الكون"، وهذا لعدم فهمهم أو لتجاهلهم أصول الاحتمالات؛ لأن الصدفة لها شرطان لا ينفكان عنها، وهما: الزمان والمكان.
فالصدفة تشرط زماناً تقوم فيه بإحداث أثرها.
وتشترط وجوداً مادياً مكانيّاً تقوم فيه بإنتاج مفعولها.

فكيف نقول بدورِ للصدفة في إيجاد الكون، مع أن كوننا جاء من اللازمان واللامكان، وبالتالي من اللاصدفة!
يعتقد الملحدون بالصدفة⁽⁴⁴³⁾، وهي أن جميع الأشياء والمخلوقات تم تكوينها على ما هي عليه بطريق الصدفة، والمقابلة، وليس ذلك بطريق القصد والإرادة والتدبیر.

ومن حكمة القول مع هؤلاء أن يُقال لهم: من أين حصل لهذا العالم هذا النظام العجيب، والترتيب الحكيم الذي حارت فيه العقول؟ كيف ينسب ذلك إلى الاتفاق والمصادفة ومجرد البخت؟ وكيف اجتمعت تلك الأجزاء على اختلاف أشكالها، وتبادرها وقواعدها، وكيف حفظت وبقيت على تألفها، وكيف تجددت المرة بعد المرة؟!

وهذا فيه دلالة عقلية قاطعة على أن الله هو الخالق لكل شيء، وأن الصدفة لا وجود لها ولا تصرف في مخلوقات الله تعالى. ⁽⁴⁴⁴⁾

(442) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس للعوايشة، ص 125.

(443) الصدفة في اللغة: يقال: مصادفة: لقيه وووجه من غير موعد ولا توقع. انظر: المعجم الوسيط، 2/510.

(444) انظر: شرح العقيدة الطحاوية 1/35، درء التعارض بين العقل والنقل، 3/129، والإسلام يتحدى، لوحيد الدين خان ص 65، وعقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري، ص

فحق يُلحد أحدهم، عليك أن تخيل الآتي:

- أ- اللاشيء انضاف إلى اللاشيء فصار شيئاً عظيماً... صار كوناً مدهشاً من أروع ما يكون وبمنتهى المعايرة الدقيقة والحدود الحرجة.
- ب- الصدفة أنتجت الحدود الحرجية والثوابت الفيزيائية التي جاء بها الكون؛ في حين أن شرطي الصدفة هما المكان والزمان، والكون جاء من اللامكان واللازم وبالنالي من اللاصدفة!
- ج- العشوائية وبيئة الأرض الأولى أنتجت الحياة وأنشأت البكتيريا والإنسان، في حين أن العقل البشري في قمة جبروته الآن لا يستطيع أن ينتج أبسط صور الحياة.
- د- كل القيم الأخلاقية التي نُسلم بصحتها والتي يسير أغلبها في اتجاه مضاد للمادة تماماً -فالأخلاق الأصلية تمثل عبئاً مادياً وخسارة على مستوى المصلحة الدنيوية- هي من معطيات المادة ومنتوجاتها.
- هـ- لا يوجد مستند عقلي ولا مادي في الإلحاد يمنع من إبادة أهل الأرض جميعاً.
- فالعالم المادي لا يعرف الخطأ ولا الصواب؟
- إذن تستوي إبادة أهل الأرض جميعاً بإحياءهم إلحادياً.
- فالإلحاد مبناه على الإيمان أيضاً، لكن إيمان بلا أثراءٍ من علمٍ أو نقلٍ أو عقلٍ أو خلقٍ.

المبحث الخامس: المناظرات العقلية الحكيمية:

من الحكمة في دعوة الملحدين والطبيعيين الماديين أن يُنظروا بالمناظرات العقلية الحكيمية التي تُوضح لهم الحق، وتجعلهم يسلمون ويقررون بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل.

ومن المناظرات التي أفحّم بها المسلمين الملحدين ما ذكر عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى: "أن قوماً من أهل الكلام أرادوا البحث معه في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم: أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينه في دجلة، تذهب، فتتمتى من الطعام والماء وغيره بنفسها، وتعود بنفسها، فترسي بنفسها، وتتفرغ وترجع، كل ذلك من غير أن يدبرها أحد؟!! فقالوا: هذا محال لا يمكن أبداً! فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينه، فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله !! وتحكى هذه الحكاية عن غير أبي حنيفة أيضاً".⁽⁴⁴⁵⁾

المبحث السادس: مبدأ السببية:

إن الواقع والعقول السليمة تشهد أن الإنسان منذ فتح عينيه لم يشاهد أن حادثاً حدث من غير سبب، أو أن شيئاً وُجد من غير موجب، حتى أصبح هذا المعنى بحكم الواقع لا يتصور العقل خلافه، ولا يأبه الإقرار به إلا عقل مفقود أو مريض كشأن المعتوهين، أو عقل قاصر كشأن الطفل الذي يكسر الإناء، ثم يقول: إنه انكسر بنفسه.⁽⁴⁴⁶⁾

ويذكر عن أبي حنيفة رحمه الله وكان معروفاً بالذكاء أنه جاءه قوم دهريون يقولون له: أثبت لنا وجود الله فقال: دعوني أفكّر، ثم قال لهم: إني أفكّر في سفينه أرست في ميناء دجلة وعليها حمل فنزل الحمل بدون حمال،

34. ومنهج الجدل في القرآن الكريم د. زاهر بن عواض الألمعي، ص 142.

(445) وانظر: درء التعارض بين العقل والنقل ، 3 / 127 ، والرياض الناضرة للسعدي، ص 258، وعقيدة المسلمين للبلبي، 1 / 123 ، ومنهج الجدل، ص 139.

(446) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس ص 284-288

وانصرفت السفينة بدون قائد، فقالوا : كيف تقول مثل ذلك الكلام فإن ذلك لا يعقل ولا يمكن أن نصدقه؟ فقال: إذا كنتم لا تصدقون بها فكيف تصدقون بهذه الشمس، والقمر، والنجوم، والسماء، والأرض، كيف يمكن أن تصدقوا أنها وجدت بدون موجد؟!

وقد أشار الله تعالى إلى هذا الدليل العقلي بقوله: {أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} [الطور: 35]. ولذلك أدرك الأعرابي هذه السببية عندما سُئل: ما الدليل على وجود رب؟ فقال: "سبحان الله إن البعثة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ليل داج، ونهار ساج، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير".⁽⁴⁴⁷⁾

فكل مخلوق لا بد له من خالق، وكل أثر لا بد له من مؤثر، وكل محدث لا بد له من محدث، وهذا هو قياس الشمول.

أما قياس التمثيل فكقول: هذا محدث فيحتاج إلى محدث.⁽⁴⁴⁸⁾ وبناء على هذه القاعدة فعلمنا هذا، من أرض وسماءات، وإنسان وحيوان، وليل ونهار، وشمس وقمر، لا بد له من محدث، ثم إن هذا العالم لا يبقى إلا بسبب يحفظه ويبيقيه، كما أنه لم يحدث إلا بسبب أحده، وهذا لا يقدر عليه إلا الله الواحد القهار.⁽⁴⁴⁹⁾

المبحث السابع: التفكير في المصنوع يدل على بعض صفات الصانع:

فالتفكير في المصنوع يدل على بعض صفات الصانع؛ لأن كل شيء يوجد في المصنوع يدل على قدرة أو علم أو خبرة، أو حكمة عند الصانع.

إذا علم هذا فإنه يقال لمن أنكر وجود الله تعالى وربوبيته: تفكير في خلقك ونفسك، وانظر مبدأ خلقك من نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاماً، فكسيّت العظام لحماً، حتى صرت بشراً كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة، أما يضطرك هذا التفكير والنظر إلى الاعتراف بالرب القادر على كل شيء، وأحاط علمه بكل شيء، الحكيم في كل ما خلقه وصنعه وأتقنه؟ فلو اجتمع الخلق كلهم على النطفة التي جعلها الله مبدأ خلق الإنسان على أن ينقلوها في تلك الأطوار المتنوعة، أو يحفظوها في ذلك القرار المكين، ويجعلوا لها سمعاً وبصراً وعقلاً وقوى باطنية وظاهرة، وينموها هذه التنمية العجيبة، ويركبواها هذا التركيب المنظم، ويرتبوا الأعضاء هذا الترتيب المحكم، فهل في استطاعتهم وعلومهم أن يصلوا إلى ذلك؟⁽⁴⁵⁰⁾، قال تعالى: {أَمْ حَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَحَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَاماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ * فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: 44]

. [14-12]

(447) انظر: الرياض الناضرة ص 258، ومنهاج الجدل في القرآن ص 139 ، وهي من خطبة لقى بن ساعدة، انظر البيان والتبيين للجاحظ 1 / 254 وبنحوه عن الأصممي يرويه عن بعض الأعراب. المجالس الوعظية 1 / 461.

(448) انظر درء التعارض بين العقل والنقل والنقل 3 / 73، 73 / 121، 121 / 127.

(449) انظر: درء التعارض بين العقل والنقل 121 / 3.

(450) انظر: درء التعارض 305 / 7، 306، 3 / 73-70، 8 / 259، والرياض الناضرة، ص 248-257، والإيمان لعبد المجيد الزنداني مع مجموعة من العلماء، ص 22، وعقيدة المسلمين، 109 / 1.

الفصل الرابع: بيان الأدلة الحسية المشاهدة على وجود الله تعالى

لا ريب أنَّ الأدلة الحسية المشاهدة تدل على وجود الله تعالى وتدل على ربوبيته، وعلى أنه الخالق لكل شيء المستحق للعبادة، وهذه الأدلة التي يسمعها الناس ويشاهدوها ويلمسونها، على نوعين:

النوع الأول: إجابة الله تعالى للدعوات في جميع الأوقات، فلا يُحصي الخلق ما يُعطيه الله للسائلين، وما يُجيب به أدعية الداعين ويرفع به كرب المكروبين، فتحصل المطالب الكثيرة بأسباب دعاء بعض العباد لربهم، والطمع في فضله والرجاء لرحمته، وهذا برهان مشاهد محسوسٌ، لا ينكره إلا مكابرٌ.⁽⁴⁵¹⁾

والحقيقة أن ذلك كله شاهد يتحدث إلى العقول البشرية أن لها ربًا حكيمًا قادرًا سميًّا بصيرًا مجيئًا.⁽⁴⁵²⁾

إذن الدليل الحسي: هو ما نشاهد من إجابة الدعاء.

وما أكثر ما نقرأ في كتاب الله تعالى أنه استجاب لأنبيائه عليهم السلام، قال الله تعالى: {وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ} [الأنبياء: 76]، وقال تعالى: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الصُّرُّ وَأَنَّ أَرْحَمُ الرَّاجِحِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٌّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمَثَلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذُكْرَى لِلْعَابِدِينَ} [الأنبياء: 84]، والآيات في هذا كثيرة والواقع يشهد بهذا.

النوع الثاني: معجزات الأنبياء الحسية وهي آيات يُشاهدها الناس أو يسمعون بها، وهي من أعظم البراهين القاطعة على وجود مرسليهم؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى تأييداً لرسله، ونصراً لهم، وهذه الآيات المحسوسة تدل دلالة قاطعة على وجود الله تعالى.⁽⁴⁵³⁾

ولقد ذكرنا بعض هذه المعجزات التي أيد الله بها رسليه عليهم السلام سابقاً في مبحث: دلائل النبوة.

(451) انظر: الرياض الناضرة، ص 253، وشرح أصول الإيمان للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص ١٧.

(452) انظر: كتاب التوحيد لعبد المجيد الزنداني، ١/٤٣.

(453) انظر: شرح أصول الإيمان للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص ١٨.

الفصل الخامس: بيان الأدلة الشرعية على وجود الله تعالى

وأما الأدلة الشرعية إذا تأملها الإنسان، علِمَ أَنَّ الذي أنزله وشرعه هو الرب عز وجل، قال الله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: 82]، فائتلاف القرآن وعدم تناقضه وتصديقه بعضه بعضاً، كل ذلك يدل على أن القرآن نزل من عند الله عز وجل، وكون هذا الدين، بل كون جميع الشرائع التي أنزلها الله عز وجل موافقة تماماً لمصالح العباد، دليلاً على أنها من عند الله عز وجل، وتشهد بوجوده وحكمته وعلمه.

قطعاً؛ إنَّ طريق الهدایة الكاملة، هو ما جاء عن الله تعالى أو عن رسُلِه علِيهِم السَّلَامُ، والتي تجمع بين الأدلة النقلية والعلقنية، وهي من أعظم الأدلة التي تهدي لمعرفة الله تعالى والإيمان به عز وجل، وتبعُثُ المُهتدي بها إلى العمل المزيكي للنفس، والمأبئ له إلى سعادة الدارين، بخلاف الهدایة العقلية وحدها، فإنها وإن أنقذت صاحبها من القلق النفسي والحيرة الفكرية لا تُرْزِّي نفسه، ولا تُقْوِّمُ أخلاقه، ولا تهيئه لسعادة الدارين، ولا تُخرجه من دائرة الكفر حتى يؤمن بالأدلة الشرعية ويعمل بمقتضاهَا".⁽⁴⁵⁴⁾

والكتب السماوية كلها تنطق بأن الله هو الخالق لكل شيء، المستحق للعبادة، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح العباد، دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها، دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به".⁽⁴⁵⁵⁾

وَدَلَالَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ نَوْعَانٌ:

- خبر الله الصادق:

ما أخبر الله تعالى به، أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم، فهو حق وصدق، ولا يمكن أن يكون في ذلك شيء مناقض لدليل عقلي ولا سمعي؛ لأن ما أثبته السمع الصحيح لم ينفه العقل الصريح، والمعقول الصريح يوافق ما جاءت به الرسل ولا ينافقه، وكل ما عارض الشرع من العقليات فليس دليلاً صحيحاً.⁽⁴⁵⁶⁾

2- ضرب الأمثال:

إن ضرب الأمثال يُعد دلالة شرعية عقلية، فهي شرعية؛ لأن الشرع دل عليها وأرشد إليها وأثبتها، وعقلية؛ لأنها تعلم صحتها بالعقل. (457)

ويُمكِن أن نقتصر في الأدلة الشرعية التي تثبت وجود الله تعالى وأنه رب كل شيءٍ وملكيه ومدبره، ويستلزم ذلك أنه المستحق للعبادة وحده على ذكر طريقين⁽⁴⁵⁸⁾:

الطريق الأول: توجيه الله تعالى الأنظار والقلوب إلى ما في هذا الكون من مخلوقات عجيبة تهير العقول، كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِيَهُ أَنْدَادًا وَإِنَّمَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 21-24].

(454) انظر: عقيدة المؤمن، لأبي يك جابر الجزائري، ص 39، 49، 63.

⁴⁵⁵) انظر : شرح أصول الإيمان لـ محمد بن صالح العثيمين، ص 17.

(456) (مجموع الفتاوى 71، وانظر: درء التعارض، بين العقل والنقاو، 1/172-180، 5/6، 39/7، 279/5.)

⁴⁵⁷⁾ انظر : مجموع الفتاوى ، 6/71,72

(458) انظر: دعاء التعارض بين العقا والنفي.

(458) انظر: درء التعارض بين العقل والنقل، 8/354، 7/302، 307، 40/9، 380، ومجموع الفتاوى 11/377-380، وعقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري، ص 63، والرياض الناضرة للسعدي، ص 253-267.

[22]. قوله: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَائِبٍ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَحَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة: 164]. والقرآن الكريم يزخر بالأدلة على هذا النوع.

الطريق الثاني: معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد أيد الله الرسل عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات الباهرة للعقل، والخارقة لسدن الكون وقوانين الحياة؛ ليستدلوا بها على صدق نبوتهم، وإثبات رسالتهم، فإذا ثبتت نبوة الرسل بقيام المعجزات علم أن هناك مُرسِلًا أرسلهم؛ لأن ثبوت الرسالة يستلزم ثبوت المرسل.⁽⁴⁵⁹⁾

وخلاصة ما ذكر ابن تيمية في إثبات وجود الله تعالى كالتالي:

1- الاستدلال بأيات الله في الكون.

2- أدلة الفطرة، فإنَّ الْخَلْقَ مفطوروُنْ على الإقرار بالخالق.

3- الاستدلال على الله بالله، فإنه سبحانه وتعالى عرَفَنا نفْسَهُ؛ فعرفناه.

4- الاستدلال بمعجزات الرسل.

5- إجماع الأمم وأصحاب العقول والفطر السليمة.

6- المقاييس العقلية.⁽⁴⁶⁰⁾

(459) انظر: درء التعارض بين العقل والنقل / 9 - 40، 43 / 302، 7، ومجموع الفتاوى / 11 / 377.

(460) انظر: فتاوى شيخ الإسلام، 21/ 36-23، وستجد جميع الإحالات إلى الموضع الذي ذكرها ابن تيمية في فتاواه.

الفصل السادس: شبهات الملحدين وإجاباتها

المبحث الأول: لماذا لا يكون هناك أكثر من خالق أزل؟

الجواب في قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء: 22]، فوجود إله مع الله يقتضي التعدد، والتمدد يُستلزم الافتقار، والافتقار على الخالق - حاشاه سبحانه - يُستلزم عدم أمان الكون، وأنه قد ينهار، وهذا يُستلزم فساد الكون.

إذن: لا ضمان لبقاء الكون مع إله مفتقر!

وباستكمال الآية الكريمة: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء: 22]، نجد أنها تنهى الباري عن الحاجة والافتقار؛ فهو الغني القيوم سبحانه.

أضعف إلى ما سبق: أنه لو كان فيما إلهاًين أو أكثر، فإمكان التعارض أقرب عقلاً من التوافق؛ لأنَّ وجود أكثر من إله يعني وجود أكثر من مشيئة وأكثر من إرادة، ولا شك أنَّ تعدد الإرادات يعني إفتقار كل أحد، وهذا يستلزم فساد السماوات والأرض.

وفطرة الإنسان تقطع بأنَّ الله واحد، ولو نظر فيزيائي أو غير فيزيائي في هذا الكون فلن يتصرَّف له إلا خالقاً واحداً؛ لأنها فطرة الله التي فطر الناس عليها.

المبحث الثاني: سقوط فرضية تعدد الآلهة

ومما يدل على وجود إله واحد لا شريك له أنَّه لو فُرضَ تعدد الآلهة؛ لترتب على ذلك ما يلي:

1- اختلال نظام الكون حيث سينفرد كل منهم بما خلق، والكون منتظم كما هو مشاهد.

2- لكنَّ كل واحد منهم يطلب الظهور والغلبة على الآخر؛ فيعلو بعضهم على بعض، قال الإمام ابن كثير في تفسيره: "قال الله تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ} [المؤمنون: 91]"؛ أي لو قُدِّرَ تعدد الآلهة؛ لأنفرد كل منهم بما خلق، فما كان ينتظم الوجود، والمشاهدُ أنَّ الوجود منتظم متسقٌ، كلُّ من العالم العلوي والسفلي مرتبطٌ بعضه ببعض في غاية الكمال، {مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاقُتٍ} (461).

وقال الإمام القرطبي عند تفسيره لقول الله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء: 22]؛ "والمعنى لو كان فيما آلهة سوى الله؛ لفسد أهلها"، وقال غيره: "أي لو كان فيما إلهاً؛ لفسد التدبير؛ لأنَّ أحدهما إن أراد شيئاً، والآخر ضده كان أحدهما عاجزاً"، وقيل: "إنَّ معنى لفسدتا، أي: خربتا وهلك من فيما بوقوع التنازع بالاختلاف الواقع بين الشركاء"، فسبحان الله رب العرش عما يصفون، نَزَّهَ نفسه، وأمَرَ العباد أن ينذهوه عن أن يكون له شريك أو ولد.

المبحث الثالث: موقف المسلم من قضية الإلحاد

إنَّ قضية الإلحاد مرفوضة عند المسلمين فطراً وعقلاً وشرعاً، ولا مبرر لها، فقد أنعم الله عليهم بنعيم لا تُعدُّ ولا تُحصى، ومن نعمه في هذا المجال:

1- أنه عز وجل تكفل بحفظ كتابه، فقال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَرَأْنَا الدَّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9].

ومن تمام هذه النعمة أنْ سخر العلماء؛ لحفظ سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فتم بيان ما أَلْحِقَ بها من الأحاديث الموضوعة؛ فمصادره تلقى الدين محفوظة، ومعانها مبينة، وهذا من فضل الله تعالى.

2- ليس في خبر الله ما يعارضه العقل السليم، ولا العلم الحديث، بل قد يأتي العلم الحديث بتفاصيل قد أشار الوحي إليها في الجملة، وفي الوحي الإلهي الدعوة الواضحة للعلم والتفكير والتدبر.

3- ليس فيما طلبه الله منا فِعْلًا أو تَرْكًا، ما يخالف مصالح الناس في دنياهם، ولا ما يفقدهم السعادة في أبداهم، بل فيه ضمان لسعادة الروح والبدن، وصلاح الدنيا والآخرة، وصلاح الفرد والمجتمع.

4- الشرك نقىض الإسلام، ولقد حرم الله كل وسيلة تفضي إليه، ومنها: الغلو في الصالحين، وفي قبورهم، وحرم تصوير التماثيل، فلا يوجد في الإسلام وسائل بينك وبين الله في التعبد أو التوبة، ولا هناك رجال دين يمارسون التسلط على الناس في أرزاقهم أو علومهم أو حياتهم الشخصية، وإنما هناك علماء بالدين الإسلامي أوجب الله عليهم بيانه للناس.

5- ليس في الإسلام رهبانية ولا تحريم للطيبات، وإنما ضبط للغرائز، واعتبار الدنيا مزرعة للأخرة، وذلك يجعلها صالحة لعبادة الله، محكومة بشرعه، وأنْ نُعَمِّرَ الأرض بما هو نافع للبشرية كلها، قال تعالى: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرْ كُمْ فِيهَا} [هود: 61].

الباب السادس: النفيات الإلحادية، وكيفية التعامل معها:

ويضم الفصول التالية:

- الشخصية القلقة.
- الشخصية الهوسيّة.
- الشخصية النرجسية.
- الشخصية المكبوّة.
- الشخصية الاستذهانية.
- الشخصية البارانورامية الموسوسة.
- الشخصية الإسقاطية.
- الشخصية الحدودية.
- الشخصية التابعة.
- الشخصية الفصامية المنعزلة.
- الشخصية المعتلة.

ومن صور الحوار مع الملاحدة معرفة نسيماتهم

كما أن غير المسلمين أصناف كثيرة جداً، وأديانهم متفرعة، وفي كل دين إنقسامات وفرق كثيرة، فإن بين الملاحدة نسيمات مختلفة وكثيرة ومعرفة الداعية نسيمات هؤلاء سيسهل عليه مراعات مشاعرهم واختيار كل واحد منهم الأسلوب الأمثل ثم كيفية الرد على شهادتهم حتى لا تكون فتنة للمدعوه.. حيث إن هذا الأمر يحتاج إلى علم وخبرة ودرية وشخصية مميزة في الإقناع والتأثير وحسن الحوار والجدال.

النموذج الأمثل

من خلال البحث والاستقصاء وجدت ندرة أن يكون المحاورون المسلمين يدرسون ويبحثون عن سايكولوجية الملحد فيطور مهاراته بناءً على معطيات سيجعله أكثر إقناعاً ووصولاً إلى عقلية وخلفية الملحد، ومنمن سينفعنا عرضه لهذه النسيمات طرح الأخ أمين بن عبد الهادي خريوي في كتابه "كيف تحاور ملحداً، دليلك المنهجي لمهارات الحوار" ذلك أنه راجع تقسيمات علماء النفس في الشخصيات النفسية فلخصها بمنهجية ستتفق المحاور المسلم أكثر من غيره.

عرض النسيمات الإلحادية⁽⁴⁶²⁾

لا شك أن الملحد مثله مثل أي إنسان عادي، له مشاعر وأحاسيس، وثقافة، والتي تكون مستمدة بالدرجة الأولى من الشخصية النفسية من جهة، وعوامل خارجية متعلقة بمجموع التجارب الحياتية له من جهة أخرى، لكن الفرق بينه وبين المسلم المتدين، أن عقيدته الإلحادية تكون سبباً في تطور عقد نفسية تؤثر على شخصيته السيكولوجية، فكان لزاماً على المحاور المسلم أن يكون خبيراً بالنسيمات الإلحادية حتى يتمكن من التعامل مع كل شخصية تعاملًا مميزاً حسب ما يقتضيه الحال؛ وذلك لضمان نجاعة الحوار، والتأثير على تلك الدوافع، وإذابة جبل الجليد الذي كونه الملحد تجاه الدين!

وشهادة فرقاً آخر بين المسلم وبين الملحد، يكمن في تلك الطمأنينة القلبية النابعة من ثقة المسلم في عون الله ورعايته وحمايته، فهو دائم التوجه إليه سبحانه، يأنس به في وحشته، حتى وإن جال في خاطره سؤالٌ عن أسوأ شيء يمكن أن يحدث له، وكان جواب سؤاله، (الموت)، فإنه في عقيدة المسلم هو انتقال إلى الرفيق الأعلى، حيث الجنّة التي لطالما كان يطمح إليها ويرجوها؛ ولذلك فإن نظرة المؤمن إلى المصيبة تختلف اختلافاً جذرياً عن نظرة الملحد، فالأخير يعلم يقيناً أنها جوهر الحياة القائم على الامتحان والابتلاء الذي يؤجرُ عليه حين صبره، في حين أن الثاني يجذع ويغتم؛ لاعتقاده بأنه لا حياة غير التي يعيشها الآن، فإن هو ضيعها ولم يعشها في سعيٍ ورغد، فقد ضاعت منه كل الفرص، وكان مصيره إلى زوال.

يقول الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ} [الأحقاف: 13]، ويقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَ إِنْمَا عَظِيمًا} [النساء: 48].

(462) انظر: كيف تحاور ملحداً، دليلك المنهجي لمهارات الحوار، أمين بن عبد الهادي خريوي، ص 78-45، تم تلخيصه.

فالمسلم يكفيه الاستقامة على صراط الله المستقيم؛ كي ينجو من النيران، ويفوز بالجنة؛ قال تعالى: {فَمَنْ رُحِّزَ
عَنِ التَّارِيْخِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} ⁽⁴⁶³⁾، وقد جاء في الحديث: أن رجلاً سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْتُ
الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، أَدْخُلْ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا". ⁽⁴⁶⁴⁾؛ وكذلك
قوله صلى الله عليه وسلم: "جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مَائَةً جُزُءٍ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا
، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَرَاهُ الْخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرْسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلِدِهَا خَشْيَةً أَنْ تُصْبِيهِ" ⁽⁴⁶⁵⁾، فتنتابُ المسلم ثقةُه في الله
تعالى تريح قلبه ووهدانه، أما الملحد فيفتقد لذلك كلّه، فيجزع عند المصائب، ويقلق من الغد، ويرهبه الموت،
ويخشى القضاء والقدر، ويخطئ النظرة التي ينبغي أن يراها في الحياة، فتراكم عليه العقد النفسية، والرهabات
الفكرية، كل ذلك نتيجة إلحاده المُرّ، فيعيش في عدمية مهلكة قد تؤدي به إلى إنفاق أموال طائلة على
الأخصائيين النفسيين، وقد تؤدي به إلى فقدان الرغبة في العيش ثم الانتحار!

إن عدداً من أرقى علماء النفس المعاصرين، يتلقون على أن أفضل علاج للأمراض النفسية المختلفة، هو الإيمان، يقول عالم النفس ويليام جيمس William James: "إن أمواج المحيط المصطحبة المتقلبة لا تُعَكِّرُ قط،
هدوء القاع العميق، ولا تقلق أمنه، وكذلك المرء الذي عمّق إيمانه بالله خليقٌ بِالْأَنْجَادِ تُعَكِّرُ طمأنينته التقلبات
السطحية المؤقتة، فالرجل المتدين حَقًا عصيَ القلق، محتفظًا بِالْإِيمَانِ النَّفْسِيِّ، مستعدًا دائمًا لمواجهة ما عسى
أن تأتي به الأيام من صروف". ⁽⁴⁶⁶⁾

ويقول عالم النفس كارل غوستاف يونغ Carl Gustav Jung: "استشارني خلال الأعوام الثلاثين الماضية
أشخاصٌ من مختلف شعوب العالم (المتحضر).. فلم أجد مريضاً واحداً من مرضى الدين كانوا في المنتصف
الثاني من عمرهم - أي تجاوزوا سن 35- من لم تكن مشكلته أساساً هي افتقاره إلى وجهة نظر دينية في الحياة.. ولم
يتم شفاء أحدٍ منهم حقيقة إلا بعد أن استعاد نظرته الدينية في الحياة". ⁽⁴⁶⁷⁾

ولهذا أريد منك أيها المحاور - رعاك الله - أن تتنبه إلى هذه التفاصيل لكي تكون أكثر إقناعاً، وأقوى حجاجاً مع
الملاحدة، وسوف تجد شخصيات سيكولوجية ملحدة لا تخرج عن نطاق ما سأخبرك، ذلك لأنّا راجعنا تقسيمات
علماء النفس في الشخصيات النفسية، فوجدنا منهم من أكثر، ومنهم من أقل، فوجدنا من خلال تجربتنا
واحتكاكنا المباشر مع الملاحدة، أن تقسيم عالمة النفس (مارتين ماساكري) هو الأشمل والأدق، وهي كالتالي:

الفصل الأول: الشخصية القلقة:

المبحث الأول: حقيقة الشخصية القلقة:

وهي شخصية يلازمها القلق من جهة المعتقد الذي تعتنقه، حيث أن الملحد بالرغم من اعتنائه للإلحاد يبقى قلقاً
وغير متأكدٍ من صحة اختياراته، تَقْضُ مضجعه تلك الأسئلة الوجودية، التي لم يستطع أن يجد أجوبةً مقنعةً
عليها: هل فعلاً يوجد خالق؟ وإن وجدَ فمن هو؟ وهل الإلحاد هو الصواب؟ ما هو دوري في هذه الحياة؟ هل هي

(463) آل عمران: 185

(464) رواه مسلم .15

(465) رواه البخاري 6000

(466) كتاب دع القلق وابدأ الحياة، لدليل كارنجي (ص: 301).

(467) الإنسان المعاصر في بحثه عن الروح، - انجليزي - (ص: 254).

فعلاً أرحام تدفع وأرضُ تبلغ؟ ماذا لو كان أهل الدين على حق؟ ماذا لو مت ووجدت الإله؟ ماذا سيكون مصيري؟

فيعيش صاحب هذه الشخصية حالة من توترٍ عصبيٍ دائم، تتعكس على صحته النفسية والجسدية، وقد يعيش يقطن مفرطةً مستمرةً، تصاحبها اضطرابات في النوم؛ نتيجة إحساسه بعدم التحكم في محیطه ولو بشكلٍ رمزيٍ، وتناقض بين عقيدته وبين واقعه المعاش، حيث أن العقيدة الحقة هي التي تسير متناغمةً مع ما يعيش الفرد في حياته سواء في حالة الستاتيكا الاجتماعية (حالة المعافاة وعدم المشاكل) أو في حالة الديناميكا الاجتماعية (نزول الابتلاءات).

ولكي تعرف أنها المحاور - رعالك الله - صاحب هذه الشخصية، فعليك أن تركز على طريقته في الحوار، حيث سيتميز في حواره بنوع من العبئية المنهجية، حيث يريد معرفة كل شيء، مررًةً بسؤال حول الأصول العقدية، ومررًةً حول الفروع! وقد يصرّ بحالته ويبين لمحاوره ذاك القلق الذي يعيشه، وأنه غير متأكد من معتقده الإلحادي.

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:

طبعاً لكل شخصية طريقة للتعامل معها، وكيفية حوارها، فلا يسوغ أن يوضع الكل في سلةٍ واحدةٍ وطريقةٍ معينةٍ؛ إنما لكل مقام مقال، فمن الشخصيات مَن لا يليق لها إلا الإفحام والإلزام، ومن الشخصيات ما لا يليق لها إلا الاحتواء والضم، على حسب مرتبة كل شخصية وأهدافها، والمتبصر بطريقة القرآن والسنة في الحاج والجدل سوف يجد أن الطريقة ليست على قدم واحدة، بل تختلف باختلاف الشخص.

ولذلك ينبغي على المحاور المسلم الذي يصادف هذه الشخصية أن يهونَ من قلقها، ويطلب منها الاسترخاء، فنحن لسنا في حلبة مصارعةٍ حرّةٍ بل مجرد حوارٍ عاديٍ غير إلزاميٍ، حتى يضمن عدم نزع الملحد إلى العناد الذي يبطل الرؤية الصحيحة للأشياء.

وعلى المحاور المسلم أيضاً أن يطلب من الطرف الآخر أن يلتزم بالأصول المنهجية التي سنراها فيما بعد، وأن يبحث معه عن مصادر قلقه، فيبدأ بالأولويات العقدية، ويعين مكامن الخلل في نظرته لنفسه وللكون، فيعمل على شرحها حسب منظور الإسلام لها.

المبحث الثالث: آليات حوار الشخصية القلقة:

ويشجع الملحد على الحوار، وذلك عبر ثلاث آليات يُرفّقها خلال الحوار:

الأولى: آلية التجنب:

فيطلب من محاوره تجنب التفكير بالمخاطر التخيلية الراسخة في شخصيته، وأن تلك التخوفات لن تعمل إلا على سجنها والزيادة من قلقه، فلا يوجد هناك ما يخشاه طالما هو على قيد الحياة ولم تقم ساعته بعد، فالله عز وجل قد فتح باب التوبة والأوبة إليه.

فالغالبية الأشخاص الذين يعانون من القلق في حياتهم يعرفون تماماً الفرق بين المخاطر الحقيقة والتخيلية، والعمل على مواجهة المخاطر التي تسبب له ذاك القلق، والاجتهد في إيجاد حلٍ لها.

الثانية: آلية تغيير مركز الانتباه:

إنَّ من أعراض القلق الحاد، الخوف من النوم، حتى إنْ كان المريض مرهقاً ويريد النوم، فإنَّ الدماغ قد يرسل إشارات إلى الجسم حتى يحرمه من هذه النعمة، وبالتالي تنتاب المرأة نوبات هلع قد ينفضُ لا إرادياً فيها، فيحسب أنَّ الموت قادمٌ لا محالة.

وعلى المحاور أن يشرح له حالته، ويطمئنه أن تلك الانتفاضات اللاشعورية التي قد تأتيه، هي نتيجة عدم إرادة الدماغ للدخول في حالة السكون التّوميِّ مخافة الموت، وأن يصحح عقيدته، فما الموت إلا لقاءٌ جميلٌ مع رب جميلٍ.

الثالثة: آلية تغيير النظرة في فقدان السيطرة العقدية:

فالشخصية القلقة تحس بفقدان الرمز العقدي، حيث أنها تؤمن بمعتقدٍ متناقضٍ، لا يحقق أدنى تناغمٍ نفسيٍّ، فيهلع دوماً حين الابتلاءات، ومن هنا على المحاور أن يبين له بعض الحكم في الابتلاء، وأن الحياة الدنيا ما هي إلا امتحانٌ مؤقتٌ، يرفع من درجات حسناته إن صبر وسلام، فكل ما سيصيبه خيراً وإن لم يدرك حكمته وكتمه إلا بعد حين، فيقلب نظرته في الابتلاءات من خوفٍ إلى أمنٍ، وشجاعةٍ في الصبر عليها ومواجهتها.

وعليك أيها المحاور أن تبسط له الرؤية الإسلامية قدر الإمكان، فإنَّ أحسنت المزج بين سلامة الطرح العقدي على ضوء أحاسيسه النفسيَّة؛ فزت بقناعته وتسليمه.

الفصل الثاني: الشخصية الهوسية:

المبحث الأول: حقيقة الشخصية الهوسية:

وهي شخصية تتعانى من ارتفاعٍ مرضيٍ في المزاج، مبالغٍ فيه، مع مشاركةٍ من البهجة والسعادة، وفروط الثقة والتقدير، تنشغل فيها الشخصية بأفكارٍ معينةٍ ومتكررةٍ بشكلٍ هُوسي، تتميز بإرادة الكمال الكلي، تُغلب الفروع على الأصول، وأن يكون معتقدها صائباً 100%， يرى فيها الملحد أن طريقته المنهجية هي وحدها الصحيحة، وغيرها يقود إلى الضلال والخطأ، وعلى الكل أن يتبع طريقته تلك، حيث يتكون عنده شعورٌ بأنه وكيلٌ على معتقدات الناس من حوله!

ولهذه الشخصية بعض السمات التي تدلّ عليها، ومنها: الجفاء، حيث تتسم بنوع من البرودة في علاقاتها، فتتعامل بطريقة رسمية، تفتقد لتلك الحرارة في التعامل، يكره التقرب إلى الأفراد ومن يحاوره! ويجد صعوبةً في التعبير عن مشاعره، إضافةً إلى افتقاده للحماس في معرفة معتقدات الغير! كما أنه عنيدٌ، لا يسلِّم بسهولة لرجاحة الرأي الآخر.

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:

هذه الشخصية كما أسلفنا شخصية باردةً اجتماعياً وتميل إلى الرسميات، وتحسب أن نظرتها "المنطقية" للأشياء هي التي ينبغي أن تسود في المجتمع!

فإن صادفت أيها المحاور مثل هذه الشخصية فينبعي عليك أولاً أن تُسِيرَ أغواره، وتُقلِّبَ معه في ماضيه، وتطرح عليه أسئلَةً، تبيّن لك أسباب وصوله إلى هذه الحالة!، غالباً لن تجد الأسباب تخرج عن سُتٍ هي:

1- إما أن يكون هذا نتيجة عوامل بيولوجية: مرضٌ عصاليٌ، إعاقةٌ دائمةٌ نتيجة حادث، إدمانٌ على خمور أو مخدرات؛ أثَّرت على سلامته روبيته للأشياء.

2- تجربةٌ عائليةٌ يكون قد نشأ عليها من طرف والديه، أو معاييرٌ روبيٌّ عليها.

3- صراعاتٌ قديمةٌ أيام الطفولة أو الشباب.

4- طريقةٌ في التفكير غير عقلانية أدت إلى أن يظن بأنه ليس من حقه أن يخطئ، وأن يعيش حالة كمال إنساني.

5- نقصٌ في التوجيه من طرف أصدقائه ومقربيه، حيث تركوه يبني قناعاته دون تقويم.

6- عوامل عاشهما أدت إلى أن يعتنق هذا الخلل في الشخصية.

وكيفما كان الحال من أسباب، فعلى المحاور خلال حواره أن يضع أهدافاً دون تصريح تكون كالآتي:

- أن يُحسِّنَ من قدرته على حل مشاكله.

- أن يُحسِّنَ من قدرته العلاقانية، ويسجّعه على التخاطب مع الغير.

- أن يدفعه إلى التَّحسينِ من جودة حياته لما لها من ترابط عقدي مباشر.

ولذلك ينبغي على المحاور أن يبني علاقةً وديةً معه، ويبين له أنَّ توطيد العلاقات الإنسانية لها نفعٌ على شخصيته، ثم يعمل على نقض منهجه المنطقي في التفكير، فيبين له عَوَازَهُ بشكٍلٍ مبسوطٍ، ويوضح له مكانه في الخلل عبر ضرب أمثلةٍ عليها من الواقع الملموس، وأن ما يحسبه الطريق الوحيد في فهم الأشياء هو مجرد شيء شاذ بإجماع عقلاه المنطق.

وعليه أيضًا أن يكثُر من الاستشهاد بأئمَّة الحجَّاج والمنطق، ويبين للملحد أنه ليس على شيء، وأنْ يتجنِّب الكلمات التي تفضي إلى تعكير صفو المِنازِرة، كأنْ يستهزئ به، أو يصفه بالغباء أو البلادة، فكل ذلك من الصَّوَارِفِ عن الحق؛ فيقذف بخصمه إلى غياهِب التَّعْنُت والتَّكْبُر، ويقطع مادة الفهم والخاطر.

الفصل الثالث: الشخصية النرجسية:

المبحث الأول: حقيقة الشخصية النرجسية:

وهي الشخصية التي تبحث عن الإعجاب وستجدها أيمها المحاور في غالبية الملاحدة العرب، وهي شخصية مغروبة جدًا، نتيجة تصوراتٍ قَبْلِيَّةٍ رسخت في ذهن الملاحد حول الدين والمتدينين، باعتبارهم مجموعةً من المتخلفين يعتقدون في دينٍ "أسطوريٍّ" في نظره، أي شعورٍ بالدونية، يُسْقِطُه على مخالفه، بالرغم من أن هذا المتدين أو ذاك قد يصل إلى مراكز علميةٍ مرموقةٍ، وقد يجمع بين تخصصاتٍ عدة لم يبلغها الملاحد نفسه!

فيعتبر الملاحد نفسه إنسانًا فوق البشر، يؤمنُ بـمُعْتَقَدٍ لا يعتنقه إلا الخاصة؛ وذلك عبر تمجيد "الأنما" ، وتحقيق المجتمع ككلٍ بدينه وتقاليده وثقافته، وليس هذا مرهونًا بالمجتمع الإسلامي، بل حتى المجتمعات الغربية التي تدين بدين معين يخالفه المعنى، حتى لو كان في الصين أو اليابان أو الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها! فيدخل الملاحد حواره ظلًاً منه أنه يستطيع إفحام مخالفه بسهولة تامة، ولا يدرى أنه مرتکز على فكر هش الأركان، ضعيف الأساس، لكن الانغلاق على الذات والاكتفاء بمطالعة فكر وحيد هو السبب الرئيس في هذا الظن القبلي اللاشعوري؛ حتى إن أَفْحِمَ من كلِّ الجهات رَدَّ السبب في عدم استطاعة ذاك المتدين فهم ما يقوله هو، وليس إلى هشاشة الطرح!، فكيف له وهو المثقف في أن يعتقد برسالة نبي أُمّي، ودين انتشر بين البدو قبل ألف عام ويزيد؟ حتى وإن كان هذا الدين له قوة حاججية كبرى، ويحمل أفكارًا تقدمية كثيرة! فهو لا ينظر إلى أصل الرسالة على أساس أنها آتية من خالق الكون، بل آتية عن محمد بن عبد الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! في حين أنه يتناسى أن مجمل أفكاره "المعاصرة" هي آتية عن ما هو أقدم من العصر الرسالي، بل هي أفكارٌ ظهرت عند اليونان قبل الميلاد وتم تجميلها ما بين القرنين 18 و 20!

والملاحد من هذا النوع تستطيع معرفته حينما يصرح بأنه "قرأ القرآن كاملاً، وكتب التفاسير كلها، والحديث والعقيدة والفقه"! ممهداً بذلك لمحاوره، أنه ملاحدٌ متمكنٌ من الإسلام، يُنْزِلُ نفسه منزلة عالمٍ شرعىٍّ، كَفَرَ عن عالمٍ وليس عن جهلٍ، يحاول فيها بذلك التدليل على الطرف الآخر؛ لكي يضفي نوعاً من المصداقية والمشروعية لتساؤلاته تلك؛ فيتسامي بوهمٍ إما للتلبيس على مسلمٍ له حظٌ قليلٌ في العلم، أو لكي يستعرض عضلاته على أهل الحق، أو لكسب منزلة اجتماعية داخل طائفته الإلحادية!

تجده دائمًا مُتَصَفًا بسلوكٍ تحكميٍّ؛ يريدُ أن يُشعر الطرف الآخر بمساعِرٍ بعيتها؛ كي يجبره على التسلیم بأهدافه! يتم الآخر، ينتقده، يحتقره، يسخر منه.

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:

الشخصية النرجسية من خلال التجربة، شخصية لا يليق الرفق معها؛ لأنها غالباً ما تتصرف بقلة الأدب والسخرية، وإرادة التلبيس على معتقدات الناس، وإبراز العضلات داخل المناظرة! فهدفه الأساسي ليس هو إقناع المحاور المسلم، بل إضلال العامة ممن يحضر إلى المناظرة.

تلك الشخصية ينبغي أولاً أن تُحال إلى أخصائيٍّ نفسيٍّ، يعقد معها حصصاً فرديةً أو داخل مجموعاتٍ. فإنْ صادفت مثل هذه الشخصية، فعليك أيمها المحاور ألا ترك ما قدرت عليه من المضايقة، ولا تَتَقَ شُنْعَةً تجد إليها سبيلاً إلا وألحقتها به، ولا تساهل معه في شيءٍ وألزمه قدر المستطاع وأفحمه من شتي البقاء، حتى لا يُشنَع عليك بما يصعبُ عليك تَقْصِيًّا أَمْرَةً، وَرَدَّ كِيدَه وَإِزْلَالَةً إِيمَانَه، فإن ضايقته وضيقَتَ عليه؛ ضعف في نظر الناس،

وَتَبَيَّنَ لَهُمْ جَهْلُهُ وَادِعَاتُهُ الْكَاذِبَةُ، - فَهُوَ غَالِبًا مَا يَلْجأُ إِلَى الْكَذْبِ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ ضَلِيلٌ بِالإِسْلَامِ وَاصْلُّ فِيهِ إِلَى مَرْتَبَةِ الْاجْتِهَادِ؛ فَتَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ كَتَمْتَ بِاطِّلُهُ وَصَرِبْتَهُ بِهِ؛ فَلَا يُرُوْجُ لَهُ شَيْءٌ.

ولذلك عليك أيها المحاور أن تنتبه، فكل من تجد فيه هذه الصفات، اعلم أنه شخصية نرجسية:

- يشعر بأنه فوق كل من يحيط به.

- يغير رأيه في وقتٍ قصير جداً قصد الهروب من الإلزام.

- يظن بأن الناس معجبة به.

- يستعمل الكذب والتَّدليس للوصول إلى غاياته.

- يُغَيِّرُ مِنْ نِجَاحَاتِ الْمَحَاوِرِيْنَ الْآخِرِينَ.

- لا يقبل النقد.

- له شخصية تحكميةٌ ويحاول إدارة الحوار حسب مزاجه.

- يتميز بالكبر والعناد.

- يرفض الاستماع إلى النصائح.

- يظن بأن الناس محظوظون بمعرفته.

- لا يتأنب بأدب الحوار والطرح.

الفصل الرابع: الشخصية المكتوبة:

المبحث الأول: حقيقة الشخصية المكتوبة:

الكُبُّث هو مجموعهٌ من المشاعر والغرائز والدّوافع والمعتقدات غير مقبولةٍ في وعي الإنسان المعنى، فيلقي بها في اللاوعي، أو الأنا الأعلى.

فالآلية الكبّت تعمل بصفةٍ اختيارية، بمعنى أن تختار ما يتعارض مع ما يريد الإنسان، وفي حالة صدام بين أحاسيس يشتق إلهاً الشخص وبين واقع بناء المعنى كشخصية، ولكن أقرب لكم أمثلةً من ذلك، أقول: ثابتٌ في علم النفس الاجتماعي أن الإنسان كائنٌ متدين بالفطرة، يتّسق للدين، وللإعتقاد في وجود الله للكون، فهذه مجموعةٌ من الأحاسيس والغرائز المركوزة في النفس البشرية التي يكتبها هذا الملحد! يقمعها قمّعاً ولا يبالى بنداءات فطنته، لأنّه ببساطةٍ بني ذاك الصرح الإلحادي وارتضاه لنفسه، فهو يريد أن يكون ملحداً، يعيش في كنفِ هذا المعتقد، يرى من خلال منظاره، يحبّ، يعشّق، يعيش يصادق، يعمل، يتكلّم، يبني آراءه كملحد! فيظهر الكبّت ليلاً المشاعر والأحاسيس والأفكار في اللاوعي، ينساها لبرهاتٍ، أو لفتراتٍ، ثم تعود لتقضّ مضجعه من جديد! وهكذا، وكأنه يدور في حلقةٍ مفرغةٍ عمرةً كلّه، كشقاءٍ حيائين اختاره لنفسه، وارتضاه شعراً له في الحياة!

ولأن المكتوب دائماً ما يكون حركياً، ودائماً ما ينقبُ عن وسيلةٍ لكي يتحرّر من هذا الكبّت والقمع، فتراه يبحث دون كلٍّ أو مللٍ لكي يتسرّب إلى الوعي، هذه المحاولات تكون إما عن طريق أحلام، فلتات لسان، أو سبق أقوال، وغيرها.

ولهذا حسب علم النفس فهذا الكبّت يقود إلى أمراضٍ كثيرةٍ نفسيةٍ منها العصاب، نظراً لكم المجهود النفسي الذي يبذله الشخص لكي يكتب تلك الاشتياقات والغرائز!

فعادة المكتوب هو الذي يجعل الملحد دائماً يبحث عن الحوارات الدينية، ويدخل إلى الواقع الإسلامية، وعدد منهم يصارحوننا بأنّهم قد أصبحوا يعيشون شقاءً نفسياً، وإعياءً روحيّاً، وتعباً دائماً، ولم يستطيعوا التحمل أكثر فيطلبون يد العون من داعيةٍ أو متخصصٍ! والشخصية المكتوبة يتكون عندها خوفٌ من صحة المعتقد الآخر.

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:

على المحاور المسلم أن يكون ذكياً في تعامله مع صاحب هذه الشخصية، وأن يُخرج مخالفه من حالة كبت التساؤلات ومقاومة غريزة التدين، وذلك عبر تشجيعه على إبراز تساؤلاته وطرحها، وعدم الخوف من التفكير فيها بشكلٍ منطقي منصف.

حيث أن صاحب الشخصية المكتوبة يظن توهماً أن الدين بدين الإسلام سيقلب حياته رأساً على عقب، وسيحطّم روتينه الذي أله، وغالباً صاحب هذه الشخصية يكون خائفاً ليس من المعتقد بل من الفرعيات الفقهية، فقد تجده مثلاً لا يستطيع الاستغناء عن سماع المعاذف، أو لا يحب إطلاق لحيته، أو إن كانت ملحدة تخاف من فكرة ارتداء النقاب، وعدم كشف الوجه، وغيرها من الفرعيات الفقهية.

وهنا المحاور عليه بعدما ينتهي من إقناع المخالف بالأصول، أن يسلك طريقين:

- 1- إما أن يبرز للمخالف الحكمة من هذه الأشياء، وأنَّ على الإنسان التسليم لأوامر ربه، فالفرعي يكون تابعاً للعقدي، ثم يعمل على إزالة تلك الحواجز التي تجعل الملحِّد يجُبُّ عن الإتيان بها.
- 2- وإنما أن يبين له أن مسائل الفرعويات يسُوغ الخلاف الفقهي فيها، وأن يأتي بالأمور تدريجياً معه، فأنْ يعتنق الإسلام ويأتي بأركانه الكبرى مع تفريط في بعض الفرعويات، خيرٌ من أن يبقى على كفره.
ثم إنه حينما يتشرب العقيدة ويرتقي في مسالك التزكية، سيكون على أهْبَة الاستعداد للنظر في مثل هذه الأمور الفرعوية على حسب الراجح من الدليل والمعتمد في الفقه.
وهنا نصيحة للاخوة المحاورين، بآلا يُغَيِّبُوا الفرعويَّ على العقدِيَّ، فالأمر لا تُؤَخَّر جملةً واحدةً، بل ينبغي أن يتربَّثُوا مع الملحِّد القريب من الإسلام، أو المسلم الجديد، وأن يتناولوا معه أمور الفرعويات خطوةً خطوةً، ولنا في الأسلوب الدعوي الرسولي أسوةٌ حسنة.

الفصل الخامس: الشخصية الاستذهانية

المبحث الأول: حقيقة الشخصية الاستذهانية:

هي شخصية تستعمل الاستذهان؛ لعقلنةً أساسطيرها التأسيسية؛ حتى تكون لها وجاهةً منطقيةً لقبولها نفسياً! بمعنى آخر هو محاولة بناء منطقي للمشاعر والصراعات المبنية عن الأفكار من أجل التحكم بها، وتبريرها نفسياً.

وليس شرطاً أن يكون البناء فعلاً منطقياً لا غبار عليه عند العقلاه، بل يكفي توهם تلك المنطقية نفسياً وتصديقها، وإن كانت في حقيقة أمرها أبعد عن المنطق السوي والعقل السليم!

ويعزز الاستذهان عالم النفس سربان إيونيسكو Serban IONESCU فيقول: "استخدام التجريد والتعميم أمام حالة صدامية تؤرق كثيراً الإنسان...".⁽⁴⁶⁸⁾

فتكون للشخصية الاستذهانية حالتين معينتين تتمظهر فيما يليهما بشكل ظاهر: محاولة إعطاء الصبغة العقلانية لمجموعة من المعتقدات والمشاعر والأحساس، والثانية كتعميم لمعالجة حالة صدامية، وكذا حوارية!

هذه الشخصية لا تظهر إلا حينما تكون معتقدات الملحد هذه مهددة من طرف عقله الشاك من جهة، أو من طرف شخص آخر خارجي، وبالتالي حينما يبدأ الملحد بالتساؤل والنظر في معتقداته تكون هذه المعتقدات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً مع مختلف مشاعره التي يشعرها، فلا شك أنه ما اعتقد معتقد إلا وقد شغف به حباً، وقلب حياته رأساً على عقبٍ من أجله، وبدأ ينظر إلى الكون والحياة ومختلف المللذات والأديان بمنظار هذا الفكر الإلحادي.

فحينما سيكون هذا المنظار - الذي عاش ولا زال يعيشُ من خلاله - محطة خلخلة تهدّد ذاك التكيف النفسي، وأن النظرة الدينية قد تكون هي الحق الذي لا غبار عليه، يأتي الاستذهان كميكانزم دفاعي لا شعوري تتبلّس به الشخصية.

والميكنيزمات الدفاعية والتي تسمى أيضاً آليات الدفاع النفسية أو آليات التكيف النفسي، هي مجموع العمليات اللاشعورية التي يستعملها الإنسان (الإنسان) والتي يهدف من خلالها الوعي النفسي إنقاذه، أو إزالته، أو تغيير كل ما من شأنه أن يمسّ الصحة النفسية للإنسان؛ لتجنب القلق والحيرة والشك.

هذه الميكنيزمات، كما تُستَعملُ في الخير، تُستَعملُ في الشر، وغالباً ما تكون في حالات معينة تمس وضعيات مختلفة في حياة الإنسان، خاصةً في مجال النقاش الفكري والمناظرة الثقافية التي تكون بين شخصين فيهدّ أو يعدل من بنيان معتقده بشكل - منطقي - بالنسبة له؛ لكي يضمن استمرار ذاك الروتين الحيادي الذي ألقه وشبّ عليه!

فالشخصية الاستذهانية ليست شخصية منطقية بل هي تعيش توهם التَّمَنُّ.

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:

في هذه الحالة على المحاور المسلم أن يركز في حواره مع هذه الشخصية على الأساسات التي يتوهمها الملحد أنها عقلية؛ لتبرير معتقده المتناقض، وأن ينقض أساسات الإلحاد نقضاً عقلياً صرفاً؛ حتى يخلل زخرفات الباطل التي تصرف الملحد عن اعتناق الإسلام!

فمثلاً حينما نسأل أهل الإلحاد: ما الأدلة على عدم وجود الله تعالى؟ يبادرونك بالجواب: لأنه لا توجد أدلة على وجوده! فجوابهم هذا هو جواب استذهانٍ بالدرجة الأولى، فمنطقياً لا يمكنك أن تؤمن بشيء دون وجود شيء دالٍ عليه، ولا يمكنك اعتناق نقايضه لغياب دليل في الطرف الآخر، فالموقف المنطقي العاقل حينها: أن يكون الملحد (لا أدرى) بمعنى مُتَوَقِّفٌ لا إلى هؤلاء ولا إلى أولئك، لكنه في الحقيقة أغمض عينيه إلى النظر - مجرد حتى النظر - في أدلة أهل الإيمان الكثيرة والقوية في إثبات وجود الله، واعتنق معتقده كنعامةٍ تضع رأسها في التراب وتحسب أن الشمس قد غربت! فالملحد يرى جوابه منطقياً في حين أن لا وعيه النفسي هو الذي تَقبَّل هذا التبرير، لكي يحصن نفسه مما يتوهّمه باطلًا، أي نحن أمام توهم التمنطق، وليس أمام بناءٍ منطقيٍ حقيقىٍ لا غبار عليه.

ويمكننا في هذا الصدد أن نعطي أمثلةً كثيرةً، كيف أن كثيراً من الأفكار الإلحادية اللامنطقية؛ تخضع لآلية الاستذهان، حتى تصطبغ بهذه الصبغة، ومثاله: آخر صيحات الإلحاد في الغرب؛ وهو ادعاء أن هناك كائناتٍ فضائيةً متطرورةً جداً وعالية الذكاء قد تكون سبباً في وجود الحياة على الأرض!

هذا الموقف جاء حينما بدأت الأساق العلمية المغلفة للباطل الإلحادي في التهاوي، وتعسّف النظريات العلمية لتبرير المعتقد الإلحادي، وأصبح العلماء يثبتون يوماً بعد يوم وجود إحكام في الخلق وليس فوضى عبثية، وأنه من الاستحاللة أن تؤدي تلك العبثية إلى هذا الإحكام الكوني والتعقيد الخلقي، فكان أن كثيرهم Richard Dawkins لم يستح في أن يعلنها للملأ من قومه، فبِضرِبةٍ نفسيةٍ استذهانٍ خرج من المأزق الذي سَيُسْقِطُ الإلحاد جملةً وتفصيلاً، بالقول بذكاءٍ فضائيٍ أسمى!

وغالباً ما يكون أصحاب هذه الشخصية، هم أتباع "الإلحاد العلمي"؛ ولذلك على المحاور المسلم أن يكون متخصصاً في العلم الوضعي، قادرًا على نقض النظريات التي تبرر الإلحاد وتسوّجه في نفس هذه الشخصية، وأولُ شيء يجب عليه أن ينقضه، هو رفع العلم الوضعي إلى منزلةٍ فوق منزلته، وأيضاً رفع النظريات إلى مرتب الحقائق؛ وذلك بأن يُثْبِتَ من تاريخ العلم نفسه كم النظريات التي كانوا يعتبرونها حقائق، ثم ما لبّثت أن سُجِّلت بنظريات أخرى، لاحقةً لها.

وعليه أيضًا أن يبين للملحد أن العلم ليس متخصصاً بالجزم في الغيبيات، فهو لا يبحث إلا في نطاق المحسوس التجريبي، وإجابة سؤال (الكيف) أما سؤال (لماذا)، فلن يجد في العلم ما يحقق له بغيته.

الفصل السادس: الشخصية البارانورامية الموسوسة:

المبحث الأول: حقيقة الشخصية البارانورامية الموسوسة:

هي شخصية تتميز بالحيطة والحدر الشديدين بشكل مبالغ فيه، يستحيل أن يضع ثقته في أي أحدٍ كان؛ لأن لديه اعتقاداً بأنَّ الآخر يريد به شرًا، فيفترض فيه سوء نيةٍ قبلَيِّ، ولذلك أهل الإسلام من الدعاة عنده، مجرد رجالين يريدون أن يضحكوا عليه في معتقده؛ لكي يحققوا منافع من ذلك، بل قد تصل به الوقاحة لأنَّ يهمهم بأئمِّهم يعرفون بطلان معتقدهم!

أصحاب هذه الشخصية يتَّصِفُون بنوعٍ من العدوانية وقلة الأدب في طرح أفكارهم، يُظْهِرُون صفاتٍ سلبية أمامَ محاورِهم، ويَشُكُّون في كل الأفكار التي تُعرَضُ أمامِهم، كما أنَّهم يتميزون بإصدار أحكام خاطئةٍ، وعدم تَكَيُّفٍ مجتمعيٍّ.

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:

على المحاور هنا أن يقيس درجة وَسْوَسَة الملحِّد، وهل يتطلب الأمر بأن يوجهه أولاً إلى أخصائي نفسي حتى يخفف من حدة مرضه، أم أن تلبِّسه آتٍ عبر اعتناق مذهبٍ فلسفِيٍّ إلحاديٍّ فقط؟

ولذلك أول خطوةٍ على المحاور المسلم هو بأن يُعرِّفَ مخالفه بحالته، وأنه يعاني من خللٍ في رؤية المجتمع من حوله، وفي النظر بشكل عقدي إلى الكون والحياة؛ فغالبُ الملاحدة انتقدوا عقيدة الرهبنة في المسيحية، حيث أنَّ الرهبان كانوا يستغلون الأتباع من أجل الاغتناء المادي والمنفعة الشخصية، ومن هنا فقدوا الثقة في رجال الدين.

ومن ثمَّ على المحاور أن يعيَّد تلك الثقة الضائعة التي أدت بالملحد إلى أن يعتنق هذه الشخصية، وبينُ له الفرق بين الدعوة في الإسلام والمنَصِّرين والرهبان في المسيحية؛ فمعتقد أهل السنة والجماعة ينفي العصمة عن الشيوخ وعلماء الدين، بل يعتبر المجتهد إنساناً يتحمل رأيه الصواب والخطأ في المسائل الاجتمادية، وأن العمدة ما قاله الله ورسوله، فإنَّ خالف عالِمٍ ذلك؛ يُضَربُ كلامُه بعرض الحائط مع الاعتذار له بحكم الطبيعة الإنسانية، كما لا توجد عندنا واسطة بين الله وعباده، ولا جلسات اعترافٍ، بل كل المتصرِّفين لحوار الملاحدة يقطعنون مجاناً من أوقاتهم؛ لتبصير الضالّين بمنهج الحق، وليس عندنا أجرٌ ماليٌّ نتقاضاه إنْ أسلم فلانُ أو علانُ! ولا نطلب من المسلم الجديد أجراً أو مالاً أو أي منفعة مادِيَّةً! فكيف سيستقيم شُكُّ الملحِّد في نواياه وثابتُ أنَّ لا منفعة دنيويةٌ وراء حواره؟

وعلى المحاور المسلم أن يشترط شروطاً، تكفلُ له إِذَبَ المخالفِ أثناءَ الطرح، إذ أنَّ أي سبٌّ وشتِّمٌ وعدوانيةٌ، ستكون نهايةً لذلك النقاش؛ فمن حقنا كدعاة إِنْهاءَ الحوار، إن خرج المخالف عن حدود الأدب واللائحة المتفق عليها.

الفصل السابع: الشخصية الإسقاطية:

المبحث الأول: حقيقة الشخصية الإسقاطية:

يقوم فيها الفرد بإسقاط حالته النفسية، دوافعه، عيوبه، أخطائه، على الغير، بحيث يدركها فهم توهماً ويسمُّهم بها بدلاً من أن يدركها في نفسه!

فمثلاً الشخص الذي يضمر في نفسه العداء لجاره، قد يُسقطُ شعوره العدائي على جاره فيدرك - توهماً - أن ذلك الجار يعامله بعداء، والملحد دائمًا ما يتوهם العداء والحق والكراهية من طرف أهل الإسلام، فلو سألت ملحداً يعيش في بلد غربي بعيد، لماذا تخفي إلحادك عن معارفك وجيانتك؟ لأجابك بالقول إنَّه يخاف على حياته من القتل! وكأنَّ المسلمين يحملون السيف في الشوارع ليبحثوا عن ملحد ليقطعوا عنقه!

فهذا في حقيقته خلل عند الملحد؛ لأنَّه يرى في الإسلام، مصدرًا للعداء والكراهية، فالصِّفتُ هذه الصورة المطوية في لا وعيه، فلكي يُحصِّن نفسه فيما يتوهَّم هو كباطل، يلْجأُ لآلية الإسقاط؛ لكي يدفع عن نفسه فكرة أنَّ الإسلام دين رحمة للعالمين، وهدىٰ وخيرٍ للبشرية!

وقد ذكر لنا القرآن الكريم صنفًا من الكفار يستعملون هذه الآلية الدفاعية أيام النبي صلى الله عليه وسلم، فقال الله تعالى في محكم تنزيله: {إِذَا رَأَيْتُمْ ثُعْجُبَكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَانُوكُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَأَحْدَرُهُمْ قَاتَلُهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المنافقون: 4].

فالمنافقون الذين يُنطِّلون الكفر ويعلنون الإسلام، ويتأمرون عليه ليل نهار، يُظْنُونَ أنَّ المسلمين يريدون أن يبطشوا بهم؛ وذلك نتيجة شعورهم العدائي نحو المسلمين، فيقومون بإسقاط هذا الشعور عليهم. أو حينما مثلاً يهم أحد المخالفين محاوره المسلم، بالتعالي، وأنه متخلَّفٌ، لا يفهم، وإن قرأ لا يفقهه، وغيرها من تلك التهم المعلبة، فكلها تُهمُ تكون وراءها آلية الإسقاط تلك.

وباتفاق علماء النفس فصاحب هذه الشخصية، لا يمكن أن يتقدم ذاتياً، ويُحصِّن مواقفه ومعتقداته ومعارفه وشخصيته، ولا أن يعمل على تجاوز عيوبه تلك؛ لأنَّه ببساطة ليس واعياً بها، ويحسب أنه غير متصفٍ بها جملةً وتفصيلاً، وهي حالةٌ من رفضِ رؤيةِ الحقيقةِ أمامه، وبالتالي يقعُ في أخطاءٍ كبيرةٍ في التأويل، فيكون ذلك صارفاً له عن الحق!

وهذه الشخصية لا يكون سببها الوحيد شعور ذاتيٌ لا يعي الشخص وجوده، بل قد يكون نتيجة تجارب حياتية سابقةٍ! فحينما يقول الملحد لداعيةٍ أنت (تحترمني)، (تسئلي بي)، (تخنقني بتفكيرك)، (لا تهتم بأسئلتي) فليس ذلك بالضرورة وصفاً لواقع! وإنما أساسه حقيقةٌ قديمة، وواقعٌ سابقة: ألم نتائجة عدم اهتمام، استهزاءً قديم في المدرسة، احتقارٌ في موقف في الماضي، معاناة لم يتم التعامل معها ومع تكررها قديماً، وبالتالي لم يتحرر ذلك الشخص منها في تلك الحقبة؛ لذلك دائمًا ما تَظْهَرُ شخصيته عن طريق الإسقاط.

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع الشخصية الإسقاطية:

هنا على المسلم المتبصر أثناء مواجهته لمخالفٍ متصف بهذه الشخصية، أن يبني جسر تواصلٍ سليمٍ، ويؤكد للمخالف أنَّ ما يحسُّه ليس واقعاً وإنما توهَّمات دفاعيةٌ لما يظنه مُهَدِّداً لأسلوب تفكيره واعتقاده، لكنَّ ذلك ينبغي أن يكون مسنوداً بإرادةٍ حقيقةٍ للملحد، لكي يتجاوز هذا الحائل الكبير أمام التفكير السليم، والخلاصات المستقيمة، والتَّأوِيل الحكيم، بأنْ يفكر في تلك الاتهامات وتلك المشاعر، ويعيد النظر في تلك المعتقدات المترتبة

عنها انطلاقاً من وضعيته كإنسان عاقل بالغ راشد؛ لأنَّ أغلب الملاحدة العرب ممن حَأْوَرَنَا، اعتنقوا مذاهيم الفكرية في مرحلة المراهقة والمراحل الأولى الشبابية، فكانت نظرتهم لما يواجههم من منطلق أعمارهم تلك، فبنوا عليها خلاصات واستنتاجات وعايشوها، وانشرح صدرهم بها، حتى استطاع الوعي النفسي أن يقيم مجموعة من الحواجز الدفاعية اللاشعورية لكل محاولة تهدف إلى خلخلة هذا النسق الفكري الاعتقادي!

إنه من المهم أن تُبَيِّنَ أيَّها المحاور لِمَا خالَفَ حالتَه؛ لكي يستطيع تمييزها في محيطه، وأنْ تُخَلِّلَ فكره بأسئلة، مثل: أَسْأَلْ نَفْسَكَ لعَلَّكَ أَنْتَ مَصْدِرُ أَحْكَامِ الْقِبْلِيَّةِ الَّتِي تَلْصُقُهَا بِأَهْلِ الْإِسْلَامِ؟ لعلَّ تلك التهم جاءت نتيجة صداماتٍ سابقةٍ أثَرَتْ عَلَيْكَ؟

وهنا على المحاور المسلم أن يدفع كل تلك الاعتقادات التي يظنها الملاحد في أهل الإسلام، وأن يبيّن له المنهج السليم والحق بعيداً عما يُلْصِقُهُ الْمُنَصِّرُونَ وَالْمُسْتَشْرِقُونَ زوراً وَهَتَاناً بِأَهْلِ الْمَحْجَةِ الْبَيْضَاءِ.

الفصل الثامن: الشخصية الحدودية:

المبحث الأول: حقيقة الشخصية الحدودية:

وهي الشخصية التي وصلت إلى الحد الأقصى من التَّحَمُّل، وتتميز بمزاج غير مستقر ولا تحكم بمشاعرها خاصة في حالة الغضب، وتحقِّقُ بها إلى الاكتئاب، يبحثون عنمن يحتضنهم ويشعرون بالاهتمام والحب غالباً ما يتجهون إلى معاشرة الخمور والمخدرات؛ للهروب من أزمة المعنى التي تقضُّ مضجعهم، يقاومون دوماً تلك العدمية العقدية والاكتئاب النرجسي، والرغبة في الانتحار!

وهذه الشخصية من أصعب الشخصيات التي يجب أن تلقى اهتماماً خاصاً من طرف المحاور المسلم، حيث أن لجوء الملحظ الذي يتصف بهذه الشخصية إلى حوار أهل الإسلام، قد يكون آخر أمل بالنسبة إليه؛ لتغيير فكره والخروج من حالته هذه، وقد يقود به فشل الحوار وعدم الاقتناع إلى الانتحار؛ كوسيلة للهروب من الضنك الذي يتربّس في غيابِ نفسه.

غالباً أصحاب تلك الشخصية، يعتقدون الإلحاد النيتشاوي نسبة إلى فريديريك نتشه، أو المذهب الوجودي لجون بول سارتر...!

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:

أن تعمل على مكافحة الخواص العقدية للملحوظ هو الهدف الأساسي في حوارك معه، حيث أن حالته هذه لم تأت إلا عبر اعتناق معتقدٍ يعتَبرُ أنه لا يوجد معنى للحياة، وللكون، وأن البشر مجرد كائناتٍ حيوانيةٍ مثل غيرهم! فهنا عليك أن ترجع إلى الملحوظ المعنى المفقود في حياته، وتعمل على المستوى الفكري والنفسي، فاما الفكر: بأن تُنقضَ له أولاً نظرته الصُّدُوفِيَّة العبثية للحياة، ثم توضح له المعنى العام، وتعيد إليه (الترميز) للأشياء. إن الإنسان لا يستطيع أن يعيش إلا إذا عرف أن حياته معنى، فنحن لا نتعامل مع الأشياء المختلفة باعتبار ما هي عليه، لكننا نتعامل معها من خلال ما تعنيه بالنسبة إلينا، أي أنها لا نتعامل مع أشياء مجردة.. بل نعرفها ونتعامل معها من خلال ذواتنا".⁽⁴⁶⁹⁾

فتلك أولى الكلمات التي كتبها عالم النفس الشهير: ألفريد آدلر Alfred Adler مؤسس علم النفس الفردي، والتي تلخص لنا أن الإنسان كائنٌ راًمٌ، بمعنى أنه يعطي رموزاتٍ للأشياء، فالصحن غايتها وضع الأكل فيه، والكوب هو للشرب، وهكذا إلى أن تصل الترميزات إلى غاية الإنسان وحقيقة الكون، وهو لا يستطيع العيش في صحةٍ نفسيةٍ متوازنةٍ، إلا إذا كانت له معانٍ للأشياء، فإذا فقدت سلسلة الترميزات تلك؛ سقط الفرد فيما يسمى في العلوم الإنسانية، بأزمة المعنى.⁽⁴⁷⁰⁾

وأما المستوى النفسي: بأن تجعله يتحدث بما يشعر به؛ بغية أن تضع أصبعك على تلك المشاعر السلبية وأسبابها، فتغير له نظرته للحياة وتبدلها بمشاعر إيجابية، فصاحب الشخصية الحدودية مثل قطاري خرج عن سكتة، فبدأت تتلاطم الصخور والشعب، لا يدرى إلى أين هو سائر!، ولماذا هو أصلاً سائراً! وعليك أخيها المحاور أن تبين له سعادتك التي وجدتها في دينك، وكيف أن الإسلام يمتلك بذلك الأمان الروحي، وكيف تصل به إلى مرتبة الإيمان والأنس بالله.

(469) معنى الحياة، ألفريد آدلر، ص: 18.

(470) بمعنى فقدان المعنى الوجودي في الحياة والأشياء.

وهنا عليك أن تركز أيضًا على كتب الرقائق والتزكية، وتنظر له الآثار النفسية للإسلام على المستوى العقدي والعبادي والسلوكي، ومن الأفضل أن توطّد علاقتك به، وأن تشعره بنوع من الاحتواء والترحيب، وأن تشجع إخوانك على الترحيب به، والتعرف عليه وتشجيعه على التغيير الإيجابي.

الفصل التاسع: الشخصية التابعة:

المبحث الأول: حقيقة الشخصية التابعة:

وهي شخصيةٌ ليس لها أي حس نceği، بل تشربُ أولَ ما يلقيه إليها محاورُها مُسلِّماً كان أو ملحداً، فتُقلِّدُ متبعها في كل شيءٍ بل في أي شيءٍ، وتَتَصَفَ بالرغبة في اتباع أي شخصٍ حتى لو كان يعيشُ ضلالاً في ضلال، وهذه الشخصية غالباً ما تكون ودودة، لا تحب أن تجرح مشاعر الغير، مُؤَدِّبةٌ في الطرح، تحتاجُ لمن يأخذ بيدها إلى الحق.

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:

الشخصية التابعة كما أسلفنا هي شخصية انهارت بملحد من الملاحدة؛ فتشربت كل أفكاره ومعتقداته عبر تقليدٍ أعمى، ولربما كان ذلك نتيجة انهاره بحضارة الغرب جملةً وتفصيلاً، فعندما رأى تقدمهم التقني، ربطها لا شعورياً بمعتقداتهم!

وهنا على المحاور المسلم أن يبين له الانفصال ما بين التقدم التقني الذي له أسبابه المعلومة، وبين التقدّم العقدي، عبر ضرب أمثلة من التاريخ، كالرومانيين والوثنيين، فقد حكى التاريخ ازدهارهم الحضاري، ومع ذلك كانوا عبداً للأصنام وللطواغيت المُتخيلة!

ثم بعد ذلك عليه أن ينْفُضَّ له رأي مَنْ يَتَبَعُّهُ نقضًا محكمًا وصريحاً، ولا يستحيي المسلم من إبراز علو ثقافته، وعلمه بمقالات ذاك المتبع، وأنْ يهونَ من حجيةِ أفكار المخالف، ويبين له عوراتها، فالهدف هنا هو إسقاط ذاك الرمز من نفس المخالف، وأن يعيد إليه الحس النceği الذي افتقده خلال مسيرته، حتى إن سقط المتبع من نفس التابع، سهلَ عليك تحليله بالحق، وضمنَ المحاور المسلم انسياقه إليه بالحججة السليمة، والمنطق السوي.

الفصل العاشر: الشخصية الفضامية المنعزلة:

المبحث الأول: حقيقة الشخصية الفضامية المنعزلة:

وهي الشخصية المنطوية على نفسها، حيث تعتنق الإلحاد، وتوسّس لنفسها أساطيرٌ تعيشُ في كنفها ولا تحيد عنها، غالباً ما تختار أعمالاً حياتية تميّل إلى العزلة (كالكتابة والبحث)، وتهربُ دوماً من الحوارات المباشرة، وتفضّل التخاطب عبر المنتديات ومواقع التواصل بشكل غير مباشر، ولا تكون غالباً إلا صداقات نادرة وقليلة، حيث يصعب عليها الاندماج داخل المجتمع، ودائماً ما تميّل إلى التخييل وإنشاء عالمٍ خاصٍ بأفكارٍ ومعتقداتٍ حاملةٍ؛ تُفرغُ فيه مشاعرها وأحاسيسها ومتطلباتها.

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:

ينبغي على المحاور المتبصر أن يتعامل مع هذه الشخصية عن طريق تعريف المخالف بمشكلته أولاً، فصاحب هذه الشخصية لا يعي مشكلته، ويحسب نفسه شخصاً طبيعياً! ولذلك على المحاور أن تكون أولى خطواته هو خلق مناخ جيد للمخالف، يشجعه فيه على التكلم والتعبير عن رأيه بكل أريحية؛ ثم يبدأ ببيان أن الإنسان كائن اجتماعي بامتياز، أي لا يستطيع العيش وحده دونما أواصر وعلاقات اجتماعية، والهدف من ذلك قطعاً هو إخراج هذا الملحد من ذاك الروتين الانعزاليِّ الحال الذي بناه وألفه.

ثم يعتمد بعد ذلك على آلية الهدم والبناء، فيهدم أولاً ذاك العالم التخييلي من القناعات التي بناها الملحد لا على أدلة، وإنما على أشياء متخيلة يؤمن بها هو في نفسه، ولا يوجد لها ترجمة واقعية ملموسة! هذه الآلية التي يقع فيها المخالف يسمّيها بعض علماء النفس بالتمني التخييلي، ويسمّيها آخرون باللجوء التخييلي، وهي آلية كثيرة الاستعمال أيضاً عند الملاحدة، واللادينيين الربوبيين من أصحاب هذه الشخصية، حينما يتحول الخوف من ذلك المجهول، الغامض بالنسبة لهؤلاء، والذي يدشنه الموت برهبته وألامه وسكاته، إلى قلق وقضية تشغل به صباحاً ومساءً، حتى إن انشغل عنها في غمرة مسيرته الحياتية بقيت في لوعيه، قاردةً راسخة! ثم تنطلق هذه الآلية الدّفاعية كمنقد من هذا القلق، وحينما يصبح الإنسان ملحداً، أو ربوباً، يشيد عالماً من الأفكار والمعتقدات التي لا أساس لها في الواقع، منطلاقاً من رغباته هو، وأحاسيسه ومشاعره، وكان معتقده يكيفه تكييفاً مع ما يريد هو!

ولكي نقرّب هذا المفهوم أكثر في أذهانكم، نضرب أمثلة معينة بسيطة تبين طريقة اشتغال هذه الآلية و نتيجتها: فمثلاً: حينما يبني اللاديني الربوبي مجموعةً من المعتقدات حول الإله الخالق ليست عليها براهين وأدلة، ولا كتاب فيه يدرسوه، متنزلاً من خالقهم، فيدعون مثلاً أن الله تعالى لا دخل له في تسيير الكون، ولن يعاقب مسيئاً، ولن يجازي صالحًا، فيبني صرحاً من الخيال وفق هذا الأساس، وكلما واجهه أحد أهل الأديان بهافت منطقة، ازداد تعلقاً بهذا العالم المتشوه الذي شيد في نفسه!

أو كمثل ذاك اللاديني الآخر، والذي يؤمن بوجود الإله خالق، وبعث بعد الموت، لكنه يملي نفسه بأن كل البشرية ستدخل الجنة! صالحها وطالحها، مؤمنها وكافرها، موحدها ومشركها! كما الملحد حينما يدعي أنه لو كان هناك الإله فسيدخله الجنة، أو أنه يستطيع إفحام الإله الخالق ببعض كلماتٍ فينجو من العقاب!

مثل هذه الأدلة تقع الإنسان في المحظور وتؤدي به إلى التملّكة، إذ ينقلب الواقع إلى خيال، والتي يسمّها علماء النفس الانطواء على الذات، فيصبح أصل المعتقد ليس ما أنزله الله تعالى وما ثبّت بالدليل صحته، بل الأصل في هذه الحالة هي الذات، أي حينما تصبح النفس منبعاً لذلك المعتقد أو ذاتك، حيث تصبح الأمانة أفكاراً، وتصبح التخيّلات في درجة الواقع بالنسبة لهؤلاء! ومن هنا يأتي التضارب في المعتقد الديني، فترى هذا يتصرّف الإله رحيمًا، وذاك يتصرّفه جباراً، والآخر يصفه بالوداعة وأنه لن يحاسب أحداً، والآخر يرى فيه العدل والجازة، وذاك يقول بوجود حياة بعد الموت، والآخر ينفي، حتى أصبحت الدينية متعددة المذاهب بتعدد الخلائق القائلين بها، وكذلك الإلحاد بمختلف تناقضاته بين مدارسه، وهلم جرّاً في القضايا التابعة، كنظرة الإنسان للكون، وأسئلته الوجودية، ومصدر أخلاقه، وكيفية عيشه.

فيكون هذا اللجوء التخييلي من أسباب الإعراض عن الحق؛ لأنَّ الإله في صفاته هو ما شاء هو، لا ما شاء البشر، وي فعل سبحانه ما يريد هو، لا ما يريد البشر! ويفرض عليهم ما فرض هو، لا ما يفرضه البشر؛ لهذا كان المعتقد الديني كما الإلحادي هو مجرد ترجمة لتلك الأحساس والأهواء والمشاعر والغرائز والانكفاء عن الذات، وجعلها مصدراً للحقيقة زوراً ويهتاناً، حتى إن أعيتهم حجج أهل الإيمان لجهواً لاشعوريًّا إلى التخييل وأضفاف الأحلام، كآلية ناصرة لباطلهم، مسوقة لتهاافتهم، لا يُرجى منها الفكاك إلا بإرادٍ قوية.

فعليك أيها المحاور أن تهدم له عالمه، وتبين له عدم واقعيتها وخطورتها على الفرد، ثم تعيد بناء أفكاره بكل الأسلوب الحجاجية والإقناعية المتاحة.

الفصل الحادي عشر: الشخصية المعتلة:

المبحث الأول: حقيقة الشخصية المعتلة:

وهي أصعب شخصية سيحاورها المسلم، ومرد ذلك إلى اعتلالها النفسي، وجلّها وغلظتها، لا يوجد عندها أدنى احترام لمعتقدات الآخر ولا إلى قوانين وأخلاق مجتمعها، شخصيةٌ غير مستقرةٌ تماماً، ولا تشعر بأدنى ذنب من تصرفاتها، غالباً ما تميل إلى الانحراف، عندها الآخر هو الجحيم، وتشعر أنها في منزلة تفوق البشر، وأنّها تميز بذكاءٍ خارقٍ حاد!

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:

هذه الشخصية صعبةٌ في النقاش لما أسلفناه حين التعريف بها، ومرد ذلك ليس لضعف حجة المحاور المسلم، بل لأنّها شخصية معتلة، وغالب علماء النفس لا يفرقونها عن الشخصية السيكوباتية التي تجنب للانحراف. الفرق فقط أنّ الشخصية السيكوباتية قد تولد باختلالات عقلية في حين أنّ هذه تدفعها العوامل الخارجية إليها!

وهنا يُرجى أن يكون المحاور المسلم أولًا متخصصاً في علم النفس، حيث يبدأ معه حصصاً حوارية يعتمد فيها على أساليب العلاج كما هي مسيطرة في علم النفس المرضي، أو يحيله إلى أخصائي نفسي حتى تخف حدة الحالة، ويصبح قابلاً للحوار العقدي.

ومن تلك السطور، أدعو الأخصائيين النفسيين من أهل الإسلام أن يتخصصوا في حوار المذاهب الفكرية، وأن يعمقوا في العلم الشرعي إن هم أرادوا أن يحققوا نتائج إيجابية مع أمثال هذه الشخصية وغيرها.

فهذا جماع ما ستجده من شخصياتٍ ملحدةٍ على موقع التواصل الاجتماعي خاصّة، والمرافق العمومية عامة، وإنما بَصَرْتُكَ بها وبأساليب حوارها؛ من أجل ألا تقع في خطأ اتباع وسيلة واحدة في حوار كل الشخصيات، والتي نص عليها بعض علماء النفس والاجتماع، وقابلناها خلال مسيرتنا المتواضعة في هذا البحث!

الباب السابع: ظاهرة الانتحار في صفوف الملاحدة.

ويشتمل على المباحث التالية:

- علاقة الانتحار بالفلسفة العدمية.
- التلازم بين الإلحاد والانتحار.
- ما الفرق بين الإلحاد: العبّي، والعدي، والوجودي؟
- أكثر البلدان رُقياً مادياً، أكثرها انتحاراً.
- أشهر المنتحرين.
- الأضطهاد والانتحار بين المؤمنين والملحدين.
- الملاحدة أكثر انتحاراً وعدوانية.
- قائمة المنتحرين.. طويلة ومستمرة.
- قائمة البلدان الأكثر انتحاراً.
- ما قاله مشاهير الملاحدة لحظة موتهم.
- هل الملاحدة أكثر سعادة؟ إذن فلماذا ينتحر الشباب في اليابان وهي من أكثر الدول ازدهاراً؟

الباب السابع

ظاهرة الانتحار في صفوف الملاحدة

إن العالم يتختبط اليوم روحياً وأخلاقياً، فهو بحاجة إلى نور التوحيد والإسلام؛ لينجو من أزماته، وما الإلحاد والشذوذ وانهيار الأسرة والقيم إلا شواهد!

ولذلك نجد أنَّ الحضارة الغربية تعاني بحقِّ من أزمة عميقة؛ فمحاولة الإقناع المستمرة من قبل أصحاب القرار، ووسائل الإعلام منذ سنوات أنه لا إله، توقع مواطنها في مشاكل عديدة على رأسها المشاكل النفسية والأخلاقية التي لا يمكن التغافل عنها، والتي بدورها سببَتْ عليها أزمات أشد وأعنف على المستوى الفردي والمجتمعي سيذوق الجميع ويلاتها ولا بد، ولعل نهاية البعض - من أطلقوا على أنفسهم علماء، والذين كانوا ملء السمع والبصر- أكبر دليل.

ومن الحكمة أن يسلط المحاور المسلم الضوء على هذه الظاهرة الخطيرة، وذلك بذكر أسماء عدد من مشاهير الملاحدة الذين انتحرُوا، بعدما كانوا يدعون أنهم سعداء.

ووَدَّدتُ هنا لو طرحت سؤالاً، يطوي بداخله الجواب، ألا وهو: ما سر الوتيرة المتسارعة في معدلات انتحار الملحدين الذين قضوا حياتهم في إنكار وجود الله، ونالوا في سبيل هذه الفكرة نضالاً عظيماً، وارتقاوا من وراءها إلى منصات التتويج في البلاد الكارهة للإسلام بالسلique، وحصلوا على أرفع الجوائز المادية والمعنوية؟ لا غرو أنَّ الإلحاد وَهُمْ كبير، فلا غرابة أن نهاية أصحابها الانتحار النفسي ثم الجسدي، كيف لا وأنَّ كل ما يعلمُه آنَّهُ ولد ليموت؟!

وبعنوان "كآبة الإلحاد، دراسة عقدية لعلاقة الانتحار بالإلحاد"، وجدت هذا البحث القيم الذي كتبه أ.د. سعود بن عبد العزيز العريفي بجامعة أم القرى - مكة المكرمة، قسم العقيدة - كلية الدعوة وأصول الدين.

ولقد تواصلت مع دكتور سعود؛ لاستئذانه في الاستفادة من بحثه في تلخيص ما له علاقة ببحثنا محل الدراسة...

ولقد تناول هذا البحث الاستقرائي والنقد التحليلي علاقة الانتحار بالإلحاد من الناحيتين: المنطقية والواقعية، وذلك بإلزام الملحدين القائلين بخرافية الدين، ومادية الحياة، وأنها مجرد مصادفة كونية محضة، ترتقب عليها معاناة وشقاء وعبث لا معنى له ولا غاية ولا هدف، بأن يصححوا هذا الخطأ الكوني، فينعوا حياتهم ويرتاحوا من همها ونکدها، وهذا ما التزم به بعضهم في الواقع، فدعا للانتحار وطبقه، ولا سيما عند اشتداد صعوبات الحياة، وقد عرض البحث نماذج من أشهر المنتحرين الملحدين أو المتأثرين بمثل هذه الأفكار الإلحادية.

ولا يهدف البحث إلى تشجيع الملحدين على الانتحار، وإنما يبين خطورة الإلحاد على الحياة، وأنه يمهد الطريق أمام الانتحار، ما يستدعي اتخاذ موقف صارم من الدعوات الإلحادية، واعتبارها خطراً على الإنسان.

وفي هذا البحث أيضاً مناقشة لدعوى بعض المدافعين عن الإلحاد بأنَّ سبب فشو الانتحار بين الملحدين إنما هو الاضطهاد والتنمر الواقع عليهم من جهة المؤمنين، حيث يأتي البحث ليزيفَ هذه الدعوى، كاسفًا عن السبب الحقيقي لهذه الظاهرة، ألا وهو معاندة الفطرة الإلهية، ومكايدة العقل لبراهين الربوبية، ووحشة الكفر في عالم يُسبِّحُ كلَّه للخالق جل وعلا.

ثم يعرض البحث لقائمة طويلة من مشاهير المنتحرين المتأثرين بوساوس الفلسفات الإلحادية؛ وذلك لبيان خطورة الإلحاد على الفرد والمجتمع، ولا سيما أن هذه القائمة لا تمثل سوى نماذج قليلة من المنتحرين المشاهير، الذين لم يُبَالوا بإشهار انتشارهم، فما بالك بمن انتحروا سرًّا؟، ثم ما بالك بغير المشاهير ممن لا يُؤبه لموته؟! ووراء ذلك أضعاف مضاعفة من المكتئبين الحزاني الأشقياء، ممن جُبِّنوا عن الانتحار الحسي، لكنهم انتحرروا معنوًّا بفقد لذة الحياة وبهجتها، التي لا تكون إلا مع الإيمان والرضا؛ فأيَّ جريمة ارتكبها دعاة الإلحاد ومرّوجوه بحق البشرية؟! وأيُّ خطر أعظم من الإلحاد يجب على العقلاء أن يقاوموه ويحدّرها منه؟!.

ولقد جمع الدكتور سعود العريفي في بحثه أوثق المقالات والصفحات والأخبار، والتي تُثْبِتُ أن تخلصهم من الحياة بالانتخار قرينة على غياب الإيمان بهدف إلهي للحياة، وغياب الإيمان بما تقرره النبوات من أنَّ الدنيا دار ابتلاء، وأنَّ الحياة الأخرى هي الحياة الكاملة الحقيقية.

ولا يدخل في البحث المنتحرون الفدائيون، ولا المنتحرون بسبب خلل عقلي.

المبحث الأول: علاقة الانتحار بالفلسفة العدمية

الفلسفة العدمية تعني الإنكار المطلق، ورفض أية أفكار إيجابية، وُسُمِّيَّ "العدمية الفوضوية"، كما في (فلسفة نيتشه، الذي أعلن إعادة تقييم القيم، أي: إنكار كل قواعد الأخلاق والعدالة التي وضعتها الحضارة الإنسانية)⁽⁴⁷¹⁾، ولذلك تُسمَّى أيضًا: "العدمية الأخلاقية"⁽⁴⁷²⁾، فهي مذهب نظري إلحادي يُنكرُ القيم الأخلاقية تبعًا لإنكار مستندتها الإيماني، ويتضمن ذلك إنكار وجود معنى للحياة خلقت لأجله، ويتحمل الإنسان صعوبات الحياة في سبيل تحصيله.

وترتبط العدمية بالتشاؤم والشك المنافي للوجود، فالعدمي لا يؤمن بشيء، ولا رغبة لديه إلا بتدمير القناعات الأخلاقية والدينية: باعتبار مناقضتها للحرية، وبعد فريدريك نيتشه (1844-1900م) الممثل الرئيسي لهذا الاتجاه التشاوئي، وإن كان سبقه شوبنهاور (1788-1860م) القائل: "لا بد أن الوجود البشري نوع من الخطأ، قد يقال عنه إنه سيء اليوم، وسيزداد سوءه يومياً، إلى أن يحدث الأسوأ على الإطلاق"⁽⁴⁷³⁾، ثم تلاه مارتن هيدجر (1876-1889م) وغيره، وتلتقي العدمية بالوجودية في نفي الجدوى عن الحياة، لذلك كان الإلحاد الوجودي عَرَابًا للعدمية في أوروبا⁽⁴⁷⁴⁾.

ومن أكثر الملاحدة تناولًا لمعضلة الانتحار وارتباطها المنطقي بإفلات الملحدين من معنى الحياة، الروائي الفرنسي العبي، والفيلسوف العدمي ألبير كامو (1913-1960م)، الفائز بجائزة نobel للآداب عام 1957م، وتدور فلسفته حول العبئية والتمرد، وهو صاحب الكتاب الشهير: (أسطورة سيزيف)، وموضوعه كما يقول: (العلاقة بين اللاجدوى والانتخار)، وقد هدف فيه: لبيان عدم مشروعية الانتحار حتى مع عدم الإيمان بالله تعالى، وأن العدمية لا تناهى استمرار العيش والتأقلم مع الشقاء⁽⁴⁷⁵⁾، ورمزعنوان كتابه للشقاء الإنساني؛ لأن سيزيف حسب الأسطورة اليونانية شخص عاقبته الآلة بأن يحمل صخرة ويصعد بها إلى قمة جبل، ثم تسقط منه وتتدحرج لأسفل، فيعود فيحملها ويصعد، وهكذا أبدًا.

فالإنسان في هذه الحياة كحال سيزيف؛ يكابد مشاق الحياة ويعاني آلامها وأحزانها باستمرار، من غير معنى

(471) لجنة من العلماء والأكاديميين السوفييتين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة/ سمير كرم، (بيروت: دار الطليعة، ط.7، 1997م)، ص.26.

(472) انظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982م)، ج.1، ص.66.

(473) انظر: آلان دو بوتون، عزاءات الفلسفة، ترجمة يزن الحاج، (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ط.1، 2016م)، ص.213.

(474) انظر مقالاً عنوان: كل ما يجب أن تعرفه عن العدمية، موقع "أنا أصدق العلم"، عبر الرابط: <https://www.ibelieveinsci.com/?p=86848> تاريخ الاطلاع 1/25/2022م.

(475) انظر: ألبير كامو، أسطورة سيزيف، نقله إلى العربية/ أنيس ذكي، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1983م)، ص.7، 15.

للحياة أو هدف أو غاية، سوى ما يدعوه أتباع الوهم والخرافة من المتدينين، وهو ما يأبه العقل والفكر المستنير بزعمه، فلا مخرج عنده إذن إلا بالتأقلم البراغماتي مع عبث الحياة وسخريتها!

فكامو يحاول في هذا الكتاب -عبيتاً- الخروج من هذا المأزق، وإيجاد حل يواسى الملحدين أمام هذا التناقض، ولكن همّات؛ فهو يرى التعلق بالحياة رغم شقاءها نوعاً من الانتحار، ومع ذلك يُصَبِّر الملحدين ويعنفهم من الانتحار، ويدعوهم للتأقلم مع الشقاء! فـأي تناقض أتعجب من هذا؟!

ولذلك تُسمى هذه الفلسفة أيضاً بالعبئية؛ لأنها ترى عبئية محاولات الإنسان في إيجاد معنى إيجابي لحياته، فالفشل لهذه المحاولات محظوظ⁽⁴⁷⁶⁾، ومن رواد هذا الاتجاه: الكاتب المسرحي والشاعر الإيرلندي صمويل بيكيت⁽⁴⁷⁷⁾ (1906-1984م)، والمسرحي الفرنسي يوجين يونسكو (1909-1994م).

وبسبب هذه الفلسفة الإلحادية ظهرت فلسفة اللاإنجاح، وهي فلسفة تدعو إلى عدم إنجاب الأولاد؛ لئلا يتذوقوا الشقاء الإنساني كآباءهم، وتعتبر الإنجاح مع غياب المعنى الإيجابي للحياة جريمة يرتكبها الآباء في حق الأبناء؛ لأنهم جلبوا شقاء الحياة لأولادهم لأجل لذة الجماع!

ومن أشهر دعاة هذه الفلسفة في عصرنا الفيلسوف الروماني إيميل سيوران (1911-1995م)، والفيلسوف الجنوبي الأفريقي ديفيد بيناتار (ولد 1955م ولا يزال حيا).

وأشار الفخر الرازي (ت: 606هـ) إلى أن بعض المتسمّين بالحكمة زعم أن والديه أولى بالعقوق من البر؛ لأنهما من أجل لذة الجماع ورطاه في شقاء الدنيا ونكدها! وقد رد الرازي على هذا الرأي بأن لذة جماع الوالدين لا تلغي إحسانهما للولد الذي لأجله استحقا بره.⁽⁴⁷⁸⁾

ويحاجب أيضًا على القدر في الإنجاح بشقاء الحياة بأن ذلك ملازم للقدر في الربوبية والحكمة الإلهية؛ فإن الحياة بدون إيمان وعبودية لله لا معنى لها، ويتحقق فيها ما زعمه هؤلاء الملاحدة، وكل ما يثبت الربوبية وينقض الإلحاد يرد هذه الفلسفة ويبطلها.

فسبوران وبيناتار وأشباههما من دعاة اللاإنجاح مسبوقون في هذه الفلسفة الإلحادية، وهم كما وصف الله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزِّيزٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ التَّصَارِيَّ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلٍ قَاتَلُهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [التوبه: 30].

المبحث الثاني: التلازم بين الإلحاد والانتهار

الواقع يشهد بعلاقة التلازم بين الانتهار والإلحاد؛ فنسب الانتهار بين الملحدين لا تقارن بالمؤمنين، ولا سيما انتحار العقلاة الذين يقررون الانتحار عن وعي كامل، فهو لا يكونون مؤمنين في الغالب، بل تكون شهادات الإلحاد قد أكلت قلوبهم، وأخذت نفوسهم من المعاني التي تحمل على التشبّث بحب الحياة رغم المعاناة والألم، وعلى رأس هذه المعانى رجاء ثواب الله تعالى وفرجه في الدنيا والآخرة، وهذا ما أكدته القرآن الكريم في قوله تعالى: {يَا بَنِي ادْهِبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَأسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَأسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف: 87]، وقوله تعالى: {قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ} [الحجر: 56].

(476) انظر: توماس ناجل، مقال بعنوان: العبئية، ترجمة/ مروان محمود، منشور في مجلة الفلسفة، ص 7، 13. أرون سون، رونالد، مقال بعنوان: أليبر كامو، ترجمة/ سارة الحيدان، ضمن "موسوعة ستانفورد للفلسفه" مجله "حکمة"، ص 9-11، ويمكن الاطلاع عليه من خلال الرابط: <https://2u.pw/Ka0s2>، تاريخ المطالعة 26/1/2022م.

(477) انظر موسوعة ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/3sMdi>، تاريخ الاطلاع 26/1/2022م.

(478) انظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 20، ص 322.

والمؤمن في الأصل لا يصل إلى هذه المراحلة وهو سليم الإيمان، بل تكون وساوس شياطين الإنس والجن قد استولت عليه، فأوقعته في سوء الظن بالله، فهو لا ينتحر حين ينتحر وهو مؤمن، بل يكون ناقص الإيمان إلى حد الخطير، ومقاربة الكفر، وإن كان مجرد الانتحار لا يُعد من نواقض الإيمان، لكن ما يلاسه من الشك واليأس والتسخط وسوء الظن بالله، هو من سمات الكافرين.

وليس المقصود باللازم هنا ضرورة أن يكون مصير كل ملحد الانتحار، وإنما المراد أن الانتحار هو الخيار المنطقي للملحد إذا حُرم من سعادة الدنيا وبُلي بشقائها، ولا يعني هذا إنكار التَّذَادِ الملحدين بالماديات، واستمتاعهم بالشهوات في كثير من الأحوال والأوقات؛ فهذا أمر مشاهد محسوس لا يمكن تجاهله، بل إن القرآن الكريم قد وصف بدقة هذا الاستمتاع البهيمي الذي ي بعيداً عن الإيمان، وضرب له المثل البليغ، كما في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالثَّارُ مَثُوَى لَهُمْ} [محمد:12]، واعتبر الالهاء بتمتع الحياة الدنيا القاصرة القصيرة المؤقتة عن الحياة الدائمة الحقيقة لها ولعباً وعبثاً، كما قال سبحانه وتعالى: {وَمَا هُدِيَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ لَعْبٌ وَلَعْبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَاةُ أَنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت:64]، وقال تعالى: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعْبٌ وَلَهُوَ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقَوْنَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأنعام:32]، وقال تعالى: {إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ} [محمد:36]، وقال تعالى: {أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثْلِ عَيْنِي أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بَيْتُهُ شُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَّاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [الحديد:20].

فالحرص على الاستمتاع باللذائذ الحسية والنهَم بشهواتها من سمات الكافرين بشهادة القرآن، لكن فقدان معنى الحياة لدى الملحد يجعل سعادته وراحته الدنيوية وقفًا على حضور هذه اللذائذ المادية، مع السلامة من الآفات النفسية والجسدية المنغصَة لها، فمتي ما أدركته طبيعة الحياة بشوائها المحزنة، وصعوباتها المقلقة، ونكدها وضنكها، انكشف موقفه عند أدنى ابتلاء، وتهابي ثباته عند أقل شقاء، فإذا به لا يجد متمسًّا بهذه الحياة سوى الأمل في معاودة العافية والسلامة المادية، واستدراك ما فقد من مُتعه ولذاته، ولكن هذا مضاد لطبيعة الحياة الدنيا، التي طُبعت على النقص والنكد.

وهيهات أن تكون الراحة والسلامة من الآفات متاحة في كل الأوقات والمرات، ولو لم يكن إلا تذكُر ما يفسد البال ويذكر الخاطر، وأس ذلك تذكُر انقطاع هذه اللذائذ بهادم اللذات: الموت، وهكذا إدراك الهرم، وما فيه من الضعف والأمراض، وتراكم الهموم والغموم، وأليم الذكريات، ثم ماذا؟ ليس لدى الملحد معنى يستحق لأجله تحمل كل هذا، فليكن الحل إذا بإنتهاء هذه المعاناة، وقطع هذا الجبل الخانق؛ فليس عنده إله يُرجى، ولا آخرة تُرجى، ولا ثواب يُنتظر، ولا حساب يُرتقب.

هذا مع أن واقع الانتحار بين الملحدين لا يقتصر على حالة الإفلام من تحصيل أسباب اللذائذ الحسية والمُتع المادية، فكثير من منتحري الملحدين تتوفّر لديهم هذه الأسباب أكثر ما يكون، ولكنهم مع ذلك لا يجدون فيها منجيًّا من الهم المكدر، والغم المقلق، وإنما هو ضياع المعنى والهدف والغاية من الحياة، الذي عبرت عنه الآية الكريمة أبلغ تعبير: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنِّيًّا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه:124].

فالإلحاح يمهد للانتحار، و يجعله نتيجة منطقية وخيارًا مقبولًا بل مفضلاً في بعض الأحوال، بل على منطق الملحدين يكون استبقاء الحياة رغم مصاعمها ونكدها هو المستغرب المستنكر، وهذا غاية ما يكون من انتكاس

ومع هذا التلازم المنطقي بين إلحاد الأشقياء والمحروميين وإرادتهم الانتحار، فإن عُتاة الملحدين يسخرون من هذا المنطق، ويهزأون بهذه اللغة؛ لزعمهم أن قضية الإلحاد قضية عقل لا عاطفة فيها، ومسألة منطق عقلي لا يتأثر بالصالح والمفاسد، وحسن الآثار أو سوءها، فإذا لم يكن ثمة غيب أو إله أو إيمان، وإذا كانت الحياة مجرد صدفة كونية طائشة، لا معنى لها ولا قيمة سوى لذاتها ومتعبها المادية، فليكن بعد ذلك ما يكون من شقاء الحياة النفسي للمحروميين من هذه اللذات، أو الهلاك من آثر الانتحار، وذلك كله بمعزل عن مسألة البرهنة على بطلان الإلحاد أو صحته.

ولا يتسع هذا البحث الموجز لنقض هذه الدعوى الفجحة، وبيان براهين الإيمان الدالة على بطلان الإلحاد، فطراًً وعقلاً وحسناً، ونحيط القارئ في ذلك على المصنفات الكثيرة التي بسطت هذه البراهين، ونقضت شبهات الإلحاد.

(480)

المبحث الثالث: ما الفرق بين الإلحاد: العبّي، والعدمي، والوجودي؟

وقد تجسد هذا الموقف الإلحادي الساخر في المذاهب الإلحادية المتطرفة، كالوجودية والعبّية والعدمية؛ فهي تتفق على خرافية الدين، وأن الحياة بلا معنى أو غاية، لكن الوجودي يوجد لنفسه معنى وغاية يعيش لأجلها، أما العبّي فسواء عنده وجود معنى للحياة وعدمه فهي عبث، ولا بد من التأقلم مع هذا العبث، وجعل مواجهة العبث بذاتها معنى يصرفنا عن الانتحار، أما العدمي فالمعنى عنده معادٌ تماماً، والطريق مسدود، فهو أقرب هؤلاء للانتحار.

ومن هنا رأينا كثرة الانتحار بين عقلاء الملحدين -إن كان بينهم عقلاء- الذين يتخذون قرارهم غالباً بعد طول تأمل في سلبيات الحياة وبؤسها، وانقطاع أملهم في حياة مثالية كالتى يعتقدوها المؤمنون في الآخرة، وبذلك يكون انتحار العاقل علامة على إلحاده.

فالانتحار أبداً لا يكون إلا من تلوث بأفكار المذاهب الإلحادية ووساوسيها، سواء كان من معتنقها أو رضّع من حيث رضعت، وأما المؤمن فلا يكون منه الانتحار إلا بنوع مرض نفسي أو عارض من جزع يُذهبُ عن لُبِّه، وينقطع تفكيره، ويحجب عنه مقتضيات الإيمان فتزل قدمه، ولا سيما مع ضعف الفقه في الدين، والجهل بحكم الانتحار، وكونه من كبار الذنوب.

المبحث الرابع: أكثر البلدان رقّياً مادياً، أكثرها انتحاراً⁽⁴⁸¹⁾

نلاحظ أن أكثر بلدان الغرب رقّياً، أكثرها انتحاراً، وما يثير الدهشة أن عدداً كبيراً من المنتحرن فيها من فئة المثقفين، بينما تنخفض بالمقابل أعداد المنتحرن في البلاد البائسة ذات التدين القوي، ويكون المنتحرن فيها

(479) انظر: عبد الدايم الكحيل، الإلحاد والانتحار وقوة تعاليم الإسلام، مقال منشور في صفحة المؤلف على الشبكة العالمية، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/wvt6r> 2021/12/21.

(480) ومن أمثلتها: لسامي عامري، براهين وجود الله، (ال سعودية: مركز تكوين، 1440هـ=2018م)، وعبد الله العجيري، شموع النهار، (ال سعودية: مركز تكوين، 1437هـ=2016م)، وله أيضاً، ميليشيا الإلحاد، (ال سعودية: مركز تكوين، 1435هـ=2014م)، وللباحث أ.د. سعود بن عبد العزيز العريفي، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، (ال سعودية: مركز تكوين، 1435هـ=2014م)، وغيرها كثيرة.

(481) انظر: العفاني، سيد بن حسين، وامحمداء، (مصر: دار العفاني، 1427هـ=2006م)، ج 1، ص 157.

غالباً من المرضى النفسيين والسفهاء والماهقين.

وبالتأمل في أسماء مشاهير المنتحررين قديماً وحديثاً يتبيّن دور الثقافات الإلحادية في تدعيم مبدأ الانتحار والتتشجيع عليه، وإن خان بعض روادها ذلك المبدأ كما فعل شوبنهاور ونيتشه، وكما عبر صمويل بيكيت⁽⁴⁸²⁾: "كيف نمرر الزمن عندما يحاصرنا اللامعنى، اللاتاريخ، وعندما نكون عاجزين حتى عن الانتحار... قبول الحياة هو قبول فحواها، وقبول عجزنا ووحدتنا العميقه وخلاصنا المفقود، ولكن من ينقذ من؟ لا أحد قادر على إنقاذ أحد، وممّ ننقذ بعضاً، من الموت؟ من العدم؟ من المفارقة؟ من القدرة؟ من العجز؟ كلنا محكومون بشروط الازية⁽⁴⁸³⁾، علينا أن نتدبر أمرنا".⁽⁴⁸⁴⁾

أو كما عبر إيميل سيوران⁽⁴⁸⁵⁾ بقوله: (لا أحيا إلا لأنّ في وسعي الموت متى شئت، لو لا فكرة الانتحار؛ لقتلني نفسى منذ البداية)، (الرغبة في الموت كانت هي الأوحد والوحيد، في سبيله ضحيت بكل شيء حتى بالموت)، (إن كل كتاب هو انتحار مرجأ)، (اليأس موثق، الأمل وهم وتخيل)، (فقط المتفائلون ينتحرون.. المتفائلون الذين ما عادوا ينجحون في أن يكونوا متفائلين.. أما الباقيون الذين ليس عندهم سبب يدفعهم إلى الحياة، فلماذا يكون عندهم أي سبب يدفعهم إلى الموت؟)، (سر تكيفي مع الحياة؟ أني أغير اليأس كما أغير القميص)، وقد بين قصده بهذا في قوله: (على المشائئ أن يخترع كل يوم أسباباً أخرى للاستمرار في الوجود؛ إنه صحيحة من صحايا معنى الحياة)، وأقر بأزمة الملحدين بقوله: (يا لتعاسة اللاؤمن، الذي لا يملك في مواجهة أرقه غير ذخيرة ضئيلة من الصلوات)⁽⁴⁸⁶⁾، وهكذا توماس برنهارد⁽⁴⁸⁷⁾ الذي اشتهر قوله: (بدل الانتحار يذهب الناس إلى العمل!)، فهو لاء الملاحدة يشيعون ثقافة اليأس والانتحار ثم ينكصون جبناً، ويغتر بوساوسيهم أشباه المثقفين، فينتحرون، بينما هؤلاء الموسوسون في متعهم يتلهّون، ولا أقول ينعمون؛ لأن حظيم الحيرة والقلق لا يغادر قلوبهم، وصدق الله: {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذَا قَالَ لِإِنْسَانٍ اكُفِّرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} [الحشر:16].

ولا يعني هذا أن المؤثرين بوساوسي الفلسفة العدمية يكونون من السذج دائماً أو من المغفلين؛ فإن الإنسان مهما بلغ من العبرية والذكاء يرتد بالإلحاد إلى أسفل سافلين، فيرتكب من الحماقات ما لا يقدم عليه حتى البهائم سليمة الفطرة، التي تتشبث بالحياة لآخر رقم، بل تشير بعض الدراسات إلى ارتباطٍ بين الإبداع والذكاء، وبين القلق والاكتئاب.⁽⁴⁸⁸⁾

(482) كاتب مسرحي عثي سوداوي، وأديب إيرلندي عددي، حياته ما بين (1906-1989م)، حاز على جائزة نوبيل للآداب سنة 1969م.

(483) لازب: أي ضروري.

(484) صمويل بيكيت، في انتظار جودو، ترجمة وتقديم/ بول شاول، (بيروت: منشورات الجمل، ط.1، 2009م)، ص19، من مقدمة المترجم.

(485) فيلسوف عددي روماني، حياته ما بين (1911-1995م)، ابتعى بالأرق حتى كاد ينتحر، لكنه أشغل نفسه بالتأليف، من مؤلفاته: "على ذرى اليأس"، "المياه كلها بلون الغرق"، "لو كان آدم سعيداً"، "مثالب الولادة".

(486) انظر: مقالاً بعنوان: أقوال إيميل سيوران: 160 اقتباس من كلام إيميل سيوران، منشور على موقع "حكم نت"، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/wJOav> ، تاريخ الاقتباس 30/12/2021م.

(487) كاتب مسرحي تشاومي، وروائي نمساوي عددي، حياته ما بين (1931-1989م)، تدور كتاباته حول المرض والموت والانتحار وكراهية الذات والضياع والجريمة، انظر مقالاً عنه بعنوان: صداقه توماس برنهارد، لإبراهيم حاج عبدي، نشر بصحيفة الحياة بتاريخ 11/10/2006م، ويمكن الاطلاع عليه من خلال الرابط: <https://www.saress.com/alhayat/31239152> تاريخ الاطلاع 1/5/2022م.

(488) انظر: سعاد جروس، مقال بعنوان: أمراض المبدعين: خفيتها مطلوب، وشدیدها يدفع إلى الانتحار أو الجنون، منشور في صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ 20/6/2006م، العدد 10431، ورابط المقال: <https://2u.pw/huKah> تاريخ الاطلاع 20/1/2022م.

المبحث الخامس: أشهر المنتحرين من الملحدين أو المؤثرين بـلـوثات الإلحاد

لتؤكد ما قررناه سابقاً من التلازم بين الانتحار والإلحاد، وأن ذلك ليس من باب التلازم المنطقي فقط، بل هو واقع ملموس، سنشير فيما يلي إلى أسماء أشهر من وقفنا على خبره من المنتحرين في القرنين الأخيرين من العلماء والمفكريين والأدباء والكتّاب، تحت وطأة غياب الإيمان، والتأثر بالأفكار الإلحادية العدمية، وخصوصاً العصر الحديث والمعاصر؛ لأجل التزامن مع موجة الإلحاد الكبّرى التي ضربت العالم جرّاء شيوخ الفلسفات الإلحادية المادية، وتراجع دور الدين على مستوى العالم، وبالأخص الغرب والمؤثرين به، ولا يعني هذا عدم وجود ظاهرة الانتحار في العصور السابقة، لكنها كانت محدودة تبعاً لمحدودية ظاهرة الإلحاد، ولم يصاحبها تأصيل فلسفى؛ لكره الحياة وغياب معناها وعدم جدواها كما طرأ في الفلسفات العدمية الحديثة والمعاصرة:

1- توماس أديسون (1793-1860م):

من أعلام الطب الإنجليزي، ومكتشف لعدد من الأمراض، عانى من نوبات متكررة من الاكتئاب، ما أدى إلى انتحاره بإلقاء نفسه من مبنى مرتفع.⁽⁴⁸⁹⁾

فهذا المنتحر ينتهي إلى فئة الأطباء التي تُعد نخبة عقلاً بني آدم وأذكيائهم، وقد حاز المجد والشهرة والكفاية المادية، فلو لا غيبة معاني الإيمان عن قلبه، من العبودية لله، وتقىّل الابتلاء، واعتبار الدنيا مجرد معبّر للأخرة، والصبر في سبيل ذلك، ما كان ليُقدّم على الانتحار، أو حتى ليتمكن منه الاكتئاب، فضلاً أن يخطر له الانتحار على بال.

والأعجب أنَّ بعض الدراسات ذَكَرَت أنَّ معدلات الانتحار بين الأطباء في الولايات المتحدة الأمريكية تُفُوق معدلات الانتحار بين العسكريين، وأن طبيباً واحداً ينتحر كل يوم تقريباً!⁽⁴⁹⁰⁾

وما قلناه عن هذا المنتحر من علاقة انتحاره بغياب معاني الإيمان ينطبق على مَنْ بعده من المنترين إلى النُّخب الأخرى من العلماء والمكتشفين والمخترعين والأدباء والفنانين وسائر المبدعين والناجحين في الحياة بالمعايير الدنيوية المادية، فلا نطيل بتكرار ذلك.

2- الكاتب والشاعر الروماني الفرنسي المشهور جيرار دونفال (1808-1855م):

الذي وُصف بأنه الممِّد للحداثة الأدبية، وأنه تمكّن في إنتاجه من (تبسيط مصادر قلقه الوجودي الفوار في صيغ إبداعية باقية)، قد عانى (مصابع وجودية حادّة لم يكن مهيّأً لها، وتکبّد رضّات عديدة)، و تعرض لخيبات عاطفية متكررة، حتى أحاطت الأضطرابات العصبية ب حياته، ما أدى إلى انتحاره شنقاً في أحد أزقة باريس، وهو دون الخمسين من عمره.⁽⁴⁹²⁾

(489) انظر مقالاً عنه في موسوعة "ويكيبيديا" تحت عنوان: أطباء قاموا بالانتحار، عبر الرابط: <https://2u.pw/JSOKy> ، تاريخ الاطلاع 30/12/2021م.

(490) انظر: بيتر إبراهيم، مقال بعنوان: الجمعية الأمريكية للطب النفسي: معدلات انتحار الأطباء أعلى من المهن الأخرى، منشور في موقع "اليوم السابع" بتاريخ 6/3/2018م، وقد أحال على صحيفة ديلي ميل البريطانية، ولطالعة المقال يمكن الدخول عبر الرابط: <https://2u.pw/YnFbN> ، تاريخ الاطلاع 30/12/2021م.

(491) كان إلحاد جيرار دونفال من نوع آخر: فقد كان أقرب إلى وحدة الوجود والأديان؛ حيث يقول في كتابه الشهير "رحلة إلى الشرق": (لقد أحسست بأنني ملحد في اليونان، مسلم في مصر، حلوي وسط الدروز، ومتشيع فوق البحار للنجوم-الآلهة في بلاد الكلدان، لكن في إسطنبول استوعبت عظمة هذا التسامح الكوني الذي يمارسه الأتراك) ج 2، ص 381. (بالنسبة لي: الله في كل مكان، أيّاً كان الاسم الذي نطلقه عليه!) ج 2، ص 191، نقلًا عن أحمد رياض، مقال بعنوان: قراءة في كتاب "رحلة إلى الشرق" لجيرار دونفال، منشور بتاريخ 28/6/2018م في موقع "أنفاس"، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/dNR0Z> تاريخ الاطلاع 1/8/2022م.

(492) انظر: كاظم جهاد، من مقدمته لكتاب بنيات اللہ لجيرار دونفال، ترجمة عن الفرنسية/ ماري طوق، (الإمارات: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، 2017م)، ص 7 وما بعدها. ريمي أرسيميسمير، مقال بعنوان: جيرار دي نيرفال، منشور على موقع "مكتبات الشرق" على الشبكة العالمية، انظر الرابط: <https://heritage.bnf.fr/bibliothèquesorient/ar/nerval-art-ara> تاريخ الاطلاع 1/8/2022م.

3- الفيزيائي والfilosopher النمساوي (1844-1906م):

شنق نفسه احتجاجاً فيما يقال على عدم قبول المجتمع العلمي لبعض أعماله!⁽⁴⁹³⁾.

4- لورا ماركس (1845-1911م):

الابنة الثانية لfilosopher الشيوعية كارل ماركس، انتحرت مع زوجها بول لافارج⁽⁴⁹⁴⁾، وكانت أختها الصغرى إليانور ماركس (1855-1898م) قد سبقتها بالانتهار بالسم، وهي في الثالثة والأربعين⁽⁴⁹⁵⁾.

5- المخترع والمكتشف الكيميائي الألماني فكتور ماير (1848-1897م) : قرر الانتحار بالسيانيد، وهو في الثامنة والأربعين من العمر؛ بعد معاناة مع الإرهاق والإجهاد والانهيارات العصبية⁽⁴⁹⁶⁾.

6- الرسام الهولندي الشهير فنسنت فان جوخ (1853-1890م):

انتحر بإطلاق النار على نفسه، بعد حياة مأساوية ومعاناة نفسية، ورغم دراسته اللاهوت واشغاله بُرهاه بوعظ عمال المناجم وتذكير العمال اليائسين برحمة السماء، إلا أنَّ وعده لم يرقُ للكنيسة؛ لعدم التزامه الموضوعات التقليدية، ما أدى إلى فصله من هذه المهنة، وكان مما قاله في مراسلاته لأخيه: (بالرغم من أن الأفكار الدينية تقديم لي عزاءً كبيراً، إلا أن الصور لم تكن تتداعى إلىَّ من رمزية الكهنوت والمعبدات، ولكن تأثيري من الشعور بالطبيعة والناس البسطاء الذين هم جزء من الطبيعة).⁽⁴⁹⁷⁾

7- رجل الأعمال الأمريكي جورج إيستمان (1854-1932م): مؤسس شركة كوداك، ومخترع الفيلم الملفوف الذي أدى إلى انتشار التصوير الفوتوغرافي، ثم اختراع الفيلم السينمائي، اشتهر بالأعمال الخيرية والتبرعات السخية، والمشاركة في تأسيس المعاهد العلمية، عانى في آخر حياته من آلام بسبب مرض في العمود الفقري، آخر معه الانتحار بإطلاق النار على نفسه وهو في السابعة والسبعين من عمره، تاركاً رسالة نصها: (لأصدقائي: تم عملي، فلم أنتظر؟!).⁽⁴⁹⁸⁾

8- الطبيب النفسي الألماني هانز برجر (1873-1941م):

انتحر بشنق نفسه في عيادته، جراء الاكتئاب من مرض جلدي ألم به!⁽⁴⁹⁹⁾

9- الروائية الإنجليزية النسوية الشهيرة فرجينيا وولف (1882-1941م):

والتي نشأت في منزل متتحرر فِكْرِيًّا، وتعرضت في بدايات حياتها لصدمات متكررة تركت في نفسها آثاراً سلبية، وصبت حياتها بالاضطراب النفسي، ثم نَبَغَتْ بعدُ في الكتابة، وأسست دار نشر، ونشرت بعض أعمالها وأعمال فرويد، وكان لها عناية في بعض أعمالها بقضايا النسوية والمثلية الجنسية والتحول الجنسي، ما عَرَضَها للنقد، بل ذَكَرَ أنها رغم ارتباطها الزوجي وكونها من عائلة مسيحية إنجيلية، ارتبطت عاطفياً وجنسياً بالكاتبة البريطانية فيتا ساكفيل ويست!⁽⁵⁰⁰⁾، ما يرجح نزعتها التحريرية الإلحادية، ولم تلبث أن عاودتها الانتكاسات النفسية،

(493) انظر عنه موقع "الباحثون السوريون" عبر هذا الرابط: <https://2u.pw/rafj9> تاريخ الاطلاع 21/1/2022م.

(494) انظر خبر انتحارهما في موسوعة ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/yS7y1> تاريخ الاطلاع 20/1/2022م.

(495) انظر ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/AEQQY> تاريخ الاطلاع 20/1/2022م.

(496) انظر عنه موسوعة "ويكيبيديا" عبر الرابط: <https://2u.pw/XiVVe> تاريخ الاطلاع 21/1/2022م.

(497) انظر مقالاً طويلاً عنه، مترجم في موقع "معرفة"، بتحرير إبراهيم العريس، ورابطه: <https://2u.pw/T85a1> تاريخ الاطلاع 11/1/2022م. ومن الرسامين المنتحررين قبل جوخ: الهندي داسوانت (1560-1584م)، والإيطالي بورومياني (1599-1667م)، والبريطاني فاغان (1816-1841م)، والفرنسية كونستانس ماییه (1775-1821م)، والياباني واتانابي (1793-1841م). انظر: ياسر ثابت، شهقة اليائسين، (بيروت: دار التنوير، ط. 1، 2012م)، ص. 67.

(498) انظر مقالاً موثقاً عنه في موسوعة ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/HOIEN> تاريخ الاطلاع 30/1/2022م.

(499) انظر عنه موسوعة ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/SruFj> تاريخ الاطلاع 21/1/2022م.

(500) انظر مقالاً بعنوان: من هي فيرجينيا وولف، منشور في موقع "أراجيك" بتاريخ 27/10/2021م، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط:

ومعاناًة مع العزلة والاكتئاب، ما حملها على محاولة الانتحار أكثر من مرة؛ حتى تم مرادها بإغراق نفسها في نهر ببلدتها عن عمر ناهز التاسعة والخمسين عاماً⁽⁵⁰¹⁾.

10- الشاعر النمساوي التعبيري جورج تراكل (1887-1914م):

قرأ مبكراً لنيتشه وغيره من رواد الحداثة، ودرس الصيدلة وخدم مسعفاً في الجيش، وشارك في بعض المعارك، ما عرّضه لنوبات اكتئاب متكررة تخللتها محاولة انتحار، وانتحر أخيراً بجرعة زائدة من الكوكايين، وهو في السابعة والعشرين من عمره⁽⁵⁰²⁾.

11- ديل كارنيجي صاحب كتاب "دع القلق وابداً الحياة" (1888-1955م):

يقال: إنه مات منتحرًا بعد معاناًة مع القلق والاكتئاب⁽⁵⁰³⁾، فإن صح هذا فهو من أغرب العجب، وأشد التناقض؛ مع شهرة كتابه المشار إليه! لكن تجدر الإشارة إلى رأي آخر يؤكد وفاة كارنيجي وفاة طبيعية بمرض السرطان، وأن خبر انتحاره مجرد إشاعة لا دليل عليها⁽⁵⁰⁴⁾.

12- المهندس المخترع الكهربائي الأمريكي إدوين أرمسترونغ (1890-1954م):

له مساهمة في تطوير الراديو، نُوَزِّع في حقوق اختراعها، فأصيب باكتئاب انتحر على إثره بإلقاء نفسه من شقته في الدور الثالث عشر!⁽⁵⁰⁵⁾.

13- الشاعر الحداثي الروسي الماركسي فلاديمير ماياكوفسكي (1893-1930م):

هو شاعر الثورة البلشفية، سخر شعره للنقد اللاذع للبيروقراطيين؛ ما جلب له خصومتهم ومحاصرتهم، ثم صُدم بخذلان حبيبته له وزواجهاً من غيره، فانتحر بإطلاق النار على نفسه، وهو في السابعة والثلاثين من عمره، تاركاً رسالة يقول فيها: (إلى الجميع، لا تتمموا أحداً في موتي، وأرجو أن لا تَنْمُوا؛ فالراحل لم يكن يطبق ذلك.. ماما، أخواتي ورفاقى، سامحونى؛ هذه ليست الطريقة الصحيحة، ولا أنسح غيري بها، ولكن لم يبق باليد حيلة..).⁽⁵⁰⁶⁾

14- الروائي الأمريكي إرنست همنغوي (1899-1961م):

الائز على جائزة نobel للآداب عام 1954م، تأثر في باريس بمجتمع الكتاب والفنانين الحداثيين، أو ما اصطلاح على تسميته بـ"الجيل الضائع"⁽⁵⁰⁷⁾، وقد اشتهر همنغوي بروايته "من تقع الأجراس"، التي يُبرر فيها الانتحار حلاً للمعاناًة، ومهرباً للجنود من الأسر، ما يفسر انتحار إرنست بعد هذه الرواية بإحدى وعشرين سنة، تبعاً لوالده

(501) انظر عن انتحارها: كوبينين بيل، فرجينيا وولف، سيرة حياة، ترجمة/ عطا عبد الوهاب، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط. 1، 1993م)، ج 1، ص 692-693.

(502) انظر مقالاً عنه من ترجمة/ سعيد بوكرامي منشور في جريدة "نزوی" الإلكترونية بتاريخ 1/4/1999م، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط: <https://2u.pw/lqDhA> تاريخ الاطلاع 2022/1/11م.

(503) انظر مقالاً عنه بعنوان: ديل كارنيجي مات منتحر، منشور على موقع "معلومات" بتاريخ 24/12/2020م، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط: <https://2u.pw/Gx8Zy> تاريخ الاطلاع 2022/1/21م.

(504) انظر مقالاً بعنوان: هل انتحر فعلاً ديل كارنيجي؟ للكاتبة إسراء سيف، عبر الرابط: <https://2u.pw/RN630> تاريخ الاطلاع 2022/1/21م.

(505) انظر عنه موسوعة ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/6c7Vp> تاريخ الاطلاع 2022/1/21م.

(506) انظر مقالاً طويلاً عنه في موقع ويكيبيديا عبر الرابط: <https://tinyurl.com/hdjhfma> تاريخ الاطلاع 2022/1/15م.

(507) انظر: مكرم شاكر، أدباء منتحرون، ص102، 188. وانظر عنه أيضاً مقالاً مطولاً في موسوعة ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/FVH2F> تاريخ الاطلاع 1/8/2022م. وانظر أيضاً مقالاً مترجمًا بعنوان: إرنست همنغوي: الكاتب الذي انتحر بعد أن نجا من تحطم طائرتين، منشور بتاريخ 7/7/2021م في موقع "أوهابيو بالعربي"، ورابطه: <https://bit.ly/36PsoOa> تاريخ الاطلاع 1/8/2022م، ورابط أصل المقال باللغة الإنجليزية: <https://2u.pw/bvTeU>

الطبيب الذي مات منتحرًا أيضًا، بل إن الانتحار يُعد موضوعًا مشتركًا بين أعماله⁽⁵⁰⁸⁾، وقد كان انتحاره في منزله ببلندقيه صيد وهو في الثانية والستين من عمره؛ إثر الألام التي لازمته بعد إصابته المتكررة في حادثي تحطم طائرتين.

15- الشاعر والروائي الإيطالي تشيزارى بافيزي (1908-1950م) :

الائز على جائزة ستريغا، وهي أهم جائزة أدبية في إيطاليا على الإطلاق⁽⁵⁰⁹⁾، انتحر في الثانية والأربعين من عمره بجرعة زائدة من حبوب منومة، بعد أن عانى من حياة كئيبة واجه فيها فشلين عاطفيين، وصدمه قاسية بزوج عشيقته من غيره، وقد اتسمت كتاباته بالتشاؤم، والصراع مع الحياة، وتوقع الموت الموجع، والهوس بالانتحار، ومن عباراته: (أعرف أنني محكوم إلى الأبد بالتفكير بالانتحار حين أواجه كربًا ومصاعب أيًّا كانت... مبدئي الأساسي هو انتحار لم يُرتكب أبدًا، لن يُرتكب أبدًا، لكن التفكير فيه يداعب حواشي)، (انتحار تفاؤلي سيعود ثانية)، (لا أحد أبدًا يفتقر إلى سبب معقول للانتحار)، (سوف لن تكون لك أبدًا الشجاعة لقتل نفسك)، وقد وصف بافيزي بأنه شكل أبدى، ينقب حول المسائل المسيحية⁽⁵¹⁰⁾.

14- الأديب الياباني ياسوناري كاواباتا (1899-1972م) :

الائز على جائزة نوبل للآداب سنة 1968م، يُعد الروائي الأعظم في اليابان، تدور رواياته حول الوحدة والموت والحب والجنس، في تأثير واضح بالحداثة الغربية، والمدرسة الرمزية الفرنسية، خنق نفسه بالغاز مُهنيا حياته عن اثنين وسبعين عاماً؛ احتجاجاً على مأسى اليابان، ومتاثراً فيما يقال بانتحار تلميذه يوكيو ميشيمما الآتي ذكره.⁽⁵¹¹⁾

15- الكاتب المصري إسماعيل أدهم (1901-1940م) :

نشر رسالة صغيرة بعنوان "لماذا أنا ملحد؟"، أدعى فيها أنه سعيد بإلحاده مطمئن له⁽⁵¹²⁾، ومع ذلك فقد انتحر بعد هذه الرسالة بسنواتٍ غرقاً، واضعاً في معطفه رسالة يذكر فيها انتحاره كرهاً للحياة وزهداً فيها، وأن تُحرق جثته ولا تُدفن مع المسلمين!⁽⁵¹³⁾، ويُذكَر أنه عانى من الاكتئاب إثر مطالعته مؤلفات فيلسوف التشاؤم شوبنهاور⁽⁵¹⁴⁾.

16- الشاعر المصري أحمد العاصي (1903-1930م) :

كان شاعراً مبدعاً، وصدر له أحمد شوقي ديوانه بقصيدة يمدح فيه شعره، اشتغل بالدراسات الفلسفية، وتأثر بالفيلسوف الروماني شيشرون، وفتن بالقراءة عن الموت، وبفكرة الانتحار، حتى أنه ترك رسالة انتحار قال فيها:

(508) انظر مقالاً جيداً عن رواية "لن تقع الأجراس" في موسوعة ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/iyRw2> تاريخ الاطلاع 1/8/2022م.

(509) انظر تعريفها في موقع ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/3WWJB> تاريخ الاطلاع 1/10/2022م.

(510) انظر تقديم الناقد الأمريكي جون تايلور لكتاب مهنة العيش، يوميات تشيزارى بافيزي، ترجمة/ عباس المفرجي، (بغداد: دار المدى، ط1، 2016م)، ص 9-13. وانظر أيضاً: أحمد إبراهيم الشريف، مقال بعنوان: لماذا انتحر الإيطالي تشيزارى بافيزي بعد تسعه أيام من كتابة مذكراته، منشور بتاريخ 13/11/2020م، على موقع صحيفة اليوم السابع، ورابطه: <https://2u.pw/Vf1At> تاريخ الاطلاع 10/1/2022م. نبيل علال، مقال بعنوان بافيزي من الحب إلى الانتحار، منشور بتاريخ 25/2/2020م، على موقع المحطة الإلكترونية، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/M2YIb> تاريخ الاطلاع 10/1/2022م.

(511) انظر: ماري طوق، تقديمها لترجمة رواية الجميلات النائمات، لكاواباتا، (بيروت: دار الآداب، ط2، 2006م) ص 6. صبحي حديدي، مقدمة ترجمته لرواية ضجيج الجبل، لكاواباتا، (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 1983م)، ص 6.

(512) انظر: إسماعيل أدهم، لماذا أنا ملحد، ((إسكندرية: مطبعة التعاون، 1937م)، ص 6، 7).

(513) انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، (دار العلم للملايين، ط 15، 2002م)، ج 1، ص 310. سليمان الخراشي، انتحار إسماعيل أدهم، (من نشر المؤلف، بدون تاريخ)، ص 9، ياسر ثابت، شهقة اليائسين، ص 80-82.

(514) انظر موقع "معرفة" عبر الرابط: <https://2u.pw/i5rsT> تاريخ الاطلاع 13/1/2022م.

(جبان من يكره الموت، جبان من لا يرحب بهذا الملك الظاهر، إنني أستعدب الموت الذي هو كالرائحة الزكية عندي!)، وكان ذا شخصية قلقة مضطربة متناقضة، وتكررت منه محاولة الانتحار، حتى انتحر بحسب مادة كاوية على جسده، وفارق الحياة ولم يُكمل سنته السابعة والعشرين⁽⁵¹⁵⁾.

17- الكاتب الشيوعي الياباني أوسامو دازاي (1909-1948م): كان متعاطياً للمخدرات، زير نساء، مُهتماً، متمرداً على التيار الأدبي السائد، ومع ذلك كان ذا شعبية شبابية! وبعد حياة مضطربة قلقة، شابتها محاولتنا انتحار، ذهبت ضحيتها إحدى عشيقاته، انتحر دازاي في المحاولة الثالثة مع عشيقة أخرى غرقاً في مستنقع، وهو في عامه التاسع والثلاثين، مُخلِّفاً وراءه زوجة وثلاثة أطفال، ورابعاً لم يره قط من عشيقة ثالثة⁽⁵¹⁶⁾.

18- الشاعر اللبناني خليل حاوي (1919-1982م):

بعد ست محاولات انتحار فاشلة، انتحر بإطلاق النار على نفسه، احتجاجاً فيما يقال على اجتياح لبنان⁽⁵¹⁷⁾.

19- الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز (1925-1995م):

شيد فلسفة لا مكان فيها للمقولات العليا، مثل: الواحد، الخير، الله، العقل، الذات الفاعلة..، انتحر عن سبعين عاماً، جراء اشتداد المرض عليه، بعد أن ألف أكثر من ثلاثين كتاباً في الفلسفة⁽⁵¹⁸⁾.

20- الكاتب الياباني كيميتاكى هيراوكا:

تلمنذ كاواباتا السابق ذكره، ورائه إلى الانتحار! الشهير أدبياً باسم "يوكيو ميشيمما" (1925-1970م)، الذي استلهم في أهم أعماله فكرة تنا藓 الأرواح من سابقته⁽⁵¹⁹⁾، وكان انتحاره ببقر البطن على طريقة فرسان الساموراي اليابانية، وذلك إثر فشله في محاولة انقلابية بائسة؛ لإعادة الحكم الإمبراطوري لليابان، وقد تأثر في كتاباته بالفلسفة الأوروبية، واتسم بالتمرد والتحرر وعشق المتع الجسدية والتہتك بالمحرمات كالمثلية والسدادية⁽⁵²⁰⁾ والمazonخية⁽⁵²¹⁾.

إذاء انتحار اليابانيين الثلاثة السابق ذكرهم نشير إلى تعليق الروائي الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز (1927-2014م) بقوله: (كل ما كنت أعرفه بطريقة أكيدة عن الكتاب اليابانيين أنهم انتهوا كلهم إلى الانتحار!... كان أول شيء رجع إلى ذاكرتي هو عبادة الموت عند الكتاب اليابانيين)⁽⁵²³⁾.

21- الكاتب اليساري ورسام الكاريكاتير المصري صلاح جاهين (1930-1986م):

(515) انظر: محمد زيتون، مقال في مجلة الرسالة، ج 19، ص 871 وما بعدها.

(516) انظر: محمد عُصيمية، مقدمته لترجمة رواية ولم يُعد رجلاً، لذاي، (دمشق: دار التكون للتأليف والترجمة والنشر، ط 1، 2016م)، ص 5 وما بعدها.

(517) انظر: خليل حاوي، رسائل الحب والحياة، (بيروت: دار النضال، 1987م). ياسر ثابت، شهقة اليائسين، ص 69-71.

(518) انظر: وفاء شعبان، مقدمة ترجمتها لكتاب الاختلاف والتکرار، لجين دولوز، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط 1، 2009م)، ص 11، 16-18.

(519) انظر: كامل يوسف حسين، مقدمة ترجمته لرواية ثالج الرابع، ليوكيو ميشيمما (بيروت: دار الآداب، ط 1، 1990م)، ص 15، 16. وتنا藓 الأرواح معناه: (رجوع الروح بعد خروجها من الجسم إلى العالم الأرضي في جسم آخر); وذلك لتسنوفي رغباتها وتؤدي ما عليها في حياة جديدة مع جسم جديد. انظر: أحمد شلي، أديان الهند الكبرى، (القاهرة: مكتبة الهضة، ط 11، 2000م)، ص 61. محمد سهيل مشتاق، التنا藓 جذوره وتأثيره في غلاة الشيعة، (مكة المكرمة: رسالة ماجستير نُوقشت وأُجازت بقسم العقيدة بجامعة أم القرى، ط 14، 2000م)، ص 14-16. محمد العلي، عقيدة الحلول والتنا藓 عرضاً ونقداً، (الرياض: دار الصميمى، ط 1، 1430هـ)، ص 310-315.

(520) السادية هي اضطرابٌ نفسيٌّ جنسيٌّ في نفس الوقت psychosexual، تجعل من الشخص السادي (المصاب بالسادية) سعيداً ومنتشرياً؛ بسبب إلحاق الألم بشخص آخر.

(521) هي اضطرابٌ نفسيٌّ جنسيٌّ يتسم بتخيلات أو سلوكيات جنسية تنطوي على التلذذ والرغبة الجامحة في التعرض للألم والعنف والإذلال، قد يصل إلى حد الأذى، لتحقيق الإثارة والنشوة الجنسية.

(522) انظر: ياسر ثابت، شهقة اليائسين، ص 68، وانظر أيضاً مقالاً عنه بعنوان: قصة انتحار أشهر روائي مثير للجدل في اليابان، في موقع "bbc عربي" بتاريخ 12/3/2020م، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط <https://2u.pw/5vjv8> تاريخ الاطلاع 10/1/2022م.

(523) من مقدمته لرواية الجميلات النائمات، لكاواباتا، ص 12.

كان ناصرياً، ثم أصيب بانتكاسة نفسية جراء هزيمة 1967م، وقيل: إنه انتحر إثر اكتئاب تملّكه آخر حياته⁽⁵²⁴⁾.
22- الشاعر السوري الوجودي عبد الباسط الصوفي (1931-1960م): من المتأثرين بفلسفة كامو العبثية، مات منتحرًا ولم يكمل ثلاثين عاماً⁽⁵²⁵⁾.

23- الشيوعي الاشتراكي الأمريكي جيم جونز (1931-1978م):

قرأ في طفولته لماركس وغاندي وستالين وهتلر، ثم انضم للحزب الشيوعي، وأنشأ معبد الشعوب في ولاية إنديانا دامجاً فيه بين الشيوعية والكنيسة، ومتبنّياً مفهوماً شيوعيًا للإنجيل! ثم انتقل به إلى كاليفورنيا متبنّاً بحرب نووية تعقّبها جنة اشتراكية في الأرض لأتباع الاشتراكية الرسولية! وأخيراً قام جونز بعملية انتحار جماعي في غيانا بأمريكا الجنوبية في 18 نوفمبر سنة 1978م، وذلك بحقن مادة السيانيد السامة الممزوجة بعصير العنب، وذهب ضحيتها 900 قتيل بينهم 200 طفل.⁽⁵²⁶⁾

24- الشاعرة والروائية الأمريكية سيلفييا بلاط (1932-1963م):

الحاصلة بعد وفاتها على جائزة بوليتزر⁽⁵²⁷⁾، شكّل الموت عصباً أساسياً في أعمالها الشعرية، ومن كلماتها: (الموت فن كل شيء آخر، وهو فن أتقنه بشكل استثنائي)، وقد عبرت في بعض أعمالها عن توقعها للانتحار، بل تكررت منها محاولات الانتحار، مع أنها نشأت في أسرة مسيحية، إلا أنها فقدت إيمانها إثر وفاة والدها، وظلت مناقضة للدين سائر حياتها، ثم لازمتها الاكتئاب إثر خيانة زوجها وانفصالمما، حتى انتحرت في الثلاثين من عمرها باستنشاق الغاز في فرن مطبخ منزلها، تاركة وراءها طفلها بعد أن وضعت المناشف المبللة تحت الأبواب لئلا يصل إليها الغاز، وقد كان دور زوجها في مأساتها مادة دسمة للحركات النسوية في صراعها ضد ظلم المجتمع الذكوري، معتبرةً انتحارها شهادة مقدسة واعتاقاً من هذا الظلم!⁽⁵²⁸⁾.

25- المغنية العالمية متعددة اللغات داليدا (1933-1987م):

ملكة جمال مصر لعام 1954م، وهي من أصول إيطالية، انتحرت بجرعة زائدة من الأقراص المهدئة، عن أربعة وخمسين عاماً، تاركة رسالة نصّها: (سامحوني؛ الحياة لم تعد تحتمل).⁽⁵²⁹⁾

26- الفيلسوفة الفرنسية سارة كوفمان (1934-1994م):

تركّز مؤلفاتها حول نيتها وفرويد، واختارت يوم ميلاد نيتها موعداً لانتحارها عن ستين عاماً؛ وعدّ ذلك تعبيراً عن فرط تعلقها بفلسفته العدمية!⁽⁵³⁰⁾

(524) انظر: نهى الخشاب، مقال بعنوان: هل انتحر صلاح جاهين، منشور بتاريخ 21/4/2015م في موقع صحيفة "مبتدأ" الإلكترونية، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/KPnFc> تاريخ الاطلاع 20/1/2022م.

(525) انظر: ياسر ثابت، شهقة اليائسين، ص. 76، 77. وانظر عنه مقالين في موقع "القصة السورية"، الأول بعنوان: عبد الباسط الصوفي والتجربة الوجودية، لسلمان حروفش، والثاني بعنوان: عبد الباسط الصوفي وسطوة الانتحار، لمحمد غازي التدمري، عبر الرابط: <http://www.syrianstory.com/a.b.soufi.htm> تاريخ الاطلاع 20/1/2022م.

(526) انظر: صادق الركابي، الانتحار الجماعي، أكبر عمليات الانتحار الجماعي في التاريخ، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط 1، 2014هـ)، ص 185 وما بعدها. وانظر أيضاً عن هذه الحادثة موسوعة "ويكبيديا" عبر الرابط: <https://2u.pw/qUOZO> تاريخ الاطلاع 1/28/2022م.

(527) هي جائزة سنوية تقدمها جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية في مجالات متعددة، منها: الأدب، وقد بدأت الجائزة منذ عام 1917م بمنحة من رائد الصحافة الأمريكي جوزيف بوليتر. انظر عنها موقع ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/7LXs2> تاريخ الاطلاع 10/10/2022م.

(528) انظر: سامر أبو هواش، مقدمة ترجمته لديوان سيلفييا بلاط: أكثر من طريقة لائقه للغرق، (بيروت: منشورات الجمل، 2009م)، ص. 5، 6، 10. فاطمة نعيمي، تقديمها لترجمة رسائل سيلفييا بلاط، (الكويت: منشورات تكوين، ط 1، 2019م)، ص 10، 11. وانظر أيضاً مقالاً عنها في موسوعة ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/czo0w> تاريخ الاطلاع 10/10/2022م.

(529) انظر عنها ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/mZyrT> تاريخ الاطلاع 1/21/2022م.

(530) انظر مقالاً مؤثقاً عنها في موسوعة "ويكيبيديا" عبر الرابط: <https://tinyurl.com/2p949yhs> تاريخ الاطلاع 15/1/2022م.

27- الروائي والصحفي الأميركي هنتر طومسون (1937-2005م):

نشأ نشأةً إجراميةً، وكان مدمناً على الكحول والمخدرات، ثم امتهن الكتابة والصحافة، واشتهر بروايته: "ملائكة الجحيم"! عن عصابات الدراجات النارية، وكان قد صَحِّحُهُمْ عاماً، انتحر بإطلاق النار على نفسه، بعد معاناة مع المرض وهو في السابعة والستين من عمره.⁽⁵³¹⁾

28- الشاعر الحداثي والكاتب والروائي الأردني تيسير سبولي (1939-1973م):

كان معجبًا بثقافات الشعراء والكتاب المنتحرین، وتأثر بالفلسفه الوجوديين والعدميين مثل نيتشه وسارتر وهيدجر وكامو، أطلق النار على نفسه وهو في الرابعة والثلاثين من عمره؛ احتجاجاً على هزائم العرب وواقعهم البائس، تاركاً وراءه زوجته طفلية⁽⁵³²⁾.

29- الأديب النبوي المصري إدريس علي (1940-2010م):

حاائز على جائزة الدولة التشجيعية، وجائزة أفضل رواية⁽⁵³³⁾، لم يمت منتحرًا، لكنه قال: (أرى أن مسألة الانتحار أشرف وأنبئ وسيلة للانسحاب من واقع مهين؛ فأنا لم أحب الحياة بما فيها من تفاهات وصراعات وتفاوت طبقي، ورواياتي "تحت خط الفقر" تُعرِّي هذا الواقع، وتفضح المستور، وتكشف المسكوت عنه.. وقد مات ابني منتحرًا، واكتشفت أنه لا فائدة من الكتابة.. لقد حاولت الانتحار بإلقاء نفسي في النيل أكثر من مرة، ولكن النيل أبى أن يتطلع جثتي).⁽⁵³⁴⁾

30- خبير الأسلحة الجرثومية البريطاني ديفيد كيلي (1944-2003م):

كان موظفاً في وزارة الدفاع البريطانية وأحد مفتشي الأمم المتحدة، انتحر بقطع عروق معصمه إثر ضغوط تعرض لها أثناء التحقيق معه؛ بسبب تسريبه تقارير للصحافة، تفضح تزوير معلومات حول أسلحة الدمار الشامل في العراق⁽⁵³⁵⁾، وهناك من يرى أنه لم ينتحر، بل صُفي؛ لتفريطه بالأمر!⁽⁵³⁶⁾.

31- الدكتور الف رزق الله (1950-1995م):

أستاذ علم النفس بالجامعة اللبنانية، ألقى بنفسه من شاهق على الصخور قبالة صخرة الرؤشة الشهيرة بحوادث الانتحار على شاطئ بيروت⁽⁵³⁷⁾.

(531) انظر مقالاً مؤثقاً عنه في موسوعة "ويكيبيديا" عبر الرابط: <https://2u.pw/xS3Wb> تاريخ الاطلاع 1/11/2022م.

(532) انظر: ياسر ثابت، "شهرة اليائسين" ص-71-73. حسن عليان، مقال عن تيسير سبولي في مجلة فيلادلفيا الثقافية، جامعة فيلادلفيا، الأردن.

(533) انظر ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/wOyjQ> تاريخ الاطلاع 20/1/2022م.

(534) انظر: ياسر ثابت، "شهرة اليائسين" ص-86، 87. وقد عرض ياسر ثابت في كتابه هذا ص-65 وما بعدها قائمة طويلة من المثقفين والشعراء العرب المنتحرين ذكرنا بعضهم في هذه الدراسة، ومنهم أيضاً اللبناني أنطوان مشحور (1936-1975م)، انتحر بطلاقة مسدس في رأسه، الكاتب المصري محمد رجائي (ت:1979م)، الفنان السوري لوبي كالي (ت:1978م)، الشاعر الكردي مصطفى محمد (ت:1979م)، المصرية درية شفيق (ت:1975م) إحدى رائدات تحرير المرأة، الشاعران المصريان صالح الشرنوبى (1924-1951م)، ومنير رمزي (1924-1945م)، ومثله العراقيون قاسم جباره (1935-1987م)، وإبراهيم زاير (1944-1972م)، ومهدى الراضى (ت:2007م)، والجزائريون صفية كتو (1944-1989م)، ألقت نفسها من الطابق الثامن، وعبد الله بوحالفة (1964-1988م)، ألقى نفسه تحت قطار، وفاروق أسميرة (ت:1994م)، ألقى نفسه من فوق جسر، وهاديه رجيمي (ت:2010م)، انتحرت ولم تتجاوز الثلاثين عاماً، وقبل هؤلاء مبارك جلواح (1908-1943م)، ألقى بنفسه في نهر السين بباريس، المغربي كريم حوماري (1972-1997م)، شنق نفسه، السودانيون: عبد الرحيم أبو ذكري (1947-1989م)، ألقى نفسه من شاهق، ومحمد شبيرون (1930-1961م)، وسامي قبriال (1951-1975م)، وأحمد الطيب، وغيرهم. وانظر أيضاً: أسعد العزوبي، مقال بعنوان: انتحار مثقف، نشر بتاريخ 27/6/2020م، على موقع المجلة الثقافية الجزائرية، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://thakafamag.com/?p=39360> تاريخ الاطلاع 1/21/2022م.

(535) انظر: موسوعة ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/kjh2m> تاريخ الاطلاع 1/30/2022م.

(536) انظر مقالاً عن نقل عائلته لرفاته خشية نبش أصحاب نظرية المؤامرة لقبه من أجل التحقيق في موته وإنيات عدم انتحاره، نشر في موقع بي بي سي عربي بتاريخ 2017/10/29، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط: <https://www.bbc.com/arabic/inthepress-41792626> تاريخ الاطلاع 1/30/2022م.

(537) انظر: ربيع جابر، رواية رالف رزق الله في المرأة، (بيروت: دار الآداب، ط1، 1997م)، ص-9، 10، 22، 23.ليب ناصيف، مقال بعنوان: رالف رزق الله، الرحيل الباكر الموجع، منشور بصحيفة "البناء" الإلكترونية بتاريخ 20/6/2020م، ويمكن الدخول إليه عبر الرابط: <https://www.al-binaa.com/archives/253783> تاريخ الاطلاع

32- السينمائي التونسي الحبيب المسروقي (1950-1980م):

تُوفّي منتحراً وهو في الثلاثين من عمره، رغم تحقiqه نجاحات سينمائية حملت زملاءه والمعجبين به على تكريمه وتخليد ذكراه بعد عقوود من رحيله!⁽⁵³⁸⁾

33- الكاتبة والروائية المصرية اليسارية أروى صالح (1951-1997م):

من أعلام الحركة الطلابية марكسية في الجامعات المصرية في السبعينيات، اشتهرت بكتابها "المُبْتَسِرون" الذي سُجّلت فيه آرائها الفكرية السياسية، وذكرياتها حول الحركة الطلابية⁽⁵³⁹⁾، انتحرت بإلقاء نفسها من الطابق العاشر!⁽⁵⁴⁰⁾

34- الممثل والمخرج الفلسطيني من أصول فرنسية فرانسوا أبو سالم (1951-2011م): حائز على جائزة المسرح الفلسطيني، أقدم على الانتحار بعد صراع مع الاكتئاب⁽⁵⁴¹⁾.

35- الممثل الأمريكي الشهير رون ولیامز (1951-2014م):

انتحر شنقاً بشكل مفاجئ عن عمر ناهز الثلاث وستين سنة، مُخلِّفاً زوجة وولدين، رغم ما عُرف عنه من اللطف والذكاء والإبداع والتألق الفني، وكان قد مر آخر حياته بمعاناة خفية من الهلع والقلق والاكتئاب والارتياب، ما عُزِّي لاحقاً لإصابته بمرض عصبي يسمى "حرف أجسام ليوي"⁽⁵⁴²⁾⁽⁵⁴³⁾، ومهما يكن من سبب لانتحاره، فإن مبادرته لذلك لم تكن إلا مع إفلاس روحي من معنى للحياة يستحق معه تحمل الألم الذي كان يمر به، ولا يبدو أن هذا المرض -إن صح ما ذكر من دوره في انتحاره- سيكون ذا أثر مباشر بهذه السرعة؛ فقد كان ولديامز قريب عهد بتصوير أحد أفلامه، كما أن زوجته لم تعلم بهذا المرض إلا بعد وفاته!.

36- الطاهي والكاتب الأمريكي أنتوني بوردين (1956-2018م):

أشهر برامجه التلفزيونية وتعليقاته الإنسانية من خلال أفلامه الوثائقية عن ثقافات الطبخ في العالم، وحصد الكثير من الجوائز، وانتشرت كتبه انتشاراً واسعاً، ورغم هذا النجاح والصّيت فقد انتحر على نحو مفاجئ في غرفة الفندق أثناء إقامته في باريس؛ لتصوير إحدى حلقات برنامجه الأشهر! عن عمر يناهز الثانية والستين⁽⁵⁴⁴⁾، ولقد عانى بورداين في شبابه من تعاطي المخدرات، ثم عانى بعد شهرته من الشعور بالعزلة، رغم

• 2022/1/21

(538) انظر ذكر انتحاره في مقال عن تكريمه نشر في الصحيفة الإلكترونية التونسية "جمهورية" بتاريخ 19/2/2018م، ويمكن الاطلاع عليه عبر هذا الرابط: <https://2u.pw/Igveg> تاريخ الاطلاع 1/21/2022م. وانظر أيضاً صفحة مخصصة لتكريمه في موقع " أيام قرطاج السينمائية" ، عبر الرابط: <https://2u.pw/1xKwm> تاريخ الاطلاع 30/1/2022م.

(540) تاريخ الاطلاع 20/1/2022م.
الرابط: <https://2u.pw/rTvLh> (540) انظر خبر انتشارها في موسوعة ويكيبيديا عبر الرابط: أروى صالح، المتسرون، (لبنان: دار النهر للنشر والتوزيع، ط1، 1996م)، ص.7.

(541) انظر عنه موقع ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/GMIGz> تاريخ الاطلاع 21/1/2022م.
(542) يُعد (خرف أجسام ليوبي) من أكثر أنواع الخرف شيوعاً بعد مرض الزهايمر، حيث يعمل على التسبب بمشكلات في طرق عمل الدماغ، وتشمل: مشكلات الذاكرة، والحركة، ومهارات التفكير، واللزاج، والسلوك، وقد يُعاني المرضى المصابون به من هلوسات بصرية، إضافةً إلى تغيرات في البقعة والانتباه، ويكون الرجال أكثر عرضة للإصابة به من النساء، وينتُج هذا الخرف عن ترسبات غير طبيعية لبروتين يسمى ألفا سينيكولين (Cyncholine) في الدماغ، حيث يؤثر على الخلايا العصبية.. وتظهر أعراضه بعد سن الخامسة.

(543) انظر مقالاً بعنوان: الضاحك البائس...، لماذا انتحر روبن ولیامز؟، منشور بتاريخ 3/1/2021م على موقع "سكاي نيوز عربية"، ورابط المقال:
<https://www.skynewsarabia.com/varieties/1404441>

مراجع ادبيات ٢٠٢٢/١/١١ - <https://www.IHrzR.com> (٥٤٤)

طبيعة عمله القائمة على التواصل مع الآخرين! (545).

37- الأديب والروائي الأمريكي ديفيد فوستر واليس (1962-2008م):

اتشحت رواياته بالسوداوية والعبثية، وُوصف بعدم الانضباط في مظهره وسلوكه الاجتماعي، ورغم نشأته في أسرة متربطة، وتمتعه بشهرة واسعة ومكانة مرموقة وحال ميسورة يُحسّد عليها، شنق نفسه في منزله، وهو في السادسة والأربعين من عمره، بعد معاناة طويلة مع الاكتئاب والضغوط النفسية (546).

38- الكاتبة المسرحية الإنجليزية الشابة سارة كين (1971-1999م): والتي انتحرت بشنق نفسها بأربطة حذاءها، عن عمر ناهز 28 عاماً (547).

39- الكاتبة الهولندية من أصل مغربي نعيمة الباز (1974-2020م):

عانت من الاكتئاب سنوات عديدة بعد تأليفها كتابها الإلحادي: "المنبوذة"، وانتهى بها المطاف إلى الانتحار، وهي في السادسة والأربعين من عمرها (548).

40- اليوتيوبر السوري ديفيد رجل الكهف (1986-2022):

محمد يمان الصواف، المعروف باسم ديفيد رجل الكهف، ولد الصواف في أواسط الثمانينات، لأسرة سورية نشأت فيها على التدين، في المرحلة الإعدادية حفظ نصف القرآن قبل أن تتسلل الشكوك إلى نفسه، وقبل العشرين وجد طريقه إلى عالم الإنترنت المنتشر حديثاً، وإلى موقع من نوع (منتدى اللادينيين العرب) و(شبكة الملحدين العرب) واستقر فيها على اسم ديفيد ليلحق الاسم بعد ذلك بكنية رجل الكهف بعد أن حط رحاله الأخير في السويد، وأن يدعو إلى الإلحاد والتحرر من الأديان؛ لأجل السعادة والعيش في حياة هانئة هادئة بعيدة عن الأضطرابات، ضربته الأضطرابات، وتمكنت منه؛ حتى أقدم على الانتحار وهو في السادسة والثلاثين من عمره.

أمور وجَّب التنبيه إليها

وبعد سرد هذه القائمة الطويلة لمشاهير المنتحرين من المؤثرين بالنزاعات اللادينية، واللّوثات الإلحادية، نرى ضرورة التنبيه لبعض الأمور:

أنه مع حرصنا على توثيق المعلومات والإحالة على المصادر، يبقى الاحتمال وارداً في بعض الحالات أن يكون واقع الأمر على غير ما ذُكر، لأن تكون الوفاة مثلاً نتيجة اغتيال صُورَ في هيئة انتحار؛ بغرض التشويه، أو تكون الوفاة طبيعية ظن أنها انتحار، لكن هذا الاحتمال يبقى ضعيفاً، وإن وقع فهو نادر، فلا يُشكّل على مصداقية القائمة في التعبير عن ظاهرة الانتحار في مجتمع الملحدين، وإثبات العلاقة بين الانتحار وغياب الإيمان، وقد استبعدنا من القائمة حالات متعددة قيل: إنها انتحار؛ لعدم وضوح ذلك، كما حرصنا على الإشارة لما ذُكر من تشكيك في بعض الحالات ولو كان ضعيفاً.

أن هذه القائمة، إنما تمثل من سُجِّلَ انتحارهم رسمياً، وانتشر خبرهم، أو صدعوا بانتحارهم، فما بالك بمن

(545) انظر مقالاً بعنوان: قدم للعالم ثمانين بلداً.. من هو أنتوني بورد Ain؟، منشور بتاريخ 9/6/2018م على موقع "الحرّة"، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط: <https://2u.pw/VebA0> تاريخ الاطلاع 11/1/2022م.

(546) انظر مقالاً عنه بعنوان: الكاتب الأمريكي انتحر لأن قلمه بات عصياً على التعبير، منشور في صحيفة "الاتحاد" الإلكترونية بتاريخ 24/9/2008م، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط: <https://2u.pw/NR5HV> تاريخ الاطلاع 11/1/2022م.

(547) انظر: كريم عبد الخالق، مقال بعنوان: مسرح «سارة كين»: الموت دائمًا خلفك، منشور على موقع "منشور" بتاريخ 24/8/2018، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/gDhks> ، تاريخ الاطلاع 30/12/2021م.

(548) انظر مقالاً مؤثقاً عنها في موقع ويكيبيديا عبر الرابط: <https://2u.pw/9Nzbu> تاريخ الاطلاع 14/1/2022م.

وراء هؤلاء ممن لم يُعلَم خبره، أو آثر الانتحار خفية؛ لئلا يُلْوِث سمعته أو يُحْرِج أسرته؟ ثم ما بالك بغير المشاهير ممن لا يُؤْبه لانتحاره، ولا يتجاوز أن يكون رقمًا في إحصائيات الانتحار؟ ثم ما بالك بمن وراء هؤلاء جميعًا ممن حاول الانتحار أو هم به وفَّـگــر فيه، ثم جَبَـنـ عن الإقدام عليه، فَبَقَـى طول عمره في معيشة ضنك وانتحار معنوي لا يقل بؤسًا عن الانتحار الحسي؟

أن المذكورين في هذه القائمة ليسوا بالضرورة جميعاً من الملحدين الصراخاء، وإن كان غالبيهم لا يسلم من التللوث بشكوك الإلحاد ووساوشه، ولا يمنع أن يكون منهم من تأثر ببعض شهادات الإلحاد المؤدية للانتحار، دون أن يغادر الإيمان بالكلية، ولا سيما إن كان ظاهره الانتساب للإسلام، فلا يلزم من الاستشهاد بواقعة انتحاره في هذا البحث الحكم عليه بالكفر الأكبر، والخروج من الملة، والخلود في الجحيم.

المبحث السادس: الاضطهاد والانتهار بين المؤمنين والملحدين

يناقش في هذا المبحث تفسير ظاهرة الانتحار بين الملحدين باضطهاد مجتمع المؤمنين لهم، ونستله بالإشارة إلى انتحار الفيلسوف марكسي إيفالد إلينكوف (1924-1979م)، الذي أنهى حياته وهو في الخامسة والخمسين من عمره، مستسلماً للஐأس والقنوط الذي أصابه جراء اضطهاد رفاقه في الإلحاد، الذين رأوا في انحرافه الطفيف عن مسارهم الفلسفى تمزداً على الماركسية، ولم يتحملوا أي اجتهادات وتفسيرات تخالف التّسقى السائد لدىهم، ما أدى إلى طرده من جامعة موسكو بتهمة الـهـيـجـلـيـةـ، ثم ملاحقته من قبل الشرطة السـرـيـةـ ومنعه من المؤتمرات خارج الاتحاد السوفياتي⁽⁵⁴⁹⁾.

إن الأضطهاد الذي مارسه ملاحقة الشيوعية إبان الثورة البلشفية ضد المؤمنين من جميع الأديان، ولا سيما المسلمين، لكفيل بتزييف أي دعوى تصور الملاحد في دور الضحية، وذلك أن الملاحد لا يحجزه وازع من دين أو خلق عن تحقيق غايته، فكيف إذا كانت غايته تدمير الدين نفسه؛ باعتباره مصدر الشرور والحرمان والخلاف والشقاء والآلام؟! أما المؤمنون فمهما نقموا وغضبوا فاحتجز الإيمان يردعهم، يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْلِّو شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرُ الْحَرَامُ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَمَّيْنَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَضْوَانًا وَإِذَا حَلَّتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجِرِّ مَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالثَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة:2]، ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءِ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجِرِّ مَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة:8]، وأما ما يحصل من ظلم واضطهاد من قبل من ينسبون إلى الإيمان فهو أمارة على نفاقهم وضعف إيمانهم.

ولقد نشر الكاتب الملحد ستاكيس روش⁽⁵⁵⁰⁾ مقالاً صريحاً ومُهمّاً حول ظاهرة الانتحار في مجتمع الملحدين، استَهْلَكَ بالإقرار بأن الكتاب يعد مشكلة خطيرة يعاني منها الملحدون، وتؤدي ببعضهم إلى الانتحار، وأن تلك هي الحقيقة رغم كراهية زملائه الملحدين الاعتراف بها، ورغبتهم في الاعتقاد بأنهم أكثر سعادة من المؤمنين⁽⁵⁵¹⁾.

(549) انظر مقالا عنه بعنوان: إيفالد إلينكوف، عاش الفيلسوف، مات الفيلسوف، منشور بتاريخ 7/2/2015م، في صحيفة "الأيام" الإلكترونية، عدد 9435، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط: <http://www.alayam.com/online/NA/475589/News.html>، تاريخ الاطلاع 1/6/2022م.

(550) عرف نفسه بأنه كاتب مدافع عن الإلحاد، مقيم في الولايات المتحدة الأمريكية، حاصل على الماجستير من جامعة ويست تشيستر، رئيس تحالف فيلادلفيا للعقل، انظر: مقالة الانتحار بين الملحدين، ترجمة/ محمد سالم، تعليقية/ د. هشام عزمي، مركز الفتنة للبحوث والدراسات، ص.2.

⁽⁵⁵¹⁾ انظر: ستاكس، دوش، مقال عنوان: الاتجاه بين المحدثين، ترجمة/ محمد سالم، تعلية/ د. هشام عزم، نشر مركز الفتنة للبحوث والدراسات، ص. 2، 3، ومكمن.

والكاتب تُشكر له هذه الصراحة والشجاعة في الإقرار بوجود هذه الظاهرة بين فاقدِي الإيمان، بل اختصاصهم بدرجة عالية منها لا تظهر عند مخالفتهم من المؤمنين؛ فإنه قد قرر أيضًا في غاية من الواضح أن الملحدين أكثر ميلاً للانتحار من المؤمنين بالأديان، مثيرةً إلى وجود أسباب منطقية تفسر ذلك، بدأها بسبب أول اعتبره كافياً في إثارة الانتباه لتفسيير هذه الظاهرة، ألا وهو السيطرة الاجتماعية للمؤمنين (بالخرافات) كما يدعي، ونبذهم من يخالفهم في هذا الإيمان، وتنمرهم عليهم، ولا سيما عندما يبحون بشكوكهم الإلحادية، ما يؤدي إلى عزلة الملحدين وقلقهم واكتئابهم⁽⁵⁵²⁾.

والكاتب هنا على عادة الملاحدة الماديين يعتبر الإيمان بما وراء الطبيعة من الغيبيات التي تتحدث عنها الأديان خرافاتٍ كلّها، دون التفات إلى براهين الإيمان العقلية، أو تفريق بين دين فطري عقلاني، ودين مبدلٍ محرفٍ، ودين وضعى مخترع، وفي هذا تجاوز صارخ للمنهج العلمي الذي يقضي بالتفريق بين المخلفات، وعدم الخلط بين أديان متناقضة لمجرد اجتماعها على مبدأ الإيمان بالغيب؛ فإن الغيب لا يرافق العدم كما يتوهם الملاحدة، وليس الإيمان به مَبْتُوت الصلة بالبرهان العقلي كما يقر بعض الفلاسفة المحدثين⁽⁵⁵³⁾، أو كما هو منهج بعض المدافعين عن الأديان المحرفة والوثنية⁽⁵⁵⁴⁾؛ هروباً من الإشكالات العقلية التي تواجهه خرافاتهم.

أما تفسير الكاتب كآبة الملحدين وانتحار بعضهم باضطهاد المؤمنين لهم فبعيد عن الصحة ويكتبه التاريخ؛ فليس كل ملحد يجاهر بإلحاده ويستفز المؤمنين حتى يقع عليه الاضطهاد المزعوم، ومع ذلك فالاكتئاب والانتحار واقع حتى عند المعترفين ممن لم يعرفوا بالصدع بإلحادهم والتبشير به، فلا علاقة للاضطهاد المزعوم باكتئابهم وانتحارهم، كما أن التاريخ والواقع يشهدان بأن أكثر الناس عُرضة للاضطهاد هم المؤمنون، ولا يقارن ما وقع عليهم من العذاب بما يعانيه بعض الملحدين أحياناً، وتشهد بذلك القصص المتواترة عن بني إسرائيل والسحرة مع فرعون، وأتباع المسيح مع الرومان، وأصحاب الأخدود، والمسلمين الأوائل مع كفار قريش⁽⁵⁵⁵⁾، بل يشهد بذلك واقع المسلمين المعاصر في العالم؛ فهم أكثر الناس تعرضاً للاضطهاد والفتنة لمجرد تمسكهم بدينهم، ومع ذلك فالانتحار عندهم نادر بل يكاد ينعدم مقارنة بمجتمع الملحدين، وإنما يحدث الانتحار عند بعض المؤمنين -إن حدث- بسبب جهل بتحرime، أو تأولٍ بجوازه في بعض الأحوال والظروف، كخشية الاغتصاب والتعذيب، لكن المؤمن لا ينتحر قط ولو كان جاهلاً أو متاؤلاً للسبب الذي عند الملحدين، وهو اعتقاد عدم وجود معنى للحياة، واعتقاد عبئيتها ولاجدواها.

ثم يشير الكاتب روش في مقاله إلى سبب آخر لظاهرة اكتئاب الملحد، ألا وهو الصدمة النفسية التي يواجهها الملحد حين يدرك زيف الإيمان الذي لُقِّنه سابقاً من والديه ومجتمعه، فهو فجأة أصبح مدركاً بيقين خلو عالمه من إله يؤنسه ويحميه ويسانده في مواجهة تحديات الحياة وصعوباتها، أو غاية يعيش لأجلها ويكون بها حياته معنى، أو خلود يأمله في حياة أخرى بعد انقضاء حياته وإدراك الموت له⁽⁵⁵⁶⁾.

الاطلاع على الأصل الإنجليزي للمقال الذي نُشر بعنوان: "Atheism Has a Suicide Problem" ، بتاريخ 12/8/2017م في صحيفة "هوف بوست" الإلكترونية عبر الرابط: <https://2u.pw/D7CUP> تاريخ الاطلاع 31/1/2022م.

(552) انظر المرجع نفسه، ص 3، 4.

(553) انظر مثلاً عبد الرحمن بدوي، إيمانوبل كتب، (الكويت: وكالة المطبوعات، ط 1، 1977م)، ص 342.

(554) انظر: ول دبورانت، مباحث الفلسفة، ترجمة/ فؤاد الأهوازي، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط 2، 2016م)، ج 1، ص 16، 17.

(555) انظر تعليق الدكتور هشام عزمي على هذه الفقرة من كلام روش في مقالته السابق ص 4.

(556) انظر المرجع نفسه ص 3، 4.

ولا ينافي العجب من هذا التناقض الذي يقع فيه روش هنا؛ إذ هو يفترض أن الملحد موقن بصحة الإلحاد، وأنه قد تخلص بإلحاده من خرافات الإيمان بالإله، تلك الخرافات التي حرمته سابقاً من السعادة واللذة والمرة الحقيقة، وهذه نقلة يفترض أن تملأها البهجة والفرح والسرور، بهجة التخلص من قيود الدين كما يزعمون، فمن أين تأتي الحسرة والحزن والاكتئاب على مغادرة عالم "الخرافة"؟ أي تناقض أشد من هذا؟! الواقع الذي لا مناص من الاعتراف به: أن مصدر كآبة الملحد حين يغادر إيمانه الفطري بخالقه إنما هو وحشة معاندة الفطرة، ومكابرة براهين الإيمان التي تحيط بعقل الإنسان وحواسه.

والعجب أن الكاتب الملحد يطرح بدليلاً مؤنساً للملحدين، وإنما هو برهان الإيمان لا غير، وذلك عندما يكرر دعوة الملحدين إلى منافسة المؤمنين في المتعة بخرافاتهم الميتافيزيقية بالاستمتاع بعجائب الكون والحياة! فرأى قلق للعقل إذا عاند فطرته التي تشهد بخالق هذه العجائب؟⁽⁵⁵⁷⁾.

ثم عبر الكاتب عن استيائه من الاستشهاد بمقاله ضد الإلحاد، واعتباره شاهداً على أثر قاتل من آثار غياب الإيمان، دون أن يذكر مبرراً لاستيائه أكثر من أن يصر على إلزام القارئ بتفسيره لظاهرة انتحار الملحدين، إلا وهو اضطهاد المؤمنين لهم⁽⁵⁵⁸⁾، دون التفسير المنطقي الأقرب، وهو وحشة الإلحاد في نفسه وإعدامه لأي معنى يستوجب عشق الحياة والتثبت بها، ولا سيما إذا كانت مشوبة بالمعاناة والصعوبات كما هي حياة أكثر الناس. وعبّا يحاول الكاتب بسطحية تسليمة الملحدين بتقبل الحقيقة الصادمة، وتجاوز الصدمة بالاستمتاع بحقائق الكون والحياة وعجائب الوجود⁽⁵⁵⁹⁾!

كما يوصي بتكاتف الملحدين ومواساة بعضهم قبل السقوط والانتحار. ويعرف بتفوق مجتمع المؤمنين في هذا الجانب، وأن الشقاق والافتراق والتنافر من سمات الملحدين، فلو اجتمع منهم ثلاثة لتفرقوا دون اتفاق على رأي، ويطلب الكاتب الملحدين بالتسامح والتكاتف رغم الخلاف، فليس بالضرورة الاتفاق في الرأي؛ لتحصيل المودة والألفة والتضامن والتعاون في مواجهة كآبة الإلحاد⁽⁵⁶⁰⁾.

والحقيقة أن ما قرره هذا المقال من توصيف نفسية الملحدين وبؤس وضعهم الاجتماعي، وما يعانونه جراء الانتقال من حال الإيمان إلى حال الإلحاد، من خير الشواهد على ما قرره هذا البحث من التلازم المنطقي والنفسي بين الإلحاد وبين التّيه النفسي والقلق الفكري المؤدي للاكتئاب ثم الانتحار.

الخاتمة والنتائج:

في ختام بحثه خلص الدكتور العريفي أهم نتائج البحث في الفقرات التالية:

- 1- أن الانتحار في مجتمع المثقفين الملحدين ظاهرة حقيقة، تؤكدها الواقع المؤكدة، ولا ينكرها الملحدون أنفسهم، بل من فلاسفتهم من سوّغ للانتحار فلسفياً، وسوق له ودعا إليه.
- 2- أن السبب الرئيسي لانتحار الملحد هو كآبة فقدان معنى للحياة، يعين على تحمل أعبائها وتحدياتها، وذلك المعنى غير متوفّر بدون إيمان الذي يعانيه الملحد ويصر على كبت فطرته الداعية إليه.
- 3- ندرة الانتحار في مجتمع المؤمنين مقارنة بالملحدين، حتى مع تعرض المؤمنين لاضطهاد والكوارث والمصائب،

(557) انظر التعليق الرابع للدكتور هشام عزمي على هذه الفقرة من كلام روش في مقاله السابق ص.6، وكذلك سائر تعليقات الدكتور على المقال.

(558) انظر المرجع نفسه، ص.5.

(559) انظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(560) المرجع نفسه، ص.6-8.

وإن حصل الانتحار من مؤمن فهو غالباً منحصر في غير المثقفين، من الجهل والأحداث، لكن المؤمن لا ينتحر أبداً لأجل السبب الذي عند الملحد، وهو اعتقاد عبئية الحياة ولأجدها.

4- أكثر الفلسفات الإلحادية تمييزاً للانتحار: العدمية، ثم العبئية والوجودية، ومن أشهر رموز هذه الفلسفات التساؤمية: شوبنهاور، نيتشه، كامو، هايدجر.

5- زيف تفسير ظاهرة الانتحار بين الملحدين بتنمر المؤمنين عليهم، وصواب تفسيرها بوحشة معاندة الفطرة وقلق مناقضة براهين الإيمان.

المبحث السابع: الملاحدة أكثر انتحاراً وعدوانية

نشرت مجلة "طب النفس" الأمريكية دراسة مشابهة أثبتت تأثيراً قوياً لل تعاليم الدينية على الحد من ظاهرة الانتحار، وأن نسبة الانتحار لدى الملحدين متسرعة، وأن الملحدين أكثر عدوانية من غيرهم، وأنهم أكثر الناس تفككاً اجتماعياً، وليس لديهم أي ارتباط اجتماعي؛ لذلك كان الإقدام على الانتحار سهلاً بالنسبة لهم، ولقد انتهت الدراسة إلى أن الثقافة الدينية هي علاج مناسب لظاهرة الانتحار والتمسك بالحياة.

فلا يتصور أن ينعم أي إنسان بحياة سعيدة ومطمئنة وهناك انفصال بخالقه وخالق هذا الكون، الذي لم يخلقه عبثاً، والإنسان جزء أصيل من هذا الكون وأية انفصال بخالقه يحدث خللاً ما في كيان ونفسية الإنسان، فالإنسان الملحد عندما يقرر التخلص عن فطرته وإيمانه بوجود خالق عظيم لهذا الكون ويبدأ المضي في طريق الإنكار ذلك، ومهما وصل بعدها في تحقيق أحلامه وأهدافه الدنيوية سيظل هناك جانب مظلم يخيم عليه، هو أشبه باختناق الروح، فيشعر دائمًا أن هناك إشكالية نفسية تواجهه، لاسيما أن الروح من روح الله ، فكيف يسعد الإنسان ويطمئن وهناك انقطاع تام بالخالق؟! إذ لا بد أن يحدث خلل كبير في نفس وروح الإنسان جراء هذا الخواء.

والعجب أن هناك من الملحدين من يبررون ويمدحون ذلك، فهم يرون أن الملحد شخص ذكي، حيث استطاع استيعاب أن الحياة ليس لها معنى، ومن ثم يتربى على ذلك عدم رغبته في العيش مع البشر، وما قد يعقبه من اتخاذ قرار بالتخليص من حياته.

وكثيراً ما يزعم الملحد أن إلحاده لم يمنعه من الحرية المطلقة، وأنه قد منحه الكثير من السعادة، وقطعاً هذا الأمر غير حقيقي، لأن النتيجة المتربعة على إلحاده والاحتمالية أيضاً، هو إما العودة إلى إيمانه بخالقه أو الانتحار.

المبحث الثامن: قائمة المنتحرین من الملاحدة.. طويلة ومستمرة

ولقد أظهرت الدراسة -التي أعدّها كل من: الدكتور "جوس مانويل" والباحثة "أليساندرا فليشمان"- أن أعلى نسبة للانتحار على الإطلاق كانت بين الملحدين واللادينيين.

كما أكدت الدراسة أيضاً على أن نسبة الانتحار زادت كثيراً في الخمسين سنة الماضية، باعتبارها الحقبة التي شهدت معدلات مطردة في تفشي ظاهرة الإلحاد.

وفي دراسة أخرى أجرتها باحثون أمريكيون العام 2004 بهدف بحث علاقة الانتحار بالدين، انتهت إلى أن أكثر المنتحرين هم الملحدون.

لقد بات انتحار الملحدين في العالم أمراً جلياً ولافتاً للنظر، ولا يُحتاج للتتأكد من حقيقة ارتفاع نسبة المنتحرين

إلى دراسة، في أوروبا توجد جروبات للملحدين يتم من خلالها الاتفاق على اختيار يوم معين وساعة محددة للانتحار الجماعي؛ فكيف لأي إنسان يعيش دون أن يعرف ماهية وجوده على الأرض؟، كيف أعيش وأنا أعلم أن الكون ليس له إله وأن حياتنا مجرد رحلة عبئية ثم نفني دون جدوى؟

ولذلك لن نستغرب عودة الكثير من ملحدى العرب إلى الإسلام مرة أخرى بعد سنوات قليلة من إلحادهم، حيث أدركوا أن السعادة والحرية ليس في التحرر من القيود التي يفرضها الدين كما كانوا يزعمون، وأن الفطرة البشرية التي خلق الله تعالى الإنسان هي فقط منبع السعادة الحقيقي، وأن فكرة التخلص من الدين كونه يفرض قيوداً، هي المعنى الحقيقي للعبئية، فأنا مجتمع أن يعيش دون ضوابط وقوانين تنظم حياة البشر فيه؟ وفي الوقت الذي يتباھي فيه الملحدون بأنهم أكثر حرية من أولئك المُتدينين، ويعيرون عليهم التزامهم بثوابت دينية وأخلاقية واجتماعية وإنسانية، فإن قائمة المنتحرين ما زالت طويلة ومستمرة، كما أن الإحصائيات والدراسات تؤكد أنهم الأكثر يأساً وإحباطاً وتفككاً وتعاسة من غيرهم، وأن كثيراً منهم يُنهي حياته انتحاراً على طريقة (نعيمة البزار) صاحبة روايتي: (في خدمة الشيطان) و(عشاق الشيطان).

وهنا ثمة قصة قصيرة لحياة بائسة، لها نفس البداية، والحكمة الدرامية، والنهاية:

تبدأ القصة بالتمرد على الإسلام، ثم التحول إلى الإلحاد، والإباحية، فيحوله إعلام الغرب إلى بطل، ثم يستخدمه رأس حربة ضد قيم ومبادئ الدين الإسلامي القويم، أو يتخذه وقوداً ضد المسلمين، ثم يعيش المتمرد في حواضر الغرب، فيذبل رونقه الكاذب، وينطفيء بريقه الزائف، ويتحول إلى شخص تافه بين ملايين التافهين العدميين، ثم ينتحر كمداً بعد صراع طويل مع الإسلام.

المبحث التاسع: قائمة البلدان الأكثر نسبةً للانتحار

القائمة التالية تقدر نسب الانتحار حسب البلد طبقاً للبيانات المقدمة من منظمة الصحة العالمية:
ليتوانيا، روسيا البيضاء، روسيا، كازاخستان، المجر، غيانا، سلوفينيا، لاتفيا، اليابان، كوريا الجنوبية، أوكرانيا، جمهورية الصين الشعبية، سريلانكا، بلجيكا، إستونيا، فنلندا، كرواتيا، صربيا، الجبل الأسود، هونغ كونغ، فرنسا، سويسرا، النمسا، مولدوفا، بولندا، التشيك، الأوروغواي، لوكمبورغ، الدنمارك، كوبا، سلوفاكيا، سيشل، السويد، بلغاريا، ألمانيا، ترينيداد وتوباغو، رومانيا، سورينام، آيسلندا، نيوزيلندا.

المبحث العاشر: ما قاله مشاهير الملحدين ورؤوس الطغيان لحظة موتهم

- 1- سيزر بورجيا: "في حياتي كنت أستعد لكل شيء إلا الموت، وأنا الآن أموت ولست مستعداً لهذا".
- 2- توماس هبس (فيلسوف سياسي): "أنا على وشك القفز في ظلام، ولو كنت أمثلك العالم في هذه اللحظة لدفعته لشراء يوم واحد في الحياة".
- 3- توماس باين: (وهو كاتب ملحد عاش في القرن الثامن عشر)، قال: "أرجوكم لا تتركوني وحيداً، يا إلهي ماذا جنلت لأسحق هذا، لو أن لي العالم كله ومثله معه لدفعت به هذا العذاب، لا تتركوني وحيداً ولو تركتم معى طفلاً فإني على شفير جهنم إنني كنت عميلاً للشيطان".
- 4- السير توماس سكوت: وهو مستشار إنجليزي توفي في عام 1594م قال وهو يموت: "حتى لحظات مضت لم أؤمن بوجود الله أو نار، ولكن الآن أناأشعر بوجودهما حقيقة، وأنا الآن على شفير العذاب وهذه عدالة القضاء الرباني".
- 5- فولتير: وهو فيلسوف فرنسي ملحد مات عام 1777م قال موجهاً كلامه للطبيب المعالج فوشين: "لقد أهملني رب الناس وساعدني نصف ما عندي إذا أبقيتني حياً لستة أشهر، أنا ميت وسأذهب إلى الجحيم!".
- 6- ممرضة فولتير: "لو أعطيت كل أموال أوروبا فلا أريد أن أرى شخصاً ملحداً عانياً مثله وكان يصيح طوال الليل طلباً للمغفرة".
- 7- ديفيد هيوم: وهو مؤرخ اسكتلندي وملحد مات عام 1776م قال عنه من رأه في موته: "كان يصبح النيران تحرقني بلهبها"، وكان يائساً وقائطاً لدرجة تثير الشفقة.
- 8- نابليون بونابرت: الإمبراطور الفرنسي الذي قتل الملايين لإشباع جنون العظمة عنده وحب حكم العالم قال: "ها أنذا أموت قبل وقتي وأعود إلى باطن الأرض وأنا الإمبراطور الأعظم، شتان ما بين الهاوية التي أقع فيها وبين جنة الخلد".
- 9- السير فرنسيس نيوبورت: رئيس نادي الملحدين البريطانيين، قال لمن حول سريره وقت موته: "لا تقولوا لي لا يوجد إله، فأنا الآن في حضرته، ولا تقولوا لي لا توجد جهنم فأنا الآن أحس بأني أنزلق فيها تعسفاً، وفروا كلامكم فأنا الآن أضيع، إنها النار التي لو عشت ألف سنة لكذبت بها ولو مضت ملايين السنين لما تخلصت من عذابها آه إنها النار!".
- 10- الملك شارلز التاسع: وهو ملك فرنسي قتل عشرات الآلاف من المسيحيين البروتستانت في فرنسا عام 1572م لأنهم على غير دينه الكاثوليكي، قال في موته لأطبائه: "إنني أرى هؤلاء الذين قتلتهم يمرون أمامي وجراحهم تنزف وهم يشيرون إلى، إنني أرى مصربي، لقد أخطأت وَضِعْتُ إلى الأبد".
- 11- ديفيد ستراوس: وهو كاتب ملحد ألماني الجنسية، توفي عام 1874م، قال في موته: "لقد خذلتني فلسفتي وأشعر بأنني بين فكي ماكينة ذات أسنان لا أدرى في أيّة لحظة تطحني!".
- 12- وفي مقابلة مع مجلة (نيوزويك) الأمريكية تحدثت سفتلانا ستالين ابنة الدكتاتور الشيوعي الروسي "جوزيف ستالين" عن لحظة موت أبيها فقالت: "لقد كانت ميتة أبي شنيعة، ففي لحظة موته فتح عينيه فجأة وحملق في الموجودين بنظرة جنونية غاضبة وأوّما بيده اليسرى إلى شيء ما يحوم فوقنا وكانت إيماءة تهديد ثم أسلم الروح".

13- أنتون ليفي: مؤسس كنيسة عبادة الشيطان ومؤلف (إنجيل الشيطان) توفي عام 1997م، كان يصرخ عند موته: "ماذا فعلت؟ لقد ارتكبت خطأ جسيماً"، وكان يطلب الصفح والغفران من الله تعالى : {لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} [ق: 22].

المبحث الحادي عشر: هل الملاحدة أكثر سعادة؟

إذا كان الملاحدة أكثر سعادة، فلماذا ينتحر الشباب في اليابان رغم سمعتها العالمية بوصفها دولة مزدهرة ومتقدمة تقنياً؟!

إنَّ اليابان تُكابد ظاهرة اجتماعية خطيرة تتمثل في الأعداد الكبيرة للمنتحرين خاصة بين صفوف الشباب. ووفقاً لبيانات عام 2020، بلغ عدد حالات الانتحار في اليابان 20.919 حالة، بزيادة 750 شخصاً (7.3%) مقارنة بأرقام العام السابق، وغالباً ما تعزو طوكيو زيادة نسب الانتحار إلى انعدام الأمان الوظيفي وزيادة الأعباء المرتبطة برعاية الصغار، فضلاً عن تداعيات فيروس كورونا وما صاحبها من انعدام اليقين بشأن المستقبل، وعزلة إجبارية تسببت في زيادة مطردة في معدلات الاكتئاب والاضطرابات النفسية.

نص التقرير:

في الشمال الغربي من جبل فوجي المهيء في أوكيفاها را باليابان، وعلى مد البصر، تقع مساحة مترامية الأطراف من الأشجار التي نشأت وترعرعت على مدار مئات السنين لتكون غابة أوكيفاها را الشهيرة أو "بحر الأشجار". صبيحة أحد الأيام، يتوقف الجيولوجي الياباني "أزوسا هايانيو" بسيارته عند مدخل الغابة؛ ليبدأ عمله المعتاد في دراسة الثورات البركانية، وحماية البيئة بشكل عام، عمل يضطربه -دائماً- إلى الولوج في ثنايا الغابة الكثيفة إلى قاعدة جبل فوجي الماكث بشموخ كأنه شيخ عجوز يُملي دروس الحياة على زائريه.

يتزلج "هایانو" ملتقطاً أغراضه ليبدأ رحلته إلى الشيخ العجوز التاجر عام 864 م ملقياً بحممه وقتها على الغابة، ثوران بركاني قديم ساعد الأشجار والنباتات عضوياً على النمو بكثافة؛ لتصبح جذورها متعرجة ممتدة على أرض غير مستوية، ومكوناً -أيضاً- مئات من الأخدود والكهوف مختلفة الأحجام؛ لتصبح الغابة أرضاً مناسبة لاختفاء أي شيء، وأي شخص!

يتنقل "هایانو" بصعوبة بين الأغصان الكثيفة في المكان الذي يصفه اليابانيون (هوة الفراغ)، بينما تنتشر في أماكن مختلفة لوحات وضعها الحكومة اليابانية، كُتب على بعضها عبارات غريبة لغير اليابانيين مثل "حياتك عبارة عن هدية ثمينة من والديك، فكر بهما وبقيمة أفراد عائلتك، لست مضطراً إلى المعاناة وحدك"، لوحات تبدو للوهلة الأولى أنها أخطأت طريقها للغابة؛ بينما يقع تحت العبارات رقم خط هاتف ساخن.

يتخطى "هایانو" أشرطة ملونة إرشادية رسمية لمنع الزوار من الضياع ومن ثم الموت، وبينما يسير تلفت نظره خيمة صفراء بعيدة نسبياً، يتوجه إليها ثم يفحصها مع أغراض أخرى؛ ليقدر أنها هنا منذ بضعة أشهر، وعلى الفور يبدأ "هایانو" في الالتفات ومنظاره فوق عينيه متوقعاً على الأغلب ما سيجد، ثم يقترب من شيء يبدو وكأنه ملابس شخص ما ليجدتها جثة متحللة، وبجوارها على ساق إحدى الأشجار خشبة معلقة كُتب عليها اسم الشخص، وعبارة "لقد جئت إلى هنا؛ لأنَّه لا شيء جيد يحدث في حياتي"، مشهد يليق بفيلم رعب مألف في وقت آخر؛ لكن "هایانو" اعتاد على ما وجد، فهذه ليست مرته الأولى، وقد عثر قبلًا؛ وحتى حينه؛ على أكثر من مئة جثة أثناء ممارسة عمله في الغابة، غابة تحولت بشكل ما إلى أرض للموت.

شهر الرُّعب الياباني:

في المعتاد، فإنَّ ظاهرة مثل الانتحار ليس لها وقت نمطي، إلا أنَّ اليابان خالفت القاعدة غير المكتوبة، وأصبحت تُعرفُ منذ وقت ليس بالقصير شيئاً أشبه بشهر رعب ياباني، أو سبتمبر /أيلول من كل عام. تنتهي عطلة الصيف وتبدأ الدراسة في بداية سبتمبر /أيلول، وهو أمر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالآفة الانتحار اليابانية

العلاقة؛ ففي دراسة حكومية من قبل مكتب رئيس الوزراء الياباني، غطت أكثر من 18 ألف حالة انتحار، في الفترة بين عامي 1972 و2013، وفي شريحة عمرية خاصة بالأطفال والراهقين الذين تقل أعمارهم عن 18 عاماً، عرفت اليابان من خلالها أن معظم الأطفال الذين أقدموا على الانتحار، تخلصوا من حياتهم في أواخر شهر أغسطس / آب، وخلال شهر سبتمبر / أيلول، ومنتصف شهر أبريل / نيسان، على الترتيب؛ أي أن حالات الانتحار تزداد مع بداية العام الدراسي والتحق الطلاب بالمدارس، فضلاً عن أن عدد حالات الانتحار كان أقل في منتصف العطلات، وبينت أن السبب الرئيس للانتحار بين طلاب المدارس الابتدائية والإعدادية هو المشاكل العائلية المتمثلة في التوبخ من الوالدين والاحتكاك المستمر معهم.

ولا يقتصر الأمر على المشاكل العائلية فقط؛ وإنما يمتد ليصل لما يعرفه العالم بـ(التنمر)؛ حيث تساهمن مضائقات الطلاب لبعضهم البعض في المدارس في انتحار الضعفاء منهم، وتمثل العودة المدرسية من إجازة الصيف كابوساً نفسياً، الكثير من الطلاب غير مؤهلين للتعامل معه.

وفي عام 2006، وبعد إجراء تحريات دقيقة حول الأطفال المنتحرين، لاحظ رجال الشرطة أن معظمهم كانوا يتعرضون لضغوط مدرسية متواصلة، وأنها هي المصدر الأساس لمشاكلهم. فتقول المعلمة "يومي ناكاتا": "إذا كنت من اليابان؛ فإنك حتماً تعرف شخصاً منتحرًا أو اثنين، فأنا أعرف شخصين، إحداهما فتاة درست معي في المدرسة الثانوية، وقامت بشنق نفسها؛ لأنها كانت تتعرض لمضايقات من قبل أصدقائها في المدرسة".

كما تشكل امتحانات القبول ضغطاً آخر على المراهقين والشباب؛ لأنها تعتبر من أصعب الاختبارات على مستوى العالم، ويواجهها الطالب منذ صغره، فإلى جانب المدرسة، يذهب طلاب المدرسة الابتدائية وكذلك الإعدادية إلى ما يسمى بـ(مدرسة الإلزام)، وهي عبارة عن مدارس متخصصة تدرب الطلاب على تحقيق أهداف معينة؛ مثل الحصول على درجات جيدة، أو اجتياز امتحانات القبول في المدارس الثانوية أو الجامعات، وهو الأمر الذي يقوم به طلاب المدارس الثانوية؛ لاجتياز مرحلة القبول فيها، ثم يقومون بذلك مرة أخرى للالتحاق بالجامعة. ومن ثم يولد التعرض لمثل هذه الاختبارات في مرحلة عمرية مبكرة، مع استمرارها لسنوات، حالة من الضغط والقلق الهائل خشية الفشل في اجتياز أيٍ منها؛ وبالتالي يبدو الانتحار هنا مخرجاً مثالياً.

ويستمر الضغط النفسي الواقع على الشاب أثناء وبعد تخرجه من الجامعة أيضاً، فيجري العرف على أن يتم التوظيف في وقت واحد من كل عام للخريجين، فتببدأ الشركات في البحث عن الطلاب المؤهلين أثناء الجامعة وبعد التخرج كل عام في موعد محدد.

ومن ثم يكون هناك تنافس كبير من قبلهم على هذه الوظائف، وترتبط حياة الشاب بهذه الوظيفة، فإذا ما فشل في الحصول عليها، يعني هذا أن حياته أصبحت محكوماً عليها بالفشل وميئوساً منها؛ ومن ثم يميل إلى الشعور بالاكتئاب. ويوضع هذا النظام الطلاب في ضغط هائل؛ لأن عليهم البحث وإعداد أنفسهم للوظائف المرموقة، فيكون التناقض عنيفاً حد التخلص من الحياة في حال الفشل، ويشكل الانزواء والانطواء أو ما يعرف بظاهرة "هيكيكوموري" أولى علامات الانتحار، وهي تعني الانسحاب الاجتماعي الحاد، حيث ينسحب الشباب من الحياة الاجتماعية تمهيداً للتخلص من حياتهم بالكلية. وتُعرَف وزارة الصحة والعمل والرفاه اليابانية "الهيكيكوموري" بأنهم الأشخاص الذين يرفضون مغادرة منازلهم حيث يبدأ الشاب في الانعزal في غرفته الخاصة لمدة أشهر وربما سنوات دون الخروج، إلى أن يقرر التخلص من هذا الجحيم.

وإذا ما حصل الشاب على الوظيفة بعد التخرج، فربما يصبح عرضة لظاهرة "الكاروشى" والتي تعنى: "الموت إرهاقاً من العمل"، فثقافة العمل المرهقة منتشرة ومتجذرة في المجتمع الياباني بشكل غير مألف، وفي بعض الأحيان يدفع الإرهاق العقلي والجسدي الأفراد إلى الانتحار.

في البلاد العربية وأغلب دول العالم، هناك أنشطة بديهية مثل قضاء بعض الوقت مع العائلة، والقيام بالأشياء المفضلة لكل شخص، أما في اليابان فمسألة التوازن بين العمل والحياة غير مطروحة بالأساس؛ ومن ثم يظل الفرد عاملاً بلا هواة إلى أن تنهار قواه العقلية والنفسية، ويقرر التخلص من حياته.

ويبدو أن الأمر له جذوره التاريخية، ففي العام 1970 كانت الأجور زهيدة، وأدى ذلك إلى كثرة الطلب على الموظفين؛ لتعظيم أرباح أصحاب العمل وتوسيع عملياتهم، وفي منتصف عقد الثمانينيات حدثت تشوهات في النظام الاقتصادي في البلاد، أدت إلى تغذية أسعار الأسهم والعقارات؛ فأخذت ترتفع إلى مستويات قياسية؛ لينتاج عن ذلك طفرة في النمو الاقتصادي عرفت باسم "اقتصاد الفقاعة"، ونمّت شريحة أطلق عليها "العمال ذوو الياقات البيضاء".

وفي ذروة اقتصاد الفقاعة، كان يعمل 5% من سكان البلاد حوالي 60 ساعة أسبوعياً، أي أضعاف ساعات العمل في الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا في ذلك الوقت، وبالتالي حدثت نهضة اقتصادية أوصلت اليابان لتكون ثاني أكبر قوة اقتصادية في العالم آنذاك.

وفي العام 1990 انفجرت الفقاعة، وأدت إلى إعادة هيكلة الشركات، فيما عرف حينها بمصطلح "العقد الضائع"، وكان الموظفون يتعمدون البقاء في العمل خشية أن يتم تسريحهم.

وحينما دخلت العمالة غير النظامية، تسبّبت النظميون بأعمالهم أكثر، وأصبحوا يكبحون بشكل أكبر، وأحياناً دون مردود مادي أو أمان وظيفي، فقط بغية عدم تسريحهم من الوظيفة.

ويتحدث "كوجي موريوكا" الأستاذ الفخرى بجامعة كانساي، والذي يتّرأّس لجنة من الخبراء الذين يقدمون المشورة للحكومة اليابانية حول سبل مكافحة ظاهرة "كاروشى"، قائلاً: "في أماكن العمل اليابانية، هناك دائماً العمل الإضافي، وهو يبدو كما لو أنه جزء من ساعات العمل المقررة تقريباً، وهو ليس إجبارياً من صاحب العمل، ولكن العمال يشعرون كمالي أنه إلزامي".

وتقدر ساعات العمل الأساسية بـ 40 ساعة في الأسبوع، ولكن العمال لا يتركون الساعات الإضافية أيضاً، خوفاً من الحصول على تقييم أداء سلبي وهو ما أدى إلى نشوء مفهوم "خدمة العمل الإضافي"، تلك الخدمة التي أصبحت مجانية.

ويقدر الخبراء عدد "الكاروشى" أو من يعملون بإرهاق يقود للموت بالآلاف، فوفقاً لمجلس الدفاع الوطني لضحايا "الكاروشى"، فإن أعداد الموتى يصل إلى 10آلاف سنوياً.

"كيوتاكا سيريزاوا": يبلغ من العمر 34 عاماً، ويعمل في شركة لصيانة المباني السكنية، ووصلت ساعات عمله إلى 90 ساعة أسبوعياً؛ أي ما يقرب من 13 ساعة يومياً دون عطلات؛ حيث كان يعمل مشرقاً على عمال نظافة المباني في ثلاثة مواقع منفصلة في مدينة "كاшиوا" شمال شرق طوكيو؛ ومن ثم كان يكافح من أجل استمرار سير العمل.

تقديم "سيريزاوا" باستقالته قبل عام ولكن تم رفضها، وكان يتوقف أحياناً عند منزل والديه لينام قليلاً؛ بينما يتبع عمله بين الواقع، وفي 26 يوليو/تموز 2015 اختفى "كيوتاكا" بلا أثر، ولم يعثروا عليه لثلاثة أسابيع كاملة.

ثم وجدوا جثته في سيارته في مقاطعة ناغانو، قريباً من المكان الذي كان يذهب إليه مع عائلته في العطلات للتخييم وهو طفل؛ حيث قام بإحراق قطع من الفحم في سيارته، منتحرًا بالتسنم بغاز أول أكسيد الكربون.

"ماتسوري تاكاهاشي": صاحبة الـ 24 عاماً، وخريجة جامعة طوكيو المرموقة، في بداية عام 2016 قامت بالقفز من عنبر النوم بالشركة التي كانت تعمل فيها، حيث أعلن مكتب العمل أن "تاكاهاشي" طلب منها العمل لمدة 100 ساعة أو أكثر من العمل الإضافي في الشهر الواحد، وعلى مدار الأشهر الأخيرة في حياتها، في وكالة الإعلانات البارزة دنسسو، وغالباً ما كانت تحصل على أقل من ساعتين للنوم ليلاً، ونادراً ما كانت تأخذ يوم عطلة.

النظرة التاريخية للانتحار في اليابان:

يمكن تفسير هذا الأمر من النظرة التاريخية لدى اليابانيين حول الانتحار، ففي الدين الإسلامي، يعد الانتحار محرماً، في حين نجده في البوذية فضيلة، ورمزاً لتحمل المسؤولية أو كما يسمى "انتحار الشرفاء".

كما أن المحارب القديم أو الساموراي كان يمارس طقوس الانتحار أو "هارا كيري"؛ وذلك لتجنب القبض عليه وتغذيبه، حتى لا يظهر بمظهر الضعيف أو الجبان، يتحسس معدته في هدوء ثم يقوم بغرس سيف أو خنجر حاد فيها، وهو يرتدي الثوب الأبيض، قبل أن يهبط محارب آخر بالسيف على عنقه، وكذا فعلها "الكاميكاز" في الحرب العالمية الثانية بعد الهزيمة، ومن ثم فلا يُنظر إلى الانتحار بشكل عام في اليابان كونه فعلًا مشيناً.

الباب الثامن: الأخلاق عند الملاحدة.

ويشتمل على المباحث التالية:

من ادعاءات الملاحدة: نسبية الأخلاق.

مفهوم الأخلاق في الإسلام.

الانحطاط النفسي والأخلاقي وراء الإلحاد.

الإلحاد والأخلاق الفاضلة.. طرفي نقىض.

إذا كان الإله خرافه، فكل شيء مباح.

المبحث الأول: من ادعاءات الملاحدة: نسبية الأخلاق

أما دواعي الكفر بالخالق بعد وضوح الأدلة على وجوده فهي حتماً دواع تستند إلى مجموعة من ردائل الأخلاق، منها الكبير، ومنها ابتعاد الخروج على طاعة من تجب طاعتها؛ استجابةً لأهواء الأنفس وشهواتها، ومنها نكران الجميل وجود الحق...⁽⁵⁶¹⁾

يعمل الملاحدة والماديون وأذنابهم في خطٍّ خبيثٍ ماكرة على هدم صرح الأخلاق من خلال دعوى أنَّ الأخلاق أمورٌ اعتباريةٌ نسبيةٌ لا ثبات لها، تختلف من مكانٍ إلى مكانٍ، ومن زمانٍ إلى زمانٍ، ومن أمةٍ إلى أمةٍ؛ فالذي يعتبر مُنافياً للأخلاقِ عند شعبٍ من الشعوب لا يعتبر مُنافياً للأخلاقِ عند شعبٍ آخر، وبعض ما كان مُستنكرًا فيما مضى قد يعتبر مُستحسنًا في عصرٍ آخر؛ فالأخلاقُ عند هؤلاء مفاهيمٌ اعتباريةٌ تتواضعُ عليها الأمم والشعوب، وليس لها ثباتٌ في حقيقتها.

(وإنَّ أسباب المغالطةِ عند أصحابِ فكرةِ نسبيةِ الأخلاقِ، ترجعُ إلى ثلاثةٍ:

الأول: تعميمهمُ اسم الأخلاقِ على أنواعٍ كثيرةٍ من السلوك الإنساني؛ فلم يميزوا الظواهرُ الخُلقيَّة عن الظواهرِ الجمالية والأدبية، وعن العاداتِ والتقاليدِ الاجتماعية، وعن التعاليمِ والحكامِ المدنية أو الدينية البحتة، فحشروا مفرداتِ كلِّ هذه الأمور تحت عنوانِ الأخلاقِ، فأفضى ذلك بهم إلى الخطأ الكبير، وهو حكمُهم على الأخلاقِ بأنَّها أمورٌ اعتباريةٌ نسبيةٌ.

الثاني: أنَّهم جعلوا مفاهيمِ الناسِ عن الأخلاقِ مصدراً يرجعُ إليه في الحكمِ الأخلاقيِّ، مع أنَّ في كثيرٍ من هذه المفاهيمِ أخطاءً فادحةً، وفساداً كبيراً يرجعُ إلى تحكمِ الأهواءِ والشهواتِ والعاداتِ والتقاليدِ فيها، ويرجعُ أيضاً إلى أمورٍ أخرى غير ذلك، والتحري العلميُّ يتطلبُ من الباحثين أن يتبعوا جوهَرَ الحقيقةِ حيث توجدُ الحقيقة، لا أن يحكموا عليها من خلال وجهة نظرِ الناسِ إليها، فكلُّ الحقائقِ عرضةٌ لأن يُثبتُها مُثبتون، ويُنكرُها مُنكرُون، ويُشككُ بها مُشككون، ويُتلاعبُ فيها مُتلاعبون، ومع ذلك تبقى على ثباتها، لا تؤثرُ علمها آراءَ الناسِ فيها.

الثالث: اعتمادُهم على أفكارِهم وضمائرِهم فقط، وجعلها المقياسَ الوحيد الذي تُقاسُ به الأخلاقُ.

المبحث الثاني: مفهوم الأخلاق في الإسلام

أما مفاهيمُ الإسلام فإنَّها قد ميزتُ الأخلاقَ عمما سواها، وميرتُ السلوكَ الأخلاقيَّ عن سائر أنواعِ السلوكِ الإنسانيِّ، فلم تعممْ تعميماً فاسداً، ولم تدخلْ في مفرداتِ الأخلاقِ ما ليس منها، وهي أيضاً لم تعتمدْ على مفاهيمِ الناسِ المختلفةِ، ولم تأخذُها مصدراً يرجعُ إليها في الحكمِ الأخلاقيِّ، وأما العقلُ والضميرُ فإنهما لم تهملهما وإنما قرنتُهما بعواصمِ يردهما إلى الصوابِ كلَّما أخطأَ سبيلَ الحقِ والهدايةِ والرشادِ، وهذا العاصمُ هو الوليُّ الذي نزلَ بدينِ اللهِ لعبادِه، وشرائعه لخلقِه، وتعاليمه التي لا يأتِها الباطلُ من بينِ يديها ولا من خلفها؛ لأنَّها تنزيلٌ من عزيزٍ حكيمٍ، وقد بلغَها رسولُه، أما صورُها المثلَى المحفوظةُ من التغييرِ فهي ما ثبتَ في نصوصِ الشريعةِ الإسلاميةِ المترفةِ على رسولِ اللهِ محمدٍ صَلَوَاتُ اللهِ وسَلَامُه عليه وعلى سائرِ الأنبياءِ والمرسلينِ.

فمن تبصرَ بالأصولِ العامةِ للأخلاقِ في المفاهيمِ الإسلاميةِ، وتبصرَ بأنَّ الأخلاقَ الإسلاميةَ مقتنةٌ بالوصايا والأوامرِ والنواهيِ الربانيةِ، وتبصرَ بأنَّ هذه الوصايا والأوامرِ والنواهي محفوفةٌ بقانونِ الجزاءِ الإلهيِّ بالثوابِ والعِقابِ، فإنه لا بدَّ أن يظهرَ له بجلاءٍ أنَّ الأخلاقَ الإسلاميةَ هي حقائقٌ في ذاتها، وهي ثابتةٌ ما دامَ نظامُ الكونِ

(561) موسوعة الأخلاق والسلوك، موقع الدرر السنية على الإنترنت.

ونظام الحياة ونظام الخير والشرّ أموراً مستمرةً ثابتةً، وهي ضمن المفاهيم الإسلامية الصحيحة غير قابلة للتغيير ولا للتبديل من شعب إلى شعب، ولا من زمان إلى زمان.

أما الأمة الإسلامية فهي أمة واحدة، وهي لا تتوافق فيما بينها على مفاهيم تخالف المفاهيم التي يبيّنها الإسلام والتي أوضحتها في شرائعه ووصاياته.

إذا رجعنا إلى مفردات الأخلاق الإسلامية وجدنا أن كلّ واحدٍ منها - ضمن شروطها وقيودها وضوابطها - ذات حقيقةٍ ثابتةٍ، وهي غير قابلةٍ في المنطق السليم للتحول من حسنٍ إلى قبيح، أو من قبيح إلى حسنٍ. إنَّ حسنَها حسنٌ في كُلِّ زمانٍ، وقبحَها قبيحٌ في كُلِّ زمانٍ، ولا يُؤثِّرُ على حقيقتها أن تتوافق بعض الأمم على تقبیح الحسن منها، أو تحسين القبیح؛ تأثراً بالأهواء، أو بالشهوات، أو بالتقاليد العمیاء.

إنَّ الإسلام يقرُّ أنَّ حبَّ الحقِّ وكراهية الباطل فضيلةٌ خُلقيَّةٌ، ويقرُّ أنَّ كراهية الحقِّ وحبَّ الباطل رذيلةٌ خُلقيَّةٌ، فهل يشكُّ أحدٌ سوياً عاقلاً في أنَّ هذه الحقيقة حقيقةٌ ثابتةٌ غير قابلةٌ للتحول ولا للتغيير، وإنْ تتوافق على خلافها جماعةٌ ذات أهواء؟! وهكذا سائر الأمثلة الأخلاقية الإسلامية).⁽⁵⁶²⁾

المبحث الثالث: الانحطاط الأخلاقي والنفسي وراء الإلحاد

إنَّ هذا التحول في الإلحاد لم يكن وليد يوم وليلةٍ، بل جاء نتيجة مراحل من الانحطاط التي مرَّت بها المجتمعات الأوروبية؛ هذه المجتمعات التي كانت ترى نوعاً ما أنَّ الشذوذ الجنسي هو مرض وانحراف، وكانوا يعرفون الشاذ، بأنه: (هو الذي يمارس انحرافات، أو صور نشاط تناسلي ليس في اتفاق مع الثقافة، أو الأعراف العامة مجتمعه).⁽⁵⁶³⁾

أذكر في ألمانيا، وفي كثيرٍ من البلدان الأوروبية الأخرى كان الشباب يتقدّمون بالسباب، وعبارات الانتقاد، كقولهم لبعض: "Lesbe" أو "schwul" والتي معناها "يا شاذ جنسياً".

ثم ذابت هذه المفاهيم بالتدريج، والسبب في ذلك ليس اتساع دائرة الشواد والغارقين بين النخب السياسية من ناحية، وبين عوائم الناس من ناحية أخرى، ولكن السبب الرئيسي وراء ذلك هو محاولة الاعتراف بها رسمياً ضمن نسيج المجتمع، واستبدال وصف الشذوذ الجنسي بلفاظ آخر تُشجعُ علمها، مع إضفاء صبغة علمية كاذبة، وذلك من خلال إنتاج أبحاث وأفلام علمية، وإسناد الخطاب الطبي لتقرير هذا الانحراف وفرضه على المجتمع.

وليس هذا فحسب، بل تجاوز الأمر إلى مستوى آخر من بذل الجهد المضني؛ لجعل المثلية الجنسية سلوكاً مقبولاً على المستوى الفردي والجماعي، حيث تُغسل أدمغة الأطفال في سن مبكر بالمدارس الحكومية، فضلاً عن محاولة إقناعهم بأمر لا يقل بشاعة عن ذلك، وهو التحول الجنسي، إذ يتم دفع الطلاب والطالبات إلى التفكير في تحويلهم إلى جنسٍ ثالث - لا هم بالذكور، ولا هم بالإناث! -، حيث يبادرونهم باقتراح عناوين عيادات متخصصةٍ في إجراء عمليات جراحية؛ وذلك لضخ الهرمونات بأجسادهم؛ بهدف تسريع عملية التحول قبل أن يغيروا آراءهم.

ولم يعد الأمر مقتصرًا على رغبتهم في جعل تلك القضية المشوّمة مقبولة اجتماعياً، وإنما يجعلها أمراً يفتخرُ به وذلك بافعال مظاهرات علنية تُروج لهذا المنحدر العفن.

(562) ((الأخلاق الإسلامية وأسسها)) عبد الرحمن جبنكة الميداني (1/91) بتصرف.

(563) آثار ونتائج الانحرافات الفكرية - الإلحاد نموذجاً: أنور بن قاسم الخضيري، ص20.

المبحث الرابع: الإلحاد والأخلاق الفاضلة.. طرفي نقىض
لا غرو أنَّ الإلحاد يقضي على كل خلق جميل مما تقبله الفطر السليمة، ويُشجع على كل آفةٍ، وجريمة، ويدفع إلى كل إثمٍ ورذيلةٍ مما تأباهَا النفوس النبيلة.

لقد بلغت رذائل الإلحاد من القبح مبلغًا عظيمًا، لا يطيقها أكثريَّة الملاحدة أنفسهم، كجرائم الإجهاض، وقتل المشوهين، والمعاقين، وكبار السن والمريضى وعلى وجه الخصوص المرضى النفسيين وغيرهم ممن لا حول لهم ولا قوة.

تلك المثالِبُ والسواءات دفعت البعض إما إلى إنهاء حياته، معتقدًا أنَّ هذا سيريحُه من الألم النفسي الذي يصارعه بلا هواة، وإما استمرارُ معيشةِ الضنك التي يعيشُها، دون محاولةٍ منه للخروج من تلك الشرنقة التي أسرَّ نفسه في جُوفها، أوْ محاولة البحث عن دينٍ!، إذ لا بد من وجودِ إلهٍ يُصمدُ إليه في الحاجة، ويسْتَندُ عليه في المُدَلِّمات، والنوازل الشديدة؛ فهي فطرةُ أودعها الله في النفوس، حتى وإن خفت نُورُها لدى من استهولهم الشياطين واجتالهم.

المبحث الخامس: إذا كان الإله خرافه فكل شيء مباح!

يقول فيودور دوستويفسكي⁽⁵⁶⁴⁾: "إذا لم يكن الإله موجوداً فكل شيء مباح".

لا تكاد تمر مناظرة حول موضوع الإلحاد، والإيمان بالله إلا ويتم مناقشة (موضوع الإلحاد والأخلاق)، والتساؤل حول إمكانية تأسيس أرضية أخلاقية بناء على غياب الإله أم لا؟ وفي مناظرة شهيرة مع الداعية حمزة تزوريسي، سُئل الفيزيائي الشهير الملحد لورنس كراوس: "لماذا يعتبر زنا المحارم خطأ؟" فرد قائلاً: "ليس من الواضح بالنسبة إلى أنه خطأ"، ولما رد استهجان الجمهور بشكل كبير.

يعتبرُ أغلب المؤمنين -إن لم يكن كلهم- أن إنكار وجود الله هو إنكار لوجود أساسٍ موضوعيٍّ للأخلاق، مما يعني افتقار البشر لآلية مرجعية أخلاقية تنظم حياتهم وتقيم حقائق أخلاقية يمكن البناء لحياة سوية على أساسها، في المقابل يرى الملحد بأن الإله ليس ضروريًا لإقامة نظام أخلاقي، وأن البشر يمكنهم بناء معايير أخلاقية، تقيم أسس العدالة والحقيقة والخير!

فما الأخلاق ابتداء؟ وهل يمكن بناء منظومة أخلاقية دون اللجوء إلى الإله فعلاً؟ وما الأخلاق التي يمكن تعريفها وفقاً لإملاءات العقل البشري فحسب؟

من الواضح إذن أنه لا يوجد هناك دستور أخلاقي ثابت أو مرجعية قيمية مطلقة عند الملحدة، ومن ثم فإن الالتزام بلوازم الإلحاد ومقتضياته يجعل الملحد ساقطاً في نسبة لانهائية من القيم، الأمر الذي يؤدي إلى إيمان الملحدين بعض الأخلاقيات الصادمة، مثل تصريح لورنس كراوس بإيمانه بصحة زنا المحارم في مناظرته مع حمزة تزوريسي.

أما ريتشارد دوكنر فقد صرَّح في تغريدة له على موقع توينر بأن الإجهاض فعل أخلاقي ومشروع طالما ليس هناك ألم، وببر ذلك قائلاً: "لأن الجنين في بطنه أمه هو أقل إنسانية من أي خنزير بالغ".

وبسبب هذا التصريح فقد تعرض دوكنر للنقد بشدة، مما دفعه إلى محاولة توضيح مراده في عدة تغريدات لاحقة، لكن تغرياته ظلت غامضة وغير مفهومة.

في نفس الإطار يرى الملحد الأسترالي وأستاذ الفلسفة الأخلاقية بيتر سنجر أن ممارسة البشر للجنس مع الحيوانات والبهائم طالما لا تتضمن أذية من أي نوع للحيوان هو أمر طبيعي ومقبول في إطار حميمية العلاقة بين الحيوانات والإنسان، وبالنسبة إليه: "فلا خطأ في ذلك على الإطلاق، بل إنه أمر محمود طالما يؤدي إلى استمتاع الطرفين: الحيوان والإنسان".

هل معنى ذلك أن الملحد كلهم لا أخلاقيون؟ بالطبع لا، يقول فرانك توريك: "لا أقول بأن الملحدة لا يعرفون الأخلاق، وإنما أقول إنهم لا يمكنهم تبرير الأخلاق. نعم يمكنهم التصرف بخلق، ويمكنهم الحكم على بعض الأفعال بأنها أخلاقية أو لا أخلاقية، لكنهم لا يستطيعون توفير قاعدة موضوعية لأحكامهم الأخلاقية".

وأيا ما كان الأمر: الهولوكوست، الاغتصاب، ذبح الأطفال، أو أكل الأطفال، فلا يوجد لدى الملحدين معيار موضوعي للحكم على أي منهم"، وهو الأمر الذي قرره كذلك علي عزت بيجوفيتش قائلاً: "يوجد ملحدون على خلق، ولكن لا يوجد إلحاد أخلاقي".

الإنسان إذا ابتعد عن الوعي الإلهي، وجعل تقرير القيمة والحق والأخلاق بيد البشر كما يحصل في النظام

(564) كاتب وأديب روسي، تُنسب إليه هذه المقوله: إن استطعْتُ أن تقعنوني أن الله ليس هو الحقيقة، وأنَّ الحقيقة ليست هي الله، فإني سأختارُ أن أتمسك بالله وأن أتخلى عن الحقيقة".

العلماني الغربي، فإننا أمام محرقة جديدة للبشر كل عدة سنوات.
وها هو نجيب محفوظ الذي قضى دهراً من عمره في الشك، يقول في آخر حياته: "الله وحده هو الذي يعطي القيم معناها، الله وحده هو الذي يعطي الوجود معناه، بدونه لا معنى للوجود، لا معنى للقيم، وبديله هو العبث، اللامعنى".⁽⁵⁶⁵⁾

وفي كتاب "مصنوعون من الحيوانات: الآثار الأخلاقية للداروينية" للفيلسوف الأميركي الملحد جيمس ريتسلز، يوضح بأن مقتضى الرؤية الداروينية هو إزاحة التصور التقليدي للإنسان بأنه مهمٌ ومركزي في الكون، ثمَّ يعترف بأنه "إذا تم تجاهل فكري الكرامة الإنسانية وتميز الإنسان في الخلق فإن السؤال عن البديل للرؤية الأخلاقية حينئذ يصبح سؤالاً صعباً"، ثمَّ يطرح تصوّره للبديل الذي سمّاه "الذاتية الأخلاقية" وشرحه في فصل كامل، لكنه -رغم كل شيء- يطرح تصوّره على أنه مجرد "نظيرية" و"رؤية"، أي أن هذه الأخلاق تظل دائرة في فلك الذاتية، بدون معايير موضوعية يمكن البناء عليها كإطار أخلاقي لما ينبغي أن يكون بشكل مطلق، ومن ثمَّ نعود إلى نفس المشكلة الأولى وهي نسبية الأخلاق.

(565) وطني مصر، نجيب محفوظ، ص63، دار الشروق.

الباب التاسع: فظائع الملاحة وجرائمهم

ويشتمل على المباحث التالية:

- **المبحث الأول: نموذج من فظائع الإلحاد: أكل لحوم البشر.**
- **المبحث الثاني: جرائم الملاحة والعلمانيين.**
- **المبحث الثالث: حقائق لا تنفك عن الملحدين.**
- **المبحث الرابع: الإلحاد والعنف.**

المبحث الأول: نموذج من فظائع الإلحاد: أكل لحوم البشر!

في مجتمع ملحد حيث الإنسان هو من يصنع الأخلاق ويحدد القيم كان لا بد أن تنحدر البشرية إلى دركات من الوحشية التي لم يُسبق إليها، وظهور مأسى تبررها أخلاق الإلحاد، فالإنسان ليس إلا كتلة من اللحم لا فرق بينه وبين سائر الحيوانات إلا من حيث درجته في سلم التطور، فالسبب الذي يجعلك تذبح بقرة هو نفسه الذي قد يجعلك تأكل إنساناً.

وقد ارتبط أكل لحوم البشر غالباً ببعض القبائل البدائية في إفريقيا وغيرها أو ببعض الحالات الإجرامية المعزولة والتي غالباً ما يتم إرجاعها لأمراض واضطرابات نفسية، كما حدث مع الملحد (جيفرى دهر)، الذي اتهم بارتكاب جرائم قتل وأكل للحوم الأطفال، ومع أنه اعترف بأن سبب فعلته هو إلحاده، وإيمانه بنظرية التطور، فإنه قد يعتبر من الحالات المرضية المعزولة.

المبحث الثاني: جرائم الملاحدة والعلمانيين

وقصص الملحدين وجرائمهم تملأ موسوعات، ولا تستطيع مقالة على طولها أن تُطْبِّر إلا لمحنة عابرة في تاريخ الزمان من حكايا الملحدين، لكن لعل ما ذكر فيه تبصير بما لم يُذكر، وربما ترتفع همة باحث لتحرير مؤلف في هذا الباب، فما أثاراه! وما أشد الحاجة إليه في هذه الفترة للدعاة المعرفين بالإسلام لغير المسلمين!
خلاصة ما نقوله إنَّه لم تظهر مصطلحات مثل: "التطهير العرقي"، " وأنَّوْمَةَ الجماجم" ، "وقتل الطوايير" ، "وحقوـل القتل" The Killing Fields إلا داخل الدول التي حكمها ملحدون! قال الله تعالى: {وَإِذَا تَوَلَّ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ} [البقرة:205].

إذا غاب الرقيب والحسيب، فَفِعْلُ أي شيء، أمرٌ مُمكِّنٌ، وإذا غَابَ الإله من ضمير البشر، فكل شيء وارد الحدوث، حتى ولو كان إبادة البشرية بأكملها؛ حيث يفقد الإنسان عندها قيمه وأخلاقه وضميره الإنساني، ويعطي لنفسه القدسية، فيُحَلِّلُ وَيُحَرِّمُ، ويجعل الحقَّ باطلًا، والباطل حقًا وفق رؤاه ومصلحته هو، فأنَّى وجدت أطماءه سعي إلى تحقيقها، ولو كَلَّفَ ذلك القتل والتدمير والفساد، كما أنَّ خوفه ورعبه من فقدان سيطرته على ما ملكته يداه، يجعله يقتل بعنف، يُفْرِطُ في الظلم والاستبداد، يُفْرِطُ في القتل حدَّ التوحُّش.

ولقد أثبتت الدراسات والإحصائيات أنَّ الإلحاد والجريمة لا يمكن أنْ يتبعا، فهما متلازمان لا يفترقان، وأنَّ الملحد إذا لم يضع لنفسه مبادئ يلتزم بها؛ فإنَّه يُصبح قاتلاً ظالماً مستبداً، لا يمكن أنْ يتحلَّ بأيِّ بُعد إنساني أو أخلاقي.

ولم يعرف التاريخ أشد إجراماً ودموية واضطهاداً لكل الآخرين حتى الملحدين من الملحد، وهذه حقيقة فالإلحاد بجانب أنه كفر أكبر، ومصيبة لا تعدلها مصيبة، إلا أن خطر الملحد لا يقتصر عليه هو نفسه، بل يمتد إلى بيئته وأمته.

المبحث الثالث: حقائق عن الملاحدة:

في هذا السياق، وجب التنويه إلى ثمانية حقائق لا تنفك عن الملاحدة، سنوردها باختصار، وهي:

- 1- رغبة الملاحدة للحروب والقتل تطغى على رغبتم للسلام.
- 2- العنصرية والسعى إلى إبادة الألوان الأخرى من البشر.

- 3- تدميرهم للطبيعة فيؤدي إلى كوارث بيئية مع انغماسهم في "الطبيعة" لاخضاعها لرغباتهم.
- 4- نهب ثروات بلدان بأكملها مما يؤدي إلى كوارث إنسانية وقتل الملايين بالتجويع والفقر والجهل ووضع قيادات عسكرية أو سياسية تحكم البلدان ومتواطئة أو عميلة تحقق رغبات الاستعمار.
- 5- الجوع يحصد الأرواح ويوجد أموال للحروب بكثرة إلا للقضاء على المجاعة.
- 6- الإلحاد والقضاء على الأخلاق.
- 7- جرائم الإجهاض وقتل المشوهين أو معاقين أو كبير السن أو المرضى خصوصاً المرضى النفسيين.
- 8- كآبة الملحدين وانتخارهم.

المطلب الأول: مليون ونصف قتيل

لم تعرف البشرية جرائم بهذه البشاعة التي مارسها الإلحاد المعاصر من الجرائم الإنسانية والأخلاقية خلال هذه الفترة القصيرة ما لم ترتكبه الحضارات على مدار تاريخها الطويل؛ فالإلحاد المعاصر حسب الخبراء تأخذ المرتبة الثانية من حيث قتله للأفراد بعد الكنيسة المسيحية؛ إذ بلغ عدد الأرواح التي حصدتها الإلحاد 150 مليون قتيل.

المطلب الثاني: الجوع يحصد الأرواح، ومع ذلك يوجد أموال للحروب:

من المفارقات العجيبة، وجود 200 مليون من الناس كانوا يعانون من المجاعة قبل أحداث أوكرانيا، وفجأةً يوجد في أوروبا مليارات الدولارات لأجل الحرب، رغم أنَّ أكثرية هذه البلدان غارقة في ديون عارمة، ولكن للقضاء على مشاكل شعوبها أو تخفيف الماجاعات والأمراض في العالم لا يوجد إلا أنشطة متواضعة، فقط ليقال إنهم إنسانيون، بينما تُتفقُ الأموال للمصاريف الإدارية، وسيارات الدفع الرباعي، ورواتب عالية لموظفي الأمم المتحدة والأنشطة الاستخبارية.

فالإنسان عندهم مثل أي حيوان، فهو جزء من الطبيعة وقوانينها، ومن ثم لا بد أن تحكمه، كما أنَّ "الانتخاب الطبيعي" ضامن لا يُتحقق غير من "يصلُّحُ للحياة ويمتلك القدرة على التطور!!" ونظرية كهذه من الواضح وضوح الشمس أن من يتبنوها، سيقوم بمجازر انتصاراً لها وإيماناً بها، فهي تقرر أنه على المجتمع أن يخضع لمبادئها دون حرج من اللوازم الأخلاقية.

وقد عَرَفَ ذلك آدم سيدجويك (المتوفي سنة 1873) فقال: "إذا كان هذا الكتاب (كتاب "أصل الأنواع" لشارلز داروين) سيجد قبولاً جماهيرياً عاماً، فإنه سيوقع الجنس البشري في وحشية لم يسبق لها مثيل من قبل".

المبحث الرابع: الإلحاد والعنف!

المطلب الأول: الملحدون صنعوا أشنع حروب ومجازر في العالم؟⁽⁵⁶⁶⁾

عندما ندرس فلسفة الملاحدة أو طريقة تفكيرهم، فلا نستغرب أن يكون أكبر معركة في تاريخ الجنس البشري كانت بين الملحدين واللادين حيث قتلوا أكثر من 35 مليون بشري.

(566) الإلحاد والعنف.. كيف صنع ملحدون أهم مجازر العالم وحربه؟ إبراهيم السيد، مقال نشره موقع الجزيرة، بتصرف واختصار.

وللملاحدة أساليب وطرق في القتل تحت مسميات عده؛ فهو يقتل باسم الفلسفات المادية والرؤى الكونية التي يؤمن بها تبعاً للحادي.

والعلاقة الفلسفية تلك بين الإلحاد والجرائم التي يرتكبها معتنقوه، اختصرها الكاتب الأمريكي دينيش دسوزا حيث يقول: "أُرتكبت جرائم الإلحاد عموماً من خلال أيديولوجية متغطرسة ترى أن الإنسان هو صانع القيم وليس الله، فباستخدام أحدث تقنيات العلم والتكنولوجيا، يسعى الإنسان إلى تهجير الله وخلق جنة العلمانية هنا على وجه الأرض. وبطبيعة الحال إذا كان هناك بعض الناس غير الأكفاء، فيجب القضاء عليهم؛ من أجل تحقيق هذه المدينة الفاضلة (الجنة)، هذا هو الثمن الذي أبدى الطغاة الملحدون - ومن يعتذر لهم - استعدادهم لدفعه، وهم هنا يؤكدون مقوله فيودور دوستويفسكي: "إن لم يكن هناك إله، فكل شيء مباح".⁽⁵⁶⁷⁾ إن الحضارة المسيحية أكبر من تسبب في حصاد أرواح البشر، وتبعتها مباشرة في المركز الثاني حضارة الملاحدة بحصاد للقتلى يفوق الـ 150 مليون قتيل! وهو ما ينافق تماماً بروابجندنا فردوس السلام الإلحادي الذي لا يتوقف مدّعوه باعتبارها رسالة سامية جاءت لتنتقد الناس من عنف الأديان.

ورغم أن كلام الملاحدة عن الأديان أنها أفيون الشعوب ينطبق على الديانات التي بلغ فيها من الخرافات والتزييف والتحريف مبلغاً يفوق حد التصور، حيث تمارس فيها نفس الممارسات الإلحادية، ويسلكون سبيل الفلسفة الداروينية في قتل أعداد هائلة من البشر؛ لأنهم ليسوا نصارى أو ليسوا يهوداً، ويستندون في ذلك على تبريرات واهية من أسفارهم المزيفة والتي تأمرهم بهذه الإبادات التي ارتكبوها.

المطلب الثاني: فرنسا، وما أدرك ما فرنسا!

تلك الدولة التي أحرزت أسوأ سمعة في الإبادة العرقية، والاستغلال بلا منازع، إذ أنها كانت المسئولة كلياً عن أولى المذابح الجماعية في العصر الحديث، فقد قال أحد جنرالات الحكومة الفرنسية أثناء مذبحة فييندي: "إنني آمركم بحرق كل شيء قابل للحرق وبإعمال السيف في كل رقبة".⁽⁵⁶⁸⁾

وكثير من المؤرخين يعتبرون مذبحة فييندي Vendéen genocide عام 1793م بفرنسا أول إبادة جماعية في العصر الحديث، حيث بدأت بعض قطاعات الشعب الفرنسي - عقب الثورة الفرنسية - في التمرد ضد الحكومة العلمانية الجديدة، مما كان من الحكومة إلا أن قابلت هذه التمردات بالقمع الغاشم والفوري، حيث قام الفلاحون بمنطقة فييندي بالظهور ضد الوضع الاقتصادي الطاحن، وتحالف معهم الم الدينين الكاثوليك، فطبقت عليهم حكومة "التنوير" سياسات شديدة الوحشية، تم على إثرها إعدام أكثر من 6000 أسير أكثرهم نساء وأطفال وشيوخ، وإغراق أكثر من 3000 امرأة في المياه، كما تم دهس الأطفال الرضع تحت أقدام الخيول، بالإضافة إلى حرق المساكن والبيوت والمزارع عن بكرة أبها، من باب الردع، وإدخال الرعب في قلوب كل من تسوّل له نفسه أن يعيّد فعل ذلك.

وبحلول عام 1796م، وصل إجمالي عدد القتلى طبقاً لبعض الإحصائيات إلى حوالي 500000 إنسان تم حصد رؤوسهم إما حرقاً، أو غرقاً، أو ذبحاً، أو دهساً تحت أقدام العربات والخيول.

ورغم عدم شهرة هذا الحدث إلا أن أستاذ التاريخ البريطاني لأن فورست يقول: "حتى الآن يتذكر الغرب هذه

(567)Dinesh D'Souza, *Atheism, not religion, is the real force behind the mass murders of history*

(568)LAW PROPOSITION on the recognition of the Vendéen genocide

المذايِّح كصراع بين الفلاحين والكاثوليك على جهة، وبين الجمهوريين والملاحدة على الجهة الأخرى". وبالطبع فإن قتل هؤلاء الناس لم يكن باسم الإلحاد، وإنما كان باسم التنوير والحرية والعقلانية.

وتجدر بالذكر أنه في عام 2007م، قام عدد من البرلمانيين الفرنسيين بتقديم مقترن يقضي باعتراف الجمهورية الفرنسية بجريمة الإبادة الجماعية في فيندي وتحمُّل مسؤوليتها بخصوص تلك الفظائع.

وحتى الآن لا تزال الحكومة الفرنسية التي ليست أقل همجية من حكومات عصور الظلام ترفض الاعتراف بهذه المأساة كما ترفض أيضًا الاعتراف بما فعلته في الجزائر وبقية بلدان أفريقيا.

ويرى غالب المؤرخين أنَّ العصر الحديث يبتدىء من اندلاع الثورة الفرنسية والتي شكلت وجهاً من وجوه وصول الإلحاد إلى الحكم، وبدء القضاء على الدين الكنسي، فقد استهل قادة التنوير حكمهم بما عرف بعصر "الإرهاب" والذي أُسْتَبِّحَ فيه كلُّ شيء في سبيل ترسيخ العلمانية والقضاء على الدين، واستمرت تلك الجرائم باسم العلمانية تحت غطاء فلسفي إيديولوجي يرى في الدين عدواً وحيداً.

ولا يستطيع أحد الآن القول إن ملاحدة اليوم أخف ضرراً وعنفاً وإجراماً وإرهاباً منمن سبقهم؛ فأمريكا وفرنسا وغيرها من قوى الشر التي مستمرون في ارتكاب فظائع، وويلاتٍ في شئَّ بقاع الأرض وخاصةً في العالم العربي، والإفريقي.

ومن النزاهة أن ننوه هنا على وجه الخصوص إلى وجود بعض المنصفين في الغرب يفضحونهم على الدوام، ومثل هؤلاء تجد لهم من المقاطع والكتب ما يخدم قضيتنا، حيث يمكننا استخدامها كمسوغٍ نُخْرِسُ به من سلقونا بأشد حدادٍ؛ لشدة ما يحملوه في صدورهم من بغض وعداوة لنا ولديننا.

ولقد قرأت منشوراً في حساب النائب السابق والسياسي الألماني يورجن تودهوفر على الفيس بوك، يقول فيه: "أنا في مالي منذ 4 أيام، بينما تتعرض أوروبا حالياً لخطر الانزلاق إلى حربٍ (أوكرانيا) لا معنى لها، فإن الجيش الألماني في مالي قد دخل في خضم هذه الحرب بالفعل.

هذه ليست حرباً ضد "الإرهاب الإسلامي" كما يحاول ساستنا إقناع الناخبين، لكنها حرب استعمارية قذرة من أجل المصالح الفرنسية: اليورانيوم والنفط والذهب، على عكس الانفصالية المسلحة والمملوكة من فرنسا في الشمال، لا تلعب "الجهادية الإسلامية" أي دور ذي صلة في مالي، فهي ذريعة الدعاية الفرنسية؛ لإضفاء الشرعية على الحرب". ويقول كذلك: "إذا لم تنسحب ألمانيا - التي تحظى بشعبية كبيرة في مالي - عسكرياً طوعاً في القريب العاجل، فإنَّ الجيش الألماني سيهزم كما فعل في أفغانستان.

كما أوضح لي مسئول حكومي مالي رفيع المستوى بوضوح لا يضاهى: سيتم طردتهم تماماً كما كان في أفغانستان بشكل سيء وعنيف".

ويُضيِّفُ أيضاً: "لا علاقة لنا مع حرب فرنسا اللاأخلاقية، لذلك أنها المستشار أخرج من مالي فحررها أيضاً قذرة".

لم تكن حرباً عالمية

تعجب الدكتور عبد الوهاب المسيري رحمه الله من كون الحروب الغربية التي تجري بين دول علمانية ودول علمانية تسمى حروباً عالمية!

الحرب الروسية الأوكرانية هي حرب داخلية بين دول علمانية، وليس حرباً عالمية.

المطلب الثاني: العلمانية سبب في قتل الأبرياء بهذه الحروب.

العلمانية والإلحاد هما السبب في قتل الأبرياء بهذه الحروب، فأكبر طاعون يصيب الغرب اليوم هو طاعون العلمانية، والذي يحاولون نشره في بلادنا منذ عقود، وهذا هم يكتنون بناره.

وما يثير الاندهاش حد الغثيان، أن تلك العلمانية البغيضة، تُبرر تفريغ دول بأكملها من البشر بسبب نقاء عرق مثلما حصل مع النازية والعلمانية التي تبرر إحرق مئات الآلاف من البشر الضعفاء في أفران الغاز؛ لكونهم خطراً على الاقتصاد، وكما حصل أيضاً في محرقة أوشفيتز في بولندا.

فهم يبررون - بلا أدنى شعورٍ من رحمةٍ أو شفقةٍ - إدخال قارات بأكملها في حروب مثلما حدث فيما يسمونه به الحربين العالميتين الأولى والثانية.

وما يجري اليوم في أوكانيا هي حرب عبثية بلا معنى، يسب طاعون العلمانية المجنون.⁽⁵⁶⁹⁾

المطلب الثالث: هتلر وحربه وعلاقتها مع الداروينية

يقول تشارلز داروين في كتابه "أصل الأنواع": إن المساندة التي أتلقاها من ألمانيا هي الأساس الذي يجعلني أرجو أن تنتصر نظرية في النهاية.

عندما نشر تشارلز داروين كتابه (أصل الأنواع) عام 1859م تُرجم فوراً إلى اللغة الألمانية ولاقى قبولاً كبيراً وقوياً في الوسط الثقافي الألماني.

كانت ألمانيا حينئذ مستعدة لاستقبال الأفكار الداورينية بسبب شيوخ ثلاثة اتجاهات فكرية متوازية:
الأولى: هي المادية العلموية Scientific materialism التي قادها لودفيج فيورباخ، وكارل فوجوت.
الثانية: الماديةialectical Materialism والثالثة الأيرز كارل ماوكبر.

أاما الآخرة: في اليمن البحدل⁽⁵⁷⁰⁾:

هيأت هذه التيارات الفكرية الأرضية الثقافية المناسبة لاستقبال أفكار داروين التطورية، لا في شقها العلمي، وإنما في توظيفها الاجتماعي، والتي تقوم على أن البشر والثدييات الأخرى هم نتيجة لما أسماه بالانتخاب الطبيعي، أي الصراع الأعمى الذي يتحقق فيه الأصلح حيًّا، وتموت على، إثره الأقل صلاحية.

"في المستقبل غير البعيد، سوف تبيد الأجناس المتحضرة الأجناس الهمجية، وتحل محلها حول العالم" بهذه الكلمات شجع تشارلز داروين، في نظريته المشوّمة في كتابه "أصل الإنسان" أتباعه لقتل القوي للضعيف، وكما يعمل الساسة وأصحاب المصالح المادة على توظيف الأفكار؛ لخدمة مسامعهم دون أي اعتبار أخلاقي، فقد صنعت أفكار داون جيلاً جديداً من القادة السياسيين والمفكرين الاجتماعيين والعلماء، بما اعتبروه تبريراً بيولوجيًّا مادياً؛ لسيطرة الألمان حول العالم، كما يذكر أستاذ التاريخ ريتشارد فيكارت: "الداروينية وحدها لم تنتج النازية، لكن بدونها لم يكن لهتلر أو لأتباعه النازيين أن يدعموا فظائعهم الوحشية بالأدلة العلمية الكافية لتحويلها إلى أفعال أخلاقية".⁽⁵⁷¹⁾

(569) يتصرف: "العلمانية طاعون العصر" للدكتور سامي عامري. أُنصح بقراءة الكتاب.

(570) الميجلين الشباب هم اتباع الفيلسوف الألماني الشهير غيورغ فيلهلم فريدريش هيغل، وبعد موته انقسم أتباعه إلى فنتين، هيجلي اليسار: مثل كارل ماركس، وفيوريماخ، وهو من سينتقد تصورات هيجل المثالية وينحون بفلسفته منحاً ماديًّا تماماً، كما قلب ماركس الجدلية المثالية إلى جدلية مادية، أما الميجلينيون اليمين فأبقوا على الكتبة من أفكار، هيغا، المثالية.

(571)Richard Weikart, *From Darwin to Hitler: Evolutionary Ethics, Eugenics, and Racism in Germany*

ويبدو الموقف الديني لأدولف هتلر لغزاً للوهلة الأولى، فعَلَى جَانِبٍ صَرَحَ هتلر في أكثر من خطاب له أنه كاثوليكي مخلص، إلا أنه على جانب آخر كان مؤمناً للنخاع بالداروينية الاجتماعية، وهي فلسفة غارقة في المادة كما هو معروف، وهناك من يثبت أنه من اللاأدريين.

سُئِلَ الفيلسوف الإنجليزي برتراند راسل: "أتعتقد أن الناس يحبون الحرب؟، قال: لعمري إن أناساً كثيرون يحبونها، وهذا من بين الأمور التي أدهشتني عام 1914، فقد كان الرأي السائد لدى جميع دعاة السلم الذين كنت أعمل معهم، أن الحروب تفرضها الحكومات على شعوبها، ولكنني شهدت في شوارع لندن سُخْنَ الناس، وما من شك أن وجوههم كانت تبدو أسعد كثيراً مما كانت قبل إعلان الحرب، ومازالت أعتقد بأن الناس يعبدون الحرب، بشرط ألا تكون على أبوابهم".

المطلب الرابع: استخدام الأطفال في حروفهم القدرة

بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945 وبعدما هزمت ألمانيا، تركت الساحل الغربي للدنمارك مكتظاً بالألغام، وهنا قرر الجيش الدنماركي إجبار مجموعة من الجنود (أطفال) الألمان المأسورين إلى إزالة هذه الألغام وتطهير الساحل.

كان عدد هؤلاء الأطفال أكثر من 2000 أسير وأعمارهم تقل عن 13 سنة، وتم إجبارهم بالقوة على إزالة هذه الألغام مع وعود بالحرية وتمت معاملتهم بقسوة وتعرضوا للتعذيب.

استطاع هؤلاء الأطفال إزالة أكثر من 45000 لغم لكن قتل منهم 88 طفل، وأصيب 460 آخرين بإعاقات وعاهات مستديمة، ولم ينجوا منهم سوى قلة قليلة.

تم إنتاج فيلم land of mine عام 2015 يوثق قصتهم، ويُظهرُ جزءاً من العذاب الذي تعرضوا له.

المطلب الخامس: أشهر الحروب الدينية.. (لم يذكر الإسلام في أي منها)

- القربان غير المقدس: أشهر المذابح الدموية باسم الدين.
 - حرب الكاثوليك والبروتستانت.
 - الحروب الصليبية بسبب اقتراب القيامة؛ والمسيحيون يتقدرون إلى الله بقتل الفلسطينيين.
 - الحروب الصليبية: ناشد أحد البابوات ويدعى (أوربان الثاني) رجال الدين وأمراء أوروبا بشن حرب على المسلمين؛ لتخليص الأرض المقدسة من سيطرتهم إرضاء للمسيح.
- ومن الأفكار التي أشاعها البابوات آنذاك لحث الناس على المشاركة في هذه الحملات، اقتراب يوم القيمة، وانتهاء الحياة الدنيا، وربطوا ذلك بمرور ألف سنة على مجيء المسيح.

إبادة الهنود الحمر

حفظ لنا التاريخ شهادة سجلها شاهد عيان على إبادة وحشية ارتكبها المسيحيون الأوروبيون ضد الهنود الحمر تحت اسم وثنيتهم، وهي شهادة المطران لاس كازاس، حين رأى ما يمارسه قومه المسيحيون من قتل للبشر، وتدمير للقرى، وإحرق لها باسم الدين، كتب رسالة مطولة يشرح فيها ما رأته عيناه ووعاه قلبه، وقد طُبعت هذه

الرسالة وترجمت إلى العربية بعنوان (المسيحية والسيف).⁽⁵⁷²⁾
ورصد المطران لاس كازاس مشاهد مؤلمة وصوّراً، حيث قال: "كانوا يدخلون على القرى فلا يتركون طفلًا ولا حاملاً ولا امرأة تلد إلا ويقررون بطونهم ويقطعون أوصالهم كما يقطعون الخراف في الحظيرة.
وكانوا يراهنون على من يشق رجلاً بطعنة سكين، أو يقطع رأسه أو يدلق أحشاءه بضربة سيف، كانوا ينزعون الرضع من أمهاتهم ويمسكون بهم من أقدامهم ويربطون رؤوسهم بالصخور، أو يلقون بهم في الأنهار ضاحكين ساخرين.

حرب الكاثوليك والبروتستانت

حرب الثلاثين عاماً، هي حرب قامت بين الكاثوليك والبروتستانت خلال القرن الـ17 في ألمانيا، استمرت هذه الحرب ثلاثين عاماً وانتهت بأوبئة ومجاعات وتدمير شامل بكل النواحي عام 1648م.
بدأت الكنيسة الكاثوليكية بما يسمى الحرب الدينية المقدسة ضد البروتستانية، حيث أبادت 40% من شعوب أوروبا الذين ينت�ون للبروتستانت، وما يقرب من نصف سكان ألمانيا تحديداً.
والسبب الأصلى في اندلاع هذه الحرب هي حركة الإصلاح البروتستانتية، التي قام بها الراهب الكاثوليكي (مارتن لوثر) عندما انتقد الكاثوليكية ورفض أفكارها التي يرى أنها تناهى المنطق كما يرى.

الهولوكوست

بلغت كراهية الشعب الألماني وهتلر للمهود ذروتها، مما دفعه إلى القيام بما يعرف بالهولوكوست؛ ليشفي غليلهم.
حيث أقام لهم أفراناً خاصة لحرقهم، فكان يتم حرق 2000 يهودي داخل الفرن الواحد، هذا فضلاً عن الحجرات الخاصة الممتلئة بالغاز السام التي تم إعدادها في معسراهم.

مذابح الإسرائييين للفلسطينيين ونفاق الغرب

يؤكد العديد من المؤرخين، وشهود عيان، أن اليهود ارتكبوا في الأراضي المحتلة منذ 1948 حملات مكثفة من العنف والإرهاب والمجازر البشعة، ولاحقت عصاباتهم المواطنين العزل، وقد أدت هذه المذابح إلى مصرع مئات الآلاف من النساء والأطفال.

وفي مذبحة دير ياسين داهمت عصابات شتيرن والأرغون والهاغاناه القرية الواقعة غربي مدينة القدس "تقوم على أنقاضهااليوم مستعمرة إسرائيلية تسمى جفعت شاؤول" في الساعة الثانية فجراً، وقد شرع أفراد العصابات الصهيونية بقتل كل من وقع في مرمى أسلحتهم، وبعد ذلك أخذوا بإلقاء القنابل داخل منازل القرية؛ لتدمرها على من فيها، حيث كانت الأوامر الصادرة لهم تقضي بدمير كل بيوت القرية العربية، في الوقت ذاته سار خلف المتفجرات أفراد من الأرغون وشتيرن، فقتلوا كل من بقي حياً داخل المنازل المدمرة.
- عوفاديا يوسف الحاجام يقول بالنص في خطبة بثها الفضائيات الإسرائيلية: "إن اليهودي عندما يقتل مسلماً، فكأنما قتل ثعباناً أو حشرة ولا أحد يستطيع أن ينكر أن كلاماً من الثعبان أو الحشرة خطر على البشر، لهذا فإن التخلص من المسلمين مثل التخلص من الديadan أمر طبيعي أن يحدث".

(572) المسيحية والسيف... وثائق إبادة هنود القارة الأمريكية على أيدي المسيحيين الأسبان – رواية شاهد عيان، للمطران برتولومي دي لاس كازاس، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.

- ثم عاد الحاخام وظهر على القناة الثانية في التلفزيون الإسرائيلي، وأعاد كلامه مع تأصيله من وجهاً النظر اليهودية، زاعماً أن الدين اليهودي يحث على التخلص من كل من يسكن فلسطين، وأنه جاء في التلمود: "إذا دخلت المدينة وملكتها فاحرص على أن تجعل نساءها سبايا لك، ورجالها عبيداً لك أو قتلى مع أطفالهم".

- وهذا الحاخام اليهودي "إسحاق شابيرا" أصدر كتاب "توراة الملك"، ودعا خلاله إلى قتل حتى الأطفال الرضع من العرب؛ لأنهم يشكلون خطراً على إسرائيل.

فشل النظام القانوني الأوروبي. ومن الأمثلة على ذلك نحر القانون والتناقضات في ألمانيا.

لم يعد خافياً التلاعب المنافق بمصطلحات مثل حقوق الإنسان وحرية التعبير.

تحمل وسائل الإعلام والسياسيين الألمان مسؤولية غير مباشرة عن إبادة المدنيين الفلسطينيين.

من كان يظن أن التاريخ سيعيد نفسه في ألمانيا وأن المعايير المزدوجة ستصل إلى هذا المستوى من الغدر! السياسة في ألمانيا حالياً تشبه السياسة في حكم النازية. في ذلك الوقت أيضاً، كانت العقول اللامعة للألمانية متورطة في التلاعب بالقوانين. ساهموا كانوا خبراء قانونيين ولكن انتهازيين تلاعبوا بالقانون وأهملوا الإنسانية وارتكبوا مجازر بشعة مثل إخوانهم الأوروبيين. أما بالنسبة لوسائل الإعلام الألمانية ونحن نعيش في عام 2024، فهي منافقة لدرجة أن الطفل يستطيع أن يدرك أنها بعيدة عن الصدق بآلاف السنين الضوئية.

البوسنة والهرسك

مذبحة سربرنيتسا، مجردة شهدتها البوسنة والهرسك سنة 1995 على أيدي القوات الصربية وراح ضحيتها حوالي 8آلاف شخص ونحو عشرات الآلاف من المدنيين المسلمين من المنطقة.

وتعتبر هذه المجزرة من أفظع المجازر الجماعية التي شهدتها القارة الأوروبية منذ الحرب العالمية الثانية، حيث قامت القوات الصربية بأوامر مباشرة من أعضاء هيئة الأركان الرئيسية لجيش جمهورية صربيا - القادة العسكريين والسياسيين - بالقيام بعمليات تطهير عرقي ممنهجة ضد المسلمين البوسنيين والمعروفين باسم (البوشنيا).

وقد حدثت هذا على مرأى من الفرقا الهولندية التابعة لقوات حفظ السلام الأممية دون أن تقوم بأي شيء لإنقاذ المدنيين، علمًا بأنها كانت قد طلبت من المسلمين البوسنيين تسليم أسلحتهم مقابل ضمان أمن البلد، الأمر الذي لم يحدث بتاتاً.

المطلب السادس: أمريكا: أكثر دولة دموية على وجه التاريخ

رغم أنه لم يمر من عمر الولايات المتحدة الأمريكية غير حوالي 250 سنة فقط إلا أنها قد قبضت 93% من عمرها بما يعني 222 سنة في الحروب المختلفة على الدول الأخرى، واحتلالها في كافة أنحاء العالم أكثر من 90 حرباً، منها جرائم حرب بشعة، مما يدل على أنها أحط وأشرس حضارة قامت عبر التاريخ:

- 1- 1833 قامت القوات الأمريكية بغزو نيكاراغوا.
- 2- 1888 دخلت القوات الأمريكية إلى بيرو.
- 3- 1846 احتلت القوات الأمريكية أرضًا مكسيكية، وضممتها لها، وهي ما تعرفاليوم بولاية تكساس.

- 4 قامت القوات الأمريكية باحتلال أرض مكسيكية أخرى وضمتها إليها، وهي التي تُعرف الآن بولاية كاليفورنيا ونيومكسيكو.
- 5 دمرت الولايات المتحدة ميناء "غراي تاون" في نيكاراغوا انتقاماً منها؛ لعدم قبول حكومتها دخول عميل أمريكي إلى أراضيها.
- 6 غزت القوات الأمريكية أورغواي، ثم غزت قناه بنما.
- 7 تدخلت في نيكاراغوا ثانية؛ لإفشال محاولة عدو أمريكا وليم روكر تولي السلطة.
- 8 قامت القوات الأمريكية بغزو كولومبيا، ثم قامت بعمليات ضدّها على مدى الأعوام 1885 - 1891.
- 9 تدخلت أمريكا في هايتي.
- 10 تدخلت أمريكا في تشيلي.
- 11 تدخلت أمريكا مرة أخرى في نيكاراغوا.
- 12 حاصرت كوبا، وحاصرت قواتها في البحر، وأخذت عنوة خليج "غوانتانامو" الذي تأسر فيه حالياً مئات العرب والمسلمين في ظروف وحشية همجية غير إنسانية باعتراف الأمريكيين أنفسهم.
- 13 تدخلت أمريكا ثانية في كولومبيا.
- 14 تدخلت أمريكا في هندوراس.
- 15 الهجوم على بنما.
- 16 الهجوم على هندوراس.
- 17 استولت أمريكا على ست مدن في هندوراس.
- 18 الهجوم على المكسيك؛ لمساعدة الديكتاتور بورويرو دمبيري.
- 19 الهجوم على نيكاراجوا.
- 20 الدخول إلى جمهورية الدومينيكان؛ لقمع الثورة.
- 21 المشاركة في الحرب بين هندوراس ونيكاراغوا.
- 22 التدخل بالقوة العسكرية في انتخابات بنما.
- 23 التدخل؛ لقمع الانقلاب ضد حكومة نيكاراغوا.
- 24 الدخول إلى هندوراس؛ لدعم الثورة بقيادة مانويل بونيلا ضد الرئيس المنتخب ميغيل داويا.
- 25 قمع الانتفاضة المناهضة للولايات المتحدة في الفلبين.
- 26 التدخل العسكري في الصين.
- 27 الهجوم على كوبا.
- 28 الهجوم على بنما.
- 29 الهجوم على هندوراس.
- 30 قامت قوات الماريزيز بالدخول إلى هايتي في عملية إزالة جوي وسرقوا البنك المركزي فيها؛ بحجة استرداد ديونها.
- 31 احتلت كل هايتي، وبقيت فيها إلى عام 1934 م.

- 32 1916 تدخلت القوات الأمريكية في الدومينican ضد الثوار على السلطة الفاسدة، وفرضت عليهم حكومة عسكرية عمilla لها حتى عام 1924م.
- 33 1917 احتلال كوبا.
- 34 1918 المشاركة في الحرب العالمية الأولى.
- 35 1918-1920 التدخل في روسيا.
- 36 1919 التدخل عسكرياً في بنما.
- 37 1919 التدخل عسكرياً في كوستاريكا.
- 38 1920 الهجوم مرة أخرى على هندوراس.
- 39 1921 الهجوم على جواتيمالا.
- 40 1922 التدخل عسكرياً في تركيا.
- 41 1922 تدخلت القوات الأمريكية في السلفادور.
- 42 1924 التدخل عسكرياً في الصين.
- 43 1925 الهجوم عسكرياً على هندوراس مرة أخرى.
- 44 1926 الهجوم على بنما مرة أخرى.
- 45 1927 الهجوم على نيكاراجوامرة أخرى.
- 46 1932 احتلال الصين.
- 47 1933 احتلال نيكاراجوا.
- 48 1934 احتلال هايتي.
- 49 1937 الهجوم على السلفادور.
- 50 1945 الهجوم على نيكاراجوا.
- 51 1945 ما إن انتهت الحرب العالمية، حتى قُصفت هيروشيما وناجازaki في اليابان، حيث فقدَ حوالي 220 ألف شخص حياتهم؛ نتيجةً لإلقاء القنبلة الذرية.
- وأكثر من 100 ألف شخص قُتلوا خلال القصف مباشرةً، والباقي فقدوا حياتهم في آخر عام 1945؛ نتيجةً للإشعاعات الضارة التي أصيبوا بها.
- 52 1947 الهجوم على اليونان.
- 53 1950 الهجوم على الفلبين.
- 54 1950 الهجوم على بورتوريكو.
- 55 1950 تورطت أمريكا في الحرب الكورية.
- 56 1952 تدخلت في إيران، وقامت المخابرات الأمريكية بالقضاء على حكومة محمد مصدق الوطنية، وإعادة شاه إيران.
- 57 1954 أطاحت أمريكا بحكومة غواتيمالا بالقوة.
- 58 1958 الهجوم على كوريا.
- 59 1958 الهجوم على لبنان.

- 60 1959 الهجوم على بنما.
- 61 1959 الهجوم على لاوس.
- 62 1960 الهجوم على هايتي.
- 63 1960 عمليات عسكرية ضد الأكوادور.
- 64 1961 غزت القوات الأمريكية خليج الخنازير في كوبا.
- 65 1962 فرض الرئيس الأمريكي كندي حصاراً بحرياً وجويًّا على كوبا؛ لإجبار السوفيت على إبعاد صواريختهم الذرية عن الجزيرة.
- 66 1965 الهجوم على بنما.
- 67 1965 زَجَّتْ عقيدة الحرب المتأصلة في عقول وقلوب صناع السياسة الأمريكية كابراً عن كابر بجيش الولايات المتحدة الأمريكية في حرب فيتنام، والتي مارس فيها الجيش الأمريكي أبشع الجرائم ليس ضد الإنسانية وحدها، وإنما ضد النبات والحيوان عندما انهمرت السموم الأمريكية من الطائرات الأمريكية؛ لتهلك الحرش والزرع والحيوان فوق كل الأرض الفيتنامية، وتنتهي الحرب في عام 1975م رغم كل أسلحة أمريكا ووحشية جيشها بهزيمة تاريخية لهم.
- 68 1966 الغازات السامة على فيتنام.
- 69 1966 الهجوم على جواتيمala.
- 70 1967 ساعدت المخابرات الأمريكية جيش بوليفيا ضد جيفارا وتمكنـت من اغتياله.
- 71 1970 غزت كمبوديا واعتـدت على "ممثل شرعيتها" الأمير سihanouk الشخص المحايد "في حرب فيتنام وأسقطـته، وسلمـت الحكم لحكومة ضعيفة موالية لها.
- 72 1971 الدعم العسكري لأندونيسيا ضد الفلبين.
- 73 1972 قصف لاوس.
- 74 1973 زعزـعت الاستقرار في تشيلي واغـتـالت رئيسـها سلفادور الليندي المعارض لأمريـكا، وأقـامت حـكـومة دـيـكتـاتـوريـة عـسـكـريـة فـيـها.
- 75 1980 الهجوم على نيكاراجوا.
- 76 1980 تـوـلـى رـيـغان السـلـطة، وـطـرـح مـشـروـع حـرب النـجـوم، وأـمـد الـكـيـان الصـهـيـوني بـمسـاعـدـات مـالـية طـائـلة، وـبـنـى لـه قـوـة عـسـكـريـة فـيـ المـنـطـقـة.
- 77 1981 نـشـرت أمريـكا صـوـارـيخـها فـيـ كلـ أـورـوباـ.
- 78 1983 عمـلـيات عـسـكـريـة ضد إـيـرانـ.
- 79 1986 التـدـخـلـ العـسـكـريـ فيـ جـرـينـادـاـ.
- 80 1988 الهجوم على لـيـبـياـ.
- 81 1988 هـجـومـ علىـ الـهـندـورـاسـ.
- 82 1989 هـجـومـ علىـ الطـائـرةـ الإـيرـانـيـةـ أـدـىـ إـلـىـ مـقـتـلـ 290 رـاكـباـ كـانـواـ عـلـىـ مـتـنـ الطـائـرةـ.
- 83 1989 غـزوـ عـسـكـريـ ضدـ بنـماـ.
- 84 1991 إـخـمـادـ الـاضـطـرـابـاتـ فيـ جـزـرـ العـذـراءـ الـبـرـيطـانـيـةـ.

- 85 العدوان على العراق 1991.
- 86 العدوان على البوسنة 1995.
- 87 احتلال الصومال واستخدام العنف المفرط ضد مواطنها 1998.
- 88 الهجوم على السودان 1999.
- 89 حرب ضد يوغوسلافيا تحت غطاء حلف شمال الأطلسي الناتو، واستمر القصف 78 يوماً، وانهارت يوغوسلافيا 2001.
- 90 الهجوم على أفغانستان، واحتلالها تحت ذريعة مطاردة تنظيم القاعدة ثم بعد 20 عام فشلت، وهربت من أفغانستان.
- 91 الهجوم على العراق، واحتلاله دون تفويض من الأمم المتحدة 2003.
- 92 الهجوم على ليبيا بعد قيام الثورة فيها والإطاحة بالقذافي 2011.
- 93 الدعم الرسمي للمجموعات الإرهابية المسلحة الشيعية في سوريا والعراق 2011.
- 94 عدوانها المباشر بكل الأسلحة المحرمة الدولية على السنة في العراق تحت مبرر مقاتلته داعش.
- 95 تمكين الشيعة من بلاد الرافدين 2017.
- 96 إعلان القدس عاصمة لإسرائيل 2018.
- 97 مشاركة الكيان الصهيوني في مجازر غزة ومنع إيقاف الحرب واستخدام الفيتو ثلاث مرات تحدياً كل دول العالم واستمر قتل آلاف الأطفال والنساء والشيخوخة عيون العالم.
- إنه تاريخ إجرامي أسود، وهو عارٌ على الجنس البشري إلى قيام الساعة. ولقد سئل ريتشارد دوكينز نفسه في برنامج تلفزي عن الفظائع التي ارتكبها "ستالين" وغيره من الملاحقة، لم يجد تبريراً غير الجواب بطريقه ساخرة: ستالين ارتكب كل تلك الجرائم؛ لأن له شارياً !!

صراع الدم والأرض: القصة الدامية للحرب الأهلية الأمريكية

الحرب الأهلية الأمريكية (1861-1865) كانت صراعاً بين ولايات الشمال (الاتحاد) وولايات الجنوب (الكونفدرالية) حول قضية العبودية وحقوق الولايات. بدأت الحرب بعد انفصال 11 ولاية جنوبية عقب انتخاب أبراهام لينكولن رئيساً، وانتهت باستسلام الجنوب في 9 أبريل 1865. شهدت الحرب معارك دموية مثل معركة أنتيتاب وجيتيسبرغ، وأصدر لينكولن خلالها إعلان تحرير العبيد في 1863. أسفرت الحرب عن مقتل حوالي 620,000 إلى 750,000 شخص، وإصابة أكثر من مليون آخر، وانتهت بإلغاء العبودية في الولايات المتحدة.

المطلب السابع: مائة مليون قتيل حصاد القرن العشرين

في سنة 1997 طبع في فرنسا كتاب: "الكتاب الأسود للشيوعية: الجرائم والإرهاب والقمع"، وكان خلاصة عمل أحد عشر باحثاً أكاديمياً، وأعادت مطبعة جامعة هارفارد طبعه في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان مما أثار الرعب هو عدد القتلى الفظيع الذي حصده الشيوعية أثناء حكمها، والغريب أن المؤلفين قد استثنوا إحصائيات الحروب! لكن العدد يتجاوز 100 مليون في القرن العشرين وحده، وجاءت الأعداد موزعة على الشكل التالي:

الدولة	عدد القتلى
الصين	65 مليون قتيل
في الاتحاد السوفييتي	20 مليون قتيل
فيتنام	1 مليون قتيل
كوريا الشمالية	2 مليون قتيل
كمبوديا	2 مليون قتيل
أوروبا الشرقية	1 مليون قتيل
أمريكا اللاتينية	150 ألف قتيل
إفريقيا	7.1 مليون قتيل
أفغانستان	5.1 مليون قتيل

كانت كل هذه الأعداد الهائلة من القتلى؛ في سبيل القضاء على الأديان، وترسيخ سيادة الإنسان على الأرض، والمفجع أن أكثر هذه الجرائم لم تكن في حروب متكافئة بين دول متنازعة، بل ارتكبَ أغلبُها في حقِّ الشعوب المستضعفَة، والأقليات العرقية والدينية.

جوزيف ستالين، ماو تسي تونغ، بول بوت، كيم إيل سونغ وغيرهم، كان هؤلاء الجبابرة من الملحدين الذين نَكَلُوا بشعوبهم؛ من أجل استئصال كل المعتقدات الدينية، وتمَّ قَتْلُ هذه الأعداد نتيجة التعذيب في المعتقلات، وسياسات التهجير القسري، وإبادة العرقيات والعمل في معسكرات الأعمال الشاقة، بالإضافة إلى التجويع المعتمد، هذه الممارسات التي أدت مثلاً إلى قتل ربع سكان كمبوديا!! فقد كان تعداد المسلمين في كمبوديا حوالي 40 ألف نسمة، لم يبقَ منهم بعد سقوط نظام "الخمير الحمر"⁽⁵⁷³⁾ سوى أربعة أشخاص.

(573) الخمير الحمر (بالغميرة: خمير كراهام) كان الحزب السياسي الحاكم في كمبوديا منذ عام 1975 إلى عام 1979، وهو عبارة عن حلف لمجموعة أحزاب شيوعية في كمبوديا تطورت لاحقاً لتشكل الحزب الشيوعي لكمبوديشيا أو اختصاراً (PCK) ولاحقاً حزب كمبوديشيا الديمقراطي. تُعتبر منظمة الخمير الحمر المسئولة عن موت 1.5 مليون شخص (أحياناً يقدرون بين 850,000 إلى 3 مليون) في ظل نظامهم، عن طريق الإعدام، والتعذيب والأعمال الشاقة. ومعنى كلمة الخمير في اللغة الكمبودية الفلاح حيث كانوا يقدسون الأعمال الزراعية ويعتبرون الفلاح هاماً في اقتصاد البلد وأفضل من غيره.

الباب العاشر: المرأة عند الملاحدة:

ويشتمل على المباحث التالية:

- مكانة المرأة عند الملاحدة
- المرأة بين الإسلام والإلحاد.
- حقيقة الرؤية الإسلامية.

المبحث الأول: مكانة المرأة عند الملاحدة

إن المرأة في نظرة الإلحاد عبارة عن كائن حقير بيولوجيًا، وحتى يومنا هذا ما زال الملحدون يرون أنها كائن مختلف عقليًا، وأدنى من الرجل، وهذا ما أكدته تشارلز داروين وذلك بقوله: "إن المرأة أدنى في المرتبة من الرجل وسلامتها تأتي في درجة أدنى بكثير من الرجل".

ويقول في موضع آخر: "المرأة لا تصلح إلا لمهام المنزل وإضفاء البهجة على البيت فالمرأة في البيت أفضل من الكلب للأسباب السابقة".

فنلاحظ عدائية لا مثيل لها من داروين اتجاه المرأة فهو يصنفها كمخلوق بين الإنسان والحيوان أي أفضل من الحيوان وأدنى من الإنسان، وإن الدارس لكتب داروين لن يتفاجأ بكلامه هذا إذ إن نظريته مبنية على أن البقاء للأصلح، والسلطة للأقوى، وأن مدى قوّة نوع تظهر في كيفية مقاتلته على البقاء، وأن الضعف الرديء لا يستحق الحياة، ولهذا نجد أنه بوب بابا في كتابه تطور الأنواع (الانتقاء الطبيعي أو البقاء للأصلح) يشرح فيه كيف أن البقاء على الحياة يكون للأكثر صلاحاً وقوّة، وبما أن المرأة أضعف من الرجل فالرجل أصلح منها والأكثر استحقاقاً للحياة.

وكان لـ(أرثور شوبنهاور) الملحد الألماني الشهير، نزعة تشاومية لا نظير لها وبغض شديد للمرأة، ويرجع ذلك كما ذكر المؤرخون إلى علاقته المضطربة بأمه التي كانت تعيش حياة التحرر من قيود الفضيلة، فكان يراجعها دائمًا ويخاصمها لذلك رُؤيَ أنه ذات يوم بينما كان يراجعها دفعته من أعلى الدرج فسقط، ومنذ ذلك اليوم لم يرها قط.

ويُروي أيضًا أنه قال لها مقولته الشهيرة وهي: "أن التاريخ لن يذكرها سوى بأنّها كانت أما لشوبنهاور.." وبالفعل حدث ذلك.

فمن خلال هذه الآثار النفسية التي أثّرت كثيراً في شوبنهاور صور له عقله صورة سوداء عن المرأة، ومن الأدلة الواضحة على ذلك أقواله التي سطّرها في كتبه، وعزمها على ترك الزواج حتى الممات وحدث ذلك بالفعل، يقول في أحد كتبه: "المرأة مهيئة بطبيعتها لأن تكون ممرضة أو معلمة لنا وأن تظل سخيفة منذ أكبر أيام طفولتها لأن عقليتها هي نفسها طفولية وسخيفة وتتميّز بقصر النظر"، ويقول في نفس الكتاب: "لا يمكن أن يسمّي الرجل مخلوقة صغيرة النهدين وعريضة المنكبين وقصيرة الساقين الجنس اللطيف إلا إذا كان ذهنه مشوشًا بشهوة جنسية طاغية فعلى هذه الشهوة فقط تتوقف كل صفات الجمال لدى المرأة لذا قد يكون الأولى بنا أن نسمي المرأة الجنس الوحش لا الجنس اللطيف".

ويرى الفيلسوف والكاتب الروائي الألماني فريدريك نيتشيه أن المرأة لا تصلح للعمل خارج بيته، وأنّها ضعيفة، وليس إلّا وسيلة للترفيه عن الرجال؛ إذ قال: "ينبغي أن يربّي الرجل للحرب، والمرأة لاستراحة المحارب، وكلّ ما عدا ذلك فحمق".

ولقد كان نيتشيه متأثراً بأفكار شوبنهاور تأثراً كثيراً، فهو لا يخالفه في موقفه من المرأة بل ويصيغه بعنف أكبر وحقد أكثر.

ويشير (برتراند راسل) إلى أن عدوانيته نحو المرأة كانت انتصاراً لنفسه التي كانت ضعيفة أمام المرأة، فقد أحبّ عدّة نساء ولكن لم ينجح في مواصلة علاقته معهن فقد تركته حبيبته التي كان يحبّها كثيراً وتزوجت بغيره، ولكن رأي برتراند يبقى غير مؤكّد، إلّا أنّ الأمر الذي يمكننا أن نؤكّده هو التأثير الشديد بأستاذه شوبنهاور، وهذا ما

سيطره نيتشه لما قال: "وجدت كتاب شوبنهاور مرآة طالعت فيها العالم والحياة بل وطبيعة نفسي مرسومة في جلال مخيف"، ويستطرد نيتشه قائلاً في هذا الشأن: "إنه ليبدوا لي أن شوبنهاور كان يخاطبني أنا".

فنظرته التشاورية نحو كل شيء ونحو المرأة بالخصوص ما هي إلا إعادة صياغة لأفكار شوبنهاور ممزوجة بنوع من العنف والكراهية فنراه يصف النساء بأنهن قلط وأبقار على أحسن تقدير، ويرى أن المرأة تظهر تفاهتها وضحالتها وميلها إلى السيطرة والتحكم والعواطف الهوجاء إذا ما تركت على سجيتها، ويؤكد أن: "دورهن في الحياة يقتصر على الترفية عن الرجال الأبطال الذين يتربون ليل نهار على الحياة العسكرية الصارمة".

وقد سطر نيتشه كل هذه الأقوال المخزية في كتابه (هكذا تكلم زرادشت) وفي كتابه (ما وراء الخير والشر). ولقد قام الطبيب النمساوي (سيغيسموند شلومو فرويد) بمحاجمة المرأة من خلال كتاباته ومقالاته ووصفها بأبشع الأوصاف، وبرغم أنه درس الطب العصبي وبرع فيه ويعتبر مؤسس علم التحليل النفسي إلا أنه كان جاهلاً بموضوع المرأة وحقيقة، ولا يرجع هجومه على المرأة إلى أسباب نفسية ولا اجتماعية، فقد عاش حياة طبيعية مع والديه، وكذلك عاش حياة مستقرة مع حبيبته، ولكن يرجع هجومه على المرأة إلى دراساته التي كانت غير موضوعية باعتبار أن فرضيات أبحاثه العلمية حول المرأة كانت تابعة لأفكار مجتمعه آنذاك الذي كان ينظر بتلك النظرة للمرأة، فقد وضح (ديميترى أفييرينوس) هذا في مقال تحت عنوان (فرويد ونفسانية المرأة) حيث قال: "فبصرف النظر عن الأخطاء التي وقع فيها فرويد نتيجة تأثره بروح عصره الذي عاش فيه يتحمل مسئولية هذا الأمر كذلك المתחمرون للنظريات الفرويدية الذين روجوا بكل حسن ظن لآراء معلمهم"، أضاف إلى ذلك أنه كان من المؤثرين كثيراً بنظرية داروين وبأرائه حيث قال في هذا الشأن: "غير أن نظرية داروين التي شاع الإهتمام بها في ذلك الحين اجتذبتي إليها اجتذاباً قوياً لما كانت تبشر من تقدم فائق في تفهم الكون.." ويرى فرويد أن المرأة من أقل الأشياء التي تؤثر في نمو الحضارات إلا في بعض النشاطات مثل الحياة.

ويُروى عنه كثيراً أنه قال: "إن المرأة لا تصلح إلا لإشباع رغبات الرجل". ويقال أيضاً أنه كان يفضل الحصول على الأبناء دون البنات وقد حصل على 3 أولاد وبنتين وما حملت زوجته كان يتمنى أن يكون ولداً لتكون السيدة للرجال ولكن ولدت له (آنا) التي أصبحت فيما بعد طبيبة مثله.

وقالت الملحدة (مارسي بيانكو): "تُستبعد النساء من الحركة الإلحادية؛ لأن قادتها يعتقدون أن النساء ليسن مخلوقات عقلانية"، وكانت مقولتها تلك بعدما نُشر مقال يدفع النساء للخروج من حركة الإلحاد في أمريكا. وفي كل حروبهم القدرة كان للمرأة حصتها من المأساة، تقول المؤرخة الألمانية (ميرiam غيرهارد) في كتابها (عندما أتى الجنود): "بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية اغتصب جنود الحلفاء (الأمريكان والروس والبريطانيون والفرنسيون) 2 مليون امرأة ألمانية".

والعجب أنَّ مرتکبو هذه الجرائم يحاصرون الأفغان اليوم عن حقوق المرأة الأفغانية!!، ولذلك ينبغي علينا بيان مكانة المرأة في الإسلام مع كل فرصة وتوضيح كيف أن الإسلام كرمها أمّا وزوجاً وطفلاً وأختاً وبنّا وأرملة... .

المبحث الثاني: المرأة بين الإسلام والإلحاد⁽⁵⁷⁴⁾:

من خلال هذه المقتطفات التي اقتبسناها من كتب هؤلاء الملحدين أو من أبحاث ودراسات لفکرهم يتبيّن لنا

(574) المرأة بين الإسلام والإلحاد النصرانية /دكتور سامي عامري.

جليلًا أن الملاحدة لم يعطوا للمرأة حقها وأئمهم ظلموها وأساؤوا إليها، والعجب كل العجب أنك تجد الآن كثيرون منهم يتهمون على الإسلام مدعياً أنه ظلم المرأة ومنعها من حقوقها وهو يتناسى كل ما ذكره أعلامهم عن المرأة ويتناهى من جهة أخرى ما أخبر به الله في كتابه العزيز عن المرأة والمنزلة الرفيعة التي منحها إياها؛ إذ يقول الله سبحانه: {هُوَ الَّذِي خَلَقْتُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيُسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَعْشَاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَثَ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبِّهِمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الأعراف: 189].

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَنْقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

في بينما جعل هؤلاء الملاحدة المرأة مخلوقاً غير الإنسان؛ أقر الله سبحانه وتعالى بأنها إنسان وكل الناس لها كرامتها وعزتها وأنه سبحانه فضل الرجل والمرأة على كثير ممن خلق تفضيلاً، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَعْظِيْلًا} [الإسراء: 70].

وبينما يشبه أعلامهم المرأة بالحيوانات، رب العزة سبحانه وتعالى يصفها ويصف بني آدم بأنه خلقهم في أحسن تقويم وأنه خلقهم فأحسن تصويرهم كما قال سبحانه: {الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ} [الإنفطار: 7] وقال سبحانه: {لَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين: 4].

وبينما يصف هؤلاء الملاحدة المرأة بسخافتها وعدم أهميتها نجد أن الله سبحانه وتعالى أوكل إليها مهمة عظيمة ومشروفة وهي الجلوس في البيت ليس احتقاراً لها حاشا الله، ولكن لتربية أولادها تربية سليمة كي يصبحوا في المستقبل أسياداً لأقوامهم فيرفعوا راية الإسلام عالياً، فكفى شرفاً للمرء أن يوضع مستقبل الأمة (النَّشُءُ) بين يديه، وبينما كان هؤلاء ينظرون إلى المرأة نظرة شهوانية محضة، فإن رب العزة والجلال أمرها بستر نفسها كي يحفظ لها شرفها ويصون عرضها قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَا زَوْاجَكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيْهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعَرَّفَنَّ فَلَا يُؤْذِنُونَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} [الأحزاب: 59].

فالله سبحانه وتعالى هو الحكيم الخبير وهو الذي يعلم ما يصلح للبشرية وما يصلح للذكر والأنثى، وشاء سبحانه أن يجعل لكل منها مهمته التي تليق به فلا يظلم رب أحداً قال الله تعالى: {أَنَّتُمْ أَعْلَمُ أَمَّ اللَّهُ} [البقرة: 140]، ويقول تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: 14].⁽⁵⁷⁵⁾

المبحث الثالث: حقيقة الرؤية الإسلامية للمرأة⁽⁵⁷⁶⁾

دعونا في السطور التالية نترك للقرآن والسنة بيان رؤية الإسلام للمرأة، فثمة فارق كبير بين رؤية الإلحاد للمرأة، وبين رؤية الإسلام لها، والمتمعن جيداً في الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، سيدرك أصول تلك الرؤية إدراكاً تاماً لا لبس فيه، حيث أنها ستؤرثه (علمًا) بحال المرأة عصر البعثة، (وعيًّا) بثورة حقوقية ارتفعت بالمرأة فوق ثقافة العصر:

أولاً: المساواة في الاعتبار الأدبي ومنحه الميدالية:

مساواة المرأة للرجل في الكرامة والهداية، حُكْمٌ مُعْلَنٌ من مبدأ نزول الوحي، لا ينسخه تطاول الزمان ولا تَقْلُبُ

(575) مقالة المرأة بين الإسلام وعلمانيه المحدين للباحث الإسلامي أبو ذر القصراوي.

(576) المصدر: كتاب: المرأة بين الإسلام والإلحاد والنصرانية د. سامي عامري.

صروف الأيام..

قال تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاسِعَاتِ وَالْخَاسِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجُهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالَّذَاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالَّذَاكِرَاتِ أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 35].

وقال تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَيْنَ لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْتَ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلٍ وَقَاتَلُوا لَا كَفَرُوا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ التَّوَابِ} [آل عمران: 195].

"من ذكر أو أنثى" .. هكذا تتكرر القاعدة القرآنية في تقويم كيان المرأة، فأمر إتيان صالح الأعمال أو مقارفة خبيث الأفعال، لا يرتفع فوقه الإنسان بطبيعة هرمونية أو أعضاء تناسلية خاصة، بل هو منوط بمضافة في الصدر، تسمى: "القلب"، قد تصلح في المرأة كما تصلح في الرجل، وقد تفسد في المرأة كما تفسد في الرجل.

إن من يعمل سوءاً يردد جهنّم مذووماً مدحوراً، ويسلم إلى الزبانية يذيفونه وبالأمره وحيداً مخدولاً، أيّاً كان جنسه، ذكراً أو أنثى، ومن يعمّر صحائف أعماله بالجليل والعظيم من الخيرات يردد الجنان مغبوطاً، ذكراً كان أو أنثى، وتزلف إليه النعم والخيرات، رجلاً كان أو امرأة..

وقال تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ التَّجْدِينِ} [البلد: 8-10]، إن الإنسان بجنسه يملك - بعدل الله وأمره القدري - أمر ملابسة الخطيئة، وأمر التباعد عنها واجتنابها والارتفاع فوق دنيء الأمور ورذيلها.. لقد آتى الله سبحانه الإنسان معرفة فطرية وقدرة على التلقن والتلقن المعرفي والنمو الذهني والنفسي، وهو بهذه الفطرة المخزونة فيه، وهذا التحصيل المتراكم داخله؛ قادر بتوفيق الله أن يهتدى إلى الحق وأن يعمل به..

ثانياً: البراءة الأصلية للمرأة:

إن المرأة في القرآن ليست شرّاً في أصل بناءها البيولوجي أو طبيعتها النفسية والاجتماعية؛ فالمرأة ذات إرادة حرّة - كالرجل -، تختار أيّاً من طريق "النجدين" تُريد، فإن اختارت مسلك الهدایة؛ فهي إلى جنات ونهر، وإن اختارت خط الغواية؛ هَوَت إلى دركات النار؛ جزاء للاختبار الحر لا للأصل الهرموني لتكوينها الخاص.. إن الصلاح ليس بضاعة ذكرية، كما أنه ليس نتاجاً رجالياً صرفاً.

ثالثاً: معيار التفاضل بين النساء والرجال:

قال الحق سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَمِيرٌ} [الحجرات: 13]، فاللتقوى هي المعيار، بعد أن استوى الرجل والمرأة في ماهية الكينونة الإنسانية؛ فكلاهما أصل البشرية، وهما مكوناً "الشعوب" و"القبائل".

وقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 77].

وقد كان أعظم إعلان في ميثاق تحرير المرأة؛ قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "... النّساء شقائق الرجال".⁽⁵⁷⁷⁾ وقد فسر العلماء كلمة "شقائق" بالنظائر والأمثال؛ فالنساء في أصل التكليف وفي الحساب والعقاب والثواب

(577) أخرجه أبو داود (236) واللفظ له، والترمذى (113)، وابن ماجه (612) باختلاف يسير/من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

سواء بسواء مع الرجال، فليس الرجل سحابة بيضاء في سمائها ولو ارتكس في حمأة الفساد وولغ من بئر الشقاء، ولن تست المرأة بالكائن الدنس ولو حصلت من العلم والعمل خيرهما وأذكاهم.

إن النساء مكلفات كما الرجال، يتعلق بأفعالهن الحكم الشرعي سواء كان وضعياً كالصحة والفساد، أو كان تكليفيّاً: إيجاباً أو تخيراً أو إباحة.

إن المرأة في الإسلام، كالرجل في الإسلام، من أحسن فلها، ومن ضل فعلمها: {قُلْ أَعَيْرَ اللَّهَ أَبْغِيْ رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكُسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُّ وَازِرَةٌ وَزِرَّ أَخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُبَيَّنَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [الأنعام: 164].. وقال تعالى: {وَلَا تَزِرُّ وَازِرَةٌ وَزِرَّ أَخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُنْقَلَةً إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَّغَ فَإِنَّمَا يَتَزَّغُ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} [فاطر: 18]، إن الخطيئة لا تورث!

فالخطيئة ليست جينات تنتقل، ولا ملابس تلبس قسراً، ولا أغلال يغل بها المرء رغمما عنه، إن الخطيئة هي أمر باطل يقارفه المرء عن اختيار وقدر، فهو فعل اختياري إرادي!

وقد وهب الحق سبحانه للإنسان إرادة حرة (داخل إرادة القدر)، ونسب إليه إرادة ثانية في نفسه ومؤثرة في الكون، {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} [التكوير: 28].

كما كشف سبحانه أنه قد وضع أمام الإنسان طريقين، طريق الخير وطريق الشر؛ ليختار بنفسه، حتى يتحقق له العطاء بفضل الله، إن أحسن وجود، ويتحقق عليه العذاب؛ إن أساء وفرط..

رابعاً: المرأة وثورة الحقوق:

أعادت المنظومة التشريعية في القرآن والسنة صياغة رؤية جديدة لحقوق المرأة، ومن ذلك:

- أن الإسلام أعاد تعريف الزواج، بأن جعل جوهره، سكون الأنفس إلى بعضها، قال الله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ حَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَرْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم: 21].
وجعل للمرأة حقوقاً في الزواج، تؤدي إليها بالمعروف، قال الله تعالى: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [البقرة: 228].

قال ابن كثير: "أي: ولمن على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهم، فليؤود كل واحد مهما إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف".⁽⁵⁷⁸⁾

- وأعطى الأنثى الحق في قبول من يطلبها للزواج ورفضه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تنكح الأم حتي ت庶 أمراً، ولا تنكح البكر حتى تستاذن".⁽⁵⁷⁹⁾

- وأمر بإكرام العروس بالمهر، تحبباً: {وَآتُوا النِّسَاءَ صَدْقَاتِهِنَّ نِحْلَةً} [النساء: 4].

- وأمر الرجل بالإنفاق على الزوجة، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "ولهن عليكم رزقهن وكسوةهن بالمعروف".⁽⁵⁸⁰⁾

- ورفعها لتكون سيدة في بيت زوجها، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمیر الذي على التاس راعٍ عليهم وهو مسؤول عنهم والرجل راعي أهل بيته وهو مسؤول عنهم والمرأة راعية على بيت

(578) تفسير القرآن العظيم" (1/363).

(579) صحيح البخاري: 5136، وأخرجه مسلم: (1419)

(580) المحدث: ابن حجر الطبرى - المصدر: تفسير الطبرى، 392/2/3، الرواى: جابر بن عبد الله، خلاصة حكم الحديث: صحيح

بَعْلِهَا وَوْلِدِهِ وَهِيَ مُسْؤُلَةٌ عَنْهُمْ وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مُسْؤُلٌ عَنْهُ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، كُلُّكُمْ مُسْؤُلٌ عَنْ رِعْيَتِهِ".⁽⁵⁸¹⁾

- وأمر الزوج بالصبر على زوجته عند خطئها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنَّ كَرَهَ مِنْهَا حُلْقًا رَضِيَّ مِنْهَا آخَرًا، أَوْ قَالَ: عَيْرَةً".⁽⁵⁸²⁾

- وأوجب على الرجل أن يحسن فراق زوجته عند الطلاق: {الظَّالِقُ مَرَّتَانِ فِإِمْسَاكٍ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيجٍ بِإِحْسَانٍ}[البقرة: 229].

- عظم حق الأم، وأوجب إكرامها: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكُمُ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقْلِيلَ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا}[الإسراء: 23].

- وأخبر أن طاعة الأم طريق مذلل إلى الجنة، قال الرسول صلى الله عليه وسلم عن الأم: "... فالزَّمْهَا فِي الْجَنَّةِ تَحْتَ رِجْلِهَا".⁽⁵⁸³⁾

- وجعل حق الأم مقدم على حق الأب؛ فقد جاءَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِجُنُونِ صَحَابَتِي؟" قَالَ: "أُمُّكَ" ، قَالَ: "ثُمَّ مَنْ؟" قَالَ: "ثُمَّ أُمُّكَ" ، قَالَ: "ثُمَّ مَنْ؟" قَالَ: "ثُمَّ أُمُّكَ" .⁽⁵⁸⁴⁾

- وجعل للأمني ميراثاً، وشدد على هذا الحق، قال تعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا}[النساء: 7].

- ومنع أن تُورَثَ المرأة، مخالفًا العرف العربي: فعن ابن عباس: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجِدُ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كُرْهًا وَلَا تَعْصُلُوهُنَّ لِتَذَهَّبُوا بِعَيْنِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ" [النساء: 19] ، قال: كَانُوا إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ كَانَ أُولَيَا وَهُوَ أَحَقُّ بِأُمْرَأَتِهِ؛ إِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَرَوَّجَهَا، وَإِنْ شَاءُوا رَزَّوْجُوهَا، فَهُمْ أَحَقُّ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا، فَنَزَّلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي ذَلِكَ".⁽⁵⁸⁵⁾

ونزل قوله تعالى في النبي أن تورث زوجة الأب: {وَلَا تَنِكِحُوا مَا نَكَحَ آباؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِلَهُ كَانَ فَاجِشَةً وَمَقْتَنًا وَسَاءَ سَبِيلًا}[النساء: 22].

- وعاقب من يعتدي على عرض المرأة بالكلام بشديد العقاب، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شَهَادَةً فَاجْلِدُوهُنْ شَمَائِينَ جَلْدًا وَلَا تَقْبِلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}[النور: 23].

- ورفع عن المرأة تكليف الجهاد - وهو شديد - ويسراً جهاد لها، وذلك أنَّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل على النساء جهاد؟" قال: نعم جهاد لا قتال فيه: الحج والعمره".⁽⁵⁸⁶⁾

- وقرر الإسلام للنساء حق في العلم، فعن أبي سعيد الخدري، قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم: "غَلَبَنا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ تَقْسِيكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيهِنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمْرَهُنَّ...".⁽⁵⁸⁷⁾

(581) أخرجه البخاري (2554)، ومسلم (1829) باختلاف يسير، الراوي: عبد الله بن عمر.

(582) صحيح مسلم (1469) / الراوي: أبو هريرة.

(583) أخرجه النسائي (3104) واللفظ له، وابن ماجه بعد حديث (2781)، وأحمد (15538) باختلاف يسير.

(584) أخرجه البخاري (5971)، ومسلم (2548) / الراوي: أبو هريرة.

(585) صحيح البخاري: الرقم أو الصفحة: 4579.

(586) خلاصة حكم الحديث: صحيح/المصدر: البدر المنير: ص أو رقم: 9/36.

(587) صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 101.

- وعَظَمْ إِكْرَامُ الْبَنَاتِ، قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثٌ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ وَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَّتِهِ كَنَّ لَهُ حَجَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".⁽⁵⁸⁸⁾

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ دَخَلَتْ أَنَا وَهُوَ الْجَنَّةُ كَهَاتِينِ وَأَشَارَ بِأَصْبَعِيهِ".⁽⁵⁸⁹⁾

- وَحَذَرَ مِنْ ظُلْمِ النِّسَاءِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ أَحَرَّجَ عَلَيْكُمْ حَقَّ الْمُضَعِّفِينَ: الْيَتَيمُ، وَالْمَرْأَةُ".⁽⁵⁹⁰⁾
أَيْ: أَضَبَّقُ عَلَى النَّاسِ فِي تَضَيِّعِ حَقِّهِمْ، وَأَشَدِّدُ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ، وَأَحَدِّرُهُمْ مِنَ الْوُقُوعِ فِي ظُلْمِهِمْ، (الْمُضَعِّفِينَ) وَهُمَا الَّذِيَانِ لَا حَوْلَ لَهُمَا وَلَا قُوَّةَ، وَلَا يَنْتَصِرُانِ لِأَنفُسِهِمَا، وَقَدْ وَصَفَهُمَا بِالضَّعْفِ اسْتِعْطاَفًا وَزِيادةً فِي التَّحْذِيرِ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كُلَّمَا كَانَ أَضَعَفَ كَانَتْ عِنْيَاهُ اللَّهُ بِهِ أَتَمَّ، وَانتِقاَمُهُ مِنْ ظَالِمِهِ أَشَدَّ، وَأَوْلَ الْمُضَعِّفِينَ (الْيَتَيمُ) وَهُوَ الَّذِي فَقَدَ أَبَاهُ صَغِيرًا، وَفَقَدَ حِمَايَتَهُ وَرِعايَتَهُ، (وَالْمَرْأَةُ) وَوَجْهُ ضَعْفِ الْمَرْأَةِ ظَاهِرٌ بَلْ مَحْسُوسٌ، وَقَدْ جَعَلَ الشَّرْعُ لِلرَّجُلِ الْوَلَايَةَ عَلَيْهَا لِرِعايَتِهَا وَحِفْظِ حُقُوقِهَا لَا لَهُضَمِّمَا؛ فَلَا يُزَادُ فِي ضَعْفِهَا بِضَرِّهَا وَمَطَالِبِهَا بِأَكْثَرِ مِمَّا أَقْرَهَ وَسَمَحَ بِهِ الشَّرْعُ تُجَاهَ الرَّوْجِ، وَالْخِطَابُ هُنَا لِأُولَاءِ الْمَرْأَةِ وَالْأَزْوَاجِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: عِنْيَاهُ الْإِسْلَامِ بِحُقُوقِ الْمُضَعِّفِاءِ عُمُومًا، وَاعْتَنَاؤُهُ بِحُقُوقِ الْيَتَيمِ وَالْمَرْأَةِ خَصْوَصًا.⁽⁵⁹¹⁾

- وَكَانَتْ آخِرُ وَصَايَا الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ حُلْقُنَّ مِنْ ضِلَاعِ...".⁽⁵⁹²⁾

- وَيَسْتَمِرُ تَدْفُقُ الْخَيْرِ الْإِسْلَامِيِّ، وَيَنْبَثِقُ فِي ضِيَافَةِ النُّورِ مِنْ قَوْلِ الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي".⁽⁵⁹³⁾
إِنَّا، الْإِحْسَانَ إِلَى الْأَهْلِ مَعيَارٌ لِلتَّميِيزِ بَيْنَ الْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ، بَيْنَ أَهْلِ الْإِنْصَافِ وَبَيْنَ الْمُتَخَبِطِينَ فِي عَتْمَةِ الظَّلَامِ...
فَالْمَرْأَةُ - الْعَارُ وَالشَّيْطَانُ عِنْدَ غَيْرِنَا - هِيَ فِي مَنْظُومَةِ الْإِسْلَامِ، طَرِيقٌ مَذْلُولٌ لِلرَّجُلِ إِلَى جَنَّاتِ عَدْنِ.. وَمَعْبُرٌ مُختَصَرٌ إِلَى أَرْضِ الْأَمَانِ.. بَلْ سَبِيلٌ إِلَى أَنْ يَرْزَقَ الْمَرْءُ أَعْلَى مَرْتَبَةٍ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ بِمَرْافِقَةِ الْحَبِيبِ الْأَمِينِ صَلَواتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

إِنَّ الْأَنْثَى لَيْسَتْ مَرْأَةٌ تَعْكِسُ نَقْصَ الْعَالَمِ وَفَسَادَهُ؛ بَلْ هِيَ دَلِيلٌ عَظِيمٌ عَلَى عَظَمَةِ الْخَالِقِ.. وَدَلِيلٌ تَنَاسُقِ الْكُونِ وَجَمَالِهِ..
هَكَذَا تَقُولُ الْآيَةُ الْقُرْآنِيَّةُ فِي قَسْمِ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ: {وَاللَّيْلُ إِذَا يَعْشَى * وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّ * وَمَا خَلَقَ الدَّكَرُ وَالْأُنْثَى} [اللَّيْلُ: 1-3].

(588) الراوي: عقبة بن عامر/أخرجه ابن ماجه (3669) واللفظ له، وأحمد (17403).

(589) الراوي: أنس بن مالك/أخرجه الترمذى (1914) واللفظ له، وأخرجه مسلم (2631) بلفظ مقارب.

(590) الراوي: أبو هريرة/حكم الحديث: حسن/ صحيح الجامع/ الصفحة أو الرقم (2447).

(591) الموسوعة الحديثية/ الدرر السننية.

(592) الراوي: أبو هريرة/أخرجه البخاري (5185)، 5186، ومسلم (47)، 1468.

(593) الراوي: عاشة أم المؤمنين/أخرجه الترمذى (3895) واللفظ له، والدارمى (2260)، وابن أبي الدنيا في ((مداراة الناس)) (154)

الباب الحادي عشر: الدعوة إلى الإسلام، والرد على الشبهات

ويتكون من الفصول التالية:

الفصل الأول: المشاريع الدعوية في دعوة الملاحدة للاسلام

ويشتمل على المباحث التالية

- التعريف بأساسيات الإسلام وفق مشروع GORAP.

- نماذج حوارية ملخصة لدعوة الملاحدة.

الفصل الثاني: حقيقة الإسلام ومعناه، وإلى ماذا يدعوا؟

ويشتمل على المباحث التالية

- حقيقة الإسلام ومعناه، وإلى ماذا يدعوا؟

- القاعدة الأساسية للدين الإسلام (كلمة التوحيد).

- لماذا خلقنا الله؟

- ماذا سأجد في مصادر الإسلام؟

الفصل الثالث: شبهات تثار حول الإسلام

ويشتمل على المباحث التالية:

- الإسلام وحرب المصطلحات.

- الرد على الشبهات المثارة حول الإسلام.

- الإرهاب، حقيقته في الإسلام، وعند الغرب.

الفصل الأول: المشاريع الدعوية في دعوة الملاحدة للإسلام

المبحث الأول: التعريف بأساسيات الإسلام وفق نموذج GORAP (من فريق جمعية آيرا)

المطلب الأول: مقاربة وجود الله ووحدانيته - الوحي والنبوة:

تعتبر مقاربة وجود الله ووحدانيته - الوحي والنبوة - أداة فعالة للغاية؛ لبناء وتنظيم حواراتك مع غير المسلمين.

- أهم ما تعرّف غير المسلم بالإسلام، وكيف ولدت فكرة "GORAP"؟⁽⁵⁹⁴⁾

هذه قصة شاب اعتنق الإسلام جديداً وقد قرر أن يذهب دوماً إلى "Speakers' Corner Hyde park" في لندن، وكانت مهمته أن يناقش وينتظر ويُرد على الشبهات حول الإسلام لغير المسلمين، فقد فتح الله له من العلم والشهرة شيء الكثير، هذا الشاب هو عبد الرحيم جرين، أحد أشهر دعاة بريطانيا.

ذات مرة قابل أحد الدعاة إلى الله - وهو شيخ مصرى ذو كعب عالٍ في العلم أثناء رحله دعوية في أحد مساجد المسلمين هناك - قابل الأخوة المُصاحبِين لهذا الشاب التَّشِيط في الدُّعَوة إلى الله في "Hyde Park" وقد طلب منهم أن يرى نشاطه وبالفعل جلس الداعية منصتاً له.

في آخر الجلسة مدح الشيخ الداعية الشاب، وأثنى عليه كثيراً، قائلاً له: "أنت حقاً ممتاز في درء الشبهات، وفن الرد على الأسئلة، والدفاع عن الإسلام"، لكن سرعان ما فاجأه بصدمة كبيرة لم تكن متوقعة خاصةً أن هذا الشاب كان يُحضر مئات الآلاف يومياً من المسلمين وغير المسلمين، وأدهشه أنه قد نسي أمراً لا يقل أهميةً عما سبق ذكره، إلا وهو أنه لم يُعرفهم أولاً بالإسلام!

يُعقبُ الشيخ عبد الرحيم مكارثي على هذا الموقف خاصةً أنه فوجئ بذلك بعد عشرين عاماً من الدعوة الدؤوب والخبرة العالية في هذا المجال لما كان شاباً، قائلاً: "إن هذا الأمر زلزلني بشدةً وكأن شيئاً غليظاً دفعني في صدري بقوه!"

ظل مذهولاً مطرياً لبعض الوقت ثم بادره الداعية بالحلول العملية والنصائح، وكانت من جملة النصائح: أنه يجب عليه:

- أولاً أن يوضح لهم أدلة وجود الله عز وجل وربوبيته وألوهيته وكمال أسمائه وصفاته سبحانه.

- ثانياً: ذكر التعريف بالقرآن والتعريف بالنبي صلى الله عليه وسلم، فهذه هي الأصول والأمور الأساسية التي عليها مدار الإسلام والتعريف به إجمالاً.

ومن هنا ولدت فكرة "GORAP"!

يقول الأخوة من فريق آيرا في بريطانيا: "بعد سنوات طويلة في مجال الدعوة، نلاحظ تكرار الأسئلة نفسها دائمًا، وعلى الرغم من وجود شروحات وافية لهذه الأسئلة (ودخول الناس في الإسلام في بعض الأحيان)، إلا أن أحد المشايخ أشار إلى أن الإجابات لن ترضي السائل دائمًا؛ نتيجة لعدم إقامة الأسس، ما يفتح المجال أمام طرح المزيد والمزيد من الأسئلة".

(594) في إطار برنامج تأهيل المعرفين بالإسلام قدمنا في أكاديمية الصحابة أكثر من 7 دورات مكثفة باللغة العربية ودورة باللغة الانجليزية عن التعريف بأساسيات الإسلام بنموذج GORAP قدمها المدربون: البريطاني عبد الرحيم جرين والإلندي عبد الرحيم مكارثي والبحريني علي بشارة وسلطان بلاط وتسجيلات هذه الدورات موجودة على قناة الأكاديمية على اليوتيوب. وتم ترجمة ملف هذا النموذج من قبل الأستاذ علي بشارة الذي أذن لنا استخدامه جزاً الله خيراً.

وقال الشيخ: "أنه إذا استطاع أن يثبت لهم بأن الإسلام هو دين الحق وأن القرآن الكريم من عند الله؛ لتوجب عليهم منطقياً قبول ما قاله الله تعالى والإيمان به؛ وأصبحت الإجابة على أي سؤال حول الإسلام بكل بساطة هي: (لأن الله أمرنا بذلك)".

وَتَمَثَّلَ التحدي الحقيقى في ذلك الوقت بالقدرة على إقناع غير المسلم بوجود إله، وأنَّ القرآن كلامُه، وأنَّ محمداً صلَّى الله عليه وسلم رسُولُه. وأفضى ذلك إلى ما أطلق عليه اسم (المقاربة المنهجية للدعوة)، وهي عبارة عن منهج بسيط يجيب عن معظم الأسئلة، ويدخل مباشرة في صلب الموضوع: "العودَة إلى البداية ووضع الأسس من خلال الدعوة إلى الله تعالى أولاً".

ويعتبر هذا الأسلوب ثمرة عشرين سنة من الخبرات المتراكمة في مجال الدعوة، وقد تم وضع أسسه بمساعدة عدد من الدعاة، والعلماء، وأهل العلم، ويرجع سبب نجاح هذه المقاربة إلى شرحها للمفاهيم الأساسية في الإسلام بطريقة منطقية وعقلانية، وتجنبها التطرق إلى القضايا المعقّدة، وتقليلها من احتمالية وقوع المناكفات.

المطلب الثاني: سيناريوهات لدعوة الناس للإسلام، ومناقشتها:

نقاش: اقرأ السيناريوهين التاليين، ما هي المشاكل التي يمكنك تحديدها؟ (ملحوظة: هذان السيناريوهان مأخوذان من أمثلة من الحياة الواقعية).

السيناريو الأول:

تجتمع أنت وزملاؤك في العمل في فترة الاستراحة؛ فيبادر (جون) إلى سؤالك السؤال الآتي: "لماذا يصلِّي المسلمون؟" فتبذر كل ما بوسعك؛ لإجابته، إلا أنَّ ذلك يفتح الباب أمام طرحه للمزيد من الأسئلة الاستيضاخية: "لماذا تحتاج إلى غسل قدميك في المغسلة؟"، "ألا يمكنك جمع كل الصلوات وأدائها كلها مرة واحدة في المساء؟"، "لماذا تحتاج إلى مد فترة استراحة الغذاء أيام الجمعة؟".

ويستمر الأخذ والرد بينكم حتى انتهاء فترة الاستراحة، وجل ما قمت به هو الإجابة عن أسئلته الواحد تلو الآخر.

السيناريو الثاني:

أنت في جناح التعريف بالإسلام الذي يقام أسبوعياً في مركز المدينة، تقوم بتوزيع منشورات عن الإسلام، تتقدّم نحوك سيدة وتقول لك بكل تهذيب بأنها مسيحية، وأنها تؤمن بال المسيح وأن ذلك كاف لها لأنَّه ابن الله الذي مات لتكفير خططيّاه؛ فتبدأ بسرد آيات الكتاب المقدس التي تُظْهِر عدم ألوهية المسيح و"جهره" بموعده قيام الساعة؛ لتثبت لها استحالة كونه إلهًا! ثم تقول لها بابتسامة صفراء: "لأي درجة كان إلهك ضعيفاً حتى مات على صليب؟".

السيناريو الأول: أين تكمن المشكلة فيه؟

في المناقشات الدعوية النمطية التي تشبه هذه، تدور الأسئلة عادة حول مسائل أكثر خلافية، كمكانة المرأة في الإسلام، والحدود القاسية، والجهاد، وقد يؤدي ذلك بطبيعة الحال إلى اشتعال النقاش؛ ليصل في بعض الأوقات إلى الشجار.

وتكون المشكلة هنا في أن كل ما كنت تقوم به هو محاولتك الإجابة على أسئلته، ما يجعلك تدور في حلقة مفرغة من الإجابة على عدد لا متناهٍ من الأسئلة.

وفي الغالب، لا ترضي الإجابات السائل؛ لأن نظرته إلى الحياة برمتها مختلفة تماماً.
كما أنك لم تتطرق إلى المسألة الأكثر أهمية - وهي الإسلام ومعرفتنا بوجوب عبادة الله وحده.

لذا قد يؤدي هذا الأسلوب في محاولة الإجابة عن كل سؤال إلى إشكالية أخرى ذات آثار طويلة المدى؛ إذ نسمح للشخص الاعتقاد بأنّ قيامنا بالأمور في الإسلام مبني على قدرتنا على استنتاجها بشكل منطقي؛ وهذا ليس صحيحاً؛ إذ نفعل ما نفعله في الإسلام؛ لأن الله الخالق العليم الحكيم أمرنا بذلك، وهذا ما تعنيه الكلمة "مسلم"، الاستسلام والخضوع لله سبحانه وتعالى، هذا هو منظور رؤيتنا للأمور.

وعليه، تتمثل الطريقة الأكثر فعالية في محاولة إفهام غير المسلم السبب في كون رؤيتنا ومنظورنا أكثر منطقية بالمقارنة مع غيرها، وبالتالي إذا استطعنا إيصال هذه الجزئية بصورة صحيحة، تصبح الدعوة عندها مثمرة جداً بإذن الله.

السيناريو الثاني: أين تكمن المشكلة فيه؟

انظر إلى أسلوبك! أهكذا تتحدث مع من تحاول تقريرهم إلى الله وتبلغهم الرسالة "بالحكمة والموعظة الحسنة"؟
في الواقع، قد يخالف هذا الأسلوب النواهي الواردة في هذه الآية الكريمة: {وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُبُوا اللَّهَ عَدُوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام: 108]، فسبك من يعبد، قد يدفعه إلى سب الله عز وجل.

كما قد يؤدي هذا الأسلوب إلى تنفير الناس عن قبول رسالة الإسلام؛ لربطهم إياه بسوء الخلق، والفتاظة، والتطاول، حتى لو رفض الشخص الدخول في الإسلام، فإنّ مناقشته بطريقة مناسبة، قد تجعله يدافع عن المسلمين ويري الخير في الإسلام، بالإضافة إلى أنك تُبقي الباب مفتوحاً أمام مزيد من الحوار والنقاش، وعلى التقييض تماماً فإنّ الفاظة والتعالى تُغلق الباب بالكامل أمام استمرار النقاش؛ بل وقد تجعلك المتسبب بكرهه للإسلام ودعوته ضده.

المطلب الثالث: ملخص مقاربة وجود الله ووحدانيته - الوحي والنبوة

- 1- وجود الله: وهو عبارة عن مناقشة بسيطة حول كيفية معرفة وجود خالق للكون.
- 2- وحدانية الله: نعطي بعض النقاط العقلانية التي تساعدننا على إظهار كيفية فهمنا لوجود خالق واحد، إنه واحد، بعكس تعدد الآلهة على سبيل المثال، بالإضافة إلى فهم اختلاف ذات الله عن جميع مخلوقاته.
- 3- الوحي والنبوة: نحاول إظهار وإعطاء أسباب متينة وأمثلة صلبة للإيمان بأنّ القرآن من عند الله، وأنّ محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله.

فإذا استطعنا إقامة هذه الأمور، وتحصيل إقرار بصحتها، فهذا يعني بأن الشخص الذي نتحدث معه يتوجه بخطى سريعة نحو دخول الإسلام إن شاء الله!

نصيحة مهمة:

تتمثل إحدى الجوانب العملية المهمة من اعتماد هذه المقاربة في استخدامها كخارطة طريق، أكثر منها كتركيبة جامدة؛ ولذلك عليك تذكر أنّ هذه المقاربة هي أساس بنيان دعوتك، والتي يمكن تشبيهها بالهيكل العظمي الذي يجب أن تكسوه باللحم والعضلات، إلخ فيما بعد، ولكن يجب أولاً: تشييد القواعد بشكل صحيح.

وينبغي عليك أيضًا فهم آلية عمل هذه المقاربة، والمفاهيم والخطوات بدلاً من حفظ الكلمات كما لو أنها نصوص مقولبة.

وكذلك اعتبار هذه المقاربة ملكك الخاص، فأضِفْ عليها شخصيتك وعلمك، ولا تقلق إذا لم تنجح بذلك من المرة الأولى؛ خذ وقتك، وتعلم بشكل صحيح، وتدرب! ثم تدرب! ثم ابدأ بالتحدث مع نفسك أمام المرأة؛ ثم انتقل بعدها إلى التدرب مع أسرتك وأصدقائك.

قبل تطبيق مقاربة وجود الله ووحدانيته - الولي والنبوة، لا بد من مناقشة جانبين مهمين يساعدان على إدارة حوار دعوي مثمر إن شاء الله:

الجانب الأول: التمهيد:

هو ما نقوم به لنقل الحوار من حوار عادي إلى حوار دعوي (مثال: حوار عن وجود الله ووحدانيته - الولي والنبوة)؛ ويعد ذلك من الأهمية بمكان؛ لأن مفتاح إدارة حوار دعوي ناجح هو استلام زمامه حتى نتمكن من التعريف بالإسلام.

وقد ينشأ الحوار الدعوي من أحد طريقين:

أ) التمهيد للحوار.

ب) إعادة توجيه الحوار.

أمثلة:

التمهيد لحوار دعوي يتم من خلال سؤال غير المسلم ببساطة: "دايفد، أريد أن أسألك سؤالاً سريعاً لو سمحت: هل تؤمن بالله؟" أو "سارة: ما هو برأيك الهدف من الحياة؟"

توجيه الحوار إلى حوار حول وجود الله ووحدانيته- الولي والنبوة: يسأل دايفد على سبيل المثال: "لماذا يصلى المسلمون؟" بدلاً من الإجابة عن هذا السؤال وجميع الأسئلة التي قد تعقبه، أعد السؤال إلى أسمه.

ثلاث خطوات للتمهيد:

1- السلوك: تذكر ما قلناه سابقاً في محور "الداعية" - بخصوص السلوك والتصرفات: كن لطيفاً، ومراعياً؛ ابتسم، وصافح، واسكرهم على سؤالهم، وخاطبهم بأسمائهم، ونحو ذلك.

2- المفهوم: عد بهم إلى الأسس، وقد تضطر في ذلك إلى قول شيء من قبيل: "حتى تفهم الإجابة عن هذا السؤال بشكل كامل، عليّ شرح بعض المبادئ الأساسية في الإسلام".

3- الموافقة: الاتفاق على إجراء هذا الحوار: "هل لديك بعض الوقت للتحدث بهذا الشأن؟" وهذا مهم؛ لأنه إذا رفض أو كان على عجلة من أمره أو ردّ بأنه يريد منك فقط الإجابة عن سؤاله، فقد تحتاج عندها إلى إقناعه بأهمية فهم هذه المبادئ الأساسية، وقد لا تتمكن سوى من إعطائه منشوراً إذا كان مستعجلًا؛ لأن الأمر سيطلب بعض الوقت لسماعه ما لديك؛ لذا علينا الحصول على موافقتهم؛ لإجراء هذا الحوار.

سيناريوهات مختلفة للتمهيد

قد تجد نفسك في ظروف وسيناريوهات مختلفة تتطلب منك بعض التفكير في كيفية البدء بالحوار، وقد يستدعي ذلك معرفة محيطك، وفهم الحساسيات الثقافية، واطلاعًا على خلفية الأشخاص الذين تتحدث معهم؛ لكيلا تثير استياءهم؛ كما قد تحتاج إلى استخدام مهارات التعامل مع الآخرين؛ لتهيئة الأجواء في حال

اشتعالها.

سينариوهات مختلفة للتمهيد: نعم أو لا:

قد تواجه سيناريو يطلب منك فيه الإجابة على السؤال بنعم أو لا. مثال: "هل يحرّم الإسلام المثلية الجنسية: نعم أو لا!"

نقاش: كيف يمكن التعامل مع هذا السيناريو؟

نعلم في هذه الحالة الإجابة البسيطة، إلا أن ذلك يعتمد أيضًا على الثقافة وعلى الشخص الذي تحاوره؛ وقد تحتاج إجابتك للتحلي باللباقة والمراعاة، فقد يريد منك الأشخاص في بعض البلدان إعطاءهم إجابة مباشرة، في حين أن الاكتفاء بإعطاء إجابة مباشرة في بلدان أخرى قد يعد إهانة إذا لم يتبعها تفسير إضافي.

تمثل إحدى الطرق المعتمدة في التعامل مع مثل هذه الظروف في طلب معلومات إضافية لمعرفة سبب رغبتهم في الإجابة عن هذا الأمر بالتحديد؛ ما يساعدك على معرفة المزيد عنهم.

وفي أحيان كثيرة، يجب عليك تعلم حسن الاستماع قبل الخوض في الحوار الدعوي.

سيناريوهات مختلفة للتمهيد: أسئلة غريبة:

قد تواجه سؤالاً غريباً! مثال: "لقد سمعت أنكم أهلا المسلمين ت يريدون قتل أطفالنا!"

نقاش: كيف يمكن التعامل مع هذا السيناريو؟

قد يكون الرد الأمثل في مثل هذه الحالات هو قول "هذا ليس صحيحاً، الإسلام لا يدعو إلى ذلك"؛ كما يمكن السعي لمعرفة السبب الذي أدى بهم إلى قول ذلك وطرح هذا السؤال.

والهدف من النقاش في نهاية المطاف، هو الخروج بحوار مثمر حول الإسلام وتعاليمه الأساسية.

كل ما عليك فعله هو الاستعانة بالله أولاً ثم بمهارات التعامل مع الآخر والمنطق السليم.

الجانب الثاني: فرضية الحوار القائم على مقاومة وجود الله ووحدانيته- الوحي والنبوة:

تتمتع فرضية الحوار القائم على مقاومة وجود الله ووحدانيته- الوحي والنبوة بأهمية بالغة؛ نتيجة إمكانية العودة إليها في كل مرة تتعارض فيها الآراء أثناء المناقشة.

كل ما نحاول فعله هنا هو التوصل إلى اتفاق مع الشخص الذي نتحدث معه بأن أفضل وسيلة لفهم العالم من حولنا هو من خلال استخدام المنطق السليم والعقلانية.

وأنه إذا لم نستخدم المنطق السليم والعقلانية، فماذا نستخدم إذن لتحديد صدق أمر ما من عدمه؟ هل نعتمد على أحاسيسنا؟ أو على أحلامنا أو تجاربنا؟ هل ننظر إلى ما قاله أسلافنا؟ "أوه، هذا الأمر صحيح؛ لأن جدي أخبرني بأنه كذلك" أو "لقد انتبهني شعور روحي عظيم؛ لذا أعلم بأنه صحيح".

هل ننتظر رؤية علامة أو وقوع معجزة؟

تکمن المشكلة في اعتماد هذه الأساليب لاتخاذ قرار معين في افتقارها إلى الموضوعية، حيث يمكن لأي شخص ادعاء شعوره بذات الإحساس.

وقد يقول البعض، "هذا هو الحق؛ لأنني آمنت بال المسيح وتغيرت حياتي جذرًا".

يمكن الرد على هذا القول: "يعني أنت تقول بأنه إذا غير أمر ما حياتك، فيجب أن يكون صحيحاً؟ لقد غير الإسلام حياتي! إذن الإسلام هو الحق!".

توافق المنطق السليم:

نقاش: لماذا نستخدم المنطق السليم؟

لأنه أمر جامع ومنتشر! إنه شيء يمكن للجميع الاتفاق عليه، وما يتفق عليه الناس هو أفضل ما يمكن استخدامه لاتخاذ القرارات في حياتهم اليومية، بالإضافة إلى كونه موضوعياً بنسبة كبيرة.

قياس بسيط:

ماذا تفعل إذا طرق باب منزلك رجل عاري تماماً إلا من لباس داخلي أحمر، قائلاً: "إنه يريد الدخول لرؤية عدد الكهرباء"؟ ما ستفعله ليس مما يقدر أهمية الآلية والمدارك التي ستستخدمها لاتخاذ قرار بشأن هذا الشخص وادعاءاته، هل ستصدقه من دون تفكير وتسمح له بدخول منزلك هكذا؟ هل ستصدق فقط؟ أم هل سينتابك إحساس؟ أم أنك ستفكر في الموقف وتطرح بعض الأسئلة، وتلجأ إلى المنطق السليم؟ أنا متأكد من أنك ستلجأ إلى الاختيار الثالث.

وحتى لو قلت له: "اذهب من هنا يا غريب الأطوار!" فقد اعتمدت على المنطق السليم والعقلانية؛ لفهم هذا الرجل ذي الملابس الداخلية الحمراء، تماماً كما اعتمدنا عليهما عند مواجهة معظم الأمور التي تعترضنا في حياتنا. هذه هي فرضيتنا وهذا ما نسميه (بتواافق المنطق السليم) للوصول إلى توافق مع غير المسلم، نلجأ في حوارنا إلى المنطق السليم ومداركنا المنطقية.

المطلب الرابع: وجود الله:

كيف تقنع غير المسلم بوجود الله خالق؟

يكون الهدف هنا في إقناع غير المسلم بوجود إله خالق، وذلك باستخدام دليل بسيط وواضح، ولديك مطلق الحرية في اختيار الدليل؛ لإيصال هذه الفكرة – سواء كان مبطناً أو مباشراً.

كيف تثبت ذلك؟ ما هو الدليل الذي ستستخدمه؟ ثمة عدد من الأدلة البسيطة المتاحة.

نقاش: كيف تسوق دليلاً يثبت وجود الله؟

دليل بسيط عن الخلق:

لنأخذ الهاتف الجوال كمثال.

يعد الهاتف الجوال مثلاً عملياً؛ لأن أغلبنا يملك واحداً، ويمكنك إظهاره لغير المسلم في خلال حديثك معه. وإليك الدليل: "مما يتكون جوالك؟ يتكون جوالك من بعض العناصر الأساسية – كالبلاستيك والزجاج، والسيليكون للشريحة، وبعض المعادن الثمينة، حيث يتشكل البلاستيك من الزيت والزجاج، ويتشكل السيليكون من الرمل.

فما تمسكه بيديك الآن هو عبارة عن زيت ورمل.

ماذا لو أخبرتك الآن بأنني كنت أسير في صحراء الجزيرة العربية (حيث يتواجد الكثير من الرمل والزيت) والتقطت جوالاً وجذته ملقياً هناك؟ ماذا لو قلت بأنه نتاج أحداث عشوائية تبلغ مليارات السنين؟

نُفَخَ الهواء، وَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ، وَهَطَّلَ المطر، وَبَرَقَتِ السَّمَاءُ، وَغَلَى الزيت، وبعد ملايين الملايين من السنين، تشكّل الجوال بنفسه، وأمسكته، وضغطت على زر الاتصال وتحدثت مع والدتي! أثمة أي احتمال لتصديق إمكانية تشكّل الجوال بنفسه بصورة عشوائية من خلال هذه العمليات الطبيعية؟ إذا استخدمنا المنطق السليم، لن يخرج أحد قط بهذا الاستنتاج!

بعد عرض ما في جعبتك، دعهم يفكرون في الكون: "إذا كنا لا نستطيع قبول هذا القول عن الجوال؟ فكيف يمكن إذن قبول هذا التفسير عن نشأة الكون والحياة فيه؟ ما هي الاحتمالات بالنتيجة؟ هل تشكّل هذا الكون الفسيح من خلال سلسلة من الحوادث العشوائية؟ أم تشكّل من العدم؟ أو ربما ظهور الرجل في اللباس الداخلي الأحمر أيضاً من اللا مكان؟

ولكن أسأل نفسك - هل سبق لنا رؤية شيء يظهر من العدم؟ أيعقل أنه خلق نفسه بنفسه؟ لا بد أن الأمر يحتاج إلى نقطة انطلاق يبدأ منها، وعليه، لماذا لا نطبق ذلك على كل شيء في الحياة؟ هل ستتصرف كما لو أن الأشياء ظهرت من العدم وحدثت بعثوية، أم أنك ستؤمن بأن لكل شيء سبب؟

يخبرنا المنطق السليم بقيام أحدٍ بتصميم الهاتف مستخدماً تلك العناصر؛ لذا يفترض بالمنطق السليم أن يخبرنا الشيء نفسه بالنسبة للكون، مع كل قوانينه وأنظمته - التي تعدّ بالنسبة أكثر تعقيداً من الهاتف الجوال.

كما تشير إلى وجود ذكاء أعلى لخلق الكون وهندسته، إذ يدل وجود المخلوق على وجود خالق؛ كما يعطيك تعقيد المخلوق وإتقان خلقه نبذة عن مدى ذكاء الخالق وقدراته.

النظام الكوني:

بالإضافة إلى ذلك، يمكننا إظهار توفر أدلة ثبت وجود النظام الكوني، والتآلف الدقيق للأنظمة التي تحكم الكون، والتي لو لاها لاستحالـت إمكانية الحياة على الأرجح، ناهيك عن ازدياد أعدادنا وتطورنا كبشر!

- تقع الأرض في الدائرة القابلة للسكن - ولو كنا أقرب إلى الشمس أو أبعد منها قليلاً (بحسب المصطلحات الفلكية)، وكانت الأرض إما شديدة الحرارة أو شديدة البرودة.

- ماذا لو لم تكن تركيبة الغازات في مجالنا الجوي مقسمة بهذه النسب الدقيقة بين الأوكسجين، وثاني أوكسيد الكربون والنيتروجين، أو لم يكن هناك طبقة أوزون لحماية الأرض من الأشعة الضارة للشمس؟

- عندما ننظر في نظرية الانفجار الكبير، التي يقولون عنها إنها أصل الكون، هل تستطيع عقولنا فعلًا قبل فكرة تسببها بهذا النظام؟ متى أصبحت الانفجارات تؤدي إلى تشكّل أنظمة معقدة ومتناجمة، وتكون أشكال حياة معقدة؟ هل تولد الفوضى النظام؟ إذا قمت بإلقاء قنبلة في موقع للخردوات، هل سأخرج بسيارة كاملة الموصفات؟

تتمتع كل هذه الأمور بالتوازن المناسب وتتوفر الظروف المثالبة للعيش. فمن دونها، لم يكن لهذه الحياة أن تقوم على الأغلب! هل نعتقد جدياً بأن هذا التنظيم الدقيق حدث بالصدفة؟ أعيد وأكرر، يشير النظام الكوني إلى ذكاء الخالق!

الإقرار:

بعد تقديم هذه القرائن، يجب علينا الحصول على إقرار من غير المسلم؛ لنعرف ما إذا كان يتفق معنا فيما قلناه

أم لا؛ لذا اطرح عليه سؤالاً مثل: "هل تعتقد بأن كلامي منطقي؟" "هل تتفق معي إلى حد الآن؟" إذا لم يكن مقتنعاً ولديه بعض الاعتراضات، فسيكون من الأسهل عليك التعامل معها في هذه المرحلة، بدلاً من الوصول إلى نهاية نقاط المقاربة، ثم الإضطرار إلى العودة لنقطة البداية.

المطلب الخامس: وحدانية الله:

كيف ثبت وجود الله واحد للكون؟

يكمن الهدف هنا في إثبات وجود إله واحد، وخالق واحد للكون، وتبيان سبب اختلاف الخالق عن المخلوقات. سنبدأ الآن الحديث عن بعض صفات الله المهمة المتعلقة بذات الله ومن يكون.

ومرة أخرى، يعود الأمر إليك في اختيار كيفية الانتقال من موضوع وجود الله إلى وحدانية الله، طالما كان بمقدورك إيصال الفكرة (مثال: حسناً دايفد، بما أننا اتفقنا على وجود خالق لهذا الكون، لمناقشة الآن من هو هذا الخالق؟)

نقاش: كيف تسوق الأدلة التي ثبتت وحدانية الله؟

طبيعة الخالق:

بحسب تحليلاتنا، نستنتج وجوب اختلاف طبيعة الخالق عن طبيعة الكون. وبعبارة أخرى، الخلق وال الخليقة مختلفان! لماذا؟ لنعد إلى حجتنا الأولى وننظر إلى نظام الكون، نستطيع أن نستخلص ببساطة حاجة هذا النظام إلى خالق، والسبب في ذلك هو استحالة تشكّل الكون من العدم. فهذا الاعتقاد غير منطقي على الإطلاق؛ إذ لا يمكنك الحصول على شيء من لا شيء، فكيف إذا كان هذا الشيء معقداً كتعقيد الكون.

هل خلق الكون نفسه بنفسه؟

يتجلّى لنا بوضوح عدم قدرة الكون على خلق نفسه بنفسه، ولا يوجد شيء يوحي بقدرة أي ذرة في الكون أو الكون مجتمعاً على خلق وتنظيم نفسه، وإذا رجعنا إلى مثال الهاتف الجوال، لن يستنتج عاقل قيام الهاتف الجوال بتطوير نفسه إلى آلية عاملة بشكل كامل.

من الذي خلق الخالق؟

إذا تشابه خالق الكون مع الكون، فهذا يعني تشابه طبيعتهما أيضاً، ما يعني حاجته إلى مصمم، ومنظم، ومحرك، وهذا الأمر مقبول من وجهة نظر منطقية، لكن المشكلة تظهر عندما نستمر بطرح السؤال التالي: "من الذي خلق هذا الكائن المعقد الذي خلق هذا الكون المعقد؟ يجب أن يكون أحداً أكثر قوة وتعقيداً".

غير أنها سنظل عندئذ نسأل السؤال نفسه عن هذا الخالق، والذي يليه ثم الذي يليه، وسنبقى بحاجة إلى وجود خالق ليخلق خالقاً يخلق خالقاً آخر وهكذا إلى ما لا نهاية.

وثمة مشكلة في هذا الأمر؛ لأنه لا يسمح لنا بشرح كيفية وجود هذا الكون هنا والآن.

تَدَبَّرٌ:

تخيل أني أريد رفع طاولة، لكنها ثقيلة جداً ولا أستطيع حملها بمفردي! فطلبت من أحد الأصدقاء مساعدتي، فأجاب قائلاً: "نعم بالطبع، لكنني لن أساعدك إلا إذا قام أحد آخر بمساعدتي"، ثم اشترط هذا الآخر الشرط

نفسه قائلاً: "حسناً! إذن لن أقوم بمساعدتك إلا إذا قام شخص ما بمساعدتي"، ثم تخيل استمرار الأمر على هذا المنوال حيث يضع كل شخص الشرط نفسه: "لن أساعد إلا إذا ساعدني أحد ما". ماذا تعتقد؟ هل سترفع هذه الطاولة من مكانها قط؟!

يعكس هذا المثل المشكلة المتمثلة بالقول بوجود خالق لخالق الكون، وبأن هذا الخالق مخلوق وهكذا دواليك. لا يمكن وجود خالقين يخلقون خالقين؛ لأنَّه كما لَنْ تُرْفَعِ الطاولة، كذا لَنْ تُخَلَّقِ الخليقة.

خالق غير مخلوق:

سيكون الاستنتاج العقلاني مرة أخرى باستخدام المنطق السليم أن خالق هذا الكون ليس مخلوقًا، والذي تختلف ذاته عن جميع مخلوقاته.

وفي السياق عينه، يمكننا الإضاءة على كيفية سريان الأمر نفسه على مختلف الجوانب، فعلى سبيل المثال، إذا كان لدى الخلق احتياجات، فإنَّ الخالق سبحانه وتعالى غني عن الحاجة، وإذا كان الخلق مؤقتاً، فإنَّ الخالق أزلي، وإذا كان الخلق مقيداً بالزمان والمكان، فإنَّ الخالق لا يحدُّه زمان ولا مكان، كما لا يمكن تقبُّل فكرة وجود أكثر من خالق يتمتع بهذه الصفات؛ لأنَّه لو كان ثمة آلهة أخرى؛ لقيَّد أحدهم الآخر؛ ولرجعنا بذلك إلى نقطة البداية.

الإقرار:

بعد سوق هذا الدليل، يمكننا أيضاً الحصول على إقرار يدلُّنا على ما إذا كان الشخص الذي نحاوره مقتنعاً بما نقوله ويصدق بصحته أو لا، فإذا أقرَّ، يمكننا عندها الانتقال إلى باقي نقاط مقاربة وجود الله ووحدانيته - الوحي والنبوة.

المطلب السادس: الربط بين وجود الله ووحدانيته، وبين الوحي والنبوة
ننتقل في هذه المرحلة إلى جانب آخر من المقاربة، وبعد الانتهاء من مسألة وجود الله ووحدانيته، نربط الآن هذا الاعتقاد والدليل بالحاجة إلى الوحي والنبوة.

ويأخذ الدليل الشكل التالي:

نستطيع أن نرى بأنَّ خالق الكون قد وفر الوسائل لكل احتياجاتنا، سواء الجسدية كالطعام والماء والهواء، أو العاطفية كالحب والصحبة والأمان؛ لذا أليس من المنطقي أيضاً الاعتقاد بتوفير الله تعالى لوسائل تعيننا على إشباع احتياجاتنا الوجودية والروحية؟

إذن؛ ما الذي نقصده بالاحتياجات الوجودية؟

إليكم بعض الأسئلة "الجوهرية":

- ما هو الهدف من وجودنا كبشر؟

- لماذا هناك معاناة في هذا العالم؟

- إذا كان هناك خالق، فلماذا يسمح بحصول كل هذه الأمور السيئة؟

- لماذا خلقنا وما الغاية من وراء ذلك؟

- ما هو مصيرنا؟

- هل هناك حياة بعد الموت؟

ترتبط هذه الأسئلة الروحية بالله عز وجل، وب مجرد فهم المرأة حتمية وجود الخالق، فمن الطبيعي أن يرغب بمعرفة المزيد عنه.

- هل سيساعدنا؟

- كيف سيقوم بمساعدتنا؟

- هل ثمة طريقة نعبر بها عن امتناننا لكل العطايا والنعم التي منّ بها علينا؟

- كيف يمكننا التعبير بطريقة ملائمة؟

هذا ما نسميه "ال العبادة" ، وهي دافع قوي وفعال لدى جميع البشر.

فقط إذا أخبرنا الله

لماذا نعاني؟ (مشكلة الشر):

يعد استخدام وتقديم مثال لماذا نعاني؟ (الذي يسمى عادة بمشكلة الشر) فعالاً للغاية، وذلك بسبب شيوعه بين الناس، وخاصة في الغرب.

وهيمنا هنا الإشارة إلى بعض النقاط:

1- لا تنفي المعاناة وجود خالق؛ وذلك لتوصلنا إلى استنتاج عقلاني عن وجود الله.

2- يعتبر السؤال في الواقع عاطفياً أكثر منه عقلانياً؛ فجل ما يستطيعون قوله هو "لماذا يسمح الله بوجود المعاناة والشر؟".

3- تكمن الطريقة الوحيدة لمعرفة الإجابة عن هذا السؤال في إخبار الله لنا، ويسري الأمر عينه على السؤال المتعلق بغاية وجودنا في هذه الحياة، فالسبيل الوحيد لمعرفة الإجابة المؤكدة، هو في إخبار خالق الحياة لنا عن ذلك.

4- من المنظور الروحي، يعد ما نعرفه عن الله تعالى من خلال العقل محدوداً جداً، فالعقل القاصر يعجز عن إيصالنا إلى أبعد مما وصلنا إليه، فما نحتاجه من هذه النقطة وصاعداً هو توجيه الله لنا.

إقامة الربط:

إن الربط الذي نقوم به في هذه المرحلة، هو حاجتنا لقيام الله عز وجل بشرح بعض الأمور لنا. ثمة حاجة لشكل من أشكال التواصل بيننا وبين الله تعالى:

- ليطلعنا بما يريد منا.

- لنعرف الغاية من وجودنا في الدنيا.

- ليخبرنا عن الحياة بعد الموت.

- لنعرف ما سيحصل لنا بعد الموت.

ليس هذا وحسب، ولكن:

- لإخبار البشرية بوجوده.

- لتفسير طبيعته.

- لكيفية بناء علاقة معه.

- وشكل هذه العلاقة.

- وما هي العبادة؟

وبمجرد إقامة هذا الربط، وإظهار عِظَمٍ هذه الحاجة، نستطيع عندئذ الانتقال للحديث عن أن الوحي (القرآن) من عند الله تعالى، وأنَّ النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو رسول الله.

وتَذَكَّرُ أنَّ تركيزنا يعتمد على إعطاء الناس أسباب وافية عن صدق الإسلام، فما نحتاج إليه بدايَّةً، هو إقامة الربط، ثم الانتقال بعدها إلى نقطتي الوحي والنبوة.

المطلب السابع: الوحي الأخير للبشرية (القرآن الكريم)

ما هو القرآن الذي كثيَّراً ما يتتصدر أعلى الكتب مَبِيعاً وَتَوْزِيعاً حول العالم، ويؤمن به ما يزيد عن مليار ونصف مليون؟ وما هو مصدره؟ ولماذا يستحيل أن يكون محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو من ألفه؟

(القرآن الكريم) هو كلام رب العالمين، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لهداية البشرية إلى سعادتها في الدنيا والآخرة، وتجنيبها الشقاء الأبدي بعد الموت، وهو خاتم الكتب السماوية نزولاً، مصدقاً وناسخاً لها، المتبع بتألوته وحفظه، كما أنه مُتَعَبَّدٌ بتطبيق حكماته وشرائمه.

بدأ نزوله بواسطة الملك جبريل عليه السلام بعد أن أتم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ 40 عاماً، وكانت أول آية نزولاً: {إِنَّا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: 1]، وينقسم القرآن إلى 114 سورة، وقد نزل مُفَرَّقاً في 23 سنة بحسب المواقف والأحداث.

(والقرآن الكريم) آية ومعجزة أبدية، وهو دليل على نبوة رسول الله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تحدي الله الإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله أو بأية من آياته، فلم يستطعوا ولن يستطيعوا، ولم تصل إليه يد التحرير والتبدل منذ نزوله قبل أكثر من 14 قرناً، وسيبقى محفوظاً باللغة العربية التي نزل بها، حيث تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه إلى آخر الزمان.

(والقرآن الكريم) هو المصدر الرئيسي للإسلام، والدستور الذي ينظم حياة البشر ويحكمها في كل زمان ومكان، يدعو إلى الطريق الحق، ويتضمن كل ما يحتاجه الإنسان لمعرفة ربه ودينه، وببداية خلق الكون، وأطوار المخلوقات، والغيوب التي يتطلع الإنسان لمعرفتها، والأخبار عن شرائع الأنبياء السابقين عليهم السلام، وكيف نصرهم الله وأهلك أعداءهم، ومتضمن للكثير ما يريد الله من عباده من الفرائض، وما أعدد الله لهم في الدار الآخرة، كما أنه متضمن لكل ما أباحه الله أو حرمه على الإنسان، وفيه الدعوة إلى أصول الأخلاق المحمودة، والتحذير من الأخلاق المذمومة.

وهنا وجَبَ التنبيه على ضرورة أنْ يوفر المحاور المسلم للطرف الذي يحاوره ترجمةً للقرآن الكريم بلغته الأم، فلا يعطي له نسخة باللغة الإنجليزية حتى لو كانت هذه اللغة هي لغة الحوار بينهما.

ولا يختلف المؤرخون أن القرآن جاء على لسان رجل عربي، لا يقرأ ولا يكتب، ولد بمكة في القرن السادس الميلادي واسمه محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وشهادة التاريخ المتواتر لا تضاهيها شهادة، كما أثنا نقرأ في هذا الكتاب بوضوح أنه ليس من عمل صاحبه، وإنما هو قولٌ كريمٌ أُتْقِيَ إليه من الله، وَأَمْرٌ بتبلیغه وتبيانه للناس بدون زيادة فيه ولا نقصان.

فهل يمكن أن يكون محمد رسول الإسلام قد اخترعه من تلقاء نفسه، أو تعلم ما فيه وأعاد صياغته وقدمه للناس بعد ذلك؟

لو كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو من كتب القرآن بنفسه في وسط الصحراء العربية الخالية من الكتب، ناهيك أنه أُمي، لكان عليه أن يواجه بالفعل عدداً من المشاكل، إذ عليه ألا يُخطئ أو ينافق نفسه، وممنوع أن تكون لغته ركيكةً أو تكون هناك عبارات غير لائقة، كما يجب عليه أن يحافظ على اتساق رسالته، وقواعده كلما أضاف له شيئاً على مدار 23 عاماً، وأن يكون أفضل كتابٍ لغوياً وعلميًّا على وجه الأرض.

وكان عليه أن يكون بارعاً في الأحكام المدنية، والجنائية، وأحكام الأسرة والعمل، وأحكام النزاعات الشخصية، والأحكام المالية، والعقارات وغيرها.

وكان عليه أن يعرف التاريخ مع انعدام كتب التاريخ والمؤرخين حوله، وكان عليه أن يعرف القصص، وأحداث وسير الأنبياء من قبله، وتاريخ الدول السابقة، والأحكام الدينية اليهودية والمسيحية، وسيتعين عليه أن يعرف ذلك جيداً بما فيه الكفاية؛ من أجل تقديم معلومات إضافية وتفاصيل غير موجودة في تلك الكتب.

وكان عليه أن يعرف كيف يقيم نظام دولة ويطور أمة تعيش في صحراء قاحلة.

وأن يكون عنده علم بالعبادات والطهارة، وعليه أن يخترع قواعد للحمية الغذائية، وأن يكون ملماً بعلم النفس، وعلم التربية والتحكيم وتوزيع الثروات المالية، وقانون الميراث والتمويل والعمل، وفي العلوم: يجب أن تتوفر له معرفة بعلم الأجنة، وعلم المحيطات، وتشكيل سحابة الصفائح التكتونية، والأشعة فوق البنفسجية، ومعرفة دقيقة بالنباتات والجبال والنحل والدماغ البشري، ولكي يكتمل الكتاب يجب أن تكون لديه معرفة ببعض ما سيحدث في المستقبل، حتى يتمكن من كتابة الأشياء التي سوف تحدث في السنوات القادمة، يجب أن تتوفر له القدرة على السفر عبر الزمن؛ ليدخل اسمه وذكره في الكتاب المقدس.

ويجب عليه أيضاً إبقاء عواطفه وحياته الشخصية خارج الكتاب، فلا يجب أن يعكس الكتاب الأوقات السعيدة ولا الأوقات الحزينة في حياته، لأن إنساناً هو الذي كتبها، لكنك عندما تقرأ القرآن من الغلاف للغلاف، لا تشعر أبداً بموت زوجته، ولا تعرف متى تزوجت بناته؟ أو متى ولد أحفاده؟ أو متى انتصر؟ ومتى هزم؟

ولذلك يتضح تماماً لكل من يفحص القرآن، أنه لا توجد ثمة وسيلة تمكن لرجل في الصحراء قبل 1400 عام أن يكتب مثل هذا الكتاب بهذه البراعة.

ولكن ماذا لو كانت هناك لجنة من العقول الذكية، أو جمعية سرية مسؤولة تقوم بتصحيح القرآن وتحديثه وإعادة كتابته على مر السنين؛ لتكون مهمتهم التأكد من أن الكتاب يبدو دقيقاً ولا توجد فيه أخطاء أو تناقضات مع تحديده بشكل مستمر؛ ليتوافق مع العلم ومع العالم المتغير؟!

إذا كان هذا هو الحال، إذن ستكون هناك إصدارات أخرى من القرآن؛ بسبب التعديلات والتحسينات، وإصدارات جديدة منقحة، وإصدارات قديمة بها أخطاء، وسنكون قادرين على اكتشاف أنماط وتأثيرات الكتابة المختلفة من المؤلفين المختلفين.

الأمر المذهل في كل ذلك، هو وجود قرآن واحد لم يكتبه رجل واحد ولم تقم لجنة بتحريره، فمن أين أتي؟

ماذا لو كانت مجموعة من الشياطين الأذكياء أثرت على رجل وأملت عليه أن يكتب القرآن؟

سيكون السؤال إذن، ما هو نوع الشيطان الذي يدعو إلى حسن السلوك، وإلى عبادة الله، وتكريم عيسى عليه السلام، والإحسان إلى الفقراء، والتحذير من الشيطان بكل الطرق والوسائل؟

لقد أتى القرآن بنتائج واضح، لا يمكن أن يكون مكتوبًا من قبل لجنة، أو شيطان ولا النبي محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك الحين؟

فإذا كان القرآن من عند الله تعالى، فهذا يعني أنه وحي، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم نبي الله بحق، وأنه صادق، وبما أنه كاننبياً صادقاً، فينبغي أن نؤمن به وبرسالته، ووجب علينا طاعته.

مجالات تحدث عنها القرآن

إنَّ من أهم المجالات التي تحدث عنها القرآن:

- إثبات وحدانية الله، ونقض شبهات أهل الإشراك به.

- قصص الأنبياء والأقوام السابقة.

- الدعوة إلى تأمل الكون الفسيح والنظر للمخلوقات من حولنا، وتعداد قدر من نعم الله علينا.

- توضيح شرائع الدين وأوامره ونواهيه.

- بيان صفات المؤمنين وأخلاقياتهم، والتحذير من الصفات السيئة.

- الحديث عن اليوم الآخر، وجزاء المحسنين والمسيئين.

- تربية المؤمنين عبر التعليق على الأحداث التي تحصل للنبي -عليه السلام و أصحابه.

أدلة صحة الوحي (القرآن الكريم)

قبل أن نتطرق إلى الأدلة التي تثبت أن القرآن وحي من عند الله، دعونا نطرح تشبيهًا بسيطًا جدًا:

في كل مرة تشتري فيها أدواتٍ كهربائية أو جهازاً كالهاتف الجوال على سبيل المثال ما الذي تجده معه داخل العلبة؟ تجد دليل الاستخدام.

يرفق هذا الدليل؛ لمساعدتك في معرفة كيفية استخدام الجهاز بصورة صحيحة، والمسموحات والمنوعات، وكافة التحذيرات والتوصيات.

ولقد أرسل الله تعالى التنزيل كدليل إرشادي يرشدنا فيه إلى الطريقة التي يجب علينا التصرف بها، والحلال والحرام، والتحذيرات فضلاً عن توصيات بشأن الحياة وكيفية عيشها، إلخ.

ولذلك نحن نؤمن بأن القرآن الكريم وحي من عند الله عز وجل، وأنه دليلنا في هذه الحياة.

كيف تثبت كون القرآن وحي من عند الله تعالى؟

نقاش: ثمة عدداً من الأدلة التي تثبت أنَّ القرآن من عند الله تعالى، وهي كالتالي:

الدليل الأول: التنقل

ينتقل القرآن خلغاً عن سلفه، والسلف عن سلفه، إلى أن يتصل ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم، المعلوم وجوده بالضرورة، وصدقه بالأدلة والمعجزات، ولقد أخذه الرسول صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن ربِّ العزة جل جلاله.

إذن؛ من قام بنقل القرآن إلينا في الأصل هما رسولان، رسول السماء جبريل عليه السلام، ورسول الأرض وخاتم النبئين محمد صلى الله عليه وسلم، وهما معصومان من الزيادة فيه والنقصان.

ثم نقله إلينا بعدهم أهل التواتر الذين لا يجوز عليهم الكذب فيما ينقلونه ويسمعونه لكثره العدد.

الدليل الثاني: الحفظ:

وهو تأكيد لما سبق، فإن القرآن يحفظه الملايين من الناس في كل عصر، وتتناقله الأجيال عبر التاريخ بأرق درجات الضبط والإتقان والدقة في كتابته ورسمه في المصاحف، وطرائق نطقه وأدائه، وحفظه في الصدور، لا ينقص منه حرف، ولا تزيد فيه حركة، وبإمكان أي إنسان أن يشتري نسخة منه اليوم من أقصى الصين، أو أوسط أفريقيا ليقارنها بالمخطوطات القرآنية التي كُتِبَتْ قبل ألف عام، وتحتفظ بها المتاحف حول العالم؛ ليكتشف الحقيقة المذهلة، وأن طريقة نطقه بحروفه وكلماته وقواعد قراءته هي بعينها لم تتغير أو تتبدل، مع اختلاف الزمن، وتنوع اللغات، سواء سمعته من طفل يتلوه عن ظهر قلب أو سمعته منشيخ، أو من رجل أو امرأة، لا يزداد فيه ولا ينقص منه حرف.

وتدل قدرة كثير من الناس على حفظه - بالرغم من عدم معرفتهم للغة العربية - على أصله الإلهي، إذ أن الله تعالى قد تكفل بحفظه، يقول الله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9]، فالقرآن الكريم لم يُحفظ بشكله المكتوب وحسب، وإنما شفاهة أيضًا، مع وجود ملايين الحفاظ حول العالم الذين يحفظونه عن ظهر قلب.

وما يؤكد على صحة ذلك أنه بإمكانك شراء نسخة من المصحف الشريف من أي مكان في العالم، ومقارنتها مع المخطوطات التي لا يزيد تاريخ كتابتها عن ثلاثين سنة من زمن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وستجد أن النص هو نفسه لم يتغير (ما عدا نوع الخط، وبعض العلامات التي زيدت لمساعدة على النطق الصحيح).

ولقد سئَ الله خاتم كتبه: "القرآن"، إشارة إلى كونه متلًّا محفوظًا في الصدور، وسماه في كثير من الآيات: "الكتاب" إشارة إلى كتابته وحفظه في السطور، وقد حفظ القرآن بالأمرتين معًا، فكان إذا نزل عليه شيء منه كُتِبَ بحضوره، وحُفِظَ من فمه، ولا تُقبل شهادة الحفاظ مهما كثر عدده، ما لم تتوافق المكتوب، ولا يُقبل المكتوب ما لم يطابق ما تم حفظه من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الدليل الثالث: عدم القدرة على الإتيان بمثله:

يقول الله سبحانه وتعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 23].

لقد تحدى القرآن الكريم العرب على الإتيان بسورة واحدة تشبه سور القرآن، فعلى سبيل المثال، سورة الكوثر بآياتها الثلاث رغم أنها أصغر سور القرآن، لكن لم يستطع واحد منهم أن يأتي بمتلئها مع أنهم كانوا فحول الشعر والله.

وقد اعتنق كثيرون الإسلام بمجرد سمعهم لأي القرآن الكريم، ووجدوا أنفسهم مهوتين وعاجزين عن الارتفاع إلى مستوى هذا التحدي على الرغم من قدراتهم اللغوية.

الدليل الرابع: وضوح الرسالة التي تعرف بالله:

ينسجم ما يعلمنا إياه القرآن الكريم عن الخالق عز وجل مع ما يستطيع أي شخص التوصل إليه بصورة منطقية في أي مكان كان، وهو القول بوجود خالق واحد ليس كمثله شيء.

ويذكر القرآن الكريم بالكثير من الآيات الكريمة الواردة في هذا السياق، نذكر منها:

- وحدانية الله: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ۱]
 - خلقه لكل شيء: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكَيلٌ} [الزمر: 62]
 - حاجة كل شيء إليه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفَقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر: 15]
 - استحقاقه وحده للعبادة: {إِنَّمَا الَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاعْبُدُنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه: 14]
- إذا لم تستطع استحضار هذه الآيات، فإن سورة الإخلاص وحدها كافية؛ لإقامة الدليل: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ} [الإخلاص: ۱-۴].

يمكنك أن ترى غير المسلم بعد المناقشة العقلانية، وما توصلتما إليه بشأن الخالق وما هيته بأن القرآن الكريم ينسجم تماما مع هذا المبدأ.

الدليل الخامس: الرسالة الشاملة للقرآن الكريم:

لا يتفق الاعتقاد بوحدانية الله تعالى مع العقل والمنطق السليم وحسب، ولكن يمكننا التطرق أيضا إلى شمولية رسالة القرآن الكريم، حيث أنها لا تخاطب قبيلة بعينها أو جماعة معينة من الناس، إنما رسالة تناسب الجميع بغض النظر عن عرقهم أو مكانهم.

هذا وتعد الأحكام والإرشادات الواردة في القرآن الكريم شاملة، ويمكن لجميع الناس تنفيذها، كما تنسجم مع ما نتوقعه؛ بغية عيش حياة سعيدة، ومن هذه الأحكام:

- الحاجة إلى إقامة العدل: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: 90].
- بر الوالدين: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكُمُ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَئُلِّمُهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} [الإسراء: 23].
- الإحسان إلى الجار: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} [النساء: 36].

- إحياء النفس البشرية: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ} [المائدة: 32].

- عدم التكبر: {وَلَا تَمْسِحُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} [الإسراء: 37].
- عدم غش الناس: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [الإسراء: 35].
- عدم السرقة: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتَمِ إِلَّا يَالِقِي هِيَ أَحْسَنُ حَقًّا يَبْلُغُ أَشْدَهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} [الإسراء: 34].
- عدم أخذ الرِّشا: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْتَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُؤْلِمُوا بِهَا إِلَى الْحُكَمَ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 188].
- عدم ارتكاب الزنا: {وَلَا تَقْرَبُوا الرِّبَّا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَيِّلًا} [الإسراء: 32].

الدليل السادس: خلو القرآن من أي تناقض أو تعارض:

الحقيقة التي لا يمكن لمطلع منصف إلا الإقرار بها أن القرآن خالٍ تماماً من أي تناقض أو تعارض؛ وذلك لأنه لفظاً ومعنى كلام الله عز وجل، تم حفظه وكتابته من فم النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم الذي أوحى إليه به، لا يزيد فيه، ولا ينقص منه، والمسلمون على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم لم يختلفوا في كلمة منه.

الدليل السابع: اختبار إبطال القرآن:

يقدم القرآن الكريم اختباراً لإبطاله، وهو اختبار جيد يمكن تطبيقه على جميع الكتب التي تدعى كونها من عند الله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: 82].

الدليل الثامن: الدقة في القرآن الكريم:

ما يرتبط ارتباطاً وثيقاً باختبار إبطال القرآن ليس خلو القرآن الكريم من التناقضات فقط، وإنما خوضه في مسائل تتعلق بالتاريخ، واللاهوت، والفلسفة، والقانون، والطبيعة التي تفوق تفسيرات البشر. ومن الأمثلة التي تؤكد على صحة هذا الدليل:

1- الدقة التاريخية: ومنها:

- الدقة التاريخية في اللقب الدقيق لحاكم مصر في زمن يوسف عليه السلام، وفي زمن موسى عليه السلام، حيث أشار القرآن الكريم إلى حاكم مصر في زمن يوسف عليه السلام بالملك، في حين أشار إلى اسمه في زمن موسى عليه السلام بفرعون.⁽⁵⁹⁵⁾

- الدقة التاريخية في اسم هامان الذي اكتُشفَ في السجلات التاريخية، وكذلك في حفظ جسد فرعون.

2- الطبيعة المتعددة للطبقات:

عندما يتحدث القرآن الكريم عن الطبيعة، فإنه يتحدث عنها بصورة تراعي أفهام القارئ في ذلك الزمن، وأفهمانا اليوم أيضاً، ومن أمثلة ذلك:

- وصف أصل الكون: {أَوَلَمْ يَرَ الذِّينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَّقْنَاهُمَا} [الأنباء: 30].

"عن ابن عباس حبر الأمة رضي الله عنهما قال في تفسير قوله تعالى: (كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَّقْنَاهُمَا): أي كانتا ملتصقتين، فرفع السماء ووضع الأرض، ولقد كان الحسن وقتادة يقولان في (كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَّقْنَاهُمَا): أي: كانتا جميua، ففصل الله بينهما بهذا الهواء، وقال مجاهد: أي: فتقهـن سبع سماوات، بعضـهـن فوق بعضـ، وبسبـع أرضـين بعضـهـن تحت بعضـ".⁽⁵⁹⁶⁾

- خلق الإنسان: يلفت القرآن الكريم انتباها إلى كيفية خلقنا كبشر من أصول بسيطة: {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً} [المؤمنون: 14].

نلاحظ هنا أن القرآن الكريم استخدم لفظ علقة والذي يعني الشيء المتعلق، أو العلق (الدود) والدم الجامد، أو الدم بصورة عامة.

ولقد وصف الأطباء الإغريق واليهود الجنين على أنه شيء متعلق ودم جامد، ولكن المثير للاهتمام هو إشارة لفظ علقة إلى العلق، وهذا في الواقع شكل الجنين في اليوم الثاني والعشرين إلى الخامس والعشرين من تكوئنه.

الدليل التاسع: النظم البديع والأسلوب المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب، وفي غيرها، حيث تميز به:

(595) لمعرفة المزيد عن هذه المسألة، قم بتنزيل أو طلب كتاب "The Eternal Challenge" من موقعنا الإلكتروني: iera.org/shop.

(596) تفسير الطبرى.

- الجزالة: فمن علم أن الله سبحانه وتعالى هو الحق، علم أن مثل هذه الجزالة لا تصح في خطاب غيره.
- الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا، وعن المغيبات في المستقبل التي لا يُطلع عليها إلا بالوحي.

الدليل العاشر: الإعجاز البیانی والنفسي:

يجد من يقرأ القرآن بتركيز أن القرآن يواجه قارئه بشكل مباشر وشخصي، ولا يتوقف عن نقاشه ومواجهته، والأعجب من ذلك أنه يسبق أفكاره ويوجهها، وكأنه يقرؤها قبل أن يصرح لنفسه بها! فمع أن الفنان قد يستطيع رسم العين بحيث تبدو أنها تتبع الناظر أينما ذهب، ولكن كيف لكتاب أن يتابع أفكار القارئ ويتوقعها، ويجيب على تساؤلاته قبل أن يطرحها أحياناً، مع اختلاف القراء، وتنوع ثقافاتهم، وظروف حياتهم!

إن القرآن يمتلك ذلك الأسلوب الماهر في تشخيص نوازع الإنسان، وتعريفه بأسراره، وبيان ضعفه، فيما قد يبدو قسوة لقارئه في الولهة الأولى، وما هو إلا أنه يوقظ النفس ليطرح على العقل والقلب معًا الأسئلة التي طالما أحاجَّها، وتهرب من الإجابة عليها.

فعندما يقرأ الواحد من القرآن، ويطالع قصص فئات من الناس ووصفهم، ويعيش مع أسرار تفكيرهم ونفسياتهم ومنطلقاتهم، وضلال بعضهم ونجاة آخرين، يقف مع نفسه لولهة يحاول فيها إعادة حساباته، ولكن ما هي إلا أن تتعدد تلك الآيات والصور والنماذج على التوالي، وبإيقاع يقترب من القلب شيئاً فشيئاً دون شعور، حتى يصبح القرآن مرآة للنفس، يُظهر حقيقتها، عيوبها ونقصها، إمكانياتها وفرصها؛ فيتخلل نفس القارئ بعمق؛ ليأتي بها مذعنة، مقرة بأنه لا إله إلا الله.

فتتجده حينما يراوده اليأس والقنوط يقرأ: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: 53].

وفي الوقت الذي يختار، ويشعر بصراع يأكل داخله بعنف، ويريد ركناً شديداً يلجأ إليه، يجد اللطف في قول الله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِيَ عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيَسْتَجِيبُوا لِي وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: 186].

وحين يفكر في أن حياته خرجت عن السيطرة، ولم يعد قادراً على التحمل أو التحكم بمجرياتها، يجد البلسم الشافي، والمعين الداعم له في قول الله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَلْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْبِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتُهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 286].

ولقد اعترف (ويل ديورانت) أحد أهم مؤرخي الحضارة بأثر القرآن ومكانته بين جميع المنصفين فقال: "ولقد آمن بالقرآن كثير من رجال العلم والفكر في كل عصر من العصور الماضية، وفي هذا العصر الذي نعيش فيه، كما آمن به من لا يحصون كثرة من الناس على اختلاف حظوظهم من العقل والتفكير؛ وما ذلك إلا لأنه جاء بالعقيدة الحقة الواضحة التي يتقبلها الجميع، فهي أسهل العقائد، وأقلها غموضاً، وأبعدها عن التقيد بالمراسيم والطقوس، وأكثرها تحريراً من الوثنية والكهنوتية".

ولقد عَلِمَ الإسلام الناس أن يواجهوا صعاب الحياة، ويتحملوا قيودها، بلا شکوى ولا ملل، وقد عَرَفَ الدين وحدده تحديداً، لا يجد المسيحي ولا اليهودي الصحيح العقيدة ما يمنعه من قبوله {لَيْسَ الِّبَرَّ أَنْ تُوَلُوا وُجُوهَكُمْ

قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبَرَّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمُلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالثَّبَيْبَينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرَّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة: 177].⁽⁵⁹⁷⁾

فيهم "الإعجاز العلمي" في القرآن الكريم:

صار من المستحيل الحديث عن الإعجاز العلمي؛ والسبب في ذلك هو أنَّ العلم ليس قطعي الدلالة؛ كما أنَّ آيات القرآن تُحملُ (في كثير من الأحيان) على أكثر من معنى، حيث أنَّ القرآن ليس كتاباً علمياً، وليس هذا الغرض من نزوله، ولكنه كتاب آيات (أدلة).

وعلى الرغم من عيشنا في زمن يشيع فيه العلم، إلا أنه ليس معياراً لاختبار صحة القرآن الكريم؛ لأنَّ العلم يغير آراءه بصورة مستمرة وفقاً للمعطيات الجديدة الواردة، ولذلك تجد القرآن الكريم لا يتناول المسائل المتعلقة بالطبيعة من منظور علمي بحد ذاته، ولكنه منظور تفكري؛ فهو يطلب منا التفكير والتأمل في دلالة كل هذه الآيات على قوة الخالق وقدرته.

وعلى المحاور المسلم أن يفكر في الطريقة التي يمكنه استخدام أيٍ من هذه الأدلة والحجج، وعرضها بأسلوبه في خالله حوار قائم على مقاربة وجود الله ووحدانيته – الولي والنبوة.⁽⁵⁹⁸⁾

الإقرار: لا تنس الحصول على إقرار من غير المسلم؛ لِتَعْلَمَ مَا إِذَا كَانَ قَدْ فَهِمَ أَوْ وَافَقَ عَلَى صَدْقَ مَا قَلَتْهُ.

(597) قصة الحضارة، المجلد 13 ص: 68-69

(598) للإحاطة بالزَّيْدِ مِنَ الْأَدَلَةِ عَنِ الْوَلِيِّ، قم بتنزيل أو طلب كتاب "The Eternal Challenge" من موقعنا الإلكتروني: iera.org/shop

المطلب الثامن: النبوة (محمد رسول الله)

يتناول المحور الأخير من هذه المقاربة مسألة النبوة، ويكمّن الهدف هنا في إظهار صدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لغير المسلم، بالإضافة إلى اختيار الله تعالى له وإرساله إلى البشرية.

وتتمثل الطريقة السهلة للقيام بذلك في فعل الآتي: النجاح في إثبات صدق القرآن الكريم، يؤدي بالتوازي إلى إثبات صدق نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: 158]. وهذا يعني نجاح هذه المقاربة بوجهها الآخر، أي إمكانية استخدام مقاربة وجود الله ووحدانيته - الوحي والنبوة، أو وجود الله ووحدانيته - النبوة والوحي؛ لأن إثبات أحدهما يؤدي إلى إثبات الآخر بشكل تلقائي.

كيف تثبت أن محمداً صلى الله عليه وسلم نبي من عند الله؟

نقاش: كاذب أو واهم (بأبي هو وأمي) أو صادق؟

وتكمّن إحدى الطرق المعتمدة في اختبار صدق ادعاء النبوة من عدمها في عملية الاستبعاد.

ونستطيع تطبيق هذه العملية (الاستبعاد) على أي أحد يدعي أمراً معيناً، من خلال ثلاث خيارات أساسية:

1- كذب الشخص صاحب الادعاء.

2- صدقه.

3- ظنه، أي: أنه يقول الحقيقة، ولكنه واهم أو مجنون.

الاختيار الأول: كاذب (حاشاه ذلك):

إنَّ اتهام النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب أمر لا وزن له، فلقد كان معروفاً بشخصيته الفريدة، حتى قبل إعلان نبوته؛ ولذلك يمكن العودة إلى الفترة الزمنية التي عاش بها النبي صلى الله عليه وسلم؛ لتعلم مدى انتشار الفساد فيها، ولكنه صلى الله عليه وسلم لم ينغمس في شرور مجتمعه؛ بل كان الأمر معه على النقيض تماماً، فقد اهتمَّ صلى الله عليه وسلم باليتامى والأرامل وساعد في تحسين المجتمع؛ ونتيجة لذلك كرمته الناس بمنحه لقب "الصادق الأمين"، وليس هذا وحسب، فقد كان أعداؤه يشهدون على صدقه حقاً بعد إعلان نبوته عليه السلام.

ومن الأمثلة التي تثبت ذلك:

الواقعة التي حدثت مع أبي سفيان، والذي لم يكن قد أسلم في ذلك الوقت، حيث عُرِفَ بعاداته الشديدة للنبي صلى الله عليه وسلم، ولكن في لقاءه مع هرقل (قيصر الروم) قام الأخير بطرح عدة أسئلة عن النبي صلى الله عليه وسلم، منها: "كيف نسبه فيكم؟، أيزيد [أتباعه] أم ينقصون؟"، ثم سأله: "فهل كنتم تتهمنوه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟"، فنفى أبو سفيان عنه ذلك.

ويقول أبو سفيان عند روایته لهذه الواقعة: "فوالله لو لا الحياة من أن يأثروا عليَّ كذبًا لكذبت عنه"، ويقول هرقل في نهاية هذه الرواية: "وسألك هل كنتم تتهمنوه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا، فقد أعرفُ أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكتذب على الله".⁽⁵⁹⁹⁾

هذا ويمكننا أيضاً مناقشة الأمر من ناحية عقلانية، فالناس تكذب؛ للتتجنب الأذى، أو لتحصل على بعض المكاسب، لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتتجنب الأذى، بل اضطهدَ، وقوطَ، ونُفي، وعاني من الجوع، ورمأه

.(599) رواه البخاري.

الصبيان بالحجارة؛ كما لم يحصل على أي مكاسب أو مغانم، إذ لم يعيش حياة بذخ وترف، وإنما أكل الطعام البسيط، كما كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله بنفسه.

وفي تلك الفترة، عرض عليه المشركون الأموال، والنساء، والسلطة إذا توقف عن نشر دعوته، لكنه رفض ذلك رفضاً قاطعاً.

وعندما توفاه الله تعالى، لم يترك وراءه شيئاً سوى بغلته البيضاء، وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة.
الاختيار الثاني: واهم (بأبي هو وأمي):

واهم هي الكلمة اللطيفة حينما يقول أحدهم إنَّ شخصاً ما مجنون أو يعاني من مشاكل عقلية. وعند تحليل تعاليم الإسلام التي دعا إليها النبي صلى الله عليه وسلم، نرى عدم استطاعة رجل عادي الإتيان بنظام حياة كامل، يشمل أحكام الطعام، والزواج، والنظام الاقتصادي، والحياة الأسرية، والقانون الجنائي، والنظافة، والأداب العامة، وغيرها من نواحي الحياة، فمن أين جاء به إذن؟
ويستمر الإسلام إلى يومنا هذا في تحسين حياة الناس والتأثير فيها إيجابياً بشكل كبير، وذلك على المستويين العملي والروحي.

النبوءات:

تعتبر النبوءات وسيلة قوية؛ لتظهر عدم استطاعة أي أمرٍ التنبؤ بالمستقبل ما لم يُعلِّمه الله العليم به!
ثمة نبوءة شهيرة يقول فيها النبي صلى الله عليه وسلم ما يلي: "ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البناء".

نرى اليوم هذه النبوءة واضحة جلية أمام أعيننا، حيث يتنافس العرب في الشرق الأوسط على بناء ناطحات السحاب (على سبيل المثال برج خليفة في دبي، وبرج المملكة والذي هو قيد الإنماء حالياً في بلاد الحرمين). فإذا كان صلى الله عليه وسلم واهمَا (بأبي هو وأمي)، فأئَّ لرجل متوهם أن يأتي بمثل هذه النبوءات الدقيقة عن المستقبل؟

وختاماً، إذا تأملنا حياة النبي صلى الله عليه وسلم، نرى مرورها بالكثير من الأحداث التي إنْ كان واهمَا أو كاذباً (حاشاها)، لسعى إلى الاستفادة منها كدليل لدعم كذبه وتوهّماته (حاشاها وهو الصادق المصدق).

ومن الأمثلة على ذلك، عندما حصل كسوف للشمس في نفس اليوم الذي تُوفَّيَ فيه ولد إبراهيم، فقد اعتقد كثير من العامة أنَّ الله تعالى أحدث الكسوف؛ لوفاة ابن النبي صلى الله عليه وسلم، ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم واهمَا أو كاذباً (حاشاها)؛ لحاول انتهاز هذه الفرصة؛ لتعزيز ادعاءاته، غير أنه لم يفعل ذلك، بل قال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يُحْسِنَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاةِ أَحَدٍ" ولكنهما آياتان من آيات الله، فإذا رأيتموهما فصلوا".⁽⁶⁰⁰⁾

الاختيار الثالث: أنه صادق (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):

إذا لم يكن كاذباً ولا واهمَا (حاشاها)، فما هو إذن الخيار المتبقى؟
أنَّه كان يقول الحقيقة! لقد كان صلى الله عليه وسلم رسولَ الله من عند الله تعالى.
هكذا يمكنك إنهاء مسألة النبوة، ولكن لا تنسَ الحصول على إقرار من غير المسلم بذلك!

⁽⁶⁰⁰⁾ رواه البخاري.

المطلب التاسع: تلخيص ومزاعم

لقد أتممنا بحمد الله مقاربة وجود الله ووحدانيته - الوحي والنبوة. وحان الآن وقت تلخيص المقاربة، كمنهجية للدعوة إلى سبيل الله. لا غرو، أن الحوار القائم على مقاربة وجود الله ووحدانيته - الوحي والنبوة يهدف إلى إعادة غير المسلم إلى الأسس عند سؤاله أي سؤال يتعلق بالإسلام، وإعطائه أدلة قوية عن صحة الإسلام.

المراحل المختلفة للمقاربة:

- 1- المرحلة التمهيدية: إعادة توجيه الحوار بإخبارهم بالحاجة لمناقشة بعض المفاهيم الأساسية.
- 2- المرحلة النظرية (توافق المنطق السليم): الاتفاق على اعتماد هذا الحوار على المنطق السليم؛ للحفاظ على الموضوعية.
- 3- وجود الله: إعطاء أدلة قوية عن سبب وجود الله.
- 4- وحدانية الله: إعطاء أدلة قوية عن وحدانية الله، واختلافه عن مخلوقاته.
- 5- مرحلة ربط الأمرين السابقين بالوحي والنبوة: أظهر لهم عجز عقولنا المحدودة عن معرفة ما يريد الله منا، وغايتنا من الحياة والأسئلة "الجوهرية" المرتبطة بها؛ لذا نحتاج إلى الوحي.
- 6- الوحي: إعطاء أدلة قوية عن أن القرآن قول الله تعالى.
- 7- النبوة: إعطاء أدلة قوية تثبت أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم مرسلاً من عند الله، هذا كل شيء.

نقاش: كيف تعامل مع المزاعم الآتية المتعلقة بوجود الله ووحدانيته؟

- عدم وجود أدلة ملموسة
- من خلق الله؟
- التطور؟
- مشكلة الشر
- المسيح هو الله
- المسيح هو ابن الله

نقاش: كيف تعامل مع المزاعم الآتية المتعلقة بالوحي والنبوة؟

قد يطرح أحدهم أسئلة من قبيل:

- لقد نقل محمد صلى الله عليه وسلم القرآن من مصادر مختلفة بما فيها الكتاب المقدس.
- لماذا لا يرينا الله نفسه أو يرسل ملكاً؟
- لا أتبع دينا منظماً.
- لقد أوحى إليه الشيطان.
- العلم مبني على التفسيرات، وربط آيات القرآن الكريم بالظواهر الطبيعية مرفوض.

تلخيص مقاربة وجود الله ووحدانيته- الوحي والنبوة

قبل الانتهاء، لخص نقاط المقاربة التي نقشتها معهم بصورة مختصرة.

تلخيص الإسلام:

تمثل الخطوة التالية بعد تلخيص المقاربة في تلخيص الإسلام.

أظهر لهم أن الإسلام ليس ديناً معقداً أو صعباً! إنه سهل، ولكن الأهم من ذلك هو أنه منهج حياة يرضي الله؛ فهو عز وجل يريد منا أن نعيش حياتنا على هذا النحو.

اذكر أركان الإسلام الخمسة:

- 1- الإقرار بوجود إله واحد، لا شريك له ولا ند، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم هونبيه الخاتم، (واشرح لهم وجوب اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن طريق النبي صلى الله عليه وسلم هو طريق الله تعالى).
- 2- يأمرنا هدي النبي عليه الصلاة والسلام بالصلاحة خمس مرات في اليوم.
- 3- ويأمرنا بإعطاء الزكاة إلى الفقراء.
- 4- ويأمرنا بالصيام في شهر رمضان.
- 5- ويأمرنا بالحج إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة لمن يملك القدرة المادية والبدنية.

اشرح بعض الخصال الحسنة:

كما يمكن شرح تفاصيل أخرى تتعلق بتشديد الإسلام على ضرورة التمتع بالخصال الحسنة، كالصدق وعدم الكذب، والوفاء بالوعود، وأداء الأمانات، وقول الحق ولو على نفسك أو أفراد عائلتك، واحترام الوالدين وببرهما، لا سيما في كبرهما، والإحسان إلى الجار، والبحث على الخير ومقت المعصية، (فهذه هي الخصال الأساسية التي يجب على المؤمن أن يتمتع بها).

نُطُقُ الشَّهَادَةِ، أَوْ دُعْوَتُهُ لِاعْتِنَاقِ الْإِسْلَامِ:

إذا أنهينا مع غير المسلم كل المسائل المرتبطة بمقارنة وجود الله ووحدانيته - الوحي والنبوة، وفهم كل ما قلته له، وحصلنا على إقرار منه على كل نقطة من نقاطها، يتبقى لنا خطوة واحدةأخيرة، وهي نطق الشهادة، أو الدعوة إلى اعتناق الإسلام.

وهذه الخطوة مهمة للغاية أن تقوم بها؛ حيث أن كثير من المهتمين بالإسلام والمؤمنين به، لم يأخذوا خطوة الدخول في الإسلام؛ لشيء إلا لأنه لم يدعهم أحد لاعتقائه.

ويمكن دعوتهم بطريقة بسيطة جداً كقولك: "دأيفيد، بعد نقاشنا هذا حول الإسلام، ومعرفتك أكثر عن هذا الدين، أود معرفة رأيك: هل يقنعك هذا الكلام؟ هل تعتقد أنه أكثر منطقية مما تؤمن به حالياً؟

إذا كان كذلك، فأنا أدعوك بكل صدق إلى التفكير بالأمر، واعتناق الإسلام؛ ليكون دينك ومنهج حياتك".

وتذكر أن قبوله اعتناق الإسلام من عدمه ليس بيده، فالهدایة بيد الله تعالى وحده.

ماذا إذا رفض دعوتك إياه إلى الإسلام؟

إذا كان غير المسلم راغباً باعتناق الإسلام، فاستعد لتلقينه الشهادة، أما إذا لم يكن راغباً بذلك، فلا تظن أن دعوتك تنتهي هنا، وإنما امنحهم بعض الوقت، وزودهم بعنوان منظمتك الدعوية أو المسجد في حال إذا طرأ عليهم أيهُ أسئلةٌ استيفاضية، ولا تنس أن تعطيهم بيانات الاتصال بك.

وماذا إن قيل دعوتك إلى الإسلام؟

يجب على كل من يريد اعتناق الإسلام، إدراك ما ينطوي عليه نطق الشهادة، ومدى عظيم الإعلان به.

هل يعرف الراغب/الراغبة باعتناق الإسلام حقاً ما تعنيه هذه العبارة وما تنطوي عليه؟

ما تقوم به عند نطقك الشهادة هو:

- الدخول في عهد مع الله عز وجل: بالتزام عبادته وحده، دون عبادة أي أحد أو أي شيء آخر معه.

- اتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم قدوة: فهو مرشدنا في كيفية عبادة الله وعيش حياة ترضيه سبحانه.
- إشهار انضمامها إلى صفوف المسلمين، وقبول الحقوق والواجبات المنشقة عن ذلك.

تنمية ودعم المسلمين الجدد

لا بد لجميع المخاطرين بالعمل الدعوي فهم الآتي بصورة جيدة، وهو أن الدعوة لا تنتهي بنطق الشهادة، وإنما ينبغي إقامة نظام دعم لمن يعتنقون الإسلام؛ فمن المحزن للغاية رؤية مدى نشاط العمل الدعوي، والذي يتربّ عليه بفضل الله ومنته اعتناقآلاف الأشخاص الإسلام سنوياً، ثم تكتشف غيابآلية أو خطأ متابعة المسلمين الحد.

نشاط:

- بعد نقاش مطول مع دايفد وبعد دعوتك له لاعتناق الإسلام، يوافق دايفد ويستعد لنطق الشهادة.
 - الحمد لله لقد أصبح الآن مسلماً! والآن حان الوقت للتفكير بوضع خطة له كمسلم جديد.
 - ضع خطة لمساعدة دايفد في رحلته كمسلم، وفكّر بالنصيحة التي ستعطيها له.

وضع خطة للمسلم الجديد:

عندما يعتنق أحدهم الإسلام، ينبغي تحويل التركيز على هذا المسلم الجديد، والبدء بدعمه وتوجيهه، فإذا كنت تقوم بالدعوة في الشارع على سبيل المثال، اترك كل شيء واهتم به.

قم بإعطائه نصيحة أساسية، وذلك بأن تقول له: "عليك أن تعامل مع الأمر بخطوات بطيئة ومتينة، فهذه رحلة وليس سباقاً، وكما هو الأمر في كل الرحلات، يجب علينا أن نستعد لها أتم الاستعداد؛ ولذلك من المحتمل أن نواجه بعض الشدائد والصعوبات، مع وجود لحظات من الراحة والسعادة، إلا أن الأمر يستحق كل ذلك؛ لأن هذه الرحلة هي إلى الله سبحانه وتعالى وإليه جنانه".

ثم طمئنَه بحصوله على دعمنا ومساعدتنا في خلال هذه الرحلة، كأنْ تعرِفَه على موجِّهِه، أو تُرشِّدَه إلى مكان المسجد، أو تبَقِّي على تواصل معه والدعاء له.

نقاش:

تأخذ دايفد إلى المسجد، وتعرفه على الأخوة والإمام، وتعرفه كذلك على موجّه المسلمين الجدد، فهو لا يزال حديث عهد بالإسلام، ومن المتوقع أن يمر ببعض الظروف التي قد يحتاج فيها إلى دعم في أي وقت، فمع من يجب أن تكون جهة اتصاله الأولى؟

وتمثل إحدى أهم الأمور في ربط المسلم الجديد بالله عز وجل من خلال الصلاة والدعاة، وعلى الرغم من أهمية بناء علاقة بين المسلم الجديد مع المسجد والموجّهين الآخرين، إلا أن الأهم من ذلك هو ربطه بالله، وبناء علاقته الروحية؛ لذا يكمن تركيز الأول على الصلاة! ثم الصلاة! ثم الصلاة! وعملياً كل ما عداها يعتبر ثانوياً؛ فباتصاله بالله فقط، سيستطيع التعامل مع المشاكل وإيجاد حلول لها، كما أنَّ الصلاة تقيه من ارتكاب الشرور والخطايا.⁽⁶⁰¹⁾

(601) استخراج منحة EAS لتعاليم الصلاة (تمت مناقشتها في دعوة نجاح المسلم الجديد)

المبحث الثاني: نماذج حوارية ملخصة لدعوة الملاحدة
ما أحوج البشرية إلى التَّعْرُف إلى أُسسِ الإسلام، وبعباراتٍ موجزة وشيقَة تناسب المستويات المتنوعة؛ ليتمكنَ لدى كلِّ منصِّفٍ ببحث عن حقيقة هذا الدين مِنْ مَرَاجِعِه الموثوقة، فكراً واضحةً يُزيلُ اللُّبس عنه، ولا يُورِثُ عليه شبهة، مراعيًّا في ذلك الوقت والتنوع والشمول.

وسنطرح في السطور التالية نموذجين، يمكن للمحارِو المسلم الاستفادة منهُما، ومحاكاهُما في حال إذا ما تعرَّض لأمر مشابه:

المطلب الأول: نموذج ملخص لدعوة ملحد تخصصه إدارة أعمال:
يقول أحد المشايخ: "دعانا أحد الأخوة المشهود لهم بالصلاح إلى الإفطار، وكان من بين الحضور دكتور في إدارة الأعمال، والذي كان يعمل مستشاراً لوزير المالية في الشؤون الجمركية.
فقلت له: عندي أسئلة إدارية، فهل أنت مستعد لإجابتها؟ فقال: نعم.

سألته: هل يمكن أن ترجح مؤسسة لزمان طويل جدًا دون إدارة؟
قال: مستحيل، لا بد من كل مؤسسة من إدارة.

فقلت: هذا الكون، هل هو مؤسسة؟
قال: أجل، هو مؤسسة كبيرة.

قلت: إذن، من يديره؟

فتردد وتلَّأ، فقلت: لا يمكن أن يديره إلا الذي خلقه وصوره.
قال: نعم.

قلت: هل يمكن أن تكون هناك مؤسسة ناجحة بها إدارتان متساويتان وليس فوقهما إدارة عليا تأمر وتنهي؟ قال: لا، من قواعد الإدارة وحدة المرجع التنظيمي، فلا يمكن تعدد المسؤولية.

فقلت: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء: 22].
فسائلني عن ترجمة الآية فترجمت لها: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ} [المؤمنون: 91].

وسألته: هل يمكن أن تقابل الإدارة العليا جميع المنتسبين إلى المؤسسة في كل صغيرة وكبيرة؟
قال: لا، إنما تقابل روؤساء العمل.

فقلت: أولئك الرسل.

ثم سألته: أرأيت لو أن الإدارة أصدرت قراراً بأن الدوام يبدأ من الساعة الثامنة صباحاً، وبعد مدة أصدرت قراراً آخر بأنَّ الدوام يبدأ من الساعة السابعة صباحاً، بأيِّهما سوف يعمل الموظفون، بالقرار الأول أم بالأخير؟

قال: بالأخير.

قلت: الأول المسيحية، والثاني الإسلام.

فتردد ثم قال: لماذا تغير الإدارة التوقيت؟

فقلت: لماذا تغيرون أنتم التوقيت من الصيفي إلى الشتوي ومن الشتوي إلى الصيفي؟

قال: لمصلحة العمال.

قلت: أيضاً تغيير التشريع لمصلحة العمال.

قال: كيف ذلك؟

قلت: أنت مقرر أنَّ أول أسرة في العالم من البشرية هي أسرة آدم.

قال: نعم.

قلت: لو أنَّ آدم شُرع له تحريم زواج الإخوان، هل سينتشر العالم؟

قال: لا.

قلت: هل يمكن أن يبقى تشريع الإخوان مشروعاً، أن تتزوج بأختك الشقيقة؟ قال: لا.

قلت: إذن تَطُورُ العَالَم يقتضي تغييراً في التشريع.

انظر إلى سرعة بديهة المحاور، وقوة حواره مع الطرف الآخر، وكيف أنه درس جيداً خلفية المدعو، ومن ثم ضرورة الاستفادة من هذا الأسلوب في الحوار وتقليله في مكانه المناسب، ولو أننا نصنع من هذا السيناريو فيديوجرافيك، ثم نترجمه إلى لغات العالم؛ فسيكون له أبلغ الأثر بمشيئة الله في إسلام غير المسلمين، والسؤال هنا: من لهذه المهمة العظيمة، والمترتبٌ عليها أجور لا يعلم قدرها إلا الله عز وجل؟

المطلب الثاني: نموذج حواري ينفع مع 90% من غير المسلمين:

صديقٍ غير مسلم، هل تأذن لي أن أعطيك أهم المعلومات عن حقيقة الإسلام بشكل ملخص، وفي نصف ساعة؟

دعني أسألك في البداية: ألا يُؤرقك سؤال نفسك: من خلقني ولماذا؟ وإلى أين أذهب بعد الموت وما مصيرِي؟ من هو الإله الحق؟ من نعبد؟ وما هو المثلوي الآخر؟ كيف أفوز بالجنة والحياة الأبدية؟ ما الهدف من كل هذا الوجود؟ أليس مقلقاً إن كانت النهاية موتاً وتراباً وعدماً؟ ألا تكون الصدمة عظيمة إن لم تكن مهيئاً لما بعد الموت؟

حين يتأملُ المرءُ الأرض التي يعيش عليها، ويرى هذا الكون الواسع الجميل، السماء بنجومها الكثيرة، والأرض بجبالها، ووديانها، وأنهارها، وأشجارها وزروعها، وهواها، وماءها، ببرها وبحرها،

بليها ونهاها، كل ذلك يسير وفق نظام متقن – حين يتأمل ذلك لا بد له أن يتساءل: من الذي خلق هذا كله؟ مَنِ {الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ نَبَاتَ كُلُّ شَيْءٍ}⁽⁶⁰²⁾، الماء الذي لا تقوم الحياة إلا به، فأخرج به النبات، والأشجار، والأزهار والثمار، وسقى به الناس والأنعام، وهيا الأرض لتحتفظ به؟ من الذي خلق الإنسان، فأبدعه، وجعله في أحسن صورة؟ فحينما يتأمل المرء في نفسه، يجد العجب في إبداع الخالق، وإحكام صنعه، تأمل في أجهزة جسمك المختلفة التي تعمل بطريقة محكمة، ولا تعرف عن عملها إلا القليل، فضلاً عن استطاعتك التحكم فيها.

انظر إلى الهواء الذي تستنشقه، لو توقف عنك لحظة لفارقتك الحياة، من الذي أوجده؟ هل يظن عاقل بأن الكون وما فيه خلق عبثاً، وأن الناس يولدون، ويعيشون على هذه الأرض زمناً ثم يموتون، وينتهي كل شيء؟ أو أن الكون وجد بالصدفة أو أوجد نفسه بنفسه؟ وبما أن هذين الاحتمالين مستحيلان؛ إذن فلا بد أن هناك من أوجد كل هذا.

نعم؛ إنه الله الخالق الذي خلق الكون كله، وهو وحده الذي يتصرف فيه ويسيره، إنه رب الذي خلقك، ورزقك، وحييتك، ويميتك، وهو الذي أوجدك من العدم، كما أوجد هذا العالم كله من العدم.

ألا يستحق استثمار ساعة للتعرف على خالقك وماذا يريد منك؟ ولماذا خلقنا نحن البشر؟ ومن يجيبني على كل أسئلتي؟

.99) الأنعام: (602)

الفصل الثاني: حقيقة الإسلام ومعناه، وإلى ماذا يدعو؟

إن الإسلام يحثنا على التفكير والتأمل وإعمال العقل وأن نبني أحكامنا على الدليل الصحيح، ونجد أن القرآن يشير إلى ذلك، فقد حكى الله لنا فيه عن أهل العقول والتفكير، فقال: {وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ} [آل عمران: 191].

صديقي، لا يهمك أن تتعرف بعمق وبحيادية على الدين الأكثر والأسرع إنتشاراً كما أثبتت الإحصاءات العالمية؟ ما السبب من وراء ذلك؟ ما رأيك أن تعطي نفسك ولو مرة في حياتك الفرصة؛ لتتعرف على الإسلام من مصادره الموثوقة، ثم تحكم عليها بموضوعية واتزان؟

ولذلك دعني أولاً أعرفك بحقيقة الإسلام ومعناه، وإلى ماذا يدعو - باختصار شديد -:

(الإسلام) هو الاستسلام لله خالق الكون ومدبره، والانقياد له محبة وتعظيمًا، وأساسه هو الإيمان بالله، وأنه هو الخالق وكل ما سواه مخلوق، وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، لا معبد بحق إلا هو، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وله الكمال المطلق بلا نقص، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً ولا مثيلاً، لا يحل ولا يتجسد في شيء من خلقه.

(الإسلام) هو دين الله تعالى الذي لا يقبل من الناس ديناً غيره، وهو الدين الذي جاء به جميع الأنبياء عليهم السلام.

(وللإسلام) أركان خمسة، هي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.. وإقامة الصلاة خمس مرات في اليوم.. وإيتاء الزكاة وهو مقدار يسير يؤخذ من الأغنياء ويعطى للفقراء مرة واحدة في العام.. وصوم رمضان وهو شهر واحد في السنة.. والحج، وهو شعائر تؤدى في مكة مرة في العمر لمن استطاع ذلك.

(ومن أصول الإسلام) الإيمان بجميع الأنبياء، بل إنه الطريق الأعظم لمعرفة الله عز وجل؛ فلقد أرسل الله تعالى الرسل والأنبياء إلى الناس؛ ليبينوا لهم الحق من الباطل، ويدعوهم إلى عبادة الله تعالى، ولا شك أن هذا البعث دليل على وجود خالق عظيم، يريد هداية عباده، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 25]؛ فالرسل هم من أخبرونا عن الله عز وجل، وأخبرونا عن ذاته وأسمائه وصفاته سبحانه، فعن طريقهم صلوات الله عليهم أجمعين؛ عرفنا الله جل وعلا، وعرفنا كيف نعبد، ونقترب إليه، وكيف ننجو من عذابه في {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بُنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقُلْبٍ سَلِيمٍ} الشعراة: 89، ذاك القلب الذي يعلم أن الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

ولذلك إخبار هؤلاء الأنبياء والرسل عن الله عز وجل، مع تأييد الله عز وجل لهم بالمعجزات، لا يجعل لأحد حجة على الله يوم القيمة؛ فالله عز وجل أعطاك الفطرة التي تعرفه بها، وأعطاك العقل، وأعطاك النظر في مخلوقاته وأرسل لك الرسل، فلم يبق لك عند الله حجة، قال عز وجل: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَئِلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: 165].

وكان آخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم، أرسله الله بالشريعة الإلهية الخاتمة الناسخة لشريائع الرسل قبله، أيدَه الله بالأيات العظيمة، وأعظمها (القرآن الكريم)، كلام رب العالمين، أعظم كتاب عرفته البشرية، مُعِجزٌ في مضمونه ولفظه ونظمه، فيه الهدایة للحق الموصى للسعادة في الدنيا والآخرة، وهو محفوظ إلى اليوم باللغة

العربية التي نزل بها، لم يُغيّر ولم يُبدّل فيه ولا حرفًا واحدًا.
(ومن أصول الإسلام) الإيمان بالملائكة، والإيمان بالأيام الآخر وفيه يَبْعَثُ الله النَّاس من قبورهم يوم القيمة؛
ليحاسبهم على أعمالهم، فمن عمل الصالحات وهو مؤمن فله النعيم المقيم في الجنة، ومن كفر وعمل
السيئات؛ فله العذاب العظيم في النار.

(ومن أصول الإسلام) الإيمان بما قدره الله من خير أو شر.
(والإسلام) دين متواافق مع العقل، وموافق للفطرة، تَقْبِلُه النفوس السوية، شرعه الخالق العظيم لخلقه، وهو
دينُ الخير والسعادة للناس جميًعاً، لا يميز عرقاً على لون، ولا لوناً على لون، والناس فيه سواسية، لا يتميز أحدٌ
في الإسلام على غيره إلا بقدر عمله الصالح الذي ينفع فيه نفسه وينفع فيه غيره.

ومن أراد الدخول في الإسلام فعليه فقط أن يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله)، عالماً
بمعناها ومؤمناً بها، وبهذا يصير مسلماً؛ ثم يتعلم بقية شرائع الإسلام شيئاً فشيئاً؛ ليقوم بما أوجبه الله عليه.

المبحث الأول: القاعدة الأساسية لدين الإسلام: كلمة التوحيد
إنَّ القاعدة الأساسية لدين الإسلام هي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وبدون هذه القاعدة الصلبة، لا يقام بناء
الإسلام الشامخ، إنها أول كلمة يجب أن يتلفظ بها الداخل في دين الإسلام، مؤمناً بها، معتقداً لجميع معانها
ومدلولاتها.

فما معنى لا إله إلا الله؟
لا إله إلا الله تعني:
- لا خالق للوجود إلا الله.
- لا مالك ومتصرف في هذا الوجود إلا الله.
- لا معبود يستحق العبودية إلا الله.

إنَّ الله هو الذي خلق كل شيء وأوجدها من العدم، قال الله تعالى في كتابه الكريم: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقْرٍ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * وَالْقَمَرُ قَدْرُنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلُّ فِي كُلِّهِ يَسْبُحُونَ} [يس: 38-40].

وقال تعالى: {وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبَصَّرَهُ وَذُكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ * وَزَرَّلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلُ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ} [ق: 7-10].

وأنزل من السماء ماءً طهوراً، لا تقوم الحياة إلا به، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍ} [الأنباء: 30]، فأخرج
به النبات والثمرات، وسقى به الأنعام والإنسان، وهي الأرض لتحتفظ به، فسلكه فيها ينابيع وأنهاراً.

كما أنَّ أول إنسان خلقه الله، هو أبو البشر آدم عليه السلام، خلقه من طين، ثم سواه وصوره ونفع فيه من
روحه، ثم خلق منه زوجه، ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ
مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ ظُفَّةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا الْتُّظْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْعَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْعَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا
الْعِظَاماً لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ حَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: 12-14].

إن الله سبحانه وتعالى تعرفه الفطر السليمة دون حاجة إلى تعليم، فقد أوجد في تكوينها التوجّه والالتجاء إليه، ولكنها تُضلّ وتبعد عن سبحانه.

ولهذا إن أصابتها كارثة أو جائحة أو مأزق شديد وكربات، وواجهت الخطر المدحّق في البر أو البحر؛ لجأت مباشرة إلى الله؛ تستمد منه العون والخلاص مما هي فيه، والله سبحانه يجيب المضطّر إذا دعاه ويكشف السوء. هذا الخالق العظيم أكبر من كل شيء، بل لا يقاس شيء من خلقه به، فهو العظيم الذي لا حد لعظمته ولا يحيط به أحد علماً، الموصوف بصفة العلو على خلقه فوق سماواته {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11] لا يماثله شيء من خلقه، وما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك.

وهو الذي يرانا سبحانه من فوق سماواته، ونحن لا نراه: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَيْرُ} [الأنعام: 103]، بل لا تتحمل حواسنا وقوانا أن نراه في هذه الدنيا.

لقد طلب ذلك أحد أنبياء الله وهو موسى عليه السلام، لما كلمه الله عند جبل الطور: فقال {قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ}، فقال له الله تعالى: {لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَ مَكَانًا فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّ رَبُّ الْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِيقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْثِتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: 143]، فالجبل العظيم الشامخ انهار وتصدع من تجلّي الله له، فكيف يستطيع الإنسان ذلك بقواه الضعيفة المهزيلة؟ ومن صفات الله سبحانه وتعالى أنه على كل شيء قادر: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} [فاطر: 44].

بيده الحياة والموت، يحتاج إليه كل مخلوق، وهو غني عن كل مخلوق، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر: 15].

ومن صفاته سبحانه العلم والإحاطة بكل شيء: {وَعِنْهُ مَقَاتِحُ الْعَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَأْسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [الأنعام: 59]، يعلم ما تتكلم به ألسنتنا وتعلمه جوارحنا، بل وما تكتنه صدورنا: {يَعْلَمُ خَاتِئَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غافر: 19].

فالله سبحانه مطلع علينا، خبير بأحوالنا، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، لا يغفل ولا ينسى ولا ينام، قال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا تُؤْمِنُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسَعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يُؤْودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ أَعْلَمُ الْعَظِيمِ} [البقرة: 255].

له الكمال المطلق الذي لا نقص فيه ولا عيب، ولهم الأسماء الحسنـيـ والـصـفـاتـ الـعـلـىـ،ـ الـتـيـ لاـ تـنـبـغـيـ إـلـاـ لـهـ،ـ قـالـ

تعالـىـ:ـ {وَلَلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىـ فـادـعـوـهـ بـهـاـ وـدـرـوـاـ الـذـيـنـ يـلـحـدـوـنـ فـيـ أـسـمـائـهـ سـيـجـرـوـنـ مـاـ كـانـواـ يـعـمـلـونـ} [الأعراف: 180].

والله سبحانه لا شريك له في ملكه، ولا ند ولا ظهير، منه سبحانه عن الزوجة وعن الولد، بل هو الغني عن ذلك كله، قال الله تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنَ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرُنَ مِنْهُ وَتَنْسَقُ الْأَرْضُ وَتَخْرُجُ الْجِبَالُ هَذَا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَخَذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا} [مريم: 93-88].

وهو سبحانه المتصف بصفات الجلال والجمال والقوة والعظمة والكبراء والملك والجبروت، وهو أيضاً المتصف بصفات الكرم والمغفرة والرحمة والإحسان، فهو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، والرحيم الذي سبقت

رحمته غضبه، والكريم الذي لا حد لكرمه ولا تنفذ خزائنه.

والتعرف على صفاته سبحانه يزيد القلب محبة وإجلالاً، وخشية وخضوعاً لله؛ ولهذا فإن معنى (لا إله إلا الله) أن لا يُصرف شيء من العبودية إلا لله، فلا معبود بحق إلا الله، فالله هو المتصف بصفات الألوهية والكمال وهو الخالق الرازق المنعم الحي الميت المفضل على خلقه فهو وحده المستحق للعبادة لا شريك له، ومن رفض عبادة الله أو عبد غير الله، فقد أشرك وكفر، فلا يكون السجود والركوع والخضوع والصلوة إلا لله، ولا يُستغاث إلا بالله، ولا يتوجّه بالدعاء إلا إليه، ولا تُطلب الحاجات إلا منه، ولا يقترب بأي قربة وطاعة وعبادة إلا له: {فَإِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: 162-163].

المبحث الثاني: لماذا خلقنا الله؟

الإجابة على هذا السؤال الكبير في غاية الأهمية، لكن من الضروري أن تستمد الإجابة من الوحي الإلهي، فالله هو الذي خلقنا، وهو الذي يُخبرنا عن الغاية التي من أجلها خلقنا، قال جل شأنه: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56].

وكل مخلوقات الله مفطورة ومجبولة في تركيب حياتها على العبودية والتسبيح لله رب العالمين: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۝ وَإِنْ مَنْ شَئْ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنَ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} [الاسراء: 44] والملائكة يُلْهُمُون التسبیح كما يُلْهُمُ بني آدم النفس.

لكن عبودية الإنسان لخالقه اختيارية وليس إجبارية (اختيارية اختبارية): {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [التغابن: 2]

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالثُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ} [الحج: 18]

فالله خلقنا لعبادته، وليختبر نجاحنا في تحقيق هذه العبادة، فمن عَبَدَ الله وأحبه وخضع له وأطاع أوامره واجتنب نواهيه، نال رضاه ورحمته ومحبته وجازاه الجزاء الحسن، ومن رفض عبادة الله الذي خلقه ورزقه، واستكبر عنها، ورفض الانقياد لأوامره، واجتناب نواهيه، فقد باع بغضبه وسخطه وأليم عقابه.

فالله جل وعلا لم يخلقنا عبثاً ولم يتركنا سدى، وإن من أجهل الناس وأحمق الناس من ظن أنه خرج إلى هذه الدنيا، ووُهِبَ له السمع والبصر والعقل، ثم عاش فيها فترة من الزمن، ثم مات، ولا يدرى لماذا جاء إلى هذه الدنيا؟ وإلى أين سيذهب بعدها؟ يقول الله عز وجل: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} [المؤمنون: 115].

ولا يستوي عنده من كان يؤمن به، ويتوكل عليه، ويحبه ويُخضع له، ويقترب إليه بالعبادات، ويبحث عمّا يرضيه في كل موقع، ومن كان يكفر به سبحانه وتعالى وهو الذي خلقه وصوره وينكِّذبُ بآياته ودينه، ويرفض الخضوع لأمره، فالأخير ينال الثواب والمحبة والرضى، والآخر يصيبه السخط والغضب والعقاب، حيث يبعث الله الناس بعد موتهم من قبورهم، ويجازي المحسن منهم بالتكريم في جنات النعيم، ويعاقب المسيء المستكبر الرافض لعبادة الله بالعذاب الأليم في دار الجحيم.

ولك أن تتفكر عظماً التكريم والثواب للمحسن عندما يكون هذا الثواب والتكريم من الله الغني الكريم، الذي لا

حد لكرمه ورحمته، ولا تنفذ خزائنه.

وكذلك لك أن تخيل شدة العقوبة، وأليم العذاب للكافر، عندما تصدر من الله الجبار العظيم المتكبر الذي لا حد لجبروته وكبرياته.

المبحث الثالث: خالق واحد.. معبود واحد

يؤكد الإسلام أن الاعتقاد النظري لا يكفي للدخول في الإيمان، فإذا كان رب الخالق واحداً، فينبغي أن يكون الإله والمبود واحداً.

وكلمة (الله) تعني في اللغة العربية ثلاثة معان مجتمعة:

فهي تعني: المعبود الذي يُخلص الناس له صلاته وصيامهم وتَوَجُّه قلوبهم وجميع عبادتهم، والعظيم في ذاته وصفاته ومجداته بحيث تحار العقول في عظمته وتعجز عن الإحاطة به، والذي تتعلق به القلوب وتحن إليه النفوس، فتأنس بذكره، وتتلذذ بقربه وعبادته.

ويؤكد القرآن بأنه لا بد من تصحيح التصور عن (الله) عز وجل، وتنقيته من جميع التحريرات والافتراضات التي تنتقص من جلاله وعظمته.

فالله كما يوضح القرآن، هو الخالق والمبدع لهذا الكون ونظامه، وكل ما يحصل فيه مهما صغر، فهو خلقه وحاصلٌ بمشيئة وتقديره وعلمه، فلا تحمل أثني من جميع أنواع المخلوقات، ولا تلد إلا بعلمه ومشيئته، ولا تنزل قطرة من مطر، ولا يحدث أي تغير في ليل أو نهار، في ظاهر أو باطن، في أي جانب من هذا الكون، إلا والله محيط به علمًا وقدرة ورحمة، قال الله تعالى: {إِلَيْهِ يُرْدَ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَثْنَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ} [فصلت: 47].

وما ادعى بعضهم أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع، جاء القرآن مفندًا لتلك المزاعم، قائلاً بكل وضوح: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنُهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} [ق: 38] وأن ذلك الزعم وأشباهه ما طرأ للعقل إلا بتشبهه الله بما يعرفه العقل من المخلوقات، ولكنه سبحانه الخالق وما سواه مخلوق فكيف يشبه المخلوق خالقه؟، يقول الله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11].

وهو سبحانه الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة وما نراه في الحياة منه يُظهر لنا حكمته ولطفه، وكما يخفي على الصغير بعض تصرفات والديه ولا يستطيع فهمها أو تفسيرها؛ لعظم الفارق في قدرة التفكير بينهم، فقد يفوت العقل البشري إدراك شيء من حكمة الله في بعض خلقه ومشيئته.

إذا كان الملك أو الرئيس في الدنيا لا يمكنه معرفة أصحاب الاحتياج والضعف، ولا كيفية الوصول إليهم إلا عبر الأعوان والمساعدين والمقربين؛ لتعريفه بأوضاع رعيته؛ من أجل أن يساعدهم ويأخذ بيدهم، فالله سبحانه يعلم الجهر وما يخفي، وهو القوي المالك القادر، وكل الكون بيده وتحت تصرفه، يقول الله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: 82]، فلماذا التوجّه لغيره واتخاذ وسيلة؟

ويقرر القرآن أن اطمئنان القلب، وانشراح الصدر لا يتم، ولا يكتمل ما لم يلتتج المسلم إلى ربه طارحا حاجاته بين يديه، وهو القادر العظيم المحب لعباده اللطيف بهم القريب منهم الذي يفرح بدعاء عباده له، ويكرمه.

(603) لغوب: أي، تعب.

ويجازيهم بقدر التجاهم وإخبارتهم إليه، قال تعالى: {كَيْفَ تَكُفُّرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ مَيَّتُكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة: 28]، وقال تعالى: {أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْنُ شِفْعُ السُّوءِ وَيَجْعَلُكُمْ حُلَفاءَ الْأَرْضَ أَلَّا مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِي كُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرَّيَاحَ بُشْرًا يَبْيَنْ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَّا مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [النمل: 62-63].

إِذَا كَانَ الرَّبُّ الْخَالِقُ وَاحِدًا، فَلَا بُدُّ أَنْ يَكُونَ إِلَهٌ وَالْمَعْبُودُ وَاحِدًا، وَلَذِكْ لَا يَصْحُّ توجيهُ شَيْءٍ مِّنَ الْعِبَادَاتِ أَوِ الدُّعَاءِ لِغَيْرِ اللَّهِ، بَلْ يَنْبَغِي إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِهِ سَبْحَانَهُ بِدُونِ وَسِيطٍ أَوْ شَفِيعٍ، فَالْخَالِقُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَجْلٌ؛ وَلِهَذَا فَقَدْ كَانَتْ أَشَدُ الْقَضَايَا وُضُوحاً فِي الإِسْلَامِ، وَجُوبُ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ، قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوهُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [النَّحْل: 36]، وَهِيَ دُعْوَةُ جَمِيعِ الرَّسُولِ كَمَا يُؤكِّدُ الْقُرْآنُ، فَلَا رَسُولٌ وَلَا مَلَكٌ وَلَا وَلِيٌّ مِّمَّا يَبْلُغُ صَلَاحَهُ يُمْكِنُ أَنْ يَصْرُفَ إِلَيْهِ شَيْءٍ مِّنْ أَنْوَاعِ الدُّعَاءِ بِحَجَّةِ أَنْهُمْ وَسَطَاءُ بَيْنَ اللَّهِ وَعِبَادِهِ؛ لَأَنَّ الْجَمِيعَ فِي النِّهايَةِ مُخْلُوقَاتُ اللَّهِ وَعَبْدُهُ لَهُ، وَاللَّهُ قَرِيبٌ مِّنْ عِبَادِهِ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ، وَيَجِيبُ دُعَاءَهُمْ مَتَى مَا أَخْلَصُوا عِبَادَةَ لِهِ سَبْحَانَهُ.

وَكَيْفَ لَا يَجِدُ طَعْمُ السُّعَادَةِ وَالْأَنْسِ مِنْ أَخْلَصِ التَّوْجِهِ إِلَى اللَّهِ؟ فَلَا تَشَتَّتْ وَلَا اضْطِرَابٌ، فَالْمَالِكُ وَاحِدٌ، وَالْخَالِقُ وَاحِدٌ، وَالْمَعْبُودُ وَاحِدٌ، وَالْتَّوْجِهُ وَالْالْتِجَاءُ إِنَّمَا يَكُونُ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ دُونَ مَا سَوَاهُ.

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى سُورَةِ قَصِيرَةٍ، مِنْ أَعْظَمِ وَأَشْهَرِ سُورَاتِ الْقُرْآنِ، وَهِيَ سُورَةُ الْإِخْلَاصِ؛ حِيثُ يَأْمُرُ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَعْلَمَهَا بِكُلِّ وَضْوِحٍ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ} [الإخلاص: 1-4] وَكَانَهُ يَجِيبُ عَلَى سُؤَالٍ مَّنْ هُوَ اللَّهُ؟ لِتَكُونَ الإِجَابَةُ: إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكٌ لَهُ فِي الْعِبَادَةِ، وَهُوَ الَّذِي تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ وَتَلْجَأُ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْخَلَائِقِ؛ لِتَطْلُبِ احْتِيَاجَاتِهَا، وَأَنَّهُ مَنْزَهٌ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، أَوْ أَنْ يَكُونَ قَدْرُلِدٌ، فَهُوَ الْأُولُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَلَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ أَوْ شَبِيهٌ فِي ذَاتِهِ وَصَفَاتِهِ، إِذَا هُوَ الْخَالِقُ وَمَا عَدَاهُ مُخْلُوقٌ.

المبحث الرابع: ماذا سأجد في مصادر الإسلام عن الإسلام؟

مُعْظَمُ الديانات على الأرض سميت نسبة إلى شخص أو أمة أو بلاد ظهرت فيها هذه الديانة، فالمسيحية أخذت اسمها من السيد المسيح عليه السلام، واليهودية نسبة إلى قبيلة يهودا، والبوذية نسبة إلى مؤسسها بوذا، والهندوسية نسبة إلى الهند، وهكذا.

أما الإسلام فإنه لا ينتمي لرجل بعينه، ولا لقبيلة، أو عرق، أو أمة؛ وذلك لأنَّه ما أُبْتُدِعَ من تلقاء بشر حتى يُنْسَبُ له، وإنما سمي بهذا الاسم؛ لأنَّه يعني التسليم والطاعة الكاملة للرب الخالق المالك، والتحرر من كل أنواع العبودية لغيره.

كما أن رسالَةَ الإِسْلَام رسالَةُ عَالَمِيَّة، فَهِيَ لِلنَّاسِ كَافَة، لَا يَحْدُهَا مَكَانٌ وَلَا يَحْوِهَا زَمَانٌ، وَلَا يَخْلُو وَاقِعُ النَّاسِ فِي حَيَاةِهِمْ مِنْ حُكْمِ شَرِعيٍّ مَقْتَبِسٍ مِنْهَا، إِنَّهَا الرَّسالَةُ الْعَامَّةُ وَالشَّامِلَةُ وَالخَاتِمَةُ، جَاءَتْ لِهُدَايَةِ النَّاسِ عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهِمْ وَأَلْوَانِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ وَتَقَالِيدِهِمْ فِي أَيِّ نَقْطَةٍ مِّنْ هَذِهِ الْأَرْضِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان: 1].

ولَذِكْ سَتَجِدُ أَنَّ الإِسْلَامَ بِمَصْدِرِيهِ: (الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ):

- يَرْشَدُنَا إِلَى احْتِرَامِ آبائِنَا وَكَبَارِ السَّنَّ وَرِعَايَتِهِمْ، وَالْإِحْسَانَ إِلَى الْأَهْلِ وَالزَّوْجَةِ وَالْأَبْنَاءِ.

- ويشجعنا على إطعام الضعفاء والفقراء ومساعدة المحتاجين والمعاقين ومساندتهم، فخير الناس هو أنفعهم للناس.

- ويأمرنا بالصدق والأمانة والوفاء والكرم والإيثار والتواضع والقناعة والتسامح والرحمة والصبر والاحسان والشفقة والشجاعة للحق والعدالة الاجتماعية والسلام العالمي، وأن نتعامل مع البشر والحيوانات والطيور والبيئة من حولنا برحمة، وأن نحب للناس ما نحب لأنفسنا وأن نسعى في إسعاد الآخرين وتتجنب أذاهم، فلا نغتاب أحد، ولا نكسر مشاعر أحد بلفظ أو تصرف، وأن نتجنب الغرور والتكبر، وألا نحتقر الناس أو نضع من قدرهم.

- ويأمرنا بألا نغش الناس، ولا نكذب عليهم، ولا نخدعهم، ولا نحسدهم، ولا نسيء الظن بهم.

- ويؤكد لنا أن جميع الناس سواسية بغض النظر عن الجنس أو اللون أو الجنسية، أو الأرض التي ينتمي لها الفرد، وهذا ما أرشد إليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم حول مبدأ المساواة والعدل بين الناس، وهو أمر مستمد من كتاب الله العزيز، والذي فيه حلول للقضاء على تلك العنصرية البغيضة.

الفصل الثالث: شهادات تُثار حول الإسلام

المبحث الأول: الإسلام وحرب المصطلحات

في غمرة هذه الحرب التي تُشن على الأمة، كثيراً ما يُضرب بسلاح فتاك هو أكثر خطورة من السلاح المعروف خطره كالرصاص والقنابل وألياتها من دبابات وطائرات، ذلك السلاح هو سلاح الكلمة، وهو سلاح قديم، عَرَفَتِ العرب خطره، وكثيراً ما كان شعراً لهم يقرنونه بالسلاح، كقول حسان: لِساني صارِمٌ لا عَيْبَ فِيهِ.. وبَحْرِي لَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ

وقول ابن عباس:

قلبي ذكي وعقلاني غير ذي دخلٍ.. وفي فمي صارم كالسيف مؤثر
وهذا الصارم يطعن ويجرح ويقتل! وقد عُلِّمَ من الواقع أنَّ من الناس من يجرح بلسانه جروحاً لا تندمل مع
الزمن، ومن الناس من يقتل بلسانه قبائل، ومن الناس من يُرعب به أمماً!

وَلِعَظِيمٍ آثار الكلمات جاءت الشريعة ببيان خطرها، قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي هَا بِالْأَلْيَقِ، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخْطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي هَا بِالْأَلْيَقِ، يَهُوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ).⁽⁶⁰⁴⁾

وقد أدرك المجرمون أعداء الدين خطراً الكلمة، وعظيماً أثراها من العصور الأولى، لكنهم اليوم طوروا سلاحها على دأبهم في تطوير أسلحة الدمار الأخرى، فغدا إعلامهم الموجّه المدروس قاتلاً للقيم محترفاً، فتاكاً بالعقل، مدمراً للأخلاق.

ومن جملة حرب أعداء الدين اللسانية المدروسة على القيم الشرعية حرب المصطلحات، وهي ألقاب وألفاظ يطلقونها على طريقين:

- الطريق الأول: يطلقون الألفاظاً تتضمن مدلولات قبيحة، لكنهم يُلْسِنون فلا يُجَرِّدُوهَا للحق فَيُفْتَحُوْهَا وَيُعْرَفُوا بعذائهم للحق وأهله، وأنهم شرذمة لا تريد إلا نَبْذَة، فيضعون تلك الألفاظ في موضعها تمويهًا أو لصلاحتهم، وفي غير موضعها فيجعلونها ألقاباً على غير أهليها.

- والطريق الثاني: يطلقون أفالحاً تتضمن مدلولات متفاوتة فيها الحسن وفيها القبيح، فيعمّمون حكمها على من يصدق عليهم المفهوم المحظور، ومن يصدق عليهم المفهوم المشروع.

وقد مرّ زمان تجلت فيه الطريقة الأولى في بلدان إسلامية، فجاء وقت أصبح فيه المُلتزم بالسُّنّة يُوسَم بالمتطرف وينجع بالتشدد.. فلو أن أحداً من الناس رفع ثوبه فوق الكعبين أو أطلق لحيته قالوا متشدد، وما ذلك إلا بفعل آل إعلامية تغربية رسخت في العقول إسقاطات خاطئة لهذا اللقب المذموم.

وفي الآونة الأخيرة تجلت الطريقة الثانية، لاسيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، الذي كان يوماً عالمياً لإطلاق مصطلح الإرهاب؛ يريدون به ما هو أشبه في لغتنا بالقتل والتفجير ظلماً وعدواناً، ثم تطورت الدلالة عند بعضهم ليصبح كل إسلامي إرهابياً، بل غداً الإرهاب تهمة للابتزاز فإذا أرادوا الضغط على دولة قالوا: تمارس الإرهاب، وإذا أرادوا الضغط على شخص وصمده بالإرهاب!

مع أننا لا نخالف في وجود شرذمة قليلة من منتبئي الإسلام قد وقعوا في الإرهاب المذموم المتضمن للعدوان

⁶⁰⁴ صحيح البخاري، (6478)، صحيح مسلم، (2988) / الراوي: أبو هريرة.

والبغى الذي أمرت الشريعة بضده ونعت عنه كما في قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: 90]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَبَّرُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي هَا بِالْأَلْأَلِ، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَبَّرُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخْطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي هَا بِالْأَلْأَلِ، يَهُوي بِهَا فِي جَهَنَّمَ" ⁽⁶⁰⁵⁾، إلى غير ذلك من الأدلة على تحريم البغي والعدوان.

لكن أعداء الدين أرادوا أن يدخلوا بموازينهم المنكوسية في مسمى الإرهاب من لا يشملهم المفهوم المذموم للإرهاب في الشريعة، فأدخلوا فيه أبرياء مظلومين يحاولون رفع الظلم النازل بهم! فكل مجاهد رافض للبغى والعدوان في سوريا أو فلسطين مثلاً "إرهابي".

وفي مقابل التوسع في إدخال المسلمين تحت مسمى الإرهاب يخرجون أنفسهم دولاً وجماعات إرهابية، يهودية أو نصرانية أو علمانية لا دينية! وما المنظمات الداعمة للصهيونية العاملة على حرب الإسلام، والتخويف منه إلا أنموذج صغير للإرهاب المدعوم أو المسكون عنه غربياً!

وإذا كان من العجيب أن يعظ شيطان عبداً صالحًا! فالعجب منه أن يعظ الغرب المسلمين، بينما قامت دولهم بممارسة أبشع أنواع الإرهاب! من الذي أشعل حربين عالميتين أزهقت فيها من أرواح المدنيين ملايين؟! من الذين ابتكروا للناس الأسلحة العمياء: نووية وبiological وكيميائية؟! من الذين أخرجوا للناس أسلحة الدمار الشامل والقنابل العنقودية؟! من دمر بها أفغانستان والعراق والشام؟! من الذي جاء باليهود إلى فلسطين، ثم حماهم، وأمدتهم بأسلحة فتاكة، لا يزالون منذ أكثر من سبعين عاماً يُقتلون بها ويُعنّدون؟! من الذي دمر غزة؟! من الذي أطلق حق الفيتو لخمس دول تحمي الظلم والعدوان؟!

كم ذهب ضحيةً لذلك - وغيره - من المسلمين! أعداد مهولة لا نعرف تنظيمًا إرهابيًّا يضاهي في إفساده ما أفسد الإرهاب الغربي والشرقي الجائر بكل معاير الفضيلة! وفي كل أرجاء البسيطة!

والواجب على المسلم أنى كان موقعه، أن يعي ذلك، وأن لا تستخفه الدعاية المضللة، وألا يسبب له الإرهاب الغربي أو ضغطه متعدد الجهات اختلالاً في الوعي، وغيشاً في المفاهيم، فيفرق بين الباغي المعتمدي، وبين المطالب بحق مشروع، فيكون عوناً للثاني، حرباً للأول، لينصلح الحال وتستقيم الأمور. ⁽⁶⁰⁶⁾

المبحث الثاني: الرد على الشبه المثار حول الإسلام ⁽⁶⁰⁷⁾

من المعلوم أن لدعوة غير المسلمين وسيستان أساسitan:

الأولى: عرض حقائق الإسلام على غير المسلمين.

والثانية: الرد على الشبهات المثارة حول الإسلام والمسلمين، والعمل على إزالتها.

وببيان ذلك في مطلبين:

المطلب الأول: أهمية الدعوة من خلال رد الشبهات حول الإسلام

إن أعداء الدين لا يذخرون جهداً في إثارة الافتاءات والشبهات حول الإسلام العظيم، وهم يعملون عملاً منظماً، ومن خلال دراسات وخطط وتجارب وبحوث، حتى صار الافتاء على الإسلام علماً يُدرَّس في كليات اللاهوت

(605) أخرجه أبو داود (4902) واللفظ له، والترمذى (2511)، وابن ماجه (4211)، وأحمد (20374)، الرواى: أبو بكرة نفيع بن الحارث.

(606) بتصرف: مصطلح الإرهاب - د. ناصر العمر. إسلام ويب.

(607) مؤسوعة دليل الداعية، المدعون، أ. د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي ص 169-175

ومراكز التنصير، ويَحْضُلُ الْمُتَصَرِّفُونَ بِتَدْرِيبٍ مَدْرُوسٍ في كيفية طرح الافتراء وإثارة الشبهات، وهم يهدفون بذلك إلى تنفير الناس عامة عن الإسلام، وإلحاق العيب والنقض بدين الله؛ ليفتحوا أبواب التهكم عليه كمحاولة منهم لإزالة قدسيته من النفوس.

لذا من الواجب أن يكون هناك رد على تلك الافتراطات بعلم مدروس؛ لمواجهة الحملات المسعورة التي يشنها الأعداء لتشويه الإسلام، بحيث تخرج الردود على قدر كبير من الإجادة والإتقان وتحقيق المقصود منها؛ وهو إجهاض الفريدة والقضاء على كل أثر لها.

فالبناء الصحيح لا يكون إلا على أساس ثابت متين، ومتى امتناع عقل المتلقى بالشبهات والعوائق، فسيصعب إيصال الرسالة الصحيحة إليه بعد ذلك.

والرد على الشبهات، هو منهج قرآني ونبي م مشروع، أكد عليه الإسلام، وبذل فيه العلماء جهداً كبيراً من خلال أسلوب الحوار والمناظرة والتأليف.

المطلب الثاني: الرد على الشبهات المثارة حول الإسلام والمسلمين

الرد على شبه أهل الكتاب ومشركي العرب

لقد رد الله تعالى في كتابه شبه أهل الكتاب ومشركي العرب والدهريين وبين بطلاهم مع دعوته لهم بالإيمان والتوحيد، ومنها:

1- الرد على شبهة عدم إمكانية أن يكون النبي من البشر بقوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْأَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقَضَى الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَا مَلَكًا لَجَعَلْنَا رَجُلًا وَلَلَّبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ} [الأنعام: 9-8].

2- الرد على شبهة إنكارهم البعث، بقوله تعالى: {وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاقًا أَئْنَا لَمْ يَعْوَثُونَ حَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُوُنُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكُرُّرُ فِي صُدُورِكُمْ * فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا * قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً * فَسَيُنْغَضُونَ إِلَيْكُمْ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَقَى هُوَ * قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا} [الإسراء: 49-51].

3- الرد على شبهة أن القرآن كلام بشر، بقوله تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهُدَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} [النحل: 103].

وعن عدي بن حاتم قال: "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك، فطرحته، فانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة، فقرأ هذه الآية: {إِنَّهُمْ لَا يَخْلُقُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [التوبة: 31] حتى فرغ منها، فقلت: إنا لسنا نعبدهم، فقال: أليس يحرّمون ما أحل الله؛ فتحرّمونه؟ ويحلون ما حرم الله؛ فتستخلوونه؟ قلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم".⁽⁶⁰⁸⁾

والأمثلة في ذلك كثيرة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فَكُلُّ مَنْ لَمْ يُنَاطِرْ أَهْلَ الْإِلَحَادِ وَالْبِدَعِ مُنَاظِرٌ تَقْطُعُ دَابِرَهُمْ، لَمْ يَكُنْ أَعْطَى إِلَيْهِمْ حَقًّهُ، وَلَا وَقَى بِمَوْجِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَلَا حَصَلَ بِكَلَامِهِ شَفَاءُ الصُّدُورِ، وَطَمَانِيَّةُ النُّفُوسِ، وَلَا أَفَادَ كَلَامُهُ الْعِلْمَ وَالْيَقِينَ".⁽⁶⁰⁹⁾

بيان بطلان وانحرافات الديانات الأخرى

. (608) المعجم الكبير للطبراني (٢١٨/٩٢)، والسنن الكبرى للبيهقي 198.

. (609) مجموع الفتاوى 20/165.

أولاً: أهمية دعوة غير المسلمين ببيان تحريفات دينهم:

من المعالم الأساسية في دعوة غير المسلمين، بيان تحريف الديانات الأخرى غير الإسلام، ومناقضتها للفطرة والعقل، بما لا يثير النفوس ويؤجج المشاعر.

ولذا فلا بد من دراسة علم مقارنة الأديان، فهو يقدم للداعية أهم العناصر للدفاع عن الإسلام ضد التحديات التي تواجهه، ليس فقط تحديات الأديان الأخرى، وإنما تحدي الحركات الإلحادية الكبرى المنتشرة في العالم أيضاً.

والداعية الناجح يستطيع أن يدعو غير المسلمين بالتي هي أحسن، إذا درس ما عندهم من دياناتٍ، وملِّ ونحلٍ، لذا كان من واجب الداعية ذي البصيرة النافذة أن يقف على الأمور من حوله، **فيَتَبَصَّرُهَا وَيَرْقُبُهَا**؛ حتى يعلم الحقَّ من الباطِلِ، والهُدَى من الضَّلَالِ.

وتكمِّن أهمية بيان تحريف الديانات الأخرى وعدم صلاحيتها ونقدتها في كونها تُقدِّمُ لغير المسلمين معرفةً قِيمَةً عن الإسلام، مع إبراز قوَّةِ دَلِيلِهِ، ونَصَاعَةِ بُرهَانِهِ، وَمَتَانَةِ حُجَّتِهِ، وَيُسْرِ كِتابِهِ، ومكانتِهِ العظيم من الكتب الأخرى، ووضوح عقائدهِ وكمال شرائعيه، وعلو آدابِهِ وأخلاقِهِ، وهذا هو ما جَذَبَ الكثير من أكابر علماء اليهود والنصارى إليه، حيث هالهم ضعف دياناتهم، واحتلال عقائدهم، وتناقض كتبها، وانقطاع سنداتها، فأسلموا وكتبوا وثائق نادرةً أسهمت في تنمية علم مقارنة الأديان.

وقد بيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْكِتَابَ الْمَنْزَلَةَ تَمَ تَحْرِيفُهَا وَالتَّبْدِيلُ فِيهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هُدًى مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيَشْرُوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا * فَوَيْلٌ لَّهُمْ مَمَّا كَتَبْتُ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مَمَّا يَكْسِبُونَ} [البقرة: 79].
وقال تَعَالَى: {مَنِ الَّذِينَ هَادُوا يُحْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} [النساء: 46]، وقال تَعَالَى: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذَبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران: 78]

ثانياً: شواهد دعوة غير المسلمين من خلال بيان بطلان دينهم:

ومما يدل على هذا المبحث، ويؤكد أهميته، وأصالته ما ذكره القرآن عن دعوة إبراهيم عليه السلام، حيث بيَّن لهم فساد معتقدهم بقوله: {وَأَتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَهْلِهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَّلَ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ} [الشعراء: 69-73].
وقوله لأبيه: {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبَصِّرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً} [مريم: 42].

- وكذلك ما ثبت في قصة إسلام عدي بن حاتم رضي الله عنه، حيث قال: "دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "يا عدي، أسلم تسلم، فقلت: إني من أهل دين، قال: أنا أعلم بدينك منك، فقلت: أنت أعلم بيديني مني؟ قال: نعم، ألسنت من الروكوسية؟⁽⁶¹⁰⁾، وأنت تأكل مرباع⁽⁶¹¹⁾ قومك؟ قلت: بلى، قال: فإن هذا لا يحل لك في دينك، قال: فلم يعد أنت قال لها فتواضعت لها".⁽⁶¹²⁾

فقد كان من أسباب إسلام عدي رضي الله عنه عِلْمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدِينِ النَّصَارَى، وببيان مخالفته

(610) الرَّوْحَسِيَّةُ: عن ابن سيرين أنه قال: هُوَ دِينُ بَنِ النَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ. ينظر: تهذيب اللغة مادة 10/36.

(611) مرباع: يقال ربعت القوم أربعم: إذا أخذت ربع أموالهم، مثل عشرتهم أتعشرهم؛ لأن الملك كان يأخذ الرابع من الغنيمة في الجاهلية دون أصحابه. ينظر: النهاية في غريب الحديث مادة (ربع) 2 / 186.

(612) مسند أحمد 196/30(18260)، المستدرك على الصحيحين للحاكم 518/4 وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

- وعن عمران بن حصين، واللّفظُ، لشبيب بن شيبة، قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ لَأَبِي: "يَا حُصَيْنَ، كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا؟ قَالَ: سَبْعَةً سِتَّةً فِي الْأَرْضِ، وَوَاحِدٌ فِي السَّمَاءِ، قَالَ: فَأَئُمُّهُمْ تَعْبُدُ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ".⁽⁶¹³⁾

ثالثاً: تنبّهات حول دعوة غير المسلمين من خلال بيان انحراف وبطلان دينهم:

مع التنبّه إلى أن لا يتحول بيان بطلان دينهم إلى سبّ دينهم، مما قد يسبب حميّةً ودفعاً مستميتاً عن ذلك الدين من قبل أتباعه، وربما تجاوز الأمر ذلك إلى حرب على الإسلام والمسلمين، واتهام عقائدهم ورموزهم كما قال تعالى: {وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّو اللَّهَ عَدُوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ * كَذَلِكَ زَيَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبَّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: ١٠٨].

قال الشيخ السعدي: "ينهى الله المؤمنين عن أمر كان جائراً، بل مشروعًا في الأصل، وهو سب آلية المشركين، التي اتّخذت أوثاناً وألة مع الله، والتي يُتَقَرَّبُ إلى الله بإهانتها وسمها، ولكن لماً كان هذا السب طريقةً إلى سب المشركين لرب العالمين؛ الذي يجب تزييه جنابه العظيم عن كل عيبٍ، وآفةٍ، وسبٍ، وقدحٍ، نهى الله عن سب آلية المشركين؛ لأنهم يحمون لديهم، ويتعصّبون له؛ لأن كل أمة زين الله لهم عملهم، فرأوه حسناً، وذبوا عنه، ودافعوا بكل طريق، حتى إنهم ليسبّون الله رب العالمين؛ الذي رسخت عظمته في قلوب الأبرار والفحار، إذا سب المسلمون آلتهم".⁽⁶¹⁴⁾

شيمه: (مشكلة الشر)، والرد عليها

كتاب "مشكلة الشر وجود الله": الرد على أبرز شيمات الملاحدة" للدكتور سامي عامري، [كتاب يحتاجه المحاور للرد على هذه الشيمه]

وها هنا بين أيديكم تلخيص لأهم النقاط التي تناولها الكتاب، ولكن قبل أن نستعرضه سوياً، ودّعنا التنويع على أنّ ما لخصناه لا يغنى عن قراءة الكتاب بأي حال، فهناك الكثير لا يزال بإمكانكم مطالعته والاستفادة منه في سير أغوار تلك الشيمه، والتي اتخذها الكثير من الملاحدة ذريعة لإلحادهم.

مشكلة الشر:

تعتبر "مشكلة الشر" في الغرب - اليوم - أهم شيمه إلحادية في السجال بين المؤمنين بخالق والدهريين، والعلامات على ذلك واضحة وكثيرة، ولذلك لا يُقدّم دارسٌ مُعافِسٌ للواقع عليها غيرها من الشيمات إذا تَدَافَعَتْ، فهي ذُؤْبةُ اللسان الكافر بالخالق، ومن علامات تَقْدُمِها غيرها من مطاعن الجادين لوجود إله أنها السبب الأكبر لظاهرة الإلحاد، حيث صرّح كثير من أئمّة الإلحاد - مثل أنتوني فلوف William Lane Craig، أهم منظري الإلحاد في العالم في النصف الثاني من القرن العشرين، قبل تراجعه في بداية القرن الواحد والعشرين عن دهريته -، أن شيمه الشر هي سبب إلحادهم، وجحدهم وجود إله خالق.

"شيمه الشر"، هي مادة الاعتراض الأولى في السجالات بين المؤمنين ومخالفهم، ومن ذلك أن الفيلسوف البريطاني الملحد ستيفن لاو Stephen Law في مناظرته لويليام لين كريغ William Lane Craig، حول موضوع: هل يوجد إله؟ 2011م اكتفى - تقريباً - باستعراض هذه الشيمه لإنكار وجود الخالق، وهو ما فعله أيضاً الفيلسوف الأمريكي

(613) جامع الترمذى، كتاب الدعوات، باب ٧٠ (3483)، والمujem الكبير للطبرانى 18 / 174، قال ابن القيم: حديث صحيح. الوابل الصيب ص ١٣٧، وحسن شعيب الأرناؤوط في جامع الأصول 342/4.

(614) تيسير الكريم الرحمن ص 268.

(مايكل توولي Michael Tooley) في مناظرته لكريغ 2010 م مصريحاً أن "الحججة المركزية للإلحاد هي حجة الشر". وهو ما تكرر في جل المنازرات المشهورة بين الفلسفه في الغرب، بل حتى ما كان مرتبطاً من المجادلات بالشأن العلمي، ومن ذلك تصريح (مايكل روس) Michael Ruse - أشهر فلاسفة العلوم المنافحين بشراسة عن الداروينية - في مناظرته للداعية النصراني (فزا رانا) Fazale Rana، والتي كانت تحت عنوان: أصل الحياة: التطور أم التصميم؟ 2013 م - أنه لا يرفض الإيمان بوجود الله إلا لسبب واحد، وهو مشكلة الشر، إنها الشهادة التي وصفها الشاعر الألماني الملحد (جورج بوخنر) Georg Buchner بأنها صخرة الإلحاد.

السؤال الذي لا يفتر:

الجدل العلمي في باب الأكاديميات، والكتب الشعبية حول مشكلة الشر لا يزال حامياً، يلقي أواره المختصين، ومن المثير أنه بينما لا يكاد يُعرفُ التأليف في مشكلة الشر بالمكتبة الإسلامية في البلاد العربية خلال القرن الأخير؛ تَضُمُّ المكتبة الغربية بالمنشورات في هذا الباب؛ فقد نشر (باري وتنى) Barry Whitney دراسة بيلوغرافية عن المؤلفات الفلسفية واللاهوتية التي نشرت عن مشكلة الشر في ثلاثة عقود فقط من الزمان (1960-1990) فإذا هي تبلغ 4200 دراسة.

إنها حجة الإلحاد الكبرى التي لا يُغفرُ لدعاة الإسلام اليوم ترك بيان الحق فيها، فإن القول فيها حتم؛ ليكون الفصلُ فصلاً إن أردنا أن نعرض الإسلام للعالم، خاصةً الطبقة المثقفة فيه، وهو حتم إن أردنا أن نقدم الإسلام كسبيلٍ حِقٍّ، وَحَبْلٌ نجاًةٌ في زمن عَجَّاجِ الإلحاد فيه، ولم يُعِظَّ له بعدُ فيه صوتٌ.

ما هي "مشكلة الشر؟" وما هي "الثيوديسيا؟":

تعرف مشكلة الشر في الأدبيات الإنجليزية باسم Problem Of Evil وهي تدخل فيما يُعرفُ ببحث الثيوديسيا التي هي كلمة تتكون من مقطعين يونانيين: (ثيوس): بمعنى إله، و(ديكى): بمعنى عدل، ومعناها: عدل الله، وقد ظهرت هذه الكلمة لأول مرة بقلم الفيلسوف ليبنتس في إحدى كتبه عام 1710 م. موضوع هذا البحث العقدي - الفلسفي هو عدل الله، وبدقه أكبر، بيان أن الشر الموجود في العالم لا يمنع من الإقرار بوجود الله.

وهو من ناحية إحاطته بموضوع الشر، يجيب على مجموعة من الأسئلة هي:

- أصل الشر: كيف ينشأ الشر؟ ومن المسئول عنه؟

- طبيعة الشر: ما هي أنطولوجية الشر (حقيقة وجوده)؟ وكيف يوجد؟

- مشكلة الشر: كيف يشكل الشر مشكلة لاهوتية (أي: متعلقة بذات الله: الوجود والصفات)؟

- سبب الشر: لماذا يسمح الله بوجود الشر؟ ما هو السبب الأخلاقي المعقول لوجوده؟

- نهاية الشر: كيف سينهي الله الشر و/ أو كيف سيستخرج في ختام الأمر من الشر خيراً؟

ومن الممكن حصر الأجبية الكبرى على مسألة وجود الله ووجود الشر في أربع مقولات:

1- وحدة الوجود: إنكار وجود الله سبحانه، وإنكار وجود الشر، وهو مذهب عدد من الفلاسفة والمتنسكة في بعض الأديان.

2- الإلحاد: إثبات وجود الشر، وإنكار وجود الله.

3- الثنوية: إثبات وجود الشر، ونسبته إلى إله غير إله الخير، وهو مذهب المجوسية والمانوية.

4- المذهب الإلهي "التقليدي": إثبات وجود الله سبحانه، ووجود الشر، ونفي مصدر إلهي خاص بالشر.

أصل الاستشكال:

أصل الاستشكال الذي يطرحه الملحد المشكك (الذى يريد فتنة الناس عن عقيدة الإسلام، أو عقيدة الإيمان بخالق) والمتشكك (المسلم، أو المؤمن بإله، غير قادر على دفع الشبهة عن نفسه)، هو الجمع بين العناصر التالية بصيغة توافقية لا ينفي بعضها بعضاً:

1- وجود إله كامل العلم.

2- كامل القدرة.

3- كامل الرحمة.

وجود الشر في عالم الإنسان.

وجود الشر في العالم يتنافي مع أن يكون هذا الرب عليماً؛ لأن علمه يقتضي أن يمنع هذا الشر من الوجود، ويتناهى مع أنه قادر؛ لأن قدرته تقتضي أن يمنع هذا الشر من الوجود، ويتناهى مع أنه رحيم؛ لأن رحمته تقتضي أن يمنع هذا الشر من الوجود؛ ولذلك فإن وجود الشر ينفي وجود هذا الإله الذي لا يمكن أن يفتقد الصفات الثلاث السابقة جملة.

ما هو الشر؟

ما الشر؟ هل هو حقيقة ذاتية لها وجود استقلالي، أم هو عرض انتزاعي لا يستقل لنفسه بكيان؟ أو بعبارة أكثر تبسيطًا: هل يوجد ما يمكن أن نقول: إنه شر بذاته، لا أنه شر في ظرف من الظروف ووجه من الأوجه؟ شغل السؤال عن ماهية الشر الفلسفية منذ زمن قديم، والخلاف فيه قائمه على اختيار جواب من اثنين: أولهما: أن الشر حقيقة موضوعية، وثانيهما: أن الشر ليس إلا غياباً للخير.

يفضي النظر الهداء إلى القول: إن دعوى أن الشر يمثل "شيئاً ما في ذاته" ليس إلا نوعاً من أنواع المغالطات المنطقية؛ أي: مغالطة التشبيه أو التجسيم؛ إذ يتم التعامل مع الأشياء المجردة على أنها ذاتات متحيزة أو أحداث واقعية.

ليس الشر في واقع الناس مادة تُحسُّ ولا ذاتاً تُجسُّ، وإنما هو أثر لفعل أو حال ما، إذ لا وجود لشر مطلق، ولذلك فهو أمر نسبي أو جزئي.

وبصورة أدق، علينا أن نعتبر الشر صفةً لا ذاتاً، وأنه لا يُعاملُ معاملة الاسم إلا إذا كان في صيغة التجريد. ولنا هنا أن نتساءل: هل بإمكاننا أن نتصور في خيالنا وجود عالم شر من كل وجه؟؛ أي: وجود كل ما فيه شر لا يخالفه خير في مبناه أو مآلاته، والجواب الذي يضطر إليه كل واحد منا هو ما قاله جون جوردون ستاكهاوس: لا يمكنني تصور ذلك، ولم أشهد أي وصف لذلك العالم في العلم أو الفلسفة أو الأدب.

ما الشر، إذن، إلا حال وصفي؛ والحجة في هذا الباب هي أن الشر واقعياً ليس إلا فساداً عارضاً في شيء من أشياء الوجود التي هي في أصل وجودها سليمة من العيب، كالجرح في اليد، والصدأ في الحديد، ولو لا اليد، وأصل سلامتها، ما كان الجرح، وما عرفنا أنه انتقال عن أصل السلامة، ولو لا مادة الحديد وأصل براءتها مما يُخرِّبها، ما كان الصدأ، وما علمنا أن الصدأ فساد في هذا المعدن، فالجرح كَشَرٌ لا يقوم بنفسه، وإنما يحتاج إلى يد، ولم نعرف نحن أنه أذى يصيب اليد حتى علمنا قبل ذلك أنَّ الأصل في اليد المعافاة والسلامة منه، وكذلك أمر الحديد وكل شر في عالمنا.

إن الشر – من ناحية التقسيم العقلي النظري – لا يمكن أن يكون إلا:

- 1- شرًا محسّناً حقيقياً من كل وجه.
- 2- شرًا نسبياً إضافياً من وجه دون وجه.

الشر الذي هو حقيقة ذاتية، لا يعتريه خير من أي وجه، لا وجود له في الدنيا، فليس في وجودنا ما يمكن أن يقال: إنه شر خالص، فليس هناك شر في الدنيا إلا وهو خير من وجه أو وجه آخر.

فالمرض مثلاً، مؤذٌ للجسد من جهة، ومُختبرٌ للصبر وشَاهِدٌ للهمة، وربما حتى مقوٍ للمناعة من جهة أخرى... وهكذا الأمور المكرورة عادة، لا يخلو منها نفع للإنسان.⁽⁶¹⁵⁾

أنواع الموجودات:

لا سبيل لمعرفة موقع الشر من الوجود الكوني عامّة، والبشرى خاصة، دون أن ندرك حقيقة وجوده في ذاته بمعرفة جوهر تمثّله في واقعنا، ولذلك نقول: إن الوجود من ناحية الاحتمال العقلي، لا يخرج عن أربع حالات، فهو إما أن يكون:

- 1- خيراً من كل وجه.
- 2- أو شرًا من كل وجه.
- 3- خيراً من وجه.
- 4- شرًا من وجه.

وهو على ثلاثة أقسام:

- 1- قسم خيره راجح على شره.
- 2- قسم مستو خيره وشره.
- 3- وإنما أن لا يكون فيه خير ولا شر.

القسم الأول: وهو الخير المحسّن من كل وجه الذي لا شر فيه؛ هو الله سبحانه، فقط، ولا يوجد من بقية الأقسام في وجودنا إلا ما كانت المصلحة والحكمة والخير في إيجاده أكثر من المفسدة؛ أي: ما كان خيره راجحاً على شره.

وأما الشر المحسّن الذي لا خير فيه فذاك ليس له حقيقة بل هو العدم المحسّن.

وخلاصة الكلام في هذا الباب هو قول ابن القيم: فَسُنْتُهُ سُبْحَانَهُ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ فَعُلُّ الْخَالِصِ وَالرَّاجِحِ، وَالْأَمْرُ بِالْخَيْرِ الْخَالِصِ وَالرَّاجِحِ. فإذا تناقضت أسباب الخير والشر، والجمع بين النقيضين محال، قُدِّمَ أسباب الخير الراجحة على المرجوحة، ولم يكن تفويت المرجوحة شرًا، ودفع أسباب الشر الراجحة بالأسباب المرجوحة، ولم يكن حصول المرجوحة شرًا بالنسبة إلى ما اندفع بها من الشر الراجح، وكذلك سُنْتُهُ فِي شُرْعِهِ وَأَمْرِهِ فَهُوَ يُقْدِمُ الْخَيْرَ الرَّاجِحَ وَإِنْ كَانَ فِي ضَمْنِهِ شَرٌ مُرْجُوحٌ، وَيُعَطِّلُ الشَّرَ الرَّاجِحَ وَإِنْ فَاتَ بِتَعْطِيلِهِ خَيْرٌ مُرْجُوحٌ، هَذِهِ سُنْتُهُ فِي الْآخِرَةِ.

وهو سبحانه قد أحسن كل شيء خلقه، وقد أتقن كل ما صنع، وهذا أمر يعلمه العالمون بالله جملة، ويتفاوتون في العلم بتفاصيله.

.(615) انظر: ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: (ص: 363).

وإذا عرفت ذلك فالآلام والمشاق إما إحسان ورحمة، وإما عدل وحكمة، وإما إصلاحاً وتهيئةً لخير يحصل بعدها، وإنما لدفع ألم هو أصعب منها، وإنما لتولدها عن ذاتٍ ونعم يولدتها عنها أم لازم لتلك اللذات، وإنما أن يكون من لوازم العدل أو لوازم الفضل والإحسان، فيكون من لوازم الخير التي إن عَطِلَتْ ملزوماتها فات بتعطيلها خيرٌ أعظم من مَفْسَدَةِ تلك الآلام.

الشرفي المخلوقات، لا في فعل الخالق:

هل يصح أن يقال: إن الله - سبحانه - يفعل الشر، وأنه لذلك "شير" - عياذاً بالله -؟ قد تقدم معنا أنَّ الشَّرَ ليس ذاتاً موضوعية، وإنما هو صفة انتزاعية؛ ولذلك لا تصح نسبة الشر إلى الله سبحانه، وإنما هو صفة من صفات مخلوقاته.

قد يُعَرَّضُ علينا بأنَّ قولنا هذا سفسطة، ولعب بالكلمات، إذ إنَّ هذا الشر نتاج عن مخلوقات الله، وبذلك فهو يعود إلى الله خالق هذه المخلوقات!

والجواب هو أنَّ هناك فرقاً بين فعل الله الخالق مباشرةً، وفعل مخلوق الخالق؛ فإنَّ الله لا يُرِدُ لعباده إلَّا الخير لكنه...

1- يخلق [أي: الله] خلقاً أصحاب إرادة (أناسي) يختارون غير ما رضيه، أي أحبه الله لهم، فالشر هنا سببه إرادة الإنسان، والله سبحانه خلق إمكانية وجود الشر، لا الشر ذاته.

قال ابن القيم: "والعبد إذا فعل القبيح المنهي عنه، كان قد فعل الشر والسوء، والرب سبحانه هو الذي جعله فاعلاً لذلك، وهذا الجَعْلُ منه عَدْلٌ وحكمٌ وصوابٌ؛ فجعله فاعلاً خيراً، والمفعول شر قبيح، فهو سبحانه بهذا العمل قد وضع الشيء موضعه لما له في ذلك من الحكمة البالغة التي يحمد عليها، فهو خير وحكمة ومصلحة، وإنَّ وقوعه من العبد عيباً ونقصاً وشراً، وهذا أمر معقول في الشاهد، فإنَّ الصانع الخبير إذا أخذ الخيبة العوجاء والحجر المكسور واللبنة الناقصة فوضع ذلك في موضع يليق به ويناسبه كان ذلك منه عدلاً وصواباً يُمْدَحُ به، وإن كان في المحل عوج ونقص وعيوب، يُذَمُّ به المحل، ومن وَضَعَ الخبائث في موضعها ومحلها اللائق بها، كان ذلك حكمة وعدلاً وصواباً، وإنما السفة والظلم أن يضعها في غير موضعها".⁽⁶¹⁶⁾

وقال ابن تيمية: "الكذب والظلم ونحو ذلك من القبائح، يتصرف بها من كانت فعولاً له، كما يفعلها العبد، وتقوم به، ولا يتصرف بها من كانت مخلوقة له إذا كان قد جعلها صفة لغيره، كما أنه سبحانه لا يتصرف بما خلقه في غيره من الطعوم والألوان والروائح والأشكال والمقادير والحركات وغير ذلك، فإذا كان قد خلق لون الإنسان لم يكن هو المتلون به، وإذا خلق رائحة متننة أو طعمًا مرًّا أو صورة قبيحة ونحو ذلك مما هو مكروه مذموم مستقبح، لم يكن هو متصرفًا بهذه المخلوقات القبيحة المذمومة المكرودة، والأفعال القبيحة، ومعنى قبحها: كونها ضارة لفاعليها، وسبباً لِذَمِّهِ وعقابه، وجالية لألمه وعذابه، وهذا أمر يعود على الفاعل الذي قامت به، لا على الخالق الذي خلقها فعولاً لغيره".⁽⁶¹⁷⁾

2- يخلق الله خلقاً غير عاقل يفعل الشر، لكنه شر من وجه لا من كل الأوجه؛ فالزلزال والبراكين مثلاً هي نتاج لقوانين فيزيائية بها الله في الأرض، وهي ليست شرًا في ذاتها، أوًلاً: لأنَّ الزلازل والبراكين قد تقع في منطقة ليس فيها إنسان ولا حيوان، فلا يتضرر منها أحد، وثانياً: لأنَّ هذه الزلازل والبراكين من أسباب تهيئة الأرض للعيش، فهي

(616) ابن القيم، شفاء العليل، (ص: 361).

(617) ابن تيمية، مجموع الفتاوى 5/ 123.

تنفس عن الطاقة المخزنة في باطن الأرض، وتخرج الكثير من الثروات المعدنية إلى سطح الأرض ليستفيد منها الإنسان، وغير ذلك مما نعلم ومما لا نعلم، فالآثار السلبية لهذه الظواهر الكونية هي نتاج لهذا المخلوق في ظروف معينة غير دائمة، فالشر وجه لها وليس فعلاً لله، وإن كان الله سبحانه يريد من بعض هذه الظواهر ما يكرهه بعض خلقه لحكمة تربو على الشر الناتج عنها.

ففعل الله سبحانه لا يراد منه – في مآلـه – إلاـ الخـير، ولذلك "فـما أرادـ أن يـخلقـهـ أوـ يـفعـلـهـ، كانـ أنـ يـخـلـقـهـ وـيـفـعـلـهـ خـيـرـاـ مـنـ أـنـ لاـ يـخـلـقـهـ وـلاـ يـفعـلـهـ، وـبـالـعـكـسـ". وما كان عدمـهـ خـيـرـاـ مـنـ وـجـودـهـ، فـوـجـودـ شـرـ، وـهـوـ لـاـ يـفعـلـهـ بـلـ هـوـ مـنـزـهـ عـنـهـ".⁽⁶¹⁸⁾

ويوضح ابن القيم ما يريد الله سبحانه في الكون، بجلاء حكم العبارة، مُسْتَضِيًّا بمحكم الوجي: "يُمْتَنَعُ إِطْلَاقُ إِرَادَةِ الشَّرِ عَلَيْهِ، وَفَعْلُهُ نَفِيًّا وَإِثْبَاتًا لِمَا فِي إِطْلَاقِ لُفْظِ الإِرَادَةِ وَالْفَعْلِ مِنْ إِبْهَامِ الْمَعْنَى الْبَاطِلِ وَنَفْيِ الْمَعْنَى الصَّحِيحِ، فَإِنِّي أَرَادَتِ الْأَرْادَةَ تَطْلُقَ بِمَعْنَى الْمَشِيَّةِ وَبِمَعْنَى الْمَحْبَةِ وَالرَّضَا. فَالْأَوَّلُ كَقُولَهُ: {إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُعَوِّذَكُمْ} ⁽⁶¹⁹⁾ وَقُولَهُ {وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضْلِلَهُ} ⁽⁶²⁰⁾ وَقُولَهُ: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهَلِّكَ قَرْيَةً} ⁽⁶²¹⁾، وَالثَّانِي: كَقُولَهُ: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ} ⁽⁶²²⁾ .. {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} ⁽⁶²³⁾، فَالْإِرَادَةُ بِالْمَعْنَى الْأَوَّلِ تَسْتَلِمُ وَقْوَى الْمَرَادِ، وَلَا تَسْتَلِمُ مَحْبَتِهِ وَرَضَا بِهِ، وَبِالْمَعْنَى الْثَّانِي لَا تَسْتَلِمُ وَقْوَى الْمَرَادِ وَتَسْتَلِمُ مَحْبَتِهِ، فَإِنَّهَا لَا تَنْقَسِمُ، بَلْ كُلُّ مَا أَرَادَهَا مِنْ أَفْعَالِهِ فَهُوَ مَحْبُوبٌ مَرْضِيٌّ لَهِ.

فرق بين إرادة أفعاله وإرادة مفعولاته فإن أفعاله خير كلها وعدل ومصلحة وحكمة لا شرف فيها بوجه من الوجوه وأما مفعولاته فهي مورد الانقسام.

وهذا إنما يتحقق على قول أهل السنة إن الفعل غير المفهوم، والخلق غير المخلوق، كما هو الموفق للعقل والفطر واللغة ودلالة القرآن والحديث وإجماع أهل السنة، وكما حکاه البغوي في شرح السنة عنهم، وعلى هذا فهاهنا إرادتنا ومرادان: إرادة أن يفعل، ومرادها فعله القائم به، وإرادة أن يفعل عبده، ومرادها مفعوله المنفصل عنه، وليس بمتأزمتين.

فقد يريد من عبده أن يفعل ولا يريد من نفسه إعانته على الفعل وتوفيقه له وصرف موانعه عنه، كما أراد من إبليس أن يسجد لأدم ولم يرد من نفسه أن يعنيه على السجود ويوقفه له ويثبت قلبه عليه ويصرفة إليه. ولو أراد ذلك منه لسجد له لا محالة، وقوله: {فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ} ⁽⁶²⁴⁾، إخبار عن إراداته لفعله، لا لأفعال عبيده. وهذا الفعل والإرادة لا ينقسم إلى خير وشر كما تقدم، وعلى هذا فإذا قيل: هو مرید للشر أو هم أنه محب له راض به، وإذا قيل: إنه لم يرده أو هم أنه لم يخلقه ولا كونه، وكلاهما باطل، ولذلك إذا قيل: إن الشر فعله أو إنه يفعل الشر أو هم أن الشر فعله القائم به، وهذا محال، وإذا قيل: لم يفعله أو ليس بفعل له، أو هم أنه لم يخلقه ولم يكونه، وهذا محال، فانظر ما في إطلاق هذه الألفاظ في النفي والإثبات من الحق والباطل الذي يتبعين

(618) ابن القيم، شفاء العليل، (ص: 362).

(619) هود: 34

(620) الأنعام: 125

(621) الإسراء: 125

(622) النساء: 27

(623) البقرة: 185

(624) البروج: 16

بالاستفصال والتفصيل.

وإن الصواب في هذا الباب ما دل عليه القرآن والسنة من أن الشر لا يضاف إلى الله تعالى لا وصفاً ولا فعلًا، ولا يتسمى باسمه بوجه من الوجوه، وإنما يدخل في مفعولاته بطريق العموم، كقوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5) فـ (ما) هاهنا موصولة أو مصدرية، والمصدر بمعنى المفعول؛ أي: من شر الذي خلقه أو من شر مخلوقه، وقد يحذف فاعله كقوله حكاية عن مؤمني الجن: {وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} (625) ...

وماذا عن خلق إبليس؟

قد يتتسائل القارئ: وماذا عن خلق إبليس؟! أليس هو عنوان الشر المفضي، فهل في خلقه خير؟ إنه طريق الناس إلى جهنم، ورائدتهم إلى الكفر بكل نعمة، والعصيان لكل أمر! والجواب على هذا الإشكال من وجهين:

أولهما: هو أن النظر في قصة إبليس كما جاء بها خبر الوحي مخبراً أن الله سبحانه لم يخلق إبليس ليضل الناس، إنما خلق إبليس كما خلق البشر للعبادة، غير أن إبليس اختار أن يتكبر على أمر الله بالسجود لأدم، ورضي لنفسه طريق الضلال والإضلal.

لقد اختار إبليس، وهو من الجن، أن ينحرف عما خلق له إلى غير ما خلق له، عاصياً أمراً من الله ومتكبراً عن طلب السجود.

وثانيهما: أن في وجود إبليس، على ضلاله، حكم جليلة يصعب استقصاؤها، وقد ذكر علماء الإسلام كـ (ابن القيم)، طرقاً منها يدفع القول المتشوّه أن وجود إبليس شر محض لا خير معه، ومن ذلك:

1- أن وجود إبليس يكمل لرسل الله وأوليائه مراتب العبودية بمحاجدة عدو الله وحزبه، ومخالفته ومراجعته في الله، وإغاظته وإغاظة أوليائه، والاستعاذه بالله منه، والإلتجاج إليه أن يعيدهم من شره وكيده، فيترتب لهم على ذلك من المصالح الدنيوية والأخروية ما لم يحصل بدونه، ومعلوم أن الموقوف على الشيء لا يحصل بدونه.

2- خوف الملائكة والمؤمنين من ذنبهم بعد ما شاهدوا من حال إبليس ما شاهدوه، وسقوطه من المرتبة التكريمية إلى المنزلة الإبليسية، يكون أقوى، وأتم.

3- جعل سبحانه وتعالى إبليس عبرة لمن خالف أمره، وتكبر عن طاعته، وأصر على معصيته، كما جعل ذنب أبي البشر عبرة لمن ارتكب ذنبه، أو عصى أمره ثم تاب وندم ورجع إلى ربه، فابتلى أبوى الجن والإنس بالذنب وجعل هذا الأثب عبرة لمن أصر وأقام على ذنبه، وهذا الأثب عبرة لمن تاب ورجع إلى ربه.

4- حال إبليس محل امتحان الله به خلقه؛ ليتبين به خبيثهم من طيبهم، كما جعل أنبياءه ورسليه محكماً لذلك التمييز، قال تعالى: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَبِرُّوا الْخَيْرَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعُكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ وَلَكُنَّ اللَّهُ بَيْتَنِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَنْتَقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [آل عمران 179]، فأرسله إلى المكلفين وفيهم الطيب والخبيث، فانضاف الطيب إلى الطيب والخبيث إلى الخبيث، واقتضت حكمته البالغة أن خلطهم في دار الامتحان، فإذا صاروا إلى دار القرار، يميز بينهم، وجعل لهؤلاء داراً على حدة ولهمؤلاء

(625) الجن: 10

(626) ابن القيم. شفاء العليل، (ص: 528-530).

داراً على حدة، حكمة باللغة وقدرة قاهرة.

5- ليظهر الله كمال قدرته في خلقه مثل جبريل والملائكة وإبليس والشياطين، وذلك من أعظم آيات قدرته ومشيئته وسلطاته، فهو خالق الأضداد كالسماء والأرض، والضياء والظلام، والجنة والنار، والماء والنار، والحر والبرد، والطيب والخبيث.

6- خلق أحد الضدين من كمال حسن ضده، فإن **الخَيْر** إنما يَظْهُرُ حسْنُه بضدِّه، فلو لا القبيح لم تُعرَفْ فضيلة الجميل، ولو لا الفقر لم يُعرَفْ قدر الغنى.

7- من أسمائه سبحانه الخافض المعاز المنذر الحكم العدل المنتقم، وهذه الأسماء تستدعي متعلقات يظهر فيها أحکامها، كأسماء الإحسان والرُّزق والرحمة ونحوها، ولا بد من ظهور متعلقات هذه وهذه.

8- الله سبحانه هو الملك التام الملك، ومن تمام ملكه عموم تصرفه وتنوعه بالثواب والعقاب والإكرام والإهانة والعدل والفضل والإعزاز والإذلال، فلا بد من وجود من يتعلق به أحد النوعين كما أوجد من يتعلق به النوع الآخر.

في التعارض بين وجود الله ووجود الشر:

إنَّ أهم الإشكالات التي تواجه الباحث في مشكلة الشر، تحديد الأسئلة، وليس الفوز بالأجوبة الصحيحة؛ إذ إنَّ مشكلة الشر، وإنْ صيغت في عنوان بسيط وكلمات قليلاً، إلا أنها على الحقيقة شعب متداخلة من الاعتراضات والاستشكالات التي لا أمل في فك لغزها وبيان الحق فيها قبل ترتيبها في صياغات فردية تضمن أن نفهم أوجه الاعتراض الإلحادي.

ويكاد يتفق الخائضون في مشكلة الشر اليوم أن الموضوع الأكبر لمشكلة الشر هو ثبوت التعارض بين وجود إله قادر، علیم، رحيم، ووجود الشر، غير أن هذا الإشكال الواحد، مجمل في صياغته، وحقيقة أنه مجموع مشكلات متعلقة ووجوده في عالم مخلوق من رب كامل، وهي:

المشكلة المنطقية للشر: وهي المتعلقة بالتناقض المحسّن بين دعوى وجود إله قادر، علیم، رحيم، ووجود الشر.
المشكلة البرهانية: وتسمى أيضًا الاحتمالية: وتزعم هذه المشكلة أنه وإن لم يكن هناك تعارض صميم بين وجود الله ووجود الشر، إلا أن المرء يميل إلى الاستبعاد الاحتمالي لوجود إله قادر، علیم، رحيم، بسبب وجود الشر: سواء بسبب طبيعة الشر، أو لوجود قدر عظيم منه، أو لطبيعته المجانية التي لا خير من ورائها.

وينقسم هذا الاعتراض بذلك إلى ثلاثة مشاكل:

1- مشكلة الشر الأخلاقي.

2- مشكلة الشر الطبيعي.

3- مشكلة الشر المجاني.

ما هي المشكلة المنطقية للشر؟

تمثل في الرزعم أن وجود الله العلیم القدير الخير يتنافر مع وجود الشر في هذا العالم؛ أي: إن وجود الله يقتضي عدم وجود الشر؛ إذ الشر محض فساد لا خير فيه.

ومن الممكن القول بيقين جازم: إن دعوى لا منطقية الجمع بين وجود الله ووجود الشر في عالمنا قد تم تجاوزها في الغرب الذي يمسك فيه الإلحاد صولجان السلطان الفكري، وإنها قد سقطت سقوطاً ذريعاً تحت مطارق دراسات الفيلسوف الأمريكي الشهير بلتننجا، ولذلك لا يكاد يعثر على شهادة الشر بهذا المعنى في الكتابات الغربية

إلا في الكتابات الإلحادية الشعبية التقليدية بعد أن هجرها عامة الفلسفه إثر هزيمتها أمام حجة الإرادة الحرة كمبر منطقى لوجود الشر في عالم خلقه إله خير.

ورغم ذلك لم تختف شبهة الشر من كتابات ملاحدة الفلسفه في الغرب، وإنما تقهرت، يقول ويليام هاسكر William hasker: "القول إن وجود الله لا يستقيم مع وجود الشر لم يعد بعد مستمسكاً بصورة كبيرة عند الملاحدة.. جلي أن من الشر ما هو شرط أساسى لوجود خير أكبر، وإذا كان الأمر كذلك، فربما إذن كان السماح لهذا الشر بالوجود متسقاً مع صفة الخير الإلهي.. الشرور التي لا تخدم مثل هذا الهدف الحسن؛ أي: ما يعرف بالشرور المجانية، لا زال يعتقد بصورة واسعة أنها متعارضة مع مبدأ الألوهية وتتوفر أساساً قوياً للحججة المعارضة للإيمان بإله".

وهو ما أكدته أيضاً (ويليام لين كريغ) بقوله: "أهمل جل الملاحدة اليوم المشكلة الداخلية في هجومهم على المسيحية، وزعموا في مقابل ذلك أن الشر الذي يبدو غير مبرر ولا ضروري في العالم – والمسمى عادة بالشر المجاني – يمثل حجة ضد وجود إله".

لقد سقطت باعتراف (وليام رو) William rowe نفسه، فقد كتب بعدما كان من نقاش بينه وبين الفلسفه المؤلهة: توجد حجة مقنعة إلى حد ما للرؤيه القائله إن وجود الشر متافق منطقياً مع وجود الرب، وصرح بعجز فلاسفه الإلحاد عن إقامة البرهان لدعواهم بقوله: لم ينجح أي أحد في تقديم تقرير يعلم أنه صادق بالضرورة وأنه إذا أضيف إلى [منظومة عقائد الألوهية التقليدية] فيسمكنا من استخلاص نتائج متناقضه صراحة.

في ضوء ذلك، من المعقول أن نستنتج أن الشكل المنطقى لمشكلة الشر ليس مشكلة ذات بال بالنسبة لمذهب الألوهية، إن طرحة المركزي والمتمثل في أن منظومة عقائد الألوهية التقليدية متناقضه منطقياً، هو طرح لم يتمكن أحد من إقامة حجة مقنعة عليه.

الشر نتيجة لمنحة الإرادة الحرة:

الشر الأخلاقي هو أفعال أو تروك السوء التي يأتيها الإنسان بإرادته الحرة، كالكذب، والسرقة، والقتل، قال تعالى: {ظَاهِرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذْيِقُهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: 41]. قال الطبرى: "ظهرت المعاصي في بر الأرض وبحرها بكسب أيدي الناس ما نهاهم الله عنه".⁽⁶²⁷⁾ فإن ما يتلبس به الناس من شرور قبيحة ورذائل شنيعة يسمى الفلسفه بالشر الأخلاقي Evil Moral، هي نتاج فعل الناس بمحض إرادتهم الفاسدة.

هذه الإرادة المنطلقة إلى الشر كما الخير، هي إرادة حرة، ضمن حدود القدرة في غير موضعها وتوجيهه للفعل البشري إلى أمر سلبي، وهذا الإنسان المتحرك في الأرض بالفعل الحر، والذي يصيب ويخطء في استخدام حريته، هو الإنسان الذي خلق لهذه الدنيا، ولو لا حريته لما كان إنساناً دنيوياً، وهذه الإرادة الحرة هي التي تميزه عن الجمادات غير المريدة والملائكة غير الحرة لجلبها على الخير المحض.

ويرى الفيلسوف الأمريكي أفن بلنتنجا أن ملائكة "حرية الإرادة" عند الإنسان مبرر معقول لنفي عدم تساوي وجود الإله الكامل مع وجود الشر؛ فإن الشر الأخلاقي هو نتيجة لممارسة الإنسان الفعل النابع من إرادته الحرة، فالشر هنا ضريبة لازمة ومنطقية ومُرضية لنعمة الإرادة الحرة؛ وبذلك ينتقض الاعتراض على عدل الله أنه

(627) الطبرى، جامع البيان في تأویل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م، 107/20.

يسمح للشر بالوجود.. إنه لا معنى عقلاً وواقعاً أن نتحدث عن كائن حر يملك إرادة الاختيار ضمن الطبيعة البشرية المحسنة، ثم هو لا يفعل إلا الخير.

ويؤكد بلتتنجا على أن "حقيقة أن مخلوقات حرة تزل أحياناً، لا تحسب ضد وجود قدرة الله الكلية ولا ضد خيريته؛ لأنه ليس بالإمكان أن يمنع وقوع الشر الأخلاقي إلا بمنع إمكانية الخير الأخلاقي"، أي: إننا أمام استحالة عقلية محسنة، ملخصها أنه يمتنع عقلاً الجمع بين وجود إرادة حرة تفعل ضمن حريتها - كما هي في المفهوم الدنوي البشري -، وعجز هذه الإرادة عن أن تفعل غير الشر.

كما أن منع هذا الشر يعني إلغاء حرية الإنسان، وتحوله إلى كائن موجه غير مرید، وهو ما يقول إلى منع تسمية فعله الميكانيكي الصواب، خيراً؛ لأنه ليس فعلاً اختيارياً.

هل يلام رب على الشر الأخلاقي؟

قد يرى المعترض (في الشر الأخلاقي) حجة أخلاقية ضد الله سبحانه، بالقول: إن الإنسان هو نفسه صنعة الله؛ ولذلك فكل أفعاله لا بد أن تنسب إلى خالقه، ويرد القرآن على هذه الشهمة بقوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْقَلَ سَافِلِينَ (5) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [التين: 4-6].

لقد خلق الله سبحانه البشر على أصل الاستقامة والمعرفة بحقيقة الخير والشر، ثم دفعهم بعده إلى هذه الحياة؛ ليعيشوا محنـة اختبار العقل والقلب والجوارح، فالإنسان مخلوق على صورة تهيئه لإدراك الأمور "إدراكاً مستقيماً مما يتأنى من المحسوسات الصادقة؛ أي: الموافقة لحقائق الأشياء الثابتة في نفس الأمر، بسبب سلامـة ما تؤديه الحواس السليمة، وما يتلقاه العقل السليم من ذلك ويتصـرف فيه بالتحليل والتركيب المنتظمـين، بحيث لو جانبـته التلقـينـات الضـالـلة والـعـوـائـد الـذـمـيمـة والـطـبـائـع الـمنـحرـفة والـتـفـكـير الـضـارـ، أو لو تسـلطـتـ عليهـ تـسلـطاًـ ماـ فـاسـطـاعـ دـفـاعـهـ عـنـهـ بـدـلـائـلـ الـحـقـ وـالـصـوـابـ، لـجـرـىـ فـيـ جـمـيعـ شـئـونـهـ عـلـىـ الـاستـقـامـةـ، وـلـمـ صـدـرـتـ مـنـهـ إـلـاـ الـأـفـعـالـ الـصـالـحةـ، وـلـكـنـهـ قـدـ يـتـعـثـرـ فـيـ ذـيـولـ اـغـتـارـهـ وـيـرـخـيـ العنـانـ لـهـوـاهـ وـشـهـرـتـهـ، فـتـرمـيـ بـهـ فـيـ الـضـلـالـاتـ، أوـ يـتـغلـبـ عـلـيـهـ دـعـاهـ الـضـلـالـ بـعـاـمـلـ التـخـوـيفـ أوـ الـإـطـمـاعـ فـيـتـابـعـهـمـ طـوـعاًـ أوـ كـرـهـاـ، ثـمـ لـاـ يـلـبـثـ أـنـ يـسـتـحـكمـ فـيـهـ مـاـ تـقـلـدـهـ فـيـعـتـادـهـ، وـيـنـسـيـ الصـوـابـ وـالـرـشـدـ"}⁽⁶²⁸⁾.

إن صبغـةـ الفـطـرـةـ الـتـيـ خـلـقـ عـلـيـهـ الإـنـسـانـ هـيـ الـتـيـ تـمـنـعـهـ مـنـ تـوجـيهـ إـرـادـتـهـ إـلـىـ الشـرـ وـأـسـبـابـهـ، وـهـيـ صـنـعـةـ اللهـ سبحانهـ، أـمـاـ يـدـ الـفـسـادـ الـتـيـ تـنـشـبـ أـظـفـارـهـ فـيـ جـمـالـ الذـاتـ الـبـشـرـيـةـ فـتـشـوـهـ رـقـيقـ قـسـمـاتـهـ، فـهـيـ غـوـائـلـ خـارـجـيةـ لـاـ تـنـجـحـ فـيـ إـفـسـادـ إـلـاـ حـينـ يـخـفـتـ صـوتـ الـفـطـرـةـ الـرـبـانـيـةـ.

مشكلة الشر المادي:

تفرـعـةـ الخطـبـ الحـمـاسـيـةـ إـلـىـ الشـرـ الطـبـيـعـيـ باـعـتـارـهـ أـوـضـحـ المسـالـكـ لـنـفـيـ وجودـ الـخـالـقـ، فـهـيـ تـزـعـمـ أـنـ الـآـفـاتـ الـطـبـيـعـيـةـ بـرـهـانـ غـيـابـ الرـحـمـةـ وـالـعـدـلـ فـيـ الـكـوـنـ، وـتـنـقـسـمـ هـذـهـ الـآـفـاتـ إـلـىـ نـوـعـيـنـ: آـفـاتـ لـلـإـنـسـانـ فـيـهـ يـدـ، وـأـخـرـىـ لـيـسـ لـهـ عـلـيـهـ سـلـطـانـ.

1- الـآـفـاتـ الـتـيـ لـلـإـنـسـانـ فـيـهـ يـدـ، مـثـلـ تـلـويـثـ الـبـيـئةـ وـإـهـلاـكـ الـحـرـثـ...

2- الـآـفـاتـ الـتـيـ لـيـسـ فـيـهـ لـلـإـنـسـانـ يـدـ، مـثـلـ الـزـلـازـلـ وـالـبـرـاكـينـ وـالـمـجاـعـاتـ...

يـقـولـ إـيـونـجـ Ewingـ، أـسـتـاذـ الـأـخـلـاقـ فـيـ جـامـعـةـ كـامـبرـدـجـ: "وـإـنـهاـ لـحـقـيقـةـ وـاقـعـةـ أـنـ ثـمـةـ خـيـراتـ...ـ لـاـ تـأـتـيـ بـغـيرـ".

(628) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير.

محصول الشر، فكيف تتسمى الفضيلة مثلاً بغير المغريات والعواقب، ومن ثم بغير الشر ولو في صورة الألم والعرقلة؟ وكيف توجد شجاعة بغير ألم أو مشقة أو خطر؟ وكيف يوجد الحب في أرفع حالاته التي نعرفها ماله يكن هنالك داعية للعطف والإشفاق والتضحية... لا بد من شر نغلبه كي نحصل على فضيلة الغلبة عليه، وربما كان هناك ضروب أخرى من الحب والفضيلة كالتى تخيل أنَّ الكائنات العليا التي تعلو على طوق الإنسان متصرفه بها ولا تنطوي على شر من الشرور، ولكنها - إذا صح تخيلنا - نوع آخر غير حبنا وفضيلتنا، وكلما تعددت أنواع الفضائل كان ذلك أفضل وأجمل".

إن عالماً دنيوياً بلا شر هو كعالم بلا خير، كلاماً بلا روح ولا معنى يسعى إليه الإنسان، وهو ما يفتقدان الاعتدال والاستقامة، وفي هذا قال الجاحظ: "لو كان الشر صرفاً هلك الخلق، أو كان الخير محضاً سقطت المحنة وتقطعت أسباب الفكرة، ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكم، ومتى ذهب التخيير ذهب التمييز، ولم يكن للعالم ثبت وتوقف وتعلم، ولم يكن علم، ولا يعرف باب التبيين، ولا دفع مضرة، ولا اجتالب منفعة، ولا صبر على مكروه ولا شكر على محبوب، ولا تقاضل في بيان، ولا تنافس في درجة، وبطلتْ فرحة الظفر وعز الغلبة، ولم يكن على ظهرها محقٌ يُحدِّ عَرَّ الحق، ومبطل يَحْدُ ذلة الباطل، وموقن يجد برد اليقين، وشاك يجد نقص الحيرة، وكرب الوجوم؛ ولم تكن للنفوس آمال ولم تتشعبها الأطماء... ولو كان الأمر على ما يشهيه الغير والجاهل بعواقب الأمور، لبطل النظر وما يشحذ عليه، وما يدعوه إليه، ولتعطلت الأرواح من معانها، والعقول من ثمارها، ولعدمت الأشياء حظوظها وحقوقها".⁽⁶²⁹⁾

ولابن القيم عبارة أنيقة يقول فيها: "قد استقرت حكمته سبحانه أن السعادة والنعيم والراحة لا يوصل إليها إلا على جسر المشقة والتعب، ولا يدخل إليها إلا من باب المكاره والصبر وتحمل المشاق، ولذلك حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات؛ ولذلك أخرج صفيه آدم من الجنة وقد خلقها له واقتضت حكمته أن لا يدخلها دخول استقرار إلا بعد التعب والنصب؛ مما أخرجه منها إلا ليدخله إليها أتم دخول، فله كم بين الدخول الأول والدخول الثاني من التفاوت. وكم بين دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في جوار المطعم بن عدي ودخوله إليها يوم الفتح، وكم بين راحة المؤمنين ولذتهم في الجنة بعد مقاساة ما قبلها وبين لذتهم لو خلقوا فيها، وكم بين فرحة من عافاه بعد ابتلائه وأغناه بعد فقره وهداه بعد ضلاله وجمع قلبه بعد شتاته، وفرحة من لم يذق تلك المرارات. وقد سبقت الحكمة الإلهية أن المكاره أسباب اللذات والخيرات كما قال تعالى: {وَعَسَى أَن تَكُرُّهُوا شَيئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} [البقرة: 216].⁽⁶³⁰⁾

ظهور حكمة الله وصفاته:

قال ابن القيم: "الحكمة إنما تتم بخلق المتضادات والمقابلات كالليل والنهار، والعلو والسفل، والطيب والخبث، والخفيف والثقيل، والحلو والمر، والبرد والحر، والألم واللذة، والحياة والموت، والداء الدواء، فخلق هذه المتضادات تعطيل لمقتضيات تلك الصفات وأحكامها وأثارها، وذلك عين الحال. فإن لكل صفة من الصفات العليا حكمًا ومقتضيات وأثرًا هو مظهر كمالها، وإن كانت كاملة في نفسها، لكن ظهور آثارها وأحكامها من كمالها، فلا يجوز تعطيله، فإن صفة القادر تستدعي مقدورًا وصفة الخالق تستدعي مخلوقًا، وصفة الوهاب الرازق المعطي المانع المقدم المؤخر المعز المذل العفو الرؤوف تستدعي آثارها وأحكامها، فلو عطلت تلك الصفات

(629) الجاحظ، الحيوان، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ، 1/134-135.

(630) ابن القيم، شفاء العليل، ص 448-449.

عن المخلوق المرزوق المغفور له المرحوم المعفو عنه لم يظهر كمالها، وكانت معطلة عن مقتضياتها وموجباتها، فلو كان الخلق كلهم مطعون عابدون حامدون؛ لتعطل أثر كثير من الصفات العلا والأسماء الحسنة، وكيف كان يظهر أثر صفة العفو والمغفرة والصفح والتجاوز والانتقام والعز والقهر والعدل والحكمة التي تنزل الأشياء منازلها وتضعها مواضعها؟

ولو كان الخلق كلهم أمة واحدة فاتت الحكمة والآيات وال عبر والغايات المحمودة في خلقهم على هذا الوجه، وفات كمال الملك والتصرف، فإن الملك إذا اقتصر تصرفه على مقدور واحد من مقدوراته فإما أن يكون عاجزاً عن غيره فيتركه عجزاً، أو جاهلاً بما في تصرفه في غيره من المصلحة فيتركه جهلاً...

وأما أقدر القادرين وأعلم العالمين وأحكم الحاكمين فتصرفه في مملكته لا يقف على مقدور واحد؛ لأن ذلك نقص في ملكه، فالكمال كل الكمال في العطاء والمنع والخوض والرفع والثواب والعقاب والإكرام والإهانة والإعزاز والإذلال والتقديم والتأخير والضر والنفع وتخصيص هذا على هذا، وإيشار هذا على هذا، ولو فعل هذا كله بنوع واحد متماثل للأفراد لكان ذلك منافياً لحكمته، وحكمته تأباه كل الإباء، فإنه لا يفرق بين متماثلين، ولا يسوي بين مختلفين، وقد عاب على من يفعل ذلك وأنكر على من نسبه إليه، والقرآن مملوء من عيبه على من يفعل ذلك، فكيف يجعل له العبيد ما يكرهون، ويضربون له مثل السوء وقد فطر الله عباده على إنكار ذلك من بعضهم على بعض وطعنهم على من يفعله، وكيف يعيّب رب سبحانه من عباده شيئاً ويتصرف به، وهو سبحانه إنما عابه لأنه نقص فهو أولى أن يتنته عنه، وإذا كان لا بد من ظهور آثار الأسماء والصفات ولا يمكن ظهور آثارها إلا في المقابلات والمتضادات لم يكن في الحكمة بد من إيجادها، إذ لو فُقدت؛ لتعطلت الأحكام بتلك الصفات وهو محال".⁽⁶³¹⁾

اختبار إيمان العباد:

إن حقيقة الامتحان تقتضي أن يعني المرء وخز المكاره، وقيظ المفاوز⁽⁶³²⁾ حتى يثبت أنه حقيق بأن يكون من الفائزين، قال تعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: 2-3]، إنها سنة الله في خلقه منذ برأ البرية، والطريق الذي أعد للخلق؛ فمن تحمل وخز الشوك، وحر الرمل، وأذى الحصى في هذا الطريق الوعر، فاز، ومن تراخي عن مقاومة الأمر الصعب، هلك.

وقال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَتُهُ الْمَوْتٍ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء: 35]؛ أي: نختبركم بالشر والخير بالمكره والمحبوب، هل تصبرون وتشكون أو تكفرون وتعرضون؟، والمنحة والمحنة جميعاً بلاء؛ إذ المحنة متقضية للصبر، والمنحة مقتضية للشكـر".⁽⁶³⁴⁾

إن تقلب الإنسان بين طباق الشر والخير، مختبر لإيمانه، وبه ينكشف صدق الولاء للمعتقد الحق، إن كان على دين الحق، وإنما هو تحفيز لعقله، واستحثاث لقلبه أن يتفكر ويتدبر في أمر هذا الخلق، وما وراءه، وأمر هذا الوجود وما يحركه.

(631) ابن القيم شفاء العليل: (ص: 439-440).

(632) قيظ: حر.

(633) مفاوز: صخاري.

(634) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى، بيروت: دار إحياء التراث، د.ت.، 17/47.

إن في محنـة الشـر منحة لـلمـهـتـدـينـ، وـحـجـةـ عـلـىـ الـمـخـلـدـيـنـ إـلـىـ الـلـذـةـ الـدـانـيـةـ وـالـمـعـرـضـيـنـ عـنـ حـقـيقـةـ الـوـجـودـ الـكـبـرـيـ

الـتـيـ هـيـ أـنـ لـلـعـالـمـ خـالـقـاـ حـقـيقـاـ بـأـنـ يـعـبـدـ.

إنـ الشـرـ مـمـثـلـاـ فـيـ الـمـحـنـ وـالـآـفـاتـ الـتـيـ تـصـيـبـ الـإـنـسـانـ فـيـ هـذـهـ الـحـيـاةـ هـوـ مـادـةـ الـامـتـحـانـ الـدـنـيـوـيـ الـأـوـلـيـ؛ فـلـوـلاـ

الـمـكـارـهـ لـمـاـ كـانـ هـنـاكـ فـرقـ مـعـتـبـرـ بـيـنـ الـمـجـدـ وـالـمـتـهـاـونـ، وـبـيـنـ مـنـ حـفـدـ وـمـنـ تـرـاـخـيـ.

وـقـدـ حـفـلـ الـقـرـآنـ بـأـيـاتـ كـثـيرـةـ فـيـ تـأـكـيدـ الـحـقـيقـةـ الـوـجـودـيـةـ الـكـبـرـيـةـ لـلـشـرـ باـعـتـبـارـهـ فـتـنـةـ لـلـنـاسـ؛ فـالـنـاسـ أـمـامـ الـشـرـ

فـسـطـاطـانـ، فـسـطـاطـ الـمـؤـمـنـيـنـ الـمـتـجـانـفـيـنـ عـنـ الـشـرـ، وـفـسـطـاطـ الـوـاقـعـيـنـ فـيـهـ بـقـصـدـ: قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ: {وـمـاـ حـلـقـنـاـ

الـسـمـاءـ وـالـأـرـضـ وـمـاـ بـيـنـهـمـاـ بـاـطـلـاـ} ذـلـكـ ظـلـنـ الـذـيـنـ كـفـرـوـاـ فـوـيـلـ لـلـذـيـنـ كـفـرـوـاـ مـنـ النـارـ * أـمـ تـجـعـلـ الـذـيـنـ آـمـنـوـاـ وـعـمـلـوـاـ

الـصـالـحـاتـ كـالـمـفـسـدـيـنـ فـيـ الـأـرـضـ أـمـ تـجـعـلـ الـمـتـقـيـنـ كـالـفـجـارـ} [ص: 27-28]، وـقـالـ تـعـالـىـ: {أـمـ حـسـبـ الـذـيـنـ اـجـتـرـحـواـ

الـسـيـئـاتـ أـنـ تـجـعـلـهـمـ كـالـذـيـنـ آـمـنـوـاـ وـعـمـلـوـاـ الصـالـحـاتـ سـوـاءـ مـحـيـاـهـمـ وـمـمـاـتـهـمـ سـوـاءـ مـاـ يـحـكـمـوـنـ * وـخـلـقـ اللـهـ السـمـاءـاتـ وـالـأـرـضـ

بـالـحـلـقـ وـلـثـجـزـىـ كـلـ نـفـسـ بـمـاـ كـسـبـتـ وـهـمـ لـاـ يـظـلـمـوـنـ} [الـجـاثـيـةـ: 21-22].

أشعار الإنسان بحقارة الدنيا:

إنـ بـعـضـ الشـرـورـ ضـرـوريـ لـتـبـيـهـ الـإـنـسـانـ إـلـىـ حـقـيقـةـ هـذـهـ الـدـنـيـاـ؛ إـذـ تـرـدـهـاـ إـلـىـ حـجـمـهاـ الـأـوـلـ الضـئـيلـ وـتـرـفـعـ عنـ

وـجـهـهـاـ الـاهـتـ الـبـهـرـ الرـخـيـصـ.

قـالـ تـعـالـىـ: {أـعـلـمـوـاـ أـنـمـاـ الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ لـعـبـ وـلـهـوـ وـزـيـنـةـ وـتـفـاـخـرـ بـيـنـكـمـ وـتـكـاثـرـ فـيـ الـأـمـوـالـ وـالـأـوـلـادـ كـمـثـلـ عـيـنـ أـعـجـبـ

الـكـفـارـ تـبـأـثـهـ ثـمـ يـهـيـجـ فـتـرـاهـ مـصـفـرـاـ ثـمـ يـكـوـنـ حـطـامـاـ وـفـيـ الـأـخـرـةـ عـدـابـ شـدـيـدـ وـمـغـفـرـةـ مـنـ اللـهـ وـرـضـوـانـ وـمـاـ الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ إـلـاـ

مـتـاعـ الـغـرـورـ} [الـحـدـيدـ: 20].

قـالـ صـاحـبـ الـظـلـالـ: "وـالـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ حـيـنـ تـقـاسـ بـمـقـايـيسـهـاـ هـيـ وـتـوزـنـ بـمـواـزـيـنـهـاـ تـبـدوـ فـيـ الـعـيـنـ وـفـيـ الـحـسـ أـمـاـ

عـظـيمـاـ هـائـلـاـ، وـلـكـنـهـاـ حـيـنـ تـقـاسـ بـمـقـايـيسـ الـوـجـودـ، وـتـوزـنـ بـمـيـزـانـ الـآـخـرـةـ، تـبـدوـ شـيـئـاـ زـهـيـداـ تـافـهـاـ، وـهـيـ هـنـاـ فـيـ

هـذـاـ التـصـوـيـرـ تـبـدوـ لـعـبـةـ أـطـفـالـ بـالـقـيـاسـ إـلـىـ مـاـ فـيـ الـآـخـرـةـ مـنـ جـدـ تـنـتـهـيـ إـلـيـهـ مـصـائـرـ أـهـلـهـاـ بـعـدـ لـعـبـةـ الـحـيـاةـ!ـ،

وـالـكـفـارـ هـنـاـ هـمـ الزـارـعـ، فـالـكـافـرـ فـيـ الـلـغـةـ هـوـ الزـارـعـ، يـكـفـرـ: أـيـ يـحـجـبـ الـحـبـةـ وـيـغـطـمـهـاـ فـيـ التـرـابـ، وـلـكـنـ اـخـتـيـارـهـ هـنـاـ

فـيـهـ تـوـرـيـةـ وـإـلـمـاعـ إـلـىـ إـعـجـابـ الـكـفـارـ بـالـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ (ثـمـ يـهـيـجـ فـتـرـاهـ مـصـفـرـاـ) لـلـحـصـارـ، فـهـوـ مـوقـوتـ الـأـجلـ، يـنـتـهـيـ

عـاجـلاـ، وـيـبـلـغـ أـجـلـهـ قـرـيبـاـ (ثـمـ يـكـوـنـ حـطـامـاـ).. وـيـنـتـهـيـ شـرـيطـ الـحـيـاةـ كـلـهـاـ بـهـذـهـ الصـورـةـ الـمـتـحـرـكـةـ الـمـأـخـوذـةـ مـنـ

مـشـاهـدـاتـ الـبـشـرـ الـمـأـلـوـفـةـ.. يـنـتـهـيـ بـمـسـهـدـ الـحـطـامـ!

فـأـمـاـ الـآـخـرـةـ فـلـهـاـ شـأـنـ غـيـرـ هـذـاـ الشـأـنـ، شـأـنـ يـسـتـحـقـ أـنـ يـحـسـبـ حـسـابـهـ، وـيـنـظـرـ إـلـيـهـ، وـيـسـتـعـدـ لـهـ (وـفـيـ الـآـخـرـةـ

عـدـابـ شـدـيـدـ وـمـغـفـرـةـ مـنـ اللـهـ وـرـضـوـانـ).. وـهـيـ لـاـ تـنـتـهـيـ إـلـىـ حـطـامـ كـذـلـكـ النـباتـ الـبـالـغـ أـجـلـهـ.. إـنـهـاـ حـسـابـ وـجـزـاءـ..

وـدـاـوـمـ.. يـسـتـحـقـ الـاهـتـمـامـ!ـ (وـمـاـ الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ إـلـاـ مـتـاعـ الـغـرـورـ)ـ فـمـاـ لـهـذـاـ مـتـاعـ حـقـيقـةـ ذـاتـيـةـ، إـنـمـاـ يـسـتـمـدـ قـوـامـهـ

مـنـ الغـرـورـ الـخـادـعـ؛ كـمـاـ أـنـهـ يـلـيـ وـيـنـسـيـ؛ فـيـنـتـهـيـ إـلـىـ غـرـورـ خـادـعـ.

وـهـيـ حـقـيقـةـ حـيـنـ يـتـعـقـمـ الـقـلـبـ فـيـ طـلـبـ الـحـقـيقـةـ. حـقـيقـةـ لـاـ يـقـصـدـ بـهـاـ الـقـرـآنـ الـعـزـلـةـ عـنـ حـيـاةـ الـأـرـضـ، لـاـ إـهـمـالـ

عـمـارـتـهـاـ وـخـلـافـتـهـاـ الـتـيـ نـاطـهـاـ بـهـذـاـ الـكـائـنـ الـبـشـريـ. إـنـمـاـ يـقـصـدـ بـهـاـ تـصـحـيـحـ الـمـقـايـيسـ الـشـعـورـيـةـ وـالـقـيـمـ الـنـفـسـيـةـ،

وـالـاستـعـلـاءـ عـلـىـ غـرـورـ الـمـتـاعـ الـزـائـلـ وـجـاذـيـتـهـ الـمـقـيـدـةـ بـالـأـرـضـ.

هـذـاـ الـاستـعـلـاءـ الـذـيـ كـانـ الـمـخـاطـبـوـنـ بـهـذـهـ السـوـرةـ فـيـ حـاجـةـ إـلـيـهـ؛ لـيـحـقـقـوـاـ إـيمـانـهـمـ، وـالـذـيـ يـحـتـاجـ إـلـيـهـ كـلـ مـؤـمنـ

بعقيدة؛ ليحقق عقيدته، ولو اقتضى تحقيقها أن يضحي بهذه الحياة الدنيا جميـعاً".⁽⁶³⁵⁾

مشكلة الشر المجاني:

لقد أصبح جل الناس في الغرب على قناعة أنه لا تعارض بين وجود الله ووجود الشر، ولذلك عَدَلَ كثير من أعلام الدعوة الإلحادية طرفهم من مجرد الاعتراض بوجود الشر إلى (شُبْهَةِ عَبَيْثَةِ الشَّرِّ) التي يُعَيِّرُونَ عنها بـ"مجانية الألم"؛ أي: الأذى الذي لا يخدم هدفـاً.

وما يستخلص من هذا التقهقر هو أن وجود الشر في ذاته ليس مشكلاً؛ فهو لا يتعارض مع علم الله وقدرته ورحمته، وإنما المعارض لكمال الله - بزعمهم - هو الشر المجاني.

ويمثل الشر المجاني، أو الشر الذي لا هدف من ورائه، وغير ذلك من التسميات، تعبيـراً عن أقصى ما بلـغه فلاـسفة الإلحاد في الانتصار لـعالـم بلا إله رحيم.. وظاهر هذا الاعتراض البساطـة وباطـنه من قبلـه التشـعب والغمـوض.

وـ"الـشرـ المـجـانـيـ" في تعـريف (ولـيـامـ روـ) هوـ الشرـ الذـيـ لاـ يـقودـ إـلـىـ خـيرـ يـواـزيـهـ أوـ يـربـوـ عـلـيـهـ.

لـمـاـذـاـ لـاـ يـخـبـرـنـاـ اللـهـ بـسـبـبـ كـلـ شـرـ؟

الـسـؤـالـ عنـ عدمـ إـخـبارـ الـربـ لـنـاـ بـالـحـكـمـةـ منـ كـلـ شـرـ يـتـكـرـرـ كـثـيرـاـ عـلـىـ أـلـسـنـةـ الـمـتـشـكـكـينـ،ـ وـهـوـ تـعـبـيرـ عـنـ حـاجـةـ نـفـسـيـةـ مـتـقـدـدةـ وـلـيـسـ ثـمـرـةـ ضـرـورـةـ عـقـلـيـةـ،ـ إـنـهـ تـعـبـيرـ عـنـ رـغـبـةـ الـمـبـتـلـيـ فـيـ مـسـكـنـ لـأـلـمـهـ،ـ وـرـجـاءـ بـعـدـ وـجـعـهـ،ـ وـفـرـجـ بـعـدـ كـرـبـهـ..ـ وـلـيـسـ الـعـقـلـ مـضـطـرـاـ إـلـىـ طـرـحـهـ؛ـ بـلـ الـعـقـلـ يـقـضـيـ أـنـهـ سـؤـالـ بـلـ مـعـنـىـ،ـ لـسـبـيـنـ:

أولاً: قد أخبرنا الله أنـ الشرـ فـتـنـةـ وـاخـتـبـارـ فـيـ رـحـلـةـ الـحـيـاـةـ،ـ عـلـىـ وـجـهـ الـعـمـومـ،ـ فـلـيـسـ فـيـ الـحـيـاـةـ شـيـءـ مـنـ الـعـبـثـ الـقـدـريـ،ـ كـمـاـ أـنـ مـاـ يـظـنـهـ الـمـرـءـ شـرـاـ هـوـ خـيرـ لـهـ فـيـ الـدـنـيـاـ.

ثانياً: عندـ التـفـصـيلـ،ـ يـفـقـدـ الـشـرـ خـيرـيـتـهـ إـذـ كـانـ كـلـ شـرـ يـنـزـلـ بـالـإـنـسـانـ تـنـزـلـ مـعـهـ وـثـيقـةـ تـشـرحـ سـبـبـهـ وـتـرـفـعـ غـمـوضـهـ وـتـبـيـنـ مـآلـهـ.

عـلـىـ هـذـهـ الصـورـةـ،ـ يـفـقـدـ الـشـرـ الـكـثـيرـ مـنـ الـحـكـمـةـ الـتـيـ وـرـاءـهـ،ـ لـتـتـحـولـ الـحـيـاـةـ إـلـىـ دـبـيـبـ مـيـكـانـيـكـيـ مـمـلـ،ـ يـعـرـفـ الـمـرـءـ فـيـ أـوـلـهـ مـآلـهـ،ـ فـلـاـ مـقـامـ أـوـ مـعـنـىـ فـيـهـ لـلـاخـتـبـارـ الـإـلـهـيـ الـذـيـ يـعـقـبـهـ جـزـاءـ الـجـنـةـ أـوـ عـذـابـ النـارـ.

"وهـذاـ هـوـ الـمعـنـىـ فـيـ الـابـلـاءـ...ـ إـنـ الـكـلـ لـوـ كـانـ ظـاهـرـاـ جـلـيـاـ بـطـلـ مـعـنـىـ الـامـتـحـانـ وـنـيـلـ الـثـوابـ بـالـجـهـدـ فـيـ الـطـلـبـ،ـ وـلـوـ كـانـ الـكـلـ مـشـكـلـاـ خـفـيـاـ لـمـ يـعـلـمـ شـيـءـ حـقـيقـةـ،ـ فـجـعـلـ بـعـضـ الـأـمـورـ جـلـيـاـ ظـاهـرـاـ،ـ وـبـعـضـهـاـ خـفـيـاـ لـيـتـوـسـلـ بـالـجـلـيـ

إـلـىـ مـعـرـفـةـ الـخـفـيـ بـالـاجـتـهـادـ وـإـتـعـابـ الـنـفـسـ وـإـعـمـالـ الـفـكـرـ،ـ فـيـتـبـيـنـ الـمـجـدـ مـنـ الـمـقـصـرـ وـالـمـجـهـدـ مـنـ الـمـفـرـطـ،ـ فـيـكـونـ ثـوـابـهـ بـقـدـرـ اـجـتـهـادـهـ وـمـرـاتـبـهـ عـلـىـ قـدـرـ عـلـوـمـهـ...ـ".⁽⁶³⁶⁾

الـتـعـوـيـضـ الـأـخـرـوـيـ:

قد يقولـ مـعـرـضـ:ـ أـنـاـ أـوـافـقـكـمـ أـنـ صـلـاحـ الـكـلـ يـرـبـوـ فـيـ قـيـمـتـهـ عـلـىـ السـمـاـحـ لـبـعـضـ الـشـرـ أـنـ يـوـجـدـ،ـ لـكـنـ ذـلـكـ لـاـ يـلـغـيـ حـقـيقـةـ أـنـ أـبـرـيـاءـ يـقـعـونـ ضـحـيـةـ هـذـاـ الشـرـ؟ـ!".

وجـوابـ ذـلـكـ هـوـ أـنـ اـخـتـالـ الـوـجـودـ الـإـنـسـانـيـ فـيـ هـذـهـ الـحـيـاـةـ الـدـنـيـاـ وـقـطـعـهـ عـنـ كـلـ وـجـودـ آـخـرـ،ـ يـسـبـغـ صـفـةـ الـسـلـبـيـةـ عـلـىـ مـاـ يـؤـذـيـ الـإـنـسـانـ.

إنـ الـحـيـاـةـ الـأـخـرـيـ فـيـ التـصـوـرـ الـإـسـلـامـيـ هـيـ تـتـمـ لـازـمـةـ لـفـصـلـ الـأـوـلـ مـنـ الـوـجـودـ الـبـشـرـيـ فـيـ الـحـيـاـةـ الـدـنـيـاـ،ـ بـلـ هـيـ

(635) سـيدـ قـطـبـ،ـ فـيـ ظـلـالـ الـقـرـآنـ 6/3491.

(636) عـلـاءـ الدـيـنـ الـبـخـارـيـ،ـ كـشـفـ الـأـسـرـارـ عـنـ أـصـوـلـ فـخـرـ الـإـسـلـامـ الـبـزـدـوـيـ.

الحياة الحقة، قال تعالى: {وَمَا هُنَّهُنَّ إِلَّا لَهُوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهُيَ الْحَيْوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 64]، أما دار الدنيا فكالخيال الذي لا حقيقة له، ولما لم يهتم الثيوديسيون الغربيون بأمر الآخرة، إلا قلة قليلة كتشاد مايستر Chad Meister، بقيت نظرتهم إلى الشر عاجزة أن تجمع بين الشر، وبين مفهوم العدل الإلهي المطلق.

إننا نقر للملحد أن الحياة الدنيا كما نعيشها لا تعكس في أوجيه منها العدالة التي نريدها، وننافقه أن الحياة (غير منصفة)، كما يقال في المثل الشعبي الغربي، لكننا لا نردد ذلك إلى أن عالمنا يفتقد إليها حكيمًا، وإنما أصل الخلل هو في قصور رؤية الملحد لمجال حياة الإنسان؛ إذ قصر نظره على حياة الامتحان والمكافحة على هذه الأرض، فرأى إجرام نيرون، وفظاعة هتلر، وشناعة أحداث نكازاكى، وأحزان الأطفال المشهودين، وأوجاع العجائز المشردين، لكنه لم يمد نظره إلى الحياة الأخرى التي تمثل حياة الجزاء حيث تجزى كل نفس بما كسبت، ودار المستقر حيث لا دار بعدها، وهي بقياس الحساب أطول وأعظم من هذه الدنيا الضئيلة بما لا يُقدر بعده؛ إذ كل شيء عدم أو يكاد أمام حياة الأبد.

إن ضيق النظرة والحدود المترابطة لأضلع الوجود الإنساني زمانًا، هي التي جعلت الفيلسوف الملحد (ويليام رو) يرى في محنـة الطفولة (التي اغتصبـها عشيقـ أمـها ثم قـيـامـه بـقـتـلـهـا بـعـدـ ذـلـكـ) شـرـا خـالـصـاـ، لا حـكـمةـ منـ المـكـنـ أنـ تـرـفـعـ عـنـهـ (مجـانـيـتهـ) الظـاهـرـيـةـ.

وهـنـا لا يـجـدـ الـمـسـلـمـ نـفـسـهـ فـيـ مـأـزـقـ؛ لأنـ الـأـطـفـالـ وـإـنـ كـانـوـاـ لـاـ يـتـحـمـلـوـنـ وـزـرـ هـذـاـ إـجـرـامـ وـلـاـ يـفـيـدـهـمـ هـذـاـ نـوـعـ مـنـ الـوـحـشـيـةـ الـمـهـلـكـةـ شـيـئـاـ فـيـ الـدـنـيـاـ، إـلـاـ أـنـنـاـ نـعـلـمـ أـنـهـمـ فـيـ الـآخـرـةـ فـيـ الـجـنـةـ مـتـنـعـمـيـنـ فـيـهـاـ أـبـدـاـ، سـوـاءـ كـانـوـاـ مـنـ أـبـنـاءـ الـمـسـلـمـيـنـ أـمـ مـنـ أـبـنـاءـ الـكـفـارـ⁽⁶³⁷⁾.

فـهـلـ تـقـاسـ مـحـنـةـ دـقـائـقـ أـوـ سـاعـاتـ أـوـ أـيـامـ أـوـ أـشـهـرـ أـوـ سـنـوـاتـ بـنـعـيمـ مـقـيمـ لـاـ تـنـضـبـ حـلـاوـتـهـ وـتـجـدـ نـدـوـاتـهـ؟ـ!ـ

إـنـاـ كـمـسـلـمـيـنـ عـنـدـمـاـ نـقـرـأـ قـوـلـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ: "يـوـدـ أـهـلـ الـعـافـيـةـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ حـيـنـ يـعـطـيـ أـهـلـ الـبـلـاءـ الـثـوـابـ لـوـ أـنـ جـلـوـدـهـمـ كـانـتـ قـرـضـتـ فـيـ الـدـنـيـاـ بـمـقـارـيـضـ"⁽⁶³⁸⁾ـ، نـدـرـلـ أـنـ اـبـلـاءـاتـ الـدـنـيـاـ هـدـرـ إـذـ ذـكـرـ نـعـيمـ الـآخـرـةــ، وـأـنـ مـحـنـةـ هـذـهـ الـطـفـلـةـ لـاـ تـسـاـوـيـ قـطـرـةـ فـيـ بـحـرـ الـنـعـيمـ الـذـيـ يـرـتـقـيـهــ، وـأـنـ اللـهـ يـعـاملـهـاـ بـفـضـلـهـ لـاـ بـعـدـهــ، إـذـ يـدـخـلـهـ الـجـنـةـ الـتـيـ يـتـضـاءـلـ أـمـاـهـاـ كـلـ أـذـىـ دـنـيـوـيــ.

فـإـنـ قـيـلـ اـعـتـراـضـاـ: قـدـ سـلـمـنـاـ أـنـ مـآلـ الـطـفـلـةـ قـدـ رـفـعـ عـنـهـاـ الـظـلـمــ، لـكـنـ ذـلـكـ لـاـ يـثـبـتـ لـوـقـوعـ هـذـهـ الـجـرـيمـةـ حـكـمةــ!

قـلـنـاـ: إـنـ حـقـيقـةـ خـلـقـ اللـهـ إـرـادـةـ فـيـ الـإـنـسـانـ عـلـىـ فـعـلـ الـخـيـرـ وـالـشـرـ ضـمـنـ قـضـيـةـ الـوـجـودـ الـدـنـيـوـيـ حـقـ يـتـنـعـمـ الـمـحـسـنـ وـيـعـدـبـ الـمـسـيـءــ، تـقـتـضـيـ أـلـاـ يـحـدـدـ فـعـلـ الـإـنـسـانـ الـضـالـ بـأـمـورـ لـاـ يـتـعـدـيـ ضـرـرـهـ غـيـرـهــ، إـذـ إـنـ طـبـيعـةـ الـوـجـودـ الـإـنـسـانـيـ فـيـهـاـ مـنـ التـدـاخـلـ وـالتـشـابـكـ مـاـ يـجـعـلـ حـيـاتـنـاـ (أـرـضـ اـمـتـحـانـ وـابـلـاءـ).

وـلـمـ كـانـ الـفـعـلـ الـإـنـسـانـيـ الـشـرـيرـ يـتـعـدـيـ فـيـ غـالـبـ أـمـرـهـ إـلـىـ غـيـرـ فـاعـلـهــ، أـبـقـاهـ اللـهـ سـبـحـانـهـ حـتـىـ يـتـسـلـطـ عـلـىـ إـرـادـةـ غـيـرـهــ، ثـمـ يـكـونـ الـقـصـاصـ يـوـمـ الـقـيـامـةــ، أـمـاـ ضـحـيـةـ الـفـعـلـ الـشـرـيرــ؛ فـإـنـ رـحـمـةـ اللـهـ سـبـحـانـهـ تـنـالـهـ فـيـ الـآخـرـةــ يـقـيـنـاــ، وـفـيـ الـدـنـيـاـ غـالـبـاــ؛ مـمـاـ يـرـفـعـ عـنـهـ مـظـلـمـتـهــ.

إـنـاـ لـنـ نـفـهـمـ الـشـرـ وـالـحـكـمةـ مـنـهـ إـنـ أـصـرـنـاـ عـلـىـ النـظـرـ إـلـىـ الـدـنـيـاـ كـقـصـةـ تـنـتـيـ عـنـ حـافـةـ الـقـبـرـ دونـ أـنـ نـجـعـلـهـاـ فـصـلـاـ أـوـلـ فـيـ قـصـةـ أـطـولـ لـاـ تـنـتـيـ أـبـدـاــ، بـلـ تـتـوـالـ أـيـامـهـاـ بـلـ اـنـتـهـاءــ.

(637) القول إن أبناء الكفار في الجنة، هو مذهب جمهور العلماء، كما نقله ابن حزم.

(638) رواه الترمذى، وحسنه الألبانى وعبد القادر الأرناؤوط.

لماذا لم يخلق الله عالماً من الطيبين فقط؟

يتذكر على لسان المعترضين تساؤل مهم، وهو: لم يخلق الله عالماً خالياً من الشر، البشر فيه أحرار، لكنهم لا يأتون الشر، وإنما يتزمون العمل الصالح، وينأون عن الشرور والمفاسد؟

والجواب هو في قوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَوْنَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كِلَمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [هود: 118-119].

قال ابن عاشور في تفسيره: "وأما تعقيبه بقوله: (ولذلك خلقهم) فهو تأكيد بمضمون (ولا يرألون مختلفين)، والإشارة إلى الاختلاف المأمور من قوله (مختلفين)، واللام للتعليل؛ لأنه لما خلقهم على جبلة قاضية باختلاف الآراء والتزاعات وكان مریداً لمقتضى تلك الجبلة وعالماً به... كان الاختلاف علة غائية لخلقهم، والعلة الغائية لا يلزمها القصر عليها بل يكفي أنها غاية الفعل".⁽⁶³⁹⁾

فالله سبحانه قد خلق الناس بقدرات وملكات تقتضي ألا يكونوا كلهم مصيبيين وألا يكونوا كلهم مخطئين؛ فقد رکز في فطريهم معرفة الحق، ثم أسلمهم إلى ما يختارون من حق وباطل؛ ولذلك ظهر الفساد والكفر وهو أقصى الشر من فريق منهم.

فليس في حساب الله سبحانه أن يخلق عالماً بلا شر، وإنما اختار لخلقهم هذه الطبيعة في هذا العالم؛ لأنه يريد ذلك، ف(الحكمة) التي أقيم عليها نظام هذا العالم اقتضت أن يكون نظام عقول البشر قابلاً للتطوح بهم في مسلك الضلال أو في مسلك الهدى على مبلغ استقامة التفكير والنظر، والسلامة من حجب الضلاله".⁽⁶⁴⁰⁾

لماذا لا يكون هناك عالم من غير ألم؟

يقول العقاد معقباً على معترض يقول: "...أليس خلق اللذة أولى برحمة الإله الرحيم من خلق الألم كيف كان وكيف كان موقعه من التكافل بينه وبين اللذات؟".

ليس الشر مشكلة كونية ولا مشكلة عقلية إذا أردنا بالمشكلة أنها شيء متناقض عصيٌ على الفهم والإدراك، ولكنه في حقيقته مشكلة الهوى الإنساني الذي يرفض الألم ويتمني أن يكون شعوره بالسرور غالباً على طبائع الأمور.

وإذا كانت في هذا الوجود حكمته التي تطابق كل حالة من حالاته؛ فلا بد من حكمٍ فيه تطابق طبيعة ذلك الشعور، ولا نعلم من حكمٍ تطابق طبيعة ذلك الشعور، غير الدين..".⁽⁶⁴¹⁾

ماذا لو كانت الطبيعة غير مؤذية؟

إن طلب عالم لا تفعل فيه الطبيعة فعلها العفو، هو طلب وجود عالم آخر غير عالمنا.. عالم كامل رغم أن من لوازم العالم المخلوق ألا يكون كاملاً.. وهو عالم لا يتواافق مع الحكمة من خلق الإنسان، فهو يرفض الوجود الإنساني الحالي برمته، طلباً لوجود آخر؛ فإن وجودنا في هذه الأرض لا يستقيم على الصورة المطلوبة بغير ما يبدو من شر في بعضه.

ما العالم بلا موت؟ هل تطبيق أنفسنا أن نحيا على الأرض بلا نهاية؟ ولم نعيش بلا خاتمة؟ هل يوجد أي شيء في

(639) محمد الطاهر ابن عاشور / التحرير والتنوير 12/189-190.

(640) محمد الطاهر ابن عاشور / التحرير والتنوير 12/187.

(641) عباس العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، ص 11-8.

أرضنا يرضى أن نعيش معه أبداً؟ إن كل شيء فينا ومن حولنا يصرخ أن وجودنا يجب أن يكون محدوداً في هذه الأرض؛ لأن أبديتنا لا تؤول إلا إلى فساد نفوسنا وعقلتنا وبيلتنا، وهذا في أمر شر واحد، وهو الموت، فكيف نملك أن ننزع من الكون كل شر مادي لتحقق الحكمة الكبرى؟!

عالمنا وعالم الملحد:

يقول الله تعالى: {وَلَوِ اتَّبَعَ الْحُقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنِ ذِكْرِهِمْ مُغْرِضُونَ} [المؤمنون: 71].

إذا كان الملحد لا يرضى بغير عالمه الوردي الذي صنعه خياله وتفيأ ظلاله، حتى يستقيم في العقل وجود خالق علیم قدیر خیر، فإننا سنطلق لخيالنا مع خياله العنان، وننتقل جمیعاً إلى عالمه؛ لتتبين إن كان حقاً هو أفضل من عالمنا "المستبشر".

ولنا أن نتسائل وننحن نسير إلى عالم الملحد البريء من الفساد:

- هل بلغ عالم الملحد صورة الكمال التي ينفي فيها وجود الإله؟
- هل أخرج الاعتراض الإلحادي الملحد من مشكلة الشر أم أنه قاده إلى شر مما يحاذه؟
- هل يمكن للقلب أن يعاند إذا برأء من الأهواء؟

إن العالم الذي يفترضه الملحد هو عالم غير كامل على الحقيقة؛ لأنه عالم فقد فيه الإنسان أهم خصيصة، وهي حرية الإرادة، فهو عالم جبلي لا يعود فيه قدر الإنسان ريشة تحركها الرياح أين شاءت وأنى شاءت، وإن شئت قل: إن الإنسان في هذا العالم مجرد دمية تُصنع على مقاس واحد وتتحرك على سكّةٍ إلى اتجاه واحد، كل ما فيها فاقد للسلطان الذاتي، حتى مشاعر الفرح والأمل والرجاء ليست إلا انطباعات ميكانيكية على القلب أو الوجه.

إن (المدينة الفاضلة) للملحد هي عالم بلا فرح؛ لأنها بلا حزن، وهي عالم بلا نجاح؛ لأنها عالم بلا فشل؛ إذ يدرك الإنسان منذ بداية فعله أنه سائر إلى الفوز دون ريب؛ فيفقد بذلك لذة الفرح بانتصاره على فرصة الفشل، وهو عالم لا يستشعر فيه الإنسان معنى الصحة والعافية؛ لأنه لا يعلم أن هناك مرضًا وأذى، هو ببساطة عالم ميت بلا حركة عاطفة، ولا حركة إرادة، عالم بلا أمل، وبلا شوق، وبلا هدف؛ لأنه عالم بلا فشل وبلا طموح؛ فكل ما يريد الإنسان يحصله في حينه، ومن عجب أن مثل هذا العالم (بصورة مادية مصغرة) قد قاد أصحابه إلى الانتحار في دنيانا بعد أن شعروا أن حياتهم بلا أمل، سواء في عالم الآثرياء الذين جربوا كل المتع واللذات، حتى الشاذ منها، وكذلك كبار السن الذين يتقادرون عن العمل، ويأتهم رزقهم رغداً؛ إذ يستشعرون أن حياتهم بلا معنى؛ لأنها بلا كد، وبلا خوف، ولا شوق.

وماذا بعد الموت؟

أن يسأل الإنسان نفسه، وهو جالس في بيته بين أهله يأكل طعاماً لذيذاً أو يشاهد برنامجاً مسليناً، أو يستلقي مرتاحاً على سريره الدافئ، أو يتبادل الحوار الشيق مع أصدقائه في ناد أو مقهى.. ومن حولهم تتمضض حركة الحياة الدائمة عن الأمل والبلادة والمتعة والنسيان.. ليس كمن يسأل نفسه، وهو يلتفت فجأة في أعماق الظلم، إلى قبر جديد، وحيد، نبت قبل دقائق في قلب الصحراء، وغادره أقرب أصدقائه وأشد محببه..

ترى.. لو أن ديناً من السماء لم ينزل.. ودخل في عقول الناس، على مدار التاريخ، خرافية الملحدين والعدميين، من

أنه لا حياة بعد هذه الحياة، لا بعثاً ولا حساباً ولا جزاء.. وأن نهاية الإنسان المطلقة تجيء عندما يسكت قلبه عن الخفقان ويُوارى التراب، لكن ما يلبت أن يأكله الدود، ويتحول بعد قليل إلى تراب يستعد لاستقبال الحفنات الجديدة من التراب الذي لا يكفي عن الانقطاع !!

لو حدث وأن تتحقق هذا، ماذا سيكون شعور الإنسان، وهو يقف في المقبرة يشهد دفن صديق أو قريب! ماذا سيكون شعوره، وهو يلتفت بعد دقائق إلى الجثة المواردة وقد خنقها التراب، وترك وحدها في الصحراء! إن أي مسلم لا يستطيع بفطرته وبدهاته ويقينه وإيمانه أن يتصور موقفاً عدمياً كهذا، إنه بمجرد تصوّره يحس بالاختناق، ويستنفر كل طاقاته النفسية للخلاص من المأذق واستنشاق الهواء الصافي النقي.. إنه لا يفرق أبداً بين كابوس لا يرحم يدهمه في المنام، وبين إحساس عدمي قاتم يمر بخاطره في المقبرة!!

والأكثر من هذا أنَّ المسلم يستمد من موقف الفراق ثقةً أكبر بعقيدته التي منحته الأمل الكبير بالبعث والنشور والحساب، وبدينه الذي علمه دائمًا أنَّ الموت ليس سوى نقلة إلى دار أخرى غير هذه الدار وإلى حياة أخرى غير هذه الحياة.. ويتملكه إحساس عميق بالرثاء والاحتقار لكل أولئك الذين سعوا إلى تزييف الحياة وبترها باعتقادهم أنَّ الإنسان يحيا مرة واحدة فحسب ثم يأكله الدود ويلفه التراب، ولا شيء وراء ذلك.. وما أكثر الذين ذهبوا إلى المقابر لتشييع صديق أو قريب، وهم لا يملكون إيماناً ولا يقيناً، وإذا بنازلة الموت وبمشهد حصر الميت بين جدران الحفرة الأربع، وإهالة التراب عليه، تحرك أفئتهم الميتة، وتهز عقولهم الكسولة، وتغسل عن نفوسهم الصدئة ما علق بها من رين وغبار... فيغادرون المكان وهم أشد إيماناً وأعمق يقيناً..

وفرقُ وأي فرق بين إنسان مؤمن يرجع من المقبرة وهو يحمل أملاً كبيراً، وبين إنسان ملحد يخنقه المشهد المحزن ويزيده كآبة وضياعاً..

ثم ماذا عن العدل النهائي المطلق! لقد اغتيل أربعة من الأبرياء، وليس بمستبعد أن يفلت القاتل من طائلة القصاص...
وما قيمة الحياة... وما قيمة الإنسان نفسه لو ترك مصيره هكذا معلقاً على عدل أرضي لا يملك - في معظم الأحيان - الأداة المضمونة لتحققه ونفاذها؟!

إن الإسلام، ذلك الدين القيم يمنحك الجواب في كلتا الحالتين.. ولو لم يكن الدين سوى هذا الجواب لكان في ذلك وحده الدافع الأكبر للتزامه، ومعايشته، وتعشقه، والتثبت به حتى آخر لحظة من حياتنا التي يعلمنا الإيمان أنها لن تنقطع، ولن تزول، ولن يضيع حق من حقوقها بالصدفة أو العبث أو الفوضى...

جربوا بأنفسكم ذلك.. اختبروا صدقه.. ليس في بيتكم ونواديكم ولكن في المقابر.. التفتوا إليها بعد دقائق من مغادرتكم المكان: وحيدة.. مهملة.. منقطعة في الصحراء.. أمن الممكن أن تكون هذه هي نهاية الإنسان؟⁽⁶⁴²⁾
وأخيراً، إن البحث عن جواب للتساؤل عن مشكلة الشر نابع من الحقيقة من إيجابية الإيمان بإله، والإحساس العميق بغاية كل ما يحيط بنا، إن سؤال الشر هو طلب لإكمال تناسق الصورة الكبرى للوجود، وليس في حقيقته كشفاً للاغائية Purposeless والوجود.

إن الحديث عن قيمة العدل في عالم لاغائي هو عين الهراء واللغو؛ لأنه أشبه بالبحث عن الحياة في الموت،

(642) عماد الدين خليل، آفاق قرانية.

والحركة في السكون، والوجود في العدم.

ولذلك فإنَّ الإلحاد انتحار عقلي مغرور، وسقوط لنج في طريق يقود إلى اللا نتيجة، إذ هو جواب صارخ بالصمت، يغتال بضميره لعفة المعرفة العطشى على لسان النفس التائقة إلى حقيقة الحقيقة.

وصدق النورسي إذ قال: إن في الوحدانية سهولةً ويسراً بدرجة الوجوب، وفي الإلحاد صعوبةً ومشكلات بدرجة الامتناع".⁽⁶⁴³⁾

عصارة المقال، هي:

أنَّ هذا الكون بشروره، على تعدد أنواعها ودرجاتها، هو ما يتوقعه المؤمن بإله قادر، عليم، رحيم، خلق الإنسان على الصورة التي جاء بها القرآن، وللحكَم التي أوردها القرآن، وللغَيَاتِ أوردها القرآن، ولذلك لا يجد المسلم نفسه في مأزق تصوري للألوهية ولا لمعاني الحياة.

(643) النورسي، شاعات، الشعاع الثاني، نسخة الكترونية.

الرد على شبهة: (تقدُّم الدول العلمانية وتخلُّف البلدان المسلمة)

كثيراً ما يُضُربُ لنا العلماني المثلَ بالدول العلمانية الأوروبية على أنها النموذج الفريد الذي يجب أن يُحتذى به لأجل الوصول إلى وصل إليه من تقدِّمٍ ورُغْدٍ في العيش، في حين أنه يغضُّ الطرف عن الدول العلمانية الأخرى بإفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا وشرق أوروبا والتي لم تنفعها علمانيتها في الخروج من بوتقة التخلف القابعة فيه منذ سنين، ومن أمثلتها: (بُستوانا/ ناميبيا/ جامبيا/ موريشيوس/ السنغال) وغيرها من الدول التي تعتمد في دستورها وحُكمها على العلمانية.

وكذلك (ليبيريا) تلك الدولة التي تُدار وفق النظام العلماني الأمريكي مباشرةً، ومع ذلك فهي من أكثر الدول تخلُّفًا وفقًا، فضلًا عن تدهور منظومتها التعليمية بشكلٍ مخزيٍّ وفاضحٍ.

هكذا يتضح لنا أنه لا علاقة بين العلمانية وبين التقدُّم؛ فأغلب القرارات بها العديد من الدول العلمانية التي تندرج تحت مسمى دول العالم الثالث، منها (الدول الآسيوية) باستثناء: الصين واليابان وماليزيا وإندونيسيا وكوريا الجنوبية وسنغافورة...

وأيضاً: دول أمريكا اللاتينية الوسطى، مثل: بليز، وبنما، وغواتيمالا، ونيكاراغوا، وهندوراس، والسلفادور، وكوستاريكا وفنزويلا والخ.

ومنها أيضاً (الدول الإفريقية العلمانية) باستثناء دولة جنوب إفريقيا.

ومن دول أوروبا: (قبرص ومالطا)، (دولة اليونان): المتهارة اقتصادياً، ودول شرق أوروبا؛ فكلها تصنف من دول العالم الثالث.

أما بشأن الهجرة ونزوح العرب للغرب، فالسبب الرئيس لذلك هو الهروب من شبح البطالة، ومحاولة البحث عن طرق لتحسين الأحوال المعيشية.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا:

لماذا لا ينزع المهاجرون إلى أنغولا أو الهندوراس أو ليبيريا أو أرمينيا أو اليونان وبلغاريا وأوكرانيا أو السنغال أو الكونغو الديمقراطية أو بوليفيا أو نيجيريا أو تشاد أو بوركينافاسو أو المكسيك أو سلفادور وكوبا وفنزويلا مثلاً؟ ولماذا يهاجر الطفان الغربي والأوسيطي إلى دول الخليج؟! هل لأن نظام الحكم فيه إسلامي نوعاً ما؟! أم بسبب فشل الأنظمة العلمانية؟! أم بسبب إرتفاع مستوى الدخل والموارد والثروات الاقتصادية؟!

ما هي الدول العلمانية المتقدمة؟

هناك العديد من الدول تُصنَّفُ على أنها دولًا متقدمةً، وهي كما يلي: الولايات المتحدة الأمريكية، اليابان، كندا، أستراليا، ومعظم دول أوروبا الغربية.. وقد استمدت هذه الدول شهرتها تلك؛ لكونها متطرفة في المجال الصناعي. ولكن ما هي الكيفية التي كانت سبباً في تقدم تلك الدول؟

أمريكا على سبيل المثال؛ تعتمد في تقدمها على العلماء المهاجرين، حيث يوجد لديها 15 عالم عربي مسلم - بغض النظر عن توجهاتهم - بوكالة ناسا؛ ولذلك لن تستغرب الآن إذا علمت أن مكتشفي لقاح كورونا هم العلماء المسلمين.

وكذلك كندا؛ فإنها تعتمد بالدرجة الأولى على المهاجرين.

أما فرنسا؛ فهي مجرد عضو في الاتحاد الأوروبي، وليس دولة صناعية، بل هي دولة متخلفة، ظالمة تعتمد في اقتصادها على نهب واستغلال ثروات إفريقيا منذ عشرات السنين وحتى يومنا هذا.

الغرب مجرد حضارة لصوص

يقول الصحفي البلجيكي (ميشيل كولون) في كتابه (الغرب مجرد حضارة لصوص): "إن أصبحت إسبانيا وفرنسا ثريتان في القرن 17، فذلك لسرقةهما ذهب وفضة أمريكا اللاتينية، وذبح الهنود. وإن أصبحت فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة في هذا الثراء الفاحش، فذلك بفضل العبودية وسرقة البشر من إفريقيا دون أي مقابل.

وكذلك بلجيكا وهولندا ثريتان جدًا منذ القرن 19، بسرقة المواد الخام من إفريقيا وأسيا على مدى 5 قرون قام الغرب بهب ثروات العالم الثالث، دون أثمانها يمكننا رسم جداول لكل بلدان إفريقيا الفقيرة ونوضح من هبها! وكيف باختصار نحن لصوص؟! ولهذا صرنا دولاً ثرية على حساب الآخرين".⁽⁶⁴⁴⁾

ويقول النائب السابق والسياسي الألماني (يورجن تودنهوفر) على حسابه بالفيسبوك: "هذه ليست حرّيّة ضد الإرهاب الإسلامي" كما يحاول ساستنا إقناع الناخبيين، لكنها حرب استعمارية قدرة من أجل المصالح الفرنسية: اليورانيوم والنفط والذهب"، ويقول أيضًا: "لا علاقة لنا مع حرب فرنسا اللاأخلاقية؛ لذلك أيمها المستشارُ أخرج من مالي؛ فحرّوبنا أيضًا قدرة".

اذن ما هو سبب تقدم هذه وتخلف تلك؟

السبب الرئيسي في تقدمها هو الإهتمام بالجانب العلمي وتوفير ميزانيات للبحث وتهيئة البيئة العلمية ولا شأن للنظام كما أسلفنا ومن بين النقاط التي يخفِّها العلماني خلال كلامه عن الغرب خوفاً وهلعاً وتعصباً: 1- أن العلماني المسكين لا يحكى لنا وقائع تاريخ الاحتلال الغربي وتاريخ استغلالاته وسَطْوه على شعوب العالم، والذي لو لا هذا الاحتلال لما قامت له قائمة، ولعل هذا شاهد على ما قال به (سامويل هنتنجرتون) حين قال: "لقد ظَفَرَ الغرب بالعالم ليس بفضل تفوق أفكاره أو قيمه أو دينه الذي تحول إليه عدد قليل من الحضارات الأخرى، وإنما بالأحرى بسبب تفوقه في تطبيق العنف المنظم، وكثيراً ما ينسى الغربيون تلك الحقيقة ولكن غير الغربيين لا ينسوها".⁽⁶⁴⁵⁾

2- أن المتعلمين الملحد المسكين لا يُحدثنا عن الأرقام القياسية التي وصل إليها العالم الغربي فيما يخص الجرائم المختلفة، كالسرقة والاغتصاب والقتل والتحرش، وكذلك الأمراض النفسية والعصبية والعقلية ومعدلات الانتحار التي يعاني منها الغرب حالياً.

3- أن العلماني المسكين لا يُكلمنا عن كيف تتحكم البنوك الغربية الكبرى (صندوق النقد، البنك الدولي...) في تدمير اقتصاد الشعوب الأخرى خصوصاً دول شرق آسيا.

4- أن العلماني المسكين لا يحكى لنا عن أساس النهضة الأوروبية التي تتعلق بالحضارة الإسلامية ولو لاها لما وجد هذا العلماني أصلاً؛ فهو ينسى أو يتناسى فضل الأندلس على البشرية حينما كانت تعيش تحت مظلة الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي، في الوقت الذي كانت أوروبا تلک تعيش في عصور الظلام.

(644) الغرب مجرد حضارة لصوص، الصحفي البلجيكي ميشيل كولون.

(645) صدام الحضارات، سامويل هنتنجرتون، ص 51

5- أن العلماني المسكين لا يحدثنا عن قمع الحريات في الدول الغربية باستعمال الخط الأحمر "معاداة السامية" و "هجمات 11 سبتمبر" و "إنكار الهولوكوست" ولا يحدثنا عن إقصاء العلماء عند محاولة نقدمهم الشذوذ أو عند محاولة تدريس التصميم الذي ونقد الداروينية.

6- أن العلماني المسكين لا يريد أن يحكي لنا قصة الحربين العالميتين (الأولى والثانية) واللتان حصلت بين دول "علمانية" في مواجهة دول "علمانية" أخرى.

8- أن العلماني المسكين لا يريد أن يتكلم لنا عن الأيديولوجيات الكفرية الإجرامية: الفاشية الإيطالية، النازية الألمانية، الاستالينية بالاتحاد السوفيتي... والتي أبادت الشعوب وانتهكت حقوق الإنسان بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، وهي أيدلوجيات علمانية نبتت في أوساط علمانية.

وجوهر ما سبق، أنَّ العلماني مَثُلُ الصبي الصغير الذي يلهو بلعبةٍ، ولا يفقه كيفَ صُنعت؟ ومن أين أنت فكرتها؟

إنَّ ما وصل إليه الغرب الآن من طَفْرَةٍ علميةٍ، وصناعيةٍ، إنما هو ناتجٌ بالأصل عن عقول العلماء المسلمين، الذين هاجروا إليها عندما لفظتهم بلادهم، فقام الغرب باحتضانهم لا لأجلهم ولا تقديرًا لشخصهم، وإنما تحقيقًا لمآربه ومصالحه، حيث هيأ لهم البيئة العلمية والإمكانيات المادية للمختبرات، والدليل على ذلك هو بصمة المسلمين الظاهرة بالإكتشافات العلمية والكثير من الإختراعات، في حين تجد ملحد ك(ستيفن هوكينج) يشكك بوجود الله، محاولاً إنكار السببية بشقي الطرق، وإذا بحثنا وراء ذاك الملحد لنعرف ماذا قدم للبشرية، وجدنا أنه لم يقدم شيئاً ذا أثر أو نفع، في الوقت الذي تجد فيه دكتور مسلم يكتشف علاجاً لمرض التصلب الجانبي، والذي يعاني منه ذاك الهوكينج، حيث توصل دكتور (تيبو المسلم) بعد فضل الله وتوفيقه له استطاع أن يحدد سبب هذا المرض لِتُفتح أمامه أفاقاً جديداً بعد محاولات من البحث دامت ثلاثون عام، ليحقق بذلك أكبر اكتشافٍ علمي في هذا الجانب. ولذلك: أيهما في نظركم قد أفاد البشرية أكثر: ذاك الملحد خالي الوفاض، خاوي اليدين؟ أم دكتور تيبو الذي قدم للبشرية ما لم يسبقها إليه أحد؟

نعود مرة أخرى لنقول إنَّ تهيئة البيئة العلمية والأسباب المادية كانت السبب الحقيقي في صعود تلك الدول المسماة متقدمة، في حين أنَّ الأمر على النقيض تماماً بالدول العربية الفقيرة، والتي لا تستطيع توفير ميزانيات هائلة لمختبراتها العلمية، ولا تُولي من الأساس اهتماماً بالعلم التجريبي ولا بالعلماء أنفسهم.

ومن المؤسف القول إنَّ الدول العربية كلَّها بلا استثناء اليوم هي دول علمانية جزئية، فمنذ 70 عاماً تقريباً، لا توجد دولة عربية إسلامية واحدة تطبق الشريعة، ولذلك نريد من كل منصف أن يجيب عن أسئلتنا هذه: ماذا أنتجت لنا العلمانية طوال الـ 70 عاماً الماضية؟! وماذا أفرزت لنا الحلول الغربية المستوردة والتبعية والتقليل الأعمى لهم؟!

لقد بدأت العلمانية في العالم الإسلامي كأفكار مارقة، ثم تحولت مع مرور الأيام إلى الواقع يملأ حياة المجتمعات الإسلامية، ويشمل مناحي عديدة منها، وأصبح الإسلام في نظر غير قليل من المسلمين في مرتبة الديانة المسيحية في الغرب، من حيث أنه علاقة روحية محصورة في المسجد فحسب، مثلما أصبحت المسيحية محصورة في الكنيسة.

وبعد أن فَقَدَ الإسلام سيطرته على حياة المسلمين السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً حتى انحصرت في طقوس محدودة، وقد تم هذا التطور تدريجياً دونوعي وانتباه من المسلم

العادى، فإلى عهد قريب لم يكن للمسلم اتجاه سياسى يخالف الإسلام، ولا أدب إلا الأدب الإسلامي، ولا أعياد إلا الأعياد الإسلامية، ولم يكن يُنظر إلى العالم الخارجى إلا بمنظار الإسلام، وكان الإسلام هو كل شيء بالقياس إليه، أما الآن فقد حصل تحول شبه كلى فيما يتعلق بموقع الإسلام من الحياة، وانتشرت العلمانية كالناقة العشواء تخطى كل قيم المجتمع وثوابته، ففي الحكم نحيط الشريعة الإسلامية وحصرت في جانب من الأحوال الشخصية، أما ما سوى ذلك من أحكام، فاصطبغت بالصبغة العلمانية البحتة، واستوردت لها القوانين الشرقية والغربية.

وكذلك الحال في الجانب الاقتصادي فقد أقيم الاقتصاد في العالم الإسلامي وفقاً للنظام الاقتصادي الغربي، فاستحل الريا والمعاملات المحمرة، بل أصبح النظام المصرفي قائماً على تلك المعاملات ومرتباً بها.

وأما في الجانب التعليمي والثقافي فقد انتشرت النظريات المضادة للإسلام، ودرست في جامعات المسلمين ومدارسهم، وفي مقابل ذلك هُمِّش التعليم الإسلامي وحرب، وأصبح يشغل - إن وجد - هامشًا ضيقاً وثانوياً في المجال التعليمي العام.

وانتشرت الكتب والروايات التي تطعن في الدين وتسيء إليه.

وكذلك الحال فيما يطلقون عليه اسم الفن، حيث استُخدم كأداة علمانية تمارس على المجتمع صباح مساء، وأُعيَدَ به صياغة مفاهيم المجتمع وفق النظرة العلمانية للحياة، فرسخ عادات كانت قبيحة بنظر المجتمع، كخروج الفتاة بصحبة شاب مثلاً، وألقى بظلال من الشبه بل والاستهزاء على أحكام شرعية ثابتة، فكان بمثابة معول هدم لكثير من القيم الإسلامية.

وليس الحال في الجانب الاجتماعي بأهون مما سبق، حيث صاح الناعقون بقضية المرأة، ورفعوا لواء تحريرها، وألْفوا الكتب في سبيل ذلك، وقصد كثير منهم من وراء ذلك إخراج المرأة عن هدي ربها، وقدفها في محاضن الشهوات والفتنة، والواقع خير شاهد ودليل على ما نقول، فما آل إليه حال المرأة المسلمة يندى له الجبين من تبرج وسفور، إذ أصبحت المرأة كالسلعة تُتمَّنَ باسم الفن والموضة والأناقة، وفقدت المرأة دورها الأساسي في الحياة في تربية النساء والقيام على رعايتها.

لقد بدت صورة المجتمع المسلم في إطار العلمانية صورة مختلفة تماماً عمّا أراد الله عز وجل لهذه الأمة من خير وهدى، وأصبح المسلم يمارس أكثر حياته بعيداً عن الدين بفرائضه وأدابه، فاصطبغت الحياة بصبغة علمانية مظلمة.

تلك بعض مظاهر العلمانية في عالمنا الإسلامي، وهي مظاهر لا يحتاج الناظر إلى كبير عناء لرصدها، فهي واضحة للعيان، بادية لكل ذي بصر وبصيرة.

ومن الأهمية بمكان في هذا المقام أن نبين بعض الفروق الجوهرية بين العلمانيتين، علمانية الشرق المسلم وعلمانية الغرب الملحد أو النصراني، ولاستجلاء هذه الفروق، لا بد من معرفة الخلفية الثقافية لهما، فالغرب النصراني في أكثره ارتدَّ على عقبه وكفر بالكنيسة ودين الكنيسة، أما البقية الباقيه من بقي على دين الكنيسة فسرعان ما تواافق نفسيًا وسياسيًا بل ودينيًا مع العلمانية وسارت في ركابها، ووجدت لها من الأنجليل ما يدعُم هذا التوافق ويؤيدُه، حيث جاؤوا بالشواهد الإنجيلية، فاستدلوا بها ليؤسسوا للعلمانية، و يجعلوا لها منطلقاً دينياً كما كان للإقطاع سابقاً منطلقاً دينياً !!

أما في الشرق المسلم فالوضع مختلف تماماً، فما كان دين الإسلام في يوم من الأيام كدين الكنيسة، وما كان

المسلمون كالنصارى، فهم وإن ظهرت فهم الأفكار الضالة والنحل الكافرة من شيوعية وبعثية ونحوها، إلا أن ذلك لم يحصل إلا على نطاق ضيق، في حين ظل جمهور المسلمين على معتقده الصحيح في الإسلام، فلم تحصل حركة ارتداد واسعة كفرت بالإسلام وعادته كالتى حصلت في الغرب، بل ظل المسلمون متمسكين بدينهم مفتعنين به، وفي المقابل لم يجدوا في الإسلام إلا كل تجريم للعلمانية، فالقرآن ينص بوضوح على أن الحكم يجب أن يكون لله لا للبشر، وأن السلطة التشريعية هي سلطة إلهية ممثلة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن المسلم مطالب بأن يستسلم لها، ويؤمن بها ويرضى بأحكامها، وإلا عذّ خارجاً من الإسلام مرتدًا عنه، في حين أن العلمانية تجعل السلطة التشريعية في يد الدولة، فدخلت في مناقضة صريحة مع الدين الإسلامي، ومن هنا تحولت العلمانية في الشرق المسلم من طرف محايده في نظرته إلى الدين إلى طرف محارب له، فافتقرت العلمانية في الغرب النصراني عن العلمانية في الشرق الإسلامي افتراقاً بيناً.

وأصل المشكلة - فيما نرى - تكمن في جنائية من استورد العلمانية إلى بلاد المسلمين التي لها خلفية دينية وتاريخية مختلفة تماماً، فكان حاله أشبه بمن جاء بشجرة تنبت في القطب المتجمد الشمالي وزرعها في الصحراء العربية، فلا شك أن تجربته ستؤول إلى الفشل، وهي نفس النتيجة التي حققتها العلمانية في الشرق الإسلامي فبدا التملل واضحاً، وظهرت الحركة الشعبية المطالبة بتحكيم الشريعة وطرح العلمانية، ولو لا ما تُقابل به هذه الحركات من تضليل وكتم لأنفاس، ل كانت العلمانية منذ زمن في مزبلة التاريخ، وإننا لعلى يقين من مجيء ذلك اليوم، الذي تُنبُد فيه العلمانية من قبل جماهير المسلمين.⁽⁶⁴⁶⁾

الَّذِي يُخْرِنَا بِمَا عَلَيْهِ الْأُمَّةُ الْآنَ

لَا شَكَّ أَنَّ لِلْمُسْلِمِ هُوَيْتُهُ الَّتِي تُمِّرُهُ عَنْ غَيْرِهِ، وَشَرِيعَتُهُ الَّتِي فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهَا عَلَى الْعَالَمَيْنِ، وَقُدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرِيصًا عَلَى بَقَاءِ هَذَا التَّمَيُّزِ وَالتَّفْضِيلِ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِمُخَالَفَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَيُحَدِّرُ مِنْ مُتَابِعِهِمْ.

وَلَقَدْ أَخْبَرَنَا الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ بِمَا سَيَكُونُ عَلَيْهِ حَالُ الْأُمَّةِ مِنْ 1445هـ، وَهُوَ مُتَابِعُهُ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ بَدَّلُوا دِيَّهُمْ، حَيْثُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَتَتَبَعَنَّ سَنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبَرًا بِشَبَرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟".⁽⁶⁴⁷⁾

وفي هذا الحديث: قوله صلى الله عليه وسلم (لتتباعن سنّ من قبلكم)، أي: أنكم تتبعون طريقة النصارى واليهود في أفعالهم وحياتهم متابعةً دقيقةً شديدةً، تاركين سنته صلى الله عليه وسلم، وصوارى النبي صلى الله عليه وسلم شدةً هذا الاتباع، فقال: (شبراً بشبراً، وذراعاً بذراعاً)، وهذا كناية عن شدة الموافقة لهم، واتباعهم في عاداتهم وتقاليدهم، حتى لو دخل اليهود والنصارى جحر ضبٍّ لدخله المسلمون وراءهم، والضب: حيوان جحره شديد الظلمة نتن الرحى، وهو من الزواحف يكثر في الصحاري العربية، ووجه التخصيص بجحر الضب: شدة ضيقه ورداهته، ومع ذلك فإنهما لا يقتفيان آثارهما واتباعهما طرائهما - لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لوافقوهما! وفي هذا الحديث معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقد وقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، وانتشر ذلك في الأزمنة المتأخرة؛ من اتباع كثير من المسلمين لأعداء الله تعالى في عاداتهم وتقاليدهم وسلوكياتهم،

(646) مظاهر العلمانية في العالم الإسلامي / موقع إسلام ويب.

(647) صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: (3456) / صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: (2669) باختلاف يسير / الراوي: أبو سعيد الخدري.

فقَلْدُوهُمْ فِي مَلَابِسِهِمْ وَشَعَائِرِهِمْ، وَقَلَدُوهُمْ فِي أَعْيَاكِهِمْ، وَفِيمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَخْلَاقٍ ذَمِيمَةٍ، وَعَادَاتٍ فَاسِدَةٍ تُخَالِفُ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ الْمُطَهَّرَةَ، وَكَانَ ذَلِكَ نَتْيَاجًا لِغَلَبَةِ الْكُفَّارِ، وَالْمَغْلُوبُ مُولَعٌ بِتَقْليِدِ الْغَالِبِ، وَمِثَالُ ذَلِكَ مَا يُشَاهِدُ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُشارِكةِ فِي الْأَعْيَادِ وَالاحْتِفالَاتِ الْخَاصَّةِ بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ مِنْ أُمَّةِ الْكُفَّارِ!]⁽⁶⁴⁸⁾

المبحث الثالث: الإرهاب، حقيقته في الإسلام، وعنده الغرب⁽⁶⁴⁹⁾

ما هو الإرهاب في نظر المسلم؟ وما هو الإرهاب لدى الغرب؟ وكيف نرد عليهم إن اختلفنا معهم؟

المطلب الأول: حقيقة كلمة "الإرهاب" في اللغة والاصطلاح:

الإرهاب مصدر، أَرْهَبَ، يُرْهِب، إِرْهَابًا، وهي لفظة تعني: التخويف، وهي في ذاتها ليست محمودة، ولا مذمومة، إلا أن يعلم معناها عند قائلها، وإلا أن ينظر في آثارها، ومن قال إنَّ الإرهاب في الإسلام هو ردِيف القتل: فهو مخطئ؛ لأنَّ اللفظة لا تساعده على هذا المعنى، فالإرهاب هو التخويف وليس القتل، وقد أمرَنا ربنا تعالى أن نَرْهَبَهُ، أي: نَخَافُهُ، كما في قوله تعالى: {وَإِنَّمَا يَأْيَى فَارِهَبُونَ} [البقرة: 40]، كما أمرَنا بالاستعداد للعدو الذي يُتَوَقَّعُ منه الكيد وال الحرب، وهذا الاستعداد هو لِإِرْهَابِهِ حتى لا تكون لقمة سائفة له، وقد جاء ذلك مُوضِّحًا في قوله تعالى: {وَأَعَدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعُتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ثُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} [الأనفال: 60].

وقد أطلقت الدول المستعمرة الآثمة هذه اللفظة على الإسلام، وأرادت تشويه صورته في نظر عامة الناس، فأقيمت لذلك المؤتمرات، وعقدت الندوات، وأنشئت الأقسام باسم مكافحة الإرهاب، ولم يكن في ذلك كله تَعَرُضُ لتلك الدول المستعمرة المجرمة، الجائمة على صدور الضعفاء من المسلمين، كالهندوس في إرهابهم المسلمين في كشمير ، والروس في إرهابهم للمسلمين في الشيشان، والأمريكان في إرهابهم للمسلمين في العراق وأفغانستان، واليهود في إرهابهم للمسلمين في فلسطين، وراح السُّدُّج من المسلمين يُطلقون هذا اللفظ على كل من يحلو لهم محاربته، وتنفير الناس منه، وقد يكونون مصابين في الحكم على طائفة منهم، أو مجموعة، لكن ما بال تلك الدول الإرهابية، وتلك المنظمات العنصرية المجرمة قد نجت من الوصف بهذه اللفظة، وجعل حكراً على المسلمين؟! وتشريعات الإسلام الربانية فيها ما يحافظ على عرض المسلمين، ودمه، وماله، ومن أجل ذلك كان تحريم القتل، والسرقة، والزنا، والقذف، وجعلت الحدود المغلظة على من ارتكب تلك المحرمات، وقد يصل الأمر للقتل – كالزانى المحسن – حفاظاً على أعراض الناس.

وقد جاءت العقوبة مغلظة لمن أرعب الناس وأخافهم، مثل عصابات قطاع الطرق، ومن يفعل مثل فعلهم داخل المدينة، وهؤلاء هم الذين يسعون في الأرض فساداً، وقد حكم الله عليهم بأشد العقوبات كفراً لشرهم، وحفظاً لأموال الناس ودمائهم وأعراضهم، قال تعالى: {إِنَّمَا جَرَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنَّ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقْطَعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خَزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}⁽⁶⁵⁰⁾ [المائدة: 33].

(648) الدرر السننية – الموسوعة الحديثية.

(649) الإسلام سؤال وجواب.

وأبلغ من ذلك: أن الإسلام حرم على المسلم إخافة أخيه، ولو مازحاً، فعن المسائب بن يزيد رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لَا يَأْخُذُنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لَاعِبًا وَلَا جَادًا، فَمَنْ أَخَذَ عَصَا أَخِيهِ فَلْيُرْدَهَا إِلَيْهِ".⁽⁶⁵⁰⁾

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: "حدثنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يسرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيرة، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى نبل معه، فأخذها، فلما استيقظ الرجل فزع، فصاح القوم، فقالوا: ما يضحككم؟، فقالوا: لا، إلا أنا أخذنا نبل هذا ففزع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يجح لمسلم أن يروع مسلماً".⁽⁶⁵¹⁾

المطلب الثاني: أنواع الإرهاب في الإسلام:

1. ممدوح: وهو تخويف العدو خشية اعتدائه على المسلمين، واحتلال ديارهم، ويكون ذلك بالاستعداد الكامل بالتسليح بالإيمان، والوحدة، والسلاح، وقد سبق في آية الأنفال ما يوضح أنه واجب على المسلمين والإسلام ليس بداعاً في هذا الأمر، فها هي الدول تتتسابق في الصناعات العسكرية، وفي التسلح بالأسلحة التدميرية، وإنشاء الجيوش الجرار، وبعمل الاستعراضات العسكرية لجنودها وأسلحتها، وكل ذلك من أجل إظهار قوتها؛ لإخافة جيرانها، وأعدائها، من أن تسول لهم أنفسهم الاعتداء عليهم.
2. مذموم: وهو تخويف من لا يستحق التخويف، من المسلمين، ومن غيرهم من أصحاب الدماء المعصومة، كالمعاهدين، والمستأمنين، وأهل الذمة.

وقد عرف "المجمع الفقهي الإسلامي" الإرهاب بأنه: "العدوان الذي يمارسه أفراد، أو جماعات، أو دول، بغيًا على الإنسان (دينه، ودمه، وعقله، وماليه، وعرضه)، ويشمل صنوف التخويف، والأذى، والتهديد، والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة، وإخافة السبيل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف، أو التهديد، يقع تنفيذًا لمشروع إجرامي، فردي، أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم، أو حريتهم، أو أمتهم، أو أحوالهم، للخطر، ومن صنوفه: إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المراافق، والأملاك العامة، أو الخاصة، أو تعريض أحد موارد الدولة، أو الموارد الطبيعية، للخطر، وكل هذا من صور الفساد في الأرض، التي نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عنها في قوله تعالى: {وَابْتَغْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارُ الْآخِرَةِ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: 77]."

بيان المجمع الفقهي بمكة المكرمة:

وجاء في بيان المجمع الفقهي في دورته السادسة عشر بمكة المكرمة: التنبية إلى أمرين مهمين:

الأول: الرد على من وصف الإسلام بأنه دين إرهاب، فمما جاء فيه:

"وقد لحظ أعضاء "المجمع" أن الحملات الإعلامية مدبرة، وهي تنطوي على أباطيل، وترهات، تنطلق من إعلام موتور، معادٍ، تُسيئ في توجيهه مؤسسات الإعلام الصهيوني؛ لتشير الضغائن، والكراهية، والتمييز، ضد الإسلام والمسلمين، وتلصّقُ بدين الله الخاتم الباطلة، وفي مقدمتها تهمة "الإرهاب".

(650) رواه الترمذى (2160) وأبو داود (5003)، وحسنه الألبانى فى صحيح الترمذى.

(651) رواه أحمد (23064) - واللفظ له - وأبو داود (4351). وصححه الألبانى فى صحيح أبي داود.

وأوضح لأعضاء "المجمع" أن لصق تهمة الإرهاب بالإسلام عبر حملات إعلامية إنما هو محاولة لتنفير الناس من الإسلام، حيث يُقبلون عليه، ويُدخلون في دين الله أفواجاً.

ودعا أعضاء "المجمع" رابطة العالم الإسلامي، وغيرها من المنظمات الإسلامية، وكذلك عامة المسلمين إلى الدفاع عن الإسلام، مع مراعاة شرف الوسيلة التي تتناسب، وشرف هذه المهمة".

وبينوا في سياق ردهم على الافتراء على الإسلام، ولصق تهمة الإرهاب به: "أن الإرهاب ظاهرة عالمية، لا ينبع لدين، ولا يختص بقوم، وهو سلوك ناتج عن التطرف الذي لا يكاد يخلو منه مجتمع من المجتمعات المعاصرة، وأوضحا أن التطرف يتتنوع بين تطرف سياسي، وتطرف فكري، وتطرف ديني، ولا يقتصر التطرف الناتج عن الغلو في الدين على أتباع دين معين، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى غلو أهل الكتاب في دينهم، ونهاهم عنه، فقال في كتابه الكريم: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُبُوا فِي دِينِكُمْ عَيْرَ الْحُقْقَ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلَّلُوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَأَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة: 77]."

والثاني: ذكرهم أن من الإرهاب إرهاب الدول، والذي سكتت عنه وسائل الإعلام العالمية، ولم تفضح أهله، ومما جاء في البيان:

"ويؤكد المجمع أن من أنواع الإرهاب: إرهاب الدولة، ومن أوضح صوره، وأشدّها شناعة: الإرهاب الذي يمارسه اليهود في فلسطين، وما مارسه "الصربي" في كلٍ من البوسنة، والهرسك، وكوسوفا، واعتبر "المجمع" أن هذا النوع من الإرهاب: من أشد أنواعه خطراً على الأمن، والسلام في العالم، واعتبر مواجهته من قبيل الدفاع عن النفس، والجهاد في سبيل الله".

المطلب الثالث: الإرهاب عند الغرب:

فهو ما نقرؤه، ونشاهده، من احتلالهم للدول الضعيفة، ونهبهم لخيراتها، وما نراه من التعذيب، والاغتصاب، والقتل، وكل ذلك موثق بالصوت والصورة، في وثائق لا يمكن إنكارها، وهو استمرار لتاريخهم القديم في احتلال الدول بالقوة، والبطش، والسلاح.

والعجب حقاً: أن الدول الغربية - وخاصة أمريكا - لم يضعوا إلى الآن تعريفاً للإرهاب! وواضح أنهم سيدينون أنفسهم بأي تعريف يختارونه، ولذلك جعلوا اللفظة مهمة المعنى، فتنصرف إلى من يريدون الصاق التهمة به. قال الشيخ صالح الفوزان: "الكافر من قديم يحاربون الإسلام، ويصفونه بأبشع الصفات؛ تنفيزاً منه، {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [التوبه: 32]، ومن ذلك: وصفهم له بالإرهاب، والوحشية، وينسون أن الإرهاب، والوحشية، وقتل الشعوب، والسلط على الخلق بغير الحق، وكل صفات الذم: إنما هي في دين الكفر، ومن صفات الكفار.

وكون بعض المنتسبين إلى الإسلام تصدر منهم بعض التصرفات الخاطئة - إما عن جهل أو عن قصد سيء - فإن ذلك لا ينبع إلى الإسلام؛ لأن الإسلام ينهى عن ذلك.

وطريق الخلاص من هذا الاتهام السيئ للإسلام: أن يُبين أن فعل هؤلاء الأشخاص ليس من الإسلام، وإنما هو تصرف شخصي، وأن كل مسلم فهو عرضة للخطأ، وليس هناك معصوم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم".⁽⁶⁵²⁾

(652) المنشق من فتاوى الفوزان " (1 / 416)، السؤال رقم 247).

بماذا سترد على من يتهم الإسلام بالإرهاب؟

أيها المحاور المسلم، إذا قام خصمك بإطلاق تهمة أن الإسلام دين الإرهاب، عليك حينها أن تبادر بسؤاله: ماذا تقصد بكلمة إرهاب؟

فإن قال: إنه يقصد بها قتل الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ، فأخبره بأن الله تعالى حرم قتلهم واستشهد بآيات من القرآن والسنة تدعم الحق الذي معك وتدحض باطله.

وإن قال إنه يقصد بها قتل الأعداء دفاعاً عن المال أو العرض أو الأرض، فتقول له إن الله عز وجل قد أمرنا بذلك، وهو ما يتفق أيضاً مع الفطرة في الدفاع عن النفس.

هل المسلمون إرهابيون؟

هناك سؤال كثيراً ما يُوجَّهُ إلَيْهِ، وهو: لو أنك قد حاورتَ إنساناً ليس بمسلم، ثم قام بإلصاق تهمة الإرهاب بال المسلمين، بعدما قام الإعلام بغسل دماغه بالأفلام والأخبار الكاذبة عن الإسلام، فماذا عساك أن تفعل حاله؟ وبماذا سيكون جوابك؟

وللرد على هذا السؤال، سأحيلكم إلى الداعية الألماني الشهير بيير فوجل Pierre Vogel (الأخ أبي حمزة)، والذي أجاب بطريقة مذهلة، حينما سُئِلَ عن الإرهاب وعلاقته بالإسلام، فقال: "من الذي أشعل الحرب العالمية الأولى؟ المسلمين؟ من الذي أشعل الحرب العالمية الثانية؟ المسلمين؟ من الذي


قام بقتل 20 مليون نفس بشرية من سكان أستراليا الأصليين؟ المسلمين؟ من الذي أرسل القنابل النووية لتضرب هيروشيما وناجازaki؟ المسلمين؟ من الذي قام بقتل ما يزيد على 100 مليون من الهندود الحمر في أمريكا الشمالية؟ المسلمين؟ من الذي قام بقتل أكثر من 50 مليون من الهندود الحمر في أمريكا الجنوبية؟ المسلمين؟ من الذي قام باسترقاق حوالي 180 مليون أفريقي كعبيد، وقد توفي حوالي 77% منهم أثناء أعمالهم الشاقة ثم القاؤهم في المحيط الأطلسي؟ المسلمين؟ لا، لم يكونوا المسلمين!!

قبل كل ذلك عليك أن تقوم بتحديد معنى الإرهاب جيداً؛ فلو أن غير المسلم قام بفعل شيء خاطيء، فإنها حينئذ تكون مجرد جريمة، أما حين يقوم مسلم بارتكاب نفس الخطأ، فإنه حينئذ يُوصف بالإرهاب!! لذلك عليك ألا تكيل بمكيالين أولاً، وبعد ذلك تكلم من هذا المنطلق.

وأخيراً: مهما نرى ونسمع من حالة الاستضعفاف للأمة وتکالب الأعداء عليها فإن ذلك لا يعذرها من مواجهة الباطل ورده، لا سيما الإلحاد الذي هو أعلى صور الانحراف، فحالة الاستضعفاف التي تمر بها الأمة اليوم لا تعفي ترك إنكار المنكر بالكلية، وحينما نتأمل قول الله جل جلاله: {وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُنْ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُنْ صَادِقًا يُصِبِّكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ} [سورة غافر:28]، فقد قال قوله، وهو يكترم إيمانه، فكيف بحالنا اليوم وهذه الجامعات والصروح العلمية الكبيرة، فضلاً عن وجود الوسائل المتنوعة للمواجهة مع الملحدين لدعوتهم أولاً للحق المبين، ولمواجهة من أصرّ منهم على الباطل ثانياً، كون الدعوة إلى الله هي مسئولية الجميع.

الخاتمة

نَسَأْلُ اللَّهَ حُسْنَهَا

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فَقَدْ وَفَقَنِي اللَّهُ بِالْاِنْتِهَاءِ مِنْ بَحْثِ مِنْهَجِيَّةِ الْحَوَارِ مَعَ الْمَلَاهَدَةِ وَتَفْنِيدِ شَهَابَتِهِمْ إِلَى جَمْلَةٍ مِنَ النَّتَائِجِ، مِنْ أَبْرَزِهَا:

- ✓ أنه ما من دليل من أدلة وجود الله وصحة الإسلام يستدل عليه القرآن والسنة إلا ولديه دليل عقلي.
- ✓ أن معرفة الخالق فطرية وأن كل ما في الكون يدل على أن الله وحده هو الخالق والمدبر والمالك لكل شيء.
- ✓ أن البحث أثبت أن الغرب لم يعد نصراً وإلحاد مسيطراً عليه.
- ✓ أن الكنيسة أحد أسباب انتشار الإلحاد في الغرب.
- ✓ إشكالات الإلحاد كثيرة وأنه يتناقض مع بديهيات العقل والفطرة.
- ✓ العقل الواعي يدرك أن وراء هذا الكون خالقاً مدبراً. وعند التأمل في الكون بكل تفاصيله، من العناصر الصغيرة إلى الكبيرة، وال العلاقات المتبادلة والمعقدة بينها، يتجلى بوضوح دلالة العناية الربانية والرعاية التامة في كل جانب.
- ✓ معرفة الله فطرية، حيث جُبِلتْ عَلَيْهَا النُّفُوسُ الْبَشَرِيَّةُ، وَدَلَائِلُ رَبوبِيَّتِهِ مُنْتَشِرَةٌ فِي كُلِّ مَنْفَسِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْكَوْنِ الْمَحِيطِ. كُلُّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ يُظَهِّرُ وَجُودَ خَالقِ وَرَاءَهُ وَفَقَاءً لِلْفَطْرَةِ السَّلِيمَةِ.
- ✓ إن التناغم الكوني المحكم والمتقن والمنتظم يشير إلى وجود خالق حكيم وقدير، كما أن التسخير والتدبير العجيب في الكون يعكس وجود خالق قوي يُسَخِّرُ وَيُدَبِّرُ هَذَا الْوُجُودَ بِشَكْلٍ مُدَهَّشٍ.
- ✓ على الدعاة في حواراتهم اكتساب مهارات عرض براهين إثبات الله تعالى بمعرفتنا له عز وجل بالعقل والنقل والفطرة.
- ✓ أن الدعوة وتأهيل الدعوة لا تتوقف عند مجرد تأصيل شرعي ومعرفة الأدلة والرد الصحيح بل لا بد من معرفة مهارات وقواعد منهاجية يلتزم بها المحاور المسلم وإنما يقع في دوامة من الأخطاء فيظهر كأن الإسلام ضعيف وليس هو.
- ✓ إذا انتبه المحاور في رده على شبهات وسفطات غير المسلمين إلى منهاجيات مهمة في التخصص سيعرف من خلالها مدى تفاهة تلك الشبهات وحماقتها.
- ✓ الثقة واليقين لا يأتيان إلا بالإخلاص إلى الله أولاً ثم بالإستعانة به، مع ضرورة التسلح بالعلم بجانب الدعوة والممارسة المستمرة عندئذٍ سيكتسب المحاور ملكرة وخبرة.
- ✓ مازالت الحاجة ماسة إلى المزيد من العمل في تأسيس تلك المناهج وإرساء أهم القواعد الوقائية للدعابة ضد الشبهات، وتكوين العقل الناقد عندهم، وفحص الحجج والبراهين والدلائل بعقل مُتَّقِدٍ تُورَدُ عليه الشبهات؛ فِي فِكِّهَا وَيَرَدَّهَا إِلَى مَصْدَرِهَا.
- ✓ أننا بحاجة مُلِحَّةٍ - بجانب تعزيز تلك الأساسيات المنهاجية في الرد على الشبهات - إلى بناء أخلاق الداعية المتتصدر للرد على تلك الشبهات و اختيار الأسلوب الأنسب في الرد على الافتراضات.
- ✓ المنهج الدعوي في الرد على الملحدين يتطلب استخدام أسلوبين متباهين، ولا يتعارضان بل يكملان بعضهما

البعض: أسلوب اللين وأسلوب الشدة. كل منهما يمتلك مكانته الخاصة ويُستخدم بما يتنااسب مع طبيعة الموقف والظروف المحيطة. يتطلب التفاعل مع الملحدين تمييزاً دقيقاً في اختيار الأسلوب المناسب، فأسلوب اللين يهدف إلى بناء جسور التفاهم والإقناع، بينما أسلوب الشدة يواجه بقوة المحاولات المتعمدة لتشويه الحقائق وإثارة الفتنة. إن اختيار الأسلوب الملائم يعزز فعالية الدعوة ويحقق الأهداف المرجوة.

هناك نتائج أخرى أساسية وفرعية تناولها البحث ولكن اكتفي بذكر هذه.

فإنَّ الكمالَ عزيزٌ، وَبُلُوغَهِ صعبُ المنالِ، وهذه محاولةٌ بشَرِّ أرادَ بها الخير لنفسه، ولإخوانيِّم، ولأُمتيِّه في طريق الدُّعوةِ إلى اللهِ، ومنَ المعهودِ أنَّ عَمَلَ البَشَرِ لا يخلو منْ خَطَا وَزَلَلٍ، فَمَا كَانَ فِي هَذَا الْعَمَلِ مِنْ حَيْرٍ، فَمِنْ تَوْفِيقِ اللهِ وَحْدَهُ، وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ زَلَلٍ، فَمِنَّا وَمِنَ الشَّيْطَانِ، لِذَلِكَ أَنْ شُدُّكُمْ بِاللهِ - أَهْمَّهَا الْكَرَامُ مِنْ إخْوَانِنَا الْقُرَاءِ وَالْبَاحِثِينَ وَالْمُهْتَمِّمِينَ بِالْعِلْمِ وَأَهْلِهِ - مَنْ وَجَدَ فِي هَذَا الْعَمَلِ خَلَالًا فُلُوقَوْمَهُ، أَوْ نَقْصًا فُلِيُّكُمْلَهُ، أَوْ زَيْغًا فَلْمَهْدِ إِلَيْنَا الْحَقَّ وَالصَّوَابَ، وَنَسْكُرُ لَهُ جَهْدَهُ، وَنَدْعُو اللَّهَ لَهُ بِظَهِيرِ الغَيْبِ أَنْ يَجْزِلَ لَهُ التَّوَابَ، فَلَا تُبْخَلُوا عَلَى إِخْوَانِكُمْ بِمَا تَجُودُ بِهِ قَرِيحَتُكُمْ مِنْ أَفْكَارٍ وَمَعْلُومَاتٍ أَوْ بِالْمُسَارَعَةِ فِي تَصْحِيحِ الْخَطَا، أَوْ زِيَادَةِ الْبَيَانِ، أَوْ إِبْدَاءِ بَعْضِ الْمُقْرَرَاتِ، وَاللهُ تَعَالَى لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ، وَإِلَيْهِ سُبْحَانَهُ نَمُدُّ أَكْفَ الصَّرَاعَةِ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا الزَّلَلَاتِ، وَأَنْ يَتَجَاوَزَ عَنِ الْخَطِيئَاتِ، وَأَلَا يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ حُجَّةً عَلَيْنَا يَوْمَ التَّنَادِ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمَيْنِ، وَالصَّلَوةُ وَالسَّلَامُ الْأَبْيَانُ الْأَكْمَلَانُ عَلَى خَيْرِ الْبَشَرِيَّةِ وَأَرْكَيِّ الْبَرِيَّةِ، وَعَلَى آللِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ وَاقْتَفَى أَثْرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

الوصيات

يوصي البحث المحاور بضرورة التسلح بالعلم الشرعي والاهتمام والتمسك بالعقيدة الصحيحة فيها النجاة والوقاية

ويوصي فهم خدع الشعارات البراقة والكلام الفضفاض الذي يستخدمه بعض الأشخاص الذين يظهرون في الإعلام كأنهم باحثون ومفكرون.

كما يؤكد البحث على أهمية اتباع قواعد دقة - ذكرنا في البحث أهمها - في الرد على المخالفين لضمان حوار مثمر وفعال.

تهيئة من تستطيع تهئتهم من هذا الجيل المسلم بـألا ينخدع وتهوله كثرة تشقيق الملاحقة للكلامات ورفعهم الدائم لشعارات براقة، مثل عقل، دليل، علم، لقد درسنا وبحثنا، وعلماء العالم كلهم متفقون على كذا. فهم بهذا ينشدون إحداث الصدمة النفسية عند المتلقي المسلم، لكي يعجز عقله عن التفكير ومن ثم يتشرب أطروحتهم ويشجعهم.

وَلَا يُنْخَدِعُونَ بِالْكَلَامِ الْفَضْفَاضِ، وَيُثْقِنُ بِهِؤُلَاءِ الرُّوَبِيْضَاتِ وَالدُّجَاجِلَةِ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ أَنفُسَهُمْ وَيَقْدِمُهُمْ
الإِعْلَامُ عَلَى أَنْهُمْ بِاْحْتِنَوْنَ وَمَفْكَرُوْنَ وَمَجْتَهِدُوْنَ وَمَجْدُدوْنَ!

ما زالت الحاجة ماسة إلى المزيد من العمل في تأسيس المناهج وإرساء أهم القواعد الوقائية للدعاة ضد الشبهات، وتكوين العقل الناقد عندهم، وفحصي الحجج والبراهين والدلائل بعقل مُتَّقِدٍ تُورَدُ عليه الشبهات؛ فِيْفِكِّها ويردّها إلى مصادرها، وبيان تهافت الافتراء وتفاهتها.

على الدعاة بجانب تعزيز الأسس المنهجية في الرد على الشبهات -بناء أخلاق الداعية المتتصدر للرد على الشبهات و اختيار الأسلوب الأنسب في الرد على الافتئاء.

تأهيل وتوصية الدعاة بالثقة الالمناهية ويقين جازم بأنه لا يوجد في الإسلام نقطة ضعف واحدة تجعلنا نستحي أو نخوف منها، وهذه الثقة وهذا اليقين لا يأتيان إلا بالإخلاص إلى الله أولاً ثم بالاستعانة به، مع ضرورة التسلح بالعلم بجانب الدعوة والممارسة المستمرة والسعى إلى الوصول إلى الملكة والبراعة في هذا المضمار.

تُوصي بضرورة تضافر جهود العلماء والمختصين في العقيدة والرد على الشبهات لمواجهة الإشكالات الإلحادية المتعددة. يتطلب ذلك إنشاء مؤسسات متخصصة وتنظيم دورات علمية وملتقيات تخصصية ومراكز بحثية تُعنى بإعداد إجابات فعالة ومحكمة. يهدف هذا التعاون إلى تعزيز حصانة المعرف بالإسلام وحماية الأجيال القادمة من تأثير الشبهات.

كما ينبغي تجنيد الكفاءات وتدريبها على فنون الحوار، والعمل على تطوير الردود المناسبة لمواكبة المستجدات والتحديات الحالية. من خلال هذه الجهود المنسقة، يمكن تحصين الأجيال المقبلة وتعزيز قدرتها على مواجهة الإلحاد بفعالية.

على الدعاة الاطلاع على مزيد من الكتب، والمحاضرات الأكثر عمّا وتحصصاً في هذا الشأن لكتاب مهارات متعددة:

من التوصيات: كتب ننصح بقراءتها

هناك العديد من الكتب -غير التي توجد بفهرس الكتاب- ترد على الشبهات، ولها أثر طيب في زيادة الإيمان بعد كتاب الله تعالى، نشير عليكم بقراءتها، وهي كما يلي:

- 1 - كتاب "إظهار الحق" وهو مطبوع في أربع مجلدات، وهو من تأليف الشيخ محمد رحمت الله الهندي رحمه الله تعالى المتوفى سنة 1308 هجرية، وألفه للرد على النصارى؛ وقد احتوى على فصول مهمة في إثبات صحة نبوة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، ورد مطاعن أهل الكفر في ذلك، وكذا احتوى على فصول تناول فيها إثبات صحة كون القرآن الكريم كلام الله تعالى المعجز.
- 2 - كتاب "النبا العظيم" للشيخ محمد بن عبد الله دراز رحمه الله تعالى وهو من علماء الأزهر. وهذا الكتاب مطبوع في مجلد واحد، وتناول فيه مؤلفه إثبات صحة كون القرآن الكريم من عند الله تعالى معتمداً في ذلك على الحقائق التاريخية والعلقانية ومحفوظ القرآن الكريم.
- 3 - كتاب "البراهين العقلية على وحدانية الرب ووجوه كماله" للشيخ المفسر عبد الرحمن السعدي.
- 4 - "براهين وجود الله"، د. سامي عامري، ط مركز تكوين، وهو متاح على الشبكة.
- 5 - "براهين النبوة"، د. سامي عامري، وهو متاح على الشبكة أيضاً.
- 6 - "شروع النهار"، لفضيلة الشيخ عبد الله بن صالح العجيري.
- 7 - "ميشيا الإلحاد"، للشيخ عبد الله العجيري، أيضاً.
- 8 - التفكير الناقد للجيل الصاعد، أحمد بن يوسف السيد، ط مركز تكوين، وهو متاح على الشبكة.

فهرس المصادر

- 1 موسوعة الأخلاق والسلوك، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، مطبوع ومنتشر على موقع الدرر السنّية على الإنترنت.
- 2 المؤسوعة الحديبية، شروح الأحاديث، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، مطبوع ومنتشر على موقع الدرر السنّية على الإنترنت.
- 3 نصرة النعيم في أخلاق سيد المسلمين
- 4 الأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن حبنكبة الميداني
- 5 موسوعة دليل الداعية، المدعون، مشروع بحثي قام به مكتب الدار للدراسات والمستشارات التعليمية والتربوية تحت إشراف معهد البحوث والدراسات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تأليف أ. د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي، أستاذ النفسية وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
- 6 منهج القرآن في دحض شبهات الملحدين، أفنان حمد بن محمد الغمامي، الرياض، مركز دلائل، ط1، 1438هـ.
- 7 كابة الإلحاد، دراسة عقدية لعلاقة الانتحار بالإلحاد، بحث قدمه أ.د. سعود بن عبد العزيز العريفي بجامعة أم القرى - مكة المكرمة، قسم العقيدة - كلية الدعوة وأصول الدين.
- 8 الإسلام والإلحاد وجهًا لوجه، د. هيثم طلعت.
- 9 كيفية دعوة الملحدين إلى الله تعالى، في ضوء الكتاب والسنة، أ. د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني رحمه الله.
- 10 موسوعة دليل الداعية، المدعون، أ. د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي.
- 11 موسوعة الدعوة، الدعاة: المفهوم والأهمية، للشيخ الدكتور محمد العواجي.
- 12 مادة العقيدة الإسلامية، د. أبو زيد بن محمد مكي، عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى بكلية الدعوة وأصول الدين - قسم العقيدة، ص 43-68 دار الأوراق
- 13 الإلحاد الجديد في المجتمعات الغربية والعربية مفهومه ونشأته وأسباب ظهوره وسبل مواجهته، بحث نشره موقع مركز الأمة للدراسات والتطوير للدكتور فلاح عبد محمد الدليمي.
- 14 التعريف بالإسلام، الدكتور عبد الله الغامدي، ص 53، دار القبس 1439هـ
- 15 ظاهرة الإلحاد المعاصر في العالم العربي، بحث منشور في موقع حصن، للدكتور عماد الدين عبد العجيلي.
- 16 الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان.
- 17 معنى الحياة، ألفريد آدر، دار الفرقان.
- 18 التعريف بأساسيات الإسلام بنموذج GORAP تم ترجمة ملف هذا النموذج من قبل الأستاذ علي بشارة الذي أذن لنا استخدامه جزاً الله خيراً.
- 19 كيف تحاور ملحداً، دليل المنهجي لمهارات الحوار، أمين بن عبد الهادي خريبي، مركز دلائل.
- 20 شموع النهار، عبد الله العجيري، مركز تكوين.
- 21 أروى صالح، (1996م)، المبتسرون، الطبعة الأولى، لبنان: دار النهر للنشر والتوزيع.

- 22- آلان دو بوتون، (2016م)، عزاءات الفلسفة، ترجمة/ يزن الحاج، الطبعة الأولى، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر.
- 23- ألبير كامو، (1983م)، أسطورة سيزيف، نقله إلى العربية/ أنيس ذكي، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.
- 24- إيميل دوركايم، (2011م)، الانتحار، ترجمة/ حسن عودة، دمشق: وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب.
- 25- البخاري، محمد بن إسماعيل، (1414هـ=1993م)، صحيح البخاري، تحقيق/ مصطفى البغاء، الطبعة الخامسة، دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة.
- 26- تشيزاري بافيزي، (2016م)، مهنة العيش، يوميات تشيزاري بافيزي، ترجمة/ عباس المفرجي، الطبعة الأولى، بغداد: دار المدى.
- 27- جميل صليبا، (1982م)، المعجم الفلسفى، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- 28- جيرار دونرفال، (2017م)، بنيات اللهب، ترجمه عن الفرنسية/ ماري طوق، الإمارات: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة.
- 29- جيل دولوز، (2009م)، الاختلاف والتكرار، ترجمة/ وفاء شعبان، الطبعة الأولى، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- 30- ابن خلkan، أحمد بن محمد، (1994م)، وفيات الأعيان، تحقيق/ إحسان عباس، الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر.
- 31- خليل حاوي، (1987م)، رسائل الحب والحياة، بيروت: دار النضال.
- 32- دازاي، (2016م)، ولم يُعد رجلا، ترجمة/ محمد عضيمة الطبعة الأولى، دمشق: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.
- 33- أبو داود، سليمان بن الأشعث، (1430هـ)، سنن أبي داود، الطبعة الأولى، بيروت: دار الرسالة العالمية.
- 34- الفخر الرازي، محمد بن عمر، (1420هـ)، مفاتيح الغيب، الطبعة الثالثة، بيروت: دار إحياء التراث.
- 35- ربيع جابر، (1997م)، رواية رالف رزق الله في المرأة، الطبعة الأولى، بيروت: دار الآداب.
- 36- الزركلي، خير الدين بن محمود، (2002م)، الأعلام، الطبعة الخامسة عشرة، دار العلم للملايين.
- 37- ذكي مبارك، (بدون تاريخ)، ذكريات باريس، القاهرة: مؤسسة هنداوي.
- 38- سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاؤغلي، (1434هـ)، مرآة الزمان، تحقيق/ جماعة، الطبعة الأولى، دمشق: دار الرسالة العالمية.
- 39- ستاكس روش، الانتحار بين الملحدين، ترجمة/ محمد سالم، تعليق/ د. هشام عزمي، مركز الفتح للبحوث والدراسات.
- 40- سليمان الخراشي، (بدون تاريخ)، انتحار إسماعيل أدهم، من نشر المؤلف.
- 41- سوزان المشهراوي، (2018م)، الإلحاد المعاصر، سماته وأثاره وأسبابه وعلاجه، (القاهرة: بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية للبنين، العدد 35، المجلد 2).
- 42- سيلفيا بلاط، (2009م)، أكثر من طريقة لائقة للفرق، ترجمة/ سامر أبو هواش، بيروت: منشورات الجمل.

- 43- سيلفيا بلاس، (2019م)، رسائل سيلفيا بلاس، ترجمة/ فاطمة نعيمي، الطبعة الأولى، الكويت: منشورات تكوان.
- 44- صادق الرکابی، (2014م)، الانتحار الجماعي، أكبر عمليات الانتحار الجماعي في التاريخ، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة مدبولي.
- 45- صمويل بيكيت، (2009م)، في انتظار جودو، ترجمة وتقديم/ بول شاول، الطبعة الأولى، بيروت: منشورات الجمل.
- 46- عبد الرحمن بدوي، (1977م)، إيمانويل كنت، الطبعة الأولى، الكويت: وكالة المطبوعات.
- 47- العفاني، سيد بن حسين، (2006هـ=1427م)، وامحمداه، الطبعة الأولى، مصر: دار العفاني.
- 48- فخرى أبو السعود، في الأدب المقارن، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م).
- 49- كاوباتا، (1983م)، ضجيج الجبل، ترجمة/ صبحي حديدي، الطبعة الأولى، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر.
- 50- كاوباتا، (2006م)، الجميلات النائمات، الطبعة الثانية، بيروت: دار الآداب.
- 51- كريستيان بودلو، روجيه استابليه، (1419هـ)، دوركايم والانتحار، ترجمة/ أسامة الحاج، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- 52- كوينتين بيل، (1993م)، فرجينيا وولف، سيرة حياة، ترجمة/ عطا عبد الوهاب، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- 53- لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، (1997م)، الموسوعة الفلسفية، ترجمة/ سمير كرم، الطبعة السابعة، بيروت: دار الطليعة.
- 54- مجمع اللغة العربية، (بدون تاريخ)، المعجم الوسيط، (القاهرة: مجمع اللغة العربية).
- 55- محمد العلي، (1430هـ)، عقيدة الحلول والتناسخ عرضاً ونقداً، الطبعة الأولى، الرياض: دار الصميغي.
- 56- محمد سهيل مشتاق، (1418هـ)، التناصح جذوره وتأثيره في غلاة الشيعة، مكة المكرمة: رسالة ماجستير نُوقشت وأُجازت بقسم العقيدة بجامعة أم القرى.
- 57- المعلى، عبد الرحمن بن يحيى، (1434هـ)، رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله، ضمن آثار المعلى، الطبعة الأولى، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد.
- 58- مكرم شاكر، (1992م)، أدباء منتحرون، دراسة نفسية من خلال الأعمال الإبداعية لبعض الأدباء المنتحرین، بيروت: دار الراتب الجامعية.
- 59- ابن منظور، محمد بن مكرم، (1414هـ)، لسان العرب، الطبعة الثالثة، بيروت: دار صادر.
- 60- هاني نصري، (1420هـ)، نقض الإلحاد، تحديات وتنبيهات وإيضاحات، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- 61- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، (1404-1427هـ)، الموسوعة الكويتية الفقهية، الطبعة الثانية، الكويت: دار السلاسل.
- 62- ول ديورانت، (2016م)، مباحث الفلسفة، ترجمة/ فؤاد الأهوانى، الطبعة الثانية، القاهرة: المركز القومى للترجمة.

- 63- ياسر ثابت، (2012م)، *شہقة الیائسین*، الطبعة الأولى، بيروت: دار التنوير.
- 64- يحيى فرغل، (8هـ)، *الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية*، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الأفاق العربية.
- 65- يوكيو ميشيمما، (1990م)، *تلع الرابع*، ترجمة/ كامل يوسف حسين، الطبعة الأولى، بيروت: دار الآداب.

المقالات والصحف والمواقع:

- 1) إبراهيم الحاج العبدلي، مقال بعنوان: صداقه توماس برنهارد، نشر بصحيفة الحياة بتاريخ 11/10/2006م، ويمكن الاطلاع عليه من خلال الرابط: <https://www.sauress.com/alhayat/31239152> تاريخ الاطلاع 2022/1/5.
- 2) أحمد إبراهيم الشريف، مقال بعنوان: لماذا انتحر الإيطالي تشيزاري بافيزي بعد تسعه أيام من كتابة مذكراته، منشور بتاريخ 13/11/2020م، على موقع صحيفة اليوم السابع، ورابطه: <https://2u.pw/Vf1At> تاريخ الاطلاع 2022/1/10.
- 3) أحمد رياض، مقال بعنوان: قراءة في كتاب "رحلة إلى الشرق" لجيرار نفال، منشور بتاريخ 28/6/2018م في موقع "أنفاس"، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/dNROZ> تاريخ الاطلاع 2022/1/8.
- 4) إسراء سيف، مقال بعنوان: هل انتحر فعلا ديل كارنيجي؟ عبر الرابط: <https://2u.pw/RN630> تاريخ الاطلاع 2022/1/21.
- 5) أسعد العزوني، مقال بعنوان: انتحار مثقف، نشر بتاريخ 27/6/2020م، على موقع المجلة الثقافية الجزائرية، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://thakafamag.com/?p=39360> تاريخ الاطلاع 2022/1/21.
- 6) بيتر إبراهيم، مقال بعنوان: الجمعية الأمريكية للطب النفسي: معدلات انتحار الأطباء أعلى من المهن الأخرى، منشور في موقع "اليوم السابع" بتاريخ 3/6/2018م، ولمطالعة المقال يمكن الدخول عبر الرابط: <https://2u.pw/YnFbN>، تاريخ الاطلاع 2021/12/30.
- 7) توماس ناجل، مقال بعنوان: العبئية، ترجمة/ مروان محمود، منشور في مجلة الفلسفة.
- 8) حسن عليان، مقال عن "تيسير سبول" في مجلة فيلادلفيا الثقافية، جامعة فيلادلفيا، الأردن.
- 9) خالد بشير، مقال بعنوان: تيسير السبول، سار مع الوهم وانتحر بعد هزيمة العروبة، منشور بتاريخ 10/7/2018م، في موقع "حفريات"، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/2G1uG>، تاريخ الاطلاع 2022/1/14.
- 10) رونالد أرونсон، مقال بعنوان: ألبير كامو، ترجمة/ سارة الحيدان، ضمن "موسوعة ستانفورد للفلسفة" مجلة "حكمة"، ويمكن الاطلاع عليه من خلال الرابط: <https://2u.pw/KaOs2>، تاريخ المطالعة 2022/1/26.

(11) ربي أرسيميس سمير، مقال بعنوان: جيرار دي نيرفال، منشور على موقع "مكتبات الشرق" على الشبكة العالمية، انظر الرابط: <https://heritage.bnf.fr/bibliothquesorient/ar/nerval-art-ara>، تاريخ الاطلاع 2022/1/8 م.

(12) سعاد جروس، مقال بعنوان: أمراض المبدعين: خفيها مطلوب، وشديدها يدفع إلى الانتحار أو الجنون، منشور في صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ 2006/6/20، العدد 10431، ورابط المقال: <https://2u.pw/huKah>، تاريخ الاطلاع 2022/1/20 م.

(13) سعيد بوكرامي (ترجمة) مقال منشور في جريدة "نزوی" الإلكترونية بتاريخ 1/4/1999 م، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط: <https://2u.pw/IqDhA>، تاريخ الاطلاع 11/1/2022 م.

(14) سلمان حرفوش، عبد الباسط الصوفي والتجربة الوجودية، موقع القصة السورية، عبر الرابط: <http://www.syrianstory.com/a.b.soufi.htm> تاريخ الاطلاع 20/1/2022 م.

(15) عبد الدايم الكحيل، الإلحاد والانتحار وقوة تعاليم الإسلام، مقال منشور في صفحة المؤلف على الشبكة العالمية، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/wvt6r>، تاريخ الاطلاع 21/12/2021 م.

(16) كريم عبد الخالق، مقال بعنوان: مسرح «سارة كين»: الموت دائمًا خلفك، منشور على موقع "منشور" بتاريخ 2018/8/24، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/gDhks>، تاريخ الاطلاع 30/12/2021 م.

(17) لبيب ناصيف، مقال بعنوان: رالف رزق الله، الرحيل الباكر الموجع، منشور بصحيفة "البناء" الإلكترونية بتاريخ 20/6/2020 م، ويمكن الدخول إليه عبر الرابط: <https://www.al-binaa.com/archives/253783> تاريخ الاطلاع 21/1/2022 م.

(18) محمد غازي التدمري، عبد الباسط الصوفي وسطوة الانتحار، موقع القصة السورية، عبر الرابط: <http://www.syrianstory.com/a.b.soufi.htm> تاريخ الاطلاع 20/1/2022 م.

(19) نبيل علال، مقال بعنوان بافيزي من الحب إلى الانتحار، منشور بتاريخ 25/2/2020 م، على موقع المحطة الإلكترونية، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/M2Ylb>، تاريخ الاطلاع 10/1/2022 م.

(20) نهى الخشاب، مقال بعنوان: هل انتحر صلاح جاهين، منشور بتاريخ 21/4/2015 م في موقع صحيفة "مبتدأ" الإلكترونية، ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/KPnFc>، تاريخ الاطلاع 20/1/2022 م.

(21) صحيفه "هوف بوست" الإلكترونية عبر الرابط:

<https://2u.pw/D7CUP>

تاريخ الاطلاع 31/1/2022م.

(22) الصحيفه الإلكترونية التونسية "جمهورية" بتاريخ 19/2/2018م، ويمكن الاطلاع عليه عبر هذا الرابط:

<https://2u.pw/Igveg> تاريخ الاطلاع 21/1/2022م.

(23) مقال بعنوان: أقوال إميل سيوران: 160 اقتباس من كلام إميل سيوران، منشور على موقع "حكم نت"،

ويمكن مطالعته عبر الرابط: <https://2u.pw/wJOav>

تاريخ الاقتباس 30/12/2021م.

(24) مقال بعنوان: الضاحك البائس...، لماذا انتحر روبن ولIAMZ؟، منشور بتاريخ 3/1/2021م على موقع "سكاي

نيوز عربية"، ورابط المقال: <https://www.skynewsarabia.com/varieties/1404441> تاريخ الاطلاع

2022/1/11م.

(25) مقال بعنوان: الكاتب الأمريكي انتحر لأن قلمه بات عصيا على التعبير، منشور في صحيفه "الاتحاد"

الإلكترونية بتاريخ 24/9/2008م، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط:

<https://2u.pw/NR5HV> تاريخ الاطلاع 11/1/2022م.

(26) مقال بعنوان: إيفالد إلينكوف، عاش الفيلسوف، مات الفيلسوف، منشور بتاريخ 7/2/2015م، في صحيفه

"الأيام" الإلكترونية، عدد 9435، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط:

<http://www.alayam.com/online/NA/475589/News.html> تاريخ الاطلاع 6/1/2022م.

(27) مقال بعنوان: ديل كارنيجي مات منتحرا، منشور على موقع "معلومات" بتاريخ 24/12/2020م، ويمكن الاطلاع

عليه عبر الرابط: <https://2u.pw/Gx8Zy> تاريخ الاطلاع 21/1/2022م.

(28) مقال بعنوان: قدم للعالم ثمانين بلداً..، من هو أنتوني بورد Ain؟، منشور بتاريخ 9/6/2018م على موقع

<https://2u.pw/VebA0> تاريخ الاطلاع عليه عبر الرابط:

11/1/2022م.

(29) مقال بعنوان: قصة انتحار أشهر روائي مثير للجدل في اليابان، في موقع "bbc عربي" بتاريخ 3/12/2020م،

ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط <https://2u.pw/5vJv8> تاريخ الاطلاع 10/1/2022م.

(30) مقال بعنوان: كل ما يجب أن تعرفه عن العدمية، موقع "أنا أصدق العلم"، عبر الرابط:

<https://www.ibelieveinsci.com/?p=86848>

تاريخ الاطلاع 25/1/2022م.

(31) مقال بعنوان: من هي فيرجينيا وولف، منشور في موقع "أراجيك" بتاريخ 27/10/2021م، ويمكن الاطلاع

عليه عبر الرابط:

<https://www.arageek.com/bio/virginia-woolf>

(32) مقال مترجم بعنوان: إرنست همنغواي: الكاتب الذي انتحر بعد أن نجا من تحطم طائرتين، منشور بتاريخ 21/7/2021م في موقع "أوهايو بالعربي"، ورابطه: <https://2u.pw/bvTeU> تاريخ الاطلاع 8/1/2022م، ورابط أصل المقال باللغة الإنجليزية:

<https://bit.ly/36PsoOa>

(33) "معرفة"، عبر الرابط: <https://2u.pw/lNKe5> تاريخ الاطلاع 26/1/2022م.

(34) موسوعة "ويكيبيديا".

(35) موقع "الباحثون السوريون" عبر هذا الرابط: <https://2u.pw/rafl9> تاريخ الاطلاع 21/1/2022م.

(36) موقع "أيام قرطاج السينمائية"، عبر الرابط: <https://2u.pw/1xKwm> تاريخ الاطلاع 30/1/2022م.

(37) موقع "معرفة" عبر الرابط: <https://2u.pw/i5rsT> تاريخ الاطلاع 13/1/2022م.

(38) موقع "معرفة"، بتحرير/ إبراهيم العريس، ورابطه: <https://2u.pw/T85a1> تاريخ الاطلاع 11/1/2022م.

(39) موقع بي بي سي عربي بتاريخ 29/10/2017م، ويمكن الاطلاع عليه عبر الرابط: <https://www.bbc.com/arabic/inthePress-41792626> تاريخ الاطلاع 30/1/2022م.

(40) رحلة اليقين الحلقة 21، نظرية التطور، نظرية داروين ... بإنصاف، قناة اليوتيوب للأ. د. إياد قنيري – القناة الرسمية.

(41) العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، الفصل الرابع: نظرية التطور، موقع أ. د. سفر الحوالى.

عبر الرابط: <https://www.safaralhawali.com>

فهرس الموضوعات

3.....	مقدمة
14.....	الباب الأول: الإلحاد في الغرب.
15.....	الفصل الأول: حقيقة الإلحاد والألفاظ ذات الصلة
15.....	المبحث الأول: أصول الدين العالمية:
16.....	المبحث الثاني: مفهوم الإلحاد لغة واصطلاحاً
17.....	المبحث الثالث: الفرق بين الكفر والإلحاد والشرك
18.....	المبحث الرابع: مصطلحات تتشابه مع الإلحاد:
18.....	المبحث الخامس: مصطلحات لا بد منها:
19.....	أولاً: اللادينية
20.....	نياً: مصطلح العلمانية (Secularism) سكويولزم
22.....	لثاً: مصطلح التنوير
24.....	رابعاً: الوجودية
24.....	خامسًا: الماسونية
27.....	الفصل الثاني: قضية الإلحاد
27.....	المبحث الأول: الإلحاد في التاريخ.. وليس ريح الإلحاد.
28.....	المبحث الثاني: أقسام الإلحاد
28.....	أولاً: الإلحاد القديم:
30.....	نياً: الإلحاد الجديد: (New Atheism)
33.....	المبحث الثالث: الفرق بين الإلحاد القديم والإلحاد الجديد
34.....	المبحث الرابع: أقسام الملاحدة في العصر الحاضر
35.....	المبحث الخامس: رؤوس الإلحاد وأبرز شخصياته.
36.....	المبحث السادس: ما المراد بالإلحاد الذي نحن بصددِه الآن؟
36.....	المبحث السابع: أسباب الكفر لخالي، وداعي انتشار الإلحاد الغربي
38.....	المبحث الثامن: أسباب نشأة الإلحاد الغربي
44.....	الفصل الثالث: نظرت الإلحاد وإرهادات إند روه
44.....	المبحث الأول: نظرتُ وضعتُ أسسَ الإلحاد
52.....	المبحث الثاني: الشيوعية، ودورها في نشر الإلحاد

54	المبحث الثالث: الإلحاد فكرة شيطانية يهودية.....
55	المبحث الرابع: موئل الإلحاد.. قد شارفَ على الاقتراب
56	المبحث الخامس: بلدان أوروپا ليست نصرانية!.....
58	الباب الثاني: الإلحاد في العالم العربي والإسلامي.....
59	الفصل الأول: مظاهر الإلحاد في العالم الإسلامي ومعالمه:
59	المبحث الأول: الملحدون العرب.....
59	المبحث الثاني: الفرق بين الإلحاد الغربي والإلحاد العربي
60	المبحث الثالث: عنابة الإسلام لعلم مقارنةً لكنيسة.....
61	المبحث الرابع: حال الإلحاد في البلدان الإسلامية.....
62	المبحث الخامس: الحركات الإلحادية بين المسلمين في القرن الماضي.....
63	الفصل الثاني: أسباب ظهور الإلحاد في العالم الإسلامي وسبل مواجهته
63	المبحث الأول: أسباب ظهور الإلحاد في در المسلمين.....
63	أولاً: الأسباب العامة (أو المخورية) للإلحاد في البلدان الإسلامية:
64	نـيـاً: الأسباب الشخصية (المتعلقة بشـخـصـ الملـحـدـ):
66	لـثـاـ: الأسباب الاجتماعية للإـلـحادـ:
68	رابـعاـ: الأسباب المعرفية للإـلـحادـ:
69	خامـسـاـ: الأسباب الدينية:
72	أهمية معرفة أسباب الإلحاد
72	المبحث الثاني: سـبـلـ مواـجهـةـ حـرـكـةـ الإـلـحادـ، وكـيفـيـةـ التـصـديـ لهاـ:
78	المبحث الثالث: أقـلامـ خـبـيـثـةـ خـطـّـتـ لـلـإـلـحادـ
78	المبحث الرابع: أهم وسائل الإلحاد الحديث، ومن يقف وراءها
79	المبحث الخامس: الإلحاد: ذاك الباطل الهش
80	الباب الثالث: منهج الدعوة الإسلامية في الرد على المخالفين
81	الفصل الأول: المجادلة وال الحوار والمناظرة
81	المبحث الأول: الشبهة
81	فقـهـ التعـامـلـ معـ الشـبـهـاتـ:
81	المطلب الأول : حـقـيقـةـ الشـبـهـةـ:
81	أولاً: معنى الشبهة في اللغة والاصطلاح:
83	نيـاـ: نـشـأـةـ الشـبـهـاتـ، وأـسـبـابـ ظـهـورـهاـ:

85	لثاً: أقسام الشبهات:.....
86	رابعاً: أساليب ووسائل صناعة الشبهة:
86	خامساً: فوائد الشبهات:.....
90	سادساً: ركائز ينبغي على المسلم استيعابها:
92	سابعاً: منهج التعامل مع الشبهة:.....
93	مناً: أسباب تكثيف الشبهات:
96	سعًا: سبل التخلص من ثير الشبهات:
98	عاشرًا: وجوب الرد على الشبهات:
99	المطلب الثاني: خطر الشبهات
101	المطلب الثالث : تنبیهات حول منهجية الرد على الشبهات
103	المطلب الرابع: قواعد للداعية في التعامل مع الشبهات للوقاية والعلاج
103	أولاً: قواعد وقائية للدعاة من الشبهات:
106	نياً: قواعد للتعامل مع الإشكالات والشبهات بعد ورودها:
107	المطلب الخامس: قواعد منهجية في الرد على الشبهات
113	تنبيهات إلى سلبيات لا بد من اجتنابها:
115	تنبيهات عند التعامل مع أرب الشبهات
117	كتب ومحاضرات لدحض الإلحاد والرد على الشبهات
118	المبحث الثاني: المناظرات
119	المطلب الأول: ضوابط المناظرة وآدابها
121	المطلب الثاني: المفاسد المترتبة على المناظرات العامة
122	لا مرحبا ي جدل عقيم
122	<u>تَفَادِي إِرْرَاءَ الشُّبُهَاتِ فِي الْمَنَاظِرَاتِ الْعَامَّةِ</u>
123	المطلب الثالث: النصائح الذهبية في مناظرة الملحدين
130	المطلب الرابع: حيل الملاحدة في للتناظر، وكيفية التعامل معها
135	المبحث الثالث: الجدال لتي هي أحسن
135	المطلب الأول: الجدال لغةً واصطلاحاً:
135	المطلب الثاني: أنواع الجدل:
137	المطلب الثالث: أهمية الجدال لتي هي أحسن في الدعوة:
138	المطلب الرابع: معلم في الجدال لتي هي أحسن:

المطلب الخامس: العلاقة بين الجدال وال الحوار والمناقشة: 142	
المبحث الرابع: أولو ت الحوار 142	
الفصل الثاني: قواعد المخاور في الرد على المخالفين 144	
المبحث الأول: أُسُسٌ فَنْهَجِيَّةٌ فِي الْحَوْارِ وَالرَّدِّ عَلَى الْمُخَالِفِينَ 144	
المبحث الثاني: قواعد عامة على الداعية المخاور أَنْ يَلْزَمْهَا 152	
المبحث الثالث: قواعد تنفع المخاور مع الملاحدة ومع غيرهم 156	
الباب الرابع: المعِرِّفُ لِإِسْلَامِ (المخاور المسلم) 159	
الفصل الأول: مَنْ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَصَدَّرَ لِدَعْوَةِ الْمَلَاهِدَةِ؟ وَمَنْيَ؟ 160	
الفصل الثاني: الْمَعْرِفُ لِإِسْلَامٍ، وَمَرَاحِلُ كَسْبِ مَهَارَاتِ الدُّعَوَةِ إِلَى 164	
الفصل الثالث: صفات المخاور المسلم 165	
الباب الخامس: دلائل وجود العقلية والحسية والشرعية 179	
الفصل الأول: الاستدلال لأدلة في دعوة الملحدين إلى الإيمان لريوبية 180	
المبحث الأول: الاستدلال بدليل الفطرة على وجود 181	
المطلب الأول: حقيقة الفطرة في اللغة والاصطلاح: 181	
أولاً: حقيقة الفطرة في اللغة: 181	
نياً: حقيقة الفطرة في الاصطلاح: 181	
المطلب الثاني: النصوص الشرعية الدالة على فطرية معرفة وتوحيده: 181	
المطلب الثالث: كيفية الاستدلال بدليل الفطرة 184	
المبحث الثاني: الاستدلال بدليل الخلق والإيجاد على وجود 186	
المطلب الأول: توطئة وتقديم: 186	
المطلب الثاني: كيفية الاستدلال بدليل الخلق والإيجاد: 187	
المطلب الثالث: النصوص الشرعية الدالة على الخلق والإيجاد: 188	
أولاً: في نصوص القرآن الكريم: 189	
نياً: في نصوص السنة النبوية المطهرة: 190	
المطلب الرابع: من طرق معرفة ، النظر والتفكير في مخلوقاته: 191	
المبحث الثالث: الاستدلال بدليل الإحکام والإتقان على وجود : 194	
المطلب الأول: الإحکام والإتقان لغة واصطلاحاً: 194	
أولاً: الإحکام في اللغة: 194	
نياً: الإتقان في اللغة: 194	

لثاً: الإحکام والإتقان اصطلاحاً:	194
رابعاً: أسماء أخرى للدلیل الإحکام والإتقان:	194
المطلب الثاني: أقوال أهل العلم في دلیل الإتقان والإحکام:	194
المطلب الثالث: كيفية الاستدلال بدليـل الإحکام والإتقان:	195
المطلب الرابع: الإتقان والتعقـيد الوظيفي من أدلة وجود	199
المطلب الخامس: النصوص الشرعية الدالة على الإحکام والإتقان	203
المبحث الرابع: الاستدلال بدليـل التخصيص على وجود	206
المطلب الأول: المراد بدليـل التخصيص:	206
المطلب الثاني: كيفية الاستدلال بدليـل التخصيص:	206
المطلب الثالث: المستند الشرعي لـدليـل التخصيص:	207
المبحث الخامس: الاستدلال بدليـل التسوية على وجود	208
المطلب الأول: معنى تسوية الشيء:	208
المطلب الثاني: دلـيل التسوية أبلغ في الدالة	208
المطلب الثالث: النصوص الشرعية في دلـيل التسوية	209
المبحث السادس: الاستدلال بدليـل التقدير على وجود	209
المطلب الأول: المراد بدليـل التقدير:	209
المطلب الثاني: كيفية الاستدلال بدليـل التقدير:	210
المبحث السابع: الاستدلال بـدلـائل النبوة على وجود :	211
المطلب الأول: حقيقة الاستدلال بـدلـائل النبوة على وجود :	211
المطلب الثاني: نماذج من دلـائل النبوة:	211
أولاً: من دلـائل نبوة موسى عليه السلام:	211
نيا: من دلـائل نبوة عيسى عليه السلام:	212
لثاً: من دلـائل نبوة محمد صـلى عـلـيه وسـلـمـ:	213
المبحث الثامن: الاستدلال بـمـكـارـمـ الـأـخـلـاقـ عـلـىـ وـجـودـ	216
المطلب الأول: المراد بدليـل مـكـارـمـ الـأـخـلـاقـ:	216
المطلب الثاني: كيفية الاستدلال بـمـكـارـمـ الـأـخـلـاقـ:	216
الفصل الثاني: توحـيدـ الـرـبـوـبـيـةـ،ـ حـقـيقـتـهـ وـأـدـلـتـهـ.	218
المبحث الأول: تعريف توحـيدـ الـرـبـوـبـيـةـ:	218
المبحث الثاني: أصول توحـيدـ الـرـبـوـبـيـةـ:	218

219	المبحث الثالث: أدلة توحيد الربوبية:
221	الفصل الثالث: بيان البراهين والأدلة العقلية على وجود تعالى
221	المبحث الأول: التقسيم العقلي الحكيم:
221	المبحث الثاني: العدم لا يخلق شيئاً:
222	المبحث الثالث: الطبيعة الصماء لا تملك قدرة، وفائد الشيء لا يعطيه:
222	المبحث الرابع: الصدفة العمياء لا تملك حياة:
223	المبحث الخامس: المناظرات العقلية الحكيمة:
223	المبحث السادس: مبدأ السببية:
224	المبحث السابع: التفكير في المصنوع يدل على بعض صفات الصانع:
225	الفصل الرابع: بيان الأدلة الحسية المشاهدة على وجود تعالى
226	الفصل الخامس: بيان الأدلة الشرعية على وجود تعالى
228	الفصل السادس: شبكات الملحدين وإجهاقاً لها
228	المبحث الأول: لماذا لا يكون هناك أكثر من خالق أزل؟
228	المبحث الثاني: سقوط فرضية تعدد الآلهة
229	المبحث الثالث: موقف المسلم من قضية الإلحاد
230	الباب السادس: النفيسيات الإلحادية، وكيفية التعامل معها:
231	تمهيد
232	الفصل الأول: الشخصية القلقة:
232	المبحث الأول: حقيقة الشخصية القلقة:
233	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:
233	المبحث الثالث: آليات حوار الشخصية القلقة:
235	الفصل الثاني: الشخصية الهوسية:
235	المبحث الأول: حقيقة الشخصية الهوسية:
235	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:
237	الفصل الثالث: الشخصية النرجسية:
237	المبحث الأول: حقيقة الشخصية النرجسية:
237	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:
239	الفصل الرابع: الشخصية المكبّة:
239	المبحث الأول: حقيقة الشخصية المكبّة:

239	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:
241	الفصل الخامس: الشخصية الاستذهانية:
241	المبحث الأول: حقيقة الشخصية الاستذهانية:
241	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:
243	الفصل السادس: الشخصية البارانورامية الموسوسة:
243	المبحث الأول: حقيقة الشخصية البارانورامية الموسوسة:
243	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:
244	الفصل السابع: الشخصية الإسقاطية:
244	المبحث الأول: حقيقة الشخصية الإسقاطية:
244	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع الشخصية الإسقاطية:
246	الفصل الثامن: الشخصية الحدودية:
246	المبحث الأول: حقيقة الشخصية الحدودية:
246	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:
248	الفصل التاسع: الشخصية التابعة:
248	المبحث الأول: حقيقة الشخصية التابعة:
248	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:
249	الفصل العاشر: الشخصية الفصامية المنعزلة:
249	المبحث الأول: حقيقة الشخصية الفصامية المنعزلة:
249	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:
251	الفصل الحادي عشر: الشخصية المعتلة:
251	المبحث الأول: حقيقة الشخصية المعتلة:
251	المبحث الثاني: كيفية التعامل مع هذه الشخصية:
252	الباب السابع: ظاهرة الانتحار في صفوف الملاحدة.
254	المبحث الأول: علاقة الانتحار لفلسفة العدمية
255	المبحث الثاني: التلازم بين الإلحاد والانتحار
257	المبحث الثالث: ما الفرق بين الإلحاد: العبئي، والعدمي، والوجودي؟
257	المبحث الرابع: أكثر البلدان رُقيّاً ماداً، أكثرها انتحاراً
259	المبحث الخامس: أشهر المنتحرين من الملحدين أو المتأثرين بلؤـت الإلحاد
268	المبحث السادس: الاضطهاد والانتحار بين المؤمنين والملحدين

271	المبحث السابع: الملاحدة أكثر انتهاجاً وعدوانية.....
271	المبحث الثامن: قائمة المترحرين من الملاحدة.. طويلة ومستمرة ..
273	المبحث التاسع: قائمة البلدان الأكثر نسبةً للانتهاج للانتهاج ..
274	المبحث العاشر: ما قاله مشاهير الملحدين ورؤوس الطغيان لحظةً موتهم: ..
276	المبحث الحادي عشر: هل الملاحدة أكثر سعادة؟.....
280	الباب الثامن: الأخلاق عند الملاحدة.....
281	المبحث الأول: من ادعىَاتِ الملاحدة: نسبيّةُ الأخلاقِ
281	المبحث الثاني: مفهوم الأخلاق في الإسلام ..
282	المبحث الثالث: الانحطاط الأخلاقي والنفسي وراء الالحاد ..
283	المبحث الرابع: الإلحاد والأخلاق الفاضلة.. طرقٌ نقىض ..
284	المبحث الخامس: إذا كان الإله خرافة فكل شيء مباح ! ..
286	الباب التاسع: فظائع الملاحدة وجرائمهم ..
287	المبحث الأول: نموذج من فظائع الإلحاد: أكل لحوم البشر ! ..
287	المبحث الثاني: جرائم الملاحدة والعلمانيين ..
287	المبحث الثالث: حقائق عن الملاحدة:.....
288	المطلب الأول: مليون ونصف قتيل ..
288	المطلب الثاني: الجوع يحصد الأرواح، ومع ذلك يوجد أموال للحروب: ..
288	المبحث الرابع: الإلحاد والعنف! ..
288	المطلب الأول: الملحدون صنعوا أشنع حروب ومجازر في العالم؟ ..
291	المطلب الثاني: العلمانية سبب في قتل الآباء بهذه الحروب. ..
291	المطلب الثالث: هتلر وحرره وعلاقتها مع الداروينية ..
292	المطلب الرابع: استخدام الأطفال في حروبهم القدرة ..
292	المطلب الخامس: أشهر الحروب الدينية.. (لم يذكر الإسلام في أي منها) ..
292	إـدة الهندوـالـحـمـر ..
293	حـربـ الكـاثـوليـكـ والـبرـوتـسـتـانتـ ..
293	الـهـولـوكـوـسـتـ ..
293	مـذاـبـحـ إـسـرـائـيـلـيـنـ لـلـفـلـسـطـيـنـيـنـ وـنـفـاقـ الـغـرـبـ ..
294	الـبوـسـنةـ وـالـهـرـسـكـ ..
294	المطلب السادس: أمريكا: أكثر دولة دموية على وجه التاريخ ..

299	المطلب السابع: مائة مليون قتيل حصاد القرن العشرين.....
300	الباب العاشر: المرأة عند الملاحدة:
301	المبحث الأول: مكانة المرأة عند الملاحدة
302	المبحث الثاني: المرأة بين الإسلام والإلحاد:
303	المبحث الثالث: حقيقة الرؤية الإسلامية للمرأة
303	أولاً: المساواة في الاعتبار الأدبي ومنحه المدعاية:
304	نيا: البراءة الأصلية للمرأة:
304	لثاً: معيار التفاضل بين النساء والرجال:
305	رابعاً: المرأة وثورة الحقوق:
308	الباب الحادي عشر: الدعوة إلى الإسلام، والرد على الشبهات
309	الفصل الأول: المشاريع الدعوية في دعوة الملاحدة للإسلام
309	المبحث الأول: التعريف ساسيات الإسلام وفق نموذج GORAP
309	المطلب الأول: مقاربة وجود ووحدانيته – الوحي والنبوة:
310	المطلب الثاني: سيناريوهات لدعوة الناس للإسلام، ومناقشتها:
310	السيناريو الأول:
310	السيناريو الثاني:
310	السيناريو الأول: أين تكمن المشكلة فيه؟
311	السيناريو الثاني: أين تكمن المشكلة فيه؟
311	المطلب الثالث: ملخص مقاربة وجود – الوحي والنبوة
312	الجانب الأول: التمهيد:
313	الجانب الثاني: فرضية الحوار القائم على مقاربة وجود ووحدانيته-الوحي والنبوة:
314	المطلب الرابع: وجود :
314	كيف تقنع غير المسلم بوجود إله خالق؟
315	النظام الكوني:
315	الإقرار:
316	المطلب الخامس: وحدانية :
316	كيف تثبت وجود إله واحد للكون؟
316	طبيعة الخالق:
316	هل خلق الكون نفسه بنفسه؟

316	من الذي خلق الخالق؟
317	خالق غير مخلوق:
317	الإقرار:
317	المطلب السادس: الرابط بين وجود ووحدانيته، وبين الوحي والنبوة
318	إقامة الرابط:
319	المطلب السابع: الوحي الأخير للبشرية (القرآن الكريم)
321	مجالات تحدث عنها القرآن
321	أدلة صحة الوحي (القرآن الكريم)
321	كيف تثبت كون القرآن وحي من عند تعالى؟
327	المطلب الثامن: النبوة (محمد رسول)
327	كيف تثبت أن محمداً صلى عليه وسلم نبي من عند ؟
329	المطلب التاسع: تلخيص ومزاعم
329	المراحل المختلفة للمقاربة:
329	تلخيص مقاربة وجود ووحدانيته - الوحي والنبوة
332	المبحث الثاني: نماذج حوارية ملخصة لدعوة الملاحدة
332	المطلب الأول: نموذج ملخص لدعوة ملحد تخصصه إدارة أعمال:
333	المطلب الثاني: نموذج حواري ينفع مع 90% من غير المسلمين:
335	الفصل الثاني: حقيقة الإسلام ومعناه، وإلى ماذا يدعوه؟
336	المبحث الأول: القاعدة الأساسية لدين الإسلام: كلمة التوحيد
338	المبحث الثاني: لماذا خلقنا ؟
339	المبحث الثالث: خالق واحد.. معبد واحد
340	المبحث الرابع: ماذا سأجد في مصادر الإسلام عن الإسلام؟
342	الفصل الثالث: شبّهات تُثار حول الإسلام
342	المبحث الأول: الإسلام وحرب المصطلحات
343	المبحث الثاني: الرد على الشبه المثارة حول الإسلام
343	المطلب الأول: أهمية الدعوة من خلال رد الشبهات حول الإسلام
344	المطلب الثاني: الرد على الشبهات المثارة حول الإسلام والمسلمين
344	الرد على شبه أهل الكتاب ومشركي العرب
344	بيان بطلان ونحرافات الدين الأخرى

346	شبهة: (مشكلة الشر)، والرد عليها
365	الرد على شبهة: (تقدّم الدول العلمانية وتخلّف البلدان المسلمة)
370	المبحث الثالث: الإرهاب، حقيقته في الإسلام، وعند الغرب
370	المطلب الأول: حقيقة كلمة "الإرهاب" في اللغة والاصطلاح:
371	المطلب الثاني: أنواع الإرهاب في الإسلام:
372	المطلب الثالث: الإرهاب عند الغرب:
375	الخاتمة
378	من التوصيات: كتب ننصح بقراءتها
379	فهرس المصادر
386	فهرس الموضوعات